المركز القومى للترجمة





هوميروس
الإلياذة



750/2

تحرير ومراجعة
مقدمة
معجم أسطورى كشاف

أحمد عتمان

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢/٧٥٠
- الإلياذة
- هوميروس
- أحمد عتمان
  لطفى عبد الوهاب يحيى
  منيرة كروان
  السيد عبد السلام البراوى
  عادل النحاس
- الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب:

Η ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ ΙΛΙΑΣ

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

Elgabalaya st, Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 27354526 – 27354524 Fax: 27354554
E-Mail : egyptcouncil@yahoo.com

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

هوميروس .

الإليـــاذة . تأليف : هوميروس - ترجمة ؛ نخبة .

تحرير ومـــراجعــــة ؛ أحمد عتمان .

ط٢ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ؛ ٢٠٠٨

٨٤٨ ص ؛ ٣١ سم .

١ - الإلياذة

أ - عتمان ، أحمد (محرر ومراجع)

ب- العنوان

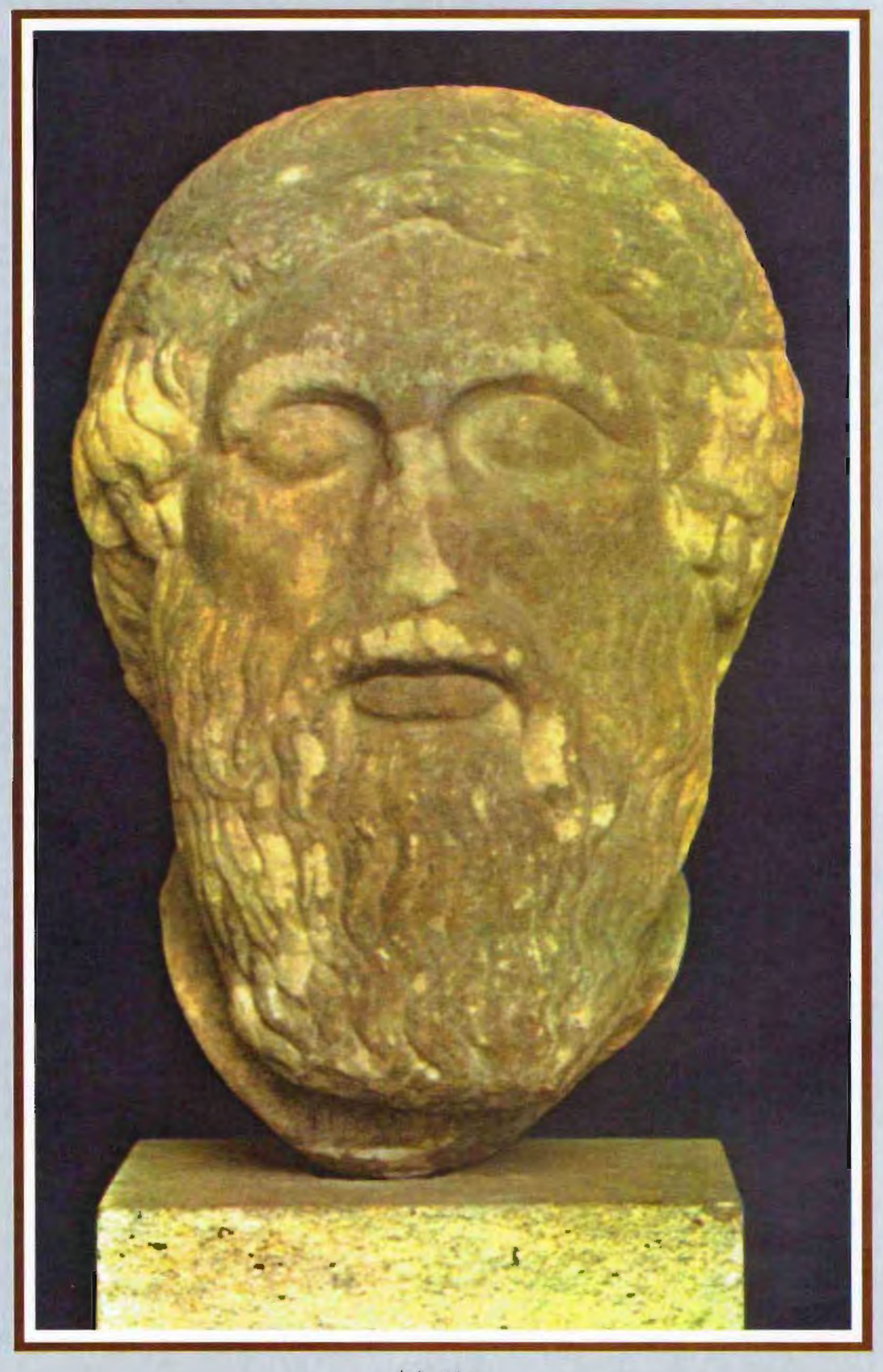
٨٨٣

رقم الإيداع ٢٠٤١٥/٢٠٠٨

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977 - 437 - 920 - 9

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .



شكل (١)
نسخة رومانية من تمثال نصفي لهوميروس. تعود للقرن الخامس ق.م
ومحفوظ الآن بمتحف النحت فى ميونيخ بألمانيا

المحتويات

" الإلياذة " تأليف هوميروس

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

التعطش الخلاق للإلياذة العربية محليًا ودوليًا

بقلم : أحمد عتمان

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصرًا دقيقًا أو جامعًا مانعًا ما كُتب عن هذه الطبعة فى الصحافة اليومية والمجلات الثقافية ، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية ، وذلك على امتداد الوطن العربى من المحيط إلى الخليج . ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق فى الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة " الإلياذة " كانت تمثل تحديًا ثقافيًا مزمنًا فى التراث العربى .

ولقد شعر كاتب هذه السطور بهذا التعطش الخلاق فى ثنايا هذه الحفاوة البالغة "**بالإلياذة** " التى ترجمت ولأول مرة مباشرة من نصها الإغريقى الأصلى. وتجلى هذا التعطش الخلاق فى السؤال الذى واجهنا دومًا فى كل مكان ذهبنا إليه: وأين " الأوديسية"؟. فالقارئ العربى قد شعر منذ اطلاعه على " **الإلياذة** " أنها كانت مشكلة مزمنة وحسمت عندما تصدى لها المتخصصون ، الذين عليهم الآن القضاء كذلك على مشكلة " الأوديسية" .

ومن أهم ما طرح فى وسائل الإعلام العربى هو ما جاء على لسان كبار النقاد من أنهم قرأوا النص المترجم فلم يلحظوا أية درجة من درجات التفاوت ما بين الكتب الأربعة والعشرين " **للإلياذة** " ، فكلها بأسلوب واحد وبالدقة نفسها والانضباط عينه ، مع أن عدد المشاركين فى الترجمة مع كاتب هذه السطور قد بلغ الأربعة. ولعل هذه الملاحظة النقدية الدقيقة هى أكثر ما بعث الاغتباط فى نفس كاتب هذه السطور بوصفه المراجع والمشرف العام على الترجمة إلى جانب قيامه

بترجمة سبعة كتب فيها ، كما وقع عليه عبء التحرير العام للترجمة . ولقد استغرق العمل فى الترجمة ست سنوات من الجهد الشاق والمثابرة. وبالفعل صاغ المحرر أربع نسخ متتالية حتى وصل إلى النسخة النهائية التى بلغت مرحلة من النضج والجودة ما أقنع المحرر بأنه قد آن الأوان لطبعها ونشرها .

وكان أصعب ما واجه المحرر العام هو توحيد المصطلح ومستوى الأسلوب وشكل الأسماء والصفات والصيغ المألوفة فى الشعر الملحمى الإغريقى . وجدير بالذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أن هناك تكرارًا لبعض الأبيات فى " **الإلياذة** " ولا يصح مطلقًا أن نورد بيتًا بترجمتين مختلفتين ، إحداهما فى كتاب والأخرى فى كتاب آخر فى إطار ملحمة واحدة . أما صفات الأبطال مثل " سريع القدمين ، إلهى ، ربانى ، بعيد النظر... إلخ" فهى مكررة من أول " **الإلياذة** " إلى آخرها وكل مترجم يترجمها بطريقته الخاصة. وكان على المحرر أن يوحد هذه الصفات ولا سيما تلك اللصيقة بأحد الأبطال والمميزة له فى كل كتب " **الإلياذة** " . ومثل هذه المشكلات ، وماهو أدق منها ، يدخل فى التفاصيل، وكان على المحرر أن يتعامل معها بصبر وأناة وتدقيق وتحقيق حتى تخرج " **الإلياذة** " بهذه الصورة التى خرجت بها. وهناك بعض درجات التفاوت ظلت تراوغ المحرر ولم يضبطها إلا الكشاف الذى أعده لكل الأعلام فى " **الإلياذة** " حيث ذيل به الترجمة .

كرم المجلس الأعلى للثقافة المترجمين؛ إذ أهداهم درع المجلس فى إطار مؤتمر عالمى ضخم عن الترجمة فى مايو ٢٠٠٤ ، حيث عقدت ندوة خاصة (٢٩ مايو – ١ يونيو) تحت عنوان "الإلياذة عبر العصور" شارك فيها رواد الدراسات الكلاسيكية والمهتمون بهذه الثقافة ومنهم : أحمد أبو زيد، صفوت كمال، عبد الحميد حواس، عبد المعطى شعراوى، علية حنفى ، لطفى عبد الوهاب، محمد عبد الغنى، ماهر شفيق، ماجدة النويعمى ، أشرف فراج، محمد خليفة ، محمود أمين العالم، مصطفى العبادى، ممدوح عدوان ، منيرة كروان وغيرهم. وشارك فيها كذلك عالمان أوروبيان ، أحدهما هو فريدى ديكريس **Freddy Decreus** أستاذ الكلاسيكيات بجامعة خنت ببلجيكا. والثانية هى ميكى كولك **Mieke Kolk**

أستاذ المسرح بجامعة أمستردام- هولندا. ونشرت أعمال هذه الندوة (تحرير أحمد عتمان) عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٦ .

ومن هذه الدائرة الضيقة التى شهدت هذه الحفاوة عالية المستوى فى أروقة المجلس الأعلى للثقافة انطلقت الأصداء لتملأ آفاق الدنيا .

حكى لى الإخوة الذين أشرفوا على معارض الكتب المصرية فى العواصم العربية أن أية كمية تؤخذ من " **الإلياذة** " تنفد فى أول يوم للمعرض، ويظل رواد المعرض يسألون عنها طوال الأيام حتى نهاية المعرض. ولقد سمعت الشيء نفسه عن معرض أقيم فى أثينا وآخر فى فرانكفورت. فلا غرو أن تنفد الطبعة الأولى وأن تروج حتى لدى القراء المصريين وطلبة الجامعات مع أن سعر هذه الطبعة الفاخرة يعد مرتفعا، ونأمل فى طبعة شعبية مستقبلاً .

وفى تلك الأثناء جاءتنى مكالمة تليفونية غير عادية ، وقدم المتحدث نفسه على أنه بيتر بورمان **Peter Pormann** وفوجئت به يحادثنى باللغة العربية وبطلاقة وعرفت منه أنه ألمانى الأصل متخصص فى الكلاسيكيات ويعمل فى جامعة واروبك Warwick فى إنجلترا. ومنه عرفت حكايته الطريفة؛ حيث كان يتردد على المكتبات الباريسية التى تبيع كتبًا عربية، وسأل عن ترجمة البستانى " للإلياذة "، فأخبره صاحب المكتبة بأن هناك ترجمة جديدة صدرت حديثًا فاشتراها على الفور وعاد بها إلى إنجلترا محل عمله. وهناك شرع يسأل عن المشرف على هذه الترجمة وهو كاتب هذه السطور. والتقى الأستاذ تشارلز بيرنت **Charles Burnett** من جامعة لندن ، المتخصص فى ترجمات العصور الوسطى من العربية إلى اللاتينية ، وكنت قد التقيت به فى مؤتمرات سابقة. حكى بورمان له عن " الإلياذة " التى ترجمت حديثًا إلى العربية من الإغريقية مباشرة وأشرف عليها فلان، وذكر اسم كاتب هذه السطور، وقال إنه لا يعرف كيف يصل إليه، وكانت المفاجأة أن ناوله تشارلز بيرنت بطاقة التعارف الخاصة بمن يبحث عنه. ومن هنا، جاءت المكالمة التليفونية سالفة الذكر .

وفى يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٧ بالمعهد القومى للغات الشرقية INALCO بباريس ألقى بورمان محاضرة بعنوان " هوميروس العربى بين البستانى وأحمد عتمان" وتابعت هذه المحاضرة الدكتورة كاميليا صبحى الملحق الثقافى وأرسلت تقريرًا عنها إلى الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، الذى تفضل بإرسال نسخة منه إلى كاتب هذه السطور. وجاء فى هذا التقرير الشيء الكثير عن إشادة بورمان بهذه الترجمة التى يعتبرها من أفضل الترجمات، حتى إنه قارنها بالترجمات الإنجليزية والفرنسية الشهيرة. ولأن الأستاذ بورمان طور هذه المحاضرة ونشرها فى مقال مستفيض بعد ذلك فسنعود إلى مناقشة آرائه بعد قليل .

ونتوقف الآن قليلاً عند ما أثلج صدر كاتب هذه السطور لشعوره بأن الدراسات الكلاسيكية فى مصر بدأت تأخذ موقعًا لها على الخريطة الدولية للدراسات الكلاسيكية. لقد بدأت الخطوات الأولى فى هذا الاتجاه منذ تأسيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية عام ١٩٨٥ وانضمامها للاتحاد الدولى للجمعيات الكلاسيكية FIEC . لكن هذه الخطوات كان يمكن أن تذهب عبثًا إن لم تساندها أعمال علمية يشعر بها المجتمع الكلاسيكى الدولى. ومن هنا تأتى أهمية الأصداء الخارجية لترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤؛ إذ صدر كتاب مهم عن جامعة أكسفورد كما يلى :

Barbara Graziosi & Emily Greenwood (eds), *Homer in the Twentieth Century: Between World literature and the Western Canon*. Oxford University Press 2007

ضم هذا الكتاب اثنى عشر بحثًا بقلم كبار الأساتذة المختصين فى الدراسات الكلاسيكية المقارنة. ومن أهم المشاركين فى هذه الأبحاث الأستاذة لورنا هاردويك Lorna Hardwick أستاذة الكلاسيكيات فى الجامعة المفتوحة وصاحبة أهم الدراسات حول نظرية الاستقبال لاسيما استقبال الكلاسيكيات فى العصر الحديث. يحمل بحثها فى الكتاب المذكور العنوان التالى :

"Singing across the faultlines: Cultural shifts in Twentieth Century Reception of Homer" (pp.47-71)

"الشدو عبر التشققات : تغيرات ثقافية فى استقبال هوميروس فى القرن العشرين"

ولقد استهلت هذه الباحثة المرموقة بحثها فــى اســقبال القــرن العــشرين لهوميروس بصفحتين (٤٧-٤٨) ترحب فيهما بالنسخة العربية الجديدة " للإلياذة " ومسجلة بعض ما نمى إلى علمها من حفاوة الثقافة العربية بهذه الترجمة ، والنــدوة التى عقدت احتفاءً بها تحت عنوان " الإلياذة عبر العصور " وكذا إعادة طبع ترجمة سليمان البستانى . وذكرت أن الترجمة استغرقت ست سنوات وأن المشرف علــى الترجمة قد حرص على " روح النص" الأصلى وأن هذه الترجمة هى أول ترجمــة عربية للإلياذة عن النص الإغريقى الأصلى مباشرة .

ولقد توطدت علاقتى بهذه الباحثة التى قابلتها فى أكثر من مؤتمر. وكانت بصدد الإعداد لإصدار موسوعة عن استقبال الكلاسيكيات، وطلبت منى الإسهام فى هذه الموسوعة التى صدرت بالفعل على النحو التالى :

Lorna Hardwick & Christopher Stray (eds), *A Companion to Classical Receptions*. Blackwell Publishing 2008

وضمت هذه الموسوعة ٣٥ بحثًا بقلم نخبة مــن علمــاء مختلــف الــدول الأساتذه المختصين فى الكلاسيكيات والأدب المقارن ولاسيما نظرية الاســتقبال أو التلقى . وكان من نصيب كاتب هذه السطور أن يسهم بالبحث رقم ١١ بعنوان :

"Translation at the Intersection of Traditions: The Arab Reception of the Classics" *(pp.141- 152)*

"الترجمة عند تقاطع التقاليد الثقافية: الاستقبال العربى للكلاسيكيات"

و فى إطار هذه الموسوعة تحدث كاتب هذه السطور عن استقبال العــرب القدامى والمحدثين للكلاسيكيات ، وموقــف العــرب القــدامى والمحــدثين مــن هوميروس، ومشكلة عدم ترجمة العرب القدامى للشعر الأجنبــى وأســباب ذلــك ونتائجه. ثم ما طرأ على الثقافة العربية الحديثة من تطــورات أدت إلــى الإقبــال الشديد على الأسطورة الإغريقية والأدب الإغريقى، ملحمة ومــسرحًا فــى المقــام

الأول، ثم سائر الفنون الأدبية بعد ذلك. بدأ هذا التطور منذ السنين الأولى للنهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر تقريبًا. وفى ظل هذا الاتجاه جاءت ترجمة البستانى للإلياذة عام ١٩٠٤ .

وقبل أن تنشر هذه الموسوعة كان كاتب هذه السطور قد تلقى دعوة من جامعة درم Durham لإلقاء محاضرة بعنوان " هوميروس فى العالم العربى " حدد لها فى البداية ١٨ يونيو ٢٠٠٧ ثم تأجلت إلى ٢٤ سبتمبر من العام نفسه .

كان من بين الحضور عند إلقاء المحاضرة أساتذة مختصون فى الكلاسيكيات من الجامعات الإنجليزية مثل مانشيستر وليفربول وواروك والجامعة المفتوحة وغيرها. ومما جاء فى هذه المحاضرة أن العرب القدامى ولاسيما فى العصر العباسى وبعد إنشاء " بيت الحكمة " على يد المأمون ترجموا عيون التراث الإغريقى، ولاسيما كتب العلوم التطبيقية مثل الطب والفلك والرياضيات (من هندسة وحساب) وفلسفة الطبيعة واللاهوت وما إلى ذلك. ولكنهم أحجموا عن ترجمة الشعر الإغريقى بما فى ذلك الملحمة والدراما (التراجيديا والكوميديا) وهناك سببان رئيسيان:

١- إيمان العرب بأن الشعر لا يترجم؛ فالترجمة تفسد الشعر وتحطم البنية الشعرية. وهذا الرأى ورد عند النقاد العرب القدامى. كما جاء فى عبارة لا يعرف قائلها وردت فى "صوان الحكمة " لأبى سليمان المنطقى السجستانى تقول:[(١)] "ومعلوم أن أكثر رونق الشعر يذهب عند النقل، وجل معانيه يتداخلها الخلل عند تغير ديباجته ".

---

(١) Istanbul MS Murad Molla 1408 fol 359

وقال الجاحظ فى كتاب " الحيوان " : [٢]

"فقط العرب والشعب الذى يتكلم العربية هم الذين يفهمون الشعر على نحو سليم. فالأشعار لا تستسلم للترجمة ولا ينبغى أن تترجم. فعندما تترجم الأشعار تتمزق بنيتها الشعرية والوزن الشعرى ليس سليمًا والجمال الشعرى يختفى ولا يبقى شيء يستحق الإعجاب ".

٢- المفهوم الإغريقى للأسطورة والشعر. فصناعة الشعر عند الإغريق poiesis تعادل وتقابل بل تتمازج مع صناعة الأسطورة mythopoiein والشاعر poietes هو بالأساس صانع أسطورة mythopoios . وهناك رواية طريفة وردت عن الشاعر الغنائى الشاب بنداروس (ولد عام ٥٢٢ أو ٥١٨ ق.م) الذى ذهب إلى الشاعرة الكبيرة كورينا Corinna – مع التحفظ أن بعض الدارسين يضعها فى العصر الهيللينستى أى بعد ٣٠٠ ق.م – وعرض عليها قصيدة له فابتسمت كورينا وردت له القصيدة قائلة " كيف تنظم قصيدة كاملة بلا أسطورة ". وبعد مضى بعض الوقت عاد إليها ومعه قصيدة مفعمة بالأساطير. ابتسمت كورينا وقالت له: يا بنى الأسطورة فى يدك مثل البذور فى يد الزارع؛ هل يبذرها كلها دفعة واحدة أم ينثرها فى أرجاء الحقل ؟ [٣]

---

[٢] طبعة القاهرة (١٩٣٨ -١٩٤٥) ص ٧٤ وما يليها

[٣] Plut. De Glor. Ath. 347f

وعن تاريخ حياة كورينا راجع :

D.L Page," Corinna" ,The Society for the Promotion of Hellenic Studies .As supplementary paper No.6 (1963)p. 65 ff

هذا المفهوم الإغريقى لوظيفة الأسطورة فى بناء الشعر ولغة الشعر لا مثيل له عند العرب القدامى. وهذا – فيما يتصور كاتب هذه السطور– كان العائق الرئيسى فى فهم العرب للشعر الإغريقى ، ناهيك عن نقله إلى العربية .

وعلى وجه التحديد كيف يمكن فهم " **الإلياذة** " بدون أسطورة حكم الجمال بين الإلهات الثلاث هيرا وأثينة وأفروديتى؟ ألم تك أسطورة هيلينى أجمل نساء العالم هى محور الحرب الطروادية ؟ بل كيف يمكن فهم مسار الحرب الطروادية بين كر وفر، وهزيمة وانتصار، دون أن نتفهم تدخل آلهة الأوليمبوس لصالح هذا الطرف أو ذاك ؟ الآلهة الأسطوريون والقوى الغيبية الخفية وكل ماوراء الطبيعة جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية فى " **الإلياذة** " ، حتى إن كل أبطال " **الإلياذة** " تقريبا هم من أبناء أو بنات الآلهة .

صفوة الكلام وباختصار شديد نقول إن فهم دقائق الأسطورة الإغريقية يعد شرطًا رئيسيًا من شروط فهم " **الإلياذة** " وهذا مالم يدركه العرب القدامى، ليس لأنه يتعارض مع دينهم ولكن لأنه لم يكن من تراثهم الشعرى الجاهلى والإسلامى .

فالعرب القدامى إذن لم يترجموا هوميروس رغم إعجابهم به من وحى ما عرفوه عنه حيث ورد فى " منتخب صوان الحكمة " (رقم ١٩٣) أنه لما سئل ديوجينيس لائيرتيوس عن أفضل الشعراء الإغريق قال: " كل أحد عند نفسه وأوميروس (= هوميروس) عند الجمهور ". وقال ابن رشد فى تلخيص"الخطابة" لأرسطو (١٠٢) عن هوميروس: " فكان رب النعمة العظيمة بذلك عند اليونانيين، وعظموه كل التعظيم حتى اعتقدوا فيه أنه كان رجلاً إلهيًا، وأنه كان المعلم الأول لجميع اليونانيين ".

ومع أن رفاعة رافع الطهطاوى فى " وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك " قد أفلح فى نقل جزء من أسطورة " الأوديسية" إلى العربية ، إلا أن ذلك كان توسطًا بالأدب الفرنسى .فهذه الرواية *Les aventures de Te'le'maque* *(1699)* هى من مؤلفات القس الفرنسى فينلون *Francois de Salignac de la Moth'e Fenelon (1651- 1715).*

وكان الهدف من تأليفها – مثل هدف ترجمتها – تربويًا. وهو ما سهل للطهطاوى نقل أسطورة إغريقية إلى العربية. ونستدل على صعوبة التعامل مع الأسطورة حتى فى العصر الحديث أن سليمان البستانى قد أعطى ترجمته للإلياذة عنوانًا مطولاً يخلو من ذكر كلمة " أسطورة " فالعنوان هو كما يلى :

" إلياذة هوميروس معربة نظمًا، وعليها شرح تاريخى أدبى، وهى مصدرة بمقدمة فى هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب، مذيلة بمعجم عام وفهارس "

وجدير بالذكر أن الشعر العربى الحديث والمعاصر بعد ذلك تخطى هذه العقبة وتعامل مع الأسطورة الإغريقية بحرية كاملة. واعتبر عبد الوهاب البياتى الشاعر العراقى الفذ أن استلهام الأسطورة الإغريقية، ولاسيما أسطورة سارق النار بروميثيوس، ضرب من الثورة ليس فقط فى مجال الشعر والثقافة بل فى آفاق الثورة الشاملة [٤] .

والآن آن الأوان لكى نعود إلى البحث المنشور حديثًا لبيتر بورمان لكى نناقشه فى بعض التفاصيل بعد أن ألمحنا إليه سلفا. نشر البحث كما يلى :

Peter E.Prmann, "The Arabic Homer: An Untold Story",Classical and Modern Literature، 27.1 (2007) pp.27-44

"هوميروس العربى : قصة لم نسمع بها "

وفى الحاشية رقم (١) فى الصفحة الأولى من البحث يشير بورمان إلى أنه سبق أن تناول موضوع الترجمة العربية " للإلياذة " فى مقال بعنوان:

"The Arab Cultural Awakening (NAHDA) 1870-1950 and the Classical Tradition " International Journal of Classical Tradition 13.1 (2006) pp 3-20

---

[٤] أحمد عتمان، "عبد الوهاب البياتى وحرائقه الشعرية" ، مجلة " الكويت "، العدد ١٩٠، فبراير ١٩٨٢، و"سارق النار وملهم الأشعار" ، مجلة "الدوحة "، مارس ١٩٨٣ .

وفى الحاشية نفسها يذكر بورمان أن البحث الراهن كان فى الأصل محاضرة بعنوان:

"L'Home`re arabe entre al Bustani et Ahmad Etman"

ألقيت فى معهد INALCO بباريس كما سبق أن ألمحنا. وليدلل بورمان على دقة ترجمة " **الإلياذة** " ٢٠٠٤ ومدى التصاقها بالنص الأصلى وجوهر الفن الهومرى، أخذ الفقرة الشهيرة من الكتاب السادس (٤٠٧ -٤١٣ و ٤٢٩ -٤٣٢) وأورد النص الإغريقى الأصلى وأتبعها بترجمة إنجليزية. وهى الفقرة التى أعطت نقاد الإسكندرية الذريعة ليطلقوا على الكتاب السادس كله "حديث أندروماخى **Andromaches Omilia** " . ففى هذا المشهد منقطع النظير فى الأدب الإغريقى كله تحاول أندروماخى ، وهى تحمل طفلها الرضيع ، أن تحول بين هيكتور– زوجها العزيز ووالد طفلها – والعودة للمعركة الفتاكة. ويعلق بورمان فيقول: إن ترجمة البستانى تدمج تفاصيل هذا المشهد الإنسانى المؤثر وتحذف كلمات مهمة كررها هوميروس بأسلوبه القائم على الملحمية والشفوية. أما ترجمة ٢٠٠٤ فقد حافظت على التفاصيل الدقيقة فى حديث أندروماخى .

ويضيف قائلاً:

"It is immediately eminent that Etman's rendering is much closer than any of the others we have seen so far .He translates the text directly from the Greek, often preserving even the wordorder " (p.37-38)

" من الواضح مباشرة أن ترجمة عتمان هى الأقرب (لهوميروس) بمراحل من الترجمات الأخرى التى رأيناها حتى الآن؛ فهو يترجم النص الإغريقى إلى العربية مباشرة وفى غالب الأحيان يحافظ حتى على ترتيب الكلمات ".

وحتى عندما يكون النص الهومرى–يضيف بورمان– ملتبسًا أو متداخل المعانى؛ حيث يشمل اللفظ أكثر من معنى " تحاول الترجمة أن تنقل ذلك إلى العربية".

ويقرر بورمان أن ترجمة ٢٠٠٤ " تعكس أحدث التطورات فى الدراسات الكلاسيكية ليس فقط فى مصر وإنما فى العالم، وهذا ما تشهد به المقدمة التى كتبها عتمان وتضم مراجعها أحدث ما نشر حول هوميروس فى العقود القليلة الفائتة ".

ويتنبأ بورمان بأن تكون لترجمة الإلياذة ٢٠٠٤ آثار بالغة على مسار الأدب العربى المعاصر، كما سبق لإلياذة البستانى أن أحدثت فى الثقافة العربية ردود فعل مثمرة. ويتعجب من أن مكتبات أوروبا وأمريكا ما زالت تخلو من هذه الترجمة العربية. ويعزو ذلك إلى جهل الغرب والغربيين بما أنجزه الشرق وأهله فى الدراسات الكلاسيكية ؛ أى جذور حضارتهم الغربية .

ولعله من الجلى الآن والذى لا يحتاج إلى المزيد من التبيان أن " **الإلياذة** " ٢٠٠٤ قد حققت الكثير من المكاسب للحياة الثقافية العربية. ويأتى فى مقدمة هذه المكاسب – برأى كاتب هذه السطور– أن " **الإلياذة** " العربية قد رسخت موقع الدراسات الكلاسيكية المصرية على خريطة هذه الدراسات العالمية. وهذه شهادة بالغة الدلالة على نضوج النهضة الثقافية العربية، وتعطشها للحوار الخلاق مع الآخر . ونسأل الله تعالى التوفيق .

أحمد عتمان

أكتوبر ٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الأولى

أولا: ترجمة البستانى ومحاولات أخرى

بقلم: أحمد عتمان

من حسن الطالع أن هذه الترجمة التى نقدم لها ستكون إن شاء الله بين أيدى القارئ العربى بعد مرور مائة عام على صدور ترجمة سليمان البستانى ١٩٠٤. فكأن هذه الترجمة التى بين أيدينا جاءت بمثابة احتفال ثقافى وعملى بصدور ترجمة البستانى، التى تعد بحق علامة من علامات الطريق إلى النهضة المصرية والعربية، إذ فتحت مرحلة جديدة من محاولات الاتصال بثقافة الآخر عن طريق ترجمة عيون الأدب العالمى. لقد صدرت هذه الترجمة قبل إنشاء قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٢٥) بما يربو على عشرين عامًا. فهى ترجمة من نتاج الحياة الثقافية العامة والنشطة، وليست من نتاج الدراسات التخصصية التى تدين بالفضل فى إنشائها لجهود هؤلاء المثقفين المخلصين أمثال سليمان البستانى. أما الترجمة التى بين أيدينا فهى ثمرة من ثمرات ما يناهز مائة عام من التخصص الدقيق الذى توفرت عليه ثلاثة أجيال متتالية.

ومن ناحية أخرى فأغلب الظن أن العرب المسلمين لم يترجموا – فيما ترجموا – "الإلياذة"، لكن من المؤكد أنهم كانوا يعرفونها حق المعرفة؛ إذ تردد ذكرها كثيرًا فى الأعمال التى ترجموها عن اللغة الإغريقية ولاسيما "فن الشعر" لأرسطو. وروى كذلك أن حنين بن إسحاق – من أفضل المترجمين العرب – كان يتغنى ببعض أشعار "الإلياذة" فى لغتها الأصلية. ويقول الشهرستانى (فى كتاب الملل والنحل، جزء ٢/ ١٥) "أوميروس (هوميروس) الشاعر من القدماء الكبار الذى يجريه أفلاطون وأرسطوطاليس فى أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأى وجزالة اللفظ".

لماذا لم يترجم المترجمون العرب القدامى "الإلياذة" أو "الأوديسية" ؟

سؤال مهم يحتاج إلى إجابة مستفيضة ودرس معمق. ونكتفى الآن بالإشارة إلى أن العرب لم يترجموا أيضًا المسرح الإغريقى (التراجيديا والكوميديا) ونعتقد أن الأسباب وراء ذلك متعددة، وأهمها جميعًا أن هذه الأعمال الملحمية

والدرامية تقوم بصفة جوهرية على الأسطورة الإغريقية الحافلة بالتعددية الإلهيــة، مما لم يكن من السهل تقبله فى أيام الإسلام الأولى حين انطلقت الدعوة للوحدانيــة. وسيلاحظ القارئ فى الترجمة التى نقدم لهــا أن الآلهــة والإلهــات يلعبــون دورًا عضويًا فى الحدث الملحمى، بحيث لا يمكن الفصل بين وجودهم وأفعالهم وأقوالهم من ناحية وأحداث الحرب الطروادية من ناحية أخرى. وهذا أمر تتفق فيه الملحمة والتراجيديا الإغريقيتان، وبدون هذا الاندماج بين ما هو إلهى وما هــو بــشرى لا يمكن استيعاب هذه الفنون الشعرية، ومن ثم لم يكن العرب قــادرين علـــى تقبــل ذلك فى أيام الإسلام الأولى، أو على الأقل لــم يــروا أيـــة فائــدة ترجـــى مـــن ترجمة هذه الأشعار.

أما فى العصر الحديث فقد قامت عدة محاولات لترجمة "الإليــاذة"، أهمهــا جميعًا محاولة سليمان البستانى والتى صدرت كما يلى:

إلياذة هوميروس معربة نظمًا وعليها شرح تاريخى وأدبى وهـــى مـــصدرة بمقدمة فى هوميروس وشعره وآداب اليونـــان والعــرب ومذيلـــة بمعجــم عـــام وفهارس. بقلم سليمان البستانى. طبع بمطبعة الهلال بمصر عام ١٩٠٤.

ونحن نحتفى بترجمة سليمان البستانى لملحمة هوميروس لأســباب ثلاثــة: الأول هو أن هذا الكتاب مقدمة ونصًا مترجمًا يعد وثيقة أدبية بالغة الأهمية بالنسبة لنشأة الدراسات الكلاسيكية فى مصر. فمعروف أن طه حسين عميد الأدب العربى هو الذى أسس أول قسم لهذه الدراسات بكلية الآداب جامعة القاهرة عــام ١٩٢٥. ولكننا فى ترجمة البستانى إزاء دارس متعمق حصل قدرًا لا بأس بــه مــن اللغــة اليونانية بجهوده الذاتية، ويحاول الترجمة عنها مستعينًا بترجمات أخــرى فرنــسية وإنجليزية وإيطالية. وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تضع تساؤلاً كبيــرًا حــول تــأريخ الدراسات اليونانية واللاتينية فى مصر.

أما السبب الثانى لاهتمامنا المتجدد بهذه الترجمة فهو أننا ــ فى المقدمة التى كتبها البستانى لترجمته ــ إزاء درس فى المنهج المقارن. وهو درس مبكر نــسبيا فى تاريخ الأدب العربى الحديث، كما أنه يعد رائدًا فى مجاله، فالمترجم لم يكتــف بنقل نص شعرى يونانى إلى اللغة العربية، بل صدره بمقدمة ضافية تتناول أعوص مشكلات الأدب المقارن التى لا تزال تشغل المهتمين به إلى يومنا هذا، مثل علاقة الأدب العربى القديم بالآداب الأخرى ولاسيما الأدب الإغريقى.

أما السبب الثالث لانشغالنا بهذا الكتاب فهو الترجمة نفسها. ذلك أن هذه هي الترجمة الأولى الكاملة "للإلياذة" فى الأدب العربى قديمه وحديثه. بل نكاد نقول إن هذه هى الترجمة الوحيدة الموجودة فى لغتنا حتى الآن. فكل ما قدم قبل هذه الترجمة أو بعدها لا يعدو أن يكون مجرد تلخيص أو شرح أو اقتطاف. ولا توجد فى اللغة العربية ترجمة كاملة "للإلياذة" سوى ترجمة البستانى هذه. ولقد نقلها نظمًا إلى العربية مما يضاعف من قيمة هذه الترجمة، التى لم تجد بعد الاهتمام الكافى من الدارسين المتخصصين، وإن وجدت ترحابًا فائقًا حين صدورها عام ١٩٠٤.

قال جمال الدين الأفغانى للبستانى فى محضر من الأدباء آنذاك "إنه ليسرنا جدًا أن تفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوا قبل ألف عام ونيف. وياحبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا بادئ ذى بدء إلى نقل الإلياذة ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها".

وقال منيف باشا ناظر المعارف العثمانية للبستانى آنذاك "لو أن الشاعر العربى القائل: "كأنى أوميروس لدين محمد..." عمل حقيقة للشرق ما عمل هوميروس للغرب لما تعدانا الغرب هذا الشوط البعيد". ويعلق البستانى نفسه على ذلك قائلاً "لقد غاب عنه وعنى عرفان ذلك الشاعر".

هذا وقد نشر فى "مجلة الدراسات الفلسطينية" التى تصدر بالفرنسية **(Revue d'études Palestiniènnes)** صيف ١٩٩٥ **(56, 4 n.s.)** بعض صفحات من رسالة دكتوراه يجريها الشاعر والمترجم العراقى المقيم بباريس كاظم جهاد حسن، وكان يستعد آنذاك لتقديمها إلى جامعة السوربون قسم الدراسات العربية والإسلامية بعنوان "الترجمة الشعرية عند العرب فى القرن ١٩ والقرن ٢٠. دراسة مقارنة فى فن الشعر". ولقد نشرت المجلة جزءًا كبيرًا من هذه الدراسة المستفيضة حول سليمان البستانى وترجمته الشعرية (ص ٧٩-١٠٠).

تبدأ الملحمة بالبيت الذى يقول:

"غن لى ياربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة". أو كما يترجمه البستانى شعرا:

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا   أنشدينا واروى احتدامًا وبيلا

وسيكتشف القارئ من الترجمة التى نقدم لها أن غضبة أخيليوس بن بيليوس

هى بالفعل الحدث الرئيسى فى الملحمة. وهذا ما سنعود إليه فى إطار هذه المقدمة.

بدأ البستانى فى ترجمة "الإلياذة" من لغة أوربية وسيطة وهى الفرنسية. ولكنه شعر بضرورة تعلم اليونانية وأقدم على ذلك بشغف ونهم. ولقد شرع فى هذه المهمة الشاقة أى الترجمة فى أواسط الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ونشرت الترجمة كما أسلفنا عام ١٩٠٤. وهذا يعنى أنه أنفق ما يزيد على عشرين عامًا فى الترجمة. وقد جاءت الأبيات العربية التى نظمها البستانى ترجمة "للإلياذة" بين عشرة آلاف وأحد عشر ألف بيت نقلاً عن أصل إغريقى يبلغ حوالى ستة عشر ألف بيت.

فإذا نظرنا إلى حجم الملحمة الإغريقية التى تعود إلى القرن التاسع ق.م تقريبًا وما يكتنفها من غموض لاستطعنا أن نقدر ضخامة هذا الإنجاز الأدبى والحضارى الذى حققه البستانى فى بداية القرن العشرين. لقد واجهته مشكلات مستعصية مثل نقل أسماء الآلهة والأبطال والأعلام الجغرافية. بل هناك معارف لابد من الإلمام بها حين يشرع المرء فى ترجمة "الإلياذة"، ونعنى معارف عصرها وصنائعه وعاداته وتقاليده ومعتقداته. بل تشمل هذه المعارف سائر العلوم من طب وفلك ورياضة وهندسة وعمارة وما إلى ذلك. فكيف تسنى للبستانى أن يلم بكل ذلك ؟ تلك هى المسألة التى ينبغى أن نتدارسها وننبه الناشئة من الباحثين المتخصصين للالتفات إليها. ولا يسعنا إلا أن نعترف بالبطولة الملحمية لصاحب هذه الدرة اليتيمة فى الأدب العربى، أى سليمان البستانى.

وبالطبع لا يمكن لمنصف أن ينكر فضل جهود درينى خشبة فى تعريف القارئ العربى بالأساطير الإغريقية وكذا بمحتويات "الإلياذة" و "الأوديسية"، وإن كان ما قدمه لا يرقى إلى مستوى ترجمة حقيقية للنص، مع أن كتابه يحمل عنوان:

"هوميروس: الإلياذة" ترجمة درينى خشبة، دار الأيام ١٩٧٣ (عدد الصفحات ١٥٩. وقارن كتابه الآخر: الأوديسية مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠. عدد الصفحات ٣٠٩).

ولعل أحدث المحاولات الجادة فى هذا السبيل هى ترجمة ممدوح عدوان، منشورات المجمع الثقافى، أبو ظبى ٢٠٠٢. وجاء فى مقدمة الترجمة أن صاحبها نقلها عن ترجمة إنجليزية، واعتمد فى ضبط الأسماء على ترجمة أمين سلامة

المنشورة فى سلسلة كتابى. وهذا ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم تظهر فى اللغة العربية حتى الآن ترجمة محققة عن النص الإغريقى القديم مباشرة.

وتلك هى مهمة المختصين فى اللغة الإغريقية القديمة وآدابها، وذلك هو واجبهم تجاه القارئ العربى. ففى هذه الترجمة التى بين أيدينا سيجد القارئ أول ترجمة مدققة يقوم بها متخصصون وينقلونها عن أصلها مباشرة إلى لغة الضاد. ويأمل هؤلاء المتخصصون بعملهم هذا أن يفتحوا باب مرحلة جديدة فى الدرس العربى للتراث العالمى. وهم يحاولون استعادة أمجاد المترجمين العرب القدامى الذين نقلوا العلوم والآداب والفلسفة من اليونانية إلى العربية فأسهموا فى حفظ التراث الإغريقى وقدموا الأنموذج لرواد الحركة الإنسانية إبان عصر النهضة الأوروبية. ونحن نختص بتقديم هذه الهدية كل من بذل جهدًا فى سبيل عقد الصلة بين القارئ العربى والتراث الإغريقى، لاسيما أصحاب تلك التجارب والمحاولات التى أشرنا إليها وعلى رأسهم سليمان البستانى. ونضيف إليهم الكثيرين أمثال رفاعة الطهطاوى وأحمد شوقى وأحمد لطفى السيد وطه حسين وتوفيق الحكيم ولويس عوض وثروت عكاشة وشكرى عياد وغيرهم. هؤلاء المثقفون هم الذين مهدوا الطريق لظهور الدراسات المتخصصة والترجمات المدققة.

ثانيا: فك طلاسم اللغز الهومرى

لا نعرف شيئًا عن هوميروس، فلا يمكن استخلاص أية معلومة من ملحمتيه "الإلياذة" (Ilias) و "الأوديسية" (Odysseia) [1] عن حياة المؤلف وملابساتها. ووصلتنا سير كثيرة لهوميروس من العصر الإغريقى الرومانى، ولكنها جميعًا من صنع الخيال. هناك حقيقتان فقط مؤكدتان: الأولى أنه كان أعمى. والثانية أنه من ساحل آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له. وجزيرة خيوس هى الأقرب إلى نيل هذا الشرف.

---

(١) يعنى اسم "الإلياذة" (Ilias) "قصة إليون" أو "إليوس" (Ilion, Ilios) وهما الاسمان الأصليان للمدينة التى عرفت أيضًا باسم طروادة (Troie وباللاتينية Troia) وهو الاسم الأشهر، وإن كان فى الأصل يعنى المنطقة المحيطة بالمدينة لا المدينة نفسها. ويعنى اسم "الأوديسية" (Odysseia) "قصة أوديسيوس" كما نقول "الأوريستية" عن قصة أوريستيس وهكذا. وجدير بالذكر أن "الأوديسية" لم تترجم إلى العربية لا قديمًا ولا حديثًا، وإن كان النص الذى ترجمه رفاعة رافع الطهطاوى "وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك "للقس الفرنسى فينيلون يعد الخطوة الأولى لتعرف القارئ العربى المحدث على أسطورة أوديسيوس وابنه تيليماخوس.

يقول ثوكيديديس المؤرخ الإغريقى المدقق (٤٥٥-٤٠٠ق.م) إنه عاش بعد حصار طروادة بزمن طويل. ويقول شيشرون خطيب روما المفوه (١٠٦-٤٣ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما المتفق على أنه كان عام ٧٥٣ق.م.

لقد أثار ظهور هوميروس - أعظم الشعراء طرا - فى بداية تاريخ الأدب الإغريقى مشكلة لم يهتد إلى حلها أحد حتى الآن. فأصر بعض العلماء والفقهاء على أن هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض قط، وأن اسمه هوميروس **Homeros** ويعنى إما "الرهينة" أو "الأعمى" أو حرفيا "الذى لا يبصر" **(ho me horon)** منحوت أبدعه الخيال الأسطورى. وذهب البعض إلى القول بأنه كان هناك عدة شعراء - لا شاعر واحد - بهذا الاسم، ثم خفف هؤلاء من غلوائهم وقالوا إنه كان هناك على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم "الإلياذة" والآخر هو مؤلف "الأوديسية". وجدير بالذكر أن جذور المشكلة الهومرية(٢). تبدأ من العصر السكندرى عندما بذرت بذور الشك فى نسبة الملحمتين إلى هوميروس حيث رفضت جماعة "الفاصلين" **(chorizontes)** أن يكونا لشاعر واحد. وقال بعضهم إن "الإلياذة" من نظم هوميروس الشاب المتحمس، أما "الأوديسية" فهى من نتاج سنوات عمره الأخيرة أى فترة النضج والتعقل. يقول أحد النقاد الإغريق القدامى "ومن ثم فيمكن للمرء أن يشبه هوميروس فى الأوديسية بالشمس ساعة الغروب"(٣).

كان فريدريش أوجست فولف **Friedrich August Wolf** (١٧٥٩-١٨٢٤) أنبه تلاميذ عالم الكلاسيكيات الأشهر فينكلمان **Winckelmann** وبدأ يركز اهتمامه على هوميروس أثناء متابعته لمحاضرات هين **Heyne**. وبدأ هو نفسه يحاضر عن "الإلياذة" عام ١٧٨٥ وأصدر كتيبًا باللغة اللاتينية بعنوان "مقدمة إلى هوميروس" **Prolegomena ad Homerum** عام ١٧٩٥، وهو الذى أكسبه شهرة عالمية خالدة. فلأول مرة فى التاريخ تبذل محاولة علمية دقيقة لتأريخ رحلة نص هوميروس إلى الأزمنة الحديثة. أقامها فولف على التعليقات التى وضعها العلامة فيلويزو **J-B Villoison (d'Ansse de)** عام ١٧٨٨ حيث كان قد اكتشف

---

(٢) راجع أحمد عتمان: الأدب الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٧-١٠٧.

(٣) الناقد المعنى هنا هو إما كاسيوس لونجينوس أو ديونيسيوس لونجينوس أو غيرهما ممن ينسب إليهم الكتاب الذى يحمل عنوان "فى السمو" أو "فى الأسلوب الرفيع" **(Peri Hypsous)** راجع:

Longinus, "On the Sublime", with an English translation by W.H. Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973.

مخطوط فينيسيا **Codex Venetus A** الشهير "للإلياذة"، والذى سنعود إليه.

قال فولف إنه من المحال الوصول إلى النص الأصلى الذى نظمه المؤلف، وقد يكون من الأسهل الوصول إلى النص السكندرى الذى تداوله فقهاء الإسكندرية. وجره البحث إلى تناول فكرة صحة نسبة هذه الأشعار ومدى الوحدة التى تتمتع بها. وآمن فولف أن هوميروس يحتل موقعًا فى التاريخ يجعله فريدًا، ولا يصح أن نطبق عليه معايير الدرس النقدى التى نتبعها مع فرجيليوس أو غيره من شعراء الملاحم الذين ظهروا فى عصور تختلف تمام الاختلاف عن عصر "الإلياذة" و "الأوديسية".

ومن الممتع حقًا قراءة كتيب فولف "مقدمة إلى هوميروس"، ليس فقط لأنه يمثل ثورة نقدية، ولكن لأن أسلوبه اللاتينى جذاب حقًا. ولقد بذل فولف أقصى الجهد ليثبت أن "الإلياذة" و "الأوديسية" ليستا من إبداع شاعر واحد. ولم يثر أى كتاب آخر مثل هذا الفيض من الجدل والنقاش عدة قرون كما فعل كتيب فولف.

ومن الملاحظ أنه فى القرنين الأخيرين، حيث حققت مدارس النقد الأدبى الحديث قفزات هائلة، وقف هوميروس عقبة كأداء أمام أذهان كبار النقاد؛ إذ تضاربت الآراء وتناقضت حوله. قال لاخمان **Lachmann** إن هناك ١٦ أغنية **lays** بدائية مجهولة المؤلف هى أساس "الإلياذة". وقال بالى **Paley** إن هوميروس الذى نعرفه يمثل ذروة الحضارة الهيللينية أى أثينا القرن السادس والخامس ق.م(٤).

وبلغ من قوة تأثير أبحاث فولف أن كل من أتى بعده من العلماء الرافضين لوجود هوميروس اعتبر فولفيا أى من أتباع نظرية فولف. وتتلخص هذه النظرية فى القول بأن ملاحم هوميروس لم تدون فى عصر نشأتها الذى لم يعرف فن تدوين الأدب. كما أنها لا يمكن أن تحفظ عن ظهر قلب ويتناقلها الناس شفاهة عبر الأجيال المتتالية، لأنها تبلغ من الطول ما يعجز أى عقل بشرى عن حفظه. وعلى أية حال فلقد لعب فرسان المشكلة الهومرية دورا مهما فى تطوير الدراسات الكلاسيكية (والإنسانية بصفة عامة). لقد حققوا نتائج هائلة لأن أبحاثهم كانت

(٤) عن هذه الآراء وأبعاد المشكلة الهومرية وتطوراتها راجع:

Jensen M. Skafte, The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory. Copenhagen 1980.

Karl Lachmann, Betrachtungen über Homers Ilias, mit zusätzen von Maritz Haupt. 2e Auflage. Berlin, Reimer 1865.

مخلصة وجادة، وهى التى اجتذبت الكثير من الأقلام للكتابة عن هوميروس، وهى التى لفتت الأنظار إلى كثير من الجوانب والتفاصيل التى كانت مهملة من قبل. ونعنى بعض النواحى الأدبية والنحوية والعروضية، وكذا الجانب التاريخى وعلاقة هوميروس بالآثار وما إلى ذلك. فأقطاب المشكلة الهومرية هم الذين وضعوا الدراسات الهومرية بخاصة والدراسات الكلاسيكية بعامة على الطريق السليمة. منهم فهمنا كيف كان الشعر الملحمى يؤلف وينشد أى ينشر على الناس. فليس الأمر متعلقا بشاعر أعمى ملهم أوحى إليه منذ الصبا أن يتغنى بالأشعار البطولية، ولكنه على الأرجح رجل مثقف يعمل فى مثابرة وعناية ملموستين، يدرس ويهضم ويتمثل ما سبقه من تراث شفوى متناقل، ثم يعيد إفرازه فى شكل جديد مبتكر وأصيل. وإلى مفجرى المشكلة الهومرية ندين بمعرفة حقيقة أن نصوص هوميروس لم تك نهائية قط، بل أدخلت عليها التعديلات وأقحم عليها الكثير من الأبيات من حين إلى حين. بل ربما تبدلت لغتها ذاتها كلما تقادمت وبدت عتيقة مغلقة لا تفهم أو مبتذلة لا تمتع. ومن ثم فإن هوميروس هو ما نملك من أشعار بصفة عامة، أما إذا دققنا فى التفاصيل والجزئيات فلربما نخرج بشىء آخر.

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن رائد الرومانسية المثالية فى ألمانيا أى الشاعر شيللر كان معارضا قويا للنظرية الفولفية، بيد أنه لم يكن يتقن اللغة الإغريقية إتقانا يتيح له قراءة نصوص هوميروس. أما جوته فيلسوف ألمانيا الأشهر فقد كان فولفيا متحمسا أثناء تأليفه "هيرمان ودوروثيا"، بل ذهب إلى ما وراء الفولفية ذاتها فى بعض الأحيان. فإذا كان فولف يعتقد بوجود هوميروس ويؤرخ له بالقرن العاشر ق.م، ويسند إليه بعض الأشعار الرئيسية فى صلب "الإلياذة" و"الأوديسية" فإن جوته آمن بأن عددا من أتباع أو "أبناء هوميروس" **(Homeridai)** هم الذين قاموا بتأليف الملحمتين تأليفا جماعيًا. بيد أن جوته عاد ليعدل فى آرائه فيما بعد وأثناء تأليف "قصة أخيليوس"، إذ أصبح أكثر ميلا للاعتقاد بوجود وحدة تأليفية فى الملاحم الهومرية. أما الناقد الألمانى الكبير شليجل فقد شايع فولف بلا أدنى تحفظ. ولا يتسع المجال لتتبع سائر مواقف الأدباء والمفكرين الألمان والأوربيين من المشكلة الهومرية. ومن حسن الحظ أن الدارسين المتخصصين والباحثين الجادين يميلون الآن إلى أن ينكبوا على نصوص هوميروس نفسها فحصا ودرسا، تمحيصا وتدقيقا فى هذه الزاوية أو تلك النقطة دون أن يهدروا مزيدا من الوقت حول التساؤل ما إذا كان هوميروس حقيقة واقعة أم محض خيال.ونحن — إذ

نحبذ هذا الاتجاه وندعو إلى عدم نبش الرماد مرة أخرى فى هذه المشكلة الشائكة ــ نشيد بالثمار النافعة التى جنتها الدراسات الأدبية من أبحاث أقطابها.

ونرى من الواجب علينا تبيين أن الدراسات الهومرية قد أغفلت جانبا مهما ربما يلعب دورا جوهريا فى حل المشكلة الهومرية أو حتى فك بعض طلاسمها. ونعنى المصادر الشرقية لملاحم هوميروس. وبالطبع فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات ضخمة ولا يتسع مقامنا هذا للخوض فى غمار تفاصيله، وسنكتفى هنا بلمس أهم الجوانب. وبادئ ذى بدء نرى لزاما علينا توضيح أن فن الأدب ليس من اختراع الإغريق كما يظن الكثيرون. فقبل أن يظهر الإغريق (أى الهيللينيون) فى شمال البحر الإيجى كان هذا الفن قد قطع أشواطا من التطور والنضج فى بلاد سومر وأكاد ومصر. وفى منتصف الألف الثانية ق.م. عندما استقر الإغريق حول البحر الإيجى وبدأوا يظهرون قدراتهم الحضارية واتصلوا بالحضارة المينوية فى كريت كانت حضارات آسيا الصغرى – مثل الحضارة الحيثية بالأناضول والحضارة السامية فى أوجاريت أى رأس شامرا فى شمال سوريا – قد عرفت الفن الأدبى ومارسته بدرجة عالية من الوعى والوضوح وبلغت به مستوى رفيعا من الإتقان والنضج. ومن هذه الحضارات جميعا تعلم الإغريق بطريق مباشر أو غير مباشر بعض الدروس الأولية فى مضمار المدنية والتحضر. أخذوا عنهم بعض الحكايات الشعبية عن الآلهة أو الأبطال. ونقلوا عنهم بعض الأفكار عن النظام الكونى واللاهوتى، وكذا بعض التراتيل والأناشيد التى تمجد الآلهة أو أشباه الآلهة من البشر الأحياء والموتى. يقول بعض علماء الأساطير إنه قد أصبح من المسلم به أن الإغريق قد أخذوا عن الشرق فكرة تتابع حكام السماء، أى التسلسل فى أنساب الآلهة، وهى الفكرة التى نجدها فى أشعار هوميروس، وإن لم تتبلور إلا فى قصيدة "أنساب الآلهة" لهيسيودوس[٥]. إلى الشرق أيضًا تعود تسمية هوميروس للمحيط (Okeanos) أنه أصل كل الأشياء وهى التى أصبحت فيما بعد أساسا للفكرة الفلسفية التى صاغها ثاليس (طاليس) فى نظريته القائلة بأن الماء هو الأصل الثابت والأزلى فى هذا الكون[٦]. ولربما تعلم الإغريق من أهل الشرق كذلك أن هناك ما نسميه فن

(٥) أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٢-١٢٦.

(٦) G.S. Kirk, The Nature of Greek Myths. The Overlook Press, Woodstock, New York 1975, pp. 276 ff; cf. P. Walcot, Hesiod and the Near East. Cardiff 1966, passim.

الكتابة الأدبية أى فن التأليف الذى يختلف بالطبع عن حديث الحياة اليومية من ناحية والكتابة التخصصية الدقيقة من ناحية أخرى.

ولكن الإغريق تميزوا بالقدرة الفائقة على أن يصنعوا مما يأخذون عن الغير شيئًا جديدًا يتفق مع طبائعهم وميولهم ورؤيتهم للحياة وأسلوب معيشتهم، حتى إنه صار من المتعذر أن نحدد بدقة مقدار ما يدينون به لحضارات الشرق القديم(٧). واتجه الدارسون إلى القول بأن ما أخذوه عن الآخرين يقل بكثير عما أضافوا من عندياتهم، وطُبق هذا الحكم أول ما طبق على هوميروس.

وملاحم هوميروس هى أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقى. بيد أنه من المرجح أن تكون بذور الشعر الملحمى الأصلية قد جاءت من الأناشيد والتراتيل الدينية التى تتغنى بأمجاد الآلهة، والتى كانت تلقى أو تنشد فى الأعياد والمهرجانات العامة. ولقد نظم هذه الأشعار شعراء مجهولون أو بالأحرى أسطوريون، إذ لا نعرف عنهم شيئًا سوى أسمائهم ومنهم أورفيوس وموسايوس وإيومولبوس. وجدير بالذكر أن أولى المسابقات الشعرية التى كانت تعقد فى بلاد الإغريق كانت تقوم على الأشعار الدينية وتركزت فى دلفى مركز العبادة القديم(٨). ومن ثم كان الشعر الملحمى فى بداية عهده من عمل وإلقاء مغنى المعبد أو منشده الذى كان يعزف أثناء الإنشاد على القيثارة. ويبدو أن هذا الفن الشعرى الدينى قد جاء بلاد الإغريق من مراكز الحضارة الشرقية القديمة عبر آسيا الصغرى. المهم أنه كانت هناك أشعار تنشد حتى قبل الحروب الطروادية، وهى أشعار تركت بصماتها بالطبع على الملاحم التى نظمت لتروى أحداث هذه الحروب(٩).

ويبدأ الأدب الإغريقى بالنسبة لنا - بل ولإغريق الفترة الكلاسيكية - عند منتصف القرن الثامن ق.م. فلدينا من نتاج ذلك الزمان بضع وثائق أدبية عبارة عن شذرات متفرقة مرسومة على الأوانى أو منحوتة على الحجر وعثر عليها فى أماكن

---

(٧) انظر أحمد عتمان: "أثينة المصرية ليست زنجية ولا عنصرية" مقدمة ترجمة كتاب مارتن برنال. أثينة السوداء، الجذور الآفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول: تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥) المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ١٦، القاهرة ١٩٩٧. ص١٣-٧١.

(٨) Pausanias, X, 7, I ff.

(٩) وعن الأصول الشعبية لملاحم هوميروس انظر:

R. Carpenter, Folktale, Fiction and Saga in the Homeric Epics. University of California Press, reprint 1974, passim.

متباعدة مثل أثينا وإيثاكى وبيراخورا (على الخليج الكورنثى) وإيسخيا (على خليج نابولى فى جنوب غرب إيطاليا) وغيرها. وبعض هذه الشذرات متصل بموضوع الاحتفالات الدينية، وبعضها يتحدث عن الخمر والحب والرقص والصداقة وما إلى ذلك. وبعضها يهدف إلى تخليد ذكرى هدية ما، قدمت لهذا الإله أو تلك الإلهة تقربًا وتكريمًا. وكلها منظومة فى الوزن السداسى ولم ينظمها شعراء محترفون. والسبب فى أننا لا نملك شيئًا من النتاج الأدبى الإغريقى قبل منتصف القرن الثامن ق.م يسير. وهو أن الإغريق لم يستخدموا الألفبائية – التى نعرفها – قبل ذلك التاريخ، فلما عرفوها استطاعوا فى خلال أربعة أو خمسة قرون أن يكتبوا بها أدبًا من أرقى الآداب العالمية. ولما كانت ملاحم هوميروس تمثل قمة ما وصل إليه أدب هذه الفترة فإنها تحمل بعض سمات التشابه مع الشذرات التى وصلت إلينا منه، كما أن هذه الملاحم لابد أن تكون قد وقعت تحت تأثير الحضارات الشرقية[١٠].

خلف الأشعار الهومرية إذن يقبع ماضٍ طويلٌ وتراثٌ عريق من أعمال أدبية لم تصل إلينا، لأنها فى غياب فن تدوين الأدب لم تكتب، ولكنها ألقيت شفاهة وتناقلتها الأجيال قرنا بعد قرن من خلال الرواية المسموعة لا الصحف المقروءة. ومن ثم لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن هذا التراث الشعرى الشفوى – المفقود الآن – وما فيه من تأثيرات شرقية واضحة يعد الفصل الأول الذى بدونه لا يفهم كتاب الأدب الإغريقى.

وبشىء من اليقين يمكن العودة بهذا الأدب المفقود إلى حوالى عام ١٦٠٠-١٢٠٠ق.م أى إلى عصر الحضارة التى سماها القدامى بالحضارة الآخية وتحمل الآن اسم الحضارة الموكينية. يطلق هوميروس فى "الإلياذة" و "الأوديسية" على أهل ذلك العصر اسم "الآخيون" أو "الأرجيون" أو "الدانائيون". على أن الاسم الأول هو الأكثر شيوعًا وشمولاً كما سيلاحظ قارئ الترجمة التى نقدم لها. وكان الآخيون يتكلمون لهجة قديمة من اللغة الإغريقية (أى الهيللينية) وصلتنا بعض الأمثلة منها على ألواح من الفخار اكتشفت فى كنوسوس بكريت، وفى موكيناى نفسها، وكذا فى بيلوس بإقليم ميسينيا. وفك طلاسم هذه اللغة الفقيه النابغة مايكل فينتريس **Michael Ventris** عام ١٩٥٣ فقدم للحضارة الآخية بذلك خدمة تعادل إنجاز

(١٠) **Barry B. Powell, Homer and the Origin of the Greek alphabet. Cambridge University Press, First Paperback edition 1996, passim.**

شامبليون الفرنسى بالنسبة للحضارة المصرية القديمة عندما حل رموز الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد مستعينا بالنص الإغريقى والديموطيقى على الحجر نفسه.

ذلك أنه فى أواخر القرن التاسع عشر تمكن هينريش شليمان من العثور على موقع طروادة، وانتقل بعد ذلك إلى شبه جزيرة البلوبونيسوس واكتشف أكروبوليس مدينة أرجوس وموكيناى (عام ١٨٧٦) وتيرنس (عام ١٨٨٤). وتوالت بعد ذلك عدة اكتشافات أثرية أخرى فى مواقع متصلة بالحرب الطروادية وملاحم هوميروس. ولوحظ أن مساكن زعماء تلك الفترة كانت بمثابة حصون حربية حقيقية. فأحيطت قلعة تيرنس على سبيل المثال بسور خارجى مبنى من صخور ضخمة للغاية، مما جعل إغريقيى العصر الكلاسيكى يعتقدون أن الكيكلوبيس - وهم من سلالة العمالقة جيجانتيس الأسطورية - هم الذين أقاموه. وفى موكيناى كان المدخل الرئيسى للقصر يقع بين حائطين أقيما بطريقة تجعل المهاجمين يتعرضون لهجوم دفاعى مضاد من ثلاث جهات فى وقت واحد. أما البوابة فتحمل فى مقدمتها العلوية نقشا بارزا ثلاثى الشكل نُحت عليه أسدان يقفان وجها لوجه على جانبى عمود، ويسند كل منهما قدمه الأمامية على قاعدته. وكانت رأساهما فى الأصل تواجهان المهاجمين المعتدين بهدف إرهابهم أو ردعهم. وعثر شليمان فى مقابر الملوك والأمراء بموكيناى على أسلحتهم وجواهرهم وأقنعتهم الجنائزية المصنوعة من الذهب، وهى معروضة الآن بالمتحف القومى فى أثينا. وهكذا ثبت أن هوميروس صادق فى وصفه لمدينة موكيناى بأنها "حصينة البنيان" (**"الإلياذة" الكتاب الثانى ٥٦٩**) "غنية بالذهب" (**الكتاب السابع ١٨٠**). ومن الجلى أن مثل هذه الكنوز الضخمة ما كان للآخيين أن يحصلوا عليها إلا بعد أن خاضوا غمار حروب طويلة وحققوا فتوحات كبيرة فى بلدان بعيدة، من الأرجح أنها بآسيا الصغرى موطن الممالك القديمة والغنية. ولقد اعتقد شليمان أنه قد عثر على مقابر وأقنعة الدفن وبقايا أجساد أجاممنون وكليتمنسترا وغيرهما من أبطال الحرب الطروادية. بيد أنه ثبت فيما بعد أن هذه الأشياء تنتمى إلى عصر ما قبل هذه الحرب، أى إلى القرن السادس عشر ق.م. على أية حال فلقد اكتشف فيما بعد "كنز أتريوس"، وهو قبر والد أجاممنون الذى ينتمى إلى القرن الرابع عشر ق.م. ثم عثر على قصر أجاممنون نفسه. المهم أن هذه المقابر الموكينية - وهى على شكل خلية النحل - تنهض دليلاً قويا على قوة وثراء ملوك موكيناى وبراعة مهندسيهم المعماريين

وتقدم صناعتهم ولاسيما الحلى الذهبية والفضية والأحجار الكريمة وكذلك الآوانى الفخارية التى تحمل رسوما رائعة. وتم العثور فى هذه المقابر والقصور على حوائط ذات رسوم ملونة وسيوف وخناجر مرصعة بالذهب والفضة.

وواضح أن الحضارة الموكينية بصفة عامة عسكرية الطابع، بيد أن الفنون قد تطورت فى ظلها تطورًا ملحوظًا. فاحتل الشعر على ما يبدو مكانة ملموسة، وإن اقتصر دوره فى الغالب على مدح الأمراء الأحياء والثناء على من مات منهم. وينظر إغريقو الفترة الكلاسيكية إلى بناة الحضارة الموكينية على أنهم أبطال ويعتبرون أن عصرهم هو عصر البطولة، بل ويعتقدون أن دماء إلهية تجرى فى عروقهم، إذ حققوا من الإنجازات الحضارية ما لم يستطع أى جيل من الأجيال التالية أن يصل إلى مستواها. واعتقد إغريقيو الفترة الكلاسيكية كذلك أنهم قد ورثوا عن أولئك الأجداد والأمجاد قصصا خالدة تعالج موضوعات نبيلة ومحببة إلى النفس، وقصصا أخرى مخيفة تعالج موضوعات مفزعة غير محببة. وقالوا إن هذه القصص وتلك تقوم على أساس من الواقع، أى أن لها بذورًا تاريخية وقعت بالفعل فى الزمن السحيق. وفى هذه الروايات المتواترة تقع بذور الشعر الملحمى الهومرى.

كان للعصر الموكينى نظامه الإدارى والبيروقراطى وكذا نظامه فى الكتابة. وكل ذلك مسجل على لوائح فخارية تحمل إهداءات للآلهة وأسماء للأراضى أو الممتلكات والعمليات العسكرية وما إلى ذلك. ونظام الكتابة الموكينية المسمى خط الكتابة ب (**Linear B**) ليس أبجديا، بمعنى أنه مقطعى يتكون من حوالى سبع وثمانين علامة دالة على الحروف المتحركة والساكنة التى تتلوها حروف متحركة. إنه أشبه ما يكون بنظام الاختزال فى عصرنا الحديث. ومن ثم فهو بطبعه لا يصلح لأغراض جماهيرية، بل اقتصر استخدامه على الأغراض الرسمية المحدودة. وهذا بالقطع يعنى أنه لم يستخدم فى تدوين الأدب. وعندما اختفت الكتابة الموكينية بعد الغزو الدورى الكاسح حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. (أو ١١٠٠ ق.م. فى رأى آخر) كان الشعر لا يزال ينشد ويتناقله الناس شفاهة لا كتابة. وتراكم هذا الموروث الشعرى من جيل إلى جيل فى جميع أنحاء بلاد الإغريق ومستوطناتهم على ساحل آسيا الصغرى التى وصلها الإغريق منذ حوالى عام ١١٠٠ ق.م.

لا تتضمن الملحمتان الهومريتان أية إشارة إلى معرفة الإغريق آنذاك بفن الكتابة، أو على وجه التحديد فن تدوين الأدب. إذ جاء فى "الإلياذة" الكتاب السادس

بيت ١٦٨ وما يليه ما يلى:

أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزًا منقوشة على لوح مطوى وأمره بعرضها على والد زوجته لعله يهلك.

فالعلامات المميتة (**semata lygra**) المشار إليها فى ثنايا أسطورة بيلليروفون يفترض أنها تشير إلى نظام الكتابة الموكينية الذى ألمحنا إليه. ولربما انتشرت الكتابة الموكينية هذه بتوسع الإمبراطورية الموكينية نفسها فى نهاية القرن الثانى عشر ق.م، ولكننا لا نملك الدليل على ذلك. ولقد قامت الحضارة الموكينية على ثلاثة عناصر رئيسية: العنصر الأول هو المتمثل فى حضارة الآخيين الوافدين من الشمال. والعنصر الثانى هو التراث المحلى للبلاسجيين (**Pelasgoi**) أقدم سلالة سمعنا عنها فى بلاد الإغريق. أما العنصر الثالث فهو تأثير الحضارة الكريتية المينوية. ومما لا شك فيه أن المهاجرين من الشمال قد جاءوا عبر آسيا الصغرى وجلبوا معهم بعض التأثيرات من حضارات الشرق. أما الأثر الشرقى – ولا سيما المصرى والفينيقى – على حضارة كريت المينوية فلا يحتاج إلى تأكيد. وكان الحيثيون فى آسيا الصغرى قد نقلوا عن البابليين نظاما للكتابة. أما كريت فقد عرفت الكتابة منذ الألف الثانية ق.م على أقل تقدير واستعملت لغة لم تفك طلاسمها حتى الآن بصفة تامة وتشبه اللغة الصينية. وإذا كان الآخيون فى الأصل شعبا من الأميين فإنهم عندما قدموا من الشمال فى اتجاه الجنوب وصلوا إلى مناطق تعرف الكتابة وتمارسها من زمن بعيد. وتبنوا هذا الفن. ولكن من الملاحظ أن النظام الكريتى للكتابة لم يكن شائعًا فى بلاد الإغريق الأساسية إبان العصر الآخى أى الموكينى. وحدثت طفرة ملموسة عندما تبنى الإغريق الأبجدية السامية الشمالية والتى اسموها "الحروف الفينيقية"[١١] (**grammata phoinikeia**). وهى حروف

---

(١١) **Herodot, V, 58, 2.**

أحمد عتمان: تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١-٤١.

R. Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvil (1933) pp. 8-20.

Idem, "The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.

وعن تأثير الحضارة المصرية والفينيقية فى الإغريق بوجه عام راجع:-

R. Drews. "Phoenicians. Carthage and the Spartan Eunomia" AJPh. Vol. 100 no. I (1979) pp. 45-58.

إيمانويل فليكوفسكى (ترجمة فاروق فريد): أوديب وإخناتون، القاهرة ١٩٧٠.

أما عن تأثير الحضارة الفينيقية فى هوميروس عبر الحضارة الموكينية فانظر:

M.P. Nilsson, Homer and Mycenae. Cooper Square Publishers Inc, New York 1968, pp. 119-158.

G.S. Kirk, The Songs of Homer. Cambridge at the University Press 1962, pp. 3-51, 55 ff.

تشبه ــ إلى حد ما ــ الحروف السامية، وتتكون من مجموعات من العلامات كل منها يمثل ساكنا. ولقد طور الإغريق فى هذه الأبجدية حتى وصلوا بها إلى ما نعرفه الآن باسم اللغة الإغريقية، والتى لا تزال حية إلى يومنا هذا بالصورة المتطورة التى يتحدث بها اليونانيون المحدثون. وهذه ميزة الإغريق، وعلى حد قول أحد مؤلفيهم "يستعيرون من الأجانب (barbaroi) ولكنهم يضيفون الكثير من التحسينات فى النهاية"[١٢]. وبالنسبة للأبجدية الفينيقية التى استعاروها فقد استخدموا فى البداية بعض العلامات للدلالة على حروف الحركة. ثم استبدلوا بتلك العلامات أشكالاً مبتكرة تماما أى حروفًا جديدة لم تكن موجودة فى اللغات السامية، وربما أخذوها عن مصادر أخرى. المهم أنهم فى النهاية توصلوا إلى الأبجدية الإغريقية التى هى أصل الأبجدية اللاتينية، وبالتالى فهى جدة بعض الأبجديات الأوروبية الحديثة أيضًا. المهم أن الإغريق لم يعرفوا هذه الأبجدية قبل منتصف القرن الثامن ق.م على أقل تقدير.

ويقدم الباحث بيدج أدلة واضحة من أسلوب ملحمتى هوميروس ولغتهما على أنهما تنبعان بالفعل من عدة مصادر مختلفة[١٣]، أى أنهما تقعان عند مصب تراث شعرى عريق له عدة روافد. ومما لاشك فيه أن التقدم فى فنون الكتابة والنسخ والتوسع فى تدوين الأدب يأتى على حساب عمل المنشد الملحمى **aoidos** الراوى للأحداث البطولية. أى أن التدوين أمر لا يتفق مع طبيعة الشعر الملحمى الأصلية أى الشفوية. وهذا ما سيتضح لنا من دراسة التقنية الملحمية الهومرية ومتابعة ما طرأ عليها عبر العصور حتى تلاشت وحلت محلها ملاحم مكتوبة أى مصطنعة ابتداءً من العصر السكندرى والرومانى إلى يومنا هذا. وكان من الممكن أن تتحور وتتجدد ملاحم هوميروس مع مرور الزمن. وكان من المحتمل أن تتبدد أيضًا، لو لم يأت الطاغية الأثينى بيسيستراتوس فى القرن السادس ق.م ويؤسس نظامًا جديدًا للإنشاد الملحمى يسمى النظام الرابسودى، حيث اختفت قيثارة الراوى القديم وتزود الراوى المستحدث بدلا منها بعصا **rhabdos**. وكان عليه أن يغنى فى كل مرة قصيدة مكتملة، أى أنشودة رابسودية **rhapsode** تبدأ من حيث انتهت السابقة **ex hypolepseos**. يقوم النظام الإنشادى الذى أسسه بيسيستراتوس إذن على

(١٢) (مجهول المؤلف ولو أنه ينسب أحيانا إلى أفلاطون) **Epinomis, 987e.**

(١٣) **D.L. Page, The Homeric "Odyssey", Oxford 1955 Ch. Vi; cf. Idem, History and the Homeric "*Iliad*". University of California Press 1972 , passim.**

الإلقاء من الذاكرة اعتمادًا على نص مكتوب وموثق يمكن الرجوع إليه فى أى وقت، وهو النص الذى صار يعرف باسم تحقيق أو تنقيح بيسيستراتوس. وإذا كان هذا التنقيح المدروس قد حفظ أشعار هوميروس من الضياع فإنه قد قضى على كل فرصة للتجديد فى تقنية الشعر الملحمى، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لفن كان قد بلغ قمة النضج أصلا. ولقد كتب شيشرون الخطيب الرومانى المفوه عام ٥٥م تقريبا – أى بعد أن كانت الدراسات الفقهية والتحقيقات العلمية فى الإسكندرية قد انتهت وأصبحت معروفة للجميع بنتائجها – وقال إن بيسيستراتوس طاغية أثينا هو الذى إبان القرن السادس ق.م "قد رتب كتب هوميروس التى لم تكن من قبل على هذا الترتيب الذى نعرفه"[١٤]. وإذا كان هذا صحيحا فإن الأشعار الهومرية – وبصورة قريبة للغاية من النصوص التى وصلتنا – كانت تنشد فى أعياد الباناثينايا الأثينية فيما قبل عام ٥٢٧ ق.م.

لكن مازال هناك سؤال بلا جواب، ففى مثل هذا المسار المطرد للأشعار الهومرية أين يمكن أن نجد هوميروس نفسه ؟ من المؤكد أن الذى حوّل الأغانى الملحمية الصغيرة والملائمة لحفلات الإنشاد والسمر إلى قصيدة كبيرة هو شاعر متأخر ولاحق للفترة التى ظهرت فيها هذه الأغانى ابتداء. وبعبارة أخرى فإن هوميروس يأتى فى نهاية المطاف بالنسبة لتطور الشعر الملحمى لا فى بدايته. وعليه فإن التفكير المنطقى يرجح أن هوميروس لا يمكن أن يكون قد عاش قبل القرن الثامن ق.م. ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن هذا التفكير المنطقى – وهو كل ما نملك – يمكن أن يكون مخطئا. وعلينا أن نتذكر أن الإغريق على وجه العموم، وإن قبلوا بوجود هوميروس وبنسبة الملحمتين "الإلياذة" و "الأوديسية" إليه، لم يتفقوا على تحديد العصر الذى عاش فيه. فمنهم من جعله يعاصر الحرب الطروادية التى يصف أحداثها، ومنهم من جعله يعيش بعدها عدة قرون. أما بالنسبة للدلائل الداخلية المستمدة من نص الملحمتين فهى أيضًا متضاربة وغير مؤكدة. فمثلا يقال إن الإشارة الواردة فى "الإلياذة" (الكتاب السادس بيت ٣٠٢-٣٠٣) والتى تتحدث عن تمثال أثينة فى وضع الجلوس تشى بأن التاريخ المشار إليه لا يمكن أن يكون قبل القرن الثامن ق.م، حيث بدأ فن النحت الإغريقى يتطور إلى مرحلة جديدة متحررا من تأثير النحت المصرى. بل إن وصف درع أجاممنون فى نفس

(١٤) Cicero., De Oratore, iil, 137.

الملحمة (الكتاب الحادى عشر بيت ١٩ وما يليه) يمكن أن يعود إلى ما بعد ذلك التاريخ، وكذا الإشارة إلى استخدام الفيلق **phalanx** فى الحرب (الكتاب الثالث عشر بيت ١٣١ وما يليه). ومع ذلك فإن كل هذه الإشارات وغيرها الكثير يمكن أن تكون مدسوسة على هوميروس. وعلى أية حال فهناك حد زمنى لا يمكن أن يكون هوميروس قد عاش بعده بإجماع آراء كل العلماء ألا وهو عام ٧٠٠ ق.م. هذا ويمكن أن نحدد فترة تقريبية تقع فيها حياة هوميروس وهى ما بين ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م.

ومما لا شك فيه أن موقع طروادة الجغرافى يمكنها من السيطرة على الممر الإستراتيجى أى مضايق الدردنيل والبسفور البحرية التى تصل البحر الإيجى بسواحل البحر الأسود الخصبة. طروادة إذن مدينة ذات أهمية تجارية واقتصادية وعسكرية أغرت الآخيين بمحاولة السيطرة عليها. أما السبب الذى يقدمه هوميروس لقيام حرب طروادة - أى خطف هيلينى زوجة ملك إسبرطة مينيلاؤس على يد الأمير الطروادى باريس - فهى الذريعة الواهية أو السبب الدبلوماسى المباشر والمعلن لتبرير حرب لها أهداف أخرى أعمق وأهم من ذلك بكثير، هذا إذا ما قبلنا بوجود هيلينى أصلا. وبعبارة أخرى فإن رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هى رواية أسطورية، أى الرؤية الشاعرية والملحمية لحرب حقيقية وقعت بالفعل فى تاريخ يقع ما بين ١٢٨٠ و١١٨٣ق.م. برأى معظم المؤرخين. المهم أن هوميروس يصف أحداثا تاريخية قديمة جدا بالنسبة له، إذ تسبقه بحوالى ثلاثة قرون. وهو يستمد روايته من الموروث الشعرى المألوف والمتداول شفاهة.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار "الإلياذة" و "الأوديسية" من خلق عدة أجيال متتالية من الشعراء المتجولين. ولكن إغريقيى العصر الكلاسيكى اعتبروهما من تأليف شاعر واحد هو هوميروس وعلينا أن نحترم رأيهم، ولو أنهم نسبوا إليه أشعارًا أخرى لا يمكن بأية حال أن يكون هو فعلا - إن وجد - مؤلفها. وبغض النظر عن الفوارق بين الملحمتين فإن روحهما العامة واحدة. يقول باورا إنه ليس من الخطأ أن نتحدث عن هوميروس - سواء أكنا نعنى به شاعرًا واحدا أو عدة شعراء - باعتباره مؤلف هاتين الملحمتين(١٥).

---

(١٥) **C.M. Bowra, Landmarks in Greek Literature. Weidenfeld and Nicolson 1970, p. 23.**

وبما أن هوميروس لا يتحدث عن نفسه فى ملحمتيه "الإلياذة" (حوالى ستة عشر ألف بيت) و "الأوديسية" (حوالى اثنا عشر ألف بيت) فلقد استدل البعض من ذلك على أن مكانته الاجتماعية كانت أقل من مكانة أبطاله وهم من الملوك والأمراء، بل وأقل من مكانة جمهوره أيضًا لأنه كان ينشد أشعاره فى بلاط أحفاد هؤلاء الأبطال. بيد أن تشبيهاته الشعرية - وهذا ما سنعود إليه - مستمدة من بيئته المعاصرة وما فيها، مما يظهر ميله إلى تصوير حياة بسطاء الناس بحرفهم اليدوية وأعمالهم الزراعية والرعوية بما فيها من أدوات بسيطة وطيور وحيوانات وما إلى ذلك. ومن ثم قيل إن هوميروس كان شاعرا فقيرا وأعمى أو على الأقل فقد البصر فى أواخر أيامه. ولعل هذه الرواية قد جاءت من الاعتقاد الشائع لدى مختلف الشعوب بأن المنشدين الملحميين كانوا فى العادة من كفيفى البصر. يضاف إلى ذلك أن النشيد الهومرى "إلى أبوللو" (بيت ١٧٢) يتحدث عن شاعر أعمى من جزيرة خيوس. ويعتقد أغلب العلماء المحدثين أن هذا البيت يتحدث عن هوميروس نفسه. بل يرون أنه أيونى لأن اللهجة الأيونية تغلب على أشعاره، كما أنه يعرف عن ما هو أيونى أكثر مما يعرف عن ما هو دورى أو أيولى. وينازع خيوس فى الادعاء بنسبة هوميروس إليها الكثير من المدن والجزر وفى مقدمتها مدينة سميرنى (أزمير بتركيا)، بيد أن كفة خيوس هى الراجحة. وبها يعقد كل عام مهرجان "الهومريات" الذى يحاول به اليونانيون المحدثون إحياء ذكرى شاعرهم القديم والمبدع الأول هوميروس.

يجمع الباحثون على أن ملاحم هوميروس تمثل المرحلة الناضجة من تراث شعرى شفوى عبارة عن أغانى كانت تؤدى بمناسبة وفاة أحد الشبان. ولهذه الأغانى بقايا فى أشعار هوميروس، فمثلاً فى "الإلياذة" (الكتاب الثامن عشر بيت ٥٦٩) نجد أغنية عن لينوس **Linos** يؤديها شاب على القيثارة وسط العذراوات والشبان حاملى سلال الأعناب فى أعياد جنى الكروم، ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأغنيات من أصل سامى.

وارتبط بعض المنشدين الملحميين السابقين على هوميروس بعبادة أبوللون وربطوا بين آسيا وكريت وجزر بحر إيجة وأراضى بلاد الإغريق الأساسية. وبعضهم الآخر جاء من آسيا الصغرى وبالتحديد من فريجيا وارتبطوا بعبادة كيبيلى **Kybele**. وظهر ذلك التراث بينما كانت القبائل الهيللينية لا تزال تهاجر من آسيا

إلى أوروبا. فهو تراث — إذن — ينتمى إلى ما قبل الهيللينية. ويشير هوميروس نفسه إلى هذا التراث بالحديث عن "أمجاد الرجال" **klea andron** وكذلك أغانى الزواج **hymenaeus** والمراثى **threnos** وكلها كلمات وتعبيرات سيجدها القارئ تتكرر كثيرًا فى "الإلياذة".

وتعكس أعمال الزخرفة على درع أخيليوس الذى صنعه هيفايستوس – وسنعود للحديث عنه – بعض المصادر الفينيقية والأشورية والمصرية القديمة(١٦). ولوحظ أن هذا الدرع لا يتضمن أية إشارة للسفن مما يتناسب مع الأشوريين، كما لا يحوى أى شيء عن العبادات الإغريقية. وأعمال الفن المشار إليها عمومًا عند هوميروس سواء فى المنازل أو قصور الملوك تعكس الفن الشرقى، فنحس وكأننا فى نينوى أو فى صور(١٧).

ثالثا: من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

هكذا دخلنا عالم هوميروس من أوسع أبوابه، وعلينا الآن أن نركز الانتباه على "الإلياذة"، التى بلغ من عظمتها أنها غطت على شهرة مؤلفها، حيث كان قد عاش فى وقت ما ومكان ما ببلاد الإغريق لا نعرفه بالضبط.

وفى الوقت نفسه يعطينا هوميروس صورة واضحة المعالم لفترة مبكرة من التطور الحضارى البشرى. وهى صورة حافلة بالمعالم السياسية والدينية والقيم الأخلاقية بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية. تختلف هذه الصورة الهومرية عن لوحة من الفسيفساء أو أية قطعة أثرية أخرى، لأنها صورة مكتملة ومنسجمة مع الانطباع العام الذى يتركه هوميروس فى الأذهان.

لا يستخدم هوميروس فى "الإلياذة" اسمًا يشمل كافة بلاد الإغريق أو اليونان التى نعرفها. فهو يتحدث عن "الآخيين" و "الأرجيين" و "الدانائيين". أما هيلاس

---

(١٦) A.S. Murray, History of Greek Sculpture. p. 44.

(١٧) للمزيد عن الأصول الشرقية لأشعار هوميروس راجع:

Allen W.S.: "Oriental Myth and Literature in the Iliad." In Hägg, ed., 1983: pp. 51-6.

J.D. Muhly, "Homer and the Phoenicians. The Relations between Greece and the Near East in the late Bronze Age and Early Iron Ages". Berytus 19 (1970) pp. 19-64.

C. Picard, "Homère et les religions de l'Egypte" Revue archeologique 6me Serie 10 (1937) pp. 110-113.

فهى لا تخرج عن حدود منطقة ثيساليا، مع أن هذا الاسم الأخير لا يرد قط Hellas فى ملحمتى هوميروس. والآخيون الذين تتحدث عنهم "الإلياذة" لا زالوا يحكمون شبه جزيرة البلوبونيسوس (التى لا تذكر بهذا الاسم قط)، وكذا لا ذكر للدوريين فى "الإلياذة". وهناك فرق بين "أرجوس الآخية" وتقابل معظم شبه جزيرة البلوبونيسوس، و "أرجوس البلاسجية" وتعنى جزءًا من ثيساليا. وتتحدث "الإلياذة" عن طراقيا ونهر أكسيوس (= الآن فاردار **Vardar**).

أما بالنسبة للساحل الغربى لآسيا الصغرى، الذى تجرى فوقه أحداث "الإلياذة"، فتتحدث الملحمة عن مايونيا (= ليديا فيما بعد) ولا ذكر لأى مدينة إغريقية فى المنطقة من ميسيا إلى كاريا، ولا يذكر الاسم "الأيونيون" سوى مرة واحدة (الكتاب الثالث عشر بيت ٦٨٥)، وتؤخذ الفقرة كلها على أنها إشارة للأثينيين. وتذكر بعض مناطق أعماق آسيا الصغرى، مثل فريجيا وبافلاجونيا، فى إشارات عامة وغامضة.

من الجزر فى بحر إيجة تذكر كريت ورودس وما يحيط بها من جزر صغيرة فى الجانب الجنوبى الشرقى. ومن الجزء الشمالى الشرقى المحاذى لمنطقة طروادة تذكر تينيدوس وإمبروس وساموطراقيا (باسم ساموس) وليسبوس وليمنوس، ولا ذكر للكيكلاديس وخيوس وساموس.

ومن عالم الجنوب بعيدًا عن بلاد الإغريق يذكر فى "الإلياذة" الأثيوبيون "ذوو الوجوه المحروقة" أو الداكنة. ويذكر البيجميون الذين يقطنون على ضفاف نهر الأوكيانوس (ربما فى أفريقيا الوسطى). ويذكر المصريون ومدينتهم طيبة (= الأقصر) (الكتاب التاسع بيت ٣٨١ وما يليه). فطيبة المصرية ذات مائة باب يخرج مائتا رجل من كل منها بخيولهم وعرباتهم :

> **ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة المصرية، حيث تمتلئ الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم، ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.**

ويذكر الفينيقيون[١٨] وصناعاتهم الدقيقة، وتذكر صيدا أكثر من مرة (الكتاب السادس بيت ٢٨٩، والكتاب الثالث والعشرون ٧٤٣). وتذكرنا زخرفة درع

---

(١٨) **Muhly: op. cit . pp. 19: 19-64.**

أخيليوس التى أبدعها هيفايستوس – كما سبق أن ألمحنا – بالصناعات الفينيقية الدقيقة ولاسيما فى صور. وكما هو واضح ضم قصر برياموس الفينيقيين والفينيقيات، وتحدثنا "الإلياذة" نفسها عن نساء صيدا الماهرات فى الأشغال اليدوية من تطريز وخلافه (الكتاب السادس أبيات ٢٨٧ وما يليها).

أما الملكة نفسها فقد نزلت إلى خزينة الكنوز ذات القباء
حيث أودعت ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها
نساء صيدا اللائى كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله
قد جلبهن من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع فى رحلة
عودته (إلى طروادة) بهيلينى رفيعة النسب

ويتردد فى "الإلياذة" ذكر كادموس والكادميين (الكتاب الرابع أبيات ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، والكتاب الخامس ٨٠٣، ٨٠٧، والكتاب العاشر ٢٨٨، والكتاب الثالث والعشرون ٦٨٠). أما الإله ماكار (أو مقار) الذى يذكره هوميروس فى الكتاب الرابع والعشرين (بيت ٥٤٤) فربما يكون الإله الفينيقى ملقرت **Melqarth** الذى اعتبره الإغريق فى العصور التالية أصلاً لعبادة البطل الإغريقى الأشهر هرقل[١٩].

لكن من هم الطرواديون ؟

فى دفاعه عن بعض ملامح الوحشية والبربرية فى التراث الأسطورى والطقوس الإغريقية يقول جلبرت مورى **Gilbert Murray** إن هذه الملامح هى بعض بقايا البربرية الأقدم فى الروح الهيللينية الصافية والخالية من هذه البربرية. فعندما اقتحم الإغريق بلدة كيلايناى **Kelainai** فى أقصى فريجيا بآسيا الصغرى وجدوا هناك تقليدًا قديمًا يروى فحواه أن الإله المحلى سلخ البطل أو الملك المحلى مارسياس **Marsyas** حيًا. ويورد مورى تفسير فريزر لهذه الأسطورة بأن مارسياس هو ملك الخضرة الذى يسلخ بين الحين والحين ويحتفظ بجلده حتى موسم

(١٩) Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis in the "*Trachiniae*" of Sophocles and in "*Hercules Oetaeus*" of Seneca. A Comparative Study of the Tragic and Stoic Meaning of the Myth. A thesis for the Ph.D. Degree in Greek with summary in English). Athens 1974., pp. 50-63.

وعن كادموس انظر :

Edwards, R.B.: Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age. Amsterdam 1979.

الحصاد التالى. ويؤكد مورى أن الإغريق هم تجار الحوض الشرقى للبحر المتوسط وبحارته دون أن يعنى ذلك انتماءهم لهذا العالم. وربما تكون هذه الأسطورة كما يقول مورى هى من بقايا الغزو الأشورى، لأن الأشوريين على حد قوله كانوا يحتفلون بعد انتصاراتهم بسلخ من قهروهم أحياء(٢٠).

أثبتت الحفريات فى موقع طروادة بأنه كانت هناك ست مدن الواحدة فوق الأخرى وأنها جميعًا دمرت تباعًا وأعيد بناء كل منها فوق بقايا الأخرى، مما يعنى أن هذا الموقع كانت له حساسية خاصة. وحتى فى الإطار الأسطورى "للإلياذة" وتدمير طروادة على يد أجاممنون يتردد الحديث دائمًا بأنها كانت قد دمرت من قبل عدة مرات.

وتروى الأسطورة الإغريقية أن هرقل - الذى ينتمى إلى جيل أسبق وأقدم من أبطال طروادة - ذهب إلى طروادة للحصول على خيول لاؤميدون. وتثبت كل الدراسات الحديثة أن طروادة القديمة فعلاً اشتهرت بتربية الخيول. ومن الملاحظ فى "الإلياذة" أن صفة "مروضى الخيول" تلصق بالطرواديين دائمًا جماعة أو فرادى. يقول آينياس فى "الإلياذة" (الكتاب العشرون ٢١٣ ومابليه):

إذ كان زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى
الوادى على أنها مدينة البشر الفانين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيدا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولدًا هو الملك إريختونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرسٍ ترعى فى المروج
وتنعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حبًا
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
عشرة مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرها ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة
الموج الهائج.

(٢٠) **Gilbert Murray, The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition. Oxford 1934, pp. 20-21.**
وتعكس آراء مورى المركزية الأوروبية التى سبق أن دحضناها فى مقدمة "أثينة السوداء" راجع حاشية رقم ٧ أعلاه.

ولكن الخيول لم تكن الثروة الوحيدة التى تتمتع بها مملكة برياموس. فسترابون[٢١] يتحدث عن مناجم الذهب فى أستيرا **Astyra** بالقرب من أبيدوس **Abydos** بمنطقة طروادة. ونحن نعرف أنه فى العصور التالية كانت تجارة شاسعة تمر فى بحر الهيلليسبونطوس (الدردنيل والبسفور) وتربط بين البحر المتوسط والبحر الأسود. ومن هنا تأتى أهمية التحكم فى هذا الممر التجارى. ولمزيد من إيضاح أهمية طروادة إبان العصر الموكينى نشير إلى أنه بعد أن أسس الإغريق مستعمرات لهم على الهيلليسبونطوس والبحر الأسود فى العصور التاريخية. فقدت طروادة أهميتها وأصبح بمقدور السفن الإغريقية أن تبحر دون الحاجة لمياه نهر سكاماندروس العذبة وأخذ الإذن من مملكة طروادة. لقد كان وادى طروادة هو نقطة الالتقاء الطبيعية بين تجارة البحر الأسود وتجارة جزر بحر إيجة.

لكننا من معطيات "الإلياذة" لا نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح: من هم الطرواديون ؟ هل هم شرقيون ينتمون لحضارات الشرق القديم ؟ فهذا ما لا نستطيع تأكيده من خلال "الإلياذة" التى تعطيهم أسماءً إغريقية وتنسب إليهم عادات وتقاليد إغريقية. بل إن الطرواديين فى "الإلياذة" يتعبدون لآلهة الإغريق أنفسهم مثل زيوس وأفروديتى وأبوللون وغيرهم. وبعض هذه الآلهة ينحاز إليهم ضد الإغريق وبصفة خاصة أفروديتى ربة الجمال والحب والتناسل التى أنجب منها أنخيسيس أحد الأبطال الطرواديين المرموقين أى آينياس. بل إن الطرواديين فى "الإلياذة" يحملون الأسماء نفسها التى يحملها الإغريق مثل أخيلاؤس فهو اسم لطروادى فى الكتاب الثامن (بيت ٢٥٧) واسم لإغريقى فى الكتاب الحادى عشر (بيت ٣٠٢). بل إن بودارجوس يرد اسمًا لحصانين فى "الإلياذة" أحدهما لهيكتور (الكتاب الثامن بيت ١٨٥)، والثانى لمينيلاؤس (الكتاب الثالث والعشرون بيت ٢٩٥). ومن المدهش أن لاؤديكى هو اسم بنت أجاممنون (الكتاب التاسع بيت ١٤٥ و٢٨٧) وهو فى الوقت نفسه اسم بنت عدوه اللدود برياموس (الكتاب الثالث ١٢٤ والكتاب السادس ٢٥٢).

فإذا قال قائل إن الطرواديين شرقيون عندئذ سنضع أيدينا على ما يسمى بالخلط الزمنى **anachronism**. وهو خلط لا يقتصر على الزمن بل يشمل كل شىء. وهو أمر لا ينفرد به هوميروس – الذى يخلط بين معطيات زمنه وزمن الأحداث التى يتحدث عنها – بل هو شائع فى الأعمال الإبداعية منذ القدم وإلى

---

(٢١) **Strabo, p. 180.**

شكسبير[٢٢] بل وإلى يومنا هذا. ونجده على سبيل المثال فى مسرحية "الفرس" لأيسخولوس المعروضة عام ٤٧٢ ق.م حيث يتعبد الفرس فى هذه المسرحية لزيوس وسائر آلهة الأوليمبوس مثل الإغريق تمامًا، بل إن الجو العام فى القصر الفارسى يكاد لا يختلف عن الجو العام فى قصر ملكى إغريقى. فهل تصور "الإلياذة" الطرواديين على هذا النحو نفسه ؟[٢٣]. وتزداد صعوبة الإجابة على التساؤل المطروح من هم الطرواديون ؟ إذا لاحظنا أن هوميروس كان واعيًا بالفروق اللسانية بين المتحاربين. فهو يميز بين الطرواديين وحلفائهم متعددى اللغات ويقول (الكتاب الثانى، أبيات ٨٠٣-٨٠٦) على لسان إيريس مخاطبة هيكتور:

"كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من ترتيب صفوف رجال مدينته".

فأهل آسيا الصغرى بلغاتهم الشرقية مشاركون فى الحرب. ومع أن الاحترام متبادل بين الإغريق والطرواديين بصفة عامة إلا أن المرء يحس بانحياز هوميروس الدفين للإغريق. فهل ينم هذا الموقف عن أن الطرواديين ينتمون إلى الآخر فى "الإلياذة" ؟

رابعًا: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى

ومن المقطوع به أنه من المحال الوصول إلى تصور حقيقى "للإلياذة" الأصلية، ومدى حجم الإضافة والحذف التى عانت منهما عبر العصور منذ ثلاثة آلاف سنة. إنها على أية حال أول صورة فنية للسلالة التى تعرف الآن بالسلالة الهيللينية. وإذا كان ماتيو أرنولد **Matthew Arnold** يعرف الشعر على أنه "نقد الحياة" فقد تكون هذه هى نصف الحقيقة فقط، لأن الشعر فى أسمى تجلياته هو

(٢٢) أحمد عتمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٦٣-٢٧١.

(٢٣) يمكن للقارئ أن يعود للمعجم الأسطورى الملحق ليتأكد من أن "الإلياذة" بالفعل تضم أسماء مشتركة كثيرة جدًا. ولكن أسماء الملوك والأمراء ليست مشتركة. فأجاممنون وأخيليوس ومينيلاؤس وبرياموس وهيكتور كل منها اسم لشخص واحد فقط. فالأبطال الهومريون آحاد لا يشاركهم الأسماء والثراء والأبهة والعظمة أحد آخر.

تفسير للحياة، بل هو تفعيل الحياة. وهذا بالضبط ما تمثله "الإلياذة" و "الأوديسية" فهما من أنصع آيات الفن المعبر بصدق عن الروح الهيللينية فى بكارتها.

وسنحاول فى السطور التالية معالجة الجوانب الفنية فى "الإلياذة" التى تجسد هذا الدور. فمن الملامح الفنية البارزة فى "الإلياذة" التشبيهات والخطب. وسنعود للحديث المفصل عن التشبيهات، أما الخطب فيقول عنها جيب **Jebb** صاحب أهم الدراسات فى فن الخطابة الإغريقية :

"لا توجد خطبة واحدة فى التراث القديم الذى وصلنا تقترب من النموذج المثالى للخطبة مثلما تفعل خطب هوميروس. ويكمن السبب فى ذلك أن الخطب الواردة فى "الإلياذة" تنبع بصورة طبيعية من مناظرة ما، وأعظمها يأتى ردًا (على خطبة أخرى)"(٢٤).

ولا يملك المرء وهو يقرأ "الإلياذة" إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه بحس هوميروس ووعيه بدقائق النفس الإنسانية، وكذا بقوته ولينه ووضوح رؤيته وسعة أفقه، وسلامة تأملاته فى الإنسان والطبيعة. إنه أروع مثال للفنان العظيم. إنه ينظم الشعر وعينه على الموضوع لا على الأسلوب، كما يفعل أغلب الشعراء المحدثين، حيث يولون الأسلوب جل اهتمامهم وإليه ينقلون أو يترجمون موضوعهم. فالزخرف فى أسلوب هوميروس لا نحس به، لأنه لا يأتى وكأنه ملحق مصنوع يستهدف توسيع الموضوع، بل هو جزء طبيعى وعضوى فى نسيج الموضوع ذاته.

يقول جلبرت مورى **G. Murray** عالم الكلاسيكيات الأشهر وصاحب الدراسة المتعمقة فى الشعر الإغريقى الملحمى إننا ينبغى أن نقرأ الأشعار الملحمية القديمة بشيء من الخيال والتعاطف، فبدونهما تصبح هذه الملاحم القديمة كتبًا صماء. لقد نجح هوميروس شاعر "الإلياذة" فى أن يخلق الخيال والتعاطف اللازمين لأى معاصر يحاول قراءته الآن(٢٥).

يتمتع هوميروس شاعر "الإلياذة" بما يمكن أن نسميه البساطة السامية والمباشرة الصريحة، فهو ليس غامضًا البتة. قد يكون حزينًا ولكن حزنه ليس فِجًا

R.C. Jebb, The Attic Orators. Reprinted, New York 1962, p. cvii . (٢٤)

Murray, Rise of Greek Epic, p. 231.(٢٥)

غليظًا، وإنما هو حزن ينم عن فخامة وأبهة. وهو سار ومفرح كالحياة نفسها فى مسراتها وأفراحها الطبيعية. إنه يعبر عن آمال البشرية ومخاوفها، سقطاتها وتطلعاتها. ولمن يريد أن يطلع على هذه الجوانب مجتمعة فليقرأ مشهد وداع هيكتور لزوجه أندروماخى (الكتاب السادس)، أو مشهد نصائح ساربيدون لجلاوكوس (الكتاب الثانى عشر)، أو النهاية الدرامية المذهلة أى لقاء برياموس مع أخيليوس، حيث ذهب الملك الطروادى الطاعن فى السن يقدم الفدية فى مقابل تسلم جثة ابنه الصنديد هيكتور (الكتاب الرابع والعشرون).

قد تكون غضبة أخيليوس موضوعًا من الدرجة الثانية، وقد لا تصلح لعمل شعرى كبير، ولكن مؤلف "الإلياذة" المبدع صنع منه ملحمة شعرية رائعة. غضب أخيليوس عندما انتزعت منه محظيته بريسئيس وهذا أمر لا يصنع ملحمة، ولكنه صب جام غضبه أيضًا على هيكتور عندما قتل صديقه الحبيب باتروكلوس، وهذا الغضب يصلح لعمل شعرى. فكيف صاغ هوميروس من هذه الغضبة ملحمة "الإلياذة" التى تصور الحرب الطروادية فى إطار كونى ؟

يتسم أسلوب هوميروس بأربع صفات أساسية: فهو متدفق، واضح الفكر، بليغ العبارة، وسامٍ فى كل شىء. وهذا الجمع الفريد بين تلك الصفات الأربع كان بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها جهود كبار مترجمى هوميروس ومقلديه عبر كافة العصور. فقد فشل كووبر **Cowper**، فى أن يكون متدفقًا، وفشل ألكسندر بوب **Pope** فى أن يكون بليغ العبارة. أما تشابمان **Chapman** فلم يكن واضح الفكر فى ترجمته، رغم أنه الأقرب إلى هوميروس من حيث بلاغة الكلمة وطزاجتها والقوة والتدفق. وسنعود لأصداء أسلوب هوميروس فى الآداب العالمية.

يتميز أسلوب هوميروس فى "الإلياذة" بأنه غنائى مزخرف بصفة عامة، ولكن التنوع هو السمة الرئيسة. خذ على ذلك مثلاً وصفه لجروح الأبطال وموتهم، فلو كان يتبع أسلوبًا واحدًا لمل المتلقى لأن المشهد متكرر فى "الإلياذة" من أولها إلى آخرها. ولكننا نكتشف تنوعًا فريدًا يميز بين جرح بطل وآخر. وكيفية الانتقال إلى العالم السفلى أى الموت تختلف فى كل مرة عن سابقتها ولاحقتها، فهذا ينكفئ على بطنه ويعض الأرض، وذاك يطرح أرضًا على ظهره وتفيض روحه، وآخر يصارع الموت ويقاومه، وآخر يختفى بطريقة غامضة، وهكذا. وينطبق هذا المعيار نفسه على مشاهد المعارك والمبارزات الفردية، التى هى الموضوع الرئيسى

المتكرر. فلا نجد معركة مثل أخرى ولا تتشابه المبارزات الفردية. ويبدو وصف المعارك فى "الإلياذة" وكأنه واقعى، أى كأن الشاعر يرى معركة حقيقية ويصفها لنا. ومع ذلك فهو ليس وصفًا تاريخيًا. إنه وصف يبدو وكأنه يسرد وقائع وحقائق مع الإيحاء سلفًا بالنتيجة الحتمية لكل معركة[٢٦]. وذلك بفضل تنوع الأسلوب والدقة كذلك فى رسم الشخصيات والخلفيات[٢٧].

ويقول كيرك **Kirk** إن لغة هوميروس مزيج مصطنع جاء من أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة، لأنها نتاج الموروث الملحمى الشفوى، حيث كان كل منشد يبتدع مختلف التراكيب والأشكال اللغوية التى تتواءم مع قدراته وبيئته. وقد نسب ب. شانترين **P.Chantraine** بعض هذه التراكيب والأشكال إلى فترة ما بعد هوميروس، ولكن العالم الأسترالى **G.P. Shipp** أثبت أن معظم ما كان ينسب إلى ما بعد هوميروس فى هذه الأساليب اللغوية يعود أصلا إلى الموروث الملحمى أى ما قبل هوميروس[٢٨].

---

(٢٦) **Alberto Camerotto, "Aristeia Azioni e tratti tematici delleroe in battaglia", Aevum Antiquum N.S.I (2001) pp. 263-308.**

M.M. Willcock, "The Fighting in the Iliad", Spondes ston omero, (Apo ta practika tou 18th Synedriou 8 yia ten Odysseia 2-5 sept. 1990). Kentro Odysseiakon Spoudon. (Ithaki 1993), pp. 141-147.

H. Erbse, Typical Battle Scenes in the Iliad, Hermes Einzelschriften 21. Wiesbaden 1968.

(٢٧) عن رسم الشخصيات فى "الإلياذة" انظر: أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٦٦-٨٠ وراجع:

J. Griffin, Homer on Life and Deuth. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986, pp. 50-80.

وعن رسم شخصية ملياجروس وأخيلوس وفوينيكس ودوره فى وحدة بناء "الإلياذة" راجع:

Andreou I. Boskou Meleagros – Achilleus kai Phoinix: (Symbole eis ten ereunan tes enotetes tes Iliados. (Meleagros – Achilleus and Phoinix. A Contribution to the Study of the Unity of the Iliad) Ph.D. Thesis Leukosia – Cyprus 1974.

(٢٨) **P. Chantraine, Grammaire Homerique I. Paris 1958. pp. 15 ff., 44-47.**

H. Kirk, Homer and the Epic. Cambridge. Reprint 1996, pp. 141 ff.

B. B. Powell, op. cit., passim.

أما عن آراء شيب فراجع:

G.P. Shipp, "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." Essays in Mycenaean and Homeric Greek. Melbourne: (1961), pp. 1-14.

Idem: Studies in the Language of Homer, Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.

Idem : Studies in the language of Homer, 2nd ed. Cambridge 1972.

بذلت جهود شتى لتأريخ هوميروس بناء على الدرس اللغوى المنهجى "للإلياذة" و "الأوديسية" وكذا اللهجات الأيولية والأيونية وتطورهما. ولكن النتائج لم تكن مرضية، وإن أسهمت هذه الدراسات فى فهم المزيج العجيب لمكونات اللغة الهومرية. فبالحصر تم اكتشاف عدة طبقات فى لغة هوميروس دون الوصول إلى تاريخ محدد لكل طبقة منها ولا للطبقة الأحدث. ولا يمكن الجزم سوى بتاريخ هو الحد الأقصى أى ٧٣٠-٧٠٠ ق.م وهو التاريخ الأرجح لهيسيودوس، وبعبارة أخرى ينبغى أن يكون هوميروس قد عاش قبله **termnus ante quem**.

وعلينا أن نتذكر رحلة نص "الإلياذة" عبر العصور منذ إنشادها شفويًا وجمعها فى عصر الطاغية بيسيستراتوس ثم نقدها وتحقيقها فى العصر السكندرى[٢٩]. فى كل تلك المراحل مر النص بسلسلة من الحذف والإضافة والتغيير والتبديل فيما بين اللهجات الإغريقية الأيولية والأيونية والأتيكية. وسنعود للحديث عن رحلة نص "الإلياذة" إلينا.

ولكن لا مفر من الإشارة هنا إلى أن الكلام عن لغة هوميروس أمر تكتنفه الكثير من التساؤلات والشكوك. ولعل هذا ما أضاف إلى ملحمة "الإلياذة" مسحة من الغموض وصل بالبعض إلى الاعتقاد أنها لغة سماوية مقدسة.

يرى ريتشارد مارتن **Richard Martin** أن الدرس المقارن لتراث الشعر الملحمى الشفوى فى أفريقيا وأيسلنده وغيرها يوضح أن الأبطال كانوا بمثابة لاعبى أدوار **performers** ملحميين يتبعون أساليب فنية واعية سواء فى الفعل أو القول. وهذه هى النتيجة التى يمكن أن نصل إليها بتحليل الخطب التى يلقيها الأبطال فى

(٢٩) عن التقنية الشفوية فى "الإلياذة" وتأثيرها فى طبيعة اللغة المستخدمة راجع:

M.N. Nagler, Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer. Berkeley 1974.

M. Finkelberg, "A Creative Oral Poet and the Muse" AJPh 111 (1990) pp. 293-303.

R. Finnegan, Oral Poetry. Cambridge 1977.

Richard Bauman, Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative . Cambridge University Press 1986.

Claude Calame, "Entre oralité et écriture: Enonciation et énoncé dans la poésie grecque archaique" Semiotica 43, (1983) pp. 245-73.

D. Gary Miller, Improvisation, Typology, Culture, and "The New Orthodoxy": How Oral is Homer ? . Washington, D.C.: University Press of America 1982.

"الإلياذة". فهى خطب صيغت بعناية فائقة لتظهر المجد البطولى والبراعة القولية لكل بطل على حدة، مع رسم خلفية اجتماعية مميزة له(٣٠). فكل بطل فى "الإلياذة" يؤدى دورًا ملحميًا، ومن ثم فإن لكل بطل لغته المميزة ينفرد بها ويتميز عن غيره، حتى إنه يمكن الحديث عن "لغة أخيليوس"(٣١). و "لغة هيكتور" وهكذا(٣٢).

بالدرس اللغوى المتخصص ثبت أن هناك فروقًا بينة فى المفردات والتراكيب والأساليب فيما بين الأجزاء السردية والخطب أو الأحاديث المباشرة على لسان الشخصيات نفسها فى "الإلياذة". وهذا ما يضع المزيد من المشكلات المعقدة أمام النظرية الشفوية للملاحم الهومرية. بل هناك ما يميز لغة كل بطل عن الآخر فى الإلياذة"(٣٣).

أما الوزن السداسى **hexametron** نفسه أداة الشعر الملحمى القوية فى "الإلياذة" فهو جزء من تركة الحضارة الموكينية على ما يبدو. فما كان ليصل إلى هذه القوة والعظمة والسلاسة، كما هو عند هوميروس، لولا أنه كان قد مر بفترة طويلة من التطوير والصقل. إنه وزن يقوم على التقسيم الكمى لا الكيفى، أى لا يقوم على النبرة بل على الحروف والمقاطع بمقدار طولها وقصرها، أى على الزمن الذى يأخذه كل منها فى النطق. ومع أن الشعر الأوروبى المعاصر يقوم أساسا على النبرة، فإنه من الراجح أن التقسيم الكمى كان هو الأصل وهو المتبع فى لغات الأسرة الهندو أوروبية بصفة عامة. فهو موجود فى السانسكريتية والفارسية على سبيل المثال. وهو نظام أكثر طواعية واستقرارا من النظام القائم على النبرة.

---

(٣٠) **Richard P. Martin, The Language of Heroes. Speech and Performance in the *Iliad*. Cornell University Press 1990, pp. 80-145.**
Gordon M. Messing, "On Weighing Achilles' Winged Words". Language 57, (1981) pp. 888-900.

(٣١) **Ibid. pp. 146 ff.**

(٣٢) عن المزيد حول اللغة والأسلوب فى "الإلياذة" راجع:
Steven Nimis, "The Language of Achilles: Construction vs. Representation". Classical World 79, (1986), pp. 217-25.
M.D. Reeve, "The Language of Achilles", CQ 23 (1973), pp. 193-5.
Stephen Scully, "The Language of Achilles: The ΟΧΘΗΣΑΣ Formulas", TAPhA 114, (1984) pp.11-27.

(٣٣) **Jasper Griffin, "Homeric Words and speakers", JHS CVI (1986) pp. 36-57.**
G. Horrocks, Greek: A History of the Language and its Speakers. Longmann 1997, pp. 17 ff.

لأن الأول يقوم على مبدأ ثابت وهو أن الحرف أو المقطع الطويل عند النطق يأخذ من الوقت ضعف ما يأخذه الحرف أو المقطع القصير. وكل مقطع يأخذ حجمه الطبيعى، كما تحسب الحروف المتحركة والساكنة فى العملية كلها. واصطلح الناس على أن هذه الحروف طويلة وتلك قصيرة وتركوا بعضها محايدا، أى يمكن أن يكون طويلا أو قصيرًا(٣٤).

يتكون الوزن السداسى من ستة أقدام، وكل قدم مكون من داكتيلون أى مقطع طويل متبوع بآخرين قصيرين (U U —) (٣٥). ويمكن أن يستبدل بأى قدم من الأقدام الستة الداكتيلون قدم سبوندى أى مقطعان طويلان (— —). بل إن القدم السادس يمكن أن يقتصر على مقطعين أحدهما طويل والآخر قصير (U —).

ولا نعرف أين اخترع الوزن السداسى، فلا مثيل له فى الشعر السامى أو الحيثى القديم. وقيل إنه جاء من جزيرة كريت المينوية، ولكننا لا نعرف عن لغة هذه الحضارة ما يكفى للتثبت من ذلك. الأرجح إذن أنه اختراع إغريقى قائم على التقسيم الكمى المعروف فى أسرة اللغات الهند أوروبية. ولقد ساعدت طبيعة اللغة الإغريقية نفسها على اختراع هذا الوزن، فهى تتناغم معه تمامًا. وعلى أية حال فإن هذا الوزن قد عاش فيما بين ١٤٠٠ق.م. تقريبا وحتى آخر ملاحم العصر القديم فى القرن الخامس الميلادى. وقد ينازعه أى وزن آخر فى طول البقاء، ولكنه يقف بلا منازع من حيث إنه لم يفقد شيئًا من كيانه الأساسى طوال حياته مع حدوث تطور لغوى وفكرى ضخم، بل ومع تنوع الموضوعات التى صيغت فيه من الملاحم مسرفة الطول إلى الأغانى القصيرة للغاية(٣٦).

---

(٣٤) عن تقنيات هوميروس الشعرية راجع:

A.J.B. Wace & F.H. Stubbings (edd.), A Companion to Homer (Macmillan 1962), pp. 19-214 (By J.A. Davison).

وقارن أحمد عتمان: "الوزن الساتورنى والأصول المحلية للأدب اللاتينى" مجلة الشعر القاهرية عدد ١٨. (أبريل ١٩٨٠) ص ٥٠–٥٧.

(٣٥) العلامة — تعنى حرفًا أو مقطعًا طويلاً والعلامة U تعنى حرفًا أو مقطعًا قصيرًا وهى علامات متداولة ومعروفة فى علم العروض الإغريقى. وعن الأوزان بشكل مبسط راجع:

D.S. Raven, Greek Metre. An Introduction. Faber and Faber, London 2nd ed. 1968.

(٣٦) للمزيد عن تقنيات "الإلياذة" الشعرية راجع:

H. Erbse, Epic verse before Homer. Amsterdam 1981.

W.S. Allen, Vox Greaca The Pronunciation. 3rd edition. Cambridge 1987.

خامسا: العالمان المتوازيان والتوهج الشعرى فى التشبيهات

ومن بين التقنيات الشعرية المميزة فى "الإلياذة" تبرز التشبيهات. وقد سبق لنا أن تناولنا التشبيهات الهومرية وموقعها فى إطار الفن الملحمى(٣٧). وقد يكون من المفيد هنا ونحن بصدد التقديم للنص الهومرى المترجم أن نسلط الضوء على بعض النواحى فى هذه التشبيهات التى بلغت حوالى ١٨٠ تشبيهًا مفصلاً فى "الإلياذة"، وسنورد بعد قليل قائمة بهذه التشبيهات. والملاحظة الأولى عليها أنها متسعة الأفق ومتنوعة. والتشبيهات الهومرية(٣٨) إما قصيرة جدا وعابرة وإما مطولة تستهدف أن تطبع فى نفوس سامعيها أدق التفصيلات. ويستخدم هوميروس كلا من النوعين بصفة مستمرة. وهو أحيانا يستطرد فى التشبيهات المطولة إلى حد أنها تبدو للوهلة الأولى منفرطة أو مفككة الأوصال. بيد أننا إذا دققنا النظر يمكن أن نعتبر هذا التطويل أو التمديد شيئًا ملائمًا للسياق الذى ورد فيه. والانطباع العام الذى يخرج به السامع أو القارئ لملاحم هوميروس هو الانطباع نفسه الذى يحس به المرء عندما يشاهد بعض لوحات الرسم، حيث يحرص مبدعوها على أن يضيفوا - إلى جوار الموضوع الرئيسى الذى تسلط عليه الأضواء - ما يسمح لنا بإلقاء نظرة من نافذة جانبية صغيرة على مشهد طبيعى ساحر ومرسوم بعناية فائقة. وهو منظر يعكس الحياة الرعوية الوديعة. وبعض المشاهد الهومرية موروث وقديم يمكن أن نعود به إلى العصر الموكينى. وبعضها أصيل مبتدع، أو بالأحرى مستمد من الحياة اليومية لعصر هوميروس نفسه. وكأن هوميروس الذى أدرك فظائع الحرب التى يصف أحداثها ويغوص فى تفاصيل أهوالها يعوض مستمعيه بهذه المناظر الجانبية الوديعة. فهو مثلا يصف رجلاً يقع من فوق عربته الحربية على رأسه وتظل هذه الرأس مغروزة فى الرمال ! وفى مكان آخر يصيب حجر مقذوف عين أحد الرجال فيخلعها وتسقط العين على التراب تحت قدميه أو قدمى عدوه!! وفى مقابل ذلك يقدم هوميروس صورة رومانسية لطفلة صغيرة تجرى وراء أمها وبعينين مغرورقتين بالدموع ترفع يديها إليها لكى ترفعها إلى أحضانها وتأخذها معها أنىّ ذهبت. وهذه

---

(٣٧) أحمد عتمان: "الأدب الإغريقى"، ط٣، ص ٥٥-٥٧.

(٣٨) C. Moulton, "Similes in the Homeric Poems", Hypomnemata XLIX Goitingen 1977.

ونشرت حديثًا بالعربية الدراسة التالية: منيرة كروان، "التشبيهات فى الإلياذة بانوراما الحياة والبسطاء والطبيعة". مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٦١ عدد (١) (يناير ٢٠٠١) ص ٥١٥-٥٥٩.

الأمور الصغيرة الجانبية هى التى ترسم الخلفية الرقيقة والشفافة للأحداث الملحمية الضخمة. وبالطبع استخدم هوميروس لغة تتناغم مع كل لون من هذين اللونين في ملحمته – والحياة بصفة عامة – سواء هذا اللون الوديع أو ذلك الفظيع فى قتامته وعنفه. وقد لا نجد فى الأدب الإغريقى كله ما يفوق رقة هوميروس شاعر الملاحم والمعارك وهو يصور مشهد الغرام بين زيوس وزوجته هيرا التى أغوته وتقول له (الكتاب الرابع عشر، أبيات ٣٣٠-٣٤٠):

" يا أكثر نسل كرونوس هولاً، أى قول هذا الذى نطقت به !
إذا كنت حقًا تهفو الآن لمضاجعتى هنا، فوق قمة إيدا ؛
فإن كل شىء هنا مكشوف للعيان. ماذا لو أن أحدًا من الآلهة الخالدة
رآنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعًا ؟
حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية
بعد النهوض من مضجعى، سيمنعنى الحياء.
لكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،
فثمة غرفة بناها لك ابنك العزيز
هيفايستوس، وقد ثبَّت أبوابًا منيعة على قوائمها
فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق بغيتك "

وفى العادة يأخذ هوميروس مادة تشبيهاته من حياة البسطاء، وهو بذلك يخفف من حدة العنف الذى يسود أحداث ملحميته. حقا إن بعض تشبيهاته مستمد من الموروث الملحمى القديم، إلا أن الأغلبية – لاسيما التشبيهات الطويلة والمعتنى بها – من ابتداعه هو وجاءت لترسم مايراه حوله. وفيها نجد امرأة تهش الذباب عن طفلها، وأخرى تصبغ قطعة من العاج لتصنع سرجًا للحصان. وفيها نجد الرجال يحصدون الشعير، والصبية يضربون حمارًا قد انفلت يجرى أمامهم على غير هدى فى حقول الغلال. وفيها أيضًا نلمح طفلا يبنى قلاعًا فى الرمال، ورجالا يسقطون شجرة من عليائها ليصنعوا من أخشابها ألواحًا للسفن. وها هى امرأة تغزل الصوف وتبيع من غزلها ما تعول به أولادها وتصد عنهم مغبة الفاقة. وينطلق بنا التشبيه الهومرى أحيانًا إلى البرارى مع الرعاة الذين هبطوا يصطادون أسدًا بليل وفى ضوء المشاعل. وأحيانًا أخرى نشعر بالراحة والبهجة مع الأطفال الذين شفى أبوهم

من مرض عضال. ونتابع رجلا يقلب الشواء على النار حتى ينضج. ونتردد مع مسافر يتوقف هنيهة ليتدبر أمره ويفكر فى اختيار الطريق الذى سيسلكه بعد هذه الراحة القصيرة ! ونشاهد صانع الفخار يصنع إناءً مستديرًا مستخدمًا العجلة. وقد يصيبنا الهلع لرجل يفزع أشد الفزع ويقفز إلى الخلف من شدة الهول أمام ثعبان يتلوى. وقد نبكى مع والد يبكى بالدموع أمام محرقة ابنه الصغير الذى دفنه توا. هذه أمثلة قليلة من تشبيهات هومرية لا حصر لها متعددة الألوان وتعكس فى مجموعها حياة البسطاء. ويستطرد هوميروس أحيانا فى تفصيلات أحد التشبيهات مما قد لا يتطلبه الموقف الملحمى، أو حتى مما قد يتعارض معه كما يبدو فى ظاهر الأمر. ولكن هذا الاستطراد نفسه يشى بعمق الإحساس وطول معايشة الشاعر لما يصف. وهكذا تكمل التشبيهات الهومرية الحدث الملحمى، لأنها توحى بأن العالم البطولى ليس كل شيء عند هوميروس. فمعنى هذا العالم الضخم لا يمكن استيعابه إلا إذا قارناه بعالم آخر بسيط ومتواضع للغاية. فالتشبيهات الهومرية إذن وسيلة من وسائل الشاعر لعقد مقارنة بين العالمين. وبعدها يبرز العالم البطولى الملحمى أبقى تأثيرًا وأنقى تصويرا من ذى قبل. ولنقرأ هذا التشبيه المطول نسبيًا من الكتاب الرابع (أبيات ٤١٩-٤٢٧):

"قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل
اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا
الأمير مرعبًا. فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع
وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصداء وقد أثارته
عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر
موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذؤابة
الموجة، وبعدئذ يعلو زئيرها وهى تتكسر على الشاطئ، وهى
تعلو كل الصخور الناتئة والمتناثرة على الشاطئ فى منحنى
قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى
دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب."

ذلك أنه يلذ لهوميروس أن يقدم الموضوع الواحد بعدة صور شعرية سريعة ومتتالية. وعلى سبيل المثال نجده فى ٢٢ بيتًا (الكتاب الثانى ٤٥٥-٤٧٦) يورد

خمسًا من الصور الشعرية المتتالية. وفى سياق السرد الملحمى تأتى هذه التشبيهات بمثابة التوهج التلقائى لجذوة القص الشعرى، أو هى استجابات طبيعيـــة لمتطلبـــات السرد الملحمى الجذاب.

يقول جيب **Jebb** إن هذه التشبيهات ليست مجرد زخرف، فهى تستخدم لتقديم شىء ما يريد الشاعر أن يكون أكثر تأثيرًا مثل نظرة معينة، صوت ما، لحظة مـــن الحدة أو العجب أو الخوف أو الشفقة، وفى كلمة واحدة يقدم شـــيئًا فريـــدًا. فهـــذه التشبيهات إذن استجابات من قبل الشاعر الراوى لمطالب تفرضها الرواية الملحمية نفسها ويتطلبها إلحاح الذوق العام لدى مستمعيه(٣٩).

---

(٣٩) R.C. Jebb, Homer: An Introduction to the *Iliad* and the *Odyssey*. Glasgow. Sixth Edition 1898, pp. 26-7.

قائمة بالتشبيهات الواردة فى "الإلياذة".

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك ١ (*)	
٤٧	مجىء أبوللون مثل هبوط الليل
١٠٤	عينا أجاممنون مثل اللهب المتأجج
ك ٢	
٨٧-٩٣	الجيش المحتشد مثل سرب النحل
١٤٤-١٤٩	إثارة الحشود المجتمعة مثل الريح تعصف بالغلال.
٣٩٤-٣٩٧	صيحات الأرجيين مثل زئير مياه البحر على الشاطئ
٤٥٥-٤٨٣	جمع الحشد مثل تجمع الأوز فى المراعى ومثل سحابة من الذباب، وابن أتريوس مثل ثور يقود قطيعًا
ك ٣	
٢-١٤	تقدم الطرواديين إلى المعركة مثل طيور الكركى وهم أيضًا مثل الضباب الذى يغطى التل
٢١-٣٧	القتال بين مينيلاؤس والكسندروس مثل أسد يلاحقه صائد أو مثل ثعبان يراه مسافر
٦٠-٦٣	صلابة هيكتور مثل بلطة نجار السفن
١٤٨-١٥٢	برياموس ومستشاروه مثل الجدجد أو صرار الليل
ك ٤	
٧٥-٧٨	تهبط أثينة إلى الأرض كما تهوى النجوم
١٣٠، ١٣١	تحمى أثينة مينيلاؤس كما تدافع أم عن ابنها
١٤١-١٤٧	يشبه جرح بقطعة عاج لطختها بقعة قرمزية
٢٧٥-٢٨٢	يتقدم الجيش الإغريقى وكأنه عاصفة هوجاء هبت على صفحة البحر
٤٢٢-٤٥٦	يشبه تصادم الإغريق بالطرواديين بتلاطم الأمواج وتداخل تيارات المياه الجارفة، أما صرخات الطرواديين المضطربة فمثل ثغاء الأغنام
٤٨٢-٤٨٩	يشبه سقوط محارب بسقوط شجرة

(*) ك = الكتاب

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك ٥	
٤-٨	ألمعية ديوميديس الإلهية مثل النجم البازغ
٨٥-٩٤	تشبه هجمة ديوميديس بتيار جارف هيجته العاصفة
١٣١-١٤٣	تشبه غضبة ديوميديس الجنونية بهجوم أسد على قطيع من
١٦١-١٦٤	الأغنام
٤٩٩-٥٠٥	يثير الجيش الآخى المتقدم الغبار كما تذرو الريح القش
٥٢٢-٥٢٧	المحاربون الواقفون يشبهون السحب فوق قمة الجبل
٥٥٤-٥٦٣	يسقط الضحايا بسلاح آينياس كما يسقط الأسود بضربات الصيادين
٥٩٦-٦٠٠	يتراجع ديوميديس أمام آريس مثلما يتراجع المسافر أمام نهر فياض
٧٦٧-٧٧٢	تقاس قفزة خيول هيرا كما يقاس الأفق
٨٦٤-٨٦٧	يصعد آريس إلى السماء فى سحابة سوداء مثل ارتفاع الأمواج أمام عاصفة هوجاء
٩٠٢-٩٠٤	يجف الجرح بسرعة ويندمل كما تخثر الإنفحة اللبن
ك ٦	
١٤٦-١٤٩	حياة البشر مثل أوراق الشجر
٥٠٣-٥١٤	يشبه دخول باريس إلى المعركة بانطلاق حصان إلى الوادى بعد أن تغذى جيدًا فى الحظيرة
ك ٧	
١-٧	جاء دخول هيكتور وباريس إلى المعركة بالنسبة للطرواديين مثل هبوب ريح مواتية للسفن والبحارة
٥٤-٦٦	يشاهد الآلهة والبشر المعركة فالآلهة مثل النسور والبشر مثل الرياح الغربية زيفيروس تهيج صفحة المحيط
ك ٨	
٣٣٦-٣٤٢	يضغط هيكتور على الآخيين كما يطارد كلب الصيد حيوانًا مفترسًا
٥٥٣-٥٦١	تشبه المشاعل الموقدة للمنتصرين بالنجوم فى ليلة ذات سماء صافية

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك ٩	
١-١٦	يشبه الآخيون فى حزنهم بالأمواج التى تضربها الرياح، أما دموع أجاممنون فهى كالمياه المتدفقة على صخرة
ك ١٠	
١-١٠	تتردد أنات أجاممنون مثل ومضات البرق
١٨١-١٨٨	يشبه القادة الإغريق فى يقظتهم بكلاب الحراسة حول قطيع
٣٥٨-٣٦٤	يشبه الذين يلاحقون دولون بكلاب الصيد تطارد فريستها
ك ١١	
٦٢-٧٣	يشبه هيكتور بالنجم سيريوس (الشعرى اليمانية)، أما المتحاربون فهم كالحاصدين فى حقل الحصاد
١١٣-١٢١	يقتل ولدا برياموس على أيدى العدو كما يقتل أسد الأيلة
١٥٥-١٥٩	يتقدم أجاممنون مثلما تلتهم النار غابة
١٧٢-١٧٨	يشتت أجاممنون شمل الطرواديين كما يمزق الأسد فريسته
٢٩٢-٢٩٨	يشبه هيكتور بحيوان مفترس، أما اندلاع المعركة فمثل انطلاق العاصفة
٣٠٤-٣٠٩	يفر الأعداء أمام هيكتور مثلما تسوق الرياح الغربية الغيوم
٣٢٤-٣٢٦	يشبه أوديسيوس وديوميديس بحيوانين مفترسين فى غار
٤١١-٤٢٠	يشبه أوديسيوس بدب وحشى يحيط به الصيادون وكلابهم
٤٧٣-٤٨٦	يلاحق الطرواديون أوديسيوس كما يلاحق ابن آوى غزالاً، أما أياس الذى أسرع لنجدته فمثل الأسد الذى فر أمامه ابن آوى
٤٩٢-٤٩٧	قوة آينياس مثل قوة مجرى مائى ينحدر من فوق الجبل
٥٤٤-٥٦٥	يتراجع أياس ببطء أمام العدو مثل أسد أرغمه المزارعون على الانسحاب أو مثل حمار عنيد أراد الصبية أن يبعدوه عن حقل الغلال
ك ١٢	
٤١-٥٠	هيكتور مقتحمًا الخندق الإغريقى مثل أسد يتدافع حوله الصيادون وكلابهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣١-١٣٦	حراس البوابة مثل أشجار البلوط غائرة الجذور
١٤٥-١٧٢	المحاربان عند البوابة مثل دب مندفع وتتساقط القذائف من الجانب الإغريقى والطروادى مثل عاصفة ثلجية. ويشبه الأبطال الآخيون بالنحل المدافع عن خليته
٢٧٨-٢٨٧	تساقط القذائف مثل تساقط الثلج فى يوم بلا رياح
٢٩٨-٣٠٨	يهاجم ساربيدون الحائط الإغريقى كما يهاجم أسد جائع مزرعة
٤٢١-٤٣٦	التحصينات التى تفصل بين طرفى القتال مثل حائط يفصل جارين متنازعين، ويقف الآخيون مثل امرأة ماهرة تمسك بالميزان
ك١٣	
٦٢-٦٥	يشبه رحيل بوسيدون بانقضاض الصقر على فريسته
٩٩-١٠٦	يشبه فرار الطرواديين بهروب الغزلان أمام الحيوانات المفترسة
١٣٦-١٤٦	يشبه تصدى الإغريق لهجوم هيكتور بجلمود صخر يتدحرج على التل ويستقر على سطح الوادى
١٧٨-١٨١	يشبه سقوط إمبريوس بسقوط شجرة البلوط الجبلية إذ قطعها جامع الأخشاب
١٩٨-٢٠٢	حمل الثنائى أياس جثمان إمبريوس كما يحمل أسدان عنزة
٢٤١-٢٤٥	يسرع إيدومينيوس لتقديم النجدة كأنه وميض البرق الذى يرسله زيوس من فوق الأوليمبوس
٢٩٨-٣٠٥	يتسلح ميريونيس وإيدومينيوس للمعركة كأنهما آريس وابنه فوبوس (الخوف)
٣٣٤-٣٣٧	التقاء الطرواديين والإغريق مثل التقاء سحابتين من الغبار المثار
٣٨٩-٣٩٢	سقوط آسيوس الضخم مثل سقوط شجرة باسقة على تل وقد قطعها نجار السفن
٤٧٠-٤٧٧	يترقب إيدومينيوس قدوم آينياس كما يترقب الدب الوحشى الصيادين وكلابهم
٤٩١-٤٩٥	يقود آينياس شعبه كما يقود الكبش قطيعًا إلى نبع الماء

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٥٧٠-٥٧٣	يشبه صراع أداماس مع الموت بمقاومة ثور صغير للرعاة الذين شددوا القبضة عليه
٥٨٨-٥٩٢	يشبه بريق السهم فى أسلحة مينيلاؤس ببريق القش الذى تذروه المدراة
٧٠١-٧٠٨	يشبه الثنائى أياس فى تحركهما عبر الحشد دون تذبذب بثورين يجران سهم المحراث فى أرض مراحة
٧٩٥-٨٠١	تشبه الهجمة الطروادية بانطلاقة العاصفة الرعدية التى تجتاح البر والبحر
ك ١٤	
١٦-٢١	عقل نيستور يتردد بين خطتين مثل مياه البحر تظل ساكنة حتى تهب الريح فتحركها وفق هواها
٢٨٦-٢٩١	إله النوم هيبنوس يجثم على شجرة مثل بومة ليلية
٣٩٣-٤٠١	صخب المعركة بين الجيشين مثل تلاطم الموج على الشاطىء ومثل زئير غابة تحترق ومثل صفير الريح بين الأشجار
٤١٤-٤١٨	يشبه هيكتور الذى ضرب بحجر فوقع على الأرض بشجرة بلوط اقتلعت من جذورها ببلطة زيوس نفسه
ك ١٥	
٨٠-٨٣	تسرع هيرا من إيدا إلى الأوليمبوس فتشبه فى سرعتها بوجع الحنين يطرأ على قلب المسافر العائد
١٦٨-١٧٢	تسرع إيريس لتبلغ رسالة زيوس فتشبه بقطع الثلج الطائرة فى هواء ثلجى
٢٣٦-٢٣٨	يهبط أبوللون من إيدا كصقر ينقض على فريسته
٢٧١-٢٨٠	يفزع الإغريق لظهور هيكتور المفاجىء كما يفزع الصيادون عند ظهور الأسد فجأة
٣٢٣-٣٢٧	يرعب أبوللون الإغريق ويبعثرهم كما تتبعثر الأغنام عندما تباغتها الحيوانات المفترسة ليلاً

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٣٦١-٣٦٦	يدمر أبوللون الحائط الإغريقى كما يدمر طفل قصرًا كان قد بناه من الرمل على شاطىء البحر
٣٨٢-٣٨٤	يتدفق الطرواديون على الحائط الإغريقى كما تتدفق الأمواج على جانب السفينة
٤١٠-٤١٣	معركة متوازية ومتساوية بين الطرفين تشبه بقطعة من الخشب سواها النجار
٥٧٩-٥٨٩	تشبيه مزدوج ففى الجزء الأول يشبه أنتيلوخوس وهو ينقض على ميلانيبوس بكلب شرس ينقض على ظبى. وفى الجزء الثانى يشبه أنتيلوخوس المسرع تجنبًا لهيكتور بحيوان مفترس بعد أن قتل ضحيته وفر اتقاء للملاحقة
٦٠٥-٦٠٦	تشبه غضبة هيكتور بغضبة إله الحرب آريس أو بنار تلتهم أجمة على جنب التل
٦١٧-٦٣٨	مجموعة تشبيهات متتالية: هجمة هيكتور على الإغريق تشبه بزبد البحر المرتد من ظهر صخرة، وتشبه كذلك بموجة عارمة تضرب سفينة فى عاصفة، ثم تشبه بهجمة أسد على قطيع من الأغنام تهرب جميعًا فيما عدا ما قدر لها أن تقع ضحية
٦٧٩-٦٩٣	يقفز أياس على ظهر السفن الإغريقية كلاعب أكروبات ماهر يقفز من ظهر جواد إلى آخر(*)
ك١٦	
٢-١١	يؤنب أخيليوس باتروكلوس لأنه يبكى مثل طفلة صغيرة تجرى بجوار أمها ناظرة إلى أعلى بعينين مغرورقتين بالدموع لكى ترفعها أمها بين ذراعيها وتأخذها معها أنى ذهبت
١٥٦-١٦٦	تجمع الميرميدونيين مثل تجمع الذئاب، بعد قتل غزالة، حول نبع مائى لكى تروى ظمأها
٢١١-٢١٤	تماسك حشود الميرميدونيين وكثافتها مثل حائط متين البنيان
٢٥٩-٢٦٧	تدافع الميرميدونيين من سفنهم مثل الزنابير التى انطلقت من أوكارها عندما استفزها أحد الصبية

(*) من المدهش أنه تم العثور على رسم جدارى يعود لحضارة كريت المينوية ويصور مشهدًا مماثلاً.

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٢٩٧-٣٠٢	يشبه انفلات الإغريق من الطرواديين فجأة بانبلاج الضوء بين السحب
٣٥٢-٣٥٧	يهاجم قادة الإغريق الطرواديين كما تهاجم الذئاب قطعان الأغنام التى لا حارس عليها
٣٦٤-٣٦٦	يطرد الطرواديون من السفن كما يطرد الضباب من فوق جبل
٣٨٤-٣٩٣	يندفع الطرواديون فى اضطراب وخوف كما يضطرب الماء المنجرف من فوق جبل إلى البحر
٤٠٦-٤٠٩	يجر باتروكلوس ثيستور من فوق عربته كما يسحب الصياد سمكة من البحر
٤٢٨-٤٣٠	يهجم ساربيدون وباتروكلوس على كل منهما الآخر بصيحات مدوية وكأنهما صقران
٤٨٢-٤٩١	تشبيه مزدوج حيث يشبه موت ساربيدون بسقوط شجرة قطعها جامع الأخشاب، ويشبه كذلك بسقوط ثور هاجمه أسد
٥٨٢-٥٨٣	يندفع باتروكلوس إلى الأمام وكأنه صقر يهاجم سربًا من الطيور
٥٨٩-٥٩٢	يولى الطرواديون الأدبار أمام الإغريق وكأنهم سهم مقذوف
٦٣٣-٦٤٤	النزاع بين المتحاربين على جثة ساربيدون مثل النزاع بين قاطعى الأخشاب فى غابة
٧٥١-٧٧١	يتصارع هيكتور وباتروكلوس على جثة كيبريونيس كما يتصارع أسدان على جثة غزالة
٨٢٣-٨٢٨	يسقط باتروكلوس مقتولاً على يد هيكتور كما يسقط حيوان مفترس هاجمه أسد
ك١٧	
٤-٦	يدافع مينيلاؤس عن جثة باتروكلوس كما تدافع بقرة عن وليدها
٥٣-٦٩	يشبه سقوط يوفوربوس بسقوط شجرة زيتون أطاحت بها الرياح العاصفة وبثور مزقه أسد وحشى
١٠٦-١١٣	ينسحب مينيلاؤس أمام هيكتور مثل أسد يلاحقه الصيادون وكلابهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣٢-١٣٧	يحمى أياس جثة باتروكلوس كما يحمى الأسد أشباله
٢٦٣-٢٦٦	يشبه الصياح المواكب للهجمة الطروادية بزئير أمواج النهر فى تدافعها إلى البحر عند المصب
٢٨١-٢٨٥	يمزق أياس صفوف الطرواديين كما يمزق دب وحشى شمل جماعة الصيادين
٣٨٩-٣٩٥	يشبه الصراع بين الفريقين المتحاربين على جثة باتروكلوس بشد جلد الثور بين فريقين متنازعين
٤٣٤-٤٣٧	تحزن خيول أخيليوس على موت باتروكلوس فتقف ساكنة وكأنها عمود أقيم فوق مقبرة
٥٢٠-٥٢٣	يسقط أريتوس ميتًا كما يسقط ثور بضربة من فأس الجزار
٥٤٧-٥٥٢	تتشح أثينة بضباب أسود كما يتشح قوس قزح بسحابة قرمزية
٥٦٩-٥٧٣	الشجاعة التى بثتها أثينة فى مينيلاؤس تشبه جسارة ذبابة عنود
٦٥٦-٦٦٦	يتراجع مينيلاؤس كرها كأسد أنهك بعد تكرار هجمات الصيادين والكلاب عليه
٦٧٣-٦٨١	يبحث مينيلاؤس عن أنتيلوخوس بنظرات ثاقبة كصقر يبحث عن فريسته
٧٢٢-٧٥٩	مجموعة صور شعرية متتالية: يرفع الثنائى أياس جثة باتروكلوس ويبتعدان بها فيهما جمهما الطرواديون وكأنهم كلاب صيد تطارد دبًا جريحًا. ثم تشبه هجمة الطرواديين بالنيران التى اندلعت فجأة فى مدينة مكتظة بالسكان. ومن جهة أخرى يشبه حاملو جثمان باتروكلوس ببغال تجر حملاً ثقيلاً فى طريق جبلى وعر. أما أياس الذى يصد المهاجمين فهو كالصخرة التى تحول مجرى مياه جارفة. أما هجمة آينياس وهيكتور على الإغريق فمثل هجمة الحدأة على صغار الطير
ك ١٨	
١٦١-١٦٤	لا يمكن الهجوم على هيكتور، فهو كالأسد لا يمكن للرعاة أن يصدوه عن أغنامهم

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٢٠٥-٢١٤	يشبه البريق الصادر من فوق رأس أخيليوس بالشعلة من تحت الدخان المنبعث من مدينة محاصرة
٢١٩-٢٢١	صيحة أخيليوس فوق الخندق مثل صوت البوق
٣١٨-٣٢٣	حزن أخيليوس على فقدان باتروكلوس مثل حزن أسد عاد إلى عرينه فلم يجد أشباله فتيقن من اختطافها
٥٩٩-٦٠١	تشبه دائرة الرقص بعجلة صانع الفخار
ك١٩	
٣٤٩-٣٥١	يشبه هبوط أثينة من السماء بهبوط نسر من أجواز الفضاء
٣٥٧-٣٦٣	يشبه بريق خوذات المحاربين ببريق قطع الثلج الهابط من السماء
٣٧٣-٣٧٩	يشبه البريق المنبعث من درع أخيليوس بنار مشتعلة فوق الجبل
ك٢٠	
١٦٤-١٧٥	تشبه الحالة النفسية لأخيليوس وهو يتأهب لملاقاة آينياس بالأسد الذى يستنفر قواه لملاقاة الأعداء
٤٠٣-٤٠٦	يشبه زئير هيبوداماس وهو يحتضر بخوار الثور على المذبح
٤٩٠-٤٩٩	تشبيه مزدوج فأخيليوس يشبه نارًا تلتهم غابة، أما خيوله التى تدوس الموتى فهى كالثيران التى تدرس الغلال
ك٢١	
١٢-١٦	يطرد الطرواديون إلى النهر كما يطرد الجراد
٢٢-٢٦	يهرب الطرواديون أمام أخيليوس كما يهرب السمك أمام الدولفين
٢٥١-٢٦٤	يفر أخيليوس أمام إله النهر الذى يطارده بإصرار كما تفر المياه فى مجراها أثناء الرى
٣٤٦-٣٤٨	يجفف هيفايستوس إله النار الوادى كما تجفف الرياح الشمالية الكرمة أثناء الخريف
٣٦٢-٣٦٥	تغلى مياه النهر سكاماندروس كما تغلى المياه فى مرجل
٤٩٣-٤٩٦	تفر أرتميس من هيرا كما تفر حمامة من حدأة تطاردها

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٥٢٢-٥٢٥	الأسى الذى يسببه أخيليوس للطرواديين يشبه الدخان الذى ينبعث من مدينة محكوم عليها بالفناء
٥٧٣-٥٨٠	تشبه شجاعة أجينور شجاعة النمر الذى يستدير لمواجهة ملاحقيه
ك٢٢	
٢١-٣٢	يشاهد برياموس من فوق أسوار طروادة أخيليوس (وهو يطارد ابنه هيكتور) فيلمع سلاحه مثل نجم أوريون (الكلب)
٩٣-٩٧	ينتظر هيكتور هجمة أخيليوس عليه كما ينتظر ثعبان وحشى عند مدخل جحره رجلا يهاجمه
١٣١-١٤٤	يلمع سلاح أخيليوس فوق هيكتور كشعلة النار أو كإشراقة الشمس، ويجهز أخيليوس على عدوه كما ينقض الصقر على حمامة
١٥٧-١٦٦	السباق حول المدينة بين هيكتور الفار أمام ملاحقة أخيليوس مثل سباق الخيول فى سباق العربات
١٨٩-٢٠١	لازالت الملاحقة حول أسوار طروادة مستمرة فيشبه هيكتور بظبى صغير يلاحقه كلب ضارى، ثم يتبع ذلك تشبيه مأخوذ من حلم، حيث لا يستطيع الحالم أن يتبين ملامح من يجرى أمامه
٣٠٨-٣١١	يشهر هيكتور سيفه ويهجم على أخيليوس مثل صقر يهجم على ظبى صغير
٣١٧-٣٢٠	يشبه سهم أخيليوس المشهر بنجم المساء فى زهوته
ك٢٣	
٢٢٢-٢٢٥	يشبه بكاء أخيليوس على موت باتروكلوس ببكاء أب فقد ابنه
٤٣١-٤٣٣	يسبق أنتيلوخوس مينيلاؤس بقدر ما يسبق القرص من قذفه
٥١٧-٥٢٢	يقترب مينيلاؤس من أنتيلوخوس بقدر ما تقترب عجلة العربة من ذيل الحصان
٥٩٦-٦٠٠	يذوب غضب مينيلاؤس كما تذوب قطرات الندى
٦٩٢-٦٩٤	يقذف بيوريألوس كما تقذف الريح بسمكة على الشاطئ

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٧١١-٧١٣	يشبه مصارعان بعارضتين خشبيتين تستند كل منهما على الأخرى
٧٥٩-٧٦٣	يلاحق أوديسيوس منافسه فى الجرى كما تمسك امرأة مغزلها بالقرب من صدرها
٨٤٤-٨٤٧	يقذف بوليبويتيس كتلة الحديد (القرص) كما يهوى الراعى بعصاه على أغنامه.
ك ٢٤	
٤١-٤٤	يشبه اندفاع أخيليوس باندفاع أسد ضارى
٧٧-٨٢	يشبه غوص إيريس فى أعماق البحر بغوص شصية مثقلة بالرصاص فى الماء
٤٨٠-٤٨٣	ينظر أخيليوس باحترام وعطف إلى برياموس كما لو كان لاجئًا جريحًا من بلد أجنبى

تبدو بعض هذه التشبيهات وكأنها "جاهزة" وليست وليدة اللحظة، فهى مأخوذة من المخزون التقليدى الموروث. خذ على ذلك مثلا بأكثر التشبيهات شيوعًا ونعنى الأسد. فليس من الضرورى أن يرى شاعر أو منشد "الإلياذة" أسدًا، ولكنه عرف من الموروث الشفوى ماذا يفعل الأسد الجوعان أو الشبعان، وماذا يفعل عندما يهاجم الحظيرة أو يعود منها، وما رد فعله عندما يجرح أو عندما ينتصر. كلها تشبيهات جميلة وحية ولكنها تبدو مثل قطع الغيار الجاهزة، والتى يمكن أحيانًا إساءة تركيبها أو وضعها فى مكان غير ملائم [٤٠].

وتتكرر التشبيهات فى "الإلياذة" كما تتكرر الصفات[٤١]. ويتميز هوميروس بتكرار العبارات الملحمية المألوفة والموروثة التى - مع ذلك - تخلق انطباعًا بالأصالة والواقعية. فكما أن تكرار هذه العبارات والحوادث هو نتاج طبيعى لتراكم

---

(٤٠) Murray, The Rise of the Greek Epic, p. 245-9.

(٤١) عن تكرار الصفات وارتباط ذلك بالتقنية الشفوية راجع:

Paolo Vivante, The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.

وقارن أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٤١-١٠٢.

الرواية الشفوية(٤٢)، فإنه عند هوميروس بصفة عامة يعمل على طبع هذه الحوادث والعبارات فى ذهن الراوى والسامع معًا. يورد الشاعر تفصيلات كثيرة ودقيقة توحى بأن الشاعر كما لو كان يشاهد أحداثًا فعلية ومناظر طبيعية ويصفها لنا بدقة متناهية على سبيل المثال: زينة الخيول، وسلاح المحاربين، وأحداث المعارك، وسقوط الأبطال بدءًا بجراحهم وحتى انتقالهم للعالم الآخر. كما يتسم الأسلوب الملحمى النمطى عند هوميروس بالحيادية، أى أنه يترك الجمهور يحس بنفسه ولنفسه. وهذا أسلوب يدفع هذا الجمهور إلى تركيز الانتباه فى كل صغيرة وكبيرة مما يروى عليه. وهناك تشبيهات حيرت النقاد مثل ذلك التشبيه فى الكتاب الثالث عشر بيت ٧٥٤ حيث يشبه هيكتور بطل المقاومة الطروادية وقائد الهجوم على السفن الإغريقية وحرقها بأنه مثل الجبل الثلجى ! فحتى لو قلنا إنما هى إشارة للتبهور أو التدهور الجبلى المفاجىء والمدمر يظل التشبيه غريبًا.

وجدير بالذكر أن التشبيهات فى "الإلياذة" ليست سوى جزء يسير من كل أكبر، ونعنى لغة المجاز بصفة عامة. إذ تكتسب لغة المجاز فى "الإلياذة" أبعادًا أوسع وأعمق بفضل الأسطورة التى تدخل فى نسيج الملحمة شكلاً ومضمونًا. إذ نجد الأشياء مثل الأحياء تتحرك وتتفاعل مع الأحداث وتؤثر فيها. ومن ثم تأتى التشبيهات فى هذا الخضم المجازى والأسطورى متناغمة مع الجو العام. فمن الملاحظ على سبيل المثال أن الكثيرين من أبطال "الإلياذة" عندما يتحدثون يطلقون "كلمات مجنحة" **epea pteroenta** (الكتاب الأول ٢٠١، الكتاب الثالث ١٥٥، الرابع ٦٩ إلخ) وكذلك توصف السهام بأنها مجنحة (الكتاب الرابع ١١٧) فالكلمات مثل السهام فى "الإلياذة" باعتبارها أداة من أدوات الحرب الطروادية(٤٣).

---

(٤٢) **W.C. Scott, The Oral Nature of the Homeric Simile. Leiden 1974.**

(٤٣) للمزيد عن التشبيهات ولغة المجاز فى "الإلياذة" راجع:

Claude Calame, op. cit., pp. 245-73.

George Calhoun, "The Art of the Formula in Homer - ΕΠΕΑ ΠΤΕΡΟΕΝΤΑ" Ph. 30, (1935) pp. 215-27.

M.W. Edwards, Homer and Oral Tradition: The Type Scene. Oral Tradition 7 (1992), pp. 284-330.

R. Finnegan, Oral Poetry. Cambridge, 1977.

وعن تأثير التشبيهات الهومرية فى الآداب الأوروبية راجع:

G. Highet, The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature. Oxford at the Clarendon Press 1949, pp. 155 f.

سادسا: وحدة الحدث الملحمى

قبل فقهاء الإسكندرية - لاسيما زينودوتوس وأريستارخوس - بعض الأبيات فى "الإلياذة"، ورفضوا البعض الآخر على أساس أنها منتحلة. ووصلتنا الآلاف من الأبيات من "الإلياذة" الهومرية على أوراق البردى. وهناك نقول لا حصر لها فى الأعمال الأدبية الإغريقية واللاتينية. ولازالت هناك فجوات كثيرة ومشكلات عويصة فى بنية النص وقواعده النحوية، ومشكلات أكثر بالنسبة للوزن السداسى التى نظمت فيه. ولكن على القارئ أن ينسى كل تلك المشكلات وهو يقرأ الترجمة التى نقدم لها. وعليه أن ينسى أيضًا المشكلة الهومرية بكل تفاصيلها.

هناك بعض المثالب فى "الإلياذة"، أولها الموضوع أى غضبة أخيليوس كما سبق أن ألمحنا، فهى لا توفر مادة شعرية ملحمية. وما وجه الملحمية فى أخيليوس العبوس مقطب الجبين فى خيمته بعيدًا عن ميدان المعركة ؟ وشخصية أخيليوس بصفة عامة ليست تلك الشخصية التى تكسب تعاطفنا دون تحفظ. حقًا إنه بليغ فى خطابه، يثير الإعجاب بشجاعته وقوته التى لا تقهر وسرعة قدميه، ولكن معظم القراء فى الأغلب لن تجذبهم كبرياؤه القاسية وعنفه الوحشى وذاتيته المفرطة وعدم خضوعه لعاطفة الحب، يستثنى من ذلك حزنه العميق على موت صديقه الحبيب باتروكلوس، واستقباله الودود لبرياموس.

وفى "الإلياذة" توجد بعض التناقضات وبعض نقاط الضعف، فمثلاً الحائط الإغريقى قيل لنا فى نهاية الكتاب الثالث عشر إنه بنى فى السنة العاشرة من الحرب، ولكن يرد فى الكتاب نفسه بيت ٣١ أنه بنى فى بداية الحرب. ويقال فى الكتاب الثانى عشر بيت ١٠-٣٣ إنه لا يزال صامدًا وإنه ظل كذلك حتى نهاية الحرب وحتى غمره الفيضان. وعلى النقيض من ذلك يرد فى الكتاب الخامس عشر بيت ٣٦١ قبل موت باتروكلوس أن أبوللون اجتاحه، ودمره كما يدمر طفل قلعة من الرمال بناها على الشاطئ. ودمرت أبراجه فى الكتاب الثانى عشر بيت ٣٩٩. ويرد كذلك أن البطل هيكتور كان أول من اجتاحه، ويرد نفس المعنى بالنسبة لساربيدون وبنفس الكلمات (قارن الكتاب الثانى عشر ٤٣٨ و الثالث عشر ٥٥٨).

ويهاجم الطرواديون هذا الحائط فى طريقهم إلى السفن الإغريقية، أما فى انسحابهم المضطرب فلا وجود لهذا الحائط. ويبدو الأمر كما لو أن الرواية الشفوية المتداولة كانت تتضمن عدة اختيارات، وكان المنشد الملحمى يختار منها ما يشاء أو ما يتوارد على ذهنه، أى أن هذا التناقض يندرج تحت تجليات الرواية الشفوية.

تبلغ "الإلياذة" فى طبعة أكسفورد ١٥٦٩٣ بيتًا بالوزن السداسى، تتوزع على الكتب الأربعة والعشرين على النحو التالى:

الأول	٦١١	التاسع	٧١٣	السابع عشر	٧٦١
الثانى	٨٧٧	العاشر	٥٧٩	الثامن عشر	٦١٧
الثالث	٤٦١	الحادى عشر	٨٤٨	التاسع عشر	٤٢٤
الرابع	٥٤٤	الثانى عشر	٤٧١	العشرون	٥٠٣
الخامس	٩٠٩	الثالث عشر	٨٣٧	الحادى والعشرون	٦١١
السادس	٥٢٩	الرابع عشر	٥٢٢	الثانى والعشرون	٥١٥
السابع	٤٨٢	الخامس عشر	٧٤٦	الثالث والعشرون	٨٩٧
الثامن	٥٦٥	السادس عشر	٨٦٧	الرابع والعشرون	٨٠٤

ونلاحظ أن **الكتاب الأول**: بسيط وطبيعى وينقسم إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول ١-٤٣٠ عن الحرب وأسبابها. الجزء الثانى ٤٣٠-٤٩٢ فاصل زمنى تتم فى أثنائه عودة خريسئيس إلى منزلها. الجزء الثالث ٤٩٣-٦١١ تشاور بين الآلهة.

تبدأ الأحداث الملحمية "للإلياذة" فى السنة العاشرة من حصار الإغريق لطروادة. يرسل أبوللون الطاعون على الإغريق استجابة لدعوة من كاهنه خريسيس، الذى أخذت ابنته خريسئيس سبية على يد أجاممنون ملك موكيناى. ولدرء هذا الطاعون كان على أجاممنون أن يردها لأبيها، ففعل. ولكنه عوضًا عنها أخذ محظية أخيليوس وهى بريسئيس. وكان أخيليوس على وشك أن يهاجم أجاممنون، لولا أن تدخلت أثينة وكبحت جماح غضبه، فاعتزل الحرب وعكف فى خيمته. ووعد زيوس أمه الإلهة ثيتيس أن المصائب ستحيق بالإغريق بسبب الحيف فى معاملة ابنها بطل الأبطال. وأعطى السكندريون **للكتاب الأول** عنوان: " الطاعون **Loimos**" و "الغضبة **Menis**".

ويقع **الكتاب الثانى** فى جزئين رئيسين: الأول ١-٤٥٥ تفقد الجيش الآخـى، والجزء الثانى ٤٥٥-٨٧٧ قائمة السفن. إذ يرسل زيوس حلمًا إلى أجاممنون ليقنعه بقيادة الجيش إلى المعركة. ويمر أجاممنون بالفعل على القادة والجنود ويستحثهم على القتال، وعقد اجتماعًا للأمراء ثم للحشد كله وقص عليهم حلمه. ولكن ظهر أن هناك ميلاً عامًا لفك الحصار حول طروادة والعودة للوطن. ويفلح أوديسيوس واسع الحيلة فى تغيير الدفة ويوقع عقابًا مريرًا على ثيرسيتيس، الذى تجاسر على الملك أجاممنون. ويستمع الجميع لنصائح الملك الهرم والحكيم المحنك نيستور ويستعد الجميع للنزال. وفى هذا الكتاب يرد ما تعارف على تسميته "قائمة السفن" **Katalogos ton neon** (أبيات ٤٥٥-٨٧٧) وهو الجزء الذى يعتبره بعض النقاد دخيلاً أو مقحمًا على "الإلياذة". وأعطى السكندريون **للكتاب الثانى** عنوان: "الحلم **Oneiros**" و "بويوتيا أو قائمة السفن **Boiotia e Katalogos ton neon**".

ويثير الكثير من النقاد الشكوك حول "قائمة السفن" وهناك من يحذفها باعتبارها منتحلة مع مالها من تأثير ضخم فى الأجيال التالية من الشعراء. إذ نشأ ما يمكن أن نسميه أدب القوائم حيث تنسب لهيسيودوس قصيدة "قائمة النساء" على سبيل المثال وعرفت لأرسطو عدة قوائم منها قائمة بالعروض المسرحية الأثينية **(didaskaliai)** وهناك قائمة الفائزين المنتصرين فى الألعاب الأوليمبية وغيرها الكثير، ثم ازدهرت القوائم فى العصر الهيللينستى وفى الأدب السكندرى[٤٤].

---

(٤٤) أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٧ وفى أماكن أخرى متفرقة.

قائمة السفن المحاصرة لطروادة وعددها ١١٨٦

السلالة والموطن	القادة	عدد السفن
البويوتيون (٢٩ مدينة): هيريا، أولـيس، سـخوينوس، سـكولوس، إيتيونوس، ثيسبيا، جرايـا، ميكاليـسوس، هارما، إيليسيون، إريثراى، إيليون، هولى، بيتيـون، أوكاليـا، ميـديون، كوبـاى، إيوتريسيس، ثيسبى، كورونيا، هاليارتوس، بلاتايا، جليساس، هيبوثيبى، أونخيـستوس، أرنى، ميديا (Mideia)، نيسا، أنثيدون	بينيليـوس، ليئيتـوس، أركيسيلاؤس، بروثوئينـور، كلونيوس	٥٠
ميئيوس، أورخومينوس، أسبليدون	أسكالافوس، يالمينوس	٣٠
الفوكيون: كيباريسوس، بيثـون، أنيموريـا، كريـسا، داوليس، بانوبيوس، ليلايا، هيامبوليس	سنديوس، إبيستروفوس	٤٠
اللوكريون: كينـوس، أوبـوئيس، كاليـاروس، بيـسّا، سكارفى، أوجياى، تارفى، ثروينون	أياس بن أويليوس	٤٠
الأبانتيون (فى يوبويا): خالكيس، إيريتريا، هيـستيايا، كيرينثـوس، ديون، كاريستوس، سـتيرا	إليفينور	٤٠
الأثينيون: أثينا	مينيستيوس	٥٠
أهل سلاميس: سلاميس	أياس بن تيلامون	١٢
الأرجيون: أرجوس، تيـرنس، هرميـونى، أسـينى، ترويزن، إيـونيس، إبيـداوروس، أيجينـا، ماسيس	ديوميـديس، سـثينيلوس، يوريألوس	٨٠

السلالة والموطن	القادة	عدد السفن
الموكينيون: موكيناى، كورنثة، كليوناى، أورنياى، أرايثريا، سيكيون، هيبريسيا، جونوإيسا، بيلليني، أيجيون، إيجيالوس، إليكى	أجاممنون	١٠٠
اللاكيدايمونيون (الإسبرطيون): فاريس، اسبرطة، ميسّى، بريسياى، أوجياى، أميكلاى، هيلوس، لاآس، أويتيلوس	مينيلاؤس	٦٠
أهل بيلوس: بيلوس، أرينى، تريون، أيبى، كيباريسئيس، أمفيجينيا، بتيليوس، هيلوس، دوريون	نيستور	٩٠
الأركاديون: فينيوس، اورخومينوس، ريبى، ستراتيا، إنيسبى، تيجيا، مانتينيا، ستيمفالوس، باراسيا	أجابينور	٦٠
الإيبيون (إيليس): بوبراسيون، إيليس، هيرمينى، ميرسينوس، أولينيا بيترا، أليسيون	أمفيماخوس، ثالبيوس، ديوريس، بوليكسينوس	٤٠
الدوليخيون: دوليخيون، إخيناى	ميجيس	٤٠
الكيفالينيون: إيثاكى، نيريتوس، كروكيليا، أيجيليبس، زاكينثوس، ساموس	أوديسيوس	١٢
الأيتوليون: بليورون، أولينوس، بيلينى، خالكيس، كاليدون	ثوأس	٤٠
الكريتيون: كنوسوس، جورتيس، ليكتوس، ميليتوس، ليكاستوس، فايستوس، ريتيون	إيدومينيوس، ميريونيس	٨٠
الرودسيون (الروديون): رودس، ليندوس، إيليسوس، كاميروس	تليبوليموس	٩

السلالة والموطن	القادة	عدد السفن
السيميون Symioi: سيمى	نيريوس **Nireus**	٣
أهل الجزر الاثنى عشر Dodekanesioi: نيسيروس، كراباثوس، كاسوس، كوس، جزر كاليدناى	فيديبوس، أنتيفوس	٣٠
الميرميدونيون: أرجوس البلاسجية، هالوس، ألوبى، تريخيس	أخيليوس	٥٠
فيلاكى، بيراسوس، إيتون، أنترون، بتيليوس	بروتيسيلاؤس	٤٠
فيراى، بويبى، جلافيراى، ياأولكوس	يوميلوس	١١
ميثونى، ثوماكيا، ميليبويا، أوليزون	فيلوكتيتيس (ميدون)	٧
تريكى، إيثومى، أويخاليا	ماخاؤن، بوداليريوس	٣٠
أورمينيون، هيبرياكرينى، أستيريون، تيتانوس	يوريبيلوس	٤٠
أرجيسا، جيرتونى، أورثى، إيلونى، أولوؤسون	بوليبويتيس، ليونتيوس	٤٠
الإينيون Enienes = البيرايبيون :Perraiboi كيفوس، دودونى، منطقة تيتاريسيون	جونيوس	٢٢
الماجنيتيون: بيليون، منطقة بينيون	بروثؤس	٤٠

ومن الملاحظ لأول وهلة فى هذه القائمة أنها تشمل كافة أنحاء بلاد الإغريق مما أيد شكوك البعض، حيث قالوا إنها من وضع الأجيال المتتالية حيث حاولت كل سلالة أن تضيف اسمها إلى هذه القائمة. وهل هى حرب "قومية" ضد "قومية" أخرى ؟ وهل كان الإغريق آنذاك ينتظمون فى قومية واحدة ؟ هذه الأسئلة وغيرها

الكثير تثار حول "قائمة السفن". وتذكرنا بالسؤال المطروح سلفًا من هو الآخر في "الإلياذة"؟

ويستعد الجيشان في **الكتاب الثالث** للالتحام، ولكن هيكتور يقترح تفادي إسالة الدماء بمنازلة فردية بين كل من باريس ومينيلاؤس، بحيث تحسم نتيجة هذه المبارزة الحرب نهائيًا. وتم الاتفاق على ذلك ودعت إيريس هيليني لمشاهدة هذه المبارزة بين باريس الذي خطفها وتقيم معه الآن في طروادة زوجة من جهة، ومينيلاؤس زوجها السابق الذي جاء مع الجيش الإغريقي ليستردها من جهة أخرى. وجلست هيليني مع بریاموس ملك طروادة وشيوخها وأمرائها يشاهدون المبارزة من فوق أسوار المدينة. ويستفسر بریاموس منها عن قادة الإغريق واحدًا بعد الآخر. وتشرح هيليني له كل ما يتصل بهم وبمدنهم فيما يشبه استكمالاً لقائمة السفن في الكتاب السابق. ويُهزم باريس وتنقذه أفروديتي من الهلاك المحقق فتلفه في سحابة وتحمله إلى القصر حيث تستدعي هيليني لكي ترعاه وتضمد جروحه. ويطالب أجاممنون الطرواديين بإرجاع هيليني وفقًا لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين. وأعطى السكندريون **للكتاب الثالث** عنوان: " الهدنة، القسم أو العهود **Orkoi**، مبارزة باريس ومينيلاؤس **Paridos kai Menelaou monomachia**، النظر أو المشاهدة من فوق الأسوار **Teichoskopia**".

وفي **الكتاب الرابع يعقد** الآلهة مجلسهم للتشاور، وفي نهايته يرسل زيوس أثينة من السماء لكسر الهدنة بين الطرفين المتحاربين حول طروادة. فتغري بانداروس لكي يصوب سهمًا إلى مينيلاؤس، فيصيبه بالفعل ويحدث به جرحًا فيعالجه الطبيب ماخاؤن. ويهاجم الطرواديون الإغريق الذين يقود أجاممنون حشودهم ويستحث أمراءهم ويلتحم الجيشان، ويقع الكثيرون من الطرفين موتى وجرحى.

وفي هذا الكتاب يرد حديث مطول عن عبادة التوأم كاستور وبوليديوكيس (أبيات ٢٣٦-٢٤٤). ويربط بعض الدارسين بين فكرة التوأم الإلهي المذكر بعبادة التوأم الإلهي المؤنث ويشيرون بصفة خاصة لهيليني وكليتمنسترا ابنتي ليدا .

وكانت هيلينى[٤٥] قد وصفت فى الكتاب الثالث بيت ٤٢٦ على أنها "بنت زيوس لابس الدرع أيجيس"، مما يشى بأن هاتين الأختين كانتا فى الأصل بمثابة "توأم إلهى". وأعطى السكندريون **للكتاب الرابع** عنوان: "كسر الهدنة **Orkion synchvsis** وجولة أجاممنون التفقدية **Agamemnonos epipolesis**".

وفى **الكتاب الخامس** يتمكن ديوميديس بمساعدة أثينة بالاس من إلحاق هزيمة فادحة بالطرواديين، فيجرحه بانداروس وتداويه أثينة وتحذره من الدخول فى نزاع ضد القوى الإلهية فيما عدا أفروديتى. فيدخل آينياس المعركة وتتعرض حياته للخطر فتنقذه أمه أفروديتى التى أصابها ديوميديس بجرح دامى. فيسرع أبوللون لمساعدتها ويتم نقل آينياس إلى داخل طروادة لعلاجه. ثم يعود لساحة الوغى التى تشهد مقتل العديد من المحاربين. وبينهم تليبوليموس. وتدفع أثينة باللاس ديوميديس لمهاجمة آريس إله الحرب الذى يصاب بالجروح فينقل إلى السماء. وأعطى السكندريون **للكتاب الخامس** عنوان: "بطولات ديوميديس **Diomedous aristeia**"[٤٦].

يقرر الآلهة فى **الكتاب السادس** ترك ميدان الحرب وعدم التدخل لصالح أى طرف من الطرفين، فترجح كفة الإغريق. وفى الجانب الطروادى يأمر هيلينوس العراف هيكتور أن يعود إلى المدينة ويقوم بطقوس معينة يتضرع بها إلى أثينة أن تسحب ديوميديس من ساحة الوغى. ويتأهب كل من ديوميديس وجلاوكوس الليكى للمنازلة. وقبل أن يلتحما يكتشفان أنهما صديقان بالوراثة فينصرف كل منهما عن

---

(٤٥) يبدو أن اسم "هيلينى" نفسه ليس إغريقيا صميما – كما هو الحال بالنسبة للكثير من اسماء الآلهة والإلهات والأبطال فى الأساطير الإغريقية – وهناك دلائل كثيرة على أن هيلينى كانت فى الأصل إلهة ترتبط عبادتها بفكرة الخضرة والخصوبة فى الطبيعة. وعرفت هكذا فى بلاد الإغريق فيما قبل الغزو الدورى. وتعد من الأمثلة القليلة فى الأساطير الإغريقية على نزول قوة إلهية من مرتبة الألوهية إلى مرتبة البشر العادية أو على الأقل إلى مرتبة الأبطال. كانت هيلينى فى الأصل تعبد بوصفها إلهة حامية للأشجار وتحمل لقب "ربة الشجر" **Dendritis**. وقيل إن شجرة ما فى إسبرطة كانت تسمى "شجرة هيلينى" المقدسة. هذا وهناك رواية أسطورية أخرى تقول إن نهاية هيلينى كانت عنيفة، إذ شنقت فوق شجرة تماما كما حدث بالنسبة للخادمات الخائنات فى قصر أوديسيوس فى "الأوديسية". وربطت الأساطير كذلك هيلينى بالطيور، فقيل إن زيوس أباها كان قد تنكر فى هيئة طائر البجع ليتصل بأمها ليدا. وقيل فى رواية أخرى إن هيلينى ولدت من بيضة. ولما كانت الحضارة المينوية فى كريت مليئة بشخصيات إلهية على هيئة الطيور، فإن ذلك قد يشى بأن هيلينى جاءت إلى بلاد الإغريق عبر كريت من بلاد الشرق وتراثه الأسطورى العريق.

(٤٦) **Alberto Camerotto, op. cit., pp. 263-308.**
وقارن حاشية رقم ٢٦ التى سبقت.

الآخر فى مودة. وفى أثناء وجود هيكتور بالمدينة يعرج على أخيه باريس ويأمره بالعودة للقتال كما يفعل الرجال تاركًا أحضان هيلينى(٤٧). ويودع هيكتور زوجته أندروماخى وداعًا حارًا وهو فى طريقه إلى المعركة. وأعطى السكندريون **للكتاب السادس** عنوان: "لقاء (هيكتور) وأندروماخى **Andromaches omilia**".

ويركز هوميروس انتباهه فى **الكتاب السابع** على المعركة بين أياس وهيكتور. فى البداية تنزل أثينة من قمة الأوليمبوس منزعجة وتلتقى بأبوللون عند بوابة سكاياى الطروادية. ويتفقان على أن تتأجل المعركة العامة، وأن ينازل هيكتور أحد أبطال الإغريق فى مبارزة فردية تحسم الحرب. ويتم ضرب القرعة بالفعل ويكون من نصيب أياس ملاقاة هيكتور. ويلتحم البطلان ويسفر اللقاء عن نتيجة غير محسومة، فينصرف كل إلى مواطنيه. وينصح نيستور الإغريق بدفن قتلاهم وتحصين معسكرهم. وفى مجلس للأمراء الطرواديين يقترح أنتينور إعادة هيلينى للإغريق وإنهاء الحرب، فيرفض باريس. ويتفق الطرفان، الإغريق والطرواديون، على عقد هدنة لدفن القتلى. ويقضى الجيشان الليل فى مرح وولائم، ولا يعكر الصفو فى الجانب الطروادى سوى صواعق زيوس ورعوده. وأعطى السكندريون **للكتاب السابع** عنوان: "مبارزة هيكتور وأياس" **Hektoros kai Aiantos monomachia** و "دفن الموتى" **Nekron anairesis**".

يجمع زيوس كافة الآلهة فوق الأوليمبوس فى **الكتاب الثامن** ويأمرهم متوعدًا ومهددًا بألا يتدخلوا فى سير الحرب مع هذا الطرف أو ذاك. وينزل زيوس من السماء إلى قمة جبل إيدا المطل على منطقة طروادة بأكملها. ويمنح الطرواديين بعض المزايا، إذ يزعج الإغريق بصواعقه ورعوده. ويدخل نيستور الملك المسن غمار المعركة بمفرده ويصمد، إلا أنه فى النهاية يتعرض لخطر حقيقى لولا تدخل ديوميديس البطل القوى لإنقاذه. وتحاول هيرا عبثًا أن تغرى بوسيدون بعصيان أوامر زيوس والتدخل لمعاونة الإغريق. ويدخل تيوكروس المعركة ويحقق بعض الإنجازات الكبيرة، إلا أن هيكتور يصيبه بجرح خطير فينقل بعيدًا عن ساحة القتال. وعندما تتأهب كل من هيرا وأثينة لتقديم العون للإغريق ينهرهما زيوس فى رسالة تبلغها لهما إيريس. وأعطى السكندريون **للكتاب الثامن** عنوان: "انقطاع

---

(٤٧) **Ann C. Suter, Paris/Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization. Ph.D. diss., Princeton University 1984.**

الآلهة عن المعركة أو "سيف المعركة المبتور" **Kolos maches**"[٤٨].

ويروى **الكتاب التاسع** كيف أن أجاممنون، الذى شعر بالخزى إزاء تقهقر الإغريق، عرض الآن على أتباعه العودة للوطن. فيعترض عليه بشدة كل من ديوميديس ونيستور. ويعقد مجلس تشاورى حول الموقف، ويقترح نيستور إرسال وفد إلى أخيليوس على أمل أن يلين ويعود إلى المعركة ضد الأعداء. ويتكون الوفد من أوديسيوس وأياس والشيخ المسن فوينيكس[٤٩]. ويتحرك الوفد ليلاً قاصدًا خيمة أخيليوس، الذى يستقبلهم بحفاوة بالغة، فيبلغونه رسالة الجيش الإغريقى وكيف أن أجاممنون يعرض أن يصلح أخطاءه بما فى ذلك إرجاع بريسئيس إلى أخيليوس. ولكن الأخير يرفض العرض ويحتفظ بفوينيكس فى خيمته، فى حين يعود أوديسيوس وأياس وقد خاب سعيهما. ويسلم الجميع أنفسهم للنوم. وأعطى السكندريون **للكتاب التاسع** عنوان: "وفد إلى أخيليوس" **"Presbeia pros Achillea"**.

ويتألم أجاممنون فى **الكتاب العاشر** لفشل الوفد فى إقناع أخيليوس بالعودة للحرب. ولم يذق طعم النوم طوال الليل ويمر بالمعسكر ويوقظ القادة ويعقد مجلسًا للحرب يقرر فيه إرسال جواسيس لاستكشاف ما يجرى فى معسكر الأعداء. ويقع الاختيار على أوديسيوس وديوميديس للقيام بهذه المهمة الصعبة. فيصادفان فى الطريق محاربًا طرواديًا هو دولون، الذى أرسله هيكتور لنفس الغرض. فأجبراه على الإدلاء بالمعلومات التى يرغبان فيها وقتلاه. ووصلا إلى حيث معسكر الطراقيين حلفاء الطرواديين، فقتلا قائدهم ومليكهم ريسوس وآخرين كثيرين، وسلبا خيول هذا الملك الشهيرة، وعادا إلى المعسكر الإغريقى سالمين غانمين.

ويشكك فقهاء كثيرون فى هذه الحادثة، بل وفى الكتاب العاشر برمته

---

(٤٨) حرفيًا السيف المبتور أو ما يبقى من الذيل أو القرن بعد بتره.

(٤٩) بطريقة أو بأخرى يذكرنا هذا الاسم بالفينيقيين والأصول الشرقية للملاحم الهومرية. ولقد عرفت الأسطورة الإغريقية شخصيتين بهذا الاسم. الأول هو المعنى هنا أى ابن أمينتور ملك هيلاس (القديمة) دب الخلاف بينه وبين أبيه الذى اتخذ عشيقة على زوجه الغيور أم فوينيكس، فأغرت الأخيرة ابنها بإغواء عشيقة الأب، وبذلك تخلصت منها. ولكن الأب الأشيب دعا على ابنه بعدم الإنجاب. ذهب فوينيكس إلى فثيا، وصار مربيًا لأخيليوس. واتبع يوريبيديس فى مسرحيته المفقودة "فوينيكس" الرواية القائلة بأن أمينتور فقأ عينى ابنه فوينيكس فعالجه خيرون. أما فوينيكس الآخر فهو شقيق كادموس والذى أرسل مثله للبحث عن أختهما يوروبى (يوروبا). ولما لم يجداها لم يعد إلى صور وإنما أسس السلالة الفينيقية.
وعن شخصية فوينيكس فى "الإلياذة" راجع: **Andreou I. Boskou, op. cit., passim** وقارن أعلاه حاشية رقم ٢٧.

ويعتبرونه مقحمًا على "الإلياذة" أى منتحلاً. وأول من أثار هذه المشكلة يوستاثيوس **Eustathios** فقيه القرن الثانى عشر الميلادى، حيث قال فى تعليقه على ملحمة هوميروس إن هذا الكتاب قد أضيف إلى "الإلياذة" على يد بيسيستراتوس طاغية أثينا فى القرن السادس ق.م. ويسخر كثير من الدارسين من حادثة دولون على اعتبار أنها هزلية(٥٠) صارخة لا تتواءم مع الروح الهومرية الصارمة والجو الملحمى العام. فمحاربان قويان ومرعبان يأسران ويقتلان شخصًا رعديدًا. ولكن نقادًا آخرين كثيرين يرون فى هذه الحادثة براعة فنية، إذ جاءت بعد هزيمة الإغريق الفادحة ويأسهم، وهذا ما تم التركيز عليه فى نهاية الكتاب السابق أى التاسع. وأعطى السكندريون **للكتاب العاشر** عنوان: "قتل دولون" **Doloneia** و "تضرعات" **Litai**.

ويواصل هوميروس الخط نفسه فى **الكتاب الحادى عشر** حيث يقود أجاممنون جيشه فى المعركة، فيطارد الطرواديين أمامه، ولاسيما أن زيوس كان قد أمر هيكتور بالانسحاب من المعركة إلى حين يصاب أجاممنون بجرح. ولما وقع ذلك بالفعل عاد هيكتور للقتال، فتصدى لهجمته إلى حين كل من أوديسيوس وديوميديس، ولكن بعد إصابة الأخير صار أوديسيوس وحيدًا ومعرضًا لخطر محقق. فيتدخل مينيلاؤس وأياس وينقذاه.

ويتعرض ماخاؤن الطبيب للإصابة على يد باريس، فيحمله نيستور بعيدًا عن ساحة القتال. ويهجم هيكتور على أياس الذى يظهر بسالة نادرة. ويأتى باتروكلوس صديق أخيليوس الحبيب للسؤال عن ماخاؤن بأمر من أخيليوس نفسه. فيزور نيستور الذى يفصل القول فى بطولاته أيام الشباب، ولكنه يشرح لباتروكلوس مأزق الإغريق المؤسف فى الوقت الراهن. وأعطى السكندريون **للكتاب الحادى عشر** عنوان: "بطولات أجاممنون **Agamemnonos aristeia**".

يتراجع الإغريق إلى داخل تحصيناتهم فى **الكتاب الثانى عشر** ويحاول هيكتور أن يستدرجهم إلى خارجها، ولكن الخندق المحفور يقف حائلاً أمام عبور

(٥٠) لاحظ النقاد وجود عناصر كوميدية فى الملاحم الهومرية ولاسيما "الإلياذة" فإلى جانب العنصر الذى تتحدث عنه هناك "خدعة هيرا" فى الكتاب الرابع عشر وراجع:

Andreas G. Katsoures, Omerika Schemata Komodias. University Studio Press. Thessaloniki 1998, passim.

العربات الطروادية. ويبدأ الطرواديون فى هجوم على الأقدام. وفجأة يظهر فى السماء نسر يحمل ثعبانًا بين مخالبه ويأتى على يسار الطرواديين، فيؤخذ على أنه نذير شؤم. وبعد محاولات متكررة يفلح الطرواديون بقيادة ساربيدون فى اقتحام تحصينات الإغريق. ويدخل هيكتور المعسكر عنوة ويرغم الإغريق على الهروب إلى سفنهم. وأعطى السكندريون **للكتاب الثانى عشر** عنوان: "معركة الحائط" (الإغريقى) "**Teichomachia**".

فى **الكتاب الثالث عشر** انشغل زيوس عن وادى طروادة، فانتهز بوسيدون الفرصة واتخذ هيئة العراف كالخاس وزرع الحماس والإحساس بالقوة فى قلوب الإغريق، حتى إنهم نجحوا فى إيقاف الهجمة الطروادية. وبرزت الأعمال البطولية التى قام بها إيدومينيوس الكريتى، ولكنه ينسحب أمام آينياس وديفوبوس الطرواديين. وبعد جهود قتالية خارقة من الجانبين تقهقر الطرواديون فى الجانب الأيسر، وإن ظل هيكتور صامدًا أمام الثنائى أياس. وفى النهاية ينعقد مجلس حرب إغريقى بتوصية من بوليداماس، ويعقد هيكتور اجتماعًا على الجانب الطروادى يوبخ فيه باريس ويسرعان معًا إلى وسط الجبهة، حيث يتحدى أياس البطل الطروادى هيكتور. وأعطى السكندريون **للكتاب الثالث عشر** عنوان: "المعركة فوق السفن **Mache epí tais nausin**".

وكان نيستور فى **الكتاب الرابع عشر** يتناول الطعام مع ماخاؤن عندما سمع ضوضاء بالخارج، فهرع إلى حيث وجد أجاممنون بصحبة أوديسيوس وديوميديس. وحاول ثلاثتهم على الرغم من جروحهم أن يبثوا الشجاعة والبسالة فى قلوب أفراد الجيش الإغريقى. وفى تلك الأثناء حاكت هيرا مليكة السماء خطة خداع تستولى بها على زيوس، فأخذت الحزام السحرى من أفروديتى، وطلبت مساعدة إله النوم هيبنوس، واستدرجت زيوس للنوم فوق جبل إيدا. وعندما علم بوسيدون بذلك حث الإغريق على إشعال نار معركة فاصلة. وواجه هيكتور أياس فجرح الأول وحمل بعيدًا عن المعركة إلى داخل طروادة، وطرد الطرواديون إلى الخلف إلى ماوراء التحصينات الإغريقية. وأعطى السكندريون **للكتاب الرابع عشر** عنوان: "مخادعة زيوس" أو "التحايل على زيوس **Dios apate**".

ولم يستيقظ زيوس كبير الآلهة المخدوع من نومه اللذيذ إلا فى **الكتاب الخامس عشر** حيث يعاتب هيرا ويؤنبها، فتلجأ إلى مجمع الآلهة وتحاول تأليبهم

ضد زوجها زيوس. فتحرض آريس وتصل به إلى حد جنون الغضب. أما أثينة فتحاول أن تهدئ من غضبه. ويطيع كل من أبوللون وإيريس أوامر والدهما زيوس فتطلب هيرا من بوسيدون أن ينسحب من أرض المعركة الطروادية فينصاع كارهًا مرغمًا. وبأمر من زيوس يحاول أبوللون أن يقوى من عزيمة هيكتور، ومن ثم تدب الروح فى الجيش الطروادى الذى يجدد ويشدد الضغط على السفن الإغريقية التى يدافع عنها أياس ببسالة. وعندما يشعر باتروكلوس بالانزعاج لموقف الجيش الإغريقى الحرج يحاول أن يقنع أخيليوس بالعودة للقتال. وفى تلك الأثناء يحمل الطرواديون المشاعل ويشعلون النار فى السفن الإغريقية. وأعطى السكندريون **للكتاب الخامس عشر** عنوان: "صد (الطرواديين) عن السفن **Palioxis para ton neon**".

أما ما يجرى فى **الكتاب السادس عشر** فيعد نقطة تحول أساسية فى الحدث الملحمى "للإلياذة". فهو يتعلق بالمحور الذى حوله تدور كل الأحداث والأحاديث بالملحمة. إذ إن تحولاً مصيريًا سيطرأ على الملابسات المحيطة بالبطل أخيليوس. وذلك حين يتدخل باتروكلوس الصديق الحبيب لإنقاذ الإغريق من المأزق الحرج. فيعطيه أخيليوس أسلحته ليحارب بها، وبموته يزول غضب أخيليوس ضد أجاممنون أو ينسى فى خضم الحزن العارم لفقده، ويبدأ الحدث الملحمى مساره نحو النهاية. يصور الكتاب بسالة باتروكلوس الذى قتل ساربيدون بن زيوس نفسه، وطرد الطرواديين من السفن ولاحقهم حتى داخل المدينة ناسيًا نصيحة أخيليوس ألا يفعل ذلك. فيضعفه أبوللون ويجرحه يوفوربوس، وفى النهاية يقتله هيكتور، ويجرده من سلاحه وهو فى الأصل سلاح أخيليوس الذى لا يقهر.

وقد يذهل القارئ وهو يطالع هذا الكتاب، فيقول إن هذا أروع كتاب فى "الإلياذة"، ولا أريد أن أحول بين القارئ الكريم والتعبير عن رد فعله الطبيعى والواعى، ولكننى فقط أنبهه أن كتبًا أخرى (سابقة ولاحقة فى "الإلياذة") قد انتزعت مثل هذه العبارة من أفواه نقاد ذوى فطنة وحنكة. وأعطى السكندريون **للكتاب السادس عشر** عنوان: "مقتل باتروكلوس **Patrokleia**".

ويدافع مينيلاؤس عن جثة باتروكلوس فى **الكتاب السابع عشر** ويقتل يوفوربوس الذى يتعرض له. ويعوق كل من مينيلاؤس وأياس تقدم هيكتور، الذى يجدد المعركة بعد أن ارتدى أسلحة باتروكلوس التى هى فى الأصل

– كما ألمحنا – أسلحة أخيليوس. وتبكى خيول باتروكلوس موت صاحبها. وفى نفس الوقت ينجح أوتوميدون فى الفرار بعربة أخيليوس على الرغم من محاولات آينياس وهيكتور المستميتة للاحتفاظ بها. ويلف زيوس جثة باتروكلوس فى غلالة من الضباب الكثيف. واستجابة لتضرعات أياس يبدد زيوس الضباب ليتمكن المحاربون من الالتحام فى وضح النهار. ويرسل مينيلاؤس أنتيلوخوس إلى أخيليوس ليخبره بموت باتروكلوس. فيعود بطل الأبطال إلى أرض المعركة بصحبة ميريونيس. ويعاونه الثنائى أياس فى العودة بجثمان باتروكلوس إلى السفن. وأعطى السكندريون **للكتاب السابع عشر** عنوان: "بطولات مينيلاؤس **Menelaou aristeia**".

وينقسم **الكتاب الثامن عشر** إلى جزءين رئيسين. الأول هو تأثير موت باتروكلوس على قلب أخيليوس(٥١). أما الجزء الثانى فيدور حول ملابسات صنع هيفايستوس إله النار والحدادة سلاحًا جديدًا لأخيليوس. والعنصر الرابط بين الجزئين هو تدخل الإلهة ثيتيس أم أخيليوس فى الجزءين. فعند سماع أخيليوس نبأ قتل باتروكلوس فى المعركة صرخ صرخة مدوية سمعتها أمه فى أعماق البحر فهرعت إليه تواسيه. وفى الوقت نفسه استعرت المعركة بين الطرفين حول جثمان باتروكلوس. وبأمر من هيرا ظهرت إيريس لأخيليوس تطلب منه الظهور فى الميدان لحسم الموقف. ويعقد الطرواديون مجلسًا حربيًا ويقررون الأخذ بتوصية هيكتور أى الصمود فى المعركة. ويبكى أخيليوس صديقه الحبيب باتروكلوس. وأخيرًا تسرع ثيتيس إلى إله النار والحدادة هيفايستوس وتقنعه بصنع سلاح جديد لابنها. ونرى دقائق مهارة الصناعة الإلهية التى يقوم بها هيفايستوس. ويعتبر النقاد وصف درع أخيليوس الجديد إحدى روائع هوميروس فى "الإلياذة" من حيث الشكل والبناء العام والتدفق الشعرى. فالعناصر الزخرفية لهذا الدرع تعكس طبيعة الفن الذى عاصره الشاعر ورآه بعينيه، ولكن كثرة الصور الشعرية والعناية الفائقة بها تتعدى كل ما وصلنا من فنون تلك الفترة. ومن ثم فعلينا أن نلجأ للخيال المبدع والتصور الأسطورى المرتبط بصناعة إله الصناعة. والخطة العامة لهذا الزخرف هى وجود مساحة مركزية تمثل الكون تحيط بها أربعة مجموعات. المجموعتان

---

(٥١) عن طبيعة العلاقة بين أخيليوس وباتروكلوس راجع:
W. M. Clarke, "Achilles and Patroclus in Love", Hermes 106 (1978) pp. 381-95.

الداخليتان تتقسمان بدورهما إلى ستة موضوعات. أما المجموعتان الخارجيتان فتصوران على التوالى رقصة جماعية والأوكيانوس (المحيط) الذى يحيط بكل شيء. علمًا بأن المناظر الداخلية مأخوذة كلها من الحياة اليومية.

ومثل هذا الترتيب الزخرفى يتشابه مع ما وجد على آنية فينيقية عثر على بعضها فى قبرص وبعضها الآخر فى إيطاليا. ومع أن الأثريين لا يعودون بها إلى أكثر من القرن السادس ق.م بيد أنها تعكس أسلوبًا فنيًا أقدم. وحتى موضوعات الزخرفة على الدرع نجد لها ما يقابلها على الآنية الفينيقية، إلا أن الخيال المبدع لهذا الزخرف إنما يعكس الروح الإغريقية بلا جدال. وهذه كلها عناصر يستند إليها من ينادون بالأصول الشرقية "لإلياذة" هوميروس كما سبق أن ألمحنا.

ومع ذلك فجدير بالملاحظة أن الزخرف على درع أخيليوس يمثل الكون والحياة الجارية فى أرجائه. وتبلغ دقة الوصف حدًا مذهلاً، مما يجعلنا نشعر وكأننا نلامس الواقع، حتى إن كل ما وصلنا من فنون عصر هوميروس وتمتلىء به المتاحف يبدو وكأنه شذرات من ذلك الإبداع الهومرى(٥٢).

ولقد أثارت زخرفة "درع أخيليوس" الكثير من الجدل والمناقشة فى كتب التاريخ والأدب والفن. صنع الدرع من خمس طبقات جلدية تغطيها طبقة برونزية مطعمة بأربعة معادن أخرى. يمثل الإطار الخارجى الأوكيانوس أى المحيط، أما المساحة المركزية فتضم الأرض والأجرام السماوية. أما المشاهد الأخرى فهى كما يلى:

١. حفلة زفاف: أبيات ٤٩٠ – ٤٩٦
٢. مشهد قتل: أبيات ٤٩٧– ٥٠٨
٣. الحصار: أبيات ٥٠٩ – ٥١٢
٤. الهجمة على مدينة محاصرة: أبيات ٥١٣ – ٥٤٠
٥. حرث الحقول: أبيات ٥٤١ – ٥٤٩
٦. الحصاد: أبيات ٥٥٠ – ٥٦٠
٧. جنى الكروم: أبيات ٥٦١ – ٥٧٢

(٥٢) R.R. Hardie, "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles" JHS 105 (1985) pp. 11-31.

٨. الأسود تهاجم قطعان الماشية: أبيات ٥٧٣ – ٥٨٦
٩. حظائر الأغنام: أبيات ٥٨٧ – ٥٨٩
١٠. الرقص: أبيات ٥٩٠ – ٦٠٦

وأعطى السكندريون **للكتاب الثامن عشر** عنوان: "صنع أسلحة (أخيليوس) Hoplopoiia".

في **الكتاب التاسع عشر** تحمل ثيتيس الدرع الجديد الذى صنعه هيفايستوس بإتقان شديد إلى ابنها أخيليوس وتأمره بأن يعقد اجتماعًا للجيش ويعلن تخليه عن الغضب ضد أجاممنون. وبالفعل يتم عقد الصلح بين القطبين الرئيسين أمام الحشد الإغريقى. ويعبر أخيليوس عن رغبته الجامحة فى النزول إلى ساحة القتال، فينصحه أوديسيوس بالتمهل ريثما يتمكن أفراد الجيش من أخذ كفايتهم من الطعام والشراب. وتحمل الهدايا التى كان أجاممنون قد وعد بها إلى خيمة أخيليوس، بما فى ذلك بريسئيس التى تبكى باتروكلوس بمرارة عندما علمت بموته. ويمسك أخيليوس عن الطعام والشراب حزنًا على صديقه الحبيب. ولكن أثينة بأمر من زيوس تشبعه بالطعام الإلهى الأمبروسيا. ويتسلح أخيليوس استعدادًا للمعركة، وعندما توضع الخيول فى عربته يتحدث الحصان كسانثوس بصوت بشرى، ويتنبأ بمصير أخيليوس الحزين، ومع ذلك يندفع البطل للقتال فى جموح وجنون وهو على يقين من أنه بقتله هيكتور يقترب من نهايته المحتومة. فالبطولة فى الفكر الإغريقى تدمر نفسها بنفسها.

وقد أثار حديث الحصان كسانثوس قريحة الكثيرين من الأدباء والشعراء والنقاد المحدثين، ولاسيما أن أخيليوس دخل فى حوار مع صاحبه. وتدور أغلب التعليقات حول العبقرية الهومرية فى بناء الشخصية والحدث الملحميين. فنحن على وشك أن نشاهد أخيليوس ينفجر غضبًا وجنونًا وقتلاً فى أعدائه. لقد أفقده الحزن على موت صديقه الحبيب القدرة على التحكم فى غضبه الجنونى، فانفلت الزمام من يده ووصل إلى حد القسوة والوحشية. وتخف حدة هذا العنف الدموى وتتزيا بزى مأساوى قشيب عندما نتذكر ما قاله كسانثوس له – وما قالته أمه ثيتيس أيضًا – من أنه يرسل قتلاه إلى هاديس مبشرين بقدومه هو أيضًا إلى نفس المصير. فكل فعل عنيف يرتكبه أخيليوس هو خطوة مؤكدة نحو موته. إنه بعبارة أخرى بشر فانٍ يقتل بشرًا فانين، وسيأتى موته عما قريب، مما يجعل من غضبه وجنونه أفعالاً مأساوية،

ولاسيما أنه هو نفسه يشعر بذلك فى أعماقه. فكلما اشتد غضبه وجنونه اقترب من مصيره المحتوم أى الموت، وتلك هى نواة المأساة البشرية وذروتها فى آن واحد. وجدير بالذكر أن هوميروس يعمد إلى هذا التصوير المأساوى للأحداث والشخصيات ويبرزه كلما سنحت له الفرصة، فهو القائل فى الكتاب السادس عشر (بيت ٦٩٢-٦٩٣) تعليقًا على عربدة باتروكلوس فى قتل الطرواديين:

فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير يا باتروكلوس،

عندما كانت الآلهة تناديك إلى الموت".

جاء ذلك عندما بلغ باتروكلوس أقصى النصر والنشوة بقتل الأعداء، وبذلك يسبق هوميروس كتاب التراجيديا فى تصوير المأساة الإنسانية، التى نحياها جميعًا نحن البشر. ولعلنا هنا نفهم ما قاله أيسخولوس خالق التراجيديا الإغريقية فى عبارة شهيرة، إذ نسب إليه القول "ما مسرحياتى إلا فتات مائدة هوميروس الحافلة"[٥٣]. وأعطى السكندريون **للكتاب التاسع عشر** عنوان: "التخلى عن الغضبة **Menidos aporresis**".

ويواصل **الكتاب العشرون** تعميق المأساة. فبعد عودة أخيليوس للمعركة يعقد زيوس مجلسًا للآلهة ويسمح لهم بالمشاركة فى الحرب. فيتوجهون إلى ساحة القتال بعضهم يقف مع الإغريق، والبعض الآخر مع الطرواديين. يستحث أبوللون آينياس أن يواجه أخيليوس، ويبتعد الآلهة قليلاً لمشاهدة اللقاء. ويلتحم أخيليوس وآينياس الذى ينقذه بوسيدون بأعجوبة من الموت. ويهاجم أخيليوس بشراسة الطرواديين وكاد أن يفتك بهيكتور نفسه. وكان الأخير قد اشتعل غضبًا لموت أخيه الأصغر بوليدوروس. ولم ينقذ هيكتور سوى أبوللون الذى لفه فى سحابة ورفعه بعيدًا عن ساحة الوغى. ويواصل أخيليوس الفتك بالطرواديين. وأعطى السكندريون **للكتاب العشرين** عنوان: "المعركة بين الآلهة **Theomachia**".

ويرتفع بنا هوميروس فى **الكتاب الحادى والعشرين** إلى آفاق كونية عليا، حيث يصور معركة أخيليوس مع إله النهر سكاماندروس (يعرف هنا النهر فى

---

(٥٣) أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٢٤٩-٣٠٢. وعن مفهوم البطولة فى الأدب الإغريقى راجع:
Ahmed Etman, "The Conception of Heroism in Greek Literature", Classical Papers, Vol. III (Cairo University, January 1994), pp. 35-50.

تركيا الحديثة باسم منديريه **Menderé**). فيكتسب السرد الملحمى مزيدًا من الحيوية والتدفق وعنفوان الخيال المبدع، ويصل إلى شأو قلما وصل إليه الشعر بعد هوميروس. فالطرواديون الهاربون أمام أخيليوس يلجأون إلى المدينة وإلى النهر سكاماندروس. ويظل أخيليوس يطاردهم ويعمل القتل فيهم ويحتفظ باثنى عشر نبيلاً منهم أحياءً لكى يقدمهم قربانًا على قبر باتروكلوس. وعندما يصادف ليكاؤن يستعطفه الأخير بكل وسيلة، ولكنه لا يرحمه ويقتله ويقذف بجثته إلى النهر. ثم يهجم على أستيروبايوس ويقتله. وعندما شعر إله النهر سكاماندروس أن الجثث قد ملأت مجراه وربما تسد المياه ثار غضبًا وشرع يهاجم أخيليوس، الذى يتمتع بعون بوسيدون وباللاس أثينة. وينضم إله النهر سيموئيس إلى رفيقه وصديقه سكاماندروس. وعندئذ تطلب هيرا من هيفايستوس إله النار أن يجفف مياه الأنهار، وتدور اشتباكات عنيفة فيما بين الآلهة حتى إن أثينة جرحت إله الحرب آريس.

إنها حرب كونية إذن تشارك فيها كل عناصر الطبيعة، الأرض والسماء، النار والماء، البشر والآلهة، ناهيك عن الأمطار والبروق والرعود.

وفى الوقت نفسه يواصل أخيليوس القتال ويطارد الناجين إلى داخل طروادة. ولم يقف فى وجهه سوى أجينور الذى كاد أن يقتل هو أيضًا، لولا أن أنقذه أبوللون وأبعده عن ساحة القتال. ولكن أبوللون خدع أخيليوس متخذًا هيئة أجينور وفر أمام أخيليوس، الذى ظل يطارده. وقد استدرجه هكذا الإله إلى مكان بعيد. وبذلك استطاع الطرواديون الهاربون أن يدخلوا مدينتهم. وأعطى السكندريون **للكتاب الحادى والعشرين** عنوان: "المعركة على النهر **Mache parapotamios**".

ويرى بعض النقاد أن **الكتاب الثانى والعشرين** يمثل ذروة الحدث الملحمى فى "الإلياذة". ويقول جيب **Jebb** إنه لا يوجد كتاب مثله فى "الإلياذة" من حيث الشمولية(٥٤) وسعة الأفق وتدفق الحدث. و يسرد هذا الكتاب مقتل هيكتور ويمثل فى حد ذاته ذروة ملحمية، ولا يوجد كتاب آخر فى ملحمتى هوميروس يضارعه فى شموليته وشاعريته وتدفقه وسموه. ويعد هذا الكتاب جامعًا لكل الخصائص الهومرية المميزة مثل رسم الشخصيات الدقيق بوسيلة أفعال هذه الشخصيات وأحاديثها وكذا تأملاتها المسموعة. ومن هذه الخصائص أيضًا تمازج الفعل البشرى

---

(٥٤) **Jebb, Introduction to Homer, p. 33.**

مع الفعل الإلهى[٥٥]. ويصاحب كم هائل من التشبيهات الرائعة المستمدة من الطبيعة هذا التوهج الشعرى. وتتم مقاطعة الحدث الرهيب والفعل الوحشى بمشاهد غاية فى الرقة من الحب الأسرى أو الأسى الإنسانى. ويمكن إجمال السمات الأساسية فى هذا الكتاب على النحو التالى:

- الدقة فى رسم ملامح الشخصية.
- المزج بين الحدث البشرى والتدبير الإلهى.
- تكثيف استخدام تقنية التشبيهات.
- براعة هوميروس فى تطوير العنف الوحشى إلى نوع من الترويح بتقديم مشاهد غاية فى الإنسانية والرحمة، وذلك برسم مشاهد الحياة الأسرية العذبة والحب الآسر بين أفرادها وكذا الحزن الجياش بالمشاعر.

ذلك أن الطرواديين قد أكملوا انسحابهم وتدفقوا إلى داخل أسوار طروادة فيما عدا هيكتور الذى ظل أمام الأسوار ليلاقى أخيليوس. وعبثًا حاول والداه المسنان أن يثنياه عن ذلك. وعندما تقدم إليه أخيليوس لم يستطع هيكتور الوقوف، إذ خانته شجاعته وفر أمام أخيليوس الذى ظل يلاحقه حول أسوار المدينة دورات ثلاث متتالية[٥٦]. وفى ميزان ذهبى وضع زيوس أقدار البطلين، فظهر أن هيكتور على وشك الموت، فهجره الإله أبوللون[٥٧]، ونزلت أثينة لتساعد أخيليوس. ويقتل أخيليوس هيكتور ويسحب جثته بعربته إلى السفن تحت أنظار والديه البائسين والطرواديين جميعًا. وتسمع أندروماخى الصرخات فتهرع إلى الأسوار وعندما ترى جثمان زوجها الحبيب يغمى عليها، وعندما تفيق تنخرط فى العويل والبكاء. وأعطى السكندريون **للكتاب الثانى والعشرين** عنوان: "مقتل هيكتور **Hektoros anairresis**".

(٥٥) عن العلاقة بين الفعل البشرى والتدبير الإلهى فى ملاحم هوميروس راجع: "ناسوتية الآلهة وألوهية البشر"، أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٨٠–٨٩.

Paolo Vivante, The Homeric Imagination: A Study of Homer's Poetic Perception of Reality. Indiana University Press 1970, pp. 35-71.

(٥٦) **S.E. Bassett, "The Pursuit of Hector", TAPhA 61 (1930) pp. 130-149.**

(٥٧) يحكى بلوتارخوس أن الإله هجر أنطونيوس عندما هزم نهائيًا فى الإسكندرية. وصاغ شاعر الإسكندرية المحدث كفافيس رائعته قصيدة: "الإله يهجر أنطونيوس" مستلهمًا هذه الفكرة راجع:
أحمد عتمان: "كليوباترا وأنطونيوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقى" أيجيبتوس القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠، ص ١٢١ وما يليها مع الحواشى.

أما **الكتاب الثالث والعشرون** فيحمل مفاجأة هومرية أخرى. ذلك أنه كان قد ساد اعتقاد فى العالم القديم بأن الألعاب الرياضية نشأت أصلا من مراسم دفن الموتى. وتأكد ذلك عبر العصور التاريخية حيث نظمت ألعاب رياضية فى مناسبات عديدة احتفالاً بموت بعض العظماء مثل ميلتيادس وليونيداس (بطل ممر ثرموبيلاى) وبراسيداس وتيموليون (منقذ سيراكوساى أى سراقوصة فى صقلية) وغيرهم. وبعد معارك تاريخية كثيرة أقام الإغريق الألعاب الرياضية تمجيدًا للأبطال الذين ماتوا أثناءها. وهذا تقليد مازال يتبع إلى يومنا هذا فى بعض البلدان.

وقد كرس هوميروس **الكتاب الثالث والعشرين** لوصف احتفال أخيليوس بدفن صديقه الحبيب باتروكلوس، ولاسيما الألعاب الرياضية. فبعد الوليمة الجنائزية(٥٨). يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس عندما كان يستلقى على شاطىء البحر، طالبًا سرعة الدفن لجثمانه. وبعد حرق الجثمان على محرقة وتقديم الضحايا بما فى ذلك اثنى عشر نبيلاً أسيرًا طرواديًا. تبدأ الألعاب الرياضية التى يسهب هوميروس فى وصفها. وهذه أول شهادة أدبية تصلنا عن الألعاب الرياضية فى العقلية الإغريقية والتى ستتزيا بزى جديد فيما نعرفه جميعًا اليوم باسم الألعاب الأوليمبية والروح الأوليمبية... إلخ. وأعطى السكندريون **للكتاب الثالث والعشرين** عنوان: "ألعاب رياضية جنائزية تكريمًا لباتروكلوس **Athla epi Patroklo**".

هكذا كرم باتروكلوس وشفى غليل أخيليوس، وبقى أن يرد هوميروس الاعتبار لهيكتور البطل المدافع عن طروادة، والذى مات فداءً للوطن. وهذا هو موضوع **الكتاب الرابع والعشرين**. إذ كان أخيليوس يجر جثمان هيكتور يوميًا حول قبر باتروكلوس، فأمر زيوس إيريس بالذهاب إلى برياموس وحثه على الذهاب إلى أخيليوس مفتديًا ابنه بفدية كبيرة ومتوسلاً للبطل الإغريقى. وفى نفس الوقت تنكر هيرميس فى هيئة أمير إغريقى شاب واقتاد برياموس حتى خيمة أخيليوس. فاستقبل الأخير برياموس بمودة وقبل الفدية وتناولا العشاء معًا. وفى الصباح الباكر قاده هيرميس فى طريق العودة إلى طروادة مع جثمان ابنه هيكتور، الذى بكاه كل من أمه وزوجه وهيلينى وكافة الطرواديين، وبذلك تنتهى الإلياذة. وأعطى السكندريون

(٥٨) راجع: **Elena Marino, "Il lutto a banchetto (Iliade 24- Odissea 4), pp. 15-39 in Materiali e discussioni per l'analisi dei testi- Classici 43) Istituti Editoriali e Poligrafici Internazionali Pisa- Roma 1999.**

للكتاب الرابع والعشرين عنوان: "فدية هيكتور **Hektoros Lytra**".

وبعد الاستعراض السريع للحدث فى الكتب الأربعة والعشرين لزام علينا أن نتأمل سر الإبداع الهومرى فى السرد الملحمى، إذ لا يحفل هوميروس بأن يحكى فى ملحمته ما حدث فقط، ولكنه يحفل أكثر بتقديم كنه ما حدث وتصوير العالم الذى وقع فيه هذا الحدث. فنجد الأحداث تغطى الكون من فوق جبل الأوليمبوس – السماء – الثلجية إلى أعماق البحر الهائج والغابات المحترقة، بل وأعماق النفس الإنسانية ذاتها فى كافة أحوالها من السراء والضراء. وتغطى الأحداث كذلك الآلهة والبشر ومملكة الحيوان والطير. فنحن إذن إزاء تصوير لحالة وجودية كونية لا حدث فردى عابر. نحن إزاء نظام متكامل تتفاعل فيه كل السمات ومختلف مقومات الأحياء والأشياء، بحيث نحصل فى النهاية على استكشاف شعرى للكون ونظام عمله.

تحمل إيريس رسالة من زيوس كبير آلهة الأوليمبوس، فتنزل من علياء السماء إلى أعماق البحر فتجد ثيتيس حزينة على مصير ابنها أخيليوس بطل الأبطال الإغريق حول طروادة فتبلغها رسالة زيوس. ثم تصعد ثيتيس من أعماق البحر إلى خيمة أخيليوس فى طروادة لتبلغه أوامر زيوس. وهذه لقطة واحدة من "الإلياذة" (الكتاب الرابع والعشرون)، تجد فيها كل عناصر الكون مشاركة فى الحدث الملحمى.

وهذا ما يفسر لنا كثرة الاستطرادات التى عاقت بعض النقاد عن إدراك طبيعة وحدة الحدث الملحمى عند هوميروس، فهذه الوحدة تتعدى مجرد التسلسل الزمنى المترابط، لأن هناك دائمًا قضية ما ينبغى استيفاؤها وشرحها وتفسيرها. فهذا هو الأهم من التسلسل الزمنى المطرد. فإن أطول استطراد أسطورى ورد فى الكتاب التاسع (أبيات ٥٤٣-٥٩٠) ويدور حول أسطورة ملياجروس ويرويها فوينيكس، كان الهدف منه إقناع أخيليوس بالعودة للمعركة لأن ملياجروس عانى أيضًا من الغضب المدمر. والاستطراد حول أسطورة نيوبى (الكتاب الرابع والعشرون أبيات ٦٠٢ وما يليه)، يرويها أخيليوس نفسه لبرياموس الذى ذهب ليستجديه تسليم جثة ابنه هيكتور، كان الهدف من هذا الاستطراد ليس فقط إيجاد معادل أسطورى للحزن الفتاك، بل أيضًا التمهيد لدعوة برياموس لأن يجلس إلى وليمة العشاء مع أخيليوس. وفى كل من الاستطرادين نجد القضية المطروحة تحتل

المكانة الأولى بالرعاية. فى الاستطراد الأول تطرح قضية الغضب وضرورة كبح جماحه. وفى الاستطراد الثانى يتم سبر أغوار الحزن وضرورة تخطيه. والمشاركون فى الاستطراد أو فى تلقيه هم جميعًا متورطون بنفس الدرجة فى القضية المطروحة(٥٩).

يعتمد جانب كبير من وحدة الحدث الملحمى فى "الإلياذة" على الثنائيات المتقابلة. فأخيليوس بطل الأبطال الإغريقى يقابله هيكتور بطل الأبطال الطرواديين. الأول بطل الهجوم والحصار، والثانى بطل الصمود والمقاومة. يبدأ البيت الأول فى الملحمة كلها بغضبة أخيليوس المدمرة، أما البيت الأخير فى الملحمة فقد فاز به هيكتور الميت حيث يقول الشاعر: "وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور مروض الخيول". وعلاوة على أن الوحدة الملحمية تتجلى فى الربط بين البيت الأول الذى يقدم السبب والبيت الأخير الذى يحمل النتيجة. فإن موضوع دفن هيكتور يحتل أهمية خاصة فى بناء الملحمة، بل بصفة عامة يصور الفكرة الإغريقية بأن المصير بعد الموت جزء مكمل للحياة على الأرض، ونتيجة مباشرة لها.

يمتدح أرسطو هوميروس لأنه يجمع بين الوحدة والتنوع، وهو ممتاز فى كل من القول والعاطفة، إنه يختفى وراء أشعاره ويقدم شخوصه بأقوالهم وأفعالهم المباشرة ويرسم شخصياتهم جيدًا، وهو يتمتع بخيال إبداعى رائع، فهو يستخدم بجرأة غير المحتمل والخارق – وهو ما تتسع له الملحمة أكثر من التراجيديا – ولكنه يستخدمهما ببراعة فائقة. وهوميروس بالنسبة لأرسطو هو أول الشعراء وأكثرهم نضجًا. هذا مع العلم بأن أرسطو فضل التراجيديا على الملحمة لأنها تؤدى نفس الوظيفة ولكن فى حجم أقل(٦٠).

يضيف أرسطو أن الملاحم – مثل المسرحيات – تصنف بين "بسيطة" **haple** ومركبة **peripeplegmene**. فيقول إن "الإلياذة" بسيطة مثل "بروميثيوس مقيدًا" لأيسخولوس، فلها حدث واحد مطرد ونهاية واحدة. أما "الأوديسية" فهى مركبة لأنها

---

(٥٩) **N. Austin, "The Function of Digressions in the *Iliad*", GRBS. 7 (1966) pp. 295-312.**
Cf. Andreas G. Katsoures, "To Mythologiko Paradeigma Ston Omero" Dodone 31 (2002) pp. 167-206.

(٦٠) **Aristotle: The Poetics. ed. W. Hamilton Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973, 1459b. 4-10.**

تتضمن سلسلة من التعرف والتحول (**peripeteia**) ولها نهايتان، نهاية سيئة للأشرار ونهاية سعيدة للأخيار. ويقول أرسطو كذلك إن "الإلياذة" ملحمة عاطفية انفعالية **pathetike**، فغضبة أخيليوس من أجاممنون وحزنه المفجع على موت باتروكلوس صديقه الحبيب ورغبته الجامحة فى الانتقام هى ينبوع الأحداث كلها. فى حين إن "الأوديسية" ملحمة أخلاقية **ethike** بمعنى أن سلوك الشخصية الرئيسية (**ethos**) أى أوديسيوس وحيله هى المحرك الأساسى للأحداث[٦١]. ويقول أرسطو إن هوميروس برع فى رسم أحداث ملحمته، كما أن أشعاره تفوق سائر الأشعار فى القول **lexis** والفكر **dianoia**[٦٢].

ومن براعة هوميروس فى حبك الوحدة الملحمية أن أخيليوس لم يظهر إلا فى أحد عشر كتابًا: (١، ٩، ١١، ١٦، ١٨-٢٤) مع أن غضبة أخيليوس هى التى تعطى "الإلياذة" الوحدة الملحمية، فانسحابه من المعركة يجعل كفتى الحرب والبطولة متعادلتين فيما بين الإغريق والطرواديين. وهكذا تستمر المعارك ولا يحسم الموقف. ومن ثم يمكن القول إن الحدث الملحمى يمر بثلاث مراحل رئيسة: الأولى تنتهى فى الكتاب التاسع عندما يرسل الإغريق وفدًا إلى أخيليوس فيرد على أعقابه خاسئًا خاسرًا. وتنتهى المرحلة الثانية بالكتاب الثامن عشر حيث ينتهى اعتزال أخيليوس للحرب. أما المرحلة الثالثة فتشمل الكتب من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين وتتوج الحدث الملحمى. ولعل هذا مما دعا ويتمان **C.H. Whitman** أن يصف بناء "الإلياذة" بأنه هندسى (**Geometric Structure**)[٦٣].

تجرى أحداث "الإلياذة" فيما وراء حدود التاريخ، فهى أحداث درامية يغوص أبطالها فى الأسطورة التى لا علاقة لها بالحادثة الفعلية، ولا بشخصيات هذه الأحداث الدرامية فى لحظة وجودية مطلقة. إذ نسى ماضيهم، أما مصيرهم فهو على المحك ويمر بمرحلة حرجة. لم يحفل ساربيدون بأنه ابن زيوس ولا يعنيه المستقبل فى شىء، إذ يقول لجلاوكوس (الكتاب الثانى عشر بيت ٣٢٢ وما يليه).

يا صديقى العزيز ، لو كان الهروب من هذه

---

(٦١) **Ibidem 1459b- 2-3.**

(٦٢) **Ibidem.**

(٦٣) **C.H. Whitman, Homer and the Heroic Tradition. Harvard University Press 1958, pp. 249-284.**

الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين ،
ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف
وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التى تجلب المجد للأبطال.
أما الآن ، فإننى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد .

إنها لحظة حيوية ومصيرية، فلابد من عمل شيء ما ولابد من الالتزام بقيم الخير والفعل المجيد. فأبطال هوميروس أطفال الآلهة يعيشون على الأرض ويلامسون ترابها، إنهم من البشر، ولكنهم لم ينخرطوا تمامًا فى مجرى التاريخ العام. إنهم يعيشون بين عالمين عالم الألوهية والخلود الذى يتطلعون إليه، وعالم البشرية الفانية الذى يكابدون أهواله ويصنعون أمجاده. هكذا يسعى هيكتور للدفاع عن طروادة فيسعى بذلك لنهايته. بل هكذا أخيليوس نفسه يغضب ويحزن ويندفع لقتل هيكتور، الذى يعرف أنه مقدمة لموته هو أيضًا. فأبطال هوميروس رجال على وشك الفناء. بل يساورهم إحساس بالضعف البشرى وتلفهم هالة من المجد الإلهى[٦٤].

سابعًا: أصداء "الإلياذة" فى الآداب العالمية

أ- رحلة "الإلياذة" إلينا:

يرجع وجود "الإلياذة" بصفة عامة إلى ما بين ٧٥٠ و ٥٥٠ ق.م كما أسلفنا، ولكن "النص المعتمد" لا يبدأ تاريخه إلا على يد طاغية أثينا بيسيستراتوس فى القرن السادس ق.م كما رأينا. وظلت "الإلياذة" موضع اهتمام وتعليق وشرح من الفقهاء والنقاد منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا[٦٥].

ومن المعروف أن إنشاد ملاحم هوميروس فى احتفالات عامة ظل سائدًا فى كافة المدن الإغريقية عبر مختلف العصور. فيشير إليها هيرودوتوس[٦٦]. إذ يقول

(٦٤) **Vivante, op. cit. pp. 120-209.**
قارن أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٤٢-٦٦، ٨٠-٨٩.

(٦٥) **M.M.Willcock, A Companion to the *Iliad*. The University of Chicago Press 1976, p. 277-8.**

(٦٦) **Herodot., V 76.**

إن كليستينيس طاغية سيكيون (٦٠٠-٥٧٠ق.م) المعادى لأرجوس قد ألغى منافسات إنشاد ملاحم هوميروس، لأنها تمجد أرجوس والأرجيين فى كل أجزائها. وفى هذا ما يؤكد دور أشعار هوميروس من حيث التأثير فى الاتجاهات السياسية والرأى العام ببلاد الإغريق.

وفى جزيرة خيوس كانت هناك أسرة من المنشدين تحمل لقب "أبناء هوميروس" (**Homeridai**). وتدور محاورة أفلاطون "إيون" **Ion** حول المنشد الملحمى الجوال الذى ولد فى إفيسوس، وكان قد شاهد احتفالات الإنشاد فى إبيداوروس والباناثينايا فى أثينا. ويدل كل هذا على أن هوميروس كان لايزال يحرك مشاعر كافة الإغريق فى القرن الرابع ق.م. ونفهم من محاورة أفلاطون "بروتاجوراس"[٦٧] أن تلاميذ المدارس كانوا يتدربون على قراءة هوميروس. وسماه أفلاطون فى محاورة "الجمهورية"[٦٨]. "معلم هيلاس". وفى "مأدبة" **(Symposion)** كسينوفون يقول أحد الحاضرين "لقد أراد أبى أن يجعلنى رجلاً طيبًا فأمرنى بقراءة أشعار هوميروس كلها، وأنا الآن أحفظ عن ظهر قلب كل "الإلياذة" و "الأوديسية"[٦٩].

ويقول إيسوكراتيس إن هوميروس يجسد الروح الهيللينية[٧٠] ويروى بلوتارخوس أن الكبياديس ذهب إلى إحدى المدارس وطلب من ناظر المدرسة نسخة من هوميروس، فلما أجابه الناظر أنه لا توجد أية نسخة لهوميروس بالمدرسة انهال عليه ضربًا مبرحًا. وهناك إشارات متعددة فى مسرحيات أريستوفانيس لهوميروس باعتباره رمز "التعليم القديم" فى مقابل "التعليم الحديث" الذى أفسد الشباب وجعلهم مخنثين[٧١].

وكانت كل طبعة من الطبعات التى صدرت لهوميروس فى العصر الهيللينستى وفى مكتبة الإسكندرية تحمل اسم صاحبها من الفقهاء. وكانت "الطبعة الأولى" التى سمعنا عنها من عمل أنتيماخوس من كلاروس (فى أيونيا حوالى ٤١٠ ق.م.).

---

(٦٧) **Plato, Prot. 326A.**

(٦٨) **Idem. Rep. 606 E.**

(٦٩) **Xenoph., Symp.**

(٧٠) أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص٤٩٦-٤٩٩، ٥١١ وما يليها وانظر **Isocr., Panegyrikos,**

(٧١) **Plutarch., Alcib. 7.**

وهناك طبعات تنسب إلى المدن، فهناك طبعة ماساليا وخيوس وأرجوس وسينوبى وقبرص وهى التى عاد إليها فيما بعد أريستارخوس. بالإضافة إلى طبعات شعبية عامة غير دقيقة **(Koinai, demodeis)**.

أما الدراسات الهومرية بالإسكندرية فقد بلغت شأوًا عظيمًا فيما بين ٢٧٠ و١٥٠ق.م. وارتبطت بأسماء ثلاثة من كبار الفقهاء هم زينودوتوس وأريستوفانيس وأريستارخوس.

جاء زينودوتوس من إفيسوس وجعله بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٨ق.م) أمينًا لمكتبة الإسكندرية وأصدر طبعة لهوميروس ومعجمًا لغويًا **(Homerikai glossai)**. ثم جاء أريستوفانيس البيزنطى (حوالى عام ٢٠٠ق.م) تلميذ زينودوتوس وخليفته أمينًا للمكتبة. ونشر طبعة جديدة لهوميروس مبنية على طبعة أستاذه مع شىء من التحسينات.

أما أريستارخوس الساموطراقى فكان تلميذ أريستوفانيس وخليفته أمينًا للمكتبة إبان النصف الأول من القرن الثانى ق.م (حوالى عام ١٦٠ق.م). وله ثلاثة إسهامات، الأول بعنوان **Syggrammata** (دراسات فى بعض المسائل الهومرية) والثانى بعنوان تعليقات على نص هوميروس **Hypomnemata**، والثالث بعنوان "طبعات" **ekdoseis**، حيث نشر نصوص هوميروس مع استخدام نظام من العلامات الدالة على الأبيات المشكوك فيها أو فى ترتيبها على سبيل المثال. وكان أريستارخوس بلا شك أعظم الفقهاء دارسى هوميروس فى العالم القديم. وبلغ من الدقة فى تحقيق "الإلياذة" إلى حد أنه قد وضع خريطة طبوغرافية لمنطقة طروادة والمعسكر الإغريقى هناك. وهو الذى فرق بين "أرجوس البلاسجية" فى ثيساليا و "أرجوس الآخية" فى البلوبونيسوس. وإليه (أو إلى أريستوفانيس أو زينودوتوس) تنسب فكرة تقسيم "الإلياذة" و "الأوديسية" إلى ٢٤ كتابًا يحمل كل منها حرفًا من حروف اللغة الإغريقية. وهو النظام المتبع إلى يومنا هذا حتى فى أحدث الطبعات، حيث توضع الحروف الكبيرة ترقيمًا "للإلياذة" والحروف الصغيرة "للأوديسية".

ولا يتسع المجال لتتبع جهود ديديموس **Didymos** السكندرى (حوالى ٨٠-١٠ق.م) ومعاصره الأصغر أريستونيكوس **Aristonikos** السكندرى (الذى عاش فى العصر الأوغسطى) ولا آيليوس هيروديانوس **Aelius Herodianos** (حوالى ١٦٠م) ووضع دراسة عن النظام الصوتى "للإلياذة". أما نيكانور **Nikanor**

(ازدهر ١٣٠م) فقد ألف كتابًا عن الترقيم فى أشعار هوميروس.

وفيما بين ٢٠٠ و٢٥٠م وضع أحد تلامذة الفقهاء الأربعة ديديموس وأريستونيكوس وهيروديانوس ونيكانور ملخصًا للإلياذة **Epitome**. وفى القرن العاشر الميلادى كتب ناسخ "الإلياذة" هذا الملخص على هامشها. وهذا هو محتوى مخطوط فينيسيا الشهير **Codex Venetus A** رقم ٤٥٤ الموجود إلى اليوم بمكتبة سان مارك فى فينيسيا.

ولا تفوتنا الإشارة السريعة إلى ديميتريوس **Demetrios** من سكبسيس **Skepsis** بمنطقة طروادة (ولد حوالى ٢١٤ق.م) الذى ساعد فى وضع طبوغرافيا "الإلياذة". حيث ألف ستين كتابًا تعليقًا على "قائمة السفن" الواردة بالكتاب الثانى "بالإلياذة" والتى أسلفنا الحديث عنها. ولا ننسى كذلك أسقف ثيسالونيكي يوستاثيوس **Eustathios** الذى جمع أقوالاً وشروحًا ومقتطفات من هوميروس فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى وسبق أن ألمحنا إليه.

وبصفة عامة يمكن القول إن النص الهومرى المتداول الآن "للإلياذة" هو الذى حققه أريستارخوس بعد الاطلاع على طبعات سابقة له قد تعود للقرن السادس ق.م. وهو الذى وصل بعد قدر من التعديلات والتصويبات عبر مخطوطات عدة إلى ناشرى الطبعات الحديثة.

ومازالت الدراسات الهومرية متواصلة وستواصل تجددها مع الزمن. ويرجع الفضل فى ذلك جزئيًا على الأقل إلى رمال مصر التى مافتئت تمدنا بشذرات بردية من "الإلياذة" و "الأوديسية" تدعم النص الذى بأيدينا أو تصححه وتغير وتبدل فيه. ونضرب لذلك مثلاً بالبرديات التالية المكتشفة فى مصر وتحمل شذرات من "الإلياذة".

Manfredo Manfredi, Papiri dell' Iliade, a cura di Manfredo Manfredi, Istituto Papirologico G. Vitelli. Firenze 2000.

وباليونان أنشىء "مركز دراسات الأوديسية" فى إيثاكى موطن أوديسيوس وعقد عدة مؤتمرات دولية نشرت أعمالها فى مجلدات تملأ المكتبات. ويعقد مهرجان سنوى بعنوان "الهومريات" يتمحور حول جزيرة خيوس. أما إذا نظر المرء فى الدوريات المتخصصة وكذا إصدارات دور النشر عبر العالم كله وشبكة

المعلومات الدولية (إنترنت) فلن يستطيع أن يحصى بسهولة فيض الدراسات المنهمرة بكل لغات العالم عن هوميروس[٧٢].

ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعرى قديمًا وحديثًا:

واعتبر هوميروس فى العصور الإغريقية التالية له مصدرًا للديانة والطقوس بل مرجعًا للتاريخ وحجة فى المنازعات. فعندما تصارع الأثينيون والميجاريون حول ملكية الجزيرة الصغيرة سلاميس استشهد الأثينيون بالبيت رقم ٥٥٨ من الكتاب الثانى حيث وضع أياس من سلاميس سفنه جنبًا إلى جنب مع السفن الأثينية (فى الجزء المعروف باسم قائمة السفن)[٧٣]. ويقول بريكليس فى الخطبة الجنائزية التى حفظها لنا ثوكيديديس إن أثينا وأمجادها لا تحتاج حتى لمديح هوميروس[٧٤]، مما يعنى أن كافة المدن الإغريقية كانت تبنى اعتزازها القومى وفخارها بالماضى العريق على ما جاء عند هوميروس. ومن هنا أيضًا تأتى الشكوك حول الانتحال.

فهوميروس هو ينبوع الأدب الإغريقى الذى انبثق جارفا من قمة شاهقة فسالت منه الأنهار هنا وهناك، ونهل منه كل من جاء بعده فى الأدب الإغريقى والرومانى ثم الأوروبى والعالمى. صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشرى. يقول أفلاطون إن من تتسنى له فرصة فهم هوميروس يهيمن على أساليب الفنون جميعا هيمنة تامة[٧٥]. ويعتبر هيراكليتوس أشعاره منجما لا ينضب معينه من الورع الدينى والحكمة الفلسفية[٧٦].

---

(٧٢) عن الدراسات الهومرية راجع:

R. Pfeiffer, History of Classical Scholarship. From the beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.

Anton Powell ed. : The Greek World. Routledge. London and New York 1995.

D.W. Packard – T. Meyers, A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif. 1974.

R.W. Lamberton– J. Kenney: (edd.) Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes. Princeton 1992.

أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٥٢٥ وما يليها.

(٧٣) Aristotle, Rhet, I 15.

(٧٤) Thucyd. II 414.

(٧٥) Plato., Ion. 359 d.

(٧٦) Herakleitos, Homerika Problemata (Quaestiones Homericae), Teubner 1910; cf. H.J. Rose, A Handbook of Greek Literature from Homer to the Age of Lucian. Methuen, London 1965. pp. 15, 355.

ولم يقتصر تأثير هوميروس على الشعر[٧٧] بل امتد إلى فنون النثر، لأن الناثرين تعلموا منه كيف يسردون قصة طويلة فى أسلوب أدبى شيق، حتى إنه يمكن اعتبار تاريخ هيرودوتوس وكأنه ملحمة نثرية. وهكذا صار هوميروس بمرور الزمن فى نظر معجبيه من الإغريق والرومان الشاعر الذى لا يخطئ. إذ لابد دائما من البحث عن المعنى الخفى الذى لم نعيه أو نستوعبه، ولا مناص فى النهاية من أن يكون هو الصائب ونحن المخطئون. وفى العصور الوسطى أصبح هوميروس (وفرجيليوس) منبعا لكل فتوى ومصدرًا لكل حكمة ودرسًا فى كل فن، فلا مفر من إيجاد سند قوى من أشعاره إذا أراد أى إنسان أن يثبت حجته أو يدعم رأيه فى أية مسألة مطروحة علمية كانت أم فلسفية، دنيوية أم لاهوتية.

تعتبر "الإلياذة" و "الأوديسية" - إذا قورنتا بالملاحم الأوروبية الحديثة[٧٨] مثل "الفردوس المفقود"[٧٩] لميلتون - ملحمتين ملهمتين بمعنى أنهما من الشعر الملحمى النابع مباشرة من أفعال بطولية بصورة تلقائية. ومثل هذا الشعر الملحمى الشفوى كان موجودًا حتى قبل هوميروس كما سبق أن ألمحنا، وكما يرد فى "الإلياذة" (الكتاب التاسع بيت ١٨٦ وما يليه)، حيث يذهب وفد آخى إلى أخيليوس المعتكف فى محاولة لاسترضائه فيجدونه يعزف على قيثارته متغنيا بأمجاد الرجال أى منشدا شعرا ملحميا. وهدف مثل هذا الغناء الملحمى عملى ونفعى، لأنه يعطى تسجيلا

---

(٧٧) عن تأثير هوميروس فى الشعر الغنائى عامة وفى أشعار بنداروس خاصة راجع:

Gregory Nagy, Pindar's Homer: The Lyric Possession of an Epic Past. The Johns Hopkins University Press 1982.

(٧٨) **Bernard Fenik, Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style. Cambridge: Harvard University Press 1986.**

Jeffrey Tigay, The Evolution of the Gilgamesh Epic. Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.

Ronald Barnett, Comparative Studies in Homeric Epic and other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.

وأما بشأن البحث عن هوميروس فى أفريقيا ومقارنة ملاحم هوميروس بالتراث الملحمى شرقًا وغربًا راجع:

Muhammed Dalhatu, "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In Oral Poetry in Nigeria. Ed. U. Abalogu, 1981, pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.

Jan. Knappert, Epic Poetry in Swahili and other African Languages. Leiden Brill 1983.

أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٨٩-١٠٢

(٧٩) عن تقليد ميلتون هوميروس راجع: **Highet, op. cit., pp. 150 ff.**

شعريا وحبا للبطولات، كما يمتع كلا من المشاركين فى الغناء والمستمعين إليه. وهو شعر يصف عالما حقيقيا لا خياليا صرفا، ولو أن غلالة طقسية وسحرية قد تلف عملية الغناء الملحمى برمتها. ولكن هذا ما نلاحظه حتى فى ملحمة أوروبية حديثة مثل "أغنية رولان" *Chanson de Roland* التى تتغنى بأعمال بطولية خارقة، ومع ذلك يشعر المرء بأن هذه القصيدة تقوم على أساس وصف حادث فعلى.

هناك نوع آخر من الملاحم يختلف عن ملحمتى هوميروس، ملاحم تعالج أحداثا أسطورية تتفاعل فى ذهن الشاعر ومع خياله. وهذا ما حدث بالنسبة لشاعر الإسكندرية أبوللونيوس الرودسى (أى الرودى) وهو ينظم ملحمة "الأرجونوتيكا" (أى "رحلة السفينة أرجو"). إنه يتبع الخطوط العريضة للأسطورة كما وردت عند شعراء التراجيديا الإغريقية، ولكنه يخترع شخوصا وأحداثًا جديدة يرويها بالطريقة التى تروق له. فشخصية ميديا مثلا فى الكتاب الثالث يرسمها أبوللونيوس بوعى "سيكولوجى" عميق، كما أن لحظة الشك التى تنتابها (بيت ٦٤٥ وما يليه) مقنعة لأقصى حد. بيد أننا نلاحظ أن مغامرات بحارة السفينة أرجو عند أبوللونيوس الرودسى فى نهر الدانوب والبو والرون من اختراع الشاعر نفسه، وتعكس سعة اطلاعه واهتماماته الجغرافية وهى سمة مميزة لعصره أى العصر الهيللينستى أو السكندرى(٨٠).

ما يهمنا الآن هو أن ملحمة أبوللونيوس الرودسى قد نظمت فى سعة من الوقت وروجعت وصححت أكثر من مرة. وهى تخاطب جمهورا قارئا بصمت - أو حتى بصوت مسموع - على النقيض من ملاحم هوميروس الإنشادية أى التى تلقى على جمهور منصت. ومن ثم يمكن القول عن ملحمة أبوللونيوس إنها ملحمة أغلبها من صنع الخيال، أو على الأقل غير واقعى، وتخاطب الذهن أكثر مما تخاطب الوجدان. وهذا أمر ينطبق على ملحمة "الإينيادة" لفرجيليوس وسائر الملاحم الرومانية الأخرى و "الفردوس المفقود" لميلتون. فعالمها جميعا من صنع الخيال والدرس الواعى، وهو شىء ينبغى ألا نتوقعه من هوميروس الشاعر أو المنشد الملهم. تدور ملاحم أبوللونيوس وفرجيليوس وميلتون وغيرهم فى الأغلب حول موضوعات تجريدية. ورب قائل يقول إن "غضبة أخيليوس" التى تقوم عليها "الإلياذة" - مثلا - فكرة تجريدية أيضًا. وقد يكون هذا صحيحا بيد أننا فى الملحمة

(٨٠) أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٥٤١-٥٧٤.

نفسها لا نرى هذه الغضبة إلا فى إطار وصف أحداث ووقائع، محسوسة وتشكل أساسا فنيا وواقعيا للإنشاد الملحمى. أما فى "الإينيادة" لفرجيليوس على سبيل المثال فالموضوع الرئيسى هو عظمة روما، وكذا فى "الفردوس المفقود" لميلتون فالهدف هو وصف سقوط الإنسان، بيد أن الملحمتين تضمان الكثير من الحوادث والتفاصيل الإضافية التى قصد بها على وجه العموم تأكيد الموضوع الرئيسى، ولكنها فى مجملها لا ترتبط عضويا بالحبكة الفنية للملحمة. مثال ذلك الاستعراض التنبؤى لتاريخ روما الذى يقدمه لنا أنخيسيس فى العالم السفلى بالكتاب السادس من "الإينيادة"[٨١]. لقد وضع فرجيليوس من البداية هدفا واضحا نصب عينيه ويسعى إليه بكل الطرق وبكل الوعى - أى تمجيد أوغسطس - مما أفقد ملحمته دفء العفوية وطلاوة التلقائية المتدفقة. وأصبح بطله آينياس وعاء ممتلئا من الفضائل الرومانية، وبذلك أخرجه من نطاق البشرية. وشتان بين هذا البطل وأخيليوس أو أوديسيوس الهومريين ! أما ملاحم العصر الفضى فى الأدب اللاتينى فهى تقلد مقلدى هوميروس السكندريين، وتبتعد تمامًا عن الأصول الشفوية للشعر الملحمى[٨٢].

صفوة القول إن هوميروس يمثل الشعر الملحمى الأصيل والقائم على تقنية الشعر الشفوى لا الأدب المكتوب. وهى تقنية تتجلى فى عدة جوانب أهمها جميعا الحبكة الملحمية القائمة على وحدة الموضوع والجو النفسى العام مهما وقع من تكرار أو استطراد. ونتيجة أخرى يمكن أن نستنبطها من دراستنا للتقنية الملحمية الهومرية وهى أن التفكير الدرامى صفة مميزة للعقلية الإغريقية منذ البداية. وهذا ما يفسر لنا مقولة أيسخولوس سالفة الذكر "ما مسرحياتى إلا فتات مائدة هوميروس الحافلة".

كان هوميروس أول من فجر قضية جوهرية لا تزال تشغل كل المهتمين بالأدب والفنون إلى يومنا هذا، أى قضية التعامل مع التراث. فموضوع هوميروس ليس الماضى فقط بل الحاضر أيضًا، فهو يتعامل مع أساطير الأبطال القدامى، ولكنه يصور حياة معاصريه. وبذلك ضرب المثل الذى حذا حذوه كل الأدباء

---

(٨١) أحمد عتمان: "الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى"، (الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥)، ص ٢٤٤-٢٨٠.

(٨٢) أحمد عتمان: الأدب اللاتينى ودوره الحضارى العصر الفضى. أبجيبتوس ١٩٩٠، ص ١٣٤ ومايليها.

والشعراء الإغريق من بعده. بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الآداب الحديثة كلها لازالت تتبع هذا الأنموذج الهومرى وهى تتعامل مع التراث الموروث عن الماضى البعيد. إذ ما هى الفائدة المرجوة من إحياء التراث - أى تراث - إن لم يكن يهدف إلى خدمة الحاضر وتصوير أحواله وتسليط الضوء على آماله وآلامه ؟

فى قصيدة بترارك الملحمية "أفريقيا" نجد الشاعر اللاتينى الملحمى إنيوس رفيق سكيبيو أفريكانوس فى حملته الإفريقية يحكى أنه فى رحلة العودة إلى روما رأى فيما يرى النائم هوميروس الذى أخبره أنه سيصبح "هوميروس الآخر" أو "الثانى" **alter Homerus**(٨٣). ووجه بترارك الذى حاول مرارًا أن يتعلم الإغريقية أربعة من رسائله - وهى الأطول - إلى هوميروس.

فى عام ١٣٥٤ وصل نيكولاس سيجيروس **Nicholas Sigeros** مبعوث الإمبراطور البيزنطى إلى البلاط البابوى فى أفينيون **Avignon** وقدم له نسخة من "الإلياذة" فاحتضنها البابا بحماس، ولكنه اعترف "هوميروس هديتك لى سيظل عندى صامتًا، كم كنت أتمنى أنى قد سمعتك !".

"Homerus tuus apud me mutus... quam cupido te audirem".

وكان على بترارك أيضًا أن ينتظر أربع أو خمس سنوات ليسمع هوميروس يتحدث فى ترجمة لاتينية حرفية أنجزها ليونتزيو بيلاتو **Leonzio Pilato**، وكان قد ولد فى كالابريا لأم يونانية. وكان قد ترجم بالفعل خمس كتب من "الإلياذة" قبل أن يقنعه بترارك وبوكاشيو فى فلورنسا أن يتم ترجمة ملحمتى هوميروس.

وبيدين مرتعشتين أمسك الشيخ المسن بترارك ترجمة الملحمتين وعلق عليهما حتى وصل إلى الكتاب الثانى من "الأوديسية" بيت ٢٤٢. حيث مات فى ٢٣ يوليو ١٣٧٤ قبل أن يتم التعليق على "الأوديسية"، ولكنه أنجز تدوين ملاحظاته على "الإلياذة".

وكان بوكاشيو هو الذى دعى بيلاتو إلى فلورنسا ليتعلم على يديه اللغة الإغريقية، بل استضافه فى منزله - رغم أنه لم يكن غنيًا أو ذا نفوذ - طيلة ثلاث سنوات ليتم ترجمة هوميروس إلى اللاتينية، وهى أول ترجمة من نوعها فى فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

---

(٨٣) **Betrarca, Afr. IX 159ff.**

كان بوليتسيانو **Poliziano** أو كما هو شائع بوليتيان شاعرًا وناقدًا ولد عام ١٤٥٤ وصار فى شبابه صديقًا للورنزو دى ميديتشى. وبدأ يتعلم الإغريقية فى سن العاشرة، وفى سن السادسة عشر نظم شعرًا بها، وفى الثامنة عشر ترجم الكتب من الثالث إلى الخامس من "الإلياذة" فى شعر لاتينى رائع بالوزن السداسى. لقد كان أول عالم غربى ينافس المهاجرين اليونان فى معرفة اللغة الإغريقية القديمة. وهو أول من حاول تصحيح المخطوطات الإغريقية القديمة ويملأ الفجوات فيها بكلمات إغريقية صحيحة. حاضر فى هوميروس (وهيسيودوس وثيوكريتوس) وكانت مقدماته لهذه المحاضرات قصائد بالوزن السداسى أطلق عليها اسم "البستان" **Silvae** إحياءً لذكرى شاعر الملاحم اللاتينى الفضى ستاتيوس(٨٤). ولم يمهله الموت ليصدر طبعة كاملة لهوميروس.

نقل لورنزو فالا **Lorenzo Valla** (١٤٠٧-١٤٥٧) عام ١٤٢٨-١٤٢٩ أربعة كتب من "الإلياذة" إلى لغة لاتينية نثرية بسيطة وواضحة. وفى عام ١٤٤٢-١٤٤٣ كان قد وصل إلى ما يقرب من ثلثى الملحمة. وبعد موته أكمل عمله تلميذه فرانشيسكو أريتينو **Francesco Aretino** .

وظهرت أول ترجمة فرنسية لهوميروس عام ١٥٣٠، وهى ترجمة جان سامكسون **Jehan Samxon** النثرية "للإلياذة" والتى هى فى الواقع منقولة عن ترجمة فالا اللاتينية مع إضافات من روايات أخرى للحرب الطروادية سادت فى العصور الوسطى سنتعرض لها بعد قليل. وبعدها ترجم ساليل **H.Salel** عشرة كتب من "الإلياذة" عام ١٥٤١ شعرًا ونشرت ١٥٤٥. وأكملها أماديس جامين **Amadis Jamyn** عام ١٥٧٧. ثم جاءت مدام داسيه **Mme Dacier** (١٦٥٤-١٧٢٠) بترجمة "الإلياذة" ١٧١١ و "الأوديسية" ١٧١٦ فأذهلت الجميع وغطت على كل الترجمات السابقة، ولا تزال ترجمتها تقرأ إلى يومنا هذا. أما أبوها ليفيفر **Tanaquil Lefevre** فقد كان محررًا واسع الثقافة وناشرًا للعديد من النصوص الإغريقية واللاتينية.

نقل تشابمان **George Chapman** "الإلياذة" ١٦١١ و "الأوديسية" ١٦١٤ والأناشيد ١٦١٦ من اللغة الإغريقية إلى الإنجليزية مباشرة وشعرًا. ولطالما تفاخر

---

(٨٤) أحمد عتمان: الأدب اللاتينى الفضى، ص ١٤١-١٥٠، ١٦٠-١٦٤.

تشابمان بأنه أنجز ترجمة النصف الثانى من "الإلياذة" (الكتب ١٣-٢٤) فى أقل من أربعة شهور ! ووصف الشاعر كيتس **Keats** هذه الترجمة بأنها عالية الصوت وجريئة (**Loud and Bold**). إنها أول ترجمة شعرية كاملة لهوميروس ومن الإغريقية مباشرة فى لغة أوربية حديثة.

هذا وإن سبقته بعض المحاولات الجادة مثل الترجمة الشعرية الإيطالية للأوديسية" التى قام بها لودوفيكو دولشى **Lodovico Dolce** عام ١٥٧٣، وكذلك ترجمة الكتب السبعة الأولى من "الإلياذة" فى شعر مرسل أنجزها جيرولامو باتشيللى **Girolamo Bacelli** عام ١٥٨١-١٥٨٢. ومن ثم يمكن القول إن ترجمة تشابمان رائدة ولم يسبق لها مثيل.

وفى مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" **(Troilus and Cressida)** الإغريقية الموضوع أيضًا يستعير الشاعر الإنجليزى بعض الشيء من "إلياذة" هوميروس. مثال ذلك المبارزة بين هيكتور وأياس وحديث أوديسيوس [*](ف١ م٣ ب٧٨ ومايليه) وكذلك شخصية ثيرسيتيس[٨٥] سالفة الذكر، التى لم تظهر فى الروايات الشائعة للحرب الطروادية إبان العصور الوسطى، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى حينه. يهمنا الآن أن نشير إلى أن كل الدلائل تثبت أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة"، ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر، حيث ظهرت عام ١٥٩٨. ومع ذلك نجد مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" ليست فقط منافية لروح البطولة الإغريقية، ولكنها أيضًا تمثل كاريكاتيرا غير مقنع لبلاد الإغريق وحضارتهم.

وعرضت مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" عام ١٦٠١/١٦٠٢. ويعنى الاسم ترويلوس أو طرويلوس "الطروادى الصغير". وقد ورد فى الروايات الأسطورية الإغريقية على أنه اسم الابن الأصغر لبرياموس ملك طروادة من هيكابى ملكتها. وتقول الأساطير أيضا إنه قد قتل على يد أخيليوس وهو الذى يبكيه ملك طروادة برياموس - بين أبنائه الآخرين المفقودين فى الحرب ("الإلياذة" الكتاب الرابع والعشرون، بيت ٢٥٧). وبغض النظر عن هذه الأساطير الإغريقية الكلاسيكية، هناك قصة أخرى شاعت فيما بعد العصر الإغريقى الرومانى، وتعزى

(*) ف = فصل، م = مشهد ، ب = بيت.

(٨٥) عن هذه الشخصية وعلاقتها بأبطال هوميروس راجع: أحمد عتمان: الأدب الإغريقى، ص ٥١ ومايليها.

إلى الشاعر الغنائى بينوا دى سانت مور، الذى عاش إبان القرن الثانى عشر تحت رعاية وحماية هنرى الثانى ملك إنجلترا. إذ كان هذا الشاعر قد ألف "قصة طروادة" (Roman de Troie) معتمدا على داريس الفريجى Dares Phrygius - والفريجى تعنى الطروادى[٨٦]، وديكتيس كريتينسيس Dictys Cretensis (أى ديكتيس الكريتى). والأول هو فى الأصل شخص يرد اسمه فى "الإلياذة" (الكتاب الخامس بيت ٩)، على أنه كاهن الإله هيفايستوس فى طروادة. وفى العصور الوسطى نسب إليه وضع عمل لاتينى، قيل إنه ترجمة للوصف الذى أعطاه هو بنفسه بوصفه شاهد عيان لتدمير موطنه طروادة، وحمل عنوان "عن الخروج من طروادة" (De Excidio Trojae). ويرجع بعض الدارسين ظهور هذا المؤلف المترجم إلى القرن الخامس الميلادى. أما ديكتيس كريتينسيس (الكريتى) فقد نسب إليه أيضًا وضع عمل مماثل يسجل أحداث الحرب الطروادية وكتب باللغة الإغريقية[٨٧]. ثم شاعت ترجمته اللاتينية على يد لوكيوس سيبتيميوس (Lucius Septimius) إبان القرن الرابع الميلادى. ولاقت هذه الترجمة قبولا وذيوعا فى العصور الوسطى التى حفظتها من الضياع، حتى وصلت إلى أيدى الدارسين المحدثين. ومن مقدمة هذه الترجمة علم أن ديكتيس من مواليد مدينة كنوسوس (تسمى الآن هيراكليون) بجزيرة كريت، وأنه هو الذى اصطحب إيدومينيوس - حفيد الملك الأسطورى للجزيرة أى مينوس - إلى الحرب الطروادية.

وهاتان الروايتان الأسطوريتان الشائعتان فى العصور الوسطى أصبحتا المصدر الرئيسى لأى عمل أدبى عن الحرب الطروادية إبان عصر النهضة الأوروبية. فعليهما اتكأ جويدو دا كولونا أو ديللى كولونى (Guido da Colonna أو G.delle Colonne) الكاتب الصقلى الذى عاش إبان القرن الثالث عشر ومؤلف القصص باللغة اللاتينية وصاحب "التاريخ الطروادى" (Historia Troiana). وهى

---

(٨٦) ساد الاعتقاد لدى الكتاب الإغريق بعد هوميروس بأن الطرواديين جاءوا من سلالة الفريجيين، ولكن الأمر غير ذلك عند هوميروس نفسه ولقد سلف أن تساءلنا: من هم الطرواديون ؟ راجع أعلاه.

(٨٧) **H.J. Rose, Outlines of Classical Literature for the Students of English. London Methuen 1959, pp. 216-217.**

حيث يذكر المؤلف أنه عثر مؤخرا على بردية فى تيبتونيس Tebtunis (أى أم البرجات على الحدود بين الفيوم وبنى سويف) وتحوى شذرة إغريقية من مؤلف ديكتيس هذا، ويرجح أن تاريخها يعود إلى القرن الثانى الميلادى.

فى الواقع نسخة نثرية لـ ("قصة طروادة") للمؤلف الشاعر بينوا دى سانت مور، مع أن جويدو نفسه لا يعترف بذلك. ولقد ترجمت قصة جويدو نفسها فيما بعد إلى أشعار تنسب إلى كل من جون باربور **John Barbour** (١٣١٦؟-١٣٩٥) الشاعر الإسكتلندى، وجون ليدجيت **John Lydgate** (١٣٧٠؟-١٤٥١؟) راهب بيورى سانت إدموندز (**Bury St.Edmonds**). فالأول نظم قصيدة "أسطورة طروادة" (**Legend of Troy**)، وقيل إنها ترجمة لقصة جويدو التى أصبحت تعرف بعنوان جديد هو "قصة تدمير طروادة" (**Historia Destructionis Troiae**). أما الثانى فهو صاحب "كتاب طروادة" (**Troy Book**) الموضوع فيما بين ١٤١٢ و ١٤٣٠ والمطبوع عام ١٥١٣. وهو فى الواقع عبارة عن قصيدة تقع فى خمسة كتب، ونظمت بناء على طلب الأمير هنرى – أى الملك هنرى الخامس فيما بعد – وتقص "القصة العظيمة" (**noble storye**) لطروادة، وتعد بصورة أو بأخرى مدخلا تمهيديا لقصة "الاستعمار" الطروادى لإنجلترا على يد بروتوس حفيد آينياس الطروادى[٨٨] – الذى أسس حفيداه رومولوس وريموس مدينة روما – طبقا لما ورد عند جيوفرى من مونموث **Geoffrey of Monmouth** أو باللاتينية جاوفريدوس

(٨٨) حاولت بعض الدول الأوروبية الحديثة أن تنهج نهج روما القديمة فتدعى لنفسها نسبا طرواديا. فكما أشاع الرومان – واعتقدوا – أنهم من نسل آينياس الطروادى حاولت هذه الدول أن تبحث لنفسها عن أصول طروادية. ولم تك قصة بروتوس أو بروت (**Brut**) مؤسس السلالة البريطانية موضوعا خياليا صالحا للأدب والفن فحسب، بل صارت شبه واقعة تاريخية يؤمن الناس بصحتها. فمنذ ليامون (**Layamon**) – أو لومون (**Lawemon**) ويعنى اسمه "رجل القانون" (**Lawman**) – الذى ازدهر حول عام ١٢٠٠م وألف كتاب "بروت" وهو تاريخ لإنجلترا منذ وصول بروتوس الأسطورى إلى الجزيرة البريطانية وحتى عهد كادوالادار **Cadwalladar** (٦٨٩م) والذى اعتمد المؤلف فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة على نسخة ويس **Wace** الفرنسية لـ "تاريخ ملوك بريطانيا" لجيوفراى من موغوث مع إضافات أخرى. وتضمن مؤلف ليامون لأول مرة تاريخ ملوك مثل لير وسيمبلين وشخصيات أخرى ظهرت فى الأدب الإنجليزى بعد ذلك. ولكن قصة بروت (بروتوس) قبلت أيضًا كما سبق القول على أنها تاريخ حقيقى إلى الحد الذى دفع بوشانان (**Buchanan**) فى الكتاب الثانى من مؤلفه "تاريخ الإسكتلنديين" (**Historia Scotorum**) إلى أن ينتقد هذا الاعتقاد بشدة. على أية حال لقد حاول البريطانيون بخلق هذه الأسطورة أن يربطوا نشأة دولتهم بأصل طروادى ضاربين عرض الحائط بالصعوبة اللغوية الكامنة فى حقيقة أن اسم البطل الطروادى الذى وقع عليه اختيارهم أى "بروتوس" كان لاتينيا وليس إغريقيا أو طرواديا ! وذهب بعض البريطانيين إلى حد أن جعلوا لغة هذا البطل ويلشية (**Welsh**) ! وقيل كذلك إن الاسم الأصلى للعاصمة البريطانية هو "طروى نوفانت" أى "طروادة الجديدة" (**Troynovant**). ولكن هذا الاسم قد يكون مشتقا من الاسم القبلى فى بريطانيا "ترينو بانتيس" (**Trinobantes**) والذى ورد عند يوليوس قيصر وتاكيتوس. ومما يذكر فى هذا الصدد أن الحرف **b** و **v** قد أصبحا شيئًا واحدًا ويمكن أن يحل الواحد منهما محل الآخر ابان العصور الوسطى فذلك ما حدث بالنسبة للحرف الاغريقى "بيتا" (**B**) الذى أصبح ينطق "فيتا". أما المقطع **Tri** فمن اليسير تحويره إلى **Troia** وبذلك يصبح اسم العاصمة البريطانية الأصلى – مثل اسم روما القديمة – هو "طروادة الجديدة" أو "طروى نوفانت" ! .

مونيموتينسيس Gaufridus Monemutensis (١١٠٠؟-١١٥٤) فى كتابه "تاريخ ملوك بريطانيا" (Historia Regum Britanniae).

وفى الكتاب الثالث من قصيدة ليدجيت، وهو الذى يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا، يقدم الشاعر تحية مستطابة إلى أستاذه (maister) تشوسر (حوالى ١٣٥٤-١٤٠٠)، الذى سبق أن تناول الموضوع فى قصيدته "ترويلوس وكريسيد" (Troylus and Cryseyde)، التى نظمت فى الفترة مابين عام ١٣٧٢ و١٣٨٦ والتى يعتبرها الدارسون مرحلة التأثير الإيطالى فى إنتاج هذا الشاعر الإنجليزى القديم. فلقد تأثر تشوسر فى هذه المرحلة بدانتى (١٢٦٥-١٣٢١) وبوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥)، الذى كتب قصيدة بعنوان "فيلوستراتو" (Filostrato) عن قصة ترويلوس وكريسيدا. أما عن الآخرين الذين كتبوا عن ترويلوس وكريسيدا قبل شكسبير فنذكر منهم الشاعر الإسكتلندى، الذى يعد من أتباع مدرسة تشوسر فى الشعر، إنه روبرت هنريسون أو هندرسون Robert Henryson أو R.Henderson. الذى عاش تقريبا فيما بين ١٤٣٠ و١٥٠٦، وكتب قصيدة "عهد كريسيد" (Testament of Cresseid) التى كانت تنسب إلى تشوسر حتى عام ١٧٢١، بالرغم من أنها كانت مطبوعة تحت اسم مؤلفها هنريسون منذ عام ١٥٩٣[٨٩].

ومن المعروف أن ملحمة هوميروس الخالدة "الإلياذة" تتخذ من غضبة أخيليوس موضوعا رئيسيًا لها، كما سبق أن ألمحنا. ولقد وقعت غضبة بطل الأبطال الإغريق بسبب الإهانة التى لحقت به من أجاممنون ملك الملوك. ذلك أن طاعونا كان قد داهم المعسكر الإغريقى إبان الحرب الطروادية فأعلن العراف كالخاس أنه لا علاج ولا دواء يدرأ هذه الكارثة سوى أن يسلم أجاممنون محظيته العذراء الجميلة خريسئيس إلى أبيها كاهن أبوللو. فقبل أجاممنون أن يفعل ذلك على مضض، وبشرط أن تسلم إليه أولا عوضًا عن محظيته الجميلة محظية أخيليوس وتدعى بريسئيس. ولكن بريسئيس هذه أصبحت فى قصة جويدو بريسيدا

(٨٩) الجدير بالذكر أن درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) نشر عام ١٦٧٩ مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" فانتقدها جورج سينتزبرى (George Saintsbury) فى كتابه "رجالات الأدب الإنجليزى" (English Men of Letters) قائلا: "إنه كان من الأفضل بكثير ألا يحاول المؤلف تناول هذا الموضوع". وجدير بالتنويه أن درايدن جعل كريسيدا تنتحر عندما أثيرت الشكوك حول إخلاصها لترويلوس. أما الأخير فيقتل ديوميديس ثم يقتل بدوره على يد أخيليوس وهذا حل شائع لعقدة القصة.

(Briseida) بنت العراف كالخاس التى أحبها على التوالى كل من ترويلوس وديوميديس، ثم تحول اسمها فى قصيدة بوكاشيو إلى جريسيدا (Griseida). وعلى يد تشوسر أصبح الاسم كريسيد (Cryseyde). ولقد ضمت قصيدة تشوسر حوالى ٨٢٠٠ بيتا، وأثرى المؤلف القصة التى نقلها عن بوكاشيو بإضافة عنصر الحيوية والسخرية لشخصية بانداروس (Pandarus)، الذى توسط بين ترويلوس وكريسيدا، وكذلك بتطوير شخصية الأخيرة فجعلها امرأة رزينة جادة متأنية تضع فى عين الاعتبار سمعتها ومصلحتها من ناحية، ومتعتها من ناحية أخرى. أما شخصية كريسيدا فى مسرحية شكسبير فهى فتاة طائشة مستهترة وأنثى متهورة متقلبة وقعت فى حب ترويلوس وهجرته بعد ذلك دون سبب حقيقى. يعالج تشوسر بطلته بلطف وتعاطف ظاهرين ويرسمها لنا أرملة صغيرة جذابة ومرنة، ولكنها تذوب حياء. وبكياسة بارعة تجنب تشوسر أن يقدم أى شرح أو تفسير مباشر لخيانتها التى وقعت، ولكنه أوحى لنا أنها تحولت إلى حب ديوميديس لا بدافع الشهوة الحسية الرخيصة، وإنما لأنها شعرت بالوحدة الفتاكة والاغتراب القاتل فى المعسكر الإغريقى. كما أنها بطبعها - كما نفهم من معطيات تشوسر - لا تقوى على المقاومة طويلة النفس أمام غواية الحب. أما كريسيدا شكسبير فهى امرأة غير متزوجة مغناج بطبعها شهوانية فى سلوكها، أى أنها أبعد ماتكون عن براءة كريسيدا تشوسر ونقائها الداخلى. فهى عند شكسبير تتورط فى الخيانة بدافع الشهوة الحسية. وهنا ينبغى أن نتذكر حقيقة أن قصيدة تشوسر قد كتبت فى عصر الحب البلاطى وفى ظل سلوك الفروسية، الذى وضع قالبا معينا أو نمطا مقدسًا لكياسة العشاق من الفرسان النبلاء. فساد مبدآن مهمان فى قانون الحب الفروسى غير المكتوب، أولهما السرية. فعلى العاشق الفارس أن يحفظ سر عشقه فى مكنون صدره، ولا يسمح له بالخروج من أعماق القلب كيلا يشيع أمره بين الناس، ويفضح المحبوبة ويسىء إلى سمعتها وتلوك سيرتها كل الألسنة. أما المبدأ الثانى فهو الإخلاص التام أو قل التفانى فى المحبوب. ولم يتضمن دستور الحب الفروسى العلاقة الزوجية، لأن هذا الحب لم يكن يهدف إلى هذه النهاية السعيدة، فلا أمل للعاشق الفارس سوى أن يفنى فى خدمة ورعاية عشيقته، ولو لم يحصل منها على مبتغاه. نعم قد تقوم علاقة جسدية بين العشيقين الفروسيين، ولكن ذلك أمر يرجع فى المقام الأول إلى المحبوبة ورضاها أو قل تعطفها على العاشق الولهان. فالعلاقة الغرامية الفروسية مقضى عليها بالفساد إذا تسرب أمرها إلى أذن أو ألسنة الناس

من ناحية، وإذا داخلها شيء من الحسية أو الشهوانية البذيئة من ناحية أخرى.

أما شكسبير الذى كتب مسرحيته بعد قرنين من الزمان فيخاطب مجتمعا آخر، تغيرت فيه الأعراف والتقاليد. فالكاتب الإليزابيثى يرى أن النهاية الصحيحة للحب هى الزواج. فإذا وضعنا فى اعتبارنا حقيقة أخرى، وهى أن كتاب عصر شكسبير لم يحفلوا كثيرا بالزنا إلا فى إطار الكوميديا الهزلية، تبينا قدر الصعوبة البالغة التى واجهت شكسبير وهو يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا معالجة تراجيدية. كان ترويلوس أنموذج العاشق المخلص من ناحية، ولكنه لم يتزوج كريسيدا فى أى مصدر من مصادر شكسبير من ناحية أخرى. ولقد استطاع شكسبير على أية حال أن يحتفظ بمبدأ السرية المطلوبة، كما عمل على ألا يثير موضوع الزواج بطريقة مكشوفة قدر الإمكان. وذهب بعض النقاد إلى اعتبار لقاء العاشقين فى حضرة أحد الشهود نوعا من الزواج، ولكن هذه الفكرة لا تتواءم مع الانطباع العام الذى نخرج به من المسرحية برمتها، والتى يحيط بها - على أية حال - قدر كبير من الغموض. بقى أن نشير إلى أن شكسبير وتشوسر كانا أكثر تقاربا وتشابها فى رسمهما لشخصية ترويلوس، إذ اتفقا فيما بينهما على القدرة العسكرية لهذا البطل الذى لم يتفوق عليه أى بطل طروادى آخر سوى هيكتور وهو بطل الأبطال الطرواديين ونظير أخيليوس الإغريقى. ويتفق الشاعران كذلك فى أن ترويلوس عند كل منهما يتميز بالإخلاص فى الحب إلى ما لانهاية، كما أنه قد حاول أن ينسى حبه أثناء القتال، بل وتمنى أن يموت فى ميدان الحرب ليكسب الحب. ومع ذلك فيمكن القول بصفة عامة إن الجو السائد فى مسرحية شكسبير جد مختلف عنه فى قصيدة تشوسر. فمسرحية شكسبير ومعطياتها ليست فقط منافية للبطولة **(antiheroic)**، ولكنها إلى حد ما تعد كاريكاتيرا بعيدا فى روحه عن الروح الإغريقية التى يجهلها أو يتجاهلها.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى ظهور شخصية ثيرسيتيس فى مسرحية شكسبير. ولما كانت هذه الشحصية غير موجودة فى الروايات الشائعة إبان العصور الوسطى كما رأينا، فإن ذلك يدل على أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة" ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر حيث ظهرت عام ١٥٩. وفى الواقع هناك ثلاث أو أربع إشارات أسطورية يمكن إرجاعها إلى نفس ذلك المصدر (قارن "ترويلوس وكريسيدا" فـ٣ م٣ ب١٩٠ على سبيل المثال).

أما عن هوميروس في بقية الدول الأوروبية الناهضة فلا يتسع المقام هنا لتتبع كل الترجمات ولا كل التأثيرات التى مارسها هوميروس فى فنون الأدب ونكتفى بالإشارة إلى بعض الأمثلة، ففى إسبانيا ترجم خوان دى مينا **Juan de Mena** (١٤١١-١٤٥٦) "الإلياذة" نثرًا ثم صدرت نسخة موجزة للترجمة ١٤٤٠، ولكن هذه الترجمة ومن باب أولى الموجز ابتعدا كثيرًا عن نص هوميروس.

وفى ألمانيا قام سبرنج **Spreng** من أوجسبرج **Augsburg** بترجمة "الإلياذة" شعرًا إلى الألمانية. واكتسب كريسنيان توبيلى دمّ **Ch.T. Damm** (١٦٩٨-١٧٧٨) لقب "الأكثر هومرية" **Homerikotatos** لأنه كان يحب اللغة الإغريقية أكثر من أى شيء آخر، ونشر قاموسًا اشتقاقيًا لهوميروس وترجمة "للإلياذة" و "الأوديسية" فى نثر ألمانى عام ١٧٦٧.

وكان إرازموس عالم الكلاسيكيات الأشهر قد كرس جهوده لترجمة "العهد الجديد" ولم يترجم هوميروس. فلما سئل قال إن "الكتاب المقدس **scriptura sacra** مثلما كان قد قيل عن هوميروس – يترجم نفسه بنفسه **sui ipsius interpres**"[٩٠].

وفى أوائل القرن الثامن عشر ترجم الكسندر بوب **Alexander Pope** (١٦٨٨-١٧٤٤) "الإلياذة" ١٧٢٠ و "الأوديسية" (١٧٢٥-١٧٢٦) وقال بنتلى – وسنعود إليه – عن هذه الترجمة "إنها قصيدة جميلة جدًا... ولكن ينبغى ألا يسميها هوميروس". ولكن تعليقات بوب وشروحه كانت ضخمة ومدققة وأعيد طبعها عدة مرات، وكان بنتلى نفسه يعد طبعة لهوميروس عام ١٧٣٢ وقيل إنه كان منهمكًا فى العمل بها عام ١٧٣٤ ولكنها فيما يبدو لم تخرج للوجود.

ولطالما عقد النقاد مقارنات بين هوميروس وأغانى البطولة الشعبية **ballads** فى الدول الأوروبية إبان العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة. وفى هذا الصدد علينا أن نضع فى الاعتبار أن هذه الأغانى ليست من التطور والنضج كما مثل ملاحم هوميروس. لم تصلنا الأغانى الفولكلورية السابقة لهوميروس، والتى ربما كانت – فى حالة وصولها – ستكون هى الأقرب إلى وضعها فى المقارنة مع الأغانى الشعبية البطولية الأوروبية. وأهم من كل ذلك أنه ليس لدينا فى الشعر

(٩٠) حول إرازموس وجهوده فى إحياء التراث الكلاسيكى ودوره فى النهضة راجع:
أحمد عتمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة، ص ١٣٩-١٤٩.

الأوروبى الحديث هوميروس آخر.

ومن جهة أخرى وضع مؤلفو الملاحم الأدبية الحديثة ملاحمهم وهم على دراية تامة بالملاحم التى سبقتهم وبالمراجع التاريخية والأسطورية التى وضعت قبلهم. إنهم مثقفون يخاطبون جمهورًا مثقفًا يقرأ ملاحمهم ولا تنشد لهم شفاهة. وهذا ما ينطبق على دانتى الليجيرى وتشوسر وميلتون وجيمس جويس وكازانزاكيس. ولدرايدن **Dryden** أبيات مشهورة فى كتب النقد حيث يقول:

Three poets, in three distant ages born,
Greece, Italy, and England did adorn:
The first in loftiness of thought surpassed;
The next in majesty; in both the last.
The force of Nature could no further go;
To make a third she joined the former two.

ثلاثة شعراء فى ثلاثة عصور متباعدة زينوا جبين بلاد اليونان وإيطاليا وإنجلترا، الأول (هوميروس) تفوق فى سمو الفكر، وتفوق الثانى (فرجيليوس) فى الأبهة، وتفوق الثالث (ميلتون) فى كليهما. فقوة الطبيعة لم تستطع أن تذهب أبعد من ذلك، فلكى تصنع شاعرًا ثالثًا جمعت بين الاثنين السابقين.

فمؤلف الملاحم الأدبية لا يستطيع أن يهرب من عصره فهو يعكسه ويعكس أحواله، ومن ثم ما أبعده عن البداوة والتلقائية الهومرية. يعطى درايدن لهوميروس المكانة الأعلى فى السمو ولفرجيليوس فى الأبهة ولميلتون قصب السبق فى الجانبين. هذه وجهة نظر درايدن التى أثارت الكثير من الجدل. فهناك من يرفضون فكرة المقارنة بين هوميروس وكتاب الملاحم الأدبية كما سبق أن أشرنا. ويمكن عقد مقارنة بين هوميروس وولتر سكوت **Walter Scott** (١٧٧١-١٨٣٢) الذى أعاد صياغة الأغانى الشعبية البطولية كما فعل هوميروس مع أشعار التراث الموكينى الذى سبقه فأحيا البطولات الآخية. ولكن ماتيو أرنولد **Matthew Arnold** (١٨٢٢-١٨٨٨) يقول عن أسلوب سكوت "إنها محاولة عالية المستوى للوصول إلى أسلوب ملحمى غير شرعى **a bastard epic style**". يتحدث ألفريد تينسون **Alfred Tennyson** (١٨٠٠-١٨٩٢) عن موسيقى هوميروس قوية الأجنحة

The strong- winged music of Homer.

تعجب ريتشارد بنتلى **R. Bentley** (١٦٦٢-١٧٤٢) من مقولة كولنز **Collins** الفضفاضة وفحواها أن هوميروس نظم أشعاره للخلود ليمتع ويعلم البشرية ويضيف قائلاً "اسمع كلامى لم يكن لدى هوميروس المسكين **poor Homer** مثل هذه الأفكار الطموحة. لقد نظم سلسلة أغانى ورابسوديات يغنيها هو نفسه فى مقابل أجر زهيد ومتعة عظيمة فى الاحتفالات والمناسبات السارة. وضع الإلياذة للرجال والأوديسية للجنس الآخر. هذه الأغانى المتفرقة لم تجمع فى شكل قصيدة ملحمية حتى عصر بيسيستراتوس...".

وتحدث الشاعر الملحمى الفرنسى بيير رونسار **Pièrre de Ronsard** (١٥٢٤-١٥٨٥) عن السلاسة الهومرية الطبيعية **"La naïve facilité"** فى مقابل الاجتهاد والمثابرة **la curieuse diligence** من جانب فرجيليوس[٩١]. أما دانتى فقد قال عن هوميروس فى الكوميديا الإلهية إنه الشاعر ذو الهيمنة**Omèro poeta sovrano**[٩٢].

ثامناً: وبعد ... فأما قبل!

فبعد هذه الجولة المحدودة فى آفاق "الإلياذة" اللانهائية نرى أن يركز القارئ على النص الهومرى المترجم، وأن يحيل كل ما أثير حوله إلى الخلفية. ولقد حاولنا قدر المستطاع أن نلتزم بالنص الهومرى، وأن ننقل جوهره ومعناه وروحه إلى لغة عربية مستساغة. ويحتاج كل بيت فى "الإلياذة" إلى تعليقات وشروح ومناقشات، سواء بالنسبة للمحتوى أو لأبعاده الأسطورية والتاريخية والاجتماعية وما إلى ذلك. ورأينا أن نترك ذلك لدراسات تخصصية مفصلة يمكن أن تستوجبها هذه الترجمة فيما بعد، وهذا ما نتوقعه بالفعل. ففى الوقت الراهن لا نريد للقارئ الكريم أن ينشغل كثيرًا بغير متعة القراءة والتأمل. على أننا وضعنا الأسس للدرس المفصل بداية بالمقدمة وانتهاءً بالمعجم الأسطورى الكشاف، الذى يضبط شكل الاسماء من جهة ويساعد الباحث على تتبع اسم معين أو أسطورة ما فى النص من أوله لآخره.

ولدينا آمال عريضة بأن الترجمة التى نقدم لها قادرة على أن تمنح القارئ

---

(٩١) **Ronsard, Oeuvres Completes, ed. P.Laumonier xvi (1950) p. 5, cf. Quintil. x 86.**

(٩٢) للمزيد حول تأثيرات هوميروس فى الآداب الأوروبية راجع:
Highet, op. cit., pp. 270-274, 574f and passim.

الفرصة كاملة لتذوق الفن الهومرى بالعربية. ونطمح كذلك أن تفتح هذه الترجمة آفاقًا جديدة للبحث والدرس المعمق.

قائمة مختارة من المراجع

أولا: طبعات "الإلياذة"

MONRO (D.B.) – ALLEN (Th.W.): Homeri Opera, Recognoverunt brevique adnotatione critica instruxerunt. Tomus 1: Iliadis Libros I-XII, Tomus II: Iliadis Libros XIII-XXIV, Oxonii e Typographeo Clarendoniano. Oxford University, Reprint 1978.

MURRAY (A.T.): Homer. *Iliad*, Vols 2. With an English Translation by. A. T. Murray, revised by W.F. Wyatt, L.C.L. 2nd edition. Harvard University Press 1999.

ثانيا: مراجع باللغة العربية

أحمد عتمان : الأدب الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١.

: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩.

ثالثا: مراجع بلغات أخرى

ALLEN, (W.S.) : Accent and Rhythm. Prosodic Features of Latin and Greek. A Study in Theory and Reconstruction. Cambridge 1973.

Idem : Vox Graeca The Pronunciation of Classical Greek. 3rd edition Cambridge 1987.

AUSTIN (N.) : "The Function of Digressions in the *Iliad*", *GRBS* 7 (1966) pp. 295-312.

BARNETT (Ronald) : Comparative Studies in Homeric Epic and Other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.

BASSETT (S. E.) : "The Pursuit of Hector", TAPhA 61 (1930) pp. 130-149.

Idem : "Dismissing the Assembly in Homer". CJ 26 (1931) pp. 458-60.

BAUMAN (Richard.) : Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative. Cambridge University Press 1986.

BEYE (C.R.) : The *Iliad*, the *Odyssey* and the epic tradition. London 1968.

CALAME (Claude) : "Entre oralité et écriture: Enonciation et énoncé dans la poésie grecque archaique", Semiotica 43, (1983) pp. 245-73.

CALHOUN (George) : "The Art of the Formula in Homer - επεα πτεροεντα" Ph. 30, (1935) pp. 215-27.

CAMEROTTO (Alberto): "Aristeia Azioni e tratti tematici dell'eroe in battaglia", Aevum Antiquum N.S. 1 (2001) pp. 263-308.

CANTILENA (M.): "Il cantore riprende", QU 55 (1997) pp. 141-154.

CHANTRAINE (Pièrre) : Grammaire Homerique. Vols 2, Paris 1958, 1963.

CLARKE (W. M.) : "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.

CULLER (J.) : The Pursuit of Signs: Semiotics, Literature, Deconstruction. Ithaca: Cornell University Press 1981.

CUNLIFFE (R.J.) : A Lexicon of the Homeric Dialect. Oxford Reprint 1992.

DALHATU (Muhammed): "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In Oral Poetry in Nigeria. Ed. U. Abalogu, 1981. pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.

DARAKI (M.) : "Le héros à μενος et le héros δαιμονι ισος" Une polarité homérique", ASPN 10 (1980) pp. 1-24.

DAVIDSON (Olga M.) : "Indo-European Dimensions of Herakles in

Iliad 19. 19-133", Arethusa 13 (1980) pp. 197-202.

DETIENNE (Marcel) : The Creation of Mythology. Transl. by M. Cook. University of Chicago Press 1986.

EDWARDS (M.W.) : "Convention and Individuality in *Iliad* 1", HSCPh 84 (1980) pp. 1-28.

Idem : "Homer and Oral Tradition: The Type Scene", Oral Tradition 7 (1992) pp. 284-330.

Idem : "The Conventions of a Homeric Funeral" in Studies in Honour T.B.L. Webster, ed. By J.H. Betts, J.T. Hooker, and J.R. Green (Bristol 1986) pp. 84-92.

Idem : "Homer and Oral Tradition: The Formula", Part 1. Oral Tradition 1, (1986) pp. 171-230.

Idem : "On Some Answering Expressions in Homer". Ph. 64. (1969) pp. 81-87.

Idem : Homer: Poet of the *Iliad*. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1987.

EDWARDS (R.B.) : Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age. Amsterdam 1979.

ERBSE (H.) : "Ettore nell' *Iliade*", Studi classici e orientali 28 (1978) pp. 13-34.

Idem : "Stylization and Variety: Four Monologues in the *Iliad*" in Homer: Tradition and Invention, ed. By B. Fenik, (Leiden 1978) pp. 68-90.

Idem : Epic Verse Before Homer. Amsterdam 1981.

Idem : Typical Battle Scenes in the *Iliad*, Hermes Einzelschriften 21. Wiesbaden 1968.

FENIK (Bernard) : Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style. Cambridge: Harvard University Press 1986.

FINKELBERG (M.) : "A Creative Oral Poet and the Muse", AJPh 111 (1990) pp. 293-303.

FINNEGAN (R.) : Oral Poetry. Cambridge 1977.

FRONTISI – DUCROUX (F.): La Cithare d'Achille. Rome 1986.

GAISSER (J.H.) : "Adaptation of Traditional Material in the Glaucus-Diomedes Episode" TAPhA 100 (1969) pp. 165-176.

GERNET (L.) : Anthropologie de la Grèce antique. Paris 1968.

GIORDANO (M.), : La supplica rituaie, istituzione sociale e tema epico in Omero. Napoli 1999.

GRIFFIN (Jasper) : Homer on Life and Death. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986.

Idem : "Homeric Words and Speakers", JHS CVI (1986) pp. 36-56.

HARDIE (R.R.) : "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles", JHS 105 (1985) pp. 11-31.

HELD (George F.) : "Phoinix, Agamemnon and Achilleus: Parables and Paradeigmata", CQ 37 (1987) pp. 245-61.

HERINGTON (John.): Poetry into Drama: Early Tragedy and the Greek Poetic Tradition. Berkeley: University of California Press 1985.

HIGHET (G.) : The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature. Oxford at the Clarendon Press 1949.

HORROCKS (G.C.) : Space and time in Homer. New York 1981.

Idem : Greek: A History of the Language and its Speakers. Longman London – New York 1997.

HUXLEY (G.L.) : Greek Epic Poetry: From Eumelos to Panyassis. London 1969.

JEBB (R.C.) : Homer: An Introduction to the *Iliad* and the

Odyssey. Glasgow Sixth Edition 1898.

JONG (de I.J.F.) : Narrators and Focalizers, The Presentation of the Story in the *Iliad*. Amsterdam 1987.

KIRK (G.S.), ed., : The Language and Background of Homer. Some Recent Studies and Controversies. Cambridge 1964.

Idem : The *Iliad*: A Commentary. Cambridge 1990.

Idem : Homer and the Epic. Cambridge, Reprint 1996.

Idem : Homer and the Oral Tradition, Cambridge, 1978.

KNAPPERT (Jan.) : Epic Poetry in Swahili and other African Languages. Leiden Brill 1983.

KRISCHER (T.) : "Arcieri nell'epica omerica. Armi, comportamenti, valori, in Omero. Gli aedi, I poemi, gli interpreti", a c. di F. Montanari. Firenze (1998) pp. 79-100.

KULLMANN (Wolfgang): "Oral Poetry Theory and Neoanalysis in Homeric Research", GRBS 25 (1984) pp. 307-23.

LAMBERTON (R.W.) – KENNEY (J), (edd.): Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes. Princeton 1992.

MESSING (Gordon M.): "On Weighing Achilles' Winged Words". Language 57 (1981) pp. 888-900.

MILLER (D. Gary.): Improvisation, Typology, Culture, and The New Orthodoxy: How Oral is Homer. Washington, D.C.: University Press of America 1982.

MORRIS (I.) – POWELL (B.): (edd.) A New Companion to Homer. Leiden 1997.

MOULTON (C.) : Similes in the Homeric Poems, *(Hypomnemata* 49) Göttingen 1977.

MUHLY (J.D.) : "Homer and the Phoenicians", Berytus 19

(1970) pp. 19-64.

MURRAY (G.) : The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition, Oxford 1934.

NAGLER (M.N.) : Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer. Berkeley 1974.

NAGY (Gregory) : The Best of the Achaeans. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1979.

Idem : Homeric Questions. Austin 1996.

NIMIS (Steven) : "The Language of Achilles: Construction vs. Representation", Classical World 79 (1986) pp. 217-25.

PACKARD (D.W.) - MEYERS, (T.): A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif 1974.

PAGE (D.L.) : History and the Homeric *Iliad.* Berkeley 1959.

PARRY (M.) : The Making of Homeric Verse, ed. A. Parry. Oxford 1971.

PATZER (H.) : Die Formgesetze des homerischen Epos. Stuttgart 1996.

PAVESE (C.O.) : "L'inno rapsodico: analisi tematica degli Inni omerici, in L'inno tra rituale e letteratuna" Atti di un colloquio, Napoli 21-24 ottobre, AION 13, (1991) pp. 155-178.

Idem : L'inno rapsodico: indice tematico degli Inni omerici, AION 15, (1993) pp. 21-36.

PFEIFFER (R.) : History of Classical Scholarship from 1300 to 1850. Clarendon Press Oxford, Reprint 1999.

Idem : History of Classical Scholarship: From the Beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.

POWELL (Anton) ed. : The Greek World. Routledge. London and

New York 1995.

POWELL (Barry B.): Homer and the Origin of the Greek alphabet. Cambridge University Press. First Paperback edition 1996.

PUCCI (Pietro) : Odysseus Polutropos: Intertextual Readings in the *Odyssey* and the *Iliad.* Ithaca: Cornell University Press 1987.

REDFIELD (J.M.) : Nature and Culture in the *Iliad.* Chicago 1975.

REEVE (M.D.) : "The Language of Achilles", CQ 23 (1973) pp. 193-5.

ROMILLY (de, Jacqueline): Perspectives actuelles sur l'épopée homérique. Paris: Presses Universitaires de France 1983.

SCOTT (W.C.) : The Oral Nature of the Homeric Simile. Leiden 1974.

SCULLY (Stephen) : "The Language of Achilles: The ΟΧΘΗΣΑΣ Formulas", TAPhA 114 (1984) pp.11-27.

SHIPP (G.P.) : "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." Essays in Mycenaean and Homeric Greek. (Melbourne 1961) pp. 1-14.

Idem : Studies in the Language of Homer, Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.

SKAFTE (Jensen, M.): The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory. Copenhagen 1980.

STANLEY (K.) : The Shield of Homer: Narrative Structure in the *Iliad.* Princeton 1993.

SUTER (Ann C.) : Paris / Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization. Ph.D. diss., Princeton University 1984.

TIGAY (Jeffrey.) : The Evolution of the Gilgamesh Epic.

Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.

TRYPANIS (C.A.) : The Homeric Epics. Warminster 1977.

VERMEULE (E.) : Aspects of Death in Early Greek Art and Poetry. Berkeley- Los Angeles 1979.

VERNANT (J.P.) : Figure, idoli maschere. Milano 2000.

VIVANTE (Paolo.) : The Epithets in Homer: A Study in Poctic Values. New Haven: Yale University Press 1982.

Idem : The Homeric Imagination. Indiana 1970.

WEBSTER (T.B.L.) : From Mycenae to Homer. London 1958.

WEES (Van H. van) : "Homeric Warfare", in I. Morris and B. Powell (edd.), A New Companion to Homer, Leiden (1997) pp. 668-693.

WHITMAN (C. H.) : Homer and the Heroic Tradition. Harvard University Press 1958.

WILLCOCK (Maleolm M.): A Companion to the *Iliad* based on the Translation by Richmond Lattimore. The University of Chicago Press 1976.

WRIGHT (John), ed.: Essays on the *Iliad*: Selected Modern Criticism. Bloomington: Indiana University Press 1978.

والله ولى التوفيق

أحمد عتمان

القاهرة أغسطس ٢٠٠٢

هـــوميـــروس

الإليـــاذة



الكتـــاب الأول



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

غَنِّ لى ياربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التى ألحقت بالآخيين[*] مآسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس)[**] بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
– وهكذا تحققت مشيئة زيوس. غَنِّ ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين (أجاممنون)، ٥
ملك الرجال، ابن أتريوس، وبين أخيليوس شبيه الآلهة[***]
مَنْ مِنْ بين الآلهة هو ذاك الذى دفع بهذين الاثنين إلى
الصراع فيما بينهما؟ إنه (أبوللون) بن ليتو وزيوس. فهو الذى
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشئوم بين صفوف المقاتلين
وإلى هلاك الرجال، لأن ابن أتريوس ألحق بكاهنه خريسيس ١٠
إهانة بالغة. فقد أتى الكاهن إلى سفن الآخيين السريعة ليحرر
ابنته (خريسئيس)، وهو يحمل معه فدية تفوق العد، وكان يمسك
بأكاليل أبوللون، الذى يسدد سهامه بعيدًا، (وقد لفها) حول
صولجان من الذهب، وراح يتوسل إلى كل الآخيين، وكان أكثر ١٥
توسله إلى ابنى أتريوس[****]، راعىّ جموع الرجال
"يا ابنى أتريوس، وياجميع الآخيين المزودين جيدًا بواقيات
الأرجل ! لتمنحكم الآلهة التى تتخذ مُقامها فوق جبل

(*) الآخيون: إحدى التسميات التى كان يعرف بها الإغريق فى العصور المبكرة الأولى قبل أن يستقروا على تسمية واحدة وهى "الهلينيون". وقد أطلق الشاعر عليهم، إلى جانب هذه التسمية، تسميتين أخريين هما: الدانائيون وأهل أو شعب أرجوس (الأرجيون). وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاث بشكل مترادف. (هذا وترد تسمية "الهلينيين" وهم شعب متحالف مع الآخيين ويسكنون فى جزء من ثيساليا فى الكتاب الثانى: بيت ٥٣٠.

(**) اللفظة التى يستخدمها الشاعر هى: Aïdés وهى صورة شعرية للفظة Hadés أو Haịdes (وفى لهجة الدوريين Aidas). وهى تسميات لأحد ابناء كرونوس أول آلهة الإغريق. وقد أصبح إلهـا للعالم السفلى، ثم أصبحت تطلق بشكل عام على العالم الآخر.

(***) يوجد صدى لهذه الأبيات فى مقدمة مسرحية يوريبيديس "هيلينى" (أبيات ٣٨-٤١) كما قدمت الملحمة المفقودة "القبرصية" تفسيرًا لأصل الحرب الطروادية (المحرر.)

(****) هما أجاممنون ملك موكيناى وسيد الآخيين وأخوه مينيلاؤس ملك إسبرطة الذى فرت زوجته هيلينى مع باريس (ألكسندروس) بن برياموس ملك طروادة، فكان هذا، فيما يقول الشاعر، سببا فى إشعال الحرب بين الآخيين والطرواديين.

الأوليمبوس، القدرة على إسقاط مدينة برياموس (طروادة)، ولتقدر ٢٠
لكم العودة سالمين إلى وطنكم(*). و(كل ما أطلبه إليكم هو) أن
تطلقوا سراح ابنتى الحبيبة (خريسئيس) وأن تقبلوا الفدية
بحق ابن الإله، أبوللون، الذى يطلق سهامه إلى بعيد".

عند ذلك صاح الآخيون جميعا معلنين موافقتهم ومنادين
باحترام الكاهن وقبول الفدية القيمة. ولكن هذا الأمر لم تسعد
به نفس أجاممنون بن أتريوس فطرد الكاهن شر طردة، آمرًا ٢٥
إياه فى خشونة.
"حذار أيها الشيخ الأشيب أن أجدك متلكئًا بين السفن المجوفة(**) الآن
أو عائدًا إليها بعد الآن، وإلا فإن صولجانك وإكليل الإله لن يحمياك
(منى). أما هذه (الفتاة خريسئيس) فلن أطلق سراحها قبل أن تدهمها
الشيخوخة فى بيتنا فى أرجوس بعيدا عن مسقط رأسها، وهى ٣٠
تذهب (فى عملها) أمام المنول وتقدم لى المتعة فى الفراش. أغرب
عن وجهى وحاذر أن تغضبنى حتى يمكنك الانصراف فى أمان".

هكذا تحدث، بينما استبد الخوف بالشيخ وانصاع لأمره ثم
مضى فى صمت على شاطئ البحر الهادر. وبعد أن ذهب ٣٥
بعيدًا صلى فى خشوع للسيد أبوللون، الذى ولدته ليتو ذات
الشعر الأشقر مبتهلًا:
"لتستمع إلى دعائى ياذا القوس الفضى، الذى يرعى خريسى وكيللا

(*) قارن ما يرد عند هوراتيوس (Sat. ii 3.191).

Maxime regum.
Di tibi dent capta classem reducere Troia.

يا أعظم الملوك !
لتمنحك الآلهة بعد سقوط طروادة أن تستعيد أسطولك. (المحرر)

(**) توصف سفن الإغريق بأنها مجوفة koilai لأن الواحد منهم، كما يقال، كان يعمد، فى المرحلة البدائية إلى جذع شجرة فيجوفه ثم يتخذ منه سفينة صغيرة. ثم ظلت هذه التسمية مستمرة حتى بعد أن كبر حجم السفن وتطورت صناعتها. والأقرب من هذا إلى المعنى هو أن شكل السفينة فى عمومه يوحى بالتجويف، أو أن مكان وضع وحفظ السلع أو المعدات فى السفينة يكون بالضرورة مكانا مجوفا – وهى التسمية التى أصبح يوصف بها هذا المكان فى فترة لاحقة من تاريخ الإغريق.

المقدسة، ياسيد تينيدوس(*)، (يارب) سمنثيوس(**). (إنى أبتهل إليك)
كلما أشرفت على إقامة محراب يحظى برضاك، وكلما قدمت القطع ٤٠
المشوية الدسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز قربانا لك، أن تستجيب
لدعائى هذا: لتنتقم بسهامك من الدانائيين لقاء ماذرفت من الدموع".

هكذا ابتهل فى صلاته، وسمعه فويبوس (الوضاء)(***)
أبوللون، فأسرع بخطواته من أعالى الأوليمبوس وقد تمكن الغضب ٤٥
من قلبه، بينما حمل على كتفيه قوسه وجعبة سهامه المغطاة.
وقد كانت السهام تصلصل على كتفى الإله الغاضب وهو
يتحرك، وكان مجيئه مثل الليل، ثم جلس بعيدا عن السفن
وأطلق سهما فأحدث الصوت الفضى رنينا رهيبا. لقد انقض
(سهمه) على البغال فى البداية، ثم على الكلاب السريعة، ٥٠
ولكنه ما لبث أن سدد سهامه (الحادة) اللاذعة إلى الرجال أنفسهم.
وهكذا توالت ضرباته بينما ظلت محارق الموتى تشتعل فى كثافة.

وقد استمرت سهام الإله تنطلق تسعة أيام على حشد
المقاتلين. وحين حل اليوم العاشر دعا أخيليوس الرجال إلى ٥٥
ساحة الاجتماع، بعد أن كانت الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
قد أوعزت إليه بذلك. إذ إنها بدأت تشفق على الدانائيين حين
شهدت ما أصابهم من هلاك. وحين جمعهم اللقاء نهض من
بينهم أخيليوس سريع القدم قائلا:

"يا ابن أتريوس ! يبدو أننا سننهزم ونعود (إلى حيث أتينا) دون ٦٠

(*) تقع خريسى وكيللا فى منطقة طروادة أما تينيدوس (تقابل الآن Bosdscha Ada) فهى جزيرة صغيرة على بعد بضعة أميال من ساحل طروادة. (المترجم)

(**) فى الأصل Smintheus (أى الإسمنثى)، نسبة إلى مدينة سمنثوس Sminthos أو Sminthè، وهى مدينة فى منطقة طروادة، وهى تشير إلى معنى "إله الفئران" لأن كلمة sminthos تعنى الفأر وهو لقب وصف به الإله أبوللون لأنه خلص هذه المدينة الصغيرة من وباء فئران الحقل، وهكذا تصبح التسمية معبرة عن معنى "المخلص من طاعون الفئران". وقد تكون هذه العبارة جزء من الطوطمية راجع:
Frazer, Golden Bough, vol ii pp. 427-8.
(المحرر)

(***) فويبوس Phoibos، لقب من ألقاب أبوللون ويعنى الساطع أو الوضاء. (المترجم)

أن ننجز شيئا، هذا إذا أفلتنا (أساسًا) من الموت، فالطاعون والموت
كفيلان بالقضاء على الآخيين. تعال، إذن، ولنسأل عرافا أو كاهنا،
نعم، أو مفسرا للأحلام، فالحلم، هو الآخر، (وحى) من عند
زيوس(*)، فربما نعرف منهم الأمر الذى جعل فويبوس أبوللون
يستشيط غضبا على هذا النحو سواء أكان هذا وعدا (أخلفناه) ٦٥
أو قربانًا من مائة ثور (لم نقدمه)، مؤمّلين أن يتقبل منا طعم الخراف
والماعز التى بلغت قمة نموها، فيفكر أن يصد عنا الطاعون".

ثم جلس (أخيليوس) بعد أن ختم حديثه على هذا النحو،
فنهض من بين المجتمعين كالخاس بن ثيستور، وهو خير ٧٠
العرافين، فهو يعرف كل ما وقع من أحداث، كما يعلم بتلك التى
سوف تقع، وتلك التى تسبقها (فى الحاضر)، وهو الذى أرشد
سفن الآخيين إلى إليوس بفضل عرافته التى أضفاها عليه
فويبوس أبوللون. لقد خاطب جمعهم بنية خالصة قائلا:
"أى أخيليوس، حبيب زيوس، إنك تطلب إلىّ أن أعلن (ما
أعرفه) عن غضب أبوللون السيد الذى يطلق سهامه بعيدا. وعلى هذا ٧٥
فإنى سأتكلم، ولكن على أن تصغى إلى ما سأطلبه. لتُقْسم بنية
صادقة على أن تسرع بالدفاع عنى قولا وفعلا لأنى، على ما أعتقد،
سوف أغضب رجلا يحكم كل حشود أرجوس ويطيعه الآخيون،
إذ إن الملك يزداد عنفه حين يغضبه رجل أقل منه مرتبة.
ومن هنا فإنه قد يكظم غيظه ليوم واحد، ولكنه يظل طاويا صدره ٨٠
على غضبه حتى يأتى الوقت الذى يُصَفِّى فيه حسابه
(مع من أغضبه). فلتفكر إذن إذا كنت ستقوم بحمايتى".

وهنا رد عليه أخيليوس سريع القدم قائلاً:

(*) عن الحلم بوصفه وحيًا من الإله؛ قارن ميلتون "الفردوس المفقود" (الكتاب ١٢ بيت ٦١١).
For God is also in sleep, and dreams advise"
(المحرر)

"لا تخف ! وتحدث عن أية نبوءة (أنت على علم بها)، فبحق ٨٥
أبوللون الحبيب إلى زيوس الذى تصلى له يا كالخاس والذى تعلن
باسمه نبوءاتك للدانائيين، إنه طالما أنا على قيد الحياة، وطالما لازلت
أرى وجه الأرض، فإن أحدا لن (يجرؤ على أن) يضع عليك يديه
الثقيلتين (بسوء) بجوار السفن المجوفة، من بين كل الدانائيين،
حتى لو كنت تعنى بحديثك أجاممنون الذى يعلن أنه خير ٩٠
الآخيين على الإطلاق".

عندئذ تشجع العراف النبيل وتحدث قائلاً :

"إن الإله لا ينحى باللائمة لا من أجل عهد (نكصتم به)، ولا
من أجل قربان من مائة ثور (لم تقدموه)، وإنما من أجل الكاهن الذى
نال أجاممنون من شرفه حين لم يطلق سراح ابنته (خريسئيس) ٩٥
أو يقبل الفدية، ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيدًا قد
صب المآسى فوق رءوس الدانائيين وسوف يستمر فى ذلك
ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون
البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى
نقدموا محرقة من الذبائح فى خريسى، حينئذ قد نفلح فى تهدئة ١٠٠
غضب الإله ونتوصل إلى إرضائه".

وعندما انتهى من حديثه على هذا النحو عاد إلى مجلسه.

وهنا نهض المحارب ابن أتريوس، أجاممنون الذى يمتد سلطانه
على أراضٍ شاسعة، وقد ظهر على وجهه الضيق الشديد
وامتلأ قلبه عن آخره بالغضب الأسود، بينما بدت عيناه كاللهب ١٠٥
المتأجج، فوجه فى البداية إلى كالخاس حديثا ينبئ بالعواقب الوخيمة:

"يانذير الشؤم ! إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن،
فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائما، أما الكلمة الطيبة
فإنك لم تأت بها قولا أو فعلا حتى الآن. وها أنت تنطق
بنبوءاتك بين الدانائيين المجتمعين وتعلن أن الإله الذى يطلق ١١٠

سهامه بعيدا قد جلب إليهم المآسى من أجل السبب (الذى ذكرته)
بالذات، وهو أنى لم أقبل الفدية القيمة فى مقابل (إطلاق سراح) الفتاة
خريسئيس، ابنة خريسيس، لأنى أنوى الاحتفاظ بها فى منزلى.
فلتعلموا إذن أتى أفضلها على كليتمنسترا – زوجتى. فالفتاة ليست
أقل منها شكلا أو قدًّا أو فكرًا أو أداء لأية صنعة من الصنائع. على ١١٥
أنى مستعد رغم ذلك أن أعيدها، إذا كان الخير فى هذا، لأنى أفضل
سلامة الرجال على هلاكهم. ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدوا
لى غنيمة على الفور، حتى لا أكون الوحيد بين حشود أرجوس الذى
لم يحصل على غنيمة. إذ من غير اللائق أن تشاهدوا جميعا ١٢٠
غنيمتى وهى تنتقل من حوزتى إلى مكان آخر".

عندئذ رد عليه أخيليوس، الإلهى سريع القدم :

"يابن أتريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعا فيما ليس من
حقه، كيف يتسنى للآخيين ذوى القلوب الكبيرة أن يقدموا لك
غنيمة ؟ إننا لا علم لنا بأية ثروة محفوظة (تحت طلبنا) فى ١٢٥
مخزن عام للغنائم، ولكنا قسمنا أسلابنا من المدن بين الجميع،
ولا يجوز أن نعود فنأخذها من الرجال، نعم، عليك أن تطلق
سراح الفتاة حسب مشيئة الإله، وسنعوضك، نحن الآخيون،
عن ذلك ثلاثًا أو أربعا، إذا أكرمنا زيوس وأسقطنا طروادة
ذات الأسوار الحصينة". ١٣٠

بعدها رد عليه أجاممنون السيد:

"أى أخيليوس، ياشبيه الآلهة ! إنك لن تخدعنى بفطنتك. ومهما
كان لديك من شجاعة أو من أصل نبيل فإنك لن تفوقنى فى الدهاء أو
فى الإقناع. أتطلب إلىّ أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر
اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟ إن هذا لن يكون إلا إذا قدم لى ١٣٥
الآخيون ذوو القلوب الكبيرة سبية أرى فيها بديلا مساويا لغنيمتى. أما
إذا لم يفعلوا ذلك فإنى سأحضر بنفسى وأستولى على غنيمتك أو

غنيمة أياس أو أوديسيوس وأعود بها، وليكن ما يكون من
غضب ذلك الذى سأحضر إليه ! ولكن على
أية حال سوف يكون هناك وقت للتدبر فى هذا الأمر لاحقًا ١٤٠
أما الآن فلننزل إلى البحر اللألاء سفينة سوداء نجمع
فيها عددًا كافيا من المجدفين والحيوانات المقدمة للتضحية،
ولتنزل بها خريسئيس، ذات الخدود الجميلة نفسها، وليقم
على قيادة السفينة أحد من ذوى الرأى، أياس أو إيدومينيوس
أو أوديسيوس، الإلهى، أو أنت ابن بيليوس الذى يخشاه الرجال ١٤٥
أكثر من أى شخص آخر، حتى تقدم الأضاحى وتهدئ من
غضب ذلك الذى يطلق سهامه بعيدًا".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدم، نظرة غاضبة كالحة
ووجه إليه الحديث قائلً:
"آه، يامن ترتدى رداء عدم الحياء ! أيها الطماع المحتال ! كيف ١٥٠
تنتظر من أى من الآخيين أن يقدم عن طيب خاطر على تنفيذ ما
تطلبه إليه من المشاركة فى غارة أو القتال ببسالة مع المحاربين.
إنى لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملى الرماح من محاربى
طروادة، فهم لم يسيئوا إلىّ قط. إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
بأبقارى أو بخيلى، لا ولم يخربوا محصول الحبوب فى أرض فثيا ١٥٥
الخصيبة، منجبة الأبطال، فهناك الكثير الذى يفصل بينهم
وبيننا، جبال داكنة وبحر هادر. ولكنا تبعناك إلى هنا
لنرضيك ! نعم يامن لا يعرف الخجل، حتى تسترد أنت
ومينيلاؤس ما فقدتماه على يد الطرواديين - وهو الأمر الذى ١٦٠
تتجاهله ولا تدخله فى اعتبارك. والآن تهددنى، أنت بالذات،
بالاستيلاء على غنيمتى التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل
الحصول عليها، فمنحنى إياها ابناء الآخيين. ومع ذلك فإنى لم
أحصل قط على غنيمة مثل الغنائم التى كنت أنت تحصل

عليها كلما أسقط الآخيون مدينة مأهولة من مدن الطرواديين.
إن وطأة الحرب كانت تقع على عاتقى أنا، أما عند تقسيم الغنائم فقد ١٦٥
كان لك النصيب الأكبر، بينما أعود أنا إلى السفن ومعى ما حصلت
عليه بنفسى مهما كان ضئيلاً، بعد أن يكون القتال قد أخذ منى كل
مأخذ. أما الآن فإنى سأعود إلى فثيا، فإنه لأخف وطأة على النفس أن
أعود إلى الوطن فى سفنى ذات المقدمات المعقوفة، من أن أتحمل ١٧٠
الإهانة هنا بينما أجمع لك الثروة وأسباب الرفاهية".

وهنا رد عليه أجاممنون، ملك الرجال :

"فلتهرب من المعركة إذا طاوعتك نفسك. إنى لا أرجو منك أن
تبقى هنا من أجلى، فإلى جانبى يقف آخرون ممن سيشرفوننى
(بأدائهم)، ومعى، فوق الجميع، زيوس رب التدبير الحكيم. إنك ١٧٥
أبغض إلىّ من كل الملوك الذين يرعاهم الإله، فأنت تعشق الخصام
والعنف والقتال. وماذا لو كنت عظيم الشجاعة ! إن إلهًا، فيما أحسب،
هو الذى وهبك ذلك. ارحل إلى بلادك أنت وسفنك ورفاقك وأقم
نفسك سيدًا على الميرميدونيين، فأنا لن أهتم بك بعد اليوم ١٨٠
ولم أعد أعبأ بغضبك. على أنى أحذرك: إذا كان فويبوس
أبوللون سيأخذ منى خريسئيس فإنى سأرسلها فى سفينة من
سفنى ومع رجال من رجالى، ولكنى سآتى بنفسى إلى خيمتك
لآخذ (بدلا منها) سبيّتك بريسئيس، ذات الخدود الجميلة، حتى ١٨٥
تعلم جيدًا كم أنا أرفع منك قدرا، وحتّى يرتدع كثيرون غيرك
عن أن يعلن أى منهم فى حضورى أنه ندٌ لى".

هكذا تحدث (أجاممنون)، فابتأس لذلك ابن بيليوس، وفى داخل
صدره ذى الشعر الكث كان يتنازع قلبه أمران، إما أن يستل ١٩٠
سيفه القاطع من جانب فخذه فيفرق الجميع ويذبح ابن أتريوس،
أو أن يكظم غيظه ويتحكم فى نفسه. وبينما كان يقلب الرأى
بين ما يدعوه إليه كل من قلبه وعقله، وهو يستل سيفه الكبير

من غمده، هبطت الإلهة أثينة من السماء. وكانت الإلهة
هيرا ذات الذراع الأبيض قد أرسلتها لأنها كانت تكن للملكين ١٩٥
الحب من كل قلبها وتهتم بأمر كل منهما بالقدر ذاته. وقد
اتخذت أثينة موقفها خلف ابن بيليوس(*)، وأمسكت بشعره الأشقر
بحيث تتجلى له وحده بينما لا يراها الآخرون. وقد استحوزت
الدهشة على أخيليوس فاستدار وتعرف فى التو على أثينة باللاس(**)
ببريق عينيها الرهيب، وتحدث إليها بكلمات مجنحة، ٢٠٠

"لماذا عُدْت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس ؟ هل جئت
لعلك ترين صفاقة أجاممنون بن أتريوس ؟ إذن سأخبرك، وفى
تصورى أن ما أقوله سيتم فعلا. إنه سيدفع حياته عما قريب ثمنا ٢٠٥
لاستعلائه المفرط".

عندئذ أجابته الإلهة أثينة ذات العينين الزرقاوين(***)،
"لقد هبطت من السماء لكى أهدئ من غضبك، إذا استمعت إلى
ما سأقوله. وقد أرسلتنى الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
لأنها تحب كلا منكما من قلبها بالقدر ذاته وتهتم بأمركما.
فلتكف إذن عن الصراع ولا تجعل يدك تشهر سيفك. وجِّه إلى ٢١٠
(أجاممنون) من ألفاظ التأنيب ما يخطر على بالك. فهأنذا أقوله
لك، وسوف يتحقق ما أقوله: إنك سوف تحصل، بسبب هذه
الإهانة، على ثلاثة أمثال ما كنت ستفوز به. فلتحجم إذن (عما
كنت تنوى القيام به) وضع ثقتك فى قولنا (أنا والإلهة هيرا)".
وهنا رد عليها أخيليوس سريع القدم : ٢١٥
"أيتها الربة، من الواجب على المرء أن يراعى كلا منكما
بغض النظر عما يعتمل فى قلبه من غضب، فإن هذا هو الأفضل،

(*) هذا المشهد هو بالقطع الذى استوحاه سوفوكليس فى مسرحيته "أياس" (٧٢٩ وما يليه) (المحرر).
(**) أحد ألقاب الإلهة أثينة، ويروى أنه كان اسما لإحدى صديقاتها، ثم قتلتها الإلهة عن طريق الخطأ، فأقامت معبدا على اسمها، هو البالاديون، تخليدا لها.
(***) للتأكد من أن glaukopis تعنى ذات العيون الزرقاء راجع: Pausanias I 14. 6. (المحرر).

لأن الذى يطيع الآلهة تستجيب له بالكامل".

٢٢٠ وهكذا تحدث بينما أطبق بيده الثقيلة على المقبض الفضى
للسيف الكبير دافعا إياه فى غمده دون اعتراض على ما قالته أثينة.
ولكنها كانت حينذاك قد انطلقت إلى الأوليمبوس حيث مقر الإله
زيوس، لابس الدرع أيجيس، لكى تلتقى بالآلهة الآخرين.

ولكن ابن بيليوس خاطب ابن أتريوس من جديد بألفاظ عنيفة
٢٢٥ دون أن يزايله غضبه على أى وجه :
"أيها المخمور، يا من له عينا كلب (شرس) وقلب غزال
(جبان). إنك لم تواتك الشجاعة مرة واحدة أن تتسلح للمعركة إلى
جانب رجالك، أو تتقدم لتصنع كمينًا مع زعماء الآخيين، فذلك يبدو
لك كأنه الموت(*) ذاته. بل إنك فى الحقيقة تجد خيرًا من ذلك كثيرًا،
٢٣٠ وسط جيش الآخيين الجرار، أن تستولى على غنيمة من
يتحدث على غير هواك. أيها الملك المفترس لشعبه ! لابد أنك
تحكم رجالا لا قيمة لهم، وإلا فإنك يابن أتريوس تكون قد
ارتكبت آخر وقاحاتك اليوم. ولكنى سأعلن كلمتى (مدوية) إليك
وأقسم عليها قسمًا رهيبا. بحق هذا الصولجان الذى لن
٢٣٥ تنبت فيه أوراق أو براعم بعد أن انفصل (الغصن الذى
صنع منه) عن جذعه لأول مرة بين الجبال، والذى لن يعود
إليه اخضراره مرة أخرى بعد أن نزع (المنجل المصنوع من)
البرُنز أوراقه ولحاءه، والذى يحمل (مثله) الآن (سادة القوم)
من أبناء الآخيين وهم يصدرون أحكامهم ويحافظون على
القوانين باسم الإله زيوس، وسيكون هذا قسمًا عظيما بالنسبة

(*) اللفظة الموجودة فى الأصل هى ker، مفرد keres التى تعنى الأرواح التى تجلب البلاء بأنواعه المختلفة: العمي، الشيخوخة، الحظ السيء، فقدان البصيرة، الموت. وفى أغلب استخداماتها تظهر باعتبارها لفظة عادية بمعنى الموت أو جالبة (جالبات) الموت، وإن كانت فى بعض الأحيان، حسبما يستدعى النص، تترجم بمعنى القدر (الإلياذة، الكتاب التاسع ٤١١) وفى بعض الأحيان يتراوح معناها بين القدر والموت (الكتاب الثالث، ٢٢٠). وقد ترجمتها أحيانا بلفظة "الموت" أو "شبح الموت"، وأحيانا بلفظة "القضاء" حسب المعنى الذى تراءى لى من السياق.

لكم: ليأتين اليوم الذى يفتقد فيه ابناء الآخيين جميعا أخيليوس ! ٢٤٠
وفى ذلك اليوم لن يكون بوسعك بأية حال أن تمد لهم يد العون
مهما بلغ بك الأسى، حين يتساقط الكثيرون أمام هيكتور قاتل
الرجال. ولكن قلبك سوف يتمزق ندمًا لأنك لم تعامل خير
الآخيين بما يستحقه من تبجيل". ٢٤٥

هكذا تحدث ابن بيليوس. ثم قذف على الأرض بصولجانه
المرصع بمشابك ذهبية وعاد إلى جلسته، بينما ظل ابن أتريوس
ينفث غضبه من مكانه بالجانب المقابل. بعد ذلك قام بينهم نيستور،
سيد الكلمة العذبة وخطيب أهل بيلوس، ذو الصوت النقى، الذى
ينطق لسانه بكلام أحلى من العسل. لقد شهد نهاية جيلين من الرجال
الذين ولدوا وشبوا فى بيلوس المقدسة، وها هو يحكم الجيل الثالث. ٢٥٠
و (الآن) خاطب الجمع وهو مفعم بالنوايا الطيبة قائلا:
"ياللأسى ! إن بؤسًا كبيرًا يخيم على أرض
الآخيين. كم سيبتهج برياموس (ملك طروادة) هو وابناؤه، ٢٥٥
وكم ستسعد قلوبهم وقلوب بقية الطرواديين إذا سمعوا قصة
الشقاق بينكما أنتما الاثنين، سيدى الدانائيين أحدكما فى الرأى
والآخر فى الحرب. ولكن انصتا إلىّ ! إنكما أصغر منى سنا، ٢٦٠
وقد رافقت قبل الآن رجالا خيرا منكما، ولم يقلل أحد منهم من
شأنى أبدًا. إنى لم أر بعدهم من يماثلهم ولن أرى من يماثلهم.
هكذا كان بيريثوؤس ودرياس راعى الشعوب وبوليفيموس شبيه
الآلهة، كاينيوس وإكساديوس وثيسيوس بن آيجيوس، نظير الخالدين. ٢٦٥
لقد كان هؤلاء أقوى ابناء الأرض من الرجال، وقد قاتلوا أقوى
الرجال، بل لقد حاربوا الفيريس(*) الذين سكنوا الجبال، وقضوا

(*) اللفظة المستخدمة هنا: **Féres**، واللفظة المرادفة لها **Kentauroi** كانت تطلق على قوم شرسين يعيشون حياة برية كانوا يعيشون فى ثيساليا بين مدينتى بيليون **Pelion** و أوسا **Ossa**. وقد اقتلعوا من هذه المنطقة على يد شعب مجاور فى فترة مبكرة. وعند الشعراء المتأخرين نجدهم يظهرون على شكل كائنات، الواحد منها نصفه العلوى إنسان ونصفه السفلى حصان. وواضح أن هوميروس كان يعنى المعنى الأول لأن التصور الثانى لم يكن قد ظهر بعد.

عليهم بلا شفقة أو رحمة. نعم، لقد كنت رفيقًا لهؤلاء الرجال
حين قدمت (إليهم) من بيلوس من الأرض البعيدة، وكانوا هم
أنفسهم الذين وجهوا الدعوة إلىّ (لألحق بهم). أما فى حومة ٢٧٠
الوغى فلم أكن تابعًا لأحد. إن أحدا ممن يعيشون الآن على
وجه الأرض لا يقوى على قتال (الفيريس)، ومع ذلك فقد كانوا
يستمعون إلى رأيى ويقدرون مشيئتى، وإنى أهيب بكما أن
تستمعا إلى المشورة، فالاستماع إلى المشورة خير. أنت (يا ابن ٢٧٥
أتريوس) لا تحاول رغم مالك من مكانة سامية، أن تستولى
على الفتاة، ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء
الآخيين إياها غنيمة له. وأنت يا ابن بيليوس، لا تفكر فى
مقارعة ملك، قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن
مجد الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجدًا عاديا. ٢٨٠
وإنك رغم ما أنت عليه من شجاعة من حيث إن إلهة هى التى
أنجبتك، فإنه هو الأكثر قوة طالما هو ملك على رجال أكثر
عددًا. (وأنت) يا ابن أتريوس ! إنى أهيب بك أن تهدئ من
ثائرتك وأن تتخلى عن غضبك على أخيليوس لأنه سند هائل
للآخيين جميعا فى هذه الحرب المدمرة." ٢٨٥

وهنا رد عليه أجاممنون، سيد القوم:

"نعم ياسيدى الشيخ (الحكيم). لقد تحدثت بما فيه الحق فعلا، ولكن هذا
الرجل لا يفكر إلا فى السيطرة وفى أن يصبح سيد الجميع وأن
يفرض سلطته على الآخرين، بينما أعتقد أنا أن أحدا لن يطيعه ٢٩٠
فيما يسعى إليه. وحتى إذا كانت الآلهة قد جعلته بارعًا فى
القتال بالرمح، هل أعطوه بذلك الحق فى التفوه بهذه الإهانات؟".

وهنا قاطعه أخيليوس، الإلهى، قائلا:

"ليكونن اسمى هو الجبان الذى لا قيمة له إذا رضخت لك فى كل شيء، ٢٩٥
حسبما تريد. افرض أوامرك على الآخرين إذا شئت، ولكن لا تصدر

إلىّ أية أوامر، فقد عقدت العزم على ألا أطيعك بعد الآن. ثم هناك
شىء آخر أود أن أقوله لك، وعليك أن تأخذه مأخذ الجد. إنى
لن أصارع فى سبيل الحصول على الفتاة، سواء أكان ذلك
معك أو مع الآخرين، طالما أنك عدت فأخذت منى ما كنت قد　٣٠٠
أعطيتنى إياه فى البداية. ولكن حذار أن تأخذ شيئاً مما أملك من
أشياء موجودة فى سفينتى السوداء. نعم حاول أن تجرب ذلك
حتى يعلم الجميع (ماذا سيصيبك): إن دمك الأسود سيندفع
ليسيل فوق رمحى على الفور".

٣٠٥　وحين انتهى الاثنان من معركتهما اللفظية العنيفة نهضا وفضا
الاجتماع الذى كان معقودا إلى جوار سفن الآخيين. فأخذ ابن
بيليوس طريقه إلى حيث سقيفته وسفنه الأنيقة، وقد اصطحب
معه (باتروكلوس) بن مينويتيوس ورفاقه، أما ابن أتريوس
فقد دفع سفينة سريعة إلى البحر واختار عشرين مجدفا وساق
إلى ظهر السفينة الحيوانات التى سيضحى بها للإله. كما　٣١٠
أحضر خريسئيس، ذات الخدود الجميلة، بينما صعد أوديسيوس
الواسع الحيلة(*) إلى السفينة ليتسلم قيادها. وحين اعتلى الجميع
متن السفينة أقلعوا فى مسالك البحر. أما ابن أتريوس فقد طلب
إلى جميع الآخيين أن يتطهروا، فتطهر الجميع وقذفوا إلى البحر بكل
ما لحق به الدنس. بعدها قدموا، قرباناً إلى (الإله) أبوللون، ذبائح　٣١٥
كافية من الثيران والماعز على شاطئ البحر التواق(**). وتصاعدت

(*) المعنى الدقيق للفظة اليونانية polymetis هو: ذو الحيل الكثيرة أو ذو الآراء المتعددة، وهو معنى قد يوحى فى العربية بتصور سيئ لشخصية أوديسيوس، علما بأن المعنى المقصود يوحى بالتصور الحسن، وعلى ذلك فقد فضلت صفة: الواسع الحيلة، وهى تقدم التصور الحسن المقصود بدقة.

(**) اللفظة فى الأصل اليونانى هى صيغة المضاف إليه من صفة atrugetos بمعنى: الذى لم يؤت ثمارًا أو حصادًا. وقد ترجمها ريو (Rieu: Homer, the Iliad, Penguin) بصفة: الذى لم يحصد ثماره أحد، وأجدها شديدة التقيد بالمعنى الحرفى عند هوميروس. دون أن توضح لنا شيئا ملموسا، كذلك ترجمها هاينرخ فوس: (H.Voss, Homer, Ilias, Goldmans Gelbe Taschenbuecher) بمعنى: المهجور، وهنا أجد الترجمة تقترب نسبيا من الأصل اليونانى ولكنها تتعارض مع الحركة والانهماك اللذين لابد أنهما صاحبا تقديم القرابين بما فيه من ذبح عدد من الثيران والماعز ورائحة الشواء ودوامة الدخان. كذلك ترجمة مورى (Murray: Homer, The Iliad, Loeb) بمعنى: الذى لا يهدأ، وأجد فى هذه الترجمة تجاوزا لا يؤدى إلى معنى يتصل بالسياق. وفى تصورى أن الشاعر يريد أن يصور جو الموقف الذى يكون فيه البحر وكأنه يشاهد الأحداث التى تقع بين أجاممنون وأخيليوس ولكنه لا يزال يترقب نتائجها دون أن يصل إلى معرفة ماستسفر عنه، وهو فى ذلك يشبه الحقل الذى لم يؤت حصاده أو ثماره بعد.

رائحة الشواء إلى عنان السماء فى دوامة من الدخان.

انشغل الرجال فى معسكرهم. ولكن أجاممنون لم يكن قد تخلى
بعد عن نزاعه الذى كان قد بدأه بتهديد أخيليوس. وهكذا استدعى كلا ٣٢٠
من تالثيبيوس ويوريباتيس، رسوليه ورجليه اللذين كانا يقومان على
تلبية مطالبه قائلا لهما:
"اذهبا إلى سقيفة أخيليوس بن بيليوس واستوليا على بريسئيس ابنة
بريسيوس، ذات الخدود الجميلة، واقتاداها إلى هنا. فإذا لم يسلمها ٣٢٥
لكما، سوف أذهب بنفسى مع مجموعة أكبر وأستولى عليها، وســيكون
ذلك شيئًا أسوأ".

وبعد أن فرغ من كلامه أرسلهما تحت الأوامر المشددة.
وذهب الاثنان على مضض (متخذين طريقهما) بطول شاطئ
البحر المتلاطم الأمواج حتى وصلا إلى معسكر الميرميدونيين
وسفنهم، فوجدا أخيليوس إلى جانب سقيفته وسفينته السوداء. ٣٣٠
على أنه وهو فى جلسته، لم يكن سعيدا بمرآهما. وهنا انتابهما
الخوف والرهبة من الملك، فتوقفا دون أن يجترئا على أن ينبسا
بكلمة، أو على أن يلقيا عليه سؤالا. ولكنه أدرك فى دخيلة
نفسه ما قَدِما من أجله فبادرهما بالحديث قائلا:
"مرحبا أيها الرسولين، رسولى زيوس والبشر، اقتربا. إنكما فى ٣٣٥
نظرى لم تقترفا إثمًا، ولكن أجاممنون (هو الذى فعل ذلك)، فهو الذى
أرسلكما من أجل الفتاة بريسئيس ابنة بريسيوس. ومع ذلك تعال
يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، ولتحضر
معك الفتاة لتعطيهما إياها حتى يأخذاها إلىّ هناك. وليكن هذان
الاثنان شاهدين (على ذلك) أمام الآلهة المباركة وأمام البشر ٣٤٠
الفانين، بل وأمامه هو، ذلك الملك الذى لا يعرف الرحمة – إذا
حدث فى المستقبل أن كانت هناك حاجة إلى لكى أدفع الكارثة
المخزية عن المقاتلين. حقا، إنه فى سورة غضبه المدمر لا

يعرف كيف ينظر أمامه أو خلفه (ليتدبر الأمور) حتى يتمكن
من حماية أتباعه الآخيين وهم يقاتلون بجوار السفن". ٣٤٥

هكذا تحدث، وقد استمع باتروكلوس إلى ما قاله رفيقه
الحبيب، فقاد بريسئيس، ذات الخدود الجميلة، إلى خارج السقيفة
وأعطاهما إياها ليعودا إلى سفن الآخيين. فذهب الرجلان
وذهبت معهما المرأة على غير رغبة منها، بينما انفجر
أخيليوس باكيا وانسحب بعيدًا عن رفاقه، وجلس على شاطئ
البحر الرمادى محملقًا فى أعماقه الزرقاء الداكنة. ثم بسط يديه ٣٥٠
موجها دعاءه إلى أمه الحبيبة، (ثيتيس، عروس البحر):
"أماه ! طالما أنك حملت بى حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
فقد كان على زيوس، سيد الأوليمبوس ومطلق الرعد أن يمنحنى
قدرا من الاعتبار. ولكنه لم يقدم لى (من ذلك) حتى النزر
اليسير. بل لقد أساء ابن أتريوس، أجاممنون ذو السلطان العريض، ٣٥٥
إلى شرفى. فانتزع منى غنيمتى واستولى عليها ظلمًا وعدوانا !".

هكذا تحدث باكيًا، فسمعته أمه العظيمة وهى جالسة فى قاع
البحر إلى جانب أبيها الشيخ (نيريوس). وبسرعة ظهرت من
البحر الرمادى فى هيئة ضبابية وجلست بعد ذلك مباشرة فى
مواجهته وهو لا يزال منخرطا فى بكائه. ثم ربتت عليه بيدها ٣٦٠
وقالت له وهى تدعوه باسمه:

"لماذا تبكى. ياولدى ؟ أى أسى قد مس قلبك ؟ تحدث بصدر
مفتوح ولا تُخْفِ عنى ما يدور بذهنك، حتى أشاطرك معرفة
(ماتقاسيه)".

عند ذلك تحدث إليها أخيليوس سريع القدم وهو يتنهد فى
زفرات عميقة: ٣٦٥
"إنك تعلمين (ما أقاسيه)، فلماذا أذكر لك قصتى وأنت تعلمين كل

شىء،. لقد ذهبنا إلى ثيبى(*)، مدينة إئيتيون المقدسة واستولينا عليها
ودمرناها وأحضرنا إلى هنا كل الغنائم فاقتسمها الآخيون فيما بينهم
بالعدل، ولكنهم اختاروا لابن أتريوس، خريسئيس ذات الخدود ٣٧٠
الجميلة إلا أن خريسيس، كاهن أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
جاء إلى السفن السريعة، سفن الآخيين الذين يلبسون البرونز، ليشترى
(حرية) ابنته وقد أحضر معه فدية تفوق العد، حاملا فى يديه
إكليل الغار الخاص بأبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، ٣٧٥
حول صولجان من ذهب، وتوسل إلى جميع الآخيين.
وكان أكثر توسله إلى ابنى أتريوس اللذين كانا يتزعمان
الحشود. وهنا عبر بقية الآخيين عن موافقتهم بالصياح،
معربين عن احترامهم للكاهن وقبولهم للفدية القيمة. على أن
ذلك لم يلق قبولٌ لدى أجاممنون فرفضه بخشونة موجها إليه ٣٨٠
كلامًا باترًا. وهكذا عاد الشيخ وقد تملكه الغضب، وكان
أبوللون قد استمع إلى ابتهالاته لما كان له من معزة لديه،
فأطلق على حشود أرجوس أحد سهامه التى تجلب البلاء،
وهنا أخذ الرجال يموتون بكثرة وبسرعة. ثم انطلقت سهام الإله ٣٨٥
فى كافة أرجاء معسكر الآخيين المتسع. وأخيرا فإن عرافًا على
علم ببواطن الأمور أعلن لنا عن نبوءة الإله الذى يطلق سهامه
بعيدا، فوقفت أنا فى التو ونصحت الآخيين أن يسترضوا الإله.
ولكن الغضب استبد على أثر ذلك بابن أتريوس فوجه إلىّ كلمة
تهديد تم الآن تنفيذها، فإن ابناء الآخيين ذوى العيون التى لا ٣٩٠
تهدأ، ومعهم الفتاة فى سفينة سريعة، فى طريقهم الآن إلى
خريسى وهم يحملون القرابين للإله. أما الفتاة الأخرى، بريسئيس،
فإنه جعل رسله يأخذونها من سقيفتى بعد أن كان

(*) ثيبى Thebe (غير طيبة Thebai) وهى مدينة تقع على حدود ميسيا Mysia فى آسيا الصغرى على بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقى من أدراميتيوم Adramyttium. (المحرر)

الآخيون قد أعطوها لى. والآن. إذا كنت تملكين أية قوة فإن عليك أن
تحمى ابنك. اذهبى إلى الأوليمبوس وابتهلى إلى زيوس ٣٩٥
إذا كنت (يوما ما) قد أسعدته بكلمة أو بفعل. فلطالما سمعتُك
تفخرين فى بيت أبى بأنك كنت الوحيدة بين الخالدين، التى
أنقذت ابن كرونوس، سيد الغمام القاتم، فى ذلك اليوم حين كان
الآخرون من ساكنى الأوليمبوس يودون أن يضعوه فى ٤٠٠
الأغلال: هيرا وبوسيدون وباللاس أثينة، ولكنك أتيت، أيتها
الإلهة، وخلصتيه من أغلاله حين استدعيت إلى جبل
الأوليمبوس الشاهق، (الوحش) ذا المائة يد، الذى تسميه الآلهة
برياريوس بينما يدعوه كل البشر أيجايون(*) لأنه أقوى حتى من
أبيه. لقد جلس إلى جانب ابن كرونوس متهللاً فى مجده، ٤٠٥
فاستولى الخوف على الآلهة المباركة فلم يجرؤ أحد منهم على تقييد
زيوس بالأغلال. أعيدى الآن ذلك إلى ذاكرته، واجلسى إلى جانبه
وضعى يديك حول ركبتيه، على أمل أن ينقذ الطرواديين. أما
أولئك الآخرون، الآخيون، فعلى أمل أن يدفع بهم إلى مؤخرات
سفنهم بينما يحاصرهم البحر (من كل جانب) ثم يُعمِل فيهم ٤١٠
القتل حتى يحصدوا نتيجة انصياعهم لملكهم، وحتى يدرك
ابن أتريوس، أجاممنون ذو السلطان العريض، مدى انعدام بصيرته
حين لم يقدم لمن هو أفضل الآخيين ذرة مما يستحقه من تشريف".

وهنا أجابته ثيتيس وهى تذرف الدموع:

"يالحظى العاثر ! ولداه ! أمِنْ أجل هذا (الوضع المحزن) كانت ٤١٥
تنشىءتى إياك. لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك. لكم تمنيت أن
يتركوك وشأنك بجانب السفن دون دموع أو أسى، ولكن قدرك هو
الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر. هل حملت

(*) أحد الوحوش الذين كان لكل منها مائة يد hecatoncheires والذين أنجبتهم الأرض من السماء ورعتهم ثيتيس Thetis عروس البحر لتدافع بهم عن زيوس ضد مكائد عدد من الآلهة، وقد ساعدوا زيوس فى صراعه مع العمالقة.

بك فى قاعات بيتنا من أجل هذه النهاية الحزينة ؟ ومع ذلك
فلكى أذكر ما طلبت إلى أن أذكره لزيوس المتمتع بإطلاق
الرعود فسوف أذهب بنفسى إلى الأوليمبوس الذى تغطيه
الثلوج على أمل أن ينصت إلىّ. ولكنى أهيب بك أن تبقى إلى ٤٢٠
جانب سفنك السريعة التى تجوب البحار، ولتستمر فى عضبك
الشديد على الآخيين ولتمسك تماما عن المشاركة فى المعركة،
لأن زيوس قد ذهب بالأمس إلى النهر المحيط (بالأرض) (*)
ليشارك فى مأدبة مع الإثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه فى ذلك كل ٤٢٥
الآلهة. ولكنه سيعود بعد اثنى عشر يوما إلى الأوليمبوس،
وحينئذ سأذهب إلى بيته ذى العتبة البرونزية وسوف احتضن
ركبتيه بين يدى وأنا ابتهل إليه. وإنى أعتقد أنه سيستمع إلى دعائى".

وعندما انتهت من حديثها ذهبت فى طريقها تاركة أخيليوس
وقد ملأ الحنق قلبه من أجل المرأة ذات النطاق الجميل، التى ٤٣٠
أخذوها منه رغما عنه. فى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله
قد وصلوا إلى خريسى ومعهم أضاحى القربان المقدس. وعندما
وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى
السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين
يصلان بين رأسه وبين مقدم السفينة حتى استقر على دعامته. ٤٣٥
بعد ذلك جذفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم
قذفوا بحجارة الإرساء(**) (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة
السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضاحى القربان
المقدم إلى أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، بينما نزلت ابنة
خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

(*) اللفظة المستخدمة فى الأصل هى Okeanos . وكان اليونان القدماء يعتقدون أنه نهر يحيط بالعالم تقيم عند روافده مجموعة من القبائل والشعوب.

(**) "حجارة الإرساء" eunai هى مجموعة من الحجارة كانت تربط فى نهاية حبل (أو مجموعة من الحبال)، مثبتة بالسفينة، ثم تلقى هذه الأحجار فى الماء حتى لا تتحرك السفينة من مكانها.

أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها ٤٤٠
الحبيب مخاطبا إياه:

"أى خريسيس، إن أجاممنون، ملك الرجال، قد أرسلنى لأعيد إليك
ابنتك ولأقدم إلى فويبوس (أبوللون) باسم الدانائيين قربانا مقدسًا حتى
نستطيع بذلك أن نسترضى (الإله) السيد، الذى جلب على أهل
أرجوس حتى الآن كثيرا من المآسى". ٤٤٥

ولم يلبث، بعد أن قال ذلك، أن قدم الفتاة إلى أبيها الذى تلقاها
بفرحة كبيرة. أما مرافقوه فقد أسرعوا بصف أضاحى القربان
المقدس المقدم للإله حول المذبح الجيد البناء، ثم غسلوا أيديهم
وأخذوا حبوب الشعير المعدة لهذا الطقس.وهنا رفع خريسيس
يديه وصلى من أجلهم بصوت مرتفع: ٤٥٠

"استمع إلىّ (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسى وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس ! إنى
أهيب بك: كما استمعت إلى ابتهالاتى من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الآخيين، فإنى أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع ٤٥٥
عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت".

هكذا تحدث فى صلاته، وقد استمع فويبوس أبوللون إلى
دعائه. وحين فرغ الجميع من صلاتهم نثروا الشعير المقدس
وبدأوا بدفع رءوس الأضاحى إلى الخلف ثم حزوا رقابها
وسلخوها. بعد ذلك قطعوا الأفخاذ ولفوها بطبقة مزدوجة من ٤٦٠
(رقائق) الدهن ثم وضعوا فوقها قطعًا من اللحم النيئ وقد قام
الشيخ بشيّها على (وقود) من حزم الخشب بعد أن سكب عليها
خمرًا أشعلت ألسنة اللهب، بينما اصطف حوله الشباب وهم
يحملون شوكات مخمسة الأصابع. وحين فرغوا من شيى الأفخاذ
تماما وتذوقوها من الداخل، قطعوا بقية ٤٦٥
أجزاء الذبائح وأدخلوا فيها الأسياخ وقاموا بشيّها بعناية ثم

نزعوها من أسياخها. وبعد أن فرغوا من مهمتهم وأعدوا
الوليمة أقبلوا على احتفالهم بشهية مفتوحة وتمتعوا بالوليمة
جميعا على السواء. ثم بعد أن أخذوا حظهم من الطعام
والشراب، ملأ الشباب الكئوس حتى حوافها بالخمر (المقدسة) ٤٧٠
وأداروها على الجميع بعد أن سكبوا من كل كأس قطرات للمباركة.
بعد ذلك قضوا اليوم كله وهم يحاولون استرضاء الإله (أبوللون)
بترانيم الشكر بينما كان فتيان الآخيين يقدمون الأناشيد للإله الذى
يطلق سهامه بعيدا.. وقد سعد (أبوللون) وهو يستمع إليهم.

وعندما غابت الشمس وحل الظلام استلقى الجميع للراحة ٤٧٥
عند حبال مؤخرة السفينة. وحين بدت بشائر الفجر (إيوس) ذى
الأصابع الوردية أقلعوا ماضين إلى المعسكر الكبير للآخيين، بينما
أرسل لهم أبوللون، الذى يعمل بعيدًا، ريحًا مواتية، فرفعوا الصارى
ثم نشروا الشراع الأبيض فملأت الريح بطن الشراع وارتفع ٤٨٠
صخب الموجة الداكنة(*) عند مقدمة السفينة التى كانت تمضى
مسرعة فوق الموج. ولما وصلوا إلى معسكر الآخيين
المتسع سحبوا السفينة السوداء على الشاطئ فوق الرمال المرتفعة ٤٨٥
ووضعوا السنادات الطويلة تحتها ثم تناثروا بين الخيام والسفن.
على أن الابن الذى حملت به الإلهة من بيليوس، أخيليوس سريع
القدم بقى إلى جانب سفنه السريعة وهو يلوك غضبه الشديد،
فلم يذهب إلى الاجتماعات حيث تتحقق الشهرة للرجال، كما لم ٤٩٠
يشارك فى المعركة وإنما أسلم نفسه للضياع ببقائه حيث كان،
بينما كان (فى داخله) يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة.

وحين انبلج صباح اليوم الثانى عشر بعد ذلك، عاد الآلهة
الخالدون إلى الأوليمبوس،وكان زيوس يقود الطريق. ولم ٤٩٥

(*) لفظة porphyreos تعنى عند الكتاب الذين جاءوا بعد عصر هوميروس، اللون الأرجوانى أو اللون الأحمر القانى. ولكنها فى شعر هوميروس لا تشير إلى أكثر من معنى: الداكن.

تكن ثيتيس قد نسيت مطلب ابنها، فظهرت من بين أمواج البحر،
ثم صعدت فى الصباح الباكر إلى السماء العريضة ووصلت
إلى الأوليمبوس. وهناك وجدت ابن كرونوس الذى يمتد
بصره إلى الآفاق بينما كان يجلس وحده بعيدا عن الآخرين على
القمة العليا من الأوليمبوس المتعدد القمم. وهكذا جلست أمامه
وأمسكت بركبتيه بيدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنه ٥٠٠
ثم تحدثت بابتهال إلى سيد الكون، زيوس بن كرونوس:
"أبانا زيوس ! إذا كنت، من بين الخالدين، قد ساعدتك يومًا بالكلمة
أو بالفعل، فلتستمع إلى هذا الدعاء: أسألك أن ترد الاعتبار لابنى
الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه. ذلك أن ٥٠٥
أجاممنون، سيد الرجال، قد وجه إليه إهانة بالاستيلاء على
غنيمته واستبقائها لديه ظلمًا وعدوانا. إنى أهيب بك أن ترد إليه
شرفه (المسلوب)، أى زيوس، صاحب التدبير فوق
الأوليمبوس، امنح الطرواديين القوة إلى أن يرد الآخيون إلى ٥١٠
ابنى الاعتبار الواجب، وعوّضه تعويضًا كبيرا".

هكذا تحدثت، ولكن زيوس، جامع السحب، لم يرد عليها
بكلمة واحدة، وإنما أخلد فى جلسته إلى صمت طويل. على أن
ثيتيس التى كانت ممسكة بركبتيه ظلت على ما هى عليه واقتربت
منه أكثر وطلبت إليه ثانية:

"عدنى مخلصًا بهذا الأمر بأن تومئ برأسك، ٥١٥
وإلا فارفض ما طلبته إليك، فإنك لن تخشى بذلك شيئًا سوى أنى
سأعرف أنى أشغل أقل موقع بين الآلهة".

وهنا قال لها زيوس، جامع السحب، وقد ظهر عليه القلق،
"إن هذا سيكون عملا يدعو إلى الأسى، لأنك تجعليننى بذلك أقدم
على صراع مع الإلهة هيرا التى سوف تثير غضبى بألفاظها
الجارحة فإنها، حتى فى الوقت الراهن وأمام الآلهة الخالدة تصب ٥٢٠

علىّ جام غضبها معلنة أنى أقدم المساعدة للطرواديين فى
المعركة. ومع ذلك فلتغادرى المكان الآن حتى لا تلحظ هيرا أى
شيء، وسوف أدبر الأمر حتى أحقق ما ترغبين. هلمى الآن،
وسوف أومئ برأسى من أجلك حتى تكونى على ثقة من ذلك،
فهذه من جانبى هى إشارة الوعد المؤكد بين الخالدين، ٥٢٥
إذ ليست هناك كلمة أرجع عنها أو كلمة مخادعة أو
كلمة لا أحققها طالما أومأت برأسى".

هكذا تحدث ابن كرونوس خافضا حاجبه الداكن (الشعر) ٥٣٠
علامة على الموافقة فتموجت إلى الأمام خصلات السيد فوق رأسه
الخالد، واهتز الأوليمبوس العظيم(*).

ثم افترق الاثنان بعد أن تبادلا الرأى على هذا النحو. أما
هى فقد قفزت على الفور من الأوليمبوس الساطع إلى أعماق
البحر (القاتمة)، وأما زيوس فقد ذهب إلى مقره الخاص. وهنا
نهض الآلهة جميعا من مقاعدهم قبل أن يطل عليهم وجه أبيهم، ٥٣٥
لم يجرؤ أحد منهم على (أن يظل جالسًا فى) انتظار مجيئه،
ولكنهم نهضوا جميعا ليكونوا فى استقباله. وهكذا جلس هناك على
عرشه. ولكن هيرا كانت قد لمحت ما حدث ولم يفتها أن ثيتيس
ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، كانت تتبادل
معه المشورة الحميمة، فوجهت حديثها على الفور إلى زيوس بن
كرونوس وهى تقول فى كلمات ساخرة: ٥٤٠
"من هى من بين الآلهة، أيها المخادع الكبير، تلك التى كانت تبادلك
المشورة الحميمة. إنك تفعل دائما ما يروق لك من خلف ظهرى ثم

(*) يبدو أن هذه الأبيات كانت فى ذهن ميلتون وهو يقول فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الثانى، ٣٥١-٣٥٣).

So was His will
Pronounced among the gods, and by an oath
That shook Heaven's whole circumference confirmed.

"هكذا كانت مشيئته المعلنة فى حضرة الآلهة وبالقسم تأكدت حيث ارتجت لها أركان السماء".
وقارن "الإينيادة" لفرجيليوس (الكتاب التاسع ١٠٦)، وكاتوللوس (٦٤، ٢٠٤، ٢٠٦). (المحرر)

تصدر أحكامك التى فكرت فيها فى الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن
تطلعنى على الأمر الذى تنتويه".

٥٤٥ وهنا أجابها أبو البشر والآلهة:

"أى هيرا ! لا تؤملى إطلاقا فى أن تعرفى كل ما أقرره، فإن ذلك
سوف يكلفك من أمرك عسرا، حتى ولو كنت زوجتى. إن ما أجد من
الملائم أن تسمعيه لن يعرفه قبلك أحد من الآلهة أو البشر، ولكنى
حين أفكر فى أن أقدم على أمر دون أن أرجع فيه إلى الآلهة،فليس
٥٥٠ لك أن تسألينى عنه بالمرة !".

وهنا ردت عليه هيرا ذات العيون الواسعة (كالمها) (*)
والسمت العظيم:

"أى ابن كرونوس، يامن يرهبه الجميع ! ما هذا الذى تقوله ؟
٥٥٥ حقا إنى لم أكن أعمد فى الماضى إلى أن أسألك أو استقصى منك عن
شىء، ولكنك كنت تدبر ما تشاء كما تشاء. على أن الخوف ينتابنى الآن
أن تكون ثيتيس ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، قد
ضللتك بخداعها، فقد كانت تجلس إلى جوارك عند تباشير الفجر
وتضم ركبتيك بين يديها. وأعتقد أنك أومأت برأسك لها فى
إشارة واضحة إلى أنك سترد إلى أخيليوس اعتباره و
٥٦٠ سوف تتسبب فى موت الكثيرين بجوار سفن الآخيين".

ولكن زيوس، جامع السحب، رد عليها قائلا:

"أيتها السيدة الإلهية البائسة(**)، إن أحوالك لغريبة حقًا، فأنت
تتخيلين الأشياء تخيلاً، ولا تفتأين تلاحقيننى (بسبب ما يجول فى
خيالك)، ولكنك لن تستطيعى أن تحققى بذلك شيئًا إلا أن تزيدى بعدًا
عن قلبى، وسيكون هذا أسوأ ما تجنيه يداك. وإذا كان هذا الأمر

(*) الكلمة اليونانية المستخدمة boopis تعنى "عيون البقرة" أو "عيون المها" وهو ما يذكرنا بالديانات الأقدم مثل الديانة المصرية التى كانت فيها الآلهة تتخذ أشكال من مختلف الحيوانات والطيور. (المحرر)

(**) لفظة daimonié تعنى فى الأصل أيتها المتصفة بالصفة الإلهية، ولكن استخدامها هنا يشير (كما هو واضح) إلى شىء، من الازدراء وتقليل الشأن.

(الذى ذكرته) كما تقولين فإن هذا من شأنى (وحدى). أما الآن ٥٦٥
فلتجلسى ولتصغى إلى ما أقوله، وإلا فإن أيا من الآلهة الذين يقطنون
الأوليمبوس لن ينفعك إذا أطبقت عليك بيدى اللتين لا يستطيع أحـــد أن
يقاومهما".

هكذا تحدث، وعندها استبد الفزع بالإلهة هيرا ذات العيون
الواسعة والسمت العظيم فجلست فى صمت متحكمة فيما يجيش به
صدرها. هنا خيم جو الابتئاس على الآلهة السماويين فى أرجاء
مقر زيوس، وكان أول من تحدث بينهم هو هيفايستوس، إله
الصناعة الشهير، مساندًا أمه هيرا ذات الذراع الأبيض.

"حقا إنه سيكون أمرا مؤسفا ولا يمكن احتماله بعد الآن،
إذا كنتما أنتما الاثنان ستظلان على تشاحنكما من أجل (البشر)
الفانين وتثيران الفتنة بذلك بين الآلهة، إذ لن يكون هناك ابتهاج ٥٧٥
على أى نحو فى الاحتفال طالما كان الذى يسوده هو أسوأ
الأجواء. إنى لأشير على أمى. رغم كل ما تتحلى به من حكمة،
أن تسترضى أبانا الحبيب حتى لا يوبخها مرة أخرى ويشيع
بذلك جو القلق والارتباك فى احتفالنا.إذ لو شاء رب
الأوليمبوس، سيد البرق والصواعق، لعصف بنا من فوق ٥٨٠
مقاعدنا، فهو الأقوى بين الجميع. إنى أهيب بك (يا أماه) أن
تحدثيه حديثا لينا حتى يغمرنا رب الأوليمبوس بسماحة نفسه".

وما أن قال ذلك حتى أسرع فوضع الكأس ذات المقبضين
فى يد أمه الحبيبة مخاطبا إياها: ٥٨٥
"هونى عليك يا أماه وتحمّلى أساك من أجل الجميع، فأنت عزيزة علىّ
ولا أود لعينىّ أن ترياكِ وقد نزل بك العقاب. لأنه لن يكون فى
مقدورى آنذاك أن أمد لك يد الغوث رغم كل ما سوف يصيبنى من
حزن، فإن رب الأوليمبوس خصم عنيد إذا وقف فى طريقه أحد. ٥٩٠

نعم ! ففى مرة سابقة، حين كنت أحاول الدفاع عنك، أمسكنى من
قدمى وقذف بى من عتبة السماء فاندفعت فى الفراغ يوما بأكمله قبل
أن أسقط عند غروب الشمس فى ليمنوس(*) بعد أن كدت أفارق
الحياة، حيث أسرع السينيتيون برعايتى". ٥٩٥

هكذا تحدث فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض وهى
تأخذ الكأس من يد ابنها، ثم أخذ يصب النيكتار لكل الآلهة
من اليسار إلى اليمين، آخذا إياه من طاس الرحيق الحلو الإلهى.
وقد ضج الآلهة بالضحك وهم يرون هيفايستوس يلهث فى أرجاء
(بهو) القصر. ٦٠٠

هكذا احتفل الآلهة طوال اليوم حتى غروب الشمس بقلوب
مفعمة كلها بالمتعة التى لم ينتقص منها شىء، سواء من الوليمة أو
من موسيقى الربابة(**) الجميلة التى كان يحملها أبوللون أو من الغناء
الذى كانت تتبادله ربات الفنون (الموساى) (***) بأصوات عذبة. ٦٠٥

ولكن حين غرب قنديل الشمس المنير، ذهب كل منهم إلى
حيث يقيم ليأخذوا قسطا من الراحة، إذ كان الإله هيفايستوس
ذو الذراعين القويتين قد بنى بمهارة فائقة قصرًا لكل منهم. أما
زيوس، رب الأوليمبوس وسيد البرق، فقد اتجه إلى مخدعه

(*) ذكرت جزيرة ليمنوس فى "الأوديسية" (الكتاب الثامن ٢٨٤) وقارن أوفيديوس (الأعياد) الكتاب الثالث ٨٠) وأعاد ميلتون صياغة هذه الفقرة فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الأول ٧٤٠ ومايليه). (المحرر).

(**) اللفظة فى الأصل هى phormynx وتترجم أحيانا بالقيثارة. ولكنى آثرت ترجمتها بالربابة لأنها كانت أولى الآلات الوترية (البدائية بالضرورة) التى استخدمها اليونان فى العصر المبكر وكانت تحمل باليد. أما القيثارة kithara بالتحديد فقد وجدت عند اليونان وكانت آلة مثلثة الشكل ذات سبعة أوتار وتوضع واقفة على الأرض.

(***) يناجى هوميروس ربة الشعر موسا أو ربات الشعر موساى. وفى العصر الهيللينستى أصبح عدد ربات الفنون تسعة لكل منها فن بعينه ترعاه. أنجبهن زيوس كبير الآلهة من عشيقته منيموسينى إلهة الذاكرة: أورانيـــــا (Ourania) ربة الفلك، وكليو (Klio) ربة التاريخ، يوتيربى (Euterpe) ربة الموسيقى، تيربسيخـــورى (Terpsichore) ربة الرقص، ميلبومينى (Melpomene) ربة التراجيديا، إيراتو (Erato) ربة شعر الحب والبكائيات والمراثى، بوليهيمنيا (Polyhymnia) ربة الشعر الغنائى، كاليوبى (Kalliope) ربة الشعر الحماسى أى الملحمى، وثاليـــــا (Thalia) ربة الكوميديا ولا تختلف الموساى كثيرًا عن الحوريات أو عرائس البحر والغابات... إلخ، واتخذن صورة البشر واتصفن بالحكمة والإلمام بكافة القصص وإلهام من يخترنه لروايتها وإلهام الشعراء بما ينظمون من شعر وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والآداب وسادت عبادتهن فى أماكن كثيرة خاصة فى منطقة بيريا قرب جبل الهيليكون والأوليمبوس. (المحرر)

حيث كان يأخذ راحته دائما حين يراوده (خَدَر) النوم اللذيذ، ثم ٦١٠
صعد إليه، وإلى جواره كانت هيرا ذات العرش الذهبى. ٦١١

الكتـــاب الثانى



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

هجع الآلهة والرجال المزودون بالخيول(*). جميعا طوال
الليل، إلا أن زيوس لم يخلد إلى النوم العميق، لأنه كان يتدبر
الطريقة التى يرد بها إلى أخيليوس اعتباره، وهى التى سوف
يسقط من جرَّائها كثير من الآخيين صرعى بجوار سفنهم وقد
بدا له أن خير طريقة هى أن يرسل إلى أجاممنون بن أتريوس ٥
حلما مدمرًا يجلب عليه الهلاك. وهكذا تحدث مخاطبا الإله
الحلم (أونيروس) بكلمات مجنحة.

"قم يا إله الحلم (أونيروس) المدمر واذهب إلى سفن
الآخيين السريعة، وحين تصل إلى خيمة أجاممنون بن
أتريوس، أعد عليه كل كلامى كما كلفتك به دون تغيير. اطلب ١٠
إليه أن يسلح رجاله الآخيين ذوى الشعور الطويلة بسرعة
فائقة، ففى مقدوره الآن أن يستولى على مدينة الطرواديين
ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين يتخذون
مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى
الرأى، بعد أن حزموا أمرهم بفضل توسلات ١٥
(الإلهة) هيرا إليهم، وهكذا باتت نذر الويل تخيم على
الطرواديين".

هكذا تحدث زيوس، وعندما استمع إله الحلم (أونيروس)
إلى ذلك لم يتوان فى الوصول إلى حيث سفن الآخيين السريعة،
وشق طريقه إلى أجاممنون بن أتريوس فوجده فى خيمته
مستغرقا فى نوم إلهى. وهنا اتخذ موقفه عند رأسه فى هيئة ابن ٢٠
نيليوس، نيستور، الذى كان أجاممنون يكن له من الاحترام أكثر
مما كان يكن لأى من الكبار الآخيين، واضعًا إياه فى منزلة
مساوية لمنزلته. ثم تحدث إله الحلم (أونيروس):

(*) هذه هى الترجمة الحرفية للفظة الأصلية: hippokorystai وقد آثر فرى أن يترجمها: سادة العجلات الحربية، وهى ترجمة لها قيمتها، إذ إن العجلة الحربية كانت هى الأداة الحربية المهمة بين اليونان آنذاك. ومع ذلك فالالتزام الحرفى هنا يتضمن كذلك معنى العجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول بالضرورة.

"إنك تخلد إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب
ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم ٢٥
حامل مسئولية الرأى (الفاصل)، فإليه يُرجع فى أمر المقاتلين،
وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن، فلتُصغ إلى دون إبطاء
لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من
مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتمامًا كبيرًا كما أنه يُشفق
عليك. إنه يطلب إليك أن تسلح الآخيين ذوى الشعور الطويلة
بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على مدينة ٣٠
الطرواديين ذات الطرق العريضة ، إذ إن الآلهة الخالدين الذين
يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة
بينهم خلاف فى الرأى بعد أن حزموا أمرهم بفضل
توسلات هيرا إليهم. وهكذا باتت نذر الويل تخيم
على الطرواديين بمشيئة زيوس. والآن، لتحتفظ بهذا فى
صدرك ولا تُسلم نفسك إلى النسيان حين تفيق من نومك الذى
له مذاق العسل". ٣٥

هكذا تحدث أونيروس (الحلم) إلى أجاممنون، ثم عاد
تاركًا إياه يقلب الرأى مليا فى أمور لم يكن مقدرا لها أن
تتحقق، بعد أن اعتقد حقًا أنه سيستولى على مدينة برياموس
فى اليوم ذاته. ألا ما كان أحمقه ! إنه لم يكن يدرى ما كان
يدبره زيوس من أمور وما كان ينتوى أن يسوق إلى ٤٠
الطرواديين والدانائيين على السواء من الويلات والأنين من
خلال قتالهم الشرس. ثم أفاق (أجاممنون) من سباته بينما كان
الصوت الإلهى لا يزال يطن فى أذنيه، فجلس وقد انتصب
ظهره ولبس قميصه اللين الجيد الجديد وقد لف فوقه عباءته
العظيمة وفى أقدامه الناصعة ربط خفه الأنيق. ثم وضع حول ٤٥
كتفيه سيفه (ذا المقبض) المرصع بالأزرار الفضية وأمسك

سيف آبائه الخالد، وأخذ طريقه بمحاذاة سفن الآخيين ذوى
الدروع البرونزية.

والآن صعدت إلهة الفجر إيوس إلى جبل الأوليمبوس فى
عليائه لتعلن بزوغ الضياء إلى زيوس وبقية (الآلهة) الخالدين.
وهنا طلب (أجاممنون) إلى المنادين ذوى الأصوات النقية ٥٠
الرنانة أن يدعوا الآخيين ذوى الشعور الطويلة إلى ساحة
الاجتماع، فبلّغوا الدعوة واجتمع الرجال على جناح السرعة.

وقد بدأ (أجاممنون) بالشيوخ من ذوى الرأى فجعلهم
يجلسون إلى جوار سفينة الملك نيستور الذى ينحدر من مدينة
بيلوس وكان حين دعاهم إلى الاجتماع قد دبر فكرة ماكرة، ٥٥
وقال:

"أنصتوا إلىّ أيها الأصدقاء ! لقد جاءنى أونيروس،
فيما يرى النائم، حلم من السماء فى أثناء الليل مضمخ بعطر
الآلهة. وكان أقرب ما يكون من نيستور، شبيه الإله، سواء فى
هيئته أو فى قوامه أو فى بنيته واتخذ موقفه عند رأسى وحدثنى
قائلا: إنك تخلد إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب، ٦٠
ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم
حامل مسئولية الرأى (الفاصل) بين الرجال، فإليه يُرجع
فى أمر المقاتلين، وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن فلتصغ
إلى دون إبطاء لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل
بينكما من مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماما كبيرًا. كما
أنه يشفق عليكَ. إنه يطلب إليك أن تسلح الآخيين ذوى الشعور ٦٥
الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على
المدينة ذات الطرق العريضة التى يقطنها الطرواديون، إذ إن
(الآلهة) الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة
خلاف بينهم فى الرأى بعد أن عزموا أمرهم بفضل توسلات هيرا إليهم،

وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين بمشيئة زيوس.
والآن، لتحفظ هذا فى صدرك ولا تسلم نفسك إلى النسيان حين ٧٠
تفيق من نومك اللذيذ(*). هكذا تحدث (أونيروس) الحلم ثم
طار بعيدًا، بينما تركنى النوم العميق. هلموا الآن ولنحاول بأية
وسيلة أن نسلح أبناء الآخيين، ولكنى قبل ذلك سأتحدث إليهم
حسبما تقضى التقاليد. وسأحاول أن أطلب إليهم الفرار بسفنهم
ذات المجاديف الكثيرة(**). أما أنتم فحاولوا أن تحدثوهم وأن ٧٥
تحثوهم بكافة الطرق على البقاء".

ثم جلس (أجاممنون) بعد أن فرغ من حديثه، فنهض من
بينهم نيستور ملك بيلوس ذات الأراضى الرملية ووجّه إلى
جمعهم حديثا نابعا من القلب:

"أيها الأصدقاء من زعماء وأمراء الأرجيين ! (***) لو
كان الذى قص علينا هذا الحلم شخصًا آخر من بين الآخيين ٨٠
لاعتبرنا ما قال أمرا زائفًا ولم نُلق إليه بالاً. ولكن طالما أن
الذى رآه فى منامه هو أعظم وأنبل الآخيين، فلنُقدم إذن
ولنسلح أبناء الآخيين بكل الوسائل".

هكذا تحدث ثم قاد الطريق خارجًا من المجلس، فوقف
الملوك ذوو الصولجانات وقد اقتنعوا بما ذكره لهم راعى
الجموع، بينما تسارعت حشود الرجال، تماما كما يحدث عندما ٨٥
تخرج أسراب النحل من شقوق الأحجار الغائرة هنا وهناك،
متدافعة فى طيرانها فى مجموعة تلو الأخرى نحو أزهار

(*) التكـــرار سمة هومرية وتعيد هذه الفقرة رواية الحلم – الرسالة الإلهية – للمرة الثالثة (راجع أبيات ٢٣–٣٤) ولذلك قيل إن زينودوتوس Zenodotos قد كثف هذه الفقرة إلى بيتين فقط ويفعل بعض المترجمين المحدثين نفس الشيء ولكننا رأينا أن نتبع النص كما جاء فى طبعة أكسفورد. (المحرر).

(**) لفظة polykleisi فى الأصل اليونانى تعنى: ذات مقاعد المجدفين الكثيرة. وقد ترجمها فرى بتعبير: ذات المقاعد الكثيرة، وترجمها فوس: ذات المجاديف الكثيرة. ورغم أن الترجمة الأولى أقرب حرفيا للأصل، إلا أن الترجمة الثانية أقرب فى رأيى إلى السياق الذى يقدمه الشاعر، فالشاعر هنا يتحدث عن "فرار" الآخيين بسفنهم، وكثرة المجاديف توحى بالسرعة التى تلازم معنى الفرار. ولذلك تبنيت هذه الترجمة الأخيرة.

(***) تستخدم كلمة "الأرجيون" عند هوميروس للدلالة على الإغريق جميعًا، وليس فقط أهل أرجوس. (المحرر).

الربيع، تارة هنا وتارة هناك. هكذا تدفق الرجال من السفن ٩٠
والخيام المقابلة للشاطىء المنخفض متقدمين فى فصائلهم
العديدة إلى ساحة الاجتماع على شاطىء البحر العريض، وقد
انتشرت بين جموعهم أوسًا "الشائعة الإلهية" مرسلة من زيوس.
كما تنتشر النار (فى الهشيم) وهى تحثهم على الذهاب (إلى
المعركة) – حتى التأم شملهم جميعا. وكانت الجموع تضطرب ٩٥
بالحياة والأرض تئن تحتهم والطنين يعلو، بينما
كان تسعة من المنادين يحاولون بأصواتهم المرتفعة أن
يعيدوهم إلى الهدوء حتى يخف صخبهم ويلقوا السمع إلى
ملوكهم الذين شبوا على يدى زيوس. وفى النهاية تم بالكاد
التوصل بهم إلى الجلوس فى أماكنهم بعد أن تخلوا عن ١٠٠
ضجيجهم.

وهنا نهض فى وسطهم أجاممنون السيد، حاملا فى يده
الصولجان الذى بذل هيفايستوس جهدا كبيرا فى صناعته.
وكان هيفايستوس قد قدمه إلى زيوس بن كرونوس ثم قدمه ١٠٥
هرميس إلى بيلوبس سائق الخيل وقدمه بيلوبس بدوره إلى
أتريوس راعى الشعب، وتركه أتريوس لدى موته إلى ثيستيس
صاحب قطعان الغنم الثرى، ثم تركه ثيستيس بدوره إلى
أجاممنون حتى يكون بذلك سيدًا على جزر كثيرة وعلى كل
أرجوس. اتكأ أجاممنون عليه وألقى كلمته بين جموع الأرجيين: ١١٠

"أصدقائى، أيها الأبطال الدانائيون المحاربون(*)
سدنة آريس. إن زيوس العظيم ابن كرونوس قد أوقعنى فى
مأزق من سوء تقدير الأمور أضيق به كثيرًا. إن هذا
الإله القاسى قد وعدنى من قبل، وأومأ تأكيدًا لوعده، بأنى لن

(*) فى الأصل therapontes Areos أى القائمون على خدمة آريس، إله الحرب، وهى تسمية أطلقها الشاعر على المحاربين.

أعود إلى أرض الوطن قبل أن أكون قد أسقطت إليون
ذات الأسوار المنيعة. ولكنه (على ما يبدو) قد ١١٥
خطط الآن لخداعٍ قاسٍ. فهو يطلب إلىّ أن أعود بلا مجد إلى
أرجوس، بعد أن أكون قد فقدت أعدادًا كبيرة من الرجال. هذه
فيما أظن مشيئة زيوس القدير الذى أحنى من قبل رؤوس مدن عديدة
وسوف يُحنى بعدُ رءوس مدن أخرى، فإن قدرته هى الأعلى. ١٢٠
إنه لمن العار أن يقع على مسامع ذريتنا أن حشدًا من الآخيين
الطيبين بمثل هذه العظمة قد حارب دون أن يحصل على
غنيمة، وأنه قاتل رجالاً أقل منه عددًا دون أن تظهر حتى الآن
أية نتيجة لذلك. لأنه لو أننا أردنا، آخيين وطرواديين، أن
نُقْسم يمينا مقدسة وأردنا أن يحصى كل من الطرفين ١٢٥
أعداده، ولو أن الطرواديين جمعوا معًا كل من يقيمون
بمدينتهم وقسمنا نحن الآخيين أنفسنا إلى جماعات تضم كل
منها عشرة أفراد، ثم اختارت كل جماعة منا رجلا من
الطرواديين ليصب نبيذها، فإن عددًا كبيرًا من هذه الجماعات
لن يجد من يصب لهم نبيذهم - إلى هذا الحد يتفوق أبناء ١٣٠
الآخيين فى العدد على الطرواديين الذين يقطنون بالمدينة(*).
على أن لهؤلاء حلفاء من مدن أخرى كثيرة، وهم رجال
يجيدون استخدام الحراب ويقفون فى مواجهتى ويحولون دون
أن أسقط مدينة إليون الحصينة الآهلة بالسكان. لقد مرت حتى الآن تسع
من سنوات زيوس العظيم لقد تهرأ خشب سفننا بينما تراخت حبال
الأشرعة والصوارى، وأحسب أن نساءنا وأولادنا الصغار ١٣٥
ينتظروننا فى قاعات بيوتنا، ومع ذلك فإن مهمتنا التى جاءت
بنا إلى هنا قد بقيت دون أن تتحقق على الإطلاق. وإذن

(*) يقدر بعض الدارسين المحدثين عدد الإغريق المحاربين حول طروادة بـــ ١٢٠٠٠٠ فإذا أخذنا بما يقوله هوميروس بأن نسبة الطرواديين كانت العشر تقريبًا فإن عددهم يكون ١٢٠٠٠ يمكن أن نضيف إليهم ٣٨٠٠٠ من الحلفاء فيصل مجمل عددهم إلى ٥٠٠٠٠ رجلاً. (المحرر)

فلتنفذوا جميعا ما أطلبه إليكم. دعونا نقفل عائدين فى سفننا ١٤٠
إلى أرض آبائنا الحبيبة. فليس أمامنا أى أمل فى أن نستولى
على طروادة ذات الطرق العريضة".

هكذا تحدث (أجاممنون) فانتفضت الأفئدة فى الصدور فى
صفوف الجمع ممن لم يسمعوا ما دار فى اجتماع الشيوخ،
وانتشرت الحركة فى الحشود كما تثور الأمواج فى عرض ١٤٥
البحر الإيكارى حين تثيرها الريح الشرقية (يوروس) أو الريح
الجنوبية (نوتوس) عندما تندفع إليها من السحب التى
يجمعها الأب زيوس. وكما تحرك الريح الغربية (زيفيروس)
فى أثناء هبوبها، السنابل التى تنحنى أمامها فى حقل القمح
المنخفض – هكذا تحرك جمعهم وقد علا صياحهم وهم
يهرولون إلى السفن، بينما ثار الغبار من تحت أقدامهم وهم ١٥٠
يتنادون فيما بينهم ليمسكوا بالسفن ويسحبوها إلى البحر
الصافى. ثم أقدموا على إخلاء مسارات دفع السفن إلى البحر
(من العوائق) وارتفع صياحهم إلى عنان السماء – إلى هذا
الحد كان ابتهاجهم بحديث العودة إلى بلادهم، وهكذا بدأوا
يسحبون الدعامات من تحت السفن. ١٥٥

والآن لقد كانت حشود الأرجيين على وشك الشروع فى العودة
التى لم يكن مقدرًا لها أن تتحقق، لولا أن هيرا تحدثت إلى أثينة قائلة:
"يا للخزى يابنة زيوس، لابس الدرع أيجيس أثينة أتريتونى !
هل قدّر على الأرجيين أن يقفلوا عائدين إلى أرض آبائهم الحبيبة
على متن البحر العريض وأن يتركوا لبرياموس
وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى، ابنة أرجوس التى هلك ١٦٠
من أجلها كثير من الآخيين على أرض طروادة، بعيدا عن
أرض آبائهم الحبيبة. ألا فلتذهبى ولتطوفى بحشود المقاتلين
من الآخيين ذوى الدروع البرونزية وبحديثك العذب حاولى

أن توقفى اندفاع الرجال حتى لا يسحبوا (إلى البحر) سفنهم ١٦٥
ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف" (*).

هكذا تحدثت (هيرا) ولم تتوان أثينة ذات العيون الزرقاء
فى طاعتها. وهكذا انطلقت من قمم الأوليمبوس
ووصلت دون إبطاء إلى سفن الآخيين السريعة. وهناك
وجدت أوديسيوس، نظير زيوس فى الرأى السديد، واقفا. ١٧٠

لم يكن أوديسيوس يعتمد بيديه على سفينته السوداء
ذات المجاديف الكثيرة(**)، لأن الأسى كان يثقل قلبه. فوقفت
أثينة ذات العيون الزرقاء إلى جواره وقالت.

"أى ابن لائيرتيس، يا سليل زيوس، أى أوديسيوس الواسع
الحيلة ! هل ستقفزون حقيقة فى سفنكم ذات المجاديف الكثيرة وتفرون
إلى أرض آبائكم الحبيبة ؟ هل ستتركون لبرياموس وللطرواديين ما
يفخرون به، هيلينى ابنة أرجوس، التى هلك من أجلها الكثير من ١٧٥
الآخيين فى طروادة بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة ؟ لتذهب
فى هذه اللحظة بين جموع الآخيين دون أن تقيد نفسك
(بالصمت) بعد الآن. وإنما هدىء بكلماتك الرقيقة من اندفاع كل ١٨٠
منهم ولا تدع الرجال يسحبون سفنهم ذات الصفوف المتقابلة
من المجاديف".

هكذا تحدثت أثينة، وقد تعرف (أوديسيوس) على صوت
الإلهة حين كانت تتحدث، فانطلق راكضًا بعد أن رمى بعباءته
من على جسده فالتقطها رسوله يوريباتيس الذى ينحدر من
إيثاكى والذى كان يقوم على خدمته. أما هو نفسه فقد ذهب فى ١٨٥

(*) amphielissas (فى حالة المفعول به) فى الأصل تعنى بشكل مباشر: التى تجدف من ناحيتين متقابلتين. وقد تعنى: مدوّر، إذا أخذت من جذر لغوى آخر. وقد استخدم فرى وريو المعنى الثانى، واستخدم فوس المعنى المباشر. وأجد أن المعنى المباشر أنسب للسياق العام، فهو يوحى بالأعداد الكبيرة من المجدفين. وهذا يتسق مع المعنى الذى يقدمه الشاعر، وهو أن الآخيين هرعوا أو اندفعوا إلى السفن يجرونها إلى البحر. وعلى هذا فقد تبنيت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظة.

(**) اللفظة eusselmos فى الأصل، تعنى (المركب) المجهزة جيدًا بمقاعد المجدفين الكثيرة.

التوّ إلى أجاممنون بن أتريوس وأخذ منه صولجان آبائه الذى لا يفنى
وذهب به فى طريقه إلى سفن الآخيين ذوى الدروع البرونزية
و (هناك) كان يقترب من كل من كان يصادفه من الملوك ومن
الرجال البارزين ويحاول أن يهدىء من اندفاعه بكلمات رقيقة قائلاً:

١٩٠ "ياسيدى الفاضل، إنه لا يليق بك أن تستسلم
(هكذا) لليأس كما لو كنت جباناً، ولكنى أهيب بك أن تجلس
أنت نفسك وأن تطلب إلى رجالك أن يجلسوا (كذلك)، لأنك
لا تعرف بوضوح ما يُكنه ابن أتريوس فى قرارة نفسه. إن
هذا هو مجرد اختبار. ولكنه سيسدد ضربة عاجلة إلى (من
يحاول الفرار) من أبناء الآخيين. ألم نسمع جميعًا ما قاله فى
١٩٥ المجلس ؟ حذار من أن يثور غضبه فيوجه الأذى إلى أبناء
الآخيين. ذلك أن الاعتزاز بالنفس يملأ قلوب الملوك الذين
انحدروا من السماء. لأن شرفهم من شرف زيوس، ولأن
زيوس، إله الرأى، يكن لهم (كلّ) المحبّة".

أما حين كان (أوديسيوس) يرى رجلا من العامة يثير اللغط (حول
هذا الأمر) فإنه كان يضربه بصولجانه ويوجه إليه ألفاظ التقريع قائلا:

٢٠٠ "أيها البائس ! ابق فى مكانك دون أن تتحرك، واصغ
إلى كلمات الآخرين ممن هم خير منك. أيها الجبان الرعديد
الذى لا اعتبار له فى الحرب أو فى الرأى. إننا، نحن الآخيين،
لن نكون جميعا ملوكا هنا، وإنه لشىء سيىء حقًا أن تكون هناك
جموع من السادة ! ليكن هناك سيد واحد، ملك واحد، خصه
٢٠٥ بالصولجان والحكم (زيوس) بن كرونوس ذو الدهاء(*). وذلك

(*) اللفظة **ankylometes** فى الأصل معناها الماكر أو ذو الدهاء الذى لا يظهر كل ما لديه من أفكار، وإنما يظهر بعضها ويخفى البعض الآخر. كذلك من معانيها: الملتوى أو المخادع. وقد تبنى المعنى الأخير كل من قرى وريو، وهو معنى يوحى بصفة سيئة عند الإله. وهو لا يتفق مع سياق الحديث الذى يرعى فيه زيوس (بن كرونوس) الملوك الذين يقدمون الرأى لشعوبهم. كذلك ترجم فوس اللفظة بمعنى: الخفى، ويقصد به الذى يخفى بعض الأشياء (حسبما يوحى به سياق الترجمة)، وهو معنى جزئى يورد نصف المعنى الحقيقى. وأفضل أنا المعنى المباشر للفظة وهو : ذو الدهاء، فهو يجمع بين الإيماءات المذكورة جميعا.

حتى يكون صاحب الأمر فى رعاية النظام بين الناس".

وقد تناول (أوديسيوس) الأمر بين المقاتلين بحزم جعلهم
يسرعون ثانية من سفنهم وخيامهم إلى مكان الاجتماع فى
جلبة تحاكى صوت موجة من أمواج البحر الهادر، تتردد
كالرعد بطول الشاطىء بينما يزأر البحر من الأعماق. أما ٢١٠
الآخرون فقد جلسوا وظلوا فى أماكنهم، ولم يبق مستمرا فى
ثرثرته إلا ثرسيتيس الذى لا ينتهى حديثه والذى يعشش فى
ذهنه قدر كبير من اللغة البذيئة التى يتطاول بها على الملوك
فى ألفاظ تافهة، لا رابط بينها، وإنما تبدو له وكأنها تثير ٢١٥
الضحك بين الأرجيين. كان هذا الرجل هو أبأس من أتى
إلى إليون وأكثرهم مدعاة للكراهية، مقوس الساقين، أعرج
فى إحدى قدميه، تكاد كتفاه تلتقيان أمام صدره بينما يعلوهما
رأس محدودب نمت فوقه بضع شعيرات قصيرة(*)، كما كان
يمقته فوق كل شىء كل من أخيليوس وأوديسيوس لأنه كان ٢٢٠
ينزع إلى توجيه السباب إليهما. ولكنه الآن، مرة أخرى،
كان يوجه السباب بصوته الحاد إلى أجاممنون، شبيه الآلهة. هذا
بينما يثير سخط الآخيين ويملأ قلوبهم الغضب منه.

وأيا كان الأمر فإنه وجه الخطاب إلى أجاممنون مقترنا بالتوبيخ،
"يا ابن أتريوس ! ما الذى يدعوك إلى السخط من ٢٢٥
جديد ؟ وماذا ينقصك ؟ إن خيامك مليئة بالبرونز كما هى مليئة
بالنساء. وهى غنائم مختارة نعطيك إياها قبل الآخرين كلما
استولينا على مدينة محصنة. أم أنك لا تزال تريد، إلى جانب
ذلك، ذهبا قد يأتى به إليك، من إليون، رجل من بين

(*) فى شخصية ثرسيتيس يتجسد النقيض الشارح لفكرة أن الجمال هو جمال الشكل والمضمون معًا، ولا يمكن أن يكون الإنسان المثالى أو الخير والفاضل Kalos k'agathos إلا جميل المظهر لأنه رائع الجوهر. وثرسيتيس هو الشخص الوحيد من عامة الناس أو الدهماء الذى يذكر بشىء من الوضوح والتركيز فى "الإلياذة". (المحرر)

الطرواديين يفتدى به ابنًا له قد أكون أنا أو قد يكون غيرى من الآخيين ٢٣٠
الذى قيده واقتاده من هناك؟ أم أنك تريد فتاة أخرى تمارس
معها الحب وتبتغى أن تحتفظ بها لنفسك ؟ حقا إنه لا يليق بشخص
هو قائد أبناء الآخيين أن يعرضهم للهلاك. يالكم من ضعفاء مخنثين(*).
إنكم (حقا) كائنات دنيئة تجلب العار. يانساء أخايا، فأنتم لم تعودوا رجالاً ٢٣٥
آخيين. دعونا نقلع بسفننا إلى بلدنا، أما هذا (الشخص) فلنتركه
هنا فى أرض طروادة لينعم بغنائمه وليدرك كذلك إذا كنا ذوى
نفع له أم غير ذلك ؟ لقد أساء إلى شرف أخيليوس الذى هو ٢٤٠
خير منه بكثير، فقد سلبه سبيته ظلمًا وعدوانًا. ولكن يبدو من
المؤكد أن أخيليوس لم يغضب لذلك. نعم، إنه لم يتحرك على
الإطلاق وإلا، ياابن أتريوس، لكانت هذه آخر مرة تقدم فيها
على مثل هذه الإساءة".

هكذا تحدث ثرسيتيس موجهًا نقده اللاذع إلى راعى
الشعب. أجاممنون ابن أتريوس، وما أن فرغ من حديثه حتى ٢٤٥
كان أوديسيوس إلى جواره، وقد انطلقت من عينيه نظرة
داكنة، معنفًا إياه فى كلمات خشنة:

"أى ثرسيتيس ! ياذا الحديث الذى ينضح حمقًا. إنك قد تكون
خطيبا مفوها ذا حديث رنان، ولكن حذار، ولا تكن أنت وحدك الذى
يجابه الملوك، إذ لا يوجد فى اعتقادى رجل أحقر منك من بين كل
من أتوا مع ابنى أتريوس. إلى إليون. ولذا فليس لك أن ٢٥٠
تلوك أسماء الملوك فى حديثك موجها إليهم أنواع التقريع دون
أن يكون لك من هدف سوى العودة إلى الوطن. إننا لا
نعرف على الإطلاق ما الذى ستتكشف عنه الأمور وهل سنعود
نحن أبناء الآخيين بما هو خير لنا أم ستكون عودتنا بالبلاء
والوبال، بينما لا يشغلك أنت إلا أن توجه إلى أجاممنون بن

(*) قارن فرجيليوس "الإينيادة" الكتاب التاسع (٦١٧).

أتريوس قائد الرجال، البذاءات بصفة مستمرة، لأن الدانائيين ٢٥٥
يقدمون إليه الهدايا الكثيرة، وإلا أن تستمر فى هذا الخطاب
اللاذع. ولكنى سأوجه لك الآن كلامًا وهو ليس تهديدًا أجوف:
إذا وجدتك مرة أخرى تردد حماقاتك كما تفعل الآن، فلتفصل
رأس أوديسيوس عن كتفه. ولينكر الناس أبوتى لتيليماخوس بعد ٢٦٠
الآن إذا لم أمسك بك وأجردك من ثيابك، قميصك وعباءتك،
التى تغطى عورتك، وأطردك من ساحة الاجتماع مولولا إلى
حيث توجد السفن بعد أن أكون قد أشبعتك ضربا". ٢٦٥

هكذا تحدث (أوديسيوس) ثم ضرب (ثرسيتيس)
بصولجانه على ظهره وكتفيه، بينما انكمش هذا مذعورا
وسقطت (من عينيه) دمعة كبيرة، كما تفجرت من ظهره
قطرات الدماء تحت (أزرار) الصولجان الذهبى. بعد ذلك
جلس وقد تملكه الذعر وزاغ بصره بينما كان الألم يلسعه ٢٧٠
وهو يمسح دموعه. أما أولئك الذين كانوا حوله. فرغم ابتئاسهم
العميق، إلا أنهم ضجوا بالضحك منه. وهكذا كان الواحد
منهم يقول: يالغرابة (ما أقدم عليه ثرسيتيس) ! حقًا إن
أوديسيوس قد قام قبل الآن بالعديد من الأعمال الجليلة، سواء
أكان يدلى برأيه الحكيم أم كان يعد العدة للمعركة. ولكن ما
فعله الآن هو خير ما قام به بين الأرجيين، من حيث إنه ٢٧٥
وضع حدًا للسباب الذى يقذف به هذا الثرثار. إن (ثرسيتيس)،
فيما أظن، لن يكون بعد الآن فى عجلة من أمره ليقذف الملوك
بالألفاظ النابية.

هكذا تحدث الجمع قبل أن ينهض أوديسيوس، مدمر
المدن، وفى يده الصولجان، وإلى جواره الإلهة أثينة، ذات
العيون الزرقاء، وقد اتخذت هيئة الرسول. ثم طلب إلى ٢٨٠
الجمع أن يصمتوا حتى يستطيع أمناء الآخيين. سواء منهم

أقرب الناس من مكانة أو أكثرهم بعدًا عنه، أن يستمعوا إلى
كلماته وأن يأخذوا بنصيحته. ثم تحدث إلى الجميع بنية صادقة قائلا:

"يا ابن أتريوس، إن الآخيين يريدون جميعا أن
يجعلوا منك أيها الملك أحقر الناس أجمعين، وألا يفوا بوعدهم ٢٨٥
الذى قطعوه على أنفسهم أمامك لدى قدومهم من أرجوس، حيث
مراعى الخيل: وهو ألا تعود إلى أرض الوطن قبل أن تدمر
إليون ذات الأسوار القوية. وذلك لأنهم مثل الأطفال الصغار
أو النساء الأرامل، يولول كل منهم للآخرين وقد غلبه الحنين ٢٩٠
للعودة إلى أرض الوطن. حقيقة لقد كان الجهد المرهق هنا
كفيلا بأن يجعل الرجل منا يعود وقد خبت همته، ذلك لأن
من يقضى شهرًا واحدًا بعيدا عن زوجته فى سفينته المزودة
بالمقاعد الكثيرة لابد أن ينتابه الأسى بعد أن تكون قد ابتعدت
به أنواء الشتاء والأمواج المتلاطمة. أما بالنسبة لنا، فإن السنة ٢٩٥
التاسعة تكاد تنتهى ونحن ها هنا بعد قابعون. ولهذا فإنى لا
أعيب على الآخيين أن ينتابهم الضيق وهم إلى جوار سفنهم
المعقوفة الأطراف. ومع ذلك فإنه لمن العار أن نغيب (عن
الوطن) كل هذا الوقت ثم نعود خاليى الوفاض. تحملوا أيها
الأصدقاء وخذوا وقتكم حتى نعرف إذا ما كانت نبوءة
كالخاس ستصدق أم تخيب. فما عرفناه لا يزال مستقرا ٣٠٠
فى قلوبنا حتى الآن وكلكم، ممن لم يذهب به قضاء الموت،
شهود على ذلك.

لقد كان ذلك كأنه بالأمس أو أول أمس حين تجمعت سفن
الآخيين فى أوليس وهى تحمل الويلات لبرياموس
والطرواديين. وكنا نحن حول النبع نقدم الأضاحى الناضجة
فوق المذابح المقدسة قرابين للآلهة الخالدة حتى يتحقق الخير ٣٠٥
لنا. وكان ذلك تحت شجرة دلب نضرة تجرى من تحتها المياه

المتألقة. وهنا ظهرت لنا بشارة عظيمة. ذلك أن ثعبانا ضخما
بشعًا، لون ظهره فى حمرة الدماء، دفعه رب الأوليمبوس
(من جحره) إلى الضياء، فزحف من تحت المذبح وانطلق ٣١٠
إلى شجرة الدلب. وقد كانت فوق هذه الشجرة أفراخ لعصفورة،
وكانت هذه الأفراخ لم تزل بعد صغارًا لا حول لها، وقد
انكمشت تحت الأوراق على أعلى فرع فى الشجرة، وكان
عددها جميعا ثمانية وتاسعتهم أمهم التى أفرختهم. وهنا التهم
الثعبان الأفراخ جميعا وهى تزقزق زقزقة صاخبة تدعو
للشفقة، هذا بينما كانت الأم ترفرف حول الأفراخ وهى ٣١٥
تولول من أجل صغارها المحبوبين. غير أن الثعبان التف
حول نفسه وعض على جناحها بينما كانت تصرخ من
حوله. ولكن بعدما التهم الثعبان أفراخ العصفورة ومعها أمها،
رأينا الإله الذى كان قد أخرجه إلى الضياء يحول كيانه
بحيث لم يعد يُرى – ذلك أن ابن كرونوس ذا الدهاء كان قد
أحاله إلى كتلة من الحجر، بينما وقفنا نحن نعجب لما حدث.
وحين ظهرت هذه الآية المخيفة حيث كانت توجد أضاحى ٣٢٠
الآلهة قدم كالخاس نبوءته مباشرة وخاطب جمعنا قائلا:

لماذا يخيم عليكم الصمت أيها الآخيون ذوو الشعور
الطويلة ؟ إن زيوس صاحب الرأى قد أطلعنا على هذه الآية
العظيمة: لقد انتظرنا مجيئها طويلاً وسوف يتأخر تحققها كثيرًا، ٣٢٥
ولكن ذكرى ذلك اليوم لن تختفى أبدا. فكما أن هذا الثعبان
الضخم قد افترس أفراخ العصفورة وافترسها معهم، وكانوا
ثمانية وكانت الأم التى أفرختهم هى التاسعة، فإننا كذلك
سنخوض الحرب هنا سنين بالعدد نفسه، ولكننا سوف نستولى
فى السنة العاشرة على المدينة ذات الطرق العريضة.
هكذا ألقى (كالخاس) كلماته الحكيمة، والآن فإن ما ذكره يتحقق ٣٣٠

بالفعل. اصمدوا إذن فى أماكنكم أيها الآخيون المزودون جيدًا
بواقيات الأرجل حتى نستولى على مدينة برياموس العظيمة".

هكذا تحدث (أوديسيوس). وهنا أخذت حشود الأرجيين تتصارع
بصوت مرتفع، ومن حولهم رددت السفن صيحات الآخيين فى روعة
مدهشة، وهم يثنون على كلمات أوديسيوس شبيه الآلهة. ٣٣٥
وهنا تحدث نيستور، الفارس الجيرينى:

"ياللعجب ! حقا إنكم تتصرفون فى اجتماعاتكم كما لو
كنتم صغارا لا يهتمون بإنجازات الحرب. ماذا إذن سيئول إليه
ما اتفقنا عليه وأقسمنا على تنفيذه ؟ فلنلق إذن فى النار بكل
الآراء وبكل خطط الرجال (المحاربين) وبكل ما سكبنا من قرابين ٣٤٠
الشراب (لتكريس القسم)، وبكل ما تعاهدنا بالمصافحة
على القيام به. فها نحن نتجادل بالكلمات دون جدوى، ودون
أن نجد وسيلة ناجعة (للوفاء بكل ذلك) مهما طال مُقامنا فى
هذا المكان. يا ابن أتريوس ! ابق على رأيك الذى كنت عليه
من قبل دون أن تهتز إرادتك وقُدْ الأرجيين خلال المعارك ٣٤٥
الشرسة، وإذا كان من بين الآخيين فرد أو اثنان قد اتفقا فى
الخفاء على أن يعودا إلى أرجوس – فلن يجنى هؤلاء سوى الإحباط –
فدعهم يذهبون إلى الهلاك قبل أن يتبين لنا ما إذا كان
ما وعدنا به زيوس، لابس الدرع أيجيس، أمرا صادقًا أم غير صادق.
أما أنا فإنى أعلن أن ابن كرونوس، القادر على كل شىء، قد ٣٥٠
أعطانا وعدا بإيماءة من رأسه فى ذلك اليوم حين اعتلى أبناء
أرجوس سفنهم السريعة حاملين الموت والقدر إلى الطرواديين،
لأنه جعل النور عن يميننا وأظهر لنا آيات الخير. وإذن فلا
تتعجلوا فى العودة إلى أرض الوطن قبل أن يضاجع كل منكم
امرأة من زوجات الطرواديين، وبذلك يكون قد أخذ ثأره لكل ٣٥٥
ما انتابه من عناء وأسى بسبب ما حدث لهيلينى. ومع ذلك

فإذا كان هناك من هو متعطش للرحيل إلى الوطن، فليضع
يده على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة. وسيلقى
أمامنا جميعا نهايته وقدره. أما الآن، أيها الملك فتدبر الأمر
مليًا واستمع لرأى الآخرين ولا تأخذ ما أقوله ببساطة. قسّم ٣٦٠
رجالك يا أجاممنون إلى القبائل والعشائر (التى ينتمون إليها)،
حتى تساعد كل عشيرة الأخرى، وحتى تشد كل قبيلة من أزر
الأخرى. إنك إن فعلت ذلك والتزم به الآخيون، فإنك سوف
تعرف من هم الجبناء من بين قادتك ورجالك، كما ستعرف ٣٦٥
من هم الشجعان لأن كل عشيرة ستقاتل من أجل كيانها،
وعندئذ سوف تعرف ما إذا كانت إرادة الآلهة هى التى تحول
دون أن تستولى على المدينة أم أن ذلك يعود إلى جبن
الرجال وقلة خبرتهم بالحروب".

وهنا رد عليه الملك أجاممنون قائلاً:

"حقا أيها الشيخ (الحكيم) إنك تتميز فى الحديث، مرة ٣٧٠
أخرى، على كل الآخيين. لكم أتمنى، أى زيوس الأب، ويا
أيتها الإلهة أثينة، ويا أيها الإله أبوللون أن يكون لدى عشرة من
الآخيين يقدمون هذا النوع من المشورة. عندئذ سوف تحنى مدينة الملك
برياموس رأسها بعد أن نكون قد استولينا عليها ودمرناها.
ولكن ابن كرونوس، زيوس الذى يلبس الدرع أيجيس، قد ٣٧٥
جلب لى الأسى حين وضعنى وسط صراعات ومشاحنات غير
ذات جدوى. فقد نشبت الخصومة بينى وبين أخيليوس بكلمات
عنيفة حول فتاة، وكنت أنا الذى ثار فى البداية،
ومع ذلك فلو اتفقنا فى الرأى فلن يكون للطرواديين نجاة من ٣٨٠
البلاء بالمرة. ولكن على أية حال فلتذهبوا الآن جميعا لتناول طعامكم
حتى نستطيع أن نخوض معًا معركة آريس، وليشحذ كل منكم رمحه
ويعد ترسه إعدادًا حسنًا، ولتزودوا بالطعام خيلكم راكضة

الخطو، وليتمم (أصحاب العجلات الحربية) كل على
عجلته من كل جانب وليركز كل منكم ذهنه فى القتال حتى ٣٨٥
نستطيع أن نقاتل طوال اليوم معركة آريس البغيضة، إذ لن
تكون هناك لحظة راحة قبل أن يفرق الليل بين عنف
المتقاتلين. إن أربطة الدروع التى تحمى الرجال ستكون
مبللة بالعرق، وستكون يد المقاتل حول الرمح قد أصابها الكلل
وسيكون حصانه قد نضح بالعرق وهو يجر عجلته الحربية ٣٩٠
المصقولة. على أنى إذا أبصرت بأحد يتلكأ عند السفن
المعقوفة الطرفين، فلن تكون هناك بارقة أمل فى أن تفلت
جثته من الكلاب والجوارح".

هكذا تحدث (أجاممنون)، فارتفع صياح الأرجيين كأنهم
موجة تهدر عند شاطىء مرتفع عندما تأتى ريح الجنوب ٣٩٥
نوتوس، فتزيد من حجمها وهى ترتطم بنتوء صخرى
لا ينجو من الأمواج التى تتقاذفها الرياح حين تهب مرة من
هنا ومرة من هناك. وهنا نهض الجميع وأسرعوا، متناثرين
بين السفن، ثم أشعلوا (مواقد) النار داخل خيامهم وتناولوا
الوجبة (*). وقدم كل منهم القرابين لإلهه (المفضل)، ٤٠٠
واحدًا لهذا وآخر لذاك، ومعها دعاء بأن ينجو من الموت
ومن عناء القتال. أما أجاممنون، ملك الرجال، فقد ذبح لابن
كرونوس، الأعلى فى قدرته، ثورًا ذا خمسة أعوام، ودعا
شيوخ القوم وزعماء كل الآخيين. نيستور فى المقدمة
والملك إيدومينيوس ثم الثنائى أياس(**) وابن تيديوس(***)، ٤٠٥
وكان سادسهم هو أوديسيوس نظير زيوس فى الرأى. أما

(*) لفظة deipnon الموجودة فى الأصل تعنى الوجبة الرئيسية، سواء أكانت فى الصباح أم فى الظهيرة أم فى المساء. ولكن المعنى الواضح هو وجبة الصباح فى ضوء ماذكره أجاممنون سابقا (بيت ٣٨٥) وهو يخاطب الآخيين قائلا: حتى نستطيع أن نقاتل طوال اليوم ... ألخ.
(**) أى أياس بن تيلامون وأياس بن أويليوس Oileus. (المحرر)
(***) أى ديوميديس. (المحرر)

مينيلاؤس (أخو أجاممنون)، الشجاع عند سماع صيحة الحرب
فقد حضر دون دعوة، إذ كان يعرف ما يشغل أخاه من مهام.
ثم التقوا حول الثور وأخذوا حبوب الشعير (اللازمة لتقديم ٤١٠
القربان). بعدها ارتفع صوت أجاممنون، سيد الجمع، بالدعاء:
"أى زيوس، الأمجد والأعظم، رب السحب ورب
السموات ! فلتكن مشيئتك ألا تغرب الشمس ويزحف علينا
الظلام قبل أن أكون قد انقضضت مدمرا قصر برياموس،
بعد أن يكون الدخان قد كساه بالسواد، وقبل أن أكون قد ٤١٥
أحرقت أبوابه وأضرمت فيها النيران وشققت قميص هيكتور
من على صدره بسيفى البرونزى، وليسقط رفاقه من حوله
فى الرغام وهم يعضون الأرض".
هكذا تحدث (أجاممنون)، ولكن ابن كرونوس لم تكن
مشيئته قد انعقدت بعدُ على الاستجابة لدعواته. لقد قبل القربان ٤٢٠
ولكنه دفع فى طريق (أجاممنون) بالمزيد من المعاناة. ولما
انتهوا من صلاتهم ونثروا حبوب الشعير قاموا فى البداية
بدفع رءوس الأضاحى إلى الخلف وقطعوا رقابها ثم سلخوها.
بعد ذلك قطعوا أفخاذها قطعًا غطوها بطبقة مزدوجة من
الدهن ومن فوق هذه قطع (أخرى) من اللحم، ثم قاموا بشى كل
ذلك على عيدان من الأغصان الجافة نزعوا عنها أوراقها. ٤٢٥
أما الأجزاء الداخلية للذبائح فقد شكوها بأسياخ أمسكوا بها
فوق نيران هيفايستوس. وحين أتموا إنضاج قطع الأفخاذ
وتذوقوا الأجزاء الداخلية، قطعوا ما تبقى من
الذبائح وشكوا القطع فى أسياخ (كذلك) وشووها بعناية ثم ٤٣٠
نزعوا القطع من على الأسياخ. وحين توقفوا عن عملهم هذا
وجهزوا الطعام، احتفلوا بالوليمة التى أخذ كل منهم نصيبه
منها على الشواء. وحين شبعوا من الطعام وارتووا من الشراب

كان أول من تحدث بينهم هو نيستور، الفارس الجيرينى فقال:

"أيها الأمجد، يا ابن أتريوس أى أجاممنون ياملك ٤٣٥

الرجال ! لا تدعنا نبقى ها هنا مجتمعين أو تؤجل العمل الذى

عهد به إلينا الإله. بل تقدم ودع منادى الآخيين ذوى الدروع

البرونزية يقومون بإعلان الأمر عليهم ويجمعون الحشد من

حول السفن، لنذهب جماعة إلى المعسكر العريض للآخيين

حتى نتمكن من دفع حركة الحرب على جناح السرعة". ٤٤٠

هكذا تحدث (نيستور)، ولم يتوان ملك الرجال،

أجاممنون، عن أن يوليه أذنًا صاغية. وهكذا طلب إلى

المنادين ذوى الأصوات الرنانة أن يجمعوا للمعركة

الآخيين ذوى الشعور الطويلة، وقد قام المنادون بالإعلان

(المطلوب) واجتمع المقاتلون بسرعة فائقة. وهنا أسرع

الزعماء، (ملوك المدن)، الذين رعاهم زيوس والذين كانوا ٤٤٥

حول ابن أتريوس يجمعون حشود المقاتلين، وفى وسطهم

كانت تقف (الإلهة) أثينة ذات العيون الزرقاء وقد ارتدت

الدرع أيجيس الذى لا يقدّر بثمن والذى لا يبلى ولا يعرف الفناء،

وقد تدلت منها مائة شرابة من خيوط الذهب،

نُسجت بمهارة فائقة وتصل قيمة كل منها إلى ما يساوى مائة

ثور. وما لبثت الإلهة أن أسرعت متألقة خلال صفوف ٤٥٠

الآخيين تحثهم على التقدم، وتبعث العزم على القتال فى قلب

كل رجل بلا توقف، (وظلت هكذا) حتى غدت الحرب أكثر

عذوبة لديهم من أن يعودوا بسفنهم إلى أرض الوطن الحبيب. ٤٥٥

وكما تضطرم النار المدمرة فى غابة شاسعة على قمة

جبل بحيث يرى وهجها عن بعد، هكذا كان ينبعث الوميض

المبهر من عتادهم البرونزى الذى لا حصر له، وهم

يتقدمون، ليصل إلى عنان السماء. وكما تفعل المجموعات

العديدة من الطيور المرفرفة. من الإوز البرى والكراكى ٤٦٠
والبجع ذات الرقاب الطويلة فوق المرج الآسيوى عند
روافد نهر كاوستريوس، وهى تطير مختالة بأجنحتها القوية،
ثم وهى تحط (على الأرض) خلف طليعتها المتقدمة – هكذا
كانت تندفع العشائر العديدة للرجال وهى تتدفق من السفن
والخيام إلى الأمام فى سهل سكاماندريوس، بينما كانت
الأرض تردد الأصداء الرهيبة تحت وقع (أقدام) الرجال ٤٦٥
و(سنابك) الخيل، وهكذا توقف الجمع عند المرج المزهر بجوار
النهر فى أعداد تفوق الحصر تحاكى وفرة الأوراق والزهور
فى موسم ازدهارها. ومثل أسراب الذباب العديدة التى تطن
غادية رائحة فى حركة دائبة فى حظائر الرعاة فى موسم ٤٧٠
الربيع عندما تمتلىء الدلاء بالحليب، هكذا اصطف الآخيون
ذوو الشعور الطويلة فى الوادى فى مواجهة الطرواديين، وهم
متعطشون إلى أن يمزقوهم إربًا.

ومثلما يفعل الرعاة فى حالة القطعان المتناثرة من
الماعز، حين يفرقونها دون صعوبة عندما تختلط فى المرعى، ٤٧٥
هكذا فعل الزعماء حين جمعوا الرجال ونظموهم هنا وهناك
ليخوضوا المعركة. هذا بينما كان يقف فى وسطهم سيد القوم
أجاممنون، (وقد بدت) عيناه ورأسه مثل زيوس حين يطلق الصاعقة،
وخصره مثل خصر آريس وصدره مثل صدر بوسيدون. وكما يقف
الفحل وسط أفراد القطيع رئيسًا سيدًا للجميع مقدما على القطيع، ٤٨٠
هكذا فعل زيوس بابن أتريوس فى ذلك اليوم، مقدما على الكثيرين
ومبرزًا بين المحاربين.

والآن، أخبرننى يا ربات الفن (الموساى) يا من تقطن
الأوليمبوس، فأنتن إلهات تساعدن الجميع وتعرفن كل ٤٨٥
شئ، بينما ما نسمعه نحن هو محض شائعات، ولا نعرف

شيئًا على الإطلاق: من كان زعماء الدانائيين
ورؤساؤهم(*) ؟ أما العامة فإنى لن أعرفهم أو أعرف أسماءهم
حتى لو أوتيت عشرة ألسن وعشرة أفواه وصوتًا لا يكل،
وحتى لو كان القلب الذى فى صدرى قد صبّ من البرونز، ٤٩٠
ما لم تشأ ربات الفن الموساى، المقيمات فوق الأوليمبوس،
بنات زيوس الذى يلبس الدرع (أيجيس)، أن تُعِدْنَ إلى ذاكرتى
كل من قدم إلى إليون. والآن سأذكر لكم قادة السفن ثم أذكر
السفن جميعًا.

من البويوتيين كان هناك من الزعماء بينيليوس وليئيتوس ٤٩٥
وكذلك أركيسيلاؤس وبروثوئينور وكلونيوس. وقد كان
هؤلاء (البويوتيون) يقيمون فى هيريا وأوليس ذات الطبيعة
الصخرية وسخوينوس وسكولوس وإتيونوس ذات التلال العالية
وثيسبيا وجرايا وميكاليسوس الفسيحة. ومعهم كان أولئك
الذين كانوا يقيمون حول هارما وإريثراى وإيليسيون، والذين
كانت فى أيديهم مدن إيليون وهولى وبيتيون وأوكاليا ٥٠٠
وميديون ذات المبانى المتقنة(**) وكوباى ويوتريسيس وثيسبى،
حيث يتجمع اليمام. ومع هؤلاء جميعا كان أولئك الذين
قدموا من كورونيا وهاليارتوس حيث الحشائش التى تنبت
بوفرة وأولئك الذين كانت فى أيديهم بلاتايا والذين كانوا
يقيمون فى جليساس. والذين كانت بأيديهم ثيبى السفلى ذات ٥٠٥
المبانى المتقنة وأونخيستوس المقدسة، وغيضة بوسيدون
الباهرة والذين كانت بأيديهم أرنى الغنية بالكروم، وميديا

(*) هذا الجزء ٤٨٤-٨٧٧ كان يعرف باسم بويوتيا أو قائمة السفن **Boiotia e katalogos ton neon** وتحذفه كثير من الطبعات على اعتبار أنه مقحم أو منتحل. ولكننا نتبع طبعة أكسفورد التى أوردته وشرحنا فى المقدمة أهمية هذا الجزء. (المحرر)

(**) لفظة **euktimenos** ترجمة ريو بمعنى النقطة الحصينة وترجمها مرى بمعنى الحصن المتقن البناء. ولكن معنى الحصن لا يأتى كصفة للمدينة إلا إذا اقترنت المدينة بما يفيد معنى الارتفاع، وهو غير متوفر فى هذا البيت، وعلى هذا فقد فضلت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظة وهو: المتقنة البناء أو ذات المبانى المتقنة.

ونيسا المقدسة وأنثيدون المطلة على البحر. من هؤلاء
(جميعا) جاءت خمسون سفينة على متن كل منها مائة
وعشرون من رجال البويوتيين. ٥١٠

وأولئك الذين كانوا يقيمون فى أسبليدون
وأورخومينوس بلد المينيائيين، الذين كان يقودهم أسكالافوس
وبالمينوس ابنا (الإله) آريس اللذين حملت فيهما أستيوخى،
الفتاة الرقيقة فى قصر أكتور بن أزيوس من آريس القوى ٥١٥
الجبار بعد أن صعدت إلى غرفتها فى الطابق العلوى حيث
ضاجعها الإله فى الخفاء. ومع هؤلاء كانت هناك ثلاثون سفينة
مجوفة.

وعلى رأس الفوكيين كان سخيديوس وإبيستروفوس ابنا
إفيتوس ذى الهمة العالية ابن ناوبيلوس. وكان هؤلاء
(الفوكيون) هم مواطنى كيباريسوس وبيثو (ذات الأرض
الصخرية وكريسا المقدسة وداوليس وبانوبيوس. و (كذلك) ٥٢٠
الذين كانوا يقيمون حول أنيموريا وهيامبوليس، والذين كانوا
يعيشون حول النهر المقدس كيفيسوس، والذين كانت بأيديهم
ليلايا عند منابع كيفيسوس. ومع هؤلاء كانت هناك أربعون
سفينة سوداء. وقد نشط رؤساء الفوكيين فى جمع صفوفهم ٥٢٥
واستعدوا للمعركة، (وكان موقعهم) إلى يسار البويوتيين
مباشرة.

أما اللوكريون فقد كان يقودهم الابن العدّاء لأويليوس،
وهو أياس الأقل شأنا فهو لا يصل بأى حال إلى قدرة أياس
التيلامونى، وإنما يقل عن ذلك كثيرًا، وكان صغيرا فى حجمه
يشتمل بمشد من الكتان. ومع ذلك فقد كان يفوق فى رمى ٥٣٠
الرمح كل مقاتلى الهللينيين والآخيين. هؤلاء (اللوكريون) هم
الذين كانوا يقطنون كينوس وأوبويس وكاليـاروس وبيسّا

وسكارفى وأوجياى الجميلة وتارفى وثرونيون حول روافد
نهر بوأجريوس. وقد جاءت مع أياس أربعون سفينة سوداء
(من سفن) اللوكريين الذين يقيمون مقابل (جزيرة) يوبويا المقدسة. ٥٣٥
وكان هناك الأبانتيون الذين ينفثون الغضب، وقد كانت
بأيديهم يوبويا وخالكيس وإيريتريا وهستيايا، الغنية بالكروم،
وكيرينثوس المطلة على البحر ومدينة ديون المحصنة
الشاهقة الارتفاع، والذين كانت بأيديهم كاريستوس وأولئك الذين
يقطنون ستيرا. وكان يقود هؤلاء (جميعا) إليفينور، سليل ٥٤٠
آريس، والذى كان ابنًا لخالكودون زعيما للأبانتيين ذوى
الروح العالية. وقد تبعه الأبانتيون السريعو الخطى ذوو الشعر
الطويل على ظهورهم، حاملو الحراب المتحمسون، وقد شرعوا
رماحهم الرمادية وهم متعطشون لأن يمزقوا بها
المشدات التى أحاط بها أعداؤهم صدورهم. وقد جاءت ٥٤٥
مع قائدهم أربعون سفينة سوداء.
وأولئك الذين كانت بأيديهم أثينا، المدينة الحصينة البناء،
مدينة إريختيوس ذى القلب الكبير، الذى رعته فى قديم الزمان
الإلهة أثينة، ابنة زيوس، حين حملت به الأرض المنتجة
للحبوب، والذى جعلته (الربة) يقيم فى محرابها الخاص (ذى
المذبح) الدهنى الملمس (من وفرة الأضاحى)، حيث يحاول ٥٥٠
الشباب الأثينيون على مر السنين أن يحصلوا على رضاه بتقديم
القرابين من الثيران والكباش. هؤلاء كان يقودهم مينيسثيوس
بن بيتيوس الذى لا نظير له على وجه البسيطة فى تنظيم
(فصائل) العجلات الحربية والمحاربين من حملة التروس،
فيما عدا نيستور لأنه كان أكبر منه سنًا، وقد جاءت معه ٥٥٥
خمسون سفينة سوداء. كذلك قاد أياس اثنتى عشر سفينة
من سلاميس وصفهم حيث كان يوجد الأثينيون.

أما من كانت بأيديهم أرجوس وتيرينس التى اشتهرت ٥٦٠
بأسوارها وهرميونى وأسينى اللتان تطوقان الخليج العميق،
وترويزين وإيوناى وإبيداوروس التى تغطى أرضها الكروم
وشباب الآخيين الذين كانت بأيديهم أيجينا وماسيس، فقد كان
على رأسهم ديوميديس الذى تميز بإطلاق صيحة الحرب ٥٦٥
وسثينيلوس، الابن المحبوب لكابانيوس صاحب الأمجاد.
وكان ثالثهم الذى جاء معهم هو يورياًلوس، المحارب الشبيه
بالآلهة، ابن الملك ميكيستيوس بن تالاوس. على أن قائدهم
جميعا كان ديوميديس الذى يجيد إطلاق صيحة الحرب. وقد
جاءت مع هؤلاء ثمانون سفينة سوداء.

أما الذين كانت بأيديهم موكيناى، المدينة الحصينة البنيان ٥٧٠
وكورنثة الغنية وكليوناى ذات المبانى الرائعة وأورنياى
وأرايثيريا الجميلة وسيكيون التى كان أدراستوس أول
ملوكها، والذين كانت بأيديهم هيبريسيا وجونوئيسًا التى تقع
على مرتفع شديد الانحدار وبيللينى وأولئك الذين يقطنون حول ٥٧٥
أيجيون وفى كل أرجاء أيجيالوس وحول هيليكى المترامية
الأطراف. كل أولئك كان يرأسهم سيد القوم، أجاممنون بن
أتريوس ومعه مائة سفينة. وكان الذين تبعوه هم خيرة الرجال
وأكثرهم عددًا. أما هو فكان يقف بينهم بسلاحه البرونزى
اللامع، ملكًا مجيدًا ومقدمًا على المقاتلين جميعا، فقد كان ٥٨٠
أكثرهم نبلاً كما كان يقود أكثر القوات عددًا.

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أغوار لاكيدايمون التى
تكثر فيها الوهاد الضيقة المنحدرة. وفاريس وإسبرطة
وميسى حيث يتجمع اليمام، وبرويسياى وأوجياى الجميلة،
وكذلك الذين كانت بأيديهم أميكلاى وهيلوس، المدينة
المحصنة التى تقع على ساحل البحر، وأولئك الذين كانت ٥٨٥

بأيديهم لآس، والذين كانوا يقيمون حول أويتيلوس. هؤلاء
(جميعا) كان على رأسهم أخو أجاممنون، مينيلاؤس الذى
يجيد صيحة الحرب ومعه ستون سفينة. وقد تم تجميع هؤلاء
(فى موقع) على حدة. أما هو فقد كان يتحرك بينهم وهو
واثق من شجاعته. كما كان يحثهم على المعركة، إذ لم
يكن بين كل الآخرين من تهفو روحه أكثر منه لينتقم
لنفسه بسبب ما أصابه من عناء وأنين من جرَّاء هيلينى. ٥٩٠

كذلك كان هناك أولئك الذين كانوا يقيمون فى بيلوس
وأرينى الجميلة وثريون حيث يسهل عبور نهر الألفيوس وفى
آيبى ذات التأسيس الجميل، وأولئك الذين كانوا يقيمون فى
كيباريسيئيس وأمفيجينيا وبتيليوس وإيلوس ودوريون حيث كانت
ربات الفنون الموساى قد قابلن ثاموريس الطراقى ووضعن ٥٩٥
حدًا لغنائه وهو بسبيل سفره من أويخاليا، من بيت يوريتوس
الذى ينحدر من أويخاليا، وذلك لأنه كان يفخر بثقته الكاملة فى
الفوز (فى أية مباراة للغناء) حتى لو كانت ربات الفنون
الموساى هن اللائى يغنين فى مواجهته – وهن بنات زيوس
لابس الدرع أيجيس. وقد أغضبهن هذا فأصبنه بالعمى
وعاقبنه بأن سلبنه نعمة الغناء الجميل وأنسينه فن العزف ٦٠٠
على القيثار. كل هؤلاء كان يقودهم الفارس نيستور الجيرينى،
وقد اصطفت معه تسعون سفينة مجوفة.

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أركاديا عند سفح الجبل
المرتفع فى كيللينى بجوار مقبرة أيبوتيوس حيث يحارب
المقاتلون فى مواجهة متلاحمة (مع الأعداء)، وأولئك الذين
كانوا يقيمون فى فينيوس وأورخومينوس الغنية بقطعان ٦٠٥
الغنم وريبى وستراتيا وإنيسبى التى تهب عليها الرياح
الشديدة. والذين كانت بأيديهم تيجيا ومانتينيا الجميلة والذين

كانت بأيديهم ستيمفالوس، والذين كانوا يقيمون فى باراسيا.
لقد كان هؤلاء (جميعا) تحت قيادة ابن أنكايوس أجابينور ٦١٠
السيد (ومعه) ستون سفينة، على متن كل منها مجموعة كبيرة
من رجال الأركاديين الذين تميزوا بالمهارة فى القتال، لأن
ملك الرجال، أجاممنون بن أتريوس، قام بنفسه بإعطائهم
السفن الكثيرة المجاديف. ليعبروا بها البحر الذى له
لون الخمر الداكنة، إذ لم تكن لهم دراية بأمور البحر .

أما عن أولئك الذين كانوا يقطنون بوبراسيون وتلك ٦١٥
المنطقة من أرض إيليس الرائعة، التى كانت تحتضنها
هيرمينى وميرسينوس الواقعتان على ساحل البحر (من جانب)
وصخرة أولينيا وأليسيون من الجانب الآخر. هؤلاء، مرة
أخرى، كان على رأسهم أربعة قواد تتبع كلا منهم عشر
سفن سريعة كان يعتلى سطحها عدد كبير من الإيبيين.
إذ كان يقود بعض هذه السفن أمفيماخوس وثالبيوس، الأول ٦٢٠
ابن كتياتوس والآخر ابن يوريتوس وكلاهما من نسل أكتور.
أما البعض الآخر فكان يقود عددا منه ديوريس ذو المقدرة
الفائقة من نسل أمارينكيوس، وأما المجموعة الرابعة فكانت
تحت قيادة شبيه الآلهة، ابن الملك أجاستنيس بن أوجياس. ٦٢٥

ثم أولئك الذين قدموا من دوليخيون وإيخيناى، الجزر
المقدسة التى تقع عبر البحر فى مواجهة إيليس. وكان على
رأس هؤلاء، مرة أخرى، ميجيس نظير الإلة آريس، وهو
ابن فيليوس، (الابن) الذى أنجبه الفارس فيليوس، الذى يحبه
زيوس، والذى كان قد ذهب فى الزمن الماضى ليقيم فى
دوليخيون حين كان حانقًا على أبيه. و(مع ميجيس) جاءت
أربعون سفينة سوداء. ٦٣٠

وقد قاد أوديسيوس الكيفالينيين ذوى الهمة العالية،

الذين كانت بأيديهم إيثاكى ونيريتون ذات الغابات التى
تتموج (أمام الرياح)، والذين يقيمون فى كروكيليا وأيجيليبس
الصخرية ومواطنى زاكينثوس وكذلك الذين يقيمون حول
ساموس ومواطنى القسم الرئيسى من الأراضى والشواطئ ٦٣٥
المقابلة للجزر. كل هؤلاء كان يقودهم أوديسيوس، نظير
الإله زيوس فى الرأى وقد جاءت معه اثنتا عشر سفينة
لونت مقدماتها باللون القرمزى.

أما الأيتوليون فقد كان يقودهم ثوأس بن أندرايمون،
وكان هؤلاء يقيمون فى بليورون وأولينوس وبيلينى. ٦٤٠
وخالكيس المطلة على البحر وكاليدون الصخرية. وذلك
لأن أبناء أوينيوس ذى الهمة العالية لم يكونوا على قيد الحياة،
وكان هو الآخر قد مات. وكان قد فارق الحياة كذلك
ملياجروس ذو الشعر الذهبى الذى كانت الأوامر قد صدرت
بأن يقود كل الأيتولبين. وقد جاءت مع ثوأس أربعون
سفينة سوداء. ٦٤٥

وكان قائد الكريتيين هو إيدومينيوس، الذى اشتهر
باستخدام الرمح. وكانت بأيدى هؤلاء كنوسوس وجورتين
التى ذاع صيتها بسبب (متانة) أسوارها وليكتوس وميليتوس
وليكاستوس التى يكسوها الحجر الطباشيرى بالبياض،
وفايستوس وريتيون اللتان تقطنهما أعداد غفيرة. ثم الآخرون
الذين كانوا يقيمون فى كريت ذات المائة مدينة. كل هؤلاء ٦٥٠
كان يقودهم إيدومينيوس الذى اشتهر باستخدام الرمح ومعه
ميريونيس، نظير إنياليوس قاتل الرجال. وقد جاءت معهما
ثمانون سفينة سوداء.

وهناك تليبوليموس بن هيراكليس (هرقل)، رجل
شجاع كبير الجسم. وقد قاد من رودس تسع سفن عليها

مجموعات من الروديسيين المعتدين بأنفسهم، الذين يقيمون
فى رودس مقسمين إلى ثلاثة أقسام، فى ليندوس ويليسوس ٦٥٥
وكاميروس التى يكسوها بياض الحجر الطباشيرى. هؤلاء
كان يقودهم تليبوليموس، الذى اشتهر باستخدام رمحه، وهو
الذى حملت فيه من هيراكليس البالغ القدرة، أستيوخيا التى
كان قد اقتادها من إفيرى ونهر سيلليئس بعد أن دمر عددا ٦٦٠
من مدن (المقاتلين) الأشداء الذين كان يرعاهم زيوس. ولكن
حين بلغ تليبوليموس مبلغ الرجال فى القصر الذى تحيط به
الأسوار القوية، قام على التو بقتل ليكيمنيوس، العم الحبيب
لأبيه ذاته، وسليل آريس وكان قد بدأ يتقدم فى
السن آنذاك. وهكذا بدأ تليبوليموس يبنى لنفسه سفنًا، وحين
جمع عددًا كبيرًا من الناس هرب إلى البحر لأن أبناء وأحفاد ٦٦٥
هيراكليس البالغ القدرة قد هددوه. ولكنه وصل فى تجواله
إلى رودس بعد عناء كبير، وهناك استقر شعبه فى ثلاثة
أقسام حسب قبائلهم التى كانت تتمتع بحب زيوس، ملك الآلهة
والبشر. وقد أنعم ابن كرونوس عليهم بثراء عريض. ٦٧٠

وإلى جانب ذلك قاد نيريوس ثلاث سفن رائعة المظهر
من سومى. وكان نيريوس ابنا لأجلايا والملك خاروبس. إنه
نيريوس، أوسم من وصل إلى أسوار إليوس من الدانائيين،
وذلك بعد ابن بيليوس، الذى لا نظير له. على أن نيريوس ٦٧٥
كان رجلا تنقصه القوة ولم يتبعه إلا عدد قليل من الرجال.

أما أولئك الذين كانت بأيديهم نيسوروس وكراباثوس
وكاسوس وكوس، مدينة يوريبيلوس، والجزر الكاليدونية
(كاليدناى)، فقد كان يقودهم فيديبوس وأنتيفوس، ابنا الملك
ثيسالوس، ابن هيراكليس الملك – وكان معهم ثلاثون سفينة مجوفة. ٦٨٠

هذا وكل أولئك الذين كانوا يقيمون فى أرجوس،

المدينة البلاسجية، والذين كانوا يقيمون فى ألوس وألوبى
وتراخيس، والذين كانت بأيديهم فثيا وهيلاس التى اشتهرت
بجمال نسائها – وكانوا يدعون الميرميدونيين والهلينيين ٦٨٥
والآخيين. كل أولئك كان أخيليوس يقود سفنهم الخمسين.
على أنهم لم يعودوا يفكرون الآن فى الحرب
البغيضة، إذ لم يكن هناك من يُعِدّ صفوفهم للقتال، فقد كان
أخيليوس النبيل سريع القدم، يرقد بين السفن لا يفعل
شيئًا وقد غلبته الهموم من جراء الفتاة بريسئيس ذات الشعر
الجميل التى كان قد سباها (لنفسه) من ليرنيسوس بعد عناء ٦٩٠
شديد دمر خلاله ليرنيسوس وأسوار ثيبى وصرع كلا من
مينيس وإبيستروفوس، من رجال الرمح العُتاة وأبناء الملك
إيوينوس بن سيليبوس. هكذا كان أخيليوس، فى حزنه الشديد
أخرى. عليها، يرقد دون أن يفعل شيئًا ولكنه كان سينهض مرة ٦٩٥

أما أولئك الذين كانت بأيديهم فيلاكى وبيراسوس
المزهرة، مدينة ديميتر، وإيتون ذات قطعان الغنم
وأنترون المتاخمة للبحر وبتيليوس التى تحتضنها الحشائش
الوفيرة هؤلاء كان يقودهم بروتيسيلاؤس، المحارب الشديد المراس
عندما كان على قيد الحياة قبل أن يرقد تحت الأرض السوداء ٧٠٠
أما زوجته التى مزقت خدودها (نواحًا عليه) فقد
تركها (الآن) وراءه فى فيلاكى، كما ترك بيته يفتقد السيد
والخلف(*)، فقد ذبحه رجل داردانى بينما كان (بروتيسيلاؤس)
يقفز من سفينته قبل كل الآخيين. على أن رجاله لم يستمروا

(*) تعبير domos hemiteles يعنى: البيت الذى لم يكتمل بناؤه، وقد ترجمه ريو بهذا المعنى الحرفى. كذلك ترجمه مرى بالمعنى الحرفى ولكنه أضاف فى الحاشية أنه يعنى أن البيت خال من الابن، على اعتبار أن الزوج القتيل لم يترك أبنًا. أما فوس فقد اكتفى بأن يترجمه: البيت الخالى. ويترك للقارىء تصور هذا المعنى المجازى. وقد رأيت أن أترجمه: البيت الخالى من السيد والخلف. على أساس أن الزوج (سيد البيت) قد قتل، وأنه، لو كان قد ترك خلفًا لما ذكر هوميروس أنه لم يكتمل، حيث إن الابن يخلف الأب ويصبح هو رجل البيت فيكتمل البيت بذلك.

دون قيادة رغم افتقادهم إياه، فقد خلفه على تنظيم ٧٠٥
صفوفهم بوداركيس سليل آريس وحفيد فيلاكوس وابن
أفيكلوس، صاحب قطعان الغنم الكثيرة. كما كان أخا
بروتيسيلاؤس ذى الهمة العالية. كان هو الأخ الأصغر
بينما كان (بروتيسيلاؤس) هو الأخ الأكبر وهكذا لم تفتقر
قواتهم إلى قائد رغم أنهم كانوا يفتقدون الرجل النبيل الذى ٧١٠
فقدوه. وقد جاءت مع بوداركيس أربعون سفينة سوداء.

ثم أولئك الذين كانوا يقيمون فى فيراى بجوار بحيرة
بويبئيس وفى بويبى وجلافيراى ويأولكوس الحصينة
البنيان. وكان يقودهم الابن الحبيب لأدميتوس ومعه إحدى
عشر سفينة، وهو يوميلوس الذى أنجبته من أدميتوس،
سيدة النساء ألكيستيس، أنبل بنات بيلياس. ٧١٥

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوماكيا وفى
ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم، هم وسفنهم
السبع، فيلوكتيتيس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل
سفينة خمسون مجدفا تمرسوا فى القتال بالقوس. ولكن ٧٢٠
فيلوكتيتيس كان يرقد فى جزيرة وقد ألمت به آلام موجعة،
إذ تركه أبناء الآخيين (مضطرين) وهو يعانى من جراء
جرح أصابه به ثعبان مميت من ثعابين البحر. على أنه لم
يمضى وقت طويل قبل أن تتذكر جموع أرجوس الملك ٧٢٥
فيلوكتيتيس وهم بجوار سفنهم. وحقيقة أنهم افتقدوا قائدهم
إلا أنهم لم يظلوا بلا قائد. فقد أعد ميدون صفوفهم للمعركة،
وهو الابن الذى حملت به رينى سفاحًا من أويليوس مدمر المدن.

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم تريكى وإيثومى ذات
المنحدرات الصخرية وأويخاليا، مدينة يوريتوس الأويخالى. ٧٣٠
هذه المدن كان يقودها ابنا أسكلبيوس، وهما الطبيبان

الماهران بوداليريوس وماخاؤن، ومع هؤلاء كانت هناك
ثلاثون سفينة مجوفة. ٧٣٥

أما أولئك الذين كانت بأيديهم أورمينيوس ونبع هيبيريا، والذين
كانت بأيديهم أستيريون والقمم البيضاء لتيتانوس، فقد كان يقودهم
يوريبيلوس، الابن المجيد ليوأيمون، وكانت معه أربعون سفينة سوداء.

ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أرجيسّا والذين كانوا
يقطنون جورتونى وأورثى وإلونى ومدينة أولوؤسون ٧٤٠
البيضاء. وكان يقودهم بوليبويتيس، المحارب القدير ابن
بيريثوؤس الذى أنجبه زيوس الخالد والذى حملت به
هيبوداميا المجيدة من بيريثوؤس فى اليوم الذى انتقم فيه
من الكنتوروى(*). ذوى الشعر الأشعث وطردهم من
بيليون ثم دفع بهم إلى أيدى الأيثيكيين. هذا ولم يكن
(بوليبويتيس) وحده، بل كان معه ليونتيوس، سليل آريس ٧٤٥
وحفيد كاينيوس وابن كورونوس ذى الهمة العالية وكانت معهما
أربعون سفينة سوداء.

كذلك كان جونيوس يقود اثنين وعشرين سفينة من ٧٥٠
كوفوس. وقد تبعه الإينيينيون والبيرايبيون، وهم مقاتلون
أشداء، كانوا قد أقاموا مساكنهم فى دودونى ذات الطقس
الشتوى وعاشوا على فلاحة الأرض حول (نهر) تيتاريسيوس
الذى تتوق النفس إلى رؤيته، والذى تتدفق مياهه فى سلاسة

(*) اللفظة فى الأصل: Feres. ويترجمها فوس: الوحشيون الممسوخون. ويكتفى ريو بترجمتها: رجال البرارى، بينما يترجمها مورى: مخلوقات الكنتوروى، وهى مخلوقات نصفها الأعلى حتى أسفل الجذع على هيئة نصف بشر أما بقية الجسم فهو بقية جسم حصان، والترجمة بهذا الشكل قوية ففى ملحمة "الأوديسية" الكتاب الأول، بيت ٢٩٥ وما بعده) إشارة إلى علاقة بين بيريثوس وهذه الكائنات. وقد رأيت أن الترجمة الأولى (الوحشيين الممسوخين) غير كاملة المعنى لأنها لا تشير إلى النصف البشرى من هذه المسوخ كما رأيت أن ترجمة: رجال البرارى لا تستند على أصل لغوى أو أسطورى، وفى رأيى أن ترجمة: مخلوقات الكنتوروى هو الأقوى بين الترجمات الثلاث وذلك استنادا إلى ما ذكره الشاعر فى ملحمة "الأوديسية" علىنحو ما سبق. ولكن خوفا من أن يكون بعض القراء على غير معرفة كافية بماهية مخلوقات الكنتوروى، نشير إلى أنها مخلوقات نصفها الأمامى على هيئة بشر ونصفها السفلى على هيئة حصان. (راجع "الأوديسية" مرة أخرى، الكتاب الحادى والعشرون، أبيات ٣٠١-٣٠٣، حيث ترد كلمة الكنتوروى بمعنى الحيوان البرى أو المتوحش).

فى (نهر) بينيوس، ومع ذلك لا تلتقى بالدوامات الفضية لنهر
بينيوس وإنما تجرى فوق مياهه كما يسيل الزيت، إذ إنه
يتفرع من مياه (نهر) ستيكس، نهر القسم (الرهيب)(*). ٧٥٥

ثم هناك الماجنيتيون الذين كان يقودهم بروثوؤس بن
تنثريدون. وكان هؤلاء يقيمون حول بينيوس وبيليون التى
تغطيها الغابات التى تتماوج (أوراقها تحت الرياح). لقد كان
بروثوؤس هو قائد هؤلاء. وقد جاءت معه أربعون سفينة سوداء. ٧٦٠

وكان أولئك قادة الدانائيين وسادتهم. ولكن حدثينى
ياربة الفن والحكمة: من كان الأفضل بينهم، سواء من أولئك
(الرجال) أو من الخيل، ممن تبعوا ابنى أتريوس.

لقد كانت فرسا ابن فيريس، من بين الخيل، هما الأفضل
كثيرًا، وهما اللتان كان يسوقهما يوميلوس، سريعتين كالطير
ولهما نفس لون الجلد وذات السن. أما ظهراهما فكانا فى
استوائهما كخير ما يمكن أن يصل إليه الخط الذى يحدد مدى
الاستواء. لقد كان الإله أبوللون ذو القوس الفضى هو الذى ٧٦٥
رعى هاتين الفرسين اللتين تثيران الهلع. أما من بين الرجال فقد
كان الأفضل هو أياس التيلامونى طالما كان أخيليوس لا يزال على
غضبه، ذلك أن أخيليوس كان أقدرهم بشوط طويل، هو والخيل التى
كان يسوقها (هو نفسه)، ابن بيليوس الذى لا نظير له. ولكنه كان ٧٧٠
يقيم (آنذاك) بين سفنه ذات المقدمات المعقوفة والتى تمخر
عباب البحر، وقد استبد به الغضب على أجاممنون بن
أتريوس، راعى حشود المقاتلين، بينما كان رجاله يمضون
وقتهم على شاطىء البحر فى رمى القرص والرمح والرماية ٧٧٥
بالقسى والسهام. أما خيولهم فقد كانت تقف فى تراخ، كل

(*) Styx: هو نهر فى أركاديا (بلاد اليونان) له صلة فى الميثولوجيا اليونانية بالعالم الآخر، وكان أهل أركاديا (وكذلك الآلهة عند هوميروس) يقسمون عنده (هيرودوتوس، الكتاب السادس، بيت ٧٤.

منها إلى جانب عجلته الحربية، وهى تقضم اللوتس ونبات
المقدونس من الأرض الموحلة، وبينما كانت عجلات
الزعماء معدة ومغطاة بعناية فى داخل خيامهم، كانوا هم،
فى غمرة افتقادهم لقائدهم الحبيب، يتجولون فى تراخ
فى أرجاء المعسكر دون أن يشاركوا فى القتال. ٧٨٠

هكذا تقدم (بقية) الرجال كما لو كان السهل قد اكتسحته
النيران وقد أنت الأرض تحت وطأتهم كما تئن تحت وطأة
زيوس حين يقذف بصاعقة الرعد فى لحظة غضبه ليجلد
بها الأرض حول تيفويوس(*)، فى منطقة الأريميين التى
يقولون إن بها مخدع تيفويوس. هكذا كانت الأرض تئن ٧٨٥
تحت أقدامهم عندما أتوا وهم يخترقون السهل فى سرعة فائقة.

أما عن الطرواديين فقد ذهبت إليهم إيريس(**) بخطواتها
التى تحاكى سرعة الريح، ومعها رسالة محزنة من زيوس
لابس الدرع أيجيس، بينما كان هؤلاء يعقدون اجتماعهم أمام بوابة
برياموس، وقد التأم جمعهم فى مجلس واحد، الشباب منهم
والشيوخ. لقد وقفت إيريس سريعة الخطى على مقربة منهم ٧٩٠
وتحدثت إليهم وجعلت صوتها شبيها بصوت بوليتيس، بن
برياموس، الذى كان يجلس، وكأنه حارس يحمى الطرواديين،
فوق قمة الرابية التى تعلو مقبرة أيسيئيتيس الشيخ المسن، واثقا
فى سرعة قدميه، منتظرا حين يبدأ الآخيون التقدم بعد
أن يغادروا سفنهم. وبعد أن جعلت نفسها شبيها له تحدثت ٧٩٥
إيريس ذات الخطى الخفيفة إلى برياموس:

"سيدى الشيخ ! إن الأحاديث التى لا تنتهى لا تزال حبيبة إلى

(*) وحش أنجبته الأرض من أحد العمالقة له مائة رأس على هيئة رأس التنين ومائة يد ومائتا قدم (وفى رواية أخرى مائتا زوج من الأيدى والأقدام) ذات حجم هائل.

(**) إلهة قوس قزح، وكانت مهمتها أن تقوم بدور الرسول لكبار الآلهة. وربما كان السبب فى نسبة هذا الدور إليها هو أن قوس قزح حين يظهر يبدو وكأنه يمتد عبر السماء ويلمس الأرض عند طرفيه، فكأنه يصل ما بين السماء والأرض أو ما بين طرفى الأرض.

قلبك كما كان الحال فى أيام السلام، ولكن الحرب التى لا يهدأ أوارها
أصبحت (الآن) على الأبواب. وفى الحق فإنى قد خضت قبل الآن
حروبًا كثيرة ضد المقاتلين، ولكن لم أر قبل الآن حشدًا من
المقاتلين بمثل هذا الحجم الكبير، فإنهم (يبدون) بعدد أوراق
الشجر وحبات الرمل، وهم يتقدمون نحو السهل ليحاربوا ضد ٨٠٠
المدينة. ياهيكتور ! إنى أطلب إليك قبل أى شخص آخر أن
تعمل بما سأقوله. كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس
العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال
المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى
المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من
ترتيب صفوف رجال مدينته". ٨٠٥

هكذا تحدثت، ولم يخف على هيكتور صوت الإلهة بأية حال،
ففض الاجتماع لساعته وانطلق الجميع ليأخذوا أسلحتهم وفتحت كل
الأبواب على مصاريعها وأسرع الرجال، سواء منهم المشاة أو راكبو
العجلات الحربية، بينما ارتفع الضجيج. ٨١٠

هذا، وهناك أمام المدينة، وعلى مسافة بعيدة منها، تقوم
رابية على شيء من الانحدار ، تحفها الأرض الفسيحة من
هنا ومن هناك. ويطلق الرجال على هذه الرابية اسم باتيئيا،
بينما يسميها الآلهة الخالدون رابية ميرينى ذات الخطى
الخفيفة. هناك قسَّم الطرواديون والحلفاء حشودهم. ٨١٥

وكان يقود الطرواديين هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ابن
برياموس، وكانت قد انتظمت معه أعظم القوات وأفضلها،
ملوحين بالرماح فى شجاعة.

وكان يقود الداردانيين الابن الشجاع لأنخيسيس، وهو ٨٢٠
آينياس الهمام الذى حملت به الإلهة أفروديتى الجميلة من
أنخيسيس على أحد نتوءات جبل إيدا حين ضاجعت الإلهة هذا

الرجل من بنى البشر. ولم يكن وحده (على رأس الداردانيين)،
وإنما كان معه إبنا أنتينور: أرخيلوخوس وأكاماس، المتمرسان
فى كل ضروب القتال.

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى زيليا عند أدنى سفوح ٨٢٥
جبل إيدا، وهم عشيرة طروادية من أهل الثراء، يشربون
المياه السوداء(*). من نبع أيسيبوس، فقد كان يقودهم الابن
المجيد لليكاؤن، بانداروس الذى أعطاه أبوللون نفسه القوس.

ثم أولئك الذين كانت بيديهم أدراستيا وأرض أبايسوس،
وأولئك الذين كانت بأيديهم بيتويا وجبل تيريا الشديد ٨٣٠
الانحدار. وكان يقودهم أدراستوس وأمفيوس ذو المشد الكتانى،
وهما ابنا ميروبس الذى ينتمى إلى بركوتى والذى كان أمهر
القوم فى العرافة. ولم يكن (ميروبس) يريد لولديه أن يخوضا الحرب
المدمرة للرجال. ولكن الأخوين لم يصغيا لرأيه على الإطلاق لأن
أشباحَ الموت كانت تغريهما بالذهاب إلى قدرهما. ٨٣٥

أما أولئك الذين كانوا يقطنون حول بركوتى وبراكتيوس،
والذين كانت بأيديهم سيستوس وأبيدوس وأريسبى الجميلة،
فقد كان يقودهم ابن هيرتاكوس، أسيوس، وهو زعيم (بطبيعته) للرجال،
أسيوس بن هيرتاكوس، الذى جاءت معه من أريسبى عند
نهر سيللئيس خيوله الكبيرة التى تشع بريقا. ٨٤٠

هذا، وقد قاد هيبوثوؤس قبائل البلاسجيين المتمرسين
فى استخدام الرماح، والذين كانوا يقيمون فى لاريسا ذات
التربة العميقة. لقد كان يقودهم هيبوثوؤس وبيلايوس، سليل
آريس، وهما ابنا ليثوس البلاسجى ابن تيوتاموس. ٨٤٥

أما أكاماس والمحارب البطل بيرووس فقد كانا على

(*) المياه السوداء ترد عند هوميروس صفة لمياه الينابيع العميقة (على سبيل المثال، "الأوديسية": الكتاب الرابع سطر ٣٥٩) التى لا يصل النور إلى عمقها فتبدو سوداء الجدران، أو التى تنزلق على صخرة مكسوة بالبقع السوداء (الإلياذة، الكتاب السادس عشر، بيت ٤ وما بعده).

رأس الطراقيين الذين يحيط بأرضهم بحر الهيلليسبونطوس
ذو المياه المتدفقة.

كذلك كان يوفيموس قائدا لحاملى الرماح الكيكونيين،
وهو حفيد كياس وابن ترويزينوس الذى يرعاه زيوس.

٨٥٠ أما بيرايخميس فقد كان يقود البايونيين ذوى الأقواس
المشدودة والذين أتوا من بلاد بعيدة، من أميدون ومن
(ضفاف) أكسيوس، النهر الواسع المتدفق، أكسيوس الذى تجرى مياهه
فى سلاستها كما لا تجرى أى مياه أخرى على وجه البسيطة.

ثم هناك البافلاجونيون الذين كان على رأسهم
بيلايمينيس ذو الرجولة الخشنة(*)، وقد أتى بهم من أرض
الإينيتيين حيث توجد مجموعة إناث البغال البرية. إنهم أولئك
٨٥٥ الذين كانت بأيديهم كيتوروس والمناطق الواقعة حول
سيساموس وكانت تقوم مساكنهم الشهيرة حول نهر بارثينيوس
وحول كرومنا وأيجيالوس وإريثينى ذات الموقع المرتفع.

وكان يقود الهاليزونيين كل من أوديوس وإبيستروفوس
اللذين جاءا من منطقة بعيدة، من أليبى حيث مصدر الفضة.

أما عن الميسيين، فقد كان يقودهم خروميس وإنوموس
العراف (الذى يتنبأ عن طريق مراقبة حركات الطير وأصواته)
الذى لم يستطع - رغم كل تنبؤاته وعرافته - أن يتخلص
٨٦٠ من قدر الموت الأسود، فقد ذبحه ابن أياكوس، (أخيليوس)
العدّاء ذو القدم السريعة، الذى كان يشيع الدمار بين

(*) التعبير فى الأصل lasion ker. والمعنى الحرفى (على غرابته) هو: القلب الأشعث أو الخشن. وعلى هذا فإما أن نأخذ التعبير بالمعنى المجازى بمعنى الصدر الأشعث الشعر أو الخشن الشعر (على أساس أن الصدر يحوى القلب)، وإما أن نأخذه بمعنى القلب الشديد الذى لا يهاب (ويقابله فى العامية المصرية: القلب الجامد). والترجمتان تشير كل منهما إلى معنى الرجولة الشديدة (أمثلة فى الإلياذة، الكتاب الأول، بيت١٨٩، الكتاب السادس عشر، بيت ٥٥٤). وقد ترجم مرى هذا التعبير: القلب الأشعث وهى ترجمة غير مألوفة، كما ترجمة ريو: ذو الصدر المغطى بالشعر الأشعث. أما فوس فقد ترجمه: ذو القلب العنيد. وقد رأيت أن أترجمه: ذو الرجولة الخشنة، فهى تجمع، فى تصورى، بين المعنى الحرفى والمعنى المجازى بشكل أكثر قبولا وأقرب إلى الدقة فى الوقت ذاته.

الطرواديين ولدى الآخرين (*).

وقد كان فوركيس يقوم هو وأسكانيوس، ذو القوام
الإلهى، بقيادة الفريجيين الذين أتوا من منطقة بعيدة، من
أسكانيا، والذين كانوا يتحرقون شوقا إلى خوض المعركة.

وكان على رأس المايونيين كل من ميستليس وأنتيفوس، ٨٦٥
إبنا تالايمينيس الذى كانت أمه عروس بحيرة جيجايا – كانا
على رأس المايونيين الذين ينتمون إلى سفح (جبل) تمولوس.

كذلك كان ناستيس يقود الكاريين الذين يتحدثون لغة
غير مألوفة(**). وكانت بأيديهم ميليتوس وجبل فثيريس
الذى تكسوه الأشجار المورقة، وروافد (نهر) المايانِدروس
وقمم ميكالى الشديدة الانحدار. وكان يقود هؤلاء كل من ٨٧٠
أمفيماخوس وناستيس، ناستيس وأمفيماخوس هما ابنا نوميون
المجيدان وكان قد أتى إلى الحرب متزينًا بالذهب كما
تتزين الفتاة، ياله من أحمق ! ولكن ذهبه لم يُجد شيئًا فى
دفع النهاية التعيسة عنه، فلقد لقى حتفه ذبحا على يدى
ابن أياكوس، (العدَّاء) ذى القدم السريعة، فى النهر وقد
قام أخيليوس (بن أياكوس)، الذى كان يفكر بعقلية ٨٧٥
المحارب(***)، بالاستيلاء على الذهب.

و(أخيرًا) كان هناك ساربيدون وجلاوكوس الذى لا

(*) فى الأصل: الآخرون، ولكنا نفهم أن الآخرين هم "الحلفاء، وذلك بالرجوع إلى أبيات ٨٠٣–٨٠٥ من هذا الكتاب، حيث يتحدث هوميروس عن الحلفاء الكثيرين، الموجودين فى داخل المدينة وأولئك الذين تختلف لغاقم والمتناثرين خارج المدينة كما تعرف منه فى آخر هذه الأبيات أن هؤلاء جميعا سوف يحاربون إلى جانب طروادة.

(**) barbarophonoi تعنى حرفيا ذوى اللغة البربرية. ولكن اليونان يطلقون لفظة البربرى على كل من يتحدث لغة غير يونانية (وليس بالضرورة من هم أقل منهم تحضرا)، لأن أية لغة غير يونانية كان صوتها، بالنسبة لهم، كأنه تكرار مستمر لصوت: بربر.

(***) daiphron تعنى فى الأصل أحد معنيين، الأول هو: الذى يفكر بعقلية المحارب، والثانى هو: العاقل أو الحكيم. وقد اختار مرى معنى الحكيم القلب، واختار فوس: العظيم، واختار ريو معنى: البعيد النظر، وكلها تدور حول المعنى الثانى. ولكنى وجدت أن المعنى الأول أنسب وهو: الذى يفكر بعقلية المحارب. ففى الحرب يصبح ما يملكه المغلوب ملكًا لمن يغلب. وقد تغلب أخيليوس وقتل خصمه فأصبح ذهب الخصم ملكًا لأخيليوس.

نظير له، وكانا يقودان الليكيين الذين أتوا من منطقة بعيدة،

من ليكيا ونهر كسانثوس ذى الدوامات الكثيرة. ٨٧٧

الكتـــاب الثالث



ترجمة لطفي عبد الوهاب يحيى

حين تم تجميع الحشود وقادتها، أقدم الطرواديون صاخبين
متصايحين مثل أسراب الطير، تماما كما يرتفع صخب طيور الكركى
إلى عنان السماء حين تفر أمام عواصف الشتاء والأمطار التى لا حد لها
وتطير فى صخبها نحو روافد النهر المحيط الأوكيانوس جالبة ٥
معها القتل والهلاك لمجتمعات البيجميين الأقزام(*)، وهى
تنقض عليهم فى معركة شرسة مع بدايات الفجر. ولكن
الآخيين كانوا يتقدمون فى صمت وهم ينفثون غضبهم وكلهم
حماس لأن يساعد كل رجل رفيقه . ١٠

ومثلما تنشر ريح الجنوب (نوتوس). الضباب على قمم الجبال،
وهو ضباب لا يحبه راعى الأغنام وإن كان لدى اللص خيرا
من (ظلام) الليل، ولا يرى فيه الرجل أبعد من رمية حجر،
هكذا ارتفعت سحابة الغبار الكثيفة من تحت أقدامهم وهم
ذاهبون (إلى المعركة) وقد تقدموا فى سرعة فائقة عبر السهل. ١٥
وعندما اقترب الرجال حين تقدم كل من الجيشين فى مواجهة الآخر،
تقدم (صفوف) الطرواديين زعيمهم ألكسندروس شبيه الآلهة، وهو يحمل
فوق كتفيه جلد الفهد إلى جانب قوسه وسيفه، ثم أخذ يلوح
بحربتين ذات رأسين من البرونز وهو يتحدى أقدر من فى
الأرجيين أن يقاتله وجها لوجه فى معركة شرسة حاسمة. ٢٠

وحين شعر به مينيلاؤس، الحبيب إلى آريس، وهو
يتقدم بخطى واسعة أمام الحشد، كان فى مثل فرحة الأسد حين
يعثر على فريسة كبيرة، غزال ذى قرون كبيرة أو عنزة
برية، بعد أن يكون قد نال منه الجوع، فيلتهمها بشراهة غير

(*) أوكيانوس، هو النهر الذى يحيط بالعالم، حسب تصور اليونان القدماء (راجع الكتاب الأول)، وكان من بين روافده نهر ستيكس (راجع الكتاب الثانى: بيت ٧٥٥). وعند هذه الروافد كانت تسكن مجموعات من قبائل المخلوقات المتوحشة وعدد من الشعوب غير المألوفة بالنسبة لليونان، من بينهم الأثيوبيون والأقزام. ويذكر بعض الكتاب القدامى هذه القبائل أى البيجميون على أنها فى وسط أفريقيا Pausanias I xii 4 (المحرر)

عابىء بالكلاب السريعة أو بالشباب المتعطش (لصيده) وهم ٢٥
يطاردونه - (مثلما يكون هذا الأسد) كان مينيلاؤس سعيدا
عندما رأى بعينيه ألكسندروس شبيه الآلهة، إذ إنه اعتقد أنه
سيأخذ بثأره من المعتدى. وفى لمح البصر كان قد قفز
بسلاحه وعُدّته من عجلته الحربية إلى الأرض. ٣٠

على أن ألكسندروس، شبيه الآلهة، حين شعر به عندما
ظهر بين الزعماء، ارتجف قلبه وتراجع بين مجموعة
رفاقه تجنبا للهلاك. ومثلما يقفز رجل إلى الخلف حين يباغته
ثعبان عند وهدة بغابة فى جبل فترتعد أطرافه ويلتف
بجسمه ليعود مسرعا إلى حيث أتى وقد امتقع وجهه، ٣٥
هكذا استبد الخوف بألكسندروس شبيه الآلهة من ابن أتريوس،
فقفز إلى الخلف بين الطرواديين المعتدين بأنفسهم.

ولكن هيكتور شاهده وقرعه بألفاظ شائنة،

"أى باريس، المنحوس ! (*) إنك (قد) تملك الوسامة
الفائقة فى أعين من ينظر إليك، أيها المجنون بالنساء
وبإغوائهن، (ولكن) ليتك لم تولد، وليتك لقيت حتفك قبل أن ٤٠
تتزوج. نعم ! إنى أتمنى لو كان ذلك قد حدث، فهو خير من
أن تكون موضع خزى لنا وأن ينظر إليك الرجال باحتقار.
إن الآخيين ذوى الشعور الطويلة سيضحكون ملء أشداقهم
حقًا حين يرون أننا نعتبر أميرنا زعيما، لمجرد أن لك قواما
ممشوقًا، بينما لا تملك القوة أو الشجاعة. هل كنت (حقيقة) ٤٥
على هذا القدر (الضئيل) من القوة حين أقلعت إلى ظهر البحر
فى سفنك التى اعتادت الإبحار، بعد أن جمعت رفاقك من
أهل الثقة، ثم وصلت إلى شعب غريب وجئت من بلاد بعيدة

(*) باريس هو اسم آخر لألكسندروس. ويأتى هذا الاسم البديل ضمن لفظة واحدة هى: **Dysparis** بمعنى باريس المنحوس، (قارن: **Ovid. Her xiii 43: Dyspari Priamide**). (المحرر)

بامرأة جميلة، ابنة رجل يجيد استخدام الرمح، ولكنها لعنة ٥٠
بالنسبة لأبيك ولمدينتك ولكل الشعب - فهى فرحة لأعدائك
ولكنها خزى لك أنت. ألا تريد حقيقة أن تتصدى لمينيلاؤس،
حبيب آريس ؟ إنك (لو فعلت) ستعرف أى نوع من
المحاربين هو ذلك الرجل الذى سلبته زوجته، وحينئذ لن
تنفعك قيثارتك أو هدايا أفروديتى. أو خصلات شعرك أو ٥٥
وسامتك حين تمرغ فى التراب. ولكن الطرواديين ذوو
قلوب لينة وإلا لرجموك(*) حتى الموت قبل الآن جزاء وفاقًا
على ما أقدمت عليه من شرور.

وهنا رد عليه ألكسندروس، شبيه الآلهة قائلا:

"أى هيكتور ! إنك توبخنى بما أستحقه وبما لا يتجاوز ٦٠
الحق، وإن قلبك لا يعرف الرضوخ أبدا، مثله مثل البلطة التى
تدفعها إلى قلب عرق الخشب على يد نجار ماهر وهو يشكل
عارضات السفن فيزيد ذلك من قوته (على تشكيل تلك
العارضات) - هكذا روحك الصامدة دومًا وهكذا دائما قلبك
الذى لا يعرف الخوف. ولكن لا تعيّرنى بالهدايا الجميلة
التى قدمتها إلىّ أفروديتى الذهبية، فالهدايا القيمة التى تقدمها ٦٥
الآلهة، دون أن نسألها إياها، لا يجوز أن يرفضها المرء أو
يفرط فيها، رغم أنه قد لا يختارها إذا تُرك لإرادته. ولكنك
إذا أردت منى الآن أن التحم فى معركة، فلتدع الطرواديين
الآخرين يجلسون وكذلك الآخيين، وأدفع بى أنا ومينيلاؤس،
حبيب آريس، إلى ما بين الجمعين لنتبارز فى سبيل ٧٠
هيلينى وكل ممتلكاتها، ومن ينتصر منا نحن الاثنين ويثبت أنه
الرجل الأقوى، فلتكن من نصيبه الممتلكات والمرأة، وليأخذها
جميعا ويعود بها إلى بيته. أما الآخرون فليقسموا على الصداقة

(*) كان الرجم بالحجارة عقوبة معروفة لدى الشعوب السامية القديمة. (المحرر)

والثقة (المتبادلة) وليقدموا القرابين على ذلك، أنتم تقيمون
فى طروادة ذات التربة العميقة، وهم يبحرون إلى أرجوس
حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات". ٧٥

هكذا تحدث (باريس). وقد ابتهج هيكتور كثيرا حين
سمع كلماته، ثم تقدم إلى ما بين الجمعين وأوقف عن الحركة
حشود الطرواديين بإشارة من رمحه التى كان يقبض بيده
على وسطها، فجلسوا جميعا. أما الآخيون ذوو الشعور
الطويلة فقد كانوا يحاولون طوال الوقت أن يصوبوا سهامهم
نحوه وأن يسددوا إليه ضرباتهم وأن يقذفوه بالحجارة. ولكن ٨٠
أجاممنون، ملك الرجال، صاح فيهم:

"أوقفوا ذلك، ولا تصوبوا بعد الآن ياشباب الآخيين، فإن هيكتور،
ذا الخوذة اللامعة، يبدو وكأنه يود أن يقول شيئًا".

هكذا تحدث فتوقفوا عن هجماتهم وأخلدوا إلى الصمت ٨٥
فى سرعة فائقة ثم تكلم هيكتور بين الجيشين:

"استمعوا منى أيها الطرواديون وأنتم أيها الآخيون
المزودون بواقيات الأرجل، إلى ما يقوله ألكسندروس، الذى
نشب الصراع من جراء ما قام به. إنه يدعو كل الطرواديين
الآخرين وكل الآخيين أن يضعوا عدتهم وسلاحهم الرائع
فوق الأرض السخية، حتى يتبارز هو ومينيلاؤس فى البقعة ٩٠
الواقعة بين الجيشين من أجل هيلينى وكل ممتلكاتها، وأى من
الطرفين تكون له الغلبة ويثبت أنه الرجل الأصلح تكون من
نصيبه الممتلكات والمرأة ويعود بها (جميعا) إلى بيته، أما
نحن الآخرون فلنتعاهد على الصداقة ولنقسم على الثقة
(المتبادلة) مقدمين القرابين فى سبيل ذلك". ٩٥

هكذا تحدث (هيكتور) فخيم الصمت عليهم جميعا
وأمسكوا عن القتال. ثم تحدث مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب:

"أنصتوا إلىّ الآن كذلك. فإن قلبى مفعم بالأسى أكثر من
الجميع. إنى أرى أن يتفرق الأرجيون والطرواديون الآن بعد
أن تحملتم قدرا كبيرًا من الويلات بسبب النزاع الذى كانت
بدايته بينى وبين ألكسندروس. فمن منا كان الموت هو قدره، ١٠٠
فلنتركه للموت. أما أنتم الآخرون، فابتعدوا
الآن بكل سرعة ولتحضروا (أيها الطرواديون) خروفين:
كبشًا أبيض ونعجة سوداء (قربانا) للأرض (جى) والشمس
(هيليوس) وسنحضر نحن (قربانًا) آخر للإله زيوس،
واطلبوا حضور (الملك) برياموس حتى يقوم هو بنفسه بتأدية ١٠٥
اليمين مصحوبا بالتضحية طالما أن ابنيه يتسمان بالتعالى
وعدم الالتزام بالعهد، وذلك حتى لا يُقْدم أحد، نتيجة عدم
الالتزام، على عمل عنيف يسيىء إلى قسم زيوس، فإن قلوب
الشباب لا تستقر دائما على رأى ثابت. أما إذا شارك (فى
العهد) من هو أكبر سنا فإنه يقلِّب الأمر على كافة
جوانبه، السابقة منها واللاحقة (فينظر إلى الأمام وإلى الخلف)(*)،
حتى يرى ما فيه أقصى الخير لكل من الطرفين". ١١٠

هكذا تحدث (مينيلاؤس)، فسُر بحديثه الآخيون
والطرواديون على حد سواء، إذ قدر الجانبان أنهما فازا
بالراحة من الحرب المليئة بالويلات فأوقفوا عجلاتهم الحربية
فى أماكنها ونزلوا منها ونزعوا عدتهم وسلاحهم وألقوا بها
على الأرض، كل مجموعة إلى جانب الأخرى لا يفصل بينها ١١٥
سوى فاصل ضيق. ثم أرسل هيكتور رسولى المدينة على

(*) هكذا يقول النص الهومرى الأصلى وقارن .Plato, Cratylus 428D وقول شكسبير فى "هاملت" (الفصل الرابع مشهد ٤ بيت ٣٧):

"He that made us with such large discourse,
Looking before and after.

وقارن شيللى "إلى طائر القبرة" *"To a Skylark"*

We look before and after
And pine for what is not

وجه السرعة ليحضروا الخراف وليطلبوا إلى بريأموس
المجيء. أما أجاممنون فقد أرسل تالثيبيوس إلى السفن المجوفة
وطلب أن يقوم بإحضار خروف. وقد أصغى هذا إلى ١٢٠
أجاممنون، شبيه الإله (وشرع فى تنفيذ ماطلبه).
ولكن (الإلهة) إيريس ذهبت رسولاً إلى هيلينى
ذات الأذرع البيضاء فى صورة أخت زوجها، زوجة ابن
أنتينور، التى اتخذها السيد هيليكاؤن ابن أنتينور زوجة له،
وهى لاؤديكى، أجمل بنات بريأموس وقد وجدت هيلينى فى ١٢٥
البهو وهى تنسج شالا مزدوج العرض وقد ظهر فوقه تطريز
يمثل معارك كثيرة بين الطرواديين مروضى الخيول
والآخيين ذوى الدروع البرونزية والذين تحملوا فى سبيلها
الكثير على أيدى آريس. وقد تقدمت إيريس إليها فى خطى سريعة
وتحدثت إليها قائلة: ١٣٠
"هيا أيتها العروس العزيزة(*)، حتى يمكنك أن تشاهدى الأعمال
الغريبة التى يُقدم عليها الطرواديون مروضو الخيول والآخيون ذوو
الدروع البرونزية. إن أولئك الذين كانوا مستعدين فى الماضى لأن
يخوضوا فوق سهل آريس حربًا شرسة فيما بينهما وقد استقر عزمهم
على معركة دامية، أخلدوا الآن إلى الصمت وتوقفوا عن إشعال
نار الحرب وهم يتكئون (الآن) على تروسهم بعد أن غرسوا ١٣٥
حولهم حرابهم الطويلة فى الأرض. ولكن ألكسندروس
ومينيلاؤس، حبيب آريس، ستدور المعركة بينهما
بحرابهما الطويلة من أجلك، ومن يحالفه النصر منهما
ستصبحين زوجته الحبيبة". ١٤٠

(*) اللفظة التى يستخدمها الشاعر وهى: **nymphe**، تعنى المرأة الصغيرة المتزوجة أو المرأة المتزوجة على الإطلاق أو الفتاة المقبلة على الزواج. وواضح هنا أن لاؤديكى كانت تريد أن تدلل هيلينى وتكون رقيقة معها حتى تستطيع أن تستميلها لما تريد أن تقوله له. ومن هنا استخدمت لفظة عروس التى تتماشى مع هذه الرقة وهذا التدليل.

هكذا تحدثت الإلهة، وملأت (بحديثها) قلب هيلينى
بالحنين إلى زوجها السابق وإلى مدينتها وإلى أبويها فوضعت
على رأسها غطاء من الكتان الفضى وخرجت من غرفتها(*)
وقد انهمرت الدموع من عينيها. ولم تكن وحيدة فقد تبعتها
وصيفتاها كذلك، وهما آيثرا ابنة بيتثيوس وكليمينى ذات ١٤٥
العيون الواسعة، ووصل الجميع بسرعة إلى حيث توجد
البوابات سكاياى.

أما الذين كانوا حول برياموس وبانثوس وثيمويتيس
ولامبوس وكليتيوس وهيكيتاؤن، سليل آريس، وأوكاليجون
وأنتينور، وهم من أصحاب الرأى - فقد جلسوا بوصفهم
شيوخ المدينة فوق بوابات سكاياى. لقد كان هؤلاء
قد توقفوا عن المشاركة فى الحرب بعد أن تقدمت بهم السن، ١٥٠
ولكنهم كانوا متحدثين متميزين. وكما تعمد الجنادب إلى
شجرة فى الغابة وترسل من هناك صغيرها النقى الناصع
كان زعماء الطرواديين يتحدثون وهم يجلسون فوق
سور المدينة. وحين رأوا هيلينى تصعد إلى أعلى السور. ١٥٥
تهامسوا فيما بينهم بصوت خافت وكلمات مجنحة:

"(حقا) إننا لا يمكن أن نلوم أحدًا إذا عانى الويلات كلّ من
الطرواديين والآخيين المزودين بواقيات الأرجل فى سبيل امرأة كهذه.
إنها تشبه إلى حد العجب الربات المقدسة لمن ينظر إليها.
ومع ذلك ورغم كل ما هى عليه (من جمال) دعوها تغادر إلى
السفن (حتى تعود إلى وطنها) ولا تبقوا عليها هنا حتى لا
تصبح (بوجودها) مصدر لعنة تحل بنا وبابنائنا من بعدنا". ١٦٠

هكذا تحدث (الزعماء)، ولكن برياموس نادى هيلينى قائلا:

(*) يبدو أن غطاء الرأس كان متبعًا عند ظهور المرأة فى مجتمع الرجال فهل هذه عادة طروادية شرقية أم إغريقية كذلك ؟. (المحرر)

"تقدمى ياصغيرتى الحبيبة واجلسى هنا أمامى حتى
تستطيعى أن ترى زوجك السابق وأقاربك وشعبك. إنه لا
لوم عليك البتة فى نظرى، إنما يقع اللوم فى رأيى على
الآلهة، فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة. ولتخبرينى من هو ١٦٥
ذلك الآخى الظاهر فى بسالته، الفارع فى طوله. حقيقة أن هناك من
يفوقه طولا بفارق رأس، ولكن عينى لم تقع قط على من هو أكثر منه
وسامة أو عظمة. إن له سمت الملوك". ١٧٠

وهنا ردت علينه هيلينى الحلوة الشمائل بين النساء:
"إنك لتبعث فى نفسى الاحترام والهيبة، أى حماى
وموضع إعزازى، لكم تمنيت لو كنت قد اخترت الموت بائسة
قبل أن أحضر فى ركاب ابنك إلى هنا، تاركة ورائى بيت
زوجيتى وأهلى وطفلتى(*) الوحيدة الحبيبة(**) ورفيقات الصبا ١٧٥
– ولكن هذا لم يكن مقدرا له أن يكون. ومن أجل هذا فإنى
أتلاشى الآن فى دموعى. ومع ذلك فإنى سأجيبك عما تتساءل
عنه. إن هذا الرجل هو ابن أتريوس، أجاممنون، الذى
يسيطر على بلاد مترامية الأطراف، فهو ملك ومن رماة
الرمح البواسل وكان أخا لزوجى، أنا التى لم تعرف الحياء، ١٨٠
إذا كان هناك حقًا أحد بهذه الصفات".

هكذا تحدثت (هيلينى) فتملك الإعجاب الشيخ وقال:
"يا ابن أتريوس، أيها السعيد المحظوظ المبارك، إنى
أرى الآن الأعداد الهائلة من شباب الآخيين الذين يخضعون
لحكمك. لقد سافرت فى الماضى إلى أرض فريجيا(***) ١٨٥

(*) المقصودة هنا هى هرميونى (قارن "الأوديسية" الكتاب الرابع ١٤) ومن الملاحظ أن هيلينى تقدم هنا فى الإلياذة على أنها ليست زوجة صغيرة مدللة ومضللة لأن هرميونى الصبية (مابين ١٣ و٢٠ سنة) توحى بأن هيلينى فى الثلاثينيات من عمرها على الأقل. (المحرر)

(**) لفظة telygete الواردة فى النص صفة للطفل الوحيد أو الطفل الحبيب. فرأيت أن أجمع بينهما.

(***) كما هو واضح يفرق هوميروس فى "الإلياذة" بين الفريجيين والطرواديين ولكن فيما بعد هوميروس صار هذا التميـيز غير واضح أو بالأحرى تلاشى، وراجع المقدمة. (المحرر)

الغنية بالكروم وشاهدت الفريجيين المتمرسين فى ركوب
الخيل ذات الجلد البراق، قوم أوتريوس وميجدون، نظير
الآلهة، الذين كانوا يعسكرون على ضفاف نهر سانجاريوس
لأنى، أنا الآخر، بوصفى حليفًا لهم، كنت أعد واحدا منهم
حين جاءت (نساء) الأمازونات، نظيرات الرجال. ومع　١٩٠
ذلك فحتى هؤلاء (الفريجيون) لم يكونوا بكثرة الآخيين ذوى
العيون البراقة".

بعد ذلك وقعت عينا الشيخ على أوديسيوس فسأل (هيلينى) عنه:

"والآن خبرينى، ياصغيرتى الحبيبة، عن هذا الرجل،
من هو؟ إنه أقصر بمقدار رأس عن أجاممنون بن أتريوس،
ولكنه (يبدو) لمن ينظر إليه أعرض منكبين وصدرًا. إن
عدته الحربية ملقاة على الأرض السخية بينما يطوف هو　١٩٥
مثل الكبش الذى يتزعم القطيع بين صفوف المقاتلين. إنه يبدو
لى مثل الكبش، الكبش ذى الصوف السميك وهو يتابع
الخطو خلال قطيع كبير من النعاج البيضاء".

وقد أجابته هيلينى، سليلة زيوس:

"هذا هو ابن لائيرتيس، أوديسيوس الواسع الحيلة، الذى شب فى أرض　٢٠٠
إيثاكى الوعرة. ومع ذلك فهو على قدر كبير من الدهاء
ومتمرس فى دهاليز التحايل الماكرة".

وهنا أردف أنتينور، الرجل الحكيم:

"إن ما ذكرته (الآن) هو عين الحقيقة، فقد جاء أوديسيوس، شبيه
الآلهة إلى هنا فى الماضى فى مهمة تخصك، هو ومينيلاؤس حبيب　٢٠٥
آريس. وقد كنت أنا الذى يحتفى بهما فى أبهاء (قصرى)
واستطعت أن أتعرف على شكلهما وقوامهما وحيلهما الماكرة.
وحين تقابلا مع الطرواديين واختلطا بهم عندما اجتمع
الطرفان، كان مينيلاؤس، وهو واقف، يفوق أوديسيوس　٢١٠

بمنكبيه العريضين، ومع ذلك فحين كان الاثنان يجلسان كان
أوديسيوس هو أبرزهما من حيث السمت الملكى. ولكن
عندما بدآ يدبجان الحديث ويقدمان الرأى فى حضور الجميع،
تحدث مينيلاؤس بكلمات قليلة حقًا ولكن فى وضوح كامل، ٢١٥
إنه لم يكن رجل الأحاديث المطولة أو الخروج عن لب الموضوع
مع أنه كان أصغر الرجلين سنا. ولكن أوديسيوس الواسع الحيلة كان،
حين ينهض (من مجلسه)، يقف وينظر إلى أسفل مركزًا نظراته على
الأرض دون أن يحرك عصاه إلى الأمام أو الخلف، وإنما يقبض
عليها كما لو كان رجلا تنقصه القدرة على الفهم، حتى إنك لتظنه
رجلا فظًا غليظا غارقًا فى البلاهة. على أن صوته الضخم حين كان ٢٢٠
ينطلق من صدره وتنساب كلماته مثل ندَف الثلج فى يوم من
أيام الشتاء، حينئذ كان لا يجارى أوديسيوس أحد من بنى
البشر الفانين. وحين كنا ننظر إلى طلعة أوديسيوس آنذاك لم
تعد تخدعنا ظواهر الأمور". ٢٢٥

وكان ثالث من رآهم الشيخ هو أياس، فسأل (هيلينى):
"ومن إذن هو هذا الرجل الآخى الباسل الضخم الذى يقف
شامخًا بين الأرجيين برأسه ومنكبيه العريضين؟".

وهنا أجابته هيلينى ذات الرداء الطويل وذات الشمائل
الحلوة بين النساء:

"هذا هو أياس، الرجل العملاق والسند الرئيسى للآخيين. وعلـــى ٢٣٠
الجانب المقابل يقف إيدومينيوس مثل الإله بين الكريتيين، وحوله
يلتف زعماء الكريتيين. وقد كان مينيلاؤس، حبيب آريس،
يحرص على أن يحتفى به فى بيتنا كلما أتى من كريت.
والآن فإنى أرى باقى الآخيين ذوى العيون البراقة، الذين أتبينهم جيدا
وأذكر أسماءهم ولكن اثنين من بين من قاموا بتنظيم الجيش لا ٢٣٥
أراهما، وهما كاستور مروض الخيول، والملاكم النبيل بوليديوكيس،

وهما أخواى اللذين حملت بهما أمى. فإما أنهما لم يتبعا (المقاتلين)
من لاكيدايمون الساحرة، وإما أنهما، بعد أن حضرا إلى هنا فى ٢٤٠
سفنهم التى تمخر عباب البحر، يتجنبان دخول معركة المقاتلين تفاديا
للفضيحة والإهانات التى ارتبطت بشخصى".

هكذا تحدثت (هيلينى) ولكنها لم تكن تدرى أن الأرض
واهبة الحياة كانت قد احتوتهما فى لاكيدايمون، وطنهما الحبيب. ٢٤٥

وفى خلال ذلك كان الرسل يحملون فى طرف المدينة
قرابين الأيمان المقدسة (التى أقسموها) إلى الآلهة: خروفين
وقربة للخمر مصنوعة من جلد الماعز وفاكهة الأرض التى
تنعش القلب. وكان الرسول إيدايوس يحمل طاسًا لامعة
وكئوسًا من الذهب، فذهب إلى جوار الشيخ قائلا:

"قم يا ابن لاؤميدون، فإن زعماء الطرواديين مروضى الخيول ٢٥٠
و(زعماء) الآخيين ذوى الدروع البرونزية يطلبون إليك أن
تنزل إليهم فى السهل حتى تقسم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم
القرابين، فإن ألكسندروس ومينيلاؤس، حبيب آريس،
سيتبارزان بالرماح الطويلة من أجل المرأة، وأى من الاثنين ٢٥٥
يكون النصر حليفا له فلتتبعه المرأة وما تملك. أما فيما
يخص الآخرين، فبعد القسم على الصداقة وتقديم أيمان الثقة
مصحوبة بتقديم القرابين، نقيم نحن فى طروادة ذات التربة
العميقة، بينما يغادرون هم إلى أرجوس حيث مراعى
الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".

هكذا تحدث (إيدايوس) فارتجف الشيخ، ولكنه طلب إلى ٢٦٠
رفاقه أن يشدوا وثاق الخيل (إلى عجلته الحربية)، فنفذوا ما
أمر به بسرعة، وارتقى برياموس (العجلة) وأمسك بالعنان
ثم صعد أنتينور إلى جواره فى العجلة الجميلة، وساق الاثنان
الحصانين السريعين من خلال بوابات سكاياى إلى السهل.

ولكنهما حين وصلا إلى حيث يوجد الطرواديون ٢٦٥
والآخيون، نزلا من العجلة على الأرض السخية وذهبا إلى
(البقعة التى تقع) مابين الطرواديين والآخيين. وعلى الفور
نهض أجاممنون ملك الرجال وأوديسيوس واسع الحيلة. بعدها
أحضر الرسل، ذوو السمت النبيل، القرابين التى كانت
ستصاحب الأيمان المقدسة للآلهة، و (صبوا) الخمر فى
الطاس وخلطوها(*) ثم سكبوا الماء على أيدى الملوك ٢٧٠
والزعماء، بعدها سحب ابن أتريوس بيده السكين التى كان يعلقها دائما
إلى جوار غمد سيفه الكبير ثم قطع شعرًا من رءوس الخراف وقسمه
الرسل بين زعماء الطرواديين والآخيين، وفى وسطهم رفع ابن أتريوس
يديه وأطلق دعواته بصوت مرتفع: ٢٧٥
"أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من (جبل)
إيدا، أيها الأمجد الأعظم، وأنت أيتها الشمس (هيليوس) التى
ترى كل شىء وتسمع كل شىء، وأنت أيتها الأنهار ويا أيتها
الأرض والقوى الإلهية الموجودة تحت الأرض(**)،
يامن ينتقمون من الذين فارقوا هذه الحياة بعد أن حنثوا بأيمانهم ! ٢٨٠
لتكونوا (جميعا) شهودًا ولترعوا أيمان العهد. إذا قتل
ألكسندروس مينيلاؤس فليحتفظ بهيلينى وكل ما تملكه وسنعود
نحن فى سفننا التى تمخر عباب البحر. أما إذا قتل مينيلاؤس
ذو الشعر الأشقر ألكسندروس، فليعد الطرواديون
هيلينى وكل ما تملكه، وليدفعوا للأرجيين، ردًا للاعتبار، ٢٨٥
التعويض الملائم الذى سوف يتحدث به رجال لم يوجدوا بعد(***).
أما إذا رأى برياموس وأبناء برياموس ألا يدفعوا لى

(*) الخمر المستخدمة فى القسم وإبرام العهود لا تخلط بالماء والمقصود هنا هو خلط الخمر الطروادية مع نظيرها الإغريقية. (المحرر)

(**) المقصود هنا هاديس وبيرسيفونى. (المحرر)

(***) فى الأصل: ممن سوف يكونون essomenoisi، ويقصد بذلك الأجيال القادمة.

التعويض إذا قتل ألكسندروس، فإنى سوف أحارب عند ذلك لأحصل ٢٩٠
على التعويض، وسوف أظل هنا حتى أصل بهذه الحرب إلى نهايتها".
وبعد أن تحدث (أجاممنون) حز رقاب الخراف بالنصل
البرونزى الذى لا يعرف الرحمة ووضعها على الأرض وهى
تشهق باحثة عن الأنفاس الضائعة، لأن النصل البرونزى قد
حرمها من قوتها. بعد ذلك ملأوا كئوسهم خمرا من الطاس ٢٩٥
وسكبوها (على الأرض) وصلوا للآلهة الخالدة. وهكذا كان
أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أى زيوس،
أيها الأمجد الأعظم، وأنت أيتها الآلهة الخالدة الأخرى إذا بدأ
أى من الجمعين بالشر حنثا بالأيمان والعهود، فلترق أمخاخهم ٣٠٠
على الأرض مثل هذه الخمر، وأمخاخ ابنائهم (من بعدهم)،
ولتصبح نساؤهم إماء عند الآخرين".
هكذا تحدثوا ولكن (زيوس) بن كرونوس لم يكن قد شاء بعد أن
يحقق ما تعاهدوا عليه. بعد ذلك تحدث فى وسطهم برياموس ابن
داردانوس قائلا:
"أنصتوا إلىّ أيها الطرواديون وأيها الآخيون المزودون ٣٠٥
بواقيات الأرجل. إنى سأتخذ طريقى عائدًا إلى إليون التى
تتناوبها الرياح، لأنى لن أستطيع بأية حال أن أتحمل رؤية
ابنى الحبيب وهو يبارز مينيلاؤس، حبيب آريس.
ولكنى أعتقد أن زيوس وحده هو والآلهة الخالدة يعلمون
مَنْ من الاثنين قد كتب عليه الموت". ٣١٠
هكذا تحدث الرجل نظير الآلهة وأمر بوضع الخراف فى
عجلته الحربية وأمسك بالعنان وصعد أنتينور بجواره فى
العجلة الرائعة وعاد الاثنان إلى إليون. ولكن هيكتور بن
برياموس وأوديسيوس، شبيه الآلهة، قاسا مسافة (بين الغريمين)
فى أول الأمر ثم أخذا علامات الاقتراع ووضعاها فى ٣١٥

الخوذة البرونزية ليعرفوا أيا من الاثنين سيكون له حق البدء
بالرماية برمحه البرونزى، ثم قامت الجموع بالدعاء ورفعوا
أيديهم (ابتهالا) إلى الآلهة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين
أو من الطرواديين يقول، "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من ٣٢٠
إيدا، أيها الأمجد الأعظم، فلتكن مشيئتك، إذا كان أى من الاثنين هو
الذى تسبب فى هذا العناء، أن يكون الموت نصيبه وأن يدخل مقر
هاديس، بينما تكون الصداقة وعهود الثقة (المتبادلة) من نصيبنا".

هكذا كانوا يتحدثون، بينما كان هيكتور العظيم ذو ٣٢٥
الخوذة اللامعة يهز الخوذة (التى بها علامات الاقتراع) وهو
ينظر إلى الخلف (حتى لا يراها)، وفى التو قفزت علامة
باريس إلى المقدمة. فجلست الجموع فى صفوف حيث كانت
توجد الخيل ذات الخطو المرتفع الخاصة بكل منهم، وحيث كان
قد وضع عدته الحربية المرصعة. أما هو فقد وضع عدته
الأنيقة حول منكبيه، ألكسندروس، زوج هيلينى ذات الشعر ٣٣٠
الجميل. ثم بدأ بتثبيت الواقيات حول رجليه. لكم كان هذا
جميلا وقد ثُبِّتت بأسفله قطعتان فضيتان عند الكعبين. بعدها
لف صدره بمشد أخيه ليكاؤن بعد أن أحكمه ليلائم حجم (صدره)،
ثم علق على منكبه سيفه البرونزى(*) الذى رصع (مقبضه) بالأزرار
الفضية. بعد ذلك أعد ترسه الكبير القوى، وفوق رأسه الضخم وضع
الخوذة المتقنة الصنع تعلوها خصلة من شعر الخيل. أما ٣٣٥
الريشة (المثبتة بها) فقد كانت تهتز من أعلى إلى الأمام بشكل مخيف،
ثم أخذ رمحًا ملائمًا لقبضته. وبالطريقة ذاتها أعد مينيلاؤس،
المغرم بالحرب، سلاحه وعدته. ٣٤٠

وحينما انتهيا من التسلح على جانبى الحشدين، خطا

(*) هذه الصفة تأتى فى نهاية الجملة فى الأصل وتقع فى بداية بيت ٣٣٥، ولكن كان لابد من تقديمها فى الجملة العربية المترجمة إلى البيت السابق، ٣٣٤.

كل منهما خطوات واسعة إلى المسافة الموجودة بين
الطرواديين والآخيين، وكل منهما يرمق الآخر بنظرات
مخيفة، بينما علت الدهشة أوجه الذين كانوا يشاهدونهما من
الطرواديين مروضى الخيول والآخيين المزودين بواقيات
الأرجل. ثم وقفا على مقربة من بعضهما فى المساحة
المحددة وكل منهما يهـــز رمحه فى غضب نحو الآخر. وفى ٣٤٥
البداية رمى ألكسندروس رمحه البعيد الظل(*) فأصابت
ضربته ترس ابن أتريوس، المتوازن الاستدارة ولكن
الرمح البرونزى لم يخترق الترس وإنما التوى سنه على ظهر
الترس السميك. بعد ذلك أسرع برمحه البرونزى ابن
أتريوس، مينيلاؤس، مقدما الدعاء للأب زيوس: ٣٥٠

"أى زيوس، ملكنا، فلتكن مشيئتك أن أنتقم ممن كان البادىء
بإيذائى، ألكسندروس شبيه الإله، ولتجعله يجثو تحت يدى حتى
يرتجف رجال سوف يولدون، إذا حاول أحدهم أن يسبب الأذى
لمضيفه الذى أكرم وفادته". ٣٥٥

وبعد أن قال ذلك وازن فى يده رمحه البعيد الظل ثم
صوبه فأصابت ضربته ترس ابن برياموس، المتوازن
الاستدارة، فاخترق الرمح الترس اللامع ثم نفذ من خلال
الدرع فى اندفاعه القوى حتى مزق قميصه عند خاصرته،
ولكن ألكسندروس انثنى بجسمه فأفلت من الموت الأسود. بعد ٣٦٠
ذلك استل ابن أتريوس سيفه المرصع (مقبضه) بالأزرار الفضية،
وارتفع بنفسه عاليا فهوت ضربته على حافة خوذة (ألكسندروس)،
ولكن سيفه تحطم إلى ثلاث قطع إن لم يكن أربعًا. عندها أطلق ابن
أتريوس صرخة مليئة بالمرارة وهو ينظر إلى السماء: ٣٦٥

"أبانا زيوس، إنه لا يوجد إله آخر فى مثّل

(*) كناية عن طول الرمح.

قدرتك على التدبير. لقد اعتقدت أنى انتقمت من ألكسندروس
بسبب ما أوقعه بى من أذى، ولكن سيفى تحطم فى يدى،
بينما سددت رمحى بلا طائل دون أن أصيب (غريمى)".
قال ذلك ثم انقض عليه وأمسك به من خوذته ذات الخصلة
السميكة من شعر الخيل ثم دار به عدة دورات وسحبه نحو ٣٧٠
الآخيين المزودين بواقيات الأرجل، وهنا كاد (ألكسندروس) أن
يختنق بالشريط الجلدى المطرز بسخاء أسفل حلقه اللين
والذى كان مشدودا بإحكام تحت ذقنه حتى يضبط الخوذة فى
مكانها. وقد كان بإمكان مينيلاؤس أن يفوز بالمجد الذى لا
نزاع فيه لولا أن ابنة زيوس، أفروديتى، لمحت بسرعة
ما حدث فقطعت، لفرط أسفه، الشريط المصنوع من جلد ٣٧٥
ثور ذبيح، إلى قطعتين، وهكذا انخلعت الخوذة الفارغة فى
يده القوية، فقذف بها بشدة إلى جمع الآخيين المزودين بواقيات
الأرجل ليتلقفها رجاله المخلصون. أما هو فقد قفز مرة أخرى،
وكله حماس ليقتل غريمه بالرمح البرونزى، ولكن أفروديتى ٣٨٠
جذبت (ألكسندروس) بعيدًا بسهولة فائقة لا تستطيعها إلا إلهة،
وأحاطته بضباب سميك ثم وضعته فى غرفته المعطرة ذات
العقود بينما ذهبت هى لكى تستدعى هيلينى، فوجدتها فوق
السور العالى وقد أحاطت بها مجموعات من الطرواديات. فأمسكت
الإلهة بردائها العطر وجذبته قليلا وتحدثت إليها فى صورة سيدة مسنة، ٣٨٥
ماشطة للصوف، كانت تقوم بتمشيط الصوف الجميل عندها حين كانت
(لاتزال) فى لاكيدايمون، وكانت محبوبة لديها. فى صورة
هذه الماشطة تحدثت أفروديتى: ٣٩٠
"تعالى إلى هنا، إن ألكسندروس يدعوك إلى الذهاب إلى
بيتك، إنه هناك فى غرفته وفوق سريره المزركش يشع وسامة
ونضارة، لن يخطر على بالك أنه قد أتى إلى هناك من

مبارزة خصم، بل (ستعتقدين) أنه ذاهب إلى (حفلة) رقص أو
أنه يجلس (على سريره) وكأنه شخص أتى لتوه من (حفلة) رقص". ٣٩٥
هكذا تحدثت (أفروديتى) فاضطرب قلب هيلينى وحين
رأت عنق الإلهة الجميل وصدرها الساحر وعيونها
البراقة. تملكتها الدهشة فوجهت حديثها إليها قائلة:
"أيتها الإلهة غريبة الأطوار ! لماذا تريدين أن تضلليني على
هذه الصورة ؟حقا إنك كنت ستقودينني إلى أبعد من هنا، ٤٠٠
(ربما) إلى إحدى المدن الآهلة بالسكان فى فريجيا أو مايونيا
الجميلة، إذا كان هناك، مرة أخرى، شخص من البشر حبيب
إليك، بعد أن انتصر مينيلاؤس على ألكسندروس شبيه
الآلهة، ويريد الآن أن يأخذنى، أنا المكروهة إلى بلده.
إنك أتيت إلى هنا لهذا السبب بفكر مخادع، فلتذهبى ٤٠٥
الآن ولتجلسى إلى جوار (ألكسندروس)، ولتبتعدى عن طريق
الآلهة ولا تجعلى قدميك تقودانك بعد الآن إلى الأوليمبوس،
بل ظلى منشغلة به وأحرسيه حتى يتخذك زوجة
له أو ربما أمًا له. ولكنى لن أذهب إلى هناك لكى أشاركه ٤١٠
مخدعه، فهو شيء مشين. إن كل الطرواديات سوف يوجهن
إلىّ اللوم بعد ذلك، وأنا لدى من الهموم ما يثقل روحى بلا حدود".
وقد أغضب ذلك (الكلام) الإلهة أفروديتى، فردت عليها:
"لا تثيرينى أيتها المرأة الطائشة وإلا غضبت عليك ٤١٥
وتخليت عنك وكرهتك بقدر ما أحبك الآن حبا جمًا، وقمت
بإثارة الكراهية بين الجانبين، الطرواديين والدانائيين، وبذلك
يكون قدرك هو النهاية البائسة".
هكذا تحدثت فتملك الخوف هيلينى، سليلة زيوس،
وذهبت وهى ملتفة بردائها اللامع فى صمت دون أن تلحظها ٤٢٠
الطرواديات، بينما كانت الإلهة تقود الطريق.

وحين وصلا إلى قصر ألكسندروس الرائع، بدأت خادمات
القصر أعمالهن. ولكن السيدة حلوة الشمائل ذهبت إلى الغرفة
ذات السقف العالى. وهناك أخذت الإلهة أفروديتى، الضحوك ٤٢٥
كرسيا وضعته فى مواجهة ألكسندروس، فجلست عليه هيلينى ابنة
زيوس لابس الدرع أيجيس وعيناها تنظران شزرًا،وعنفت زوجها قائلة:
"لقد عدت من القتال، وياليتك كنت هلكت هناك بعد أن
انتصر عليك رجل باسل هو زوجى السابق. لقد كنت تفخر فى ٤٣٠
الماضى بأنك أفضل من مينيلاؤس، حبيب آريس، سواء
فى قوة يديك أو فى تسديد الرمح. فلتذهب إذن ولتتحد
مينيلاؤس، حبيب آريس، للمبارزة وجها لوجه ! ولكنى
أنا نفسى أدعوك ألا تقدم على ذلك وألا تندفع إلى مينيلاؤس
ذى الشعر الأشقر لتبارزه، فقد تسقط صريع رمحه". ٤٣٥
وهنا رد عليها باريس بهذه الكلمات:
"لا تعنفى قلبى أيتها السيدة بكلمات الإهانة الجارحة.
لقد هزمنى مينيلاؤس هذه المرة بمساعدة (الإلهة) أثينة، ولكنى ٤٤٠
سأنتصر عليه فى مرة قادمة، فهناك آلهة تقف إلى جانبنا
ولكن تعالى (الآن)، ولنأخذ حظنا من البهجة والسعادة
بممارسة الحب معًا، فإن روحى لم تستشعر مثل هذه الرغبة
الجارفة من قبل، حتى حين انتزعتك فى البداية من (أرض)
لاكيدايمون الجميلة وأبحرت معك على سفنى التى تمخر
عباب البحر، ولا حتى فى جزيرة كراناى(*). حين داعبتك ٤٤٥
فوق مخدع الحب – (إن روحى لم تستشعر ذلك) كما أحب
الآن ولا كما تسيطر علىّ الرغبة اللذيذة (فى هذه اللحظة)".
وحين انتهى من حديثه قاد الطريق إلى الفراش وتبعته

(*) "كراناى Kranae يقول البعض إنها ماراثونيسى Marathonisi (جزيرة ماراثون = جيثيون Gythion الحديثة ميناء إسبرطة وتقع على مبعدة ٢٧ ميلاً منها ويقول آخرون إنها جزيرة هيللينى Hellene بالقرب من ساحل أتيكا. (المحرر)

زوجته، وهكذا رقد الاثنان على السرير الخشبى الجيد الصنع.
أما ابن أتريوس فقد هاج وماج وسط الجمع كأنه حيوان متوحش، ٤٥٠
وراح يبحث عن ألكسندروس، شبيه الآلهة، فى كل مكان. ولكن أحدا
من الطرواديين أو من حلفائهم ذوى الصيت الذائع لم يكن بمقدوره أن
يدل مينيلاؤس، حبيب آريس، عليه، ولم يكونوا يودون إخفاءه لحب
يكنونه له، فقد كان الجميع يبغضونه كما يبغضون الموت الأسود.
عند ذلك تحدث بينهم ملك الرجال، أجاممنون، قائلا: ٤٥٥
"أنصتوا إلىّ أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء. إن النصر
الآن بكل تأكيد فى جانب مينيلاؤس، حبيب آريس. وعلى هذا
فلتتخلوا عن هيلينى التى تنحدر من أرجوس وعما تملكه،
وعليكم أن تدفعوا التعويض الملائم الذى سيبقى فى أذهان
الرجال الذين سوف يولدون". ٤٦٠
هكذا تحدث ابن أتريوس فتعالى صياح كل الآخيين تأييدًا له. ٤٦١

الكتـــاب الرابع



ترجمة أحمد عتمان

كان الآلهة يجلسون فى حضرة زيوس يتباحثون ويتحادثون
على الأرضية الذهبية(*). وعليهم تدور هيبى وتصب لهم النيكتار
فى كئوس ذهبية. تبادلوا أنخاب العهد الوثيق فيما بينهم، وألقوا نظرة
من عليائهم على مدينة طروادة. وفجأة هب ابن كرونوس زيوس
يداعب هيرا بكلمات موحية، إذ قال ساخرًا : ٥

"اثنتان من الإلهات تساعدان مينيلاؤس، هيرا الأرجية
وأثينة الحارسة الالكومينية(**). ولكنهما فيما يبدو لى تجلسان جانبًا
وتستمتعان بالمشاهدة، بينما أفروديتى الضحوك تقف دومًا بجوار
بطلها المحبوب تدفع عنه غائلة المصير المحتوم. والآن توًا ١٠
أنقذته من موت محقق، وإنى لعلى يقين تام أن النصر حليف
مينيلاؤس حبيب آريس. وعلينا نحن إذن أن ننظر فيما يمكن أن تنتهى
إليه هذه الأعمال، هل سنثيرها من جديد حربًا ضروسًا وصراعًا مريرًا، ١٥
أم نزرع الحب والسلام بين الطرفين. فإذا راق لكم جميعًا ما ندع
مدينة الملك بریاموس تظل عامرة بأهلها ويعود مينيلاؤس بهيلينى
الأرجية إلى وطنهما".

قال ذلك بينما كانت أثينة وهيرا تتهامسان فى تململ وتبرم. ٢٠
كانتا تجلسان ملتصقتين تضمران الشر للطرواديين. صامتة كانت أثينة،
فلم تنبس بكلمة، عابسة تقطب الجبين لوالدها زيوس، حيث استولى عليها
غضب وحشى. أما هيرا فلم يستطع صدرها أن يحتوى غضبها
فانفجرت صارخة فى وجهه:

"يا ابن كرونوس، أيها المرعب، ما معنى هذا الذى تقوله ؟ ٢٥
كيف تضيع جهدى وتجعله عبثًا، جهدى الطويل وعرقى يوم أجهدت
جوادى الاثنين وأنا أجمع الناس وأعلنها لعنة وخرابًا على برياموس

(*) سادت فى العصور القديمة فكرة تعد من الخزعبلات فحواها أن هذا الكتاب إذا وضع تحت الرأس وقى صاحبه من وباء حمى اليوم الرابع quartan ague. (المحرر)

(**) نسبة إلى مدينة صغيرة فى بويوتيا (Pausanias, IX 33.5) وكان لأثينة معبد صغير هناك ويعنى الإسم "الحارسة".

وذريته ؟ امض فى طريقك واعمل ما تشاء ! ولكن اعلم عن
يقين أن كل الآلهة الآخرين لا يوافقونك ".
عندئذ رد عليها زيوس جامع السحب وقد تميز غيظًا ٣٠
"أيتها الشريرة! أى ذنب اقترف برياموس وابناؤه فى حقك
حتى تصرين هكذا فى عناد على تدمير قلعة إليون الحصينة ؟
إنك لو تصادف ومررت عبر أبواب طروادة إلى داخل
أسوارها الطويلة لابتلعت برياموس وابناءه – هكذا لحمًا
نيئًا – مع كل الطرواديين، وعندئذ فقط يمكن أن تخمدى سورة ٣٥
غضبك. افعلى ما تشائين! ولكن لا تدعى ذلك يحدث، أى
أن يصبح الأمر سببًا لنزاع كبير بيننا، بينى وبينك. ولأضف
كلمة واحدة تعيها جيدًا، عندما أرغب أنا فى تدمير مدينة يقطنها
أناس تحبينهم، لا تعترضى طريق غضبى، بل دعيه يأخذ مجراه ٤٠
فاليوم قد لبيت لك طلبك ليس كرها بل بمحض
إرادتى، فمن بين كل المدائن المعمورة بالبشر وتحتل مكانًا
تحتَ الشمس والسماء ذات النجوم لا تحتل واحدة منها ما
تحتله إليوس المقدسة من مكانة فى قلبى، هى ومليكها بريامِوس ٤٥
ذو الرمح المتين وشعبه. فمذبحى هناك لا تنقصه الولائم ولا
قرابين الشراب ولا الأضاحى، فهذا هو التكريم الواجب ويستحقه اسمى".
فأجابته المليكة هيرا ذات العيون الواسعة كعيون المها: ٥٠
"أما بالنسبة لى فأحب المدن ثلاث: أرجوس وإسبرطة
وموكيناى ذات الطرقات الواسعة. دمرها إذا ما داخلك حقد عليها !
فأنا لا أقف فى وجهك دفاعا عنها، لا ولن أنازعك بشأنها.
فحتى إذا عن لى أن أنازعك هذه المدن فأنىّ لى أن أقاوم يدك المدمرة ؟ ٥٥
لن أكسب شيئًا فأنت الأقوى منى بكثير، ومع ذلك فينبغى ألا تفسد
علىّ جهدى المبذول، فأنا أيضًا من منبت إلهى وجئت من نفس السلالة
مثلك، بل أنجبنى كرونوس ذو التدبير المراوغ الملتو قبلك مما يزيدنى

شرفًا. فبفضل سنى الأكبر، ولأننى أدعى زوجتك ولأنك سيد كل الآلهة
الخالدين دعنا إذن نستسلم لبعضنا البعض، أنا لك وأنت لى، ٦٠
وعندئذ سيتبعنا بقية الآلهة الخالدين.
فعليك إذن أن تصدر الأمر فورًا لأثينة أن تسرع الخطى نحو
ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وتحاول أن تدفع الطرواديين
للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة". ٦٥
هكذا أنهت حديثها ودون أن يجيبها أبو البشر والآلهة
وجه مباشرة إلى أثينة كلماته المجنحة:
"أسرعى إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وحاولى أن
تدفعى الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة" (*). ٧٠
بهذه الكلمات حث زيوس أثينة التى طالما تلهفت على
هذه المهمة وقفزت من علياء الأوليمبوس كنجم أرسله ابن
كرونوس ذو التدبير المراوغ لتكون نذيرًا للبحارة والجيوش
المتحاربة كانت تلمع متوهجة وتطير منها سنابل النور بلا ٧٥
عدد، هكذا هبطت باللاس أثينة إلى الأرض فيما بين الجيشين.
فذهل الجميع، الطرواديون مروضو الخيول البارعون
والآخيون لابسو دروع الساق القوية، ذهلوا عندما رأوها
وصار كل واحد منهم يحدث جاره "انظر ستشتعل الحرب ٨٠
المدمرة والمعركة الوحشية ثانية"، أو "هل زيوس موجه دفة
الحروب بين البشر، سيزرع الحب بيننا؟ ".
هكذا كان لسان حال الطرواديين والآخيين يلهج
بالحديث. تنكرت الإلهة وشقت طريقها عبر الجمع متنكرة
فى هيئة لاؤدوكوس بن أنتينور ذلك المحارب المغوار، باحثة ٨٥
عن بانداروس شبيه الآلهة عساها أن تجده أينما وجد. ووجدت
ابن ليكاؤن يقف ساكنًا وسط الجمع، إنه محارب باسل وعتيد،

(*) البيتان ٧١-٧٢ تكرار حرفى للبيتين ٦٦-٦٧.

وحوله يتحلق لفيف من صفوف لابسي الدروع الأقوياء من
بني شعبه الذين جاءوا معه من حيث مجرى نهر أيسيبوس(*).　٩٠
بجانبه وقفت الإلهة هامسة بكلماتها المجنحة:
"أي ابن ليكاؤن، الحكيم، أرجو أن تسمعني ! كن شجاعًا
وأطلق سهمًا خاطفًا على مينيلاؤس، وهكذا تفوز برضا الطرواديين
وتحوز الشهرة بينهم سترضي وقبل كل شيء ألكسندروس أمير　٩٥
طروادة حقًا. فمنه، دون الآخرين، ستتلقى الهدايا الملكية إذا رأى
مينيلاؤس الشجاع بن أتريوس يسقط بسهمك صريعًا فوق
كومة الدفن المفجعة. اذهب الآن وصوب سهامك على
مينيلاؤس ذائع الصيت وأنذر لأبوللون، سليل الذئب (ابن الضوء) (**)
الشهير بقوسه أنك ستقدم له قربان الذبائح الفخم من بكور الكباش.　١٠٠
عندما تعود سالما إلى وطنك مدينة زيليا المقدسة"
هكذا قالت أثينة وأقنعت قلب هذا الرجل في حمقه (بانداروس)،
وعلى الفور نزع الغطاء عن قوسه الصقيل المصنوع من قرن
الوعل الوحشي، الذي هو نفسه كان قد طعنه في الصدر تحت القلب　١٠٥
عندما انطلق من فوق صخرة، وحيث كان باندارس يختبيء في
مكمن مترصدًا إياه. وقد وقع الوعل الوحشي على ظهره إلى
الخلف فوق الصخرة. وكانت قد نمت فوق رأسه ستة عشر قرنًا
كاملة في طول جريد النخيل. فأخذها صانع الحدادة الماهر فطوعها
وصبها جميعا في كتلة واحدة، ولما صقلها صقلاً أنيقًا صنع من　١١٠
هذه الكتلة عرقا مذهبًا ذا طرف مدبب.
عندئذ أسند (باندروس) القوس على الأرض وشده وبعناية فائقة
أعده، بينما وضع رفاقه الأقوياء الدروع على أجسامهم
خشية أن يشرع أبناء آخايا المحاربون في القذف، أو أن يصاب

(*) نهر أيسيبوس Aisepos يصب مياهه في بحر مرمرة.
(**) Lykegenes لقب من ألقاب أبوللون.. وقد يعني "ابن الذئب" أو "ابن الضوء" فهذان العنصران مرتبطان به في الأسطورة.

مينيلاؤس بن أتريوس وحبيب آريس. ١١٥

عندئذ نزع غطاء جعبته، والتقط سهمًا مجنحًا لم يسبق

إطلاقه من قبل، إنه حقًا حامل الآلام السوداء ! وبسرعة

خاطفة شد القوس وابتعد لإطلاق السهم ونذر لأبوللون بن

الذئب (أو الضوء) المجيد بقوسه أنه سيقدم قربان الذبائح الفخم

من بكور الكباش عندما يعود إلى وطنه مدينة زيليا المقدسة. ١٢٠

عندئذ أمسك بمقبض السهم ووتره القوى معًا وأطلقه

وكان قد ألصق وتر السهم بصدره وقرب طرف السهم من القوس،

وعندما كان قد أثنى القوس القوى إلى نصف دائرة أطلق القوس

صفيرًا مدويًا وانطلق الوتر بعناء صاخب وانقض السهم ذو الرأس

المدببة بحدة ملهوفًا على هدفه وقد اخترق صفوف الحشد. ١٢٥

ولكن الآلهة الخالدين المباركين لم يغفلوا عنك يامينيلاؤس،

ولاسيما ابنة زيوس جالبة الأسلاب أثينة التى وقفت أمامه وتفادت

ضربة السهم الشرسة. وحالت بينه وبين أن يصيب لحمه،

وأبعدته مسافة قصيرة كما تبعد الأم ذبابة عن طفلها حين يرتع

فى نوم لذيذ. فبيديها قادت السهم إلى حيث تلتقى مشابك الحزام بأطرافه.

لقد أصاب السهم القاسى الحزام المربوط جيدًا عند الحلية المعدنية ١٣٠

واخترق الحزام المزخرف بالحلقات المعدنية ونفذ منه، وكان صاحبه

قد ارتداه ليتقى ضربات السهام. وثبت أنه اتخذ أقوى وسائل

الدفاع عن نفسه. ومع ذلك فقد نفذ السهم إلى اللحم، لقد خدش ١٣٥

السهم سطح جلده، ومن الجرح انهمر الدم القانى غزيرًا متدفقًا.

وكما تخلط امرأة ما من مايونيا أو كائيرا الصبغة

العاجية ناصعة البياض بالصبغة القرمزية لكى يصنعوا ١٤٠

العذار (غطاء الوجنة) لحصان ما يرقد فى الحظيرة، ويتلهف

الكثير من الفرسان على امتطاء صهوته، ولكنه هو ما يزهو

به ينتظر ملكًا ما يزين بالعذار حصانه، وهو مايزهو به سائق العربة،

هكذا أرى، أى مينيلاؤس، فخذيك الممتلئين وركبتيك وكعبيك وقد ١٤٥
غطاها الدم.

عندئذ انتفض أجاممنون ملك الرجال، عندما رمقت عيناه
الدم القانى يتدفق من الجرح. وانتفض أيضًا مينيلاؤس نفسه
حبيب آريس. ولكنه عندما لاحظ أن نصل السهم نفسه وشوكاته
خارج اللحم، استجمع قواه وشجاعته. بيد أن أجاممنون الملك أمسك ١٥٠
بيد مينيلاؤس وزأر فى أنين وسط صيحات الرفاق من حوله:

"أيها الأخ الحبيب ! كأننى بالقسم على الهدنة وبوضعك فى
مقدمة صفوف الآخيين لمحاربة ابناء طروادة كنت ١٥٥
أدبر لموتك ! فالطرواديون قد أصابوك وداسوا بأقدامهم العهود
ولكن لا... لن يذهب سدى قربان القسم ولا دماء الكباش
المذبوحة، ولا قرابين الشراب الطاهرة المسكوبة، ولا يمناننا التى أعطينا
بها عهودنا. فمع أن سيد الأوليمبوس لم ينجز على الفور انتقامه ١٦٠
ولكنه من المؤكد أنه سيأذن به ولو آجلاً. وسوف يسدد
المعتدون دينهم بثمن باهظ، بحياتهم، بنسائهم وأطفالهم. فأنا
أعرف جيدًا ما يستقر سرًا فى أعماق قلبى سيأتى اليوم
الذى تهلك فيه إليوس المقدسة وبرياموس وشعب برياموس
بسهمه الرمادى(*). عندما سيهز زيوس نفسه، عالى العرش ١٦٥
ابن كرونوس ساكن الأثير، درعه المرعب (الأيجيس) فوقهم
مرة واحدة وللأبد نقمة من خداعهم. بالقطع لن نترك هذه الأمور
دون أن تنجز، ولكن حزنى سيكون أليما عليك يامينيلاؤس إذا مت
ولقيت أجلك المحتوم وسيلحقنى العار المشين حين أعود إلى أرجوس ١٧٠
العطشى. فهلاكك سيذكر الآخيين بوطن الآباء، وسنترك هيلينى
الأرجية يتباهى بها برياموس والطرواديون، وستذوب عظامك

(*) هذان البيتان ١٦٤-١٦٥ اكتسبا شهرة واسعة بعد أن رددهما سكيبيو أفريكانوس على أنقاض قرطاجة موحيًا بمصير روما نفسها. وورد فى "الفردوس المفقود" لميلتون (XI 441-2).
"And over them triumphant Death his dart shook".

في تراب طروادة حيث ترقد ميتًا دون أن تنجز واجبك ! ١٧٥
وقد يصيح أحد الطرواديين المتكبرين وهو يقفز فوق
قبر مينيلاؤس المجيد: دع أجاممنون يصل بغضبه إلى
عنان السماء، فلن يجنى من وراء ذلك سوى ماجناه عندما
أحضر إلى هنا الجيش الآخى عبثًا، وعاد إلى أرض وطنه
الحبيب بسفن فارغة، تاركًا مينيلاؤس الطيب هنا. ١٨٠
هكذا يومًا ما سيجرى الحديث على ألسنة الناس عندئذ
لتفغر الأرض الفاه واسعًا وتبتلعنى"
عندئذ أجابه مينيلاؤس الأشقر مهدئًا روع أخيه:
"تشجع ولا تزعج الشعب الآخى. فإن نصل السهم الحاد
لم ينفذ إلى جزء قاتل بل بلغ فقط واستقر عند حلية الحزام المعدنية ١٨٥
وما تحتها عند الخصر حيث الثنيات بأيدى صانعى الدروع".
فأجابه أجاممنون الملك:
"عزيزى مينيلاؤس ! حسنًا إن الأمر كان هكذا، ولكن هذا الجرح ١٩٠
يحتاج إلى طبيب ليضع البلسم عليه، ويخفف آلامك الفظيعة".
قال ذلك والتفت إلى تالثيبيوس الرسول الإلهى قائلا:
"تالثيبيوس على جناح السرعة أحضر إلى هنا ماخاؤن ١٩٥
ابن أسكلبيوس، ذلك الطبيب الشهير والإنسان النبيل، ليرى
مينيلاؤس بن أتريوس، حبيب آريس، حيث أصيب بسهم
صوبه قواس داهية من الطرواديين أو الليكيين فحقق لنفسه
مجدًا، ولنا حزنًا بالغًا"
هكذا تحدث وأنصت إليه الرسول وانصاع لأمره ٢٠٠
واستدار مخترقًا جموع الآخيين المسلحين بحثًا عن ماخاؤن
البطل. ولمحه واقفًا فى الوسط تحيط به صفوف من الأشاوس
حاملى السهام، أولئك الذين جاءوا معه من تريكى(*). مربية

(*) مدينة على حدود ثيساليا.

الخيول. ووقف الرسول لصيقًا بجانبه ونطق بكلماته المجنحة:

"هيا يا ابن أسكلبيوس، فالملك أجاممنون يدعوك لفحص ٢٠٥

المحارب مينيلاؤس أحد قادة الآخيين، الذى أصابه سهم

صوبه أحد الرماة الحاذقين – سواء أكان من الطرواديين أو

الليكيين – فأصاب مجدًا، وسبب لنا ألمًا".

قال الرسول ذلك فحرك روح ماخاؤن وقلبه،

فشقا طريقهما سريعًا بين الجموع، عبر الحشد الآخى. ٢١٠

ولكن عندما وصلا فى النهاية إلى حيث يرقد مصابًا ذو

الشعر الأشقر مينيلاؤس، وحيث يلتف حوله فى دائرة أشجع

القادة إلى الوسط دخل ماخاؤن البطل شبيه الآلهة ووقف إلى جانبه.

وعلى الفور نزع السهم من الحزام الملتصق بجسد مينيلاؤس،

وعندما خرج السهم تكسرت أطرافه الحادة وسقطت للخلف، ٢١٥

وعندئذ فك عقدة الحزام والثنيات الموشاة بأيدى صانعى الدروع.

فلما رأى موضع الجرح الذى سكن فيه السهم المرير صفىّ الدم منه،

وببراعة وضع البلسم على الجرح. كما كان قد فعل خيرون(*)،

طبيب القلب والطوية، مع أبيه.

وبينما كانوا منهمكين فى العناية بمينيلاؤس البارع فى ٢٢٠

صيحة الحرب تقدمت جموع الطرواديين من حملة السهام،

ومرة أخرى استعاد المحاربون الآخيون حماسهم، وعاودتهم اللهفة

على متعة القتال الوحشية.

وقد ترى أجاممنون الإلهى لا يهجع ولا يتردد ولا

يحجم عن النزال، بل هو مندفع نحو المعركة جالبة المجد ٢٢٥

(*) خيرون **Cheiron**: ابن كرونوس و فيليرا: كما تقول الأساطير من سلالة الكنتوروى فله رأس أدمى وجسد جواد. أشتهر بعلمه الغزير بالموسيقى والرماية والطب. وقد علم البشر استخدام الأعشاب الطبية، كما أشرف على تربية وتعليم أعظم أبطال عصره.مثل أخيليوس وثيسيوس وبيليوس واسكليبيوس وهيراكليس وغيرهم. أصيبت ركبته بجرح من أحد السهام المسمومة التى أطلقها هيراكليس أثناء مطاردته للكنتوروى، وعندما أكتشف هيراكليس ذلك هب لمساعدته. غير أن عمق الجرح كان أخطر من أن يعالج، ونظرا لشدة آلامه عرض على زيوس أن يحرمه من الخلود حتى يخلصه من عذابه. فاستجاب له كبير الآلهة وضمه إلى مجموعات النجوم تحت إسم كوكبه (القوس والرامى **Sagittarius**).

والشهرة للرجال. لقد ترك خيوله وعربته المرصعة بالبرونز
فقد كان تابعه يوريميدون بن بطلميوس بن بيرايوس قد نحى
جانبًا الخيول وهى تصهل فى إباء. وقد أمر الملك تابعه أن
يكون على أهبة الاستعداد مع خيوله، إذا ماتسرب الإعياء إلى
أقدام الملك، وهو يتفقد الحشود الهائلة، وسار على قدميه ٢٣٠
يتفقد جيئة وذهابًا الصفوف. فإذا لقى أحدًا من الدانائيين ذوى الخيول
السريعة متحفزًا للحرب كان يقترب منه ويحثه بحماس قائلاً:
"أيها الأرجيون لا تتخلوا عن شىء من قوتكم الفياضة،
فزيوس لن يعين الكذابين أولئك الذين حنثوا بأيمانهم.
حقًا فالرجال منهم ستتغذى الجوارح على لحومهم الطرية، ٢٣٥
أما الحرائر من نسائهم وأطفالهم الناعمين فسنأخذهم أسرى
فوق سفننا، بعد أن نكون قد استولينا على مدينتهم".
أما إذا لقى متخاذلاً متقاعسًا عن الحرب الكريهة
وبخه الملك أجاممنون بكلمات حادة قائلاً: ٢٤٠
"أيها الأرجيون، محبى القوس يارجال العار ألا تفكرون
فى الكرامة ؟ لماذا تقفون هكذا مذهولين كالظباء التى أنهكها الجرى
سريعًا عبر الوادى جيئة وذهابًا فوقفت بلا روح ؟ ٢٤٥
هكذا تقفون مذهولين ولا تحاربون ؟ أتراكم تنتظرون أن يقترب
الطرواديون إلى حيث ترسوا سفنكم المتينة عند شاطىء البحر الهادر
تتطلعون إلى زيوس بن كرونوس لعله يمد يد العون لكم لينقذكم ؟".
هكذا سار الملك أجاممنون يتفقد صفوف المحاربين. ٢٥٠
فجاء إلى حيث كان الكريتيون، وتحرك وسط حشودهم.
كان إيدومينيوس شجاع القلب وحاشيته منهمكين فى ترتيب الصفوف
وهم فى كامل عدتهم. وقف ايدومينيوس فى صفوف المحاربين الأولى
فهو قوى البنية كالخنزير البرى، بينما كان ميريونيس يحث الجنود فى
الصفوف الخلفية. فلما رآهما أجاممنون ملك الرجال انفرجت أساريره،

وعلى الفور حيا إيدومينيوس بكلمات الود: ٢٥٥

"أى إيدومينيوس، إنى أشيد بك أكثر من كل الدانائيين ذوى
الخيول السريعة، أشيد بك سواء فى ميدان الوغى، أو فى كل عمل
شاق من أى نوع، وفى الوليمة حين يتبادل أنبل نبلاء
الأرجيين فى ولائم الاحتفالات كئوس الخمر المتوهجة. ٢٦٠
فبينما الآخرون من الآخيين ذوى الشعر الطويل يشربون قدرًا
محدودًا، فإن كأسك يظل دومًا إلى جانبك مترعًا يفيض
بالخمر، مثل كأسى، ليطرد كل ما قد يعكر صفوك. ولكن ما
أن تحين ساعة الجد حتى تهب للمعركة وتظهر نفسك كما كنت
دومًا مفخرة للجميع". ٢٦٥

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين:
"يا ابن أتريوس، اعلم علم اليقين أننى سأكون لك نعم الصديق،
وكما أقسمت لك بالقسم المقدس منذ البداية، بل استنفر الآخيين
ذوى الشعر الطويل أن تسرع بالحرب فى أقرب وقت، حيث إن
الطرواديين هم الذين نقضوا مواثيقهم فلهم الأحزان والموت ٢٧٠
من الآن فصاعدًا بما أنهم كانوا سباقين فى الخيانة والحنث بالقسم".

وهكذا تحدث إيدومينيوس ومضى ابن أتريوس فى
طريقه مسرورًا. وبعد ذلك وصل إلى حيث أتباع الثنائى أياس
فتحرك وسط جموعهم. كان كل من الاثنين يضع الخوذة على رأسه
وتتبعهما سحابة من المحاربين. وكما يلاحظ راعى المعيز ٢٧٥
من فوق صخرة سحابة تزحف فوق البحر، تسوقها الرياح
الغربية (زيفيروس). ولأنه يقف بعيدًا تبدو السحابة أكثر اسودادًا
من القار وهى تسافر عبر البحر وتسوقها عاصفة هوجاء.
فعندما رآها راعى المعيز ارتعدت فرائصه وأسرع
بقطعانه إلى الكهف. هكذا كانت سحابة(*) الصفوف الكثيفة ٢٨٠

(*) قارن: Lucretius vi 256 ff, Tennyson "Princess", vii.

من المحاربين الأشداء المتحركين مع الثنائى أياس نحو المعركة
النارية متأهبين بالدروع والسهام. وبرؤية هذا المشهد انفرجت
أسارير الملك أجاممنون وتحرك لسانه بكلمات مجنحة:

"أى أياس وسميه، أنتما الاثنان قائدا الأرجيين لابسى البرونز ٢٨٥
لا يصح أن أحثكما، فلا مزيد من الحض لكما، أنتما بنفسيكما تقودان
بعزم قوى شعبكما للقتال بحماس. أى زيوس الأب وأنت أثينة
وأبوللون كم أتمنى أن تكون مثل هذه الروح فى صدور كل الرجال !
فعندئذ أعتقد أن مدينة الملك بريامو س ستسقط على الفور فندمرها
ونستولى عليها بأيدينا" ٢٩٠

بهذه الكلمات تركهما وذهب نحو الآخرين. فوصل إلى
حيث نيستور القائد الخطيب الفصيح زعيم أهل بيلوس الذى
كان ينظم صفوف أتباعه ويحثهم على الدخول فى المعركة
تحت قيادة بيلاجون وآلاستور وخروميوس وهايمون السيد ٢٩٥
النبيل، وكذا بياس راعى الحشود. فى المقدمة وضع نيستور
الفرسان بخيولهم وعرباتهم وخلفهم المشاة كثيرى العدد
والشجعان ليكونوا درع المعركة برمتها. وعندئذ وضع
الضعفاء فى الوسط حتى يضطر كل واحد منهم رغمًا عن
أنفه للدخول فى الحرب. فى البداية أصدر أوامره للفرسان، ٣٠٠
أمرهم أن يشددوا قبضتهم على خيولهم وحتى لا تعوقها
الحشود فصاح قائلا:

"لاتدع أحدا معتمدًا على فروسيته الفائقة، أو قوته
البالغة يسعى للقتال ضد الطرواديين بمفرده مستبقًا الآخرين،
ولا تدعه ينسحب، وإلا فستكونون فريسة أسلس استسلامًا. ٣٠٥
أى واحد منكم يحارب من عربته ويستطيع أن يدرك عربات
العدو دعه يصوب سهامه نحوها من مسافة بعيدة. هكذا كان
يفعل آباؤنا، فهذه قاعدة موروثة، إذ دمروا الأسوار والمدن. وهم

متماسكون عقلاً وقلبًا".

هكذا كان المحارب الهرم المحنك فى ميدان الوغى يستحثهم ٣١٠
فعندما لمحه الملك أجاممنون انفرجت أساريره وحياه بكلماته المجنحة:
"أيها الشيخ ليت عضلات جسمك وركبتك توازى قوة
قلبك، وليت قوتك لا تهتز ! ولكن الشيخوخة التى تصيب
الجميع سواء بسواء قد أثقلت حملها عليك، ليت أحدًا آخر هو ٣١٥
الذى بلغ هذه السن المتقدمة، أما أنت فلتعد بين الشباب".
فرد عليه نيستور فارس جيرينى:
"يابن أتريوس فعلاً كم كنت أتمنى أنا نفسى أن أعود كما كنت
يومًا ما، عندما قتلت إريوثاليون الإلهى. ولكن الآلهة لا تهب كل شىء
للبشر دفعة واحدة. لقد كنت شابًا عندئذ، والآن بلغت أرذل العمر، ٣٢٠
لا بأس، سأظل، متخذًا مكانى بين الفرسان وسأحثهم بنصائحى
وكلماتى، فهى ثمرة من ثمرات السن المتقدمة. ولكن الشباب
الأكثر استعدادًا للخدمة منى سيتسلحون بالسهم ويثقون فى قوتهم". ٣٢٥
هكذا كان حديث نيستور، فمضى ابن أتريوس وقد
انفرجت أساريره، فوجد مينيستيوس ضارب الخيل (بالسوط)
ابن بيتيوس، يقف ساكنا وحوله يتجمع الأثينيون البارعون فى صيحة
الحرب. وبالقرب منهم يقف أوديسيوس واسع الحيلة
ومعه على الجانب الآخر تصطف صفوف محاربى
كيفالينيا الأشاوس، فهم لم يسمعوا بعد صيحة القتال
ويرون أنه قد تأخر تحرك أسراب الطرواديين
مربى الخيول والآخيين نحو اللقاء فى أرض المعركة. ومن ٣٣٠
ثم فهم لم يستنفروا أنفسهم، بل ينتظرون حتى تبدأ صفوف
الآخيين فى اتخاذ الخطوة الأولى لمهاجمة الطرواديين
فيبدأون الحرب فلما رآهم أجاممنون ملك الرجال ناداهم بصوت
جهورى محييًا بكلماته المجنحة: ٣٣٥

"أنت يا ابن بيتيوس، أيها الملك سليل زيوس، وأنت
يا أوديسيوس الماهر فى الحيل الماكرة، أية خطة داهية تختبىء فى
ذهنك ؟ من المؤكد أنه ينبغى أن تقف فى المقدمة، لتكون أول
من يواجه هجمة العدو. وأتمنى أن تكونا أنتما الاثنان أول ٣٤٠
من يتلقى دعواتنا عندما نقيم نحن الآخيين الوليمة لكبار القوم !
وستسرون جدًا بأكل اللحم المشوى واحتساء كئوس الخمر
الحلوة كالعسل، تشربون منها ماتشاءون قدر طاقتكم. ٣٤٥
أما الآن فقد لا يكون سروركما أقل، عندما ترون صفوف
الآخيين العشرة يحاربون أمامكم بنصل سيوف لا ترحم"
فرد عليه أوديسيوس واسع الحيلة بنظراته الصارمة:
"يا ابن أتريوس ! أى حديث هذا الذى تفوهت به ؟ كيف ٣٥٠
تقول إننا نتلكأ فى القتال حين يهب الآخيون للحرب
الفاضلة ضد الطرواديين مربى الخيول ؟ سترى بنفسك
أن أبا تيليماخوس سيشتبك مع مقدمة جيش الطرواديين مربى
الخيول، إن كلماتك حقيقة فارغة مثل الهواء"
رد عليه الملك أجاممنون مبتسما، فقد لاحظ غضبه وأراد ٣٥٥
أن يسحب كلامه:
"يا ابن لائيرتيس وسليل زيوس أى أوديسيوس واسع الحيلة !
أنا لا أوبخك كثيرًا ولا آمرك، فأنا أعرف أن الروح داخل صدرك
تدرك الأفكار النبيلة. إنك تملك عقلاً يشبه عقلى.
على أية حال دعنا الآن نكفر عن أية كلمة مسيئة قد تكون خرجت ٣٦٠
من أفواهنا، فياليت السماء تمحو كلماتى وتحيلها عدمًا".
بهذه الكلمات تركهم حيث كانوا وانتقل نحو الآخرين.
فوجد بعد ذلك ديوميديس بن تيديوس سامى الروح يقف
فوق عربته الحربية بخيولها وقد زركشت تمامًا. وبجواره ٣٦٥
كان يقف سثينيلوس بن كابانيوس. فلما رآه صاح الملك

أجاممنون يناديه ويحييه بكلماته المجنحة:

" ويحى ! يا ابن تيديوس يا مروض الخيول الحكيم لماذا ٣٧٠
تتوارى ؟ لماذا تتغاضى عن الخطوط الفاصلة فى المعركة ؟
لم يكن تيديوس فيما أعتقد، يتوارى هكذا، بل حارب العدو
وهو فى مقدمة أقرانه. ومع أننى لم ألتق به قط ولم أره ولكن
يقول الناس – ممن شاهدوه فى قلب المعمعة – إنه فاق الجميع حقًا. ٣٧٥
لقد جاء إلى موكيناى ذات مرة – ضيفًا لا عدوا – مع بولينيكيس
شبيه الآلهة ليحشد جيشًا. لقد كانوا آنذاك عازمين على الحرب
حتى ضد الأسوار المقدسة لطيبة، ومن ثم توجهوا إلى
موكيناى (وملكها ثيستيس) برجاء حار أن تمنحهم حلفاء أماجد.
لقد كانوا متلهفين على مثل هذه المساعدة من موكيناى ووافقوا على
مطالبها، ولكن زيوس عطل خطتهم بأن أظهر علامات الشؤم. ٣٨٠

وعندما رحلوا وكانوا بالفعل على طريق الرحيل،
ووصلوا إلى أسوبوس الذى كان يفيض مجراه على الجانبين
وتحيط به مستنقعات موحلة، أرسل الآخيون تيديوس رسولاً ٣٨٥
(إلى طيبة) فلما وصل إلى هناك ووجد الكثيرين من
الكادميين (أهل طيبة)، يجلسون إلى الوليمة فى منزل
إتيوكليس القوى. فلم يتردد تيديوس مروض الخيول رغم
أنه غريب ووحيد بين كادميين كثيرين، بل تحداهم فى مباراة
للمصارعة وتفوق عليهم جميعًا، فقد منحته الربة أثينة العون. ٣٩٠

عندئذ استشاط الكادميون غضبًا وهم البارعون فى نخس الخيول
بالمهماز فنصبوا كمينًا مكثفًا فى طريق عودته. كان الكمين من
خمسين محاربًا يقودهم التوأم مايون بن هايمون قرين الآلهة
الخالدة وبوليفونتيس بن أوتوفونوس ذى القلب الصلب. ومع ٣٩٥
ذلك فقد جلب عليهم تيديوس مصيرًا مخزيًا، لقد قتلهم جميعًا
ماعدا واحدا سمح له بالعودة إلى بلده سليما. لقد أرسل

مايون على الطريق، وقد انصاع تيديوس لنذر السماء. هذا
هو تيديوس الأيتولى. أما فيما يتعلق بابنه الذى أنجبه فهو
بالقطع محارب أشد خطرًا وأكثر بلاغة". ٤٠٠
هكذا كان حديثه. ولكن ديوميديس الصنديد لم يرد عليه
بكلمة واحدة، فلقد شعر بالحرج إزاء توبيخ الملك الذى يحترمه.
وعندئذ أجاب ابن كابانيوس النبيل (ستينيلوس) قائلا:
"يابن أتريوس لا تقل الكذب وأنت تعرف كيف تقول ٤٠٥
الصدق حقًا، فنحن نفخر بأننا نفوق آباءنا، نحن الاثنان استولينا
على طيبة المدينة ذات السبعة أبواب، رغم أننا كنا نقود
جيشًا صغيرًا أمام أسوارها المنيعة، لأننا أطعنا نذر السماء
وبعون من زيوس حققنا ذلك. أما أباؤنا فقد ماتوا بفعل جنونهم.
ومن ثم لا أسمح لك أن توجه قدرًا من التكريم لآبائنا مثل ما توجه لنا" ٤١٠
عندئذ وبنظرة صارمة أردف ديوميديس الصنديد:
"كفاك ! والزم جانب السلامة واسمع كلامى. لا أنكر
على أجاممنون وهو راعى الشعب أن يحث الآخيين
المسلحين بالدروع جيدًا للحرب. فعليه كما أعتقد تقع
المسئولية وينتظره الشرف والمجد إذا سحق الآخيون
الطرواديين وأسروا إليون المقدسة. وعليه سيهبط عبء الحزن ٤١٥
إذا هزم الآخيون. ولكن امض فى طريقك الآن (يا أجاممنون)
ودعنا نفكر فى أمر قوتنا الهائجة ".
قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل
اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا ٤٢٠
الأمير مرعبًا، فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع
وكما يحدث على شاطىء تتردد منه الأصداء وقد أثارته
عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر
موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذؤابة

الموجة، وبعدئذ يعلو زئيرها وهى تتكسر على الشاطابن وهى
تعلو كل الصخور الناتئة والمتناثرة على الشاطىء فى منحنى ٤٢٥
قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى
دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب.

كان كل قائد يقود رجاله ويتبعهم الآخرون فى
صمت – فى صمت لايسمح بتصور أن جيشًا جرارًا فى
الطريق إلى المعركة – وفى سكون خشية من أولئك الذين ٤٣٠
يقودونهم. ويلفهم جميعا فى أثناء سيرهم بريق أسلحتهم.

أما الطرواديون فكانوا كالقطعان يقفون فى أعداد لا
حصر لها وهم فى حوزة صاحبها الثرى، بينما يحلب اللبن
الأبيض منها يعلو ثغاؤهم ولا يتوقف وهم يسمعون كباشهم. ٤٣٥
هكذا كان دوى الضوضاء فى الجانب الطروادى حيث ساد
عبر كل جموعهم، فلم يكن واحدًا الحديث الدائر بينهم، ولم
يكن واحدًا صوتهم، بل كان صوتهم مختلطًا وكانت أصوات
محاربيهم تسمع من بعيد.

كان يستنفرهم آريس وأثينة ذات العيون الزرقاء، ٤٤٠
ومعهم سارت القوى الإلهية الرعب (ديموس) والخوف
(فوبوس) والنزاع (إريس) (*). التى لاتشبع من جنونها.
"النزاع" (إريس) أخت آريس الفتاك وحبيبته. إنها وهى ذات
قوام صغير، ولكنها عندما انتصبت واقفة وصلت رأسها إلى
السماء، بينما وضعت قدمها على الأرض. وإذ تتجول عبر
الحشود غرست شجرة النزاع بالتساوى فيما بين الفريقين

(*) إريس Eris: هى ربة النزاع والشقاق وشقيقة آريس إله الحرب. وقد بدأت أحداث الحرب الطروادية عندما أرسلت إريس التفاحة الذهبية إلى الربات الثلاث، ولكن هيسيودوس فى قصيدته "الأعمال والأيام (بيت ١١ وما يليه) "يوحى بوجود شكلين مختلفين من ربة النزاع: واحدة خيرة والأخرى شريرة وتسبب ربة النزاع الشريرة فى إشعال الحروب والصراعات. وأتباعها هم العار والخداع والجنس والشيخوخة القاتلة. وقد أنجبت التعب والنسيان والمجاعة والألم وكافة أشكال الموت العنيف والشجار والتمرد والجنون. بينما نجد أن إريس الخيرة تدفع حتى الشخص الكسول مثل بيرسيس شقيق هيسيودوس إلى بذل الجهد حتى يحقق ثروة مثل الآخرين.

مضاعفة بذلك أحزان البشر. ٤٤٥

وعندما التقى الجمعان فى مكان واحد، عندئذ فإن البرونز
الذى يغطى أجساد المحاربين من الطرفين قد اصطدم وأحدث
دويًا، الترس ضد الترس، والسهم مع السهم، والدروع
المحدودبة مع الدروع، وارتفع الصياح إلى الأعالى. فهنا
وهناك اختلطت الصرخات والتضرعات الصادرة من الرجال، ٤٥٠
القتلة والمقتولين وفاضت الأرض بالدماء.

وكما يحدث فى النهيرات التى تفيض بمياه أمطار الشتاء
فتندفع من التلال نحو الوديان، وتلتقى مع مياه أخرى تقذف بها
الينابيع الكبيرة عبر الصخور المجوفة، وهناك بعيدًا بين
الجبال يسمع الراعى خرير المياه المتدفقة، هكذا كان صخب ٤٥٥
ورعب الجموع التى اشتبكت فى المعركة.

فى البداية قتل أنتيلوخوس رجلاً من الطرواديين
محاربًا قويًا فى كامل عدته كان فى المقدمة. إنه إخيبولوس
بن ثاليسيوس، كان أول من ضربه (أنتيلوخوس) فوق قرن
خوذته ذات العرف من شعر الخيل لقد رشق السهم تمامًا فى وجهه، ٤٦٠
فاخترق رأس السهم البرونزى العظام وغطى الظلام عينيه،
وسقط كأنه قلعة هوت فى ميدان المعركة الوحشية.
وبعد أن هوى على الأرض فإن الأمير إليفينور القائد الهمام
للأبانتيس بن خالكودون وضع قدمه عليه وجره جانبًا حرصا على أن
ينهب عدته بأقصى سرعة ممكنة. ولكن اندفاعه كان طيشًا لأن أجينور ٤٦٥
ذا الهمة العالية رآه وهو يجر الجثة فأصابه بالرمح البرونزى
وسبب له جرحًا فى جنبه، فلما انحنى زحزح عن نفسه جزءًا
من الدرع وأسلم أعضاء جسمه للموت.

هكذا انتزعت الحياة من جسد إليفينور، بينما كان ٤٧٠
عمل الطرواديين والآخيين محزنًا وثقيلاً على الطرفين. كانوا

كالذئاب التى تهاجم بعضها بعضًا، فكل محارب يلتحم مع نده.
عندئذ ضرب أياس بن تيلامون الشاب سيموئيسيوس بن
أنثيميون، وهو فى زهرة العمر. كانت أمه فيما مضى فى
طريقها من جبل إيدا وعندما كانت ترعى الغنم مع والديها رقدت ٤٧٥
عارية على ضفاف سيموئيس. فحملت به ولذا أطلقوا عليه إسم
سيموئيسيوس ولكنه لم يكن قد سدد لوالديه العزيزين شيئًا
من دينه مكافأة على تربيتهما له، كانت حياته قصيرة وسريعة،
لقد سقط صريعًا بسهم أياس ذى الهمة العالية. فما أن جاء
إلى الصفوف الأمامية فى المعركة حتى ضربه عند صدره ٤٨٠
بجوار حلمة الثدى اليمنى. واخترق السهم البرونزى مباشرة
إلى الكتف، لقد مال وسقط فى التراب كما تسقط شجرة الحور
التى نمت على حافة مستنقع ضخم فربت وأورقت أغصانها
عند القمة، والآن يسقطها النصل البراق، يسقطها صانع العربة
لكى تستخدم أخشابها فيما بعد إطارًا لعجلة فى عربة ما مجيدة. ٤٨٥
منتصرة ترقد الشجرة الآن على ضفاف المجرى المائى، كما يرقد
ابن أنثيميون سيموئيسيوس وقد قتله أياس بن زيوس.
عندئذ حاول ابن برياموس، أنتيفوس ذو الأسلحة اللامعة أن
يصوب سهمًا حادًا إلى أياس من بين جموع الآخيين. أخطأ ٤٩٠
التصويب وأصاب السهم ليوكوس صديق أوديسيوس الصدوق
عند أعلى الفخذين عندما كان يجر الجثة جانبا. فسقط فوق
الميت وأفلتت الجثة منه، واستشاط أوديسيوس غضبًا عندما
رأى صديقه ميتًا. اخترق صفوف المقدمة وقد برقت عليهم
جميعًا عدة الحرب اللامعة. فاقترب ووقف، وبعد نظرة فاحصة ٤٩٥
حولـــه صوب سهمًا لامعًا، ولكن الطرواديين ولوا الأدبار
أمام هجمة البطل. ومع ذلك لم يذهب هذا السهم عبثًا بل
أصاب ديموكوؤن بن برياموس غير الشرعى، الذى جاء

من أبيدوس حيث كان يقوم على تربية الخيول السريعة. ٥٠٠

ولقد ضربه أوديسيوس بسهم فى جبهته وقد تملكه الغضب

من أجل صديقه. فاخترق رأس السهم البرونزى صدغيه وغطى

الظلام عينيه وسقط صريعًا، فكان ارتطامه بالأرض مدويا

وكذا تكومت عدته الحربية فوق جسده وأحدثت ضجيجًا.

عندئذ فقط اضطر هيكتور المجيد أن يتراجع عن قليل ٥٠٥

من الأرض مع الصفوف الأمامية. فصاح الأرجيون صيحة

عالية وسحبوا الموتى وضغطوا بشدة زاحفين إلى الأمام.

ولكن عندما نظر إليهم أبوللون من فوق قلعة طروادة

برجاموس امتلأ بالحنق ونادى الطرواديين بصوت مدوٍ واستحثهم :

"انهضوا أيها الطرواديون مروضى الخيول لا تستسلموا

للأرجيين وهم فى نشوة القتال الوحشية. فأجسادهم ليست من ٥١٠

حجر ولا من حديد، ولا يمكن أن تقاوم حد السهم النافذ

عندما يصابون به. لا .. ولا يحارب الآن معهم أخيليوس

بن ثيتيس ذات الخصلات الجميلة، ولكنه يقبع بجوار السفن

يجتر غضبه الموجع لقلبه".

هكذا تحدث الإله المرعب من القلعة الشاهقة فى نفس الوقت

كانت بنت زيوس تريتوجينيا الإلهة المجيدة تتحرك بين ٥١٥

الحشود مستنهضة الهمم عندما رأتهم مترددين.

وبعد ذلك سرعان ما أصاب القدر ديوريس بن أمارونكيوس،

فلقد ضرب بحجر خشن فى قصبة الساق اليمنى عند الكعب.

كان قائدًا طراقيا هو الذى رمى هذا الحجر إنه

بيروس بن إمبراسوس الذى جاء من أينوس(*). لقد مزق ٥٢٠

هذا الحجر القاسى العضلات والعظام تمزيقًا كاملاً.

فسقط إلى الخلف فى التراب مادًا يديه لرفاقه المحبوبين

(*) مدينة تقع على نهر هيبروس فى طراقيا.

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ أجهز عليه - من سبق
أن قذفه بالحجر - بيروس فجرحه بالسهم الحاد عند السرة،
فتفجرت كل أمعائه إلى خارج بطنه، وغطى الظلام عينيه. ٥٢٥
عندئذ أسرع ثوأس الأيتولى وضربه بسهم عند الصدر
فوق حلمة الثدى، فثبت رأس السهم البرونزية فى الرئة. واقترب
ثوأس من الجثة، ونزع السهم القوى من صدره واستل سيفه
الحاد وضربه ضربة نجلاء عند المعدة فقضى على حياته
قضاءً مبرمًا. ولكنه لم يسلب الميت أسلحته إذ وقف حوله ٥٣٠
أصدقاؤه المقربون الطراقيون بخصلات شعرهم العنقودية،
وقد أمسكوا بسهام طويلة فى أيديهم، فعلى الرغم من قوته
وقامته ومظهره النبيل حال هؤلاء بينه وبين أسلحته
فاستدار وعاد أدراجه إلى الوراء. وجنبًا إلى جنب كان يرقد
هذان الاثنان القائدان، أحدهما من الطراقيين والآخر من ٥٣٥
الإيبيين لابسى البرونز وكثيرون آخرون رقدوا موتى حولهم .
وعندئذ لم يستطع أحد أن يستخف بهذه المعركة ولا أن
يشتبك فى مزيد من القتال. فإذا كان هناك من لم يصب
بضربة ولم يجرح برمح فتاك، فإنه كان يتحرك وسط الحشود ٥٤٠
تقوده باللاس أثينة التى كانت قد أمسكت بيده وهى تدفع عنه جانبًا
الضربات القوية. لأنه حقا فى ذلك اليوم كثير من الطرواديين
وكثير من الآخيين سقطوا صرعى فوق الرمال جنبًا إلى جنب. ٥٤٤



الكتـــاب الخامس



ترجمة أحمد عتمان

وهبت باللاس أثينة ديوميديس بن تيديوس القوة والبسالة،
لكى يبز كل الأرجيين ويحرز الشهرة المجيدة. فقبست من خوذته
ودرعه نارًا لا يخمد أوارها، مثل نجم الحصاد (= سيريوس) ٥
الذى يتلألأ بأنواره أكثر من أى نجم آخر، عندما يبزغ
مغتسلاً بالأوكيانوس (المحيط). لقد أوقدت الإلهة هذه الشعلة
من رأسه وكتفيه؛ وأرسلته إلى القلب من حشد الرجال.
وكان داريس بين الطرواديين رجلاً ثريًا لا نظير له، كاهن ١٠
هيفايستوس؛ وكان له ابنان: فيجيوس وإيدايوس، وكانا بارعين
فى كافة فنون القتال. تركا صفوف الجيش وتقدما لمواجهة ديوميديس،
وكانا يمتطيان عربتهما، بينما كان هو يهرول بقدميه على الأرض.
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما من الآخر، أطلق فيجيوس ١٥
رمحه الخاطف، فكاد سن الرمح أن يلامس الكتف
الأيسر لابن تيديوس دون أن ينال منه. وعلى الفور أطلق
ابن تيديوس رمحه البرونزى، ولم ينطلق الرمح سدى
إذ أصاب عدوه فى صدره بين الحلمتين، وأطاح به من فوق العربة. ٢٠
أما إيدايوس فقد قفز إلى الخلف متخليًا عن عربته رائعة الجمال، ولم
يطعنه، ولم يجرؤ على الزود عن أخيه المقتول،
بل إنه هو نفسه ما كان ليتملص من مصيره الأسود، لولا أن
نجاه هيفايستوس وأنقذه. إذ لفه فى غلالة من الظلام، حتى لا يأتى
الحزن على والده الكاهن المسن. وبالنسبة للخيول فإن ابن تيديوس ٢٥
الجسور قد أذن لرفاقه أن يسوقوها نحو السفن المجوفة.
فلما رأى الطرواديون البواسل ولدى داريس على هذه الحال،
أحدهما يولى الأدبار والآخر يرقد صريعًا بجوار عربته، أصاب
الهلع قلوبهم جميعًا. وأمسكت أثينة ذات العينين الزرقاوين ٣٠
بآريس المجنون قائلة:

"آريس، آريس، يا لعنة على البشر الفانين، يا محطم الأسوار، أيها
الملطخ بالدماء ! دع الطرواديين والآخيين يتقاتلون. لنرى لأى من
الطرفين يشاء زيوس الأب أن يهب المجد ؟ وعلينا نحن الاثنين
أن ننسحب تجنبًا لسورة الغضب من قبل زيوس". ٣٥
هكذا قالت وقادت آريس المجنون بعيدًا عن ساحة
الوغى، حيث أجلسته فوق رمال ضفة نهر سكامندروس، فأجبر
الدانائيون الطرواديين على أن يولوا الأدبار مدحورين.
إذ قتل كل قائد الرجل الذى يواجهه؛
ففى البداية قتل ملك الرجال أجاممنون أوديوس ٤٠
العظيم قائد الهاليزونيين فى عربته، فعندما استدار ليولى
الأدبار صوب رمحه إلى ظهره بين كتفيه، غرس الرمح
وغاص به حتى صدره؛ فخرّ صريعًا فى صوت مكتوم تحت درعه.
وقتل إيدومينيوس فايستوس بن بوروس المايونى الذى جاء من أرض ٤٥
تارنى(*) الخصيبة. إذ كان يمتطى عربته
مرتديًا درعه، فأصابه إيدومينيوس بطعنة من رمحه الطويل
حيث اخترق كتفه الأيمن؛ فسقط عن عربته واحتواه
ظلام الموت الكريه. ثم جرده أتباع إيدومينيوس من أسلحته.
وأما سكاماندريوس بن ستروفيوس البارع فى فنون الصيد ٥٠
فقد قتله مينيلاؤس بن أتريوس برمحه المسنون ، مع أنه
كان صيادًا عتيدًا، إذ دربته أرتميس بنفسها
على التصويب وإصابة كافة وحوش الغابات
فوق الجبال. بيد أن أرتميس رامية القوس لم تفده الآن بشىء
ولم تنفعه مهارته الفائقة فى رماية القوس، والتى بزّ فيها الجميع ٥٥
من قبل. طعنه مينيلاؤس بن أتريوس الشهير برمحه بهذا الرمح فى
ظهره بين كتفيه قبل أن يولى الأدبار أمامه، وغرس رمحه ليبلغ صدره

(*) مدينة فى ليديا عرفت فيما بعد باسم سارديس. (المحرر)

فانكفا على وجهه وسقط درعه فوقه.

وقتل ميريونيس فيريكلوس بن تكتون بن هارمون، ذا اليدين
الماهرتين فى صنع كل شىء دقيق؛ وكانت باللاس
أثينة تحبه أكثر من أى شخص آخر. وكان هو الذى بنى لألكسندروس　٦٠
السفن الجميلة منبع الشرور والخراب لكل الطرواديين وله هو
نفسه، لانه لم يكن يعرف شيئًا البتة عن نبوات الآلهة. طارده
ميريونيس فلما أدركه طعنه على يمين مؤخرته وغاص سن الرمح
تحت عظامه إلى مثانته؛ فسقط على ركبتيه وهو يئن وطواه الموت.　٦٥
ثم قتل ميجيس بيدايوس بن أنتينور، والذى كان فى الحقيقة
ابنا غير شرعى، ولكن ثيانو الطيبة ربته وتولته بالرعاية
كأحد ابنائها إرضاء لزوجها. فاقترب منه
ابن فيليوس (ميجيس)(*) الشهير برمحه وطعنه بهذا الرمح　٧٠
المسنون فى وتر رأسه؛ فغاص الرمح حتى وصل إلى أسنانه
عند جذور لسانه، فسقط فى التراب وهو يعض الرمح البارد بأسنانه.

وقتل يوريبيلوس بن يوأيمون هيبسينور بن دولوبيون الطيب
سامى الروح، وقد كان كاهنا لإله النهر سكاماندروس، وكان الناس　٧٥
يبجلونه وكأنه إله. فقد اندفع نحوه يوريبيلوس بن يوأيمون العظيم
بسيفه بينما كان يولى الأدبار أمامه، فأصابه فى كتفه فقطع　٨٠
ذراعه الثقيلة حيث سقطت على الأرض وغرقت فى الدماء،
وغيب الموت المظلم والقدر القهار نور عينيه.

وهكذا أجهدوا أنفهسم فى الاقتتال؛ أما ابن تيديوس
فلا تستطيع أن تقول مع أى الفريقين كان يحارب،　٨٥
هل كان يحارب فى صف الطرواديين أم الآخيين.
فقد صال وجال فى السهل كله كأنه سيل شتوى عارم
يكتسح السدود بفيضانه الجارف؛ فلا تصده

(*) قارن الكتاب الثانى بيت ٦٢٧. (المحرر)

السدود المحكمة، ولا تستطيع حوائط بساتين الكروم المثقلة بالأعناب ٩٠
أن توقف هجمته المباغتة عندما تسوقه
عاصفة زيوس؛ فتتداعى أمامه التحصينات التى أنجزها
البشر. هكذا اندحرت فرق الطرواديين على كثرتها ولم تصمد
أمام هجمات ابن تيديوس. ولكن ما أن رآه ابن ليكاؤن العظيم ٩٥
وهو يجتاح السهول ويلاحق فلول فرق الطرواديين المندحرين، حتى
صوب قوسه المعقوف إلى ابن تيديوس أثناء اندفاعه فأصابه
فى كتفه الأيمن أعلى درع الصدر؛ فاخترق الرمح القاتل
صدره وتدفقت منه الدماء غزيرة وغطت الدرع. ١٠٠
وعندئذ صاح ابن ليكاؤن العظيم قائلاً:
"انهضوا أيها الطرواديون العظام، مروضو
الخيول؛ فقد سقط أفضل الرجال بين الآخيين،
وأرى أنه لن يحتمل طويلاً طعنة الرمح القوية؛ فأنا فى الواقع
مبعوث الملك ابن زيوس (أبوللون)، حين انطلقت من ليكيا".
هكذا قال فى زهو بالغ، بيد أن الرمح
الحاد لم يغص تماما فى جسد خصمه، الذى ارتد للوراء ووقف أمام ١٠٥
خيوله وعربته، وخاطب سثينيلوس بن كابانيوس قائلا :
"أقبل يا ابن كابانيوس الطيب،
وانزل من العربة، لكى تسحب السهم الحاد من كتفى".
هكذا قال فقفز سثينيلوس من عربته إلى الأرض
ووقف بجانبه وسحب السهم الحاد من كتفه، ١١٠
فانهمر الدم وغطى رداءه ذا الطيات. وشرع
ديوميديس البارع فى صيحة الحرب فى الابتهال قائلا:
"اسمعينى يا أثينة أتريتونى، يا ابنة زيوس، يا ذات الدرع
(أيجيس)، يا من لا يصيبك الوهن ! يامن وقفت بكل
عناية إلى جانب أبى فى خضم حومة الوغى، فافعلى ١١٥

ذلك الآن يا أثينة واشمليني أنا أيضا برعايتك.
إني أستعين بك لكي أقضي على ذلك الرجل الذي أصابني
فاجعليه في مرمى رمحي. إني أبغضه، إذ يتبجح
معلنًا هزيمتي وأني لن أرى شمس النهار الساطعة".
هكذا قال في ابتهال، وسمعته باللاس أثينة فلملمت أوصاله ١٢٠
وقوّت قدميه ويديه، واقتربت منه وهمست إليه بكلمات مجنحة قائلة:
"كن شجاعًا الآن يا ديوميديس لكي تقاتل الطرواديين،
فقد وضعت في صدرك قوة أبيك القوي المقدام،
قوة تيديوس الفارس لابس الدرع الأشهر. وقد
أزلت الغشاوة عن عينيك حتى تميز الإله من الإنسان. ١٢٥
فإذا أتاك إله ما مبتليًا، فلا تقاتل الخالدين وجها لوجه
إلا إذا دخلت أفروديتي ابنة زيوس
المعركة، فعليك أن تطعنها بسيفك البتار". ١٣٠
وانصرفت أثينة ذات العينين الزرقاوين بعد أن قالت ذلك
وعاد ابن تيديوس لينضم من جديد إلى مقدمة المقاتلين؛ وكان
يتلهف من كل قلبه لمنازلة الطرواديين، إذ تملكه الغضب ثلاث ١٣٥
مرات الآن. وكأنه أسد استفزه للغضب راع في الحقل يحرس أغنامه
ذات الصوف الغزير، وهو يقفز فوق أسوار حظيرة الأغنام، ولم
يخمد الغضب الذي استثاره بقوة، ولكنه تخلى عن الدفاع وراح يهاجم ١٤٠
وسط مباني المزرعة، فتبعثرت الأغنام هنا وهناك في فلول هاربة.
ويستشيط الأسد غضبًا ويقفز فوق أسوار الحظيرة العالية.
هكذا وبمثل هذا الغضب يقاتل ديوميديس العظيم الطرواديين. ١٤٥
قتل أستينوؤس وهيبايرون راعي شعبه، ضرب أحدهما في صدره
بطعنة من رمحه البرونزي، وضرب الآخر بسيفه البتار
بجانب كتفه في عظمة الترقوة، ففصل الكتف عن الرقبة والظهر.
ثم تركهما وأسرع ليلاحق أباس وبوليئيدوس بن بوليداماس

الشيخ المسن مفسر الأحلام، فلم يرجعا إلى أبيهما الشيخ ليفسر ١٥٠
لهما أحلامهما، فقد قتلهما ديوميديس. ثم لاحق كسانثوس وثوؤن
ابنى فاينوبس الحبيبين. وكان أبوهما يعانى من أرذل العمر
ولم يرزق بابن آخر يرث أملاكه ويرعاها. قتلهما ديوميديس
وانتزع منهما الحياة الغالية. ولم يترك لأبيهما سوى الحزن والحسرة
حيث لم يرهما ليرحب بعودتهما إليه؛ واقتسم الأقربون ممتلكاته. ١٥٥
وبعد ذلك أسر إخيمون وخروميوس ابنى برياموس بن
داردانوس، وكانا كلاهما فوق عربة واحدة، فكان كأسد قفز فى قلب
القطيع، فهشم رقبة عجل أو بقرة كانا يرعيان فى المرعى وسط الغابة. ١٦٠
هكذا فعل ابن تيديوس، حيث أنزلهما مرغمين بقسوة وعنف مؤلم
من عربتهما وجردهما من السلاح، وأسلم خيولهما لرفاقه ليقتادوها
إلى السفن. ولمحه آينياس وهو يمزق صفوف المحاربين ويخوض ١٦٥
المعركة فى غمار قعقعة الرماح بحثًا عن بانداروس شبيه الآلهة
عسى أن يعثر عليه هنا أو هناك. فوجد ابن ليكاؤن، القوى العتيد
الذى لا نظير له، ووقف أمامه وخاطبه قائلاً: ١٧٠
"أين قوسك الآن يا بانداروس ؟ وأين سهامك المجنحة
بل وأين شهرتك المجيدة ؟ لم يكن هناك قط
على ظهر الأرض من يقف فى وجهك، ولم يكن هناك فى ليكيا
من يزعم بزهو أنه افضل منك. تعال الآن
وارفع يديك مبتهلاً لزيوس، واطلق رمحا على ١٧٥
هذا الرجل أيًا كان ذلك الذى انتصر هكذا وأوقع
الكثير من الأذى بالطرواديين، وقتل الكثيرين من النبلاء؛
إن هو إلا إله ما قد أضمر الغضب على الطرواديين
لسبب يتعلق بالقرابين، فكم هو ثقيل غضب الإله على البشر(*)".

(*) قارن ما قاله سينيكا عن بطش الإله:
Gravis ira regum est; quanto magis dei, qui rex regum !
"ثقيل هو غضب الملوك، وأثقل منه بكثير غضب الإله فهو ملك الملوك".

فرد عليه ابن ليكاؤن المجيد قائلاً: ١٨٠
"أى آينياس، يا مرشد الطرواديين ذوى الدروع البرونزية،
إنى أراه شبيه ابن تيديوس محب القتال شجاع القلب وأعرفه بدرعه
وخوذته المجنحة وحين أنظر إلى خيوله؛ ولكنى لا أعرف يقينا
ما إذا كان إلهًا. وعلى أية حال إذا كان إنسانًا، ذلك الرجل الذى أظنه،
فإن ابن تيديوس طيب القلب ما كان لينزل كل هذا الغضب دون عون ١٨٥
من أحد الآلهة، فهناك أحد الخالدين يقف بجانبه دومًا وتحيط بكتفيه
سحابة هى التى ضللت رمحى السريع بعيدًا عنه. فقد
أطلقت عليه رمحا بالفعل أصاب كتفه الأيمن فاخترق ١٩٠
صدره؛ وحسبت أنى شيعته إلى آيدونيوس، ولكن
هيهات فلم أستطع القضاء عليه. إنه حقا إله غاضب.
ولم تكن لدى عربة ولا خيول أمتطيها مع أن
هناك إحدى عشرة عربة جديدة مجهزة ومطهمة
فى ساحة ليكاؤن؛ تجر كلاً منها خيول تأكل الشعير الأبيض ١٩٥
والحنطة. حقًا عندما انطلقت للمعركة من
قصر ليكاؤن المنيع عهد إلى ذلك المحارب الأشيب بمهام جمة،
إذ أمرنى أن أمتطى صهوة الحصان والعربة،
وأن أهاجم الطرواديين فى معارك طاحنة.
ولكنى لم أطعه. وكان من الأفضل كثيرًا لو فعلت ٢٠٠
لقد تركت الخيول خشية أن يعوزها العلف ولا أجد
ما يشبعها فى حومة الوغى. وجئت على
قدمى إلى إليوس واضعًا كل ثقتى فى قوسى؛
ولكنه لم ينفعنى. وقد أطلقت رمحا أصاب بالفعل ٢٠٥
الزعيمين ابن تيديوس وابن أتريوس فأسال دماءً غزيرة منهما
ولم أجن من ذلك سوى المزيد من غضبهما.
لقد كان من سوء الطالع أنى استليت قوسى المعقوف من جعبتى

في ذلك اليوم. وقدت رجالي من الطرواديين إلى إليوس الجميلة ٢١٠
من أجل إرضاء هيكتور المجيد.
ولكن إذا عدت إلى بيتي لألقى نظرة على بلدي وزوجتي
وقاعات قصري العالي فليفصل أحد الغرباء رأسي عن رقبتي
إذا لم أنزع بنفسي هذا القوس وألقه بيدي في لهب النار ٢١٥
فهو كقبض الريح لا ينفعني في شئ"
فرد عليه آينياس قائد الطرواديين قائلا :
"لا، لا تتحدث هكذا فلن يتحسن الموقف إذا لم
نقد أنا وأنت خيولنا وعربتنا لصد هذا الرجل
ونبتليه بالقتال. بل هيا امتط عربتي لترى من أي نوع ٢٢٠
خيول طروس، البارعة في الركض هنا
وهناك عبر الوديان سواء في الكر أو الفر.
وسيعود الجوادان بنا سالمين إلى
المدينة، إذا منح زيوس المجد لديوميديس بن تيديوس ٢٢٥
مرة أخرى. هيا أقبل وخذ السوط والعنان اللامع وسأنزل
أنا للقتال؛ وإلا فعليك أن تصد هجمته، لأعتني أنا بالخيول"
فرد عليه ابن ليكاؤن المجيد قائلاً :
"أي آينياس لتمسك أنت العنان ولتقد أنت الخيول ٢٣٠
التي ستجر العربة المجوفة على نحو أفضل؛
فمن الأنفع لها أن تجر العربة بقيادة سائقها المعتاد، إذا كان
لابد لنا من الفرار هربًا من ابن تيديوس. أما أنا
فلن أستطيع قيادها، وفي غياب صوتك قد تجفل وتحرن
ولا تخرج بنا من المعركة فينقض علينا ابن تيديوس ٢٣٥
القوي ويقتلنا معًا ويسوق خيولنا ذات الحافر الواحد أسلابًا.
فلتكن أنت قائد عربتك وخيولك، وسأتصدى أنا لهجمة
هذا الرجل برمحي المسنون".

تبادلا هذا الحديث ثم امتطيا العربة المزركشة وقادا الخيول

السريعة ضد ابن تيديوس. فلما لمحهما سثينيلوس بن كابانيوس ٢٤٠

المجيد قال:

"ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا حبيب قلبى، إنى ألمح محاربين

باسلين مهرولين فى لهفة لقتالك، ولا حدود لقوتهما. أحدهما بارع

فى رمى القوس إنه باندروس الذى يزهو بأنه ابن ليكاؤن؛

أما الثانى آينياس، فيفخر أنه من نسل أنخيسيس الذى لا نظير له، ٢٤٥

وأمه أفروديتى. تعال نمتطى العربة ونمضى، أتوسل إليك، ولا تندفع

هكذا فى الصف الأول بين المحاربين الأشاوس كيلا تهلك".

فرد عليه ديوميديس العظيم بنظرة حانقة قائلاً : ٢٥٠

"لا تحدثنى عن الفرار، فلا أظن أنك ستقنعنى.

وليس من شيمتى أن أتسلل منسحبًا من حومة الوغى

أو أن أجبن. فلا تزال قوتى عتيدة. لا نية عندى أن أمتطى ٢٥٥

عربة، بل سأتقدم كما أنا لمواجهتهما؛ فتخاذلى أمر

لا تسمح به باللاس أثينة. أما هذان فإن خيولهما

السريعة لن تعود بهما سالمين من هنا، حتى ولو فر أحدهما

أو الآخر. ولأصارح قلبك بشىء آخر: إذا أرادت (باللاس) ذات ٢٦٠

النصائح الكثيرة أن تمنحنى هذا المجد

بأن أقتل كليهما، فلتبق أنت ممتطيا الخيول السريعة

هنا واربط العنان إلى إطار العربة،

ولا تنس أن تسرع إلى خيول آينياس ولتأخذها من

الطرواديين ولتقدها إلى حشود الآخيين لابسى الدروع.

فهذه الخيول من السلالة التى عوض بها زيوس ٢٦٥

ذو الصوت المدوى فى الآفاق، طروس عن ابنه جانيميديس،

لذا فهى أفضل خيول تحت أشعة الفجر والشمس. وقد سرق

أنخيسيس ملك الرجال عددًا من هذه السلالة وهجن بها فرسانه

دون علم صاحبها لاؤميدون. فولدت له ستة خيول فى قصره من هذه ٢٧٠
السلالة، احتفظ بأربعة لنفسه ورباها فى حظيرته،
وأعطى الاثنين الباقيين مسببى الذعر لآينياس. فإذا
أخذنا هذين الحصانين لأحرزنا مجدًا عريضًا". ٢٧٥

هكذا جرى الحديث بينهما واقتربا (من ديوميديس) وهما يقودان
الخيول السريعة. وكان ابن ليكاؤن المجيد البادىء بالحديث:
"يا ابن تيديوس العظيم، يا ذا القلب الجسور الشغوف بالحرب،
حقا إن سهمى المرير السريع لم يصبك؛ والآن سأجرب رمحى
فلعلى أصيبك". ٢٨٠

قال ذلك وأعد رمحه طويل الظل وأطلقه فأصاب درع
ابن تيديوس؛ فاخترق البرونز حتى حزام الخصر.
فصاح به ابن ليكاؤن المجيد قائلاً :
"لقد أصبت بطنك مباشرة وأظن أنك لن تحتمل طويلاً وقد منحتنى
مجدًا عظيمًا". ٢٨٥

فرد عليه ديوميديس المجيد دون أية بادرة من خوف وقال:
"بل أخطأت فلم تصبنى. وأرى أن كليكما لن تكفا حتى يسقط
أحدكما أو الآخر صريعا فيتخم بدمه آريس المحارب ذا الدرع المحكم". ٢٩٠

هكذا كان يصيح وهو يصوب رمحه، ووجهت أثينة الرمح إلى
أنف (ابن ليكاؤن) بجانب عينه، فاخترق أسنانه البيضاء. أصاب
الرمح لسانه عند المنبت فبرزت أسنانه أسفل الذقن. فسقط عن العربة
ومن فوقه درعه، وارتعدت الخيول السريعة، وتنحت جانبا، ٢٩٥
وهناك خارت قواه وفاضت روحه. أما آينياس فقد قفز بدرعه وأمسك
برمحه الطويل متأهبًا، خشية أن يسحب الآخيون جثة الميت منه.
ووقف فوق الجثمان كأنه أسد شديد الثقة فى قوته، ممسكا بدرعه ٣٠٠
ورمحه بثبات وتوازن، متلهفًا لقتل
كل من تسول له نفسه أن يتقدم ليخطف الجثة، وأخذ

يطلق الصيحات الرهيبة. لكن ابن تيديوس
أمسك بحجر – لا يستطيع رجلان رفعه،
ومع ذلك فقد سيطر عليه بمفرده – ياله من عمل خارق ! ٣٠٥
وأصاب به آينياس أعلى الفخذ حيث يلتقى الفخد
بالمؤخرة – أى عند "الكأس" كما يقول الرجال.
فهشم عظمة الكأس وحطم أيضًا عظام الحوض،
ومزق الحجر جلده. فانكفأ المحارب على ركبتيه متكئًا على يديه،
وأطبق ظلام الموت الدامس على عينيه. ٣١٠
كاد آينياس ملك الرجال أن يهلك لولا أن أسرعت أفروديتى ابنة زيوس
التى أنجبته لأنخيسيس وهو يرعى قطعانه. ففتحت
ذراعيها البيضاوين لابنها الحبيب وغطته
بثنية من ردائها ليكون له درعًا يحميه من ٣١٥
القذائف، خشية أن يصيبه أحد الدانائيين
ذوى الخيول السريعة برمح برونزى فى صدره
فيهلكه. ثم حملت ابنها الحبيب بعيدًا عن
حومة الوغى. لكن ابن كابانيوس (سثينيلوس) لم ينس
الأوامر التى كلفه بها ديوميديس البارع ٣٢٠
فى صيحة القتال. فأبعد جواده ذا الحافر
الواحد عن المعركة، وربط العنان إلى إطار
العربة وهرع إلى خيول آينياس وأخذها
من الطرواديين إلى حشود الآخيين وسلمها لدايبيلوس رفيقه ٣٢٥
العزيز الذى هكذا فضله بالتكريم على كل رفاق شبابه، إذ كان
مقربًا إلى نفسه؛ وأمره بالإسراع
إلى السفن المجوفة. ثم امتطى المحارب عربته
وأمسك بالعنان اللامع وقاد خيوله سعيا
إلى ابن تيديوس. الذى مضت فترة وهو يبحث برمحه ٣٣٠

البرونزى الذى لا يرحم عن كيبريس (القبرصية)(*) مدركًا أنها
إلهة ضعيفة وليست من الإلهات المحاربات التى تسود
فى المعارك؛ فهى ليست أثينة ولا إنيو(**)
محطمة المدن. فلما عثر عليها بعد لأى
فى خضم الحشود، رماها ابن تيديوس المجيد ٣٣٥
برمحه الحاد ووثب إليها، وجرح سطح يدها الرقيقة، فمزق الرمح
رداءها الأمبروسى (الإلهى) الذى صنعته لها إلهات الرشاقة
الثلاث الخاريتيس، واخترق الرمح الجلد عند رسغها
فوق راحة اليد فسال الدم الإلهى من الإلهة، كما يتدفق ٣٤٠
فى الآلهة المباركين؛ فهم لا يأكلون الخبز ولا يشربون
النبيذ. لذا فلا تجرى فى عروقهم الدماء العادية ويسمون بالخالدين.
صرخت صرخة مدوية وتركت ابنها يسقط،
فالتقطه فويبوس أبوللون بين ذراعيه وأنقذه فى
سحابة داكنة خشية أن يطعنه أحد الدانائيين ٣٤٥
برمح برونزى فى صدره فيودى بحياته.
بيد أن ديوميديس البارع فى صيحة الحرب صاح فيها قائلاً:
"ابتعدى يا ابنة زيوس عن ساحة الحرب والضرب
ألا تكفيك غواية النساء الضعيفات ؟
أما إذا اقتربت من ساحة الحرب فتذكرى أنك ستصابين ٣٥٠
بالهلع من مجرد سماع اسمها ولو من بعيد".
هكذا قال، فانصرفت يركبها الفزع والحزن؛ فأخذتها
إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح بعيدًا
عن الحشود. كانت تتألم وقد غطى الدم جلدها حتى اسودّ لونه.

(*) منذ بداية "الإلياذة" هذه أول مرة يذكر لقب أفروديق هذا "القبرصية" (كيبريس) مما جعل بعض النقاد يؤرخون هذا الكتاب بفترة زمنية تالية لتأليف بقية الكتب. وقارن الكتاب الخامس عشر ٦٣٨. (المحرر)

(**) إنيو Enyo هى التى اعتبر الدارسون إلهة الحرب الرومانية القديمة بيللونا Bellona مقابلاً لها واعتبرها بعض الشعراء المتأخرين أم آريس. (المحرر)

وسرعان ما صادفت آريس الثائر يقف على يسار ٣٥٥
أرض المعركة، وكان رمحه يتكىء على سحابة،
ممسكا فى يده بعنان جواديه السريعين.
فجثت على ركبتيها وأخذت تتوسل وتطلب
من أخيها خيوله المغطاة جبينها بعصابات ذهبية قائلة :

"أنقذنى يا أخى الحبيب وأعطنى خيولك عسى أن أصل بها إلى ٣٦٠
الأوليمبوس حيث مساكن الخالدين. إذ يعتصرنى الألم من جرح أصابنى
به رجل فإن هو ابن تيديوس، الذى قد يشعل حربًا على زيوس
الأب نفسه".

هكذا قالت فقدم لها آريس جواديه وعليهما العصابات الذهبية؛
فامتطت العربة بقلب مضطرب وركبت بجانبها إيريس، ٣٦٥
وأمسكت بالعنان فى يديها وضربت الجياد بالسوط حتى تتحرك،
فركض الجوادان حتى بلغا مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق؛
وهناك أوقفت إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح ٣٧٠
الجوادين وفكت قيودهما عن العربة، ووضعت أمامها
العلف الأمبروسى؛ وجثت أفروديتى الجميلة على ركبتى أمها
ديونى(*). التى احتضنت ابنتها بين ذراعيها وربتت
عليها بيدها وقالت لها :

"من من ابناء السماء يا طفلتى الحبيبة أساء إليك على
هذا النحو، كما لو أنك ارتكبت منكرًا أمام أعين الجميع ؟" ٣٧٥

فردت عليها أفروديتى صاحبة الابتسامة الجميلة قائلة:

"جرحنى ديوميديس بن تيديوس، لأنى كنت أحمل ابنى الحبيب،
آينياس أحب البشر لدى، بعيدًا عن ساحة الوغى. فلم تعد الحرب حربًا
بين الطرواديين والآخيين؛ إذ يقاتل الآن الدانائيون الخالدين". ٣٨٠

فردت عليها ديونى الإلهة الجميلة قائلة :

(*) لم تذكر ديونى Dione عند هوميروس إلا فى هذا الموضع. (المحرر)

"هدئى من روعك يا ابنتى، وصبرًا على كل ما تعانين؛
فكم عانى كثير منا نحن آلهة الأوليمبوس على أيدى البشر
وهم يجلبون الآلام لبعضهم البعض .
فهكذا عانى آريس عندما قام أوتوس وإفيالتيس ٣٨٥
العظيم ولدا ألويوس بحبسه فى الأصفاد القاسية. وظل
راقدًا فى إناء نحاسى لمدة ثلاثة عشر شهرًا. وهكذا
أوشك آريس المتعطش للحروب على الهلاك، لولا أن
جاءت إيريبويا الجميلة زوجة الأب
وأنبأت هرميس؛ فأخذ آريس خلسة وكان فى حزن ٣٩٠
شديد لأن الأصفاد كانت أقوى منه. وهكذا أيضًا عانت
هيرا عندما أصابها ابن أمفيتريون العظيم (هرقل) فى صدرها
الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات؛ ثم أصابها أيضا ألم
لم يهدأ أبدًا. وهكذا عانى هاديس المتوحش من بقية
سهم مسموم عندما أصابه هذا الرجل هيراكليس (هرقل) نفسه ٣٩٥
ابن زيوس لابس الدرع أيجيس فى بيلوس وسط
الموتى وتركه للآلام. ولكنه ذهب إلى مقر زيوس وإلى
الأوليمبوس الشاهق بالحزن فى قلبه والآلام فى جرحه؛ فقد
اخترق الرمح كتفه القوى فأصاب روحه بالحزن. لكن بايون نثر ٤٠٠
عليه عشبًا مداويًا فشفاه؛ فهو لم يكن من سلالة الفانين.
الطائش مرتكب العنف هو الذى لا يتوقف
عن أعماله الشريرة، فهو بسهامه يثير حنق
الآلهة صاحبة السيادة على الأوليمبوس. وعليك أطلقت الإلهة ٤٠٥
أثينة ذات العيون الزرقاء هذا الرجل الأحمق؛
فعقل ابن تيديوس لا يدرك أن الفانى لا يحتمل قتال
الخالدين لمدة طويلة، ولا ابناؤه يثرثرون عند
قدميه عندما يعود من الحرب والنزال المميت.

والآن دعى ابن تيديوس مهما كان باسلاً ٤١٠
دعيه يقاتل من هو أقوى منك، أخشى أن توقظ أيجياليا زوجته ابنة
أدراستوس كل أهل بيتها من نومهم
بالعويل الطويل والنحيب الحزين على زوجها أفضل
رجال الآخيين، زوجها ديوميديس مروض الخيول". ٤١٥

هكذا قالت ثم بكلتا يديها أزالت الدم من فوق الذراع،
فشفى الذراع وهدأت حدة الآلام. ولكن أثينة وهيرا
بعد أن شاهدتا ما حدث استثارتا غضب زيوس بن كرونوس
بساخر الكلام. وكانت أثينة ذات العيون الزرقاء هى البادئة بالقول: ٤٢٠

"أبى زيوس، هل ستغضب علىَّ بسبب ما أقول ؟
يبدو أن كيبريس (القبرصية) هى التى أغوت إحدى نساء الآخيين
على اللحاق بالطرواديين الذين تحبهم الآن
إلى أقصى حد؛ وبينما هى تغوى إحدى نساء آخايا ذات الرداء الجميل ٤٢٥
وتضرب بيديها على دبوسها الذهبى خدشت يدها الرقيقة".

هكذا قالت، لكن أبا البشر والآلهة ابتسم ونادى أفروديتى
الذهبية قائلاً:

"لم تعهد إليك يا طفلتى شئون الحرب؛
وعليك متابعة أمور الزواج المحببة،
أما كل تلك المهام فهى من شأن آريس السريع وأثينة". ٤٣٠

هكذا تحدث كل منهم إلى الآخر، أما ديوميديس البارع فى صيحة
الحرب فقد انقض على آينياس، مع علمه أن أبوللون نفسه
كان يحميه بذراعيه؛ إلا أنه لم يكن يرهب حتى هذا الإله الكبير،
وكان لا يزال يتلهف على قتل آينياس وسلب أسلحته المجيدة. ٤٣٥
وهاجمه مرات ثلاث وكاد أن يفتك به وصده أبوللون بدرعه اللامع
ثلاث مرات. ولكن عندما هاجمه للمرة الرابعة كأنه إله،
توجه إليه أبوللون بصيحة رهيبة دوت أصداؤها من بعيد:

"تعقل يا ابن تيديوس، وامض بعيدًا ! لا تظن أنك ٤٤٠
ستصير مثل الآلهة. فليس هناك ما يوحد بين سلالة الآلهة الخالدين
وسلالة البشر الذين يمشون على الأرض".
هكذا خاطبه فتراجع ابن تيديوس إلى الخلف
ليتحاشى أن يصيبه غضب أبوللون من بعيد.
ثم عزل أبوللون آينياس عن الحشد وذهب به إلى برجاموس المقدسة ٤٤٥
التى بنى فيها معبده. وهناك قامت ليتو وأرتميس ربة القوس بعلاجه
فى المعبد الفسيح ومنحاه المجد؛ لكن أبوللون صاحب القوس الفضى
صنع طيفًا على شاكلة آينياس ودرعًا على
شاكلة درعه؛ وحول هذا الطيف شرع الطرواديون ٤٥٠
والآخيون شبيهو الآلهة يضرب كل منهم
على صدر الآخر، وعلى التروس المستديرة
والمصنوعة من جلد الثور وعلى الدروع المتطايرة بشدة.
ثم تحدث فويبوس أبوللون إلى آريس السريع قائلا:
"أى آريس، يا آريس أنت يا مهلك البشر، أيها الملطخ بالدماء ٤٥٥
العاصف بالأسوار، ألن تدخل ساحة المعركة لكى تسحب منها هذا
الرجل، ابن تيديوس الذى على وشك أن يحارب زيوس الأب نفسه ؟
فهو بداية أصاب كيبريس (القبرصية) بجرح فى رسغها فى
التحام مباشر، ثم شرع يهاجمنى أنا نفسى وكأنه إله".
هكذا قال ثم أجلسه بنفسه على قمة برجاموس وتسلل آريس الفتاك
إلى وسط صفوف الطرواديين، وأخذ يحثهم متخفيًا فى هيئة ٤٦٠
أكاماس الشجاع قائد الطراقيين. واستدعى ابناء برياموس الذين
رباهم زيوس وقال :
"يا أبناء بريامـوس الملك ربيب زيوس،
إلام تتركون الآخيين يقتلون حشودكم ؟ هل ٤٦٥
سيظل الأمر كذلك إلى أن يقاتلوا عند بواباتنا المحكمة ؟

إن رجلاً نكرمه كما نكرم هيكتور الباسل
يعانى، إنه آينياس بن أنخيسيس المغوار.
هلموا ننقذ رفيقنا النبيل من مأزق الصراع".
بهذا القول رفع عاليًا روح كل رجل وقواها ٤٧٠
فهب ساربيدون يوبخ هيكتور الإلهى بشدة قائلا:
"أين ذهبت القوة التى كانت لك
من قبل يا هيكتور؟ كنت قد قلت من قبل إنك
بدون الحشود والحلفاء ستدافع عن المدينة وتصمد
وحدك بعون من أزواج شقيقاتك وإخوتك؛ ولا أجد أحدًا ٤٧٥
من هؤلاء الآن، فهم يتقاعسون كما تتقاعس الكلاب
حول الأسد. نحن الذين نقاتل، ونحن مجرد حلفاء لكم.
وما أنا إلا حليف جاء من بعيد؛ من ليكيا
عند كسانثوس الفياض، حيث تركت زوجتى الحبيبة
وابنى الرضيع وثروتى الكبيرة التى يطمع فيها كل ٤٨٠
إنسان. ومع ذلك فإنى أستنفر أهل ليكيا، وأنا
نفسى أتلهف على قتال العدو، مع أنه ليس لى هنا ما أملكه
مما يطمع الآخيون فى سلبه ونهبه؛ أما أنت فلا تتحرك ولا حتى تحض
حشودك على الصمود والدفاع عن زوجاتهم. ٤٨٥
فاحذر لنفسك ولهم، كيلا تقعوا
فى خيوط الفخ المحبوكة جيدًا لتسقطوا فرائس وغنائم
فى أيدى أعدائكم؛ وسيحطمون فورًا مدينتكم العامرة
بسكانها. ينبغى أن يكون هذا شغلكم الشاغل ليل نهار. وينبغى أن ٤٩٠
تتوسلوا إلى قادة حلفائكم الأماجد لكى يثبتوا فى مواقعهم
ويصمدوا دون خوف عليكم، وبذلك تتجنبون التأنيب العنيف".
هكذا قال ساربيدون، وأصاب كلامه قلب هيكتور فى الصميم.
فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وأخذ يلوح برمحيه المسنونين، ٤٩٥

وهو يجرى فى كل اتجاه وسط الحشود ويحث الرجال على القتال
فأثار صخب المعركة. إذ احتشدوا وأخذوا مواقعهم
وولوا وجوههم صوب الآخيين؛ وصمد الأرجيون أمام
هجمتهم فى حشود كبيرة ولم يفروا. وكما تسوق الريح
قش الغلال إلى أرض الحصاد المقدسة، عندما
يذروها الرجال فى وجه الريح، ٥٠٠
فتفصل ديميتر ذات الشعر الذهبى الحبوب عن
القش وسط هبات الريح القوية، وتعلو
أكوام الغلة البيضاء وتتزايد. هكذا الآخيون أنفسهم
تزداد رءوسهم وأكتافهم بياضًا تحت سحابة الغبار التى تثيرها
حوافر الخيل بين المحاربين لتصل إلى عنان السماء البرونزية. ٥٠٥
لقد اشتبك الجمعان مرة أخرى، وأدار سائقو العربات عجلاتهم.
مشددين قبضة أيديهم على العنان، وغطى آريس السريع
أرض المعركة بضباب كثيف لمساعـــدة الطرواديين
المندفعين فى كل اتجاه؛ وبذلك حقق وصية فويبوس
أبوللون ذى السيف الذهبى الذى أمره بتقوية روح الطرواديين
عندما رأى باللاس أثينة ترحل، فقد ٥١٠
كانت هى التى تمد يد العون للدانائيين. وقام أبوللون
نفسه بإرسال آينياس من معبده الثرى
ونفث الشجاعة فى صدره باعتباره راعى الحشود. وأخذ
آينياس موقعه وسط رفاقه المحاربين ففرحوا حين
رأوه قادما لينضم إليهم حيا وسليما مفعمًا بالشجاعة. ولكنهم لم ٥١٥
يسألوه عن شىء فقد شغلتهم متاعب من نوع آخر، أى تلك
التى أثارها صاحب القوس الفضى وآريس مرعب
الفانين، وإلهة الشقاق إريس التى انطلقت دون أن يعوقها عائق.
وعلى الجانب الآخر كان الثنائى أياس وأوديسيوس وديوميديس ٥٢٠

يحرضون الدانائيين على القتال؛ فهم لم يرهبوا عنف الطروادبين
وهجماتهم، بل صمدوا فكانوا مثل السحب
التى جمعها ابن كرونوس ثابتة بلا حراك فوق قمة الجبل
حيث الجو ساكن، حين تهدأ قوة ريح الشمال بورياس، وتهجع
الريح الثائرة الأخرى التى تهب وتزمجر فتتفرق السحب ٥٢٥
الظليلة هنا وهناك. وصمد الدانائيون للطرواديين ولم يهربوا.
وجال ابن أتريوس بين الجموع مرددًا أوامره قائلاً:

"كونوا رجالاً يا أصدقائى، ولتتشجع قلوبكم، وليستح كل منكم
من الآخر فى هذه المعركة الطاحنة. فأغلب الرجال ذوى الحياء ٥٣٠
ينجون ولا يهلكون، أما من دأبوا على الفرار فلا يرجى منهم مجد
ولا دفاع".

قال ذلك ثم صوب رمحه فأصاب محاربًا فى المقدمة، أحد
رفاق آينياس الهمام، إنه ديكوؤن بن برجاسوس الذى يبجله
الطرواديون كما يبجلون ابناء بريامزس لسرعته فى ٥٤٠
القتال فى المقدمة. أصابه أجاممنون الملك برمحه فى درعه الذى لم
يصد الرمح، بل نفذ من البرونز إلى أسفل البطن مخترقا الحزام؛
فهوى وهو يصرخ صرخة مكتومة وسقط درعه فوقه. ٥٤٠
ثم فتك آينياس باثنين من أبطال الدانائيين هما كريثون وأورسيلوخوس
ولدا ديوكليس الذى كان يقيم فى فيرى(*) المنيعة، كان ثريًا منحدرًا
من نسل إله النهر ألفيوس ذى المجرى العريض عبر أرض البيليين، ٥٤٥
أنجب ألفيوس أورسيلوخوس ليكون ملكًا على رجال
كثيرين. وأنجب أورسيلوخوس ديوكليس
سامى الروح، وولد لديوكليس توأم من الابناء
هما كريثون وأورسيلوخوس (أورتيلوخوس) (**)، وهما بارعان ٥٥٠

(*) تقع فيرى Phere فى ميسينا Messene.
(**) يرد هذا الاسم أحيانًا على هيئة أورتيلوخوس Ortilochos، كما ورد عند زينو دوتوس. (المحرر)

في كل فنون القتال. والآن عندما بلغ الاثنان مبلغ الرجال، جاءا
مع الأرجيين على السفن السوداء إلى إليوس الشهيرة بخيولها سعيًا وراء
الفوز بتكريم ولدى أتريوس أجاممنون ومينيلاؤس؛ إلا أن الموت
المشئوم طواهما على تلك الأرض. كانا مثل أسدين يربضان على قمة ٥٥٥
الجبل ربتهما أمهما في غابة كثيفة؛
كانا يفترسان الماشية والأغنام وينشران
الدمار في المزارع، حتى قتلا بسيوف برونزية بتارة،
هكذا فتك آينياس بالتوأم فسقطا مثل شجرتي الصنوبر الشاهقتين. ٥٦٠
حزن مينيلاؤس المحب للقتال عليهما وقد سقطا على أرض المعركة،
فاخترق مقاتلي الصفوف الأولى شاهرًا سيفه
البرونزي البتار وملوحًا برمحه؛ وقوى آريس شديد البأس
روح هذا البطل حتى لا يقتل على أيدي آينياس. لكن أنتيلوخوس ٥٦٥
بن نيستور المقدام رآه فشق طريقه بين
مقاتلي المقدمة؛ فقد كان يخاف على راعي الحشود
خشية أن يناله مكروه، فيحبط كل جهودهم.
كان الاثنان يرفعان أيديهما بالرماح
الواحد ضد الآخر، وكانا على وشك الالتحام، فاقترب ٥٧٠
أنتيلوخوس من راعي الحشود. ولم يصمد آينياس طويلاً،
مع أنه كان محاربًا هماما، عندما رأى الاثنين يقفان بثبات
جنبًا إلى جنب؛ بل سحبا الجثتين (كريتون وأورسيلوخوس)
نحو حشود الآخيين ووضعاهما في أيدي
رفاقهما ثم عادا ليقاتلا وسط الصفوف الأولى. ٥٧٥
ثم قتلا بيلايمينيس ند آريس وقائد لابسي الدروع
البافلاجونيين الأشاوس. كان يقف راسخًا فطعنه مينيلاؤس
بن أتريوس الشهير برمحه، حيث أصاب الرمح عظمة الترقوة.

وصوب أنتيلوخوس رمحه على حامل ٥٨٠
دروعه وسائق عربته ميدون ابن أتيمنيوس
القوى، عندما كان يقود الخيول ذات الحافر الواحد.
فأصابه بحجر فى كوعه؛ فسقط العنان الأبيض العاجى
من يده على الأرض فى التراب . انقض أنتيلوخوس ٥٨٥
عليه وطعنه بسيفه فى صدغه فسقط من عربته المحكمة
على رأسه وكتفيه وهو يلفظ أنفاسه فى التراب.
وظل كذلك لمدة طويلة راقدًا فوق حفرة رملية
إلى أن ركلته الخيول وألقت به إلى
التراب؛ ضربها أنتيلوخوس بالسوط وقادها إلى حشود الآخيين.
وعندما لمح هيكتور المحاربين من وسط الصفوف أسرع ٥٩٠
نحوهم وهو يصيح صيحات مدوية وتبعته فرق الطرواديين
القوية، يقودها آريس وإنيو(*) الرهيبة حيث جاءت
ومعها صخب الحرب (كيدويموس)، بينما أمسك آريس فى يده
برمح ضخم وأخذ يحوم أمام هيكتور ووراءه. وعندما لمحه ٥٩٥
ديوميديس البارع فى صيحة الحرب أصابه الهلع؛ كان مثل رجل
يعبر واديًا فسيحًا توقف فى فزع عند النهر جارف
التدفق نحو البحر، حيث رآه يرغى بالزبد
فبدأ يتراجع. فحتى ابن تيديوس تراجع الآن وقال للحشود :
"انظروا يارفاقى كيف كنا أقرب إلى التغلب على هيكتور الإلهى ٦٠٠
وكنا نظنه رجلاً محاربًا بالرمح لا خوف منه، ولكن إلهًا ما يقف بجانبه
ويصد عنه الهلاك؛ إنه آريس على هيئة بشرى فان. فتراجعوا إلى
الوراء ووجوهكم نحو الطرواديين دون أن تندفع فى الحرب ضد الآلهة" ٦٠٥
بعد أن قال ذلك اقترب الطرواديون منهم بشدة، فقتل هيكتور
اثنين من المقاتلين شديدى المراس فى النزال، وهما

(*) قارن أعلاه بيت ٣٣٣. (المحرر)

مينيستيس وأنخيالوس. وكانا يمتطيان عربة واحدة.
فلما قتلا حزن عليهما أياس بن تيلامون فاقترب منهما وأصاب ٦١٠
برمحه المتألق أمفيوس بن سيلاجوس
من سكان بايسوس. إنه رجل ذو مال وفير
وله من حقول الغلال الكثير؛ لكن القدر
ساقه حليفًا لبرياموس وابنائه. أصابه أياس التيلامونى ٦١٥
فى خصره واستقر الرمح طويل الظل فى أسفل بطنه،
فسقط وهو يصرخ صرخة مكتومة. وأسرع إليه أياس
المجيد ليجرده من أسلحته، ولكن الطرواديين
قذفوه برماحهم المسنونة ذات البريق وصد درعه الكثير منها. ٦٢٠
ولكنه ثبت قدمه على الجثمان وسحب الرمح البرونزى،
ولكنه لم يستطع نزع بقية سلاحه من
الكتفين، حيث تلقى الكثير من القذائف. كما أنه
كان يخشى المدافعين الطرواديين، فقد حاصره حشد من
أشاوسهم برماحهم المشهرة، ومع أنه طويل القامة قوى البنيان، ٦٢٥
إلا أنهم دفعوه للخلف؛ وتراجع إلى الوراء وتقهقر.
كان القتال على أشده وساق القدر العنيد تليبوليموس
بن هيراكليس (هرقل)، وهو رجل باسل
طويل القامة، لملاقاة ساربيدون شبيه الآلهة.
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما نحو الآخر، ابن زيوس جامع السحب ٦٣٠
وحفيده، كان تليبوليموس البادىء بالحديث فقال :
"أى ساربيدون يا مسدى المشورة بين أهل ليكيا،
ما الذى أتى بك إلى هنا إلى أرض المعركة
وأنت لا تتقن فن الحرب ؟ كذابون من يقولون إنك من نسل زيوس ٦٣٥
حامل الدرع أيجيس. إذ أراك اليوم أقل شأنًا
من أولئك المحاربين الذين أنجبهم زيوس فى

الزمن القديم. يقولون إن هيراكليس (هرقل) المجيد أبى
كان نوعًا آخر من الرجال، قويًا فى القتال، له قلب
أسد. وجاء إلى هنا ذات مرة طلبًا لخيول ٦٤٠
لاؤميدون، ولم يكن معه سوى ست سفن
وعدد أقل من الرجال، ولكنه دمر مدينة إليوس
وخرب طرقاتها. أما أنت فجبان القلب
وقليل حشدك. مجيئك من ليكيا لتدافع
عن أهل طروادة بلا طائل، فأنت لست قويا، بل ٦٤٥
سأقهرك لتعبر بوابات هاديس".

فأجابه ساربيدون قائد الليكيين قائلاً:

"أى تليبوليموس، حقا إن أباك ذلك البطل الأشهر دمر إليوس
المقدسة بسبب رعونة سيدها لاؤميدون الذى
أغلظ القول لمن قدم له جميلاً معروفًا ٦٥٠
ولم يعطه الخيول التى كان قد جاء من أجلها من بعيد.
أما فيما يتعلق بك أنت، فأظن أن موتك ذلك المصير الأسود سيكون
على يدى، وهزيمتك برمحى ستمنحنى المجد
وسترحل روحك إلى هاديس ذى الخيول الأصيلة." ٦٥٥

هكذا قال ساربيدون، وشهر تليبوليموس رمحه عاليًا، وانطلقت
الرماح الطويلة من أيدى كل منهما صوب الآخر فى لحظة واحدة.
فأصابه ساربيدون فى رقبته واخترقه الرمح
وغطى ظلام الليل الحالك نور عينيه وأحاط به.
أما تليبوليموس فضرب ساربيدون فى فخذه الأيسر
برمحه الطويل، ونفذ الرمح إلى العظم؛ لكن أباه ٦٦٠
كان لا يزال يصد عنه الموت. ثم قام رفاقه الطيبون
بحمل ساربيدون شبيه الآلهة بعيدًا عن ساحة الوغى،
وكان الرمح الطويل يثقله، لكن لم يلحظه أحد

من الرجال فى عجلتهم، ولم يفكر أحد فى سحب الرمح من فخذه
لكى يقف على قدميه؛ فقد استغرقتهم العناية به. ٦٦٥
وعلى الجانب الآخر، حمل الآخيون لابسو الدروع المتينة
تليبوليموس بعيدًا عن أرض المعركة، ولما علم أوديسيوس الإلهى
ذو الروح الصبور بالأمر ثارت روحه بالغيظ
فى داخله، وقلب فى قلبه وروحه الفكرة ما إذا ٦٧٠
كان عليه أن يلاحق ابن زيوس مرسل الرعد المدوى،
أم عليه أن يحصد أرواح المزيد من الليكيين،
فلم يكن من العسير على أوديسيوس المغوار أن يقتل ابن زيوس
الصنديد بسيفه البرونزى البتار؛ فحولت أثينة انتباهه ٦٧٥
إلى حشود الليكيين. ففتك بكل من كويرانوس وألاستور وخروميوس
وألكاندروس وهاليوس ونوئيمون وبريتانيس؛
وكان بوسع أوديسيوس الإلهى أن يقتل
المزيد من الليكيين، لكن هيكتور العظيم ذا الخوذة اللامعة ٦٨٠
رأى ذلك فشق طريقه نحو مقاتلى
الصفوف الأولى المدججين بالسيوف البراقة
فألقى الرعب فى قلوب الدانائيين. وفرح ساربيدون
بن زيوس بقدومه وقال له كلمات تثير الشفقة :
"يا ابن برياموس، لا تتركنى راقدًا هنا فريسة للدانائيين، بل ٦٨٥
مد لى يد العون واحملنى بعيدًا؛ وبعد ذلك إن أملت الضرورة دع روحى
تفارقنى فى مدينتك. فلا أظن أننى سأعود
إلى بلادى وإلى أرضى لأدخل السرور على
زوجتى الحبيبة وطفلى الرضيع".
٦٩٠ هكذا قال، لكن هيكتور ذا الخوذة اللامعة لم يرد عليه، بل انطلق
فى لهفة وبكل سرعة ليطعن الأرجيين ويحصد
أرواح الكثيرين منهم. ثم قام الرفاق الطيبون بمساعدة

ساربيدون شبيه الآلهة على الجلوس تحت شجرة
بلوط من أشجار زيوس حامل الدرع أيجيس؛
وسحب بيلاجون القوى والرفيق الحبيب الرمح من فخذه، فلم ٦٩٥
تتحمل روحه وحط الضباب على نور عينيه.
ولكنه عاود التنفس مرة أخرى،
حيث هبت نسمة من ريح الشمال بورياس عليه وبعثت فيه الحياة
من جديد بعد أن كان قد لفظ روحه على نحو حزين.
لم يول الآرجيون الأدبار نحو السفن السوداء، أمام هجمة آريس ٧٠٠
وهيكتور المدججين بالبرونز ولم يصمدوا فى المعركة،
بل تراجعوا إلى الوراء عندما أدركوا أن آريس كان مع الطرواديين.
من كان أول من قتل ومن كان الأخير على يد هيكتور
بن برياموس وآريس لابس البرونز ؟ تيوثراس شبيه الآلهة، ٧٠٥
وبعده أوريستيس قائد الخيول، وتريخوس رماح آيتوليا، وأوينامؤس
وهيلينوس بن أوينوبس، وأوريسبيوس الذى كان يسكن فى هولى على
بحيرة كيفيسيس(*) يرعى ثروته. وكان يسكن معه
البويوتيون الآخرون ذوو الأرض الغنية.
وحين علمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض بهم وبما ٧١٠
أحدثوا من خراب بين الأرجيين فى القتال الطاحن،
خاطبت أثينة بكلمات مجنحة :
"يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى ! حقا كان
سدى أن أعطينا كلمتنا لمينيلاؤس ألا يعود إلى بلاده حتى يدمر ٧١٥
إليوس منيعة الأسوار، إذا سمحنا هكذا لآريس اللعين
أن يعربد فى غضبه المجنون. لنفكر نحن الاثنتين فى عمل شجاع".
هكذا قالت ولم تتوان الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
فى تلبية رغبتها. ثم راحت هيرا، الملكة ابنة كرونوس ذى الجلال، ٧٢٠

(*) كيفيسيس Kephisis كان الاسم القديم لبحيرة كوبايس Kopais فى بويوتيا. (المحرر)

تطوف هنا وهناك لتجهز الخيول ذات العصابات الذهبية،
ووضعت هيبى بهمة العجلات البرونزية المقوسة
ذات الثمانية برامق على محور العربة الحديدى.
وكانت الحلقة المستديرة حول العجلة ذهبية لا تصدأ ولا تبلى
يغطيها إطار برونزى، هكذا كان منظرها أعجوبة. ٧٢٥
أما صرر العجلات ففضية تلف على هذا الجانب وذاك؛
وكان هيكل العربة مطليًا بالذهب وعروق الفضة،
وتحيط به حافتان مزركشتان. ومن الهيكل خرج عمود فضى،
ربطت هيبى فى طرفه النير الذهبى الجميل، ولفت حوله ٧٣٠
الأحزمة الذهبية البهيجة؛ وشدت هيرا
الخيول السريعة إلى نير العربة، وكانت تواقة إلى
القتال وصيحات الحرب .

أما أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس فقد تركت طيات ردائها
الفضفاض الناعم المطرز تتدلى على عتبات أبيها،
ذلك الرداء الذى حاكته بيديها. وارتدت عباءة زيوس جامع السحب، ٧٣٥
وحشدت الحشود ذات الدروع متأهبة لخوض معركة فتاكة
وضعت على كتفيها الدرع (أيجيس) ذا الذؤابات،
إنه درع رهيب رسم عليه إله الرعب (فوبوس)
وربة الشقاق إريس، وإلهة القوة ألكى، وربة الهجوم يوكى ٧٤٠
التى تجمد الدم فى العروق. وعليه رسم رأس
الجورجونة(*) الرهيب معجزة زيوس حامل الدرع أيجيس.
وضعت على رأسها الخوذة ذات القرنين، وبها
أربع عقد من الذهب وعليها رجال مدججون بالسلاح

(*) الجورجونة Gorgo(n):
ومعناها الحرفى "المتجهمة". ويتحدث هيسيودوس عن ثلاث جورجونات هن: يوريــالى (Euryale) وسثينو (Stheino) وميدوسا (Medusa) والأخيرة هى أشهرهن، وهى المنقوشة على درع أثينة ، وكانت تحول من ينظر إليها إلى حجر.

من مئة مدينة. ثم امتطت العربة النارية
وأمسكت برمحها الطويل القوى الضخم، الذى ٧٤٥
به تشتت صفوف المحاربين ممن
تصب جام غضبها عليهم، فهى ابنة الإله الجبار.
لمست هيرا الخيول بالسوط وصرخت فى حارسات
بوابات السماء هوراى القائمات على حراسة مدخل
السماء الأوليمبوس، حيث يفتحن السحب الكثيفة ٧٥٠
أو يغلقنها. وقادت هيرا وأثينة خيولهما المدفوعة بالمنخاس
عبر البوابات التى تتحرك ذاتيًا وتصدر صريرًا. ووجدت الإلهتان ابن
كرونوس جالسا فى خلوة بعيدًا عن سائر الآلهة على قمة جبل
الأوليمبوس كثير القمم. فأوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض ٧٥٥
الخيول وسألت زيوس الأعلى ابن كرونوس قائلة :

"أى زيوس الأب، ألا تغضب على آريس بسبب أفعاله
العنيفة المشينة ؟ لقد حطم الكثيرين من الآخيين دون هوادة ودون توقف
فسبب الحزن الشديد لى. وفى نفس الوقت فإن كيبريس (القبرصية)
وأبوللون ذا القوس الفضى يجلسان فى هدوء ويستمتعان ٧٦٠
وقد تركا هذا المجنون يعيث قتلاً ودون مراعاة لأية أصول
وقواعد. أى زيوس الأب، ألن تغضب منى إن طعنت آريس
طعنة مؤلمة وأبعدته عن أرض المعركة ؟ "

فرد زيوس جامع السحب قائلا :

"لا، بل ثورى عليه يا أثينة ياجالبة الأسلاب ٧٦٥
فأنت وحدك التى تنزلين به العقاب الموجع".

هكذا قال ولم تتوان هيرا الإلهة ذات الذراع
الأبيض فى الانصياع لأمره. ولمست خيولها بالسوط؛ فطارت فيما بين
الأرض والسماء ذات النجوم. وخيول الآلهة ذات الصهيل
المدوى تنطلق إلى أبعد مما تراه عين إنسان يجلس على صخرة ٧٧٠

ويحملق فى بحر لجى مظلم، هكذا طارت خيول
السماء رافعة رءوسها وراكضة بخطى واسعة.
فلما وصلت إلى أرض طروادة وحيث يلتقى النهران المتدفقان سيموئيس
وسكامندروس، أوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض خيولها
وفكتها من العربة بينما صنع سيموئيس الأمبروسيا وألقاه
غذاء طيبًا عند أقدامها، وألقت هيرا عليها ضبابًا كثيفًا. ٧٧٥
ثم تقدمت الإلهتان مثل حمامتين رعاشتين فى لهفة لتقديم
العون للمحاربين الأرجيين. وعندما وصلتا
إلى حيث يلتف أقوى الرجال وأشجعهم حول ٧٨٠
ديوميديس العتيد مروض الخيول، كأنهم
أسود ضارية أو خنازير برية لا تضعف قوتها، وقفت هيرا الإلهة
ذات الذراع الأبيض وصاحت كأنها ستنتور
المغوار ذو الصوت النحاسى الذى يعلو صوته ٧٨٥
على صوت خمسين رجلاً وقالت :
"العار عليكم أيها الأرجيون، فأنتم جديرون بالتوبيخ، إذ تبدون
الجمال فى الظاهر فقط ! طالما كان أخيليوس الإلهى يخوض الحرب
بشغف لم يتقدم الطرواديون إلى خارج البوابة الداردانية،
فهم يخشون رمحه الجبار ؛ وأما الآن فهم يقاتلون بعيدًا ٧٩٠
عن المدينة، فى السفن المجوفة نفسها".
هكذا قالت فقوت الروح داخل كل رجل.
وظهرت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
إلى جانب ابن تيديوس. حيث كان ذلك الملك بجانب
خيوله وعربته يضمد الجرح الذى أصابه به بانداروس ٧٩٥
بسهمه. وكان العرق يضايقه تحت حزام
درعه المستدير ؛ تضايق من ذلك وشعر بالإرهاق فى ذراعه،
لذا فقد كان يرفع الحزام ليمسح الدم الداكن. فشدت

الإلهة عنان جواديه وخاطبته قائلة:
"حقا لقد أنجب تيديوس ابنا قصير القامة مثله. كان تيديوس ٨٠٠
قصير القامة، لكنه كان محاربًا عنيدًا وحتى حين لم آمره أن
يقاتل أو يتفوق على غيره، عندما أتى وحده دون أن يصحبه
أى آخى إلى طيبة رسولا وسط حشود الكادميين – حيث
أقمت له وليمة فى قاعاتهم ليتناول الطعام فى أمان – كان بروحه ٨٠٥
الوثابة يتحدى شباب الكادميين ويغلبهم
فى كل شىء بسهولة؛ لذا كنت فى عونه دائمًا. أما أنت
فإنى أقف بجانبك وأحميك وبكل قلبى آمرك بقتال الطرواديين،
فإما أن تكون أوصالك قد أنهكت من الهجمات الكثيرة
وإما أن يكون الرعب قد تملكك فأنت رعديد. ٨١٠
أنت لست من نسل تيديوس بن أوينيوس الصنديد".
رد ديوميديس قائلاً :
"أنا أعرفك يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؛
لذا فإنى سأكشف لك عن مكنون قلبى ولن أخفى عنك شيئًا. ٨١٥
فلا الخوف يتملكنى ولا التقاعس يقعدنى، ولازلت
على المهمة التى عهدت بها إلىّ محافظًا. فما
كنت لتسمحى لى أن أقاتل وجها لوجه
الآلهة المباركين الآخرين. ولكن أفروديتى ابنة زيوس ٨٢٠
دخلت المعركة فكان علىّ أن أصيبها بسيفى المسنون
لذا فقد تراجعت الآن وأمرت بقية
الأرجيين بالتجمع هنا؛ حيث علمت
أن آريس يسيطر على ساحة الوغى."
ردت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء قائلة : ٨٢٥
"أى ديوميديس بن تيديوس، يا حبيب قلبى،
لا تخش آريس ولا أحدًا آخر من الخالدين، فما جئت إلا فى عونك

انهض وقُد خيولك ذات الحافر الواحد لتواجه آريس، التحم معه وأصبه.
لا تخف من آريس المجنون فى غضبه مثير الرعب هنا، ٨٣٠
إنه حقًا مجنون وغير مأمون. إذ سبق أن تحدث إلىّ أنا وهيرا
ووعد بأن يحارب الطرواديين وأن يؤيد الأرجيين،
إلا أنه يتحالف مع الطرواديين مخلفًا وعده". ٨٣٥

هكذا قالت وجذبت بيديها سثينيلوس وأطاحت به من فوق العربة
إلى الأرض، فزحف هاربًا على وجه السرعة؛ وامتطت العربة
بجانب ديوميديس الإلهى؛ إلهة تتلهف إلى خوض القتال. وأحدث
محور العربة المصنوع من خشب البلوط صريرًا عاليًا تحت وطأة
هذا الثقل الإلهى، فقد كان يحمل إلهة رهيبة ومحاربا هو أفضل الرجال. ٨٤٠
وقبضت باللاس أثينة على السوط والعنان وقادت على وجه السرعة
الخيول ذات الحافر الواحد صوب آريس.
وكان آريس قد قتل بيريفاس الضخم ابن أوخيسيوس
وقد كان أنبل أهل آيتوليا، كان آريس الفتاك ينزع عنه الأسلاب.
وضعت أثينة على رأسها غطاء هاديس حتى لا يراها آريس شديد ٨٤٥
البأس. وعندما أدرك آريس مهلك البشر الفانين وجود
ديوميديس الإلهى ترك بيريفاس الضخم يرقد حيث كان،
قد قتله، وانتزع منه الروح، وتوجه إلى ديوميديس
مروض الخيول. وعندما اقترب كل منهما من الآخر، ٨٥٠
كان آريس البادىء بمهاجمة نير الخيول وعنانها برمحه
البرونزى ليقضى على حياة الآخر. بيد
أن الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء أمسكت
الرمح المقذوف بيدها، وألقت به من فوق العربة ليذهب بعيدًا وسدىً.
ثم هجم ديوميديس البارع فى صيحة الحرب على آريس برمحه ٨٥٥
البرونزى، وأمدته باللاس أثينة بالمزيد من السرعة فى انطلاقه
إلى أسفل بطنه المطوق بالأحزمة.

فأصابه الرمح وهتك جلده الجميل وغاص.
صرخ آريس الرهيب صرخة مدوية تعادل صرخة تسعة
آلاف أو عشرة آلاف محارب ملتحمين ٨٦٠
فى معركة إله الحرب الشرسة. حينئذ ارتعد
الآخيون والطرواديون على حد سواء
وتملكهم الخوف. هكذا صرخ آريس، الذى لا يشبع أبدًا
من خوض الحرب، صراخًا مدويًا.
ومثلما يحدث عندما تبدو بقعة ظلام أسود بين السحب حيث
هبت ريح عاتية بعد شدة الحر، ٨٦٥
هكذا ظهر لديوميديس بن تيديوس، أن آريس الرهيب
بين السحب نحو السماء العريضة. وسرعان ما بلغ
مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق،
وجلس بجوار زيوس بن كرونوس حزينا وعرض عليه
الدم الإلهى النازف من جرحه، وخاطبه باكيًا بكلمات مجنحة فقال : ٨٧٠
"أى زيوس أبى، ألا يثير حنقك أن ترى هذه الأفعال الشنيعة ؟
فنحن الآلهة نقاسى الويلات من تدبير بعضنا
ضد بعضنا الآخر فى حين نسدى للبشر كل معروف
نحن جميع الآلهة فى حرب عليك، لأنك أنجبت هذه البنت المجنونة ٨٧٥
المدمرة التى تفكر دومًا فى أفعال مخلة بالقانون.
نحن كل الآلهة الآخرين فوق الأوليمبوس نطيعك ونخضع لك،
أما هى فلا تعترض عليها لا بالقول ولا بالفعل؛
بل تشجعها لمجرد أن هذه الفتاة المدمرة هى ابنتك. ٨٨٠
والآن ها هى قد أطلقت ديوميديس بن تيديوس الجسور
لكى يصب جام غضبه على الآلهة الخالدين . فأصاب
كيبريس (القبرصية) أولا بطعنة فى يدها عند الرسغ فى
التحام مباشر. ثم هاجمنى أنا نفسى وكأنه إله

ولولا أن قدمى السريعة حملتنى بعيدًا عنه ٨٨٥
لطالت معاناتى وسط أكداس الموتى، أو
لعشت للأبد جريحًا بسبب طعنات رماحه".
فألقى زيوس جامع السحب بنظرة غاضبة عليه قائلاً :
"لا تجلس إلى جوارى وتبكى أيها المارق.
فأنا أمقتك أكثر من أى واحد من آلهة الأوليمبوس، ٨٩٠
أنت تحب القتال والحروب والنزال أكثر من أى شىء آخر،
فلك روح أمك هيرا؛ المتسلطة والتى لا تحتمل، فلا
أستطيع أن أكبح جماحها بكلامى إلا
بالكاد. ويبدو لى أنك تعانى ما تعانى بسبب ما تشير هى به عليك ٨٩٥
ومع ذلك فلن اسمح بعد الآن أن تتألم
فأنت ولدى، وحملت بك أمك من أجلى أنا،
ولو كنت ابن أى إله آخر وارتكبت ما ارتكبت من
أفعال ماكرة لطردتك إلى مكان آخر أدنى من مقر الآلهة"
هكذا قال وأمر بايون بعلاج إصابته؛ فنثر بايون ٩٠٠
عليها أعشابًا تقتل الألم وشفاه، فهو بحق من الخالدين . فشفى
آريس الثائر بسرعة كما تجعل عصارة التين اللبن
يزداد كثافة، وسرعان ما يتخثر
بتقليبه. وقامت هيبى بغسل جسده وكسته بثياب ٩٠٥
جميلة وأجلسته بجانب زيوس بن كرونوس
فرحا بمجده. ثم أسرعت هيرا الأرجية
وأثينة الألكومينية إلى قصر زيوس العظيم
بعد أن أوقفتا آريس مهلك البشر الفانين عن قتل البشر ٩٠٩

الكتـــاب السادس



ترجمة أحمد عتمان

هكذا ترك الآلهة ساحة القتال الفتاك بين الطرواديين والآخيين،
وكثيرًا ما مالت كفة المعركة على الوادى لهذا الجانب أو ذاك.
حيث صوب كل من الطرفين رماحه برونزية الأسنة إلى
الطرف الآخر، فيما بين النهرين سيموئيس وكسانثوس.
وكان أياس بن تيلامون حصن الآخيين أول من اخترق ٥
فرقة من الطرواديين، وأتى بنور الخلاص لرفاقه. فقد
أصاب أفضل رجل بين الطراقيين، أكاماس بن يوسوروس،
وهو رجل باسل طويل القامة. أصابه فى قرن خوذته
ذات الذؤابة الخصلة من شعر الحصان، فاخترق الرمح جبينه ١٠
بل نفذ السن البرونزى مخترقًا العظام، وهبط الظلام على
نور عينيه. وقتل ديوميديس البارع فى صيحة الحرب
أكسيلوس بن تيوثراس الساكن فى أريسبى المحكمة البناء،
وهو رجل ثرى يحبه كل الناس؛ فكان يسكن بيتًا على الطريق
وأظهر كرم الضيافة للجميع. ١٥

لكن من هؤلاء لم يظهر أحد أمامه ليصد عنه العدو ويحميه
من الموت المفجع. فسلب ديوميديس حياة اثنين، حياة الرجل نفسه
وحياة تابعه كاليسيوس قائد العربة، فطوت الأرض كليهما.
ثم قتل يوريألوس دريسوس وأوفيلتيوس ٢٠
وظل يلاحق آيسيبوس وبيداسوس اللذين حملت بهما
أباربارِيى عروس الماء من بوكوليون، الذى لا
قرين له. إذ إن بوكوليون هو الابن البكر للملك الجليل لاؤميدون،
حيث حملت به أمه دون زواج. فبينما كان بوكوليون يرعى
قطعانه فوق التلال طارح عروس الماء عذب الغرام، فحملت ٢٥
وولدت التوأم (أيسيبوس وبيداسوس). وقام الآن ابن
ميكبستيوس بإخضاع مفاصلهما القوية والمجيدة للموت

ونزع الدرع عن كتفيهما.

وقتل بوليبويتيس المحارب العنيد أستيألوس . ٣٠

وفى تلك الأثناء قتل أوديسيوس برمحه

البرونزى بيدوتيس من بركوتى(*). وقتل تيوكروس

أريتأون الإلهى. وقتل أنتيلوخوس بن نيستور برمحه اللامع

أبليروس. وأما ملك الرجال أجاممنون فقتل إلاتوس الساكن

فى بيداسوس المنحدرة على ضفاف ساتنيؤيس جارف المجرى

وقتل البطل ليئيتوس فيلاكوس وهو يولى الأدبار أمامه، ٣٥

وقتل يوريبيلوس ميلانثيوس.

أما أدراستوس فقد أسره حيًا مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب.

ذلك أن خيوله التى كانت تطير بوحشية فوق السهل

تعثرت فى فروع شجرة الطرفاء، وتحطمت العربة ٤٠

المقوسة عند طرف العمود، ثم مضت الخيول مسرعة فى

اتجاه المدينة كما كان يفعل الآخرون، وقد أصابهم جميعًا الهلع.

لكن صاحبها قذف به من العربة، فانكفأ على وجهه فوق التراب

بجوار العجلة. فاقترب منه مينيلاؤس بن أتريوس

ووقف بجانبه شاهرًا رمحه طويل الظل. ثم احتضن ٤٥

أدراستوس ركبتيه وتوسل إليه قائلاً :

"لتأسرنى حيا يا ابن أتريوس، ولتأخذ فدية ضخمة؛

ففى قصر أبى الثرى خزائن المال الوفير:

برونز وذهب وحديد مطروق فى عدة أشكال.

سيدفع لك أبى منها فدية لا تعد بمجرد أن يسمع بأنى

لازالت على قيد الحياة فوق سفن الآخيين". ٥٠

هكذا كانت توسلاته محاولاً أن يستدر العطف من قلب الآخر،

(*) مدينة على بحر مرمرة أى هيلليسبونطوس. (المحرر)

وأوشك بالفعل مينيلاؤس أن يسلمه لتابعه ليسوقه إلى سفن الآخيين
السريعة، لولا أن جاء أجاممنون يجرى وصرخ قائلا :

"أى مينيلاؤس ذا القلب الرهيف، لم تعبأ هكذا بأمر الرجال ؟ ٥٥
هل كان الطرواديون يتصرفون بنبل هكذا فى بيتك ؟
لا تدع أحدًا منهم يفلت من الهلاك التام، ولا حتى الجنين
فى بطن أمه، لا تدعه يفلت من أيدينا الفتاكة. بل دعهم جميعا
ابناء إليوس يهلكون معًا، ويختفون للأبد دون عزاء أو رثاء". ٦٠

هكذا قال البطل فأقنع أخاه بالتخلى عن عزمه،
فقد نصحه بالجزاء الوفاق، فدفع المحارب أدراستوس بيده.
وعندئذ طعنه أجاممنون السيد فى جنبه فسقط أدراستوس على ظهره،
وداس ابن أتريوس بقدمه على صدره وسحب الرمح الرمادى. ٦٥

ثم أطلق نيستور صيحة مدوية ونادى على الأرجيين قائلاً :
"أحبائى المحاربين الدانائيين سدنة آريس، لا تدعوا أحدكم
يتخلف إلى الوراء طمعًا فى الغنائم، لكى يعود إلى السفن
حاملاً أنفسها. لا، دعونا الآن نقتل الرجال؛ وبعد ذلك ٧٠
ستجمعون الأسلاب من الجثث الملقاة فوق الوادى".

هكذا كان حديثه، فبث القوة فى روح كل رجل.
وكاد الطرواديون يدحرون مرة أخرى على يد الآخيين،
أحباء آريس، إلى إليوس، كادوا يهزمون بسبب ضعف إقدامهم،
لولا أن جاء هيلينوس بن برياموس أفضل من يتكهن ٧٥
بالمستقبل إلى آينياس وهيكتور وقائلاً:

"أى آينياس وهيكتور إن عبء هذه الحرب يقع على عاتقكما
أكثر من الطرواديين الآخرين والليكيين، فأنتما الأفضل
فى الحرب وفى الرأى. فتمسكا بموقعكما وطوفا هنا وهناك
بين الحشود، ثبتوا الصفوف أمام بوابات المدينة، لكى لا يرتمى ٨٠

رجالنا فى أحضان زوجاتهم ويصبحوا أضحوكة أمام أعدائهم.
أما إذا غرستم الشجاعة فى كل فرقنا، سنصمد
ونقاتل الدانائيين، وإن أنهكنا القتال. فالضرورة
تملى علينا ذلك. أما أنت يا هيكتور فاذهب إلى المدينة
وتحدث إلى أمك وأمى (هيكابى) واطلب منها أن تجمع ٨٥
الزوجات العجائز فى معبد أثينة ذات العيون الزرقاء فى
داخل القلعة، وعندما تفتح أبواب المعبد المقدس، ستجد
رداءً يبدو أنفس وأجمل شىء فى القاعة، فلتضعه على ركبة
أثينة جميلة الشعر، وتنذر نذرًا بأن تذبح فى معبدها اثنى عشر ٩٠
عجلاً عمرها سنة واحدة، ولم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت الإلهة
على المدينة والطرواديات وأطفالهن الصغار. لنتوسل إليها
أن تبعد ابن تيديوس الرهيب حامل الرمح الوحشى ٩٥
أعتى المحاربين الآخيين، ليبتعد عن إليوس المقدسة.
فحتى أخيليوس مسيد الرجال الذى يقال إنه ابن إلهة لا نخشاه
بالقدر نفسه، فهذا الرجل يعيث غضبا بما يفوق الحد، ولا
أحد يباريه فى القوة". ١٠٠

هكذا أنهى حديثه ولم يتوان هيكتور فى الأخذ بنصائح أخيه.
فعلى الفور قفز من عربته إلى الأرض بكامل عدته
وشاهرًا رمحيه المسنونين، وطاف هنا وهناك فى كل
اتجاه عبر الحشود محرضًا على القتال؛
فزاد المعركة صخبًا. تكتلوا واتخذوا مواقعهم وولوا ١٠٥
وجوههم شطر الآخيين ، فتقهقر الأرجيون وأمسكوا
عن القتل؛ وقد ظنوا أن أحد الخالدين
هبط من السماء ذات النجوم، ليقدم
للطرواديين المدد. لذا فقد اشتد هجومهم. وأطلق هيكتور صيحة ١١٠
مدوية وحث الطرواديين قائلا :

"أيها الطرواديون الأشاوس وأيها الحلفاء ذائعى الشهرة،
كونوا رجالاً يا أحبائى، وفكروا فى عنفوان قوتكم الهادرة،
إنى ذاهب فى التو إلى إليوس للقاء الكبار أصحاب المشورة،
وكذا زوجاتنا لكى يتضرعن للآلهة بتقديم نذور الأضحيات الفخمة". ١١٥

هكذا تحدث، ومضى هيكتور ذو الخوذة اللامعة
فلامس درعه المصنوع من جلد الثور الأسود كاحله،
وكذا لامسته عند العنق الحافة المحيطة بالدرع.
اشتبك جلاوكوس بن هيبولوخوس مع ابن تيديوس فيما ١٢٠
بين الجمعين، إذ كان كل منهما متلهفًا على النزال. وعندما تقدم
كل منهما من الآخر وتقاربا، كان ديوميديس البارع فى
صيحة الحرب البادىء بالحديث صائحًا:

" من أنت بين البشر الفائين أيها المحارب القوى ؟
فأنا لم أرك قبل اليوم قط فى معركة، حيث يصيب ١٢٥
الرجال الشهرة، وأراك الآن وقد تفوقت على الجميع
جرأة وإقدامًا، فها أنت تصمد لرمحى طويل الظل. ويالهم
من تعساء أولئك الآباء الذين يواجه ابناؤهم قوتى. أما
إذا كنت أحد الخالدين وهبطت علينا من السماء، فلا قبل
لى بقتال آلهة السماء. حتى ليكورجوس بن درياس الجبار
لم يعش طويلاً، إذ دخل فى صراع مع آلهة السماء. حيث ١٣٠
طارد ذات مرة مرضعات ديونيسوس مجنونًا فوق تلال
جبل نيسا المقدس؛ فسقطت الأغصان - الصولجانات
المقدسة من أيديهن على الأرض، بعد أن أصابهن
ليكورجوس قاتل الرجال بمهماز الثور. بيد أن ديونيسوس ١٣٥
قد لاذ بالفرار وغاص تحت لجة البحر، فتلقفته ثيتيس
بالأحضان. كانت فرائصه ترتعد، حيث تملكه الهلع

بفعل صيحات ليكورجوس. فغضبت الآلهة المقيمة دومًا
فى النعيم على ليكورجوس، وأصابه ابن كرونوس بالعمى.
ولم يعش طويلاً حيث صار كريهًا لدى جميع الآلهة الخالدين. ١٤٠
لذلك لا أدخل فى صراع مع الآلهة المباركين. أما إذا كنت
من البشر آكلى ثمار الأرض فلتقترب، حتى تدخل على
وجه السرعة سراديب الفناء"
فرد عليه ابن هيبولوخوس المجيد قائلاً :
"يا ابن تيديوس ياسامى الروح، لم تسأل عن نسبى ؟ ١٤٥
فأجيال البشر مثل أجيال أوراق الشجر. تعصف الرياح ببعض
الأوراق وتلقيها على الأرض، ولا تلبث الغابة أن تزهر
وتنبت غيرها بحلول موسم الربيع. كذلك البشر، يزدهر
جيل ويتوارى جيل آخر. ومع ذلك فلتسمع إن شئت،
فلعلك تعرف شجرة نسبى حق المعرفة؛ وكثيرون يعرفونها. ١٥٠
هناك مدينة إفيرى فى ركن من أرجوس، مرعى الخيول
ومرتعها، وبها يسكن سيسيفوس أبرع الرجال، سيسيفوس
بن أيولوس؛ وقد أنجب ولدًا هو جلاوكوس؛ الذى بدوره
أنجب بيلليروفونتيس وهو من لا تشوبه شائبة. وقد وهبته
الآلهة الحسن والرجولة المرغوبة؛ لكن برويتوس كان ١٥٥
يضمر له فى قلبه شرًا حيث اعتبر نفسه الأقوى منه
بكثير، وطرده من أرض الأرجيين، لأن زيوس كان
قد أخضعهم لسلطانه. وكان بيلليروفونتيس قد شغف أنتيا - زوجة
برويتوس رائعة الجمال - حبًا إلى حد الجنون، واشتهت أن تقيم ١٦٠
معه علاقة عشق سرية. لكنها لم تستطع أن تغوى بيلليروفونتيس،
إذ كان قلبه مستقيما. فحاكت مكيدة وقالت للملك برويتوس:

"إما أن تموت أنت يا برويتوس أو تقتل بيلليروفونتيس، لأنه كان
يريد أن ينال منى غصبًا". ١٦٥

هكذا قالت فاستبد الغضب بالملك لسماعه
القصة، ولم يشأ قتل بيلليروفونتيس، لأن قلبه لم يطاوعه فى ذلك.
ولكنه أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزًا محفورة على لوح
مطوى وأمره بعرضها على والد زوجته (أنتيا) لعله يهلك. شق طريقه ١٧٠
إلى ليكيا بصحبة الرعاية الإلهية التى لا نظير لها. فلما بلغ ليكيا
ونهر كسانثوس، أكرمه ملك ليكيا الشاسعة، واستضافه
بسخاء لمدة تسعة أيام وذبح له تسعة ثيران.
فلما طلع الفجر الوردى العاشر، سأله وطلب منه أن يريه ١٧٥
العلامة التى حملها معه من زوج ابنته أى بروپتوس. وعندما
تسلم منه العلامة الشريرة أمره أولاً بقتل خيمايرا التى
لا تقهر. وهى من سلالة إلهية لا بشرية، فالجزء الأمامى
منها على هيئة أسد والخلفى أفعى والأوسط عنزة أو ١٨٠
خيمايرا، تتنفس فيخرج زفيرها نيرانًا مرعبة.
قتلها بيلليروفونتيس بناءً على توجيهات الآلهة.
وبعد ذلك شن حربًا على السوليميين(*) المتوحشين
فكانت – على حد قوله – أشرس معركة خاضها. أما
المغامرة الثالثة فهى أنه قتل الأمازونات، الشرسات أنداد ١٨٥
الرجال. وفى رحلة العودة من هذه المغامرات، دبر الملك
له خدعة أخرى ماكرة، فاختار من ليكيا الشاسعة أقوى
رجالها فنصبوا له كمينًا. لكن هؤلاء لم يعودوا إلى ديارهم،
فقد قضى عليهم عن آخرهم بيلليروفونتيس الذى لا ند له. ١٩٠
وعندما أدرك الملك أنه من نسل إلهى، حرص على أن
يستبقيه هناك ووهبه ابنته زوجًا، واقتسم معه مناصفة أبهة
الملك. وما كان من الليكيين إلا أن منحوه ملكية أرض

(*) السوليميون Solymoi يقال إنهم بجوار ليكيا وعند هيرودوتوس (1, 173) يبدو أنهم من الأمم التى اختفت.
(المحرر)

شاسعة بها كروم وأرض محروثة تحمل ثمار الفاكهة. ١٩٥
وولدت الزوجة لبيلليروفونتيس ثلاثة أطفال هم إيساندروس
وهيبولوخوس ولاؤداميا. وضاجع زيوس صاحب الرأى
السديد ابنته لاؤداميا، فأنجبت له ساربيدون شبيه الآلهة
المحارب لابس الدرع البرنزى. عندئذ صار بيلليروفونتيس
موضع حسد جميع الآلهة، فهام على وجهه وحيدًا شريداً ٢٠٠
فى وديان آليا يلتهم روحه كمدًا، مجتنبًا طريق البشر.
وقتل ابن إيساندروس على يد آريس الذى لا يشبع
من القتال، إذ شن حربًا على السوليميين المتوحشين.
وقتلت أرتميس ذات الأعنة الذهبية ابنته لاؤداميا نقمة ٢٠٥
عليه. وأنجبنى هيبولوخوس، وإنى لأعلن أنى من صلبه؛
وهو الذى أرسلنى إلى طروادة وكلفنى أن أبز كافة
المحاربين الآخرين إستبسالاً وقتالاً، وألا أجلب العار على سلالة
آبائى، وقد كانوا أفضل الرجال فى إفيرى وليكيا الشاسعة. ٢١٠
هذا هو النسل والدم الذى أعلن أنى أنحدر منهما".

هكذا قال وسُر ديوميديس البارع فى صيحة الحرب.
فغرس رمحه فى الأرض الثرية بنباتاتها وبكلمات ودودة خاطب
راعى الشعوب قائلاً :
"حسنًا فأنت كما أرى الآن صديق لبيت الآباء من قديم ٢١٥
الزمان. لقد أكرم أوينيوس الإلهى ذات مرة بيلليروفونتيس
الذى لا قرين له فى قاعاته واستبقاه عشرين يومًا.
كما تبادلا هدايا الصداقة الجميلة، فقدم له أوينيوس حزامًا
لامعًا باللون القرمزى، وأعطاه بيلليروفونتيس كأسًا ذهبيًا ٢٢٠
ذا مقبضين، تركته فى قصرى عندما رحلت إلى هذا المكان.
ولكنى لا أتذكر تيديوس جيدًا، فقد كنت مجرد طفل صغير
عندما رحل، حين هلك جيش الآخيين فى طيبة. لذا فلأكن

مضيفًا وصديقًا ودودًا لك فى قلب أرجوس، ولتكن أنت
بالنسبة لى فى ليكيا كذلك فى أى وقت قد أصل فيه ٢٢٥
إلى أرض هؤلاء القوم. لذا دع كل منا يتجنب رمح الآخر
حتى وسط هذا الجمع؛ فلدىّ الكثيرون المرموقون من الطرواديين
وحلفائهم لكى أقتلهم، إذا ما مكننى الإله وقدماى
منهم. وهناك كثرة من الآخيين قد تقتلهم أنت بقدر ما تملك
من قوة. دعنا نتبادل أسلحتنا حتى يعلم الناس جميعًا أننا ٢٣٠
أحببنا وأعلنا صداقتنا الموروثة منذ أيام الآباء".

وما أن انتهيا من الحديث حتى نزلا من العربات وتصافحا
وتعاهدا على الوفاء. وعلى هذا النحو يكون زيوس بن كرونوس
قد حرم جلاوكوس حسن التقدير، لأنه تبادل الأسلحة
مع ديوميديس بن تيديوس، فأخذ البرونز مقابل الذهب ٢٣٥
واستبدل ما يساوى تسعة ثيران بما يساوى مئة ثور.

فلما وصل هيكتور إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط
أقبلت عليه زوجات الطرواديين وبناتهم يسألن عن ابنائهن
وإخوتهن وأحبائهن وأزواجهن. فأمرهن بالابتهال
للآلهة كل بدورها. ولكن سحابة الحزن غطت كثرة منهن. ٢٤٠
فلما بلغ قصر برياموس الجميل بأبهائه ذات الأعمدة الصقيلة
وبه خمسون حجرة بنيت بالحجر المصقول وكل حجرة
بجوار الأخرى، حيث إعتاد ابناء برياموس أن يناموا بجوار ٢٤٥
زوجاتهم. وعلى الجانب الآخر كانت اثنتا عشر
حجرة بنيت بالحجر المصقول كل حجرة بجوار الأخرى؛
حيث كان أزواج بنات برياموس ينامون مع زوجاتهم ذوات
الحياء. أقبلت أمه وافرة العطاء لتقابله وفى معيتها لاؤديكى ٢٥٠
أجمل بناتها وأكثرهن بهاءً؛ احتضنته بيدها وخاطبته بقولها:

"لم تركت المعركة حامية الوطيس يا ولدى وجئت إلى
هنا ؟ لابد أن أبناء الآخيين – ملعونى الاسم – يضيقون
عليك الخناق إذ يشعلون الحرب حول مدينتنا، فحدثك قلبك ٢٥٥
أن تأتى هنا لكى ترفع يد الضراعة لزيوس من فوق القلعة.
انتظر فسأحضر لك نبيذًا معسولاً لكى تسكبه فى البداية
قربانًا لزيوس الأب والخالدين، ثم إن النبيذ سيكون مفيدًا لك ٢٦٠
إذا رشفت منه، إذ يستعيد للرجل قواه إذا ما أنهكه التعب.
فأنت مرهق، إذ تخوض غمار الحرب دفاعًا عن ذويك"

فرد عليها هيكتور البطل العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:

"لا... لا تحضرى النبيذ المعسول يا أمى المبجلة، فقد ٢٦٥
تجعلينى أقعد، فأتقاعد وأنسى قوتى وبأسى، ثم إننى أتورع
أن أسكب النبيذ المتوهج قربانًا لزيوس بيدى غير المغسولة.
ولا يليق أن يبتهل المرء لابن كرونوس جامع السحب السوداء
وقد دنسه الدم والقذر. فلتذهبى أنت بالقرابين إلى معبد ٢٧٠
أثينة جالبة الغنائم، ولتأخذى معك الزوجات العجائز.
وضعى الرداء الذى ترين أنه الأجمل والأوسع فى القاعة
والأعز لديك، ضعيه على ركبة أثينة ذات خصلات
الشعر الكثيف والجميل. وانذرى لها أن تذبحى فى معبدها
اثنى عشر عجلاً لم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت على طروادة ٢٧٥
وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس
ذلك المحارب الشرس عن إليوس. فاذهبى إلى معبد أثينة جالبة
الغنائم وسأذهب أنا بحثًا عن باريس لكى استدعيه، فلعله يسمع
كلامى هذه المرة عن طيب خاطر. فلكم أتمنى أن تنشق الأرض ٢٨٠
وتبتلعه ! فقد رباه سيد الأوليمبوس ليكون وبالاً على الطرواديين
وعلى بريامو س سامى الروح وعلى أبناء بريامو س.
وكم أتمنى أن أراه وهو يهبط إلى مقر هاديس

عندئذ قد أقول إن قلبي قد نسي أحزانه تمامًا".

هكذا كان حديثه، فذهبت هي إلى القاعة، وأمرت وصيفاتها ٢٨٥
أن يجمعن الزوجات العجائز من أرجاء المدينة. أما الملكة نفسها
فقد نزلت إلى خزينة الكنوز ذات القباء حيث أودعت
ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها نساء صيدا
اللائي كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله قد جلبهن
من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع في رحلة عودته ٢٩٠
(إلى طروادة) بهيليني رفيعة النسب. انتقت هيكابي واحدًا
منها وقدمته قربانًا لأثينة؛ كان هو الرداء الأجمل في تطريزه
والأوسع، كما كان يقبع خلف كل الثياب. وكان يلمع كأنه ٢٩٥
نجم في الظلماء. التقطته وانطلقت، وحشد الزوجات العجائز
في أعقابها. فلما بلغن معبد أثينة فوق القلعة، فتحت الأبواب
لهن ثيانو ذات الخدود الجميلة – ابنة كيسيس
وزوجة أنتينور مروض الخيول – وكان الطرواديون قد
انتقوها كاهنة لأثينة. رفعت كل النساء أيدي الضراعة ٣٠٠
بالابتهالات لأثينة. وتناولت ثيانو ذات الخدود الجميلة
الرداء وبسطته على ركبتي أثينة ذات خصلات الشعر
الكثيف والجميل وابتهلت وقدمت النذور لابنة زيوس
ذي الجلال قائلة :

"سيدتي ياصاحبة الجلالة أثينة، يا من تحرسين مدينتنا، ٣٠٥
أيتها الإلهة المبجلة، اكسري سيف ديوميديس، دعيه
هو نفسه يسقط صريعا عند بوابات سكاياي؛ لكي نتمكن
على الفور من تقديم قرباننا إليك في معبدك، اثنى عشر
عجلاً لم يمسها مهماز بعد، إذا ما أشفقت على طروادة
وزوجات الطرواديين والأطفال الرضع". ٣١٠

هكذا كان ابتهالها، لكن باللاس أثينة لم تتقبل الابتهال.

بينما كانت النسوة يتضرعن لابنة زيوس المجيد
كان هيكتور قد ذهب إلى مقر ألكسندروس، ذلك
القصر الجميل الذى كان هو نفسه قد أقامه مع رجال
كانوا عندئذ أبرع البنائين فى طروادة خصيبة التربة. ٣١٥
إذ شيدوا له حجرة وقاعة وفناء بجوار قصرى برياموس
وهيكتور فوق القلعة. دخل هيكتور حبيب زيوس،
ممتشقًا فى يده رمحًا طوله أحد عشر ذراعًا،
ومن سنه البرونزى المسنون يمتد البريق، وتحيط به
حلقة من الذهب. فوجد باريس فى حجرته حفيًا
بأسلحته الجميلة ودرعه ودرع الصدر، قابضًا على قوسه ٣٢٠
المعقوف. وكانت هيلينى الأرجية جالسة بين وصيفاتها
تحدد لهن أعمالهن اليدوية الرائعة. فلما رأى هيكتور أخاه
وبخه بكلمات مخجلة:

"أيها التعس، لا يليق بك أن تكتم هذا الغضب فى قلبك. ٣٢٥
وأهاليك يهلكون وهم يحاربون حول المدينة وأسوارها
المنحدرة، وبسببك اندلعت صيحة المعركة واشتعلت
الحرب حول هذه المدينة. وكان الأحرى بك أن تصب ٣٣٠
جام غضبك على أى محارب تراه يتقاعس عن الحرب
الكريهة. انهض الآن قبل أن تلتهم نيران الأعداء مدينتنا"

فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة بقوله:
"هيكتور، حيث إنك تؤنبنى بحق ولا تتعدى
إلى ما وراء الحق، فلك أشرح موقفى، وعليك أن تصغى
وتتمعن فيما أقول. فلم يكن سبب قعودى فى حجرتى ٣٣٥
الغضب والنقمة على الطرواديين، بل أسلمت نفسى للأسى.
وسعت زوجتى أن تغير موقفى بكلمات ودودة

وتحضنى على الحرب، وكنت أنا نفسى أظن ذلك أفضل؛
فالنصر دوار يتداوله الأبطال المحاربون، فهو مرة لهذا
وأخرى لذاك. والآن تعال وانتظرنى قليلاً حتى أرتدى ٣٤٠
عدة الحرب؛ وإلا فامض أنت فى سبيلك وسأتبعك، وسألحق بك".

هكذا قال فلم يرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة،
بل خاطبته هيلينى بكلمات ودودة قائلة:

" واخجلاه ! فأنا مدبرة الشر جالبة الأذى. ياليتنى يوم
ولدتنى أمى قد عصفت بى ريح هوجاء فقذفت بى إلى ٣٤٥
جبل أو إلى لجة البحر المتلاطم فجرفنى الموج بعيدًا
قبل أن تقع هذه المصائب. لكن حيث إن الآلهة هى التى
شاءت هذه الشرور، فياليتنى كنت زوجة لرجل أفضل
من هذا، يشعر بنقمة الرفاق وتوبيخهم. ولكن قدرة زوجى هذا ٣٥٠
على الفهم لم تعد على ما يرام، ولن تكون كذلك من بعد أبدًا. لذا فإنى
أرى أنه سيجنى مر الثمار حصيلة أفعاله. ولكن تعال الآن، ادخل
واتخذ لك مجلسًا، فقد نال قلبك مانال من المتاعب أكثر من الآخرين.
كل ذلك بسببى أنا التعيسة، وبسبب حمق ألكسندروس، ٣٥٥
الذى أنزل به زيوس سوء المصير. فقد نصبح مع مرور الزمن
أمثولة ترددها الأجيال القادمة فى أغانيهم".

ورد هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
"لا تطلبى منى الجلوس يا هيلينى، فلن تقنعينى برغم توددك. ٣٦٠
فقلبى الآن متلهف على الوقوف إلى جانب الطرواديين
الذين يفتقدوننى فى غيابى. ولكن دعى زوجك ينهض
ويسرع ليلحق بى مادمت داخل المدينة. فسوف أذهب
إلى بيتى عسى أن أرى أهلى: زوجتى الحبيبة وطفلى ٣٦٥
الرضيع؛ فلا أدرى ما إذا كنت سأعود إلى بيتى لأراهم

مرة أخرى، أم ستقهرنى الآلهة على أيدى الآخيين".

هكذا قال وأسرع هيكتور ذو الخوذة اللامعة
إلى بيته المحكم البناء. فلم يجد أندروماخى ذات الذراع ٣٧٠
الأبيض فى قاعاته؛ إذ كانت هى، مع طفلها ووصيفتها
ذات الرداء الجميل، قد ذهبت ووقفت تبكى فوق أحد
الأبراج. فلما لم يجد هيكتور زوجته التى لا مثيل لها
فى البيت، توقف عند العتبات وقال للخادمات : ٣٧٥

"تعالين أيتها الخادمات وأخبرننى بحقيقة الأمر، إلى أين
ذهبت أندروماخى ذات الذراع الأبيض بعد أن تركت
القاعة ؟ هل ذهبت إلى بيت أى من أخواتى أو زوجات
إخوتى ذوات الثياب الجميلة، أم تراها ذهبت إلى معبد ٣٨٠
أثينة مع نساء طروادة ذوات الجدائل الجميلة
ليستدررن عطف هذه الإلهة الرهيبة".

فقالت له خادمة منهمكة فى أعمال البيت:
"هيكتور، بما أنك تأمرنا بإصرار أن ننبئك بالحقيقة، فإنها لم
تذهب إلى بيت أى من أخواتك أو زوجات إخوتك ذوات
الثياب الجميلة، ولا إلى معبد أثينة حيث ذهبت نساء طروادة ٣٨٥
ذوات الخصلات الجميلة لاستدرار عطف الإلهة الرهيبة. بل ذهبت
إلى برج إليوس الكبير، حيث كانت قد سمعت أن الطرواديين
يمرون بمأزق حرج حين ظهرت عليهم قوة الآخيين، عندئذ جن
جنونها وأسرعت إلى السور تصحبها المرضعة وهى تحمل صغيرها".

هكذا قالت الخادمة، فأسرع هيكتور من البيت وعاد أدراجه من
الطريق نفسه عبر الممرات المحكمة البناء. وبعد أن قطع المدينة ٣٩٠
الكبيرة وبلغ بوابة سكاياى، حيث كان ينوى الخروج إلى ساحة
المعركة، أقبلت زوجته وافرة العطاء تجرى للقائه،

أندروماخى ابنة إئيتيون الباسل الساكن فى ثيبى
(طيبة) بجوار بلاكوس الكثيفة الأشجار. وكان سيدًا على
شعب كيليكيا، إذ تزوج ابنته هيكتور ذو الدرع البرونزى. ٣٩٥
ها هى تلتقى به ومعها خادمة تحمل على صدرها الطفل
الجميل ابن هيكتور اللطيف. فكان على صدرها كأنه نجم
يتلألأ. وكان هيكتور يحب أن يسميه سكاماندريوس، ٤٠٠
لكن الآخرين كانوا ينادونه أستياناكس، لأن هيكتور وحده
كان حامى حمى إليوس. فابتسم هيكتور فى صمت
عندما رأى طفله، لكن أندروماخى اقتربت منه وهى ٤٠٥
تذرف الدمع متعلقة بيديه ومخاطبة إياه:

"آه يا زوجى ! قوتك هى التى ستقضى عليك، إذ لا ترحم
طفلك الرضيع، ولا ترحمنى أنا، حيث عما قريب سأمسى
أرملتك، بعد أن يجهز عليك الآخيون ويفتكون بك. ومن ٤١٠
الخير لى أن أهبط تحت الأرض قبل أن تضيع منى، فلا
راحة لى بعدك إذا حان أجلك، ولن يبقى لى شىء سوى
الآلام بعد أن فقدت أبى وأمى الملكة. أبى قتله أخيليوس
الإلهى، بعد أن دمر مدينة كيليكيا المنيعة وثيبى
ذات البوابات الشاهقة. قتل إئيتيون ولكنه لم يسلب أسلحته، ٤١٥
إذ حالت الرهبة دون ذلك الفعل. ولكنه أحرقه مع أسلحته
رائعة الزينة وكدس فوقه الركام؛ ومن حوله غرست عرائس
الجبل بنات زيوس حامل الدرع أيجيس، أشجار الدردار.
أما إخوتى السبعة الذين كانوا يعيشون فى قاعاتنا، فقد ٤٢٠
رحلوا جميعًا إلى مقر هاديس فى يوم واحد، قتلهم جميعًا
أخيليوس الإلهى سريع القدمين، قتلهم وهم يمشون الهوينى
يرعون أغنامهم ذات الصوف الأبيض. أما أمى التى كانت
ملكة فى بلاكوس الكثيفة الأشجار فقد جاء بها (أخيليوس) ٤٢٥

إلى هنا مع بقية الغنائم، ولكنه بعد ذلك أطلق سراحها
فى مقابل فدية لا حصر لها، ثم قتلتها أرتميس ربة القوس
فى دار أبيها. فأنت لى يا هيكتور الأب والأم الرؤوم،
أنت لى الأخ، وأنت الزوج الهمام. فلتكن عندك رحمة ٤٣٠
بى، وابق هنا عند البرج، لكى لا تحيل طفلك يتيما وتترك
زوجتك أرملة. أما حشدك فليتحصن بجوار شجرة التين
البرية، فهناك مكان لحماية المدينة، إنها أسهل نقطة
للاختراق وانطلاق هجوم الأعداء. وسبق أن جاء إلى
هذا الموقع الثنائى أياس وإيدومينيوس الأشهر وولدا ٤٣٥
أتريوس وابن تيديوس الباسل ثلاث مرات، وحاولوا
الاختراق، سواء بناءً على مشورة أحد العرافين البارعين
أو كما دلتهم قلوبهم".

فرد عليها هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة: ٤٤٠
" يا زوجتى، لقد فكرت مثلك فى كل ذلك، ولكنى استحى من
الطرواديين وزوجاتهم ذوات الثياب الطويلة، إذا تقاعست
عن المعركة كالجبناء. وقلبى لا يحتمل، لأنى تربيت على
البسالة دائما، وأن أقاتل فى مقدمة الطرواديين
لأصون مجد أبى العظيم ومجدى. وأنا على يقين بقلبى ٤٤٥
وعقلى أن إليوس المقدسة ستقع لا محالة، وسيقع برياموس
وقوم برياموس للرمح الرمادى. ولكن لا مصائب الطرواديين،
ولا فجيعة هيكابى، ولا أحزان الملك برياموس أو إخوتى ٤٥٠
الكثيرين النبلاء الذين سيمرغون فى التراب بأيدى أعدائهم،
ليس كل هذا هو الذى يفزعنى، بل فجيعتك أنت إذا ما ساقك
أحد الآخيين المسلحين بالبرونز بعيدًا، وسلبك الحرية وأنت
تولولين، ثم تعملين على النول فى أرجوس بأمر إحدى السيدات، ٤٥٥
أو تحملين الماء كرهًا من نبع ميسيئيس أو هيبيريا، أو تثقل

كاهلك ضرورة أو أخرى لا تحتمل. وقد يقول قائل وهو يراك
تبكين : هذه زوجة هيكتور الذى بز فى القتال كل الطرواديين ٤٦٠
مروضى الخيول، يوم التقى الأبطال فى القتال حول
إليوس. قد يقول قائلهم ذلك وتزداد فجيعتك، إذ تفتقدين
رجلاً مثلى يصد عنك غائلة يوم العبودية. فدعينى أموت، ودعى
ركام التراب يغطينى، ولا أسمع صراخك وهم يسوقونك ٤٦٥
إلى ذل الأسر".

هكذا قال هيكتور المجيد ثم مدّ كلتا يديه إلى ابنه، لكن الطفل
صرخ وغاص فى صدر مرضعته ذات النطاق الجميل خوفًا من
مظهر أبيه الحبيب ومن البرونز ومن ذؤابة خصلة شعر الحصان ٤٧٠
وقد رآها وهى تهتز بعنف مخيف على قمة الخوذة.
فقهقه أبوه الحبيب وأمه الملكة. ونزع هيكتور الخوذة
عن رأسه ووضعها ببريقها على الأرض، وقّبل ولده
المحبوب وهدهده بين يديه وابتهل لزيوس والآلهة ٤٧٥
الآخرين قائلاً:

"أى زيوس، ويا أيتها الآلهة، ليكن ابنى هذا مثلى مبرزًا
بين الطرواديين، باسلاً فى القتال، قويًا فى حكم إليوس.
وليقل قائلهم يومًا ما أثناء عودته من ساحة الوغى: إنه أكثر ٤٨٠
بسالة من أبيه. ليكن من نصيبه أن يقتل أعداءه ويعود
للوطن بالأسلاب المخضبة بالدماء ليسعد قلب أمه".

هكذا قال ووضع طفله بين ذراعى زوجته الحبيبة،
فضمته إلى صدرها الحنون وهى مبتسمة وباكية بالدموع؛ ٤٨٥
وعندما رمقها زوجها أشفق عليها وداعبها بيديه
وسماها باسمها قائلاً:

"رجائى ألا تسرفى فى الحزن داخل قلبك من أجلى

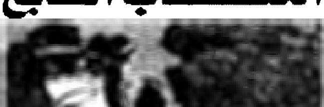
يا زوجتى الحبيبة. فلن يبعث بى أحد إلى هاديس إن لم
يكن هذا هو قدرى، ولا أحد يتملص من قدره المحتوم،
نبيلاً كان أم وضيعًا، هو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته. ٤٩٠
عودى إلى بيتنا، واعتنى بشئونك من نول ومغزل،
ومرى وصيفاتك أن يقمن بواجباتهن، أما شئون الحرب
فللرجال، لكل الرجال، ومن شأنى أنا قبل جميع من يقيمون
فى إليوس". ٤٩٥

هكذا قال هيكتور المجيد والتقط خوذته ذات الذؤابة من خصلة
شعر الحصان؛ وعادت زوجته إلى بيتها وبين الحين والحين كانت
تنظر خلفها، وظلت تذرف الدموع مدرارًا. فلما بلغت القصر
متين البناء، قصر هيكتور قاتل الرجال، وجدت وصيفاتها الكثيرات ٥٠٠
فأثارت بينهن الشجن والنحيب. فشرعن يولولن على هيكتور
فى قصره، مع أنه كان لا يزال على قيد الحياة، إذ كن يتوجسن
خيفة ألا يعود أبدًا من المعركة، فلا هو بقادر على أن يتحاشى
القتال، ولا أن يفلت من أيدى الآخيين.

ولم ينتظر باريس طويلاً فى قصره الشاهق، بل ٥٠٥
أقبل فى درعه البرونزى الرائع وهرول عبر المدينة واثقا
فى سرعة قدميه. كان مثل حصان أخذ كفايته من طعام مزوده،
وكسر قيوده، وركض عبر السهل، وقعقعت حوافره، مدوية على
الأرض، وسعى حثيثًا إلى أن يرمى نفسه فى النهر سلس التدفق
منتشيًا ورافعًا رأسه عاليا، ويتماوج شعر لبدته على كتفه، ٥١٠
يتبختر مزهوًا بعظمته، تحمله ركبتاه إلى مرعى الفرسات.
هكذا كان باريس بن برياموس،
فقد هبط من قمة برجاموس الشاهقة بدرعه اللامع
كالشمس الساطعة، تضحك أسارير وجهه بالبهجة، وتطير
به قدماه السريعتان. وعلى الفور لحق بأخيه هيكتور ٥١٥

الإلهى، الذى كان للتو عائدًا من حيث قابل زوجه.
وخاطبه ألكسندروس شبيه الآلهة قائلاً:
"لاشك يا أخى أننى بتلكؤى الطويل تسببت فى تأخرك،
وربما لم أصل فى الوقت الملائم كما أمرتنى". ٥٢٠

فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة:
"يا أخى الطيب، ما من رجل عاقل يستطيع أن يستخف
بما تقوم به فى الحرب، فأنت باسل؛ ولكنك تتكاسل
بمزاجك ولا تبالى. لذا فإن قلبى فى داخلى يأسف عندما
أسمع كلمات مشينة عنك تتردد بين الطرواديين، الذين
من أجلك عانوا الكثير من الأهوال. ولكن دعنا نواصل ٥٢٥
مسيرتنا وسنعالج هذه الأمور مستقبلاً، إذا سمح لنا زيوس
أن نسكب من نخب الحرية فى قصرنا قربانًا لآلهة السماء
الخالدين، بعد أن نطرد الآخيين المزودين بالدروع جيدًا
من أرض طروادة". ٥٢٩





ترجمة منيرة كروان

هكذا قال هيكتور المجيد، واندفع خارجًا من البوابة
وخرج معه شقيقه ألكسندروس، وهما يتحرقان شوقًا
فى قرارة نفسيهما للحرب والقتال.
وكما يرسل الإله ريحًا مواتية للبحارة الذين
طالت لهفتهم ونالهم التعب ٥
من التجديف فى البحر بالمجاديف جيدة الصقل، وارتخت أطرافهم
من الإرهاق، هكذا ظهر هذان المحاربان للطرواديين المتحمسين.
وعندئذ قتل أحدهما ابن الملك أريثوؤس،
المسمى مينيستيوس، والذى كان يسكن فى أرنى.
وكان أريثوؤس صاحب الصولجان قد أنجبه من جميلة العينين ١٠
فيلوميدوسا. وضرب هيكتور إيونيوس برمح حاد الطرف
فى عنقه، أسفل خوذته المصنوعة من البرونز القوى، فقتله.
وضرب جلاوكوس، بن هيبولوخوس، قائد الليكيين
إفينوؤس، بن ديكسيوس، بالرمح، أثناء احتدام
القتال، بينما كان يسرع خلف جياده السريعة ١٥
فأصابه فى كتفه وسقط من فوق الجياد على الأرض جثة هامدة.
ولكن الربة أثينة، زرقاء العينين، شعرت بهم
وهم يدمرون الأرجيين فى قتال عنيف
فنزلت مسرعة من قمة الأوليمبوس
واتجهت إلى مدينة إليون المقدسة. وأسرع أبوللون لملاقاتها ٢٠
فقد كان ينظر لأسفل من برجاموس. وكان يرغب أن يكون
النصر من نصيب الطرواديين. وبجانب شجرة البلوط التقى كل
منهما بالآخر وبادرها الملك أبوللون، بن زيوس، بقوله :

"لماذا يا ابنة زيوس العظيم تسرعين فى لهفة
من الأوليمبوس، ولأى غرض عظيم أتيت ؟ ٢٥

هل لكى تمنحى الدانائيين النصر الحاسم فى القتال
وتحققى لهم الفوز ؟ حيث أنك لا تشعرين بالشفقة على
الطرواديين الذين يهلكون. ولكن سوف يكون من الأفضل لو
استمعت لنصيحتى. دعينا الآن نوقف الحرب والصراع
اليوم، وفيما بعد سوف يستأنف القتال، حتى يتموا ٣٠
القضاء على إليون. حيث إن قلوبكن أيتها الربات
تجد متعة فى تدمير تلك المدينة والقضاء عليها ".

عندئذ أجابته الربة أثينة، زرقاء العينين، قائلة :

" ليكن ما تريد، يا من تصيب من بعيد، فبهذه الفكرة نفسها
أتيت أنا أيضًا من الأوليمبوس إلى الطرواديين والآخيين. ٣٥
ولكن كيف نوقف الحرب بين الرجال قل لى ؟ ".

فأجابها الإله أبوللون، بن زيوس بدوره قائلاً :

" دعينا نستحث حمية هيكتور، مروض الخيول،
حتى يتحدى واحدًا من القادة الدانائيين للنزال فيتبارزا رجلاً لرجل
فى معركة فردية شرسة وسوف يتحمس الآخيون، المسلحون جيدًا ٤٠
بالدروع البرونزية، لمنازلة هيكتور، شبيه الآلهة".

هكذا قال، ولم تخالفه الربة أثينة، زرقاء العينين
ولكن هيلينوس، الابن الحبيب لبرياموس، سمع الخطة
التى تدور فى عقليهما من خلال محاورتهما، ٤٥
فذهب إلى شقيقه هيكتور، ووقف بجانبه ثم خاطبه قائلاً :

" هيكتور، يا ابن برياموس، يا شبيه الآلهة فى النصح
هلا أصغيت إلىّ، فأنا شقيقك ؟ فلتدع الطرواديين الآخرين وجميع
الآخيين إلى الجلوس معًا، ولتَتَحَد أنت واحدًا من أفضل الآخيين ٥٠

لتنازله فى معركة فردية شرسة
فلم يحن بعد قدرك وأجلك المحتوم.
هذا على وجه اليقين ما سمعت بنفسى من الآلهة الخالدين ".

هكذا قال، فغمر السرور قلب هيكتور لسماعه ذلك.

وذهب إلى وسط فرق الطرواديين وكبح جماحها، ٥٥
وأمسك برمحه من المنتصف، فجلسوا جميعًا.
وكذلك أمر أجاممنون الآخيين، لابسى الدروع، بالجلوس.
وجلس أبوللون، الإله ذو القوس الفضى، وكذلك أثينة
على هيئة طائرين جارحين

فوق شجرة البلوط العالية، المقدسة للأب زيوس، لابس الدرع ٦٠
أيجيس واستمتعا برؤية الرجال، الذين اصطفت صفوفهم
المتلاحمة مدججين بالدروع والخوذات والرماح.
ومثلما يثور سطح البحر بسبب هبوب الرياح
الغربية (زيفيروس)، ويسوِّد موج البحر من تحتها.
هكذا جلست صفوف الآخيين و الطرواديين ٦٥
فى السهل، وخاطبهم هيكتور قائلاً :

" أيها الطرواديون وأيها الآخيون لابسو الدروع
لتسمعونى حتى أقول لكم ما يأمرنى به قلبى الكائن فى صدرى.
إن زيوس ابن كرونوس رفيع العرش، لم يحقق وعوده

ولكنه ينوى الشر لكلا الجانبين. ٧٠
فإما أن تستولوا على طروادة، ذات الأبراج الحصينة
أو أن تهلكوا بجوار سفنكم ماخرة عباب البحار.
وبما أنه يوجد بينكم الآن أفضل قادة الآخيين كافة

فليتقدم من يأذن له قلبه بمنازلتى.
وليأت هنا أفضلكم جميعًا لمنازلة هيكتور الإلهى. ٧٥
وإننى أعلن أيضًا ما يلى، وليكن زيوس شاهدًا علىّ،
إذا ما قتلنى ذلك المحارب بسلاحه البرونزى حاد النصل
فليجردنى من سلاحى وليحمله إلى سفنكم المجوفة.
ولكن يجب عليه أن يعيد جثتى إلى منزلى مرة أخرى، حتى
يتمكن رفاقى من الطرواديين والطرواديات أيضا أن يحرقوا ٨٠
جثتى. أما إذا تمكنت من قتله، وليمنحنى أبوللون هذا المجد،
فسوف أجرده من سلاحه وأحمله غنيمة إلى إليون المقدسة.
وهناك سوف أعلقه على معبد أبوللون، رب القوس،
ولكننى سوف أعيد جثته إلى سفنكم، ذات المجاديف المتينة
حتى يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، من دفنه ٨٥
وبناء مقبرة له بجوار شاطىء الهلليسبونطوس.
فذات يوم، رب قائل من الأجيال القادمة،
عندما يبحر بسفينته، كثيرة المجاديف فى البحر القاتم بلون الخمر
يقول : هذا قبر رجل قتل منذ زمن بعيد.
إذ قتله، وهو فى عنفوان قوته، هيكتور المجيد . ٩٠
هكذا ذات يوم قد يقول أحدهم فلا يخبو مجدى أبدًا ".
هكذا قال، واستمع إليه الجميع فى صمت
فقد كانوا يخجلون من رفض تحديه، ولكنهم كانوا يخشون قبوله.
وبعد وقت طويل، قام مينيلاؤس وخاطبهم
وهو يئن ويتوجع من أعماق قلبه، وعنفهم بشدة وهو يزأر قائلاً : ٩٥
" أيها الجبناء يا من لا يملكون سوى الجعجعة، أيتها الآخيات ولا
أقول الآخيين سوف يكون من العار، بل سوف يكون عارًا شنيعًا
إذا لم يقف أحد الدانائيين الآن ويقبل تحدى هيكتور

لتتحولوا جميعًا إلى ماء وطين،
إذ يجلس كل منكم هكذا مجللا بالعار والجبن. ١٠٠
حسنًا، سوف أتسلح أنا نفسى و أنازله. ومن علٍ،
من لدن الآلهة الخالدين، سوف تأتى فرص النصر ".
وما أن قال ذلك، حتى وضع على جسده أسلحته الرائعة.
وكان من الممكن أن تكون هذه نهاية حياتك يا مينيلاؤس
على يد هيكتور، حيث إنه يفوقك قوة بمراحل، ١٠٥
لو لم ينهض ملوك الآخيين بسرعة ويمسكون بك.
فقد قام أجاممنون، بن أتريوس، واسع الملك،
وأمسك بيدك اليمنى وخاطبك بقوله :
" هل أصابك الجنون يا مينيلاؤس، يا من رباك زيوس، إن مثل
هذا التهور لا يليق بك، ويجب عليك أن تتراجع، رغم أن هذا ١١٠
يؤلمك ولا تفكر فى منازلة رجل أقوى منك،
هيكتور بن برياموس، الذى يخشاه الأبطال الآخرون.
إن أخيليوس نفسه يخشى لقاءه فى المعركة
التى تجلب المجد للرجال، رغم أن أخيليوس يفوقك كثيرًا فى القوة.
فلتذهب وتتخذ لنفسك مجلسًا الآن مع مجموعة رفاقك ١١٥
وسوف يقدم الآخيون محاربًا آخر ينازله،
وحتى لو كان (هذا المحارب) شجاعًا ولا يشبع من القتال
فإننى أعتقد أنه سوف يجلس فى سعادة، إذا أمكنه،
الإفلات من الحرب المدمرة والقتال البشع ".
وعندما نطق البطل بهذه الكلمات، أقنع شقيقه ١٢٠
فقد قدم نصيحته بحكمة، فأقنعه. عندئذ
شعر أتباعه بالسعادة وهم ينزعون أسلحته من فوق أكتافه.
وبعد ذلك وقف نيستور بين الأرجيين وخاطبهم قائلاً :

" آه ثم آه، لقد حل بأرض آخايا حزن عظيم.

وسوف يئن وينتحب الفارس الأشيب بيليوس ١٢٥

ذلك الخطيب البارع، ناصح الميرميدبين الشجاع

الذى سألنى ذات مرة وأجبته فى منزله، وملأت نفسه بالسعادة

عندما عرف منى نسب جميع الأرجيين وأصلهم.

فإذا سمع الآن أنهم يرتعدون خوفًا ويهربون أمام هيكتور

فسوف يرفع يديه الغاليتين ويتضرع للخالدين ١٣٠

أن تنسل روحه من أعضائه وتذهب إلى مقر هاديس

ليتنى، يا أبانا زيوس ويا أثينة وأبوللون،

كنت شابًا مثلما كنت، عند نهر كيلادون سريع الجريان،

عندما احتشد البيليون والأركاديون المشهورون برماحهم، للقتال،

تحت أسوار فيا، بشأن مياه نهر ياردانوس. ١٣٥

عندما وقف إريوثاليون، بطلهم شبيه الآلهة

واضعًا حول كتفيه أسلحة الملك أريثوؤس،

أريثوؤس الشجاع، الذى كان يلقب بحامل الصولجان.

فقد اعتاد الرجال واعتادت النساء، ذوات الأحزمة الجميلة،

تسميته بذلك لأنه لم يكن يحارب بالقوس ولا بالرمح الطويل، ١٤٠

وإنما كان يشتت جموع المحاربين (المعادين) بصولجان حديدى،

وقد تمكن ليكورجوس من قتله بالمكر، وليس بالشجاعة،

فى ممر ضيق، ولم يكن معه صولجانه الحديدى

ليدفع الموت عن نفسه، فأسرع ليكورجوس

وضربه برمح فى وسطه، فسقط على ظهره أرضًا، ١٤٥

فجرده من أسلحته التى منحها له الإله آريس، ذو الدرع

البرونزى. ثم استخدم ليكورجوس نفسه هذا الصولجان بعد ذلك

في القتال. وعندما بلغ ليكورجوس المشيب في قصره،
أعطاه لتابعه المفضل إريوثاليون، والذى
كان فى إمكانه تحدى أقوى الرجال عند استخدامه، ١٥٠
وأصبحوا يخافونه ويخشونه بشدة، ولم يجازف أحدهم بمنازلته
ورغم ذلك، فقد حثتنى روحى الثائرة على القتال
واستفزت شجاعتى. رغم أننى كنت أصغر الموجودين سنًا
كنت أنا من تصدى له، ومنحتنى الربة أثينة المجد.
وكان أضخم وأقوى رجل قتلته فوقع على الأرض ١٥٥
فاقد الوعى تمامًا منبطحًا كجذع شجرة ضخمة تمددت
ذات اليمين وذات اليسار. ليتنى أعود شابًا مرة أخرى، وليت قوتى
ظلت كما كانت، لكنت قد نازلت بسرعة هيكتور، ذا الخوذة
اللامعة، فمن بينكم، رغم أنكم أفضل الآخيين طرًا،
لا يوجد من يتحمس للذهاب لمواجهة هيكتور ". ١٦٠

هكذا وبخهم الشيخ المسن، فهب تسعة منهم
وكان أجاممنون، ملك الرجال أولهم جميعًا،
وتبعه ابن تيديوس الشجاع، ديوميديس.
وبعده قام الثنائى أياس، العتيدان
ثم تلاهما إيدومينيوس ورفيقه فى القتال ١٦٥
ميريونيس، نظير إينواليوس، قاتل الرجال.
ثم يوريبيلوس بن يوأيمون العظيم.
وبعده قام ثواس بن أندرايمون، ثم أوديسيوس الإلهى.
هبوا جميعًا يريدون منازلة هيكتور شبيه الآلهة.
فخاطبهم نيستور الفارس الجيريني، قائلاً : ١٧٠

" والآن لتجروا القرعة (*) بينكم لنحدد من سيقع عليه الاختيار
فإنه بحق سوف يفيد الآخيين، لابسى الدروع
كما أنه سوف يستفيد أيضًا، إذا ما تمكن من النجاة
من الحرب الشرسة والقتال الرهيب ".

هكذا قال، فحمل كل منهم قرعته ١٧٥
وألقاها فى خوذة أجاممنون، بن أتريوس.
وشرع الجميع فى التضرع للآلهة وهم يرفعون أيديهم عاليًا
واتجه كل منهم ببصره للسماء العريضة قائلاً :

" يا أبانا زيوس، لتجعل القرعة من نصيب أياس
أو ابن تيديوس أو ملك موكيناى الغنية بالذهب ". ١٨٠

هكذا تضرعوا، وقام نيستور، الفارس الجيرينى
بهز الخوذة، فظهرت قرعة البطل الذى أرادوه :
أياس. فحملها أحد الرسل وطاف على الحشد
الذى يضم الآخيين جميعًا من اليسار إلى اليمين.
وعندما عرضها عليهم لم يتعرف واحد منهم عليها ١٨٥
ولكن عندما وصل، بعد أن حملها عبر الحشد كله، إلى
البطل الذى كتب العلامة ووضعها فى الخوذة، أياس المجيد،
مد يديه، ووضعها الرسول الواقف على مقربة منه، فى يده.
وعندما رأى أياس العلامة الموضوعة على القرعة تعرف عليها
وانشرح صدره، ثم ألقاها على الأرض وصاح قائلاً : ١٩٠

" أيها الأصدقاء هذه هى قرعتى، وقد سعدت بذلك

(*) القرعة κλῆρος كانت الطريقة المتبعة للاختيار فيما بين مجموعة من الرجال. ويحدد كل منهم علامة على شقافة أو قطعة من الحجر تدل عليه وتوضع العلامات جميعًا فى خوذة أو إناء ، ويتم السحب بطريقة عشوائية ، فيفوز من تخرج علامته أو قرعته أولاً .كانت هذه الطريقة تستخدم فى أثينا لاختيار من يتولى بعض المناصب.

نفسى. فإننى أعتقد أننى سوف أهزم هيكتور شبيه الآلهة.
ولكن، بينما أضع أسلحتى على جسدى، هيا
لترفعوا الصلوات للملك زيوس، بن كرونوس
سرا فيما بينكم حتى لا يسمعكم الطرواديون. ١٩٥
أو حتى صلوا جهرًا، فإننا لا نخشى أحدا على أية حال.
فإنه ما من شخص يستطيع أن يحملنى على الفرار رغمًا عنى
سواء بالقوة أو بالحيلة، حيث أعتقد أننى لست إنسانًا بسيطًا
وقد ولدت فى سلاميس وترعرعت فيها ".

هكذا قال، فتضرعوا للملك زيوس، بن كرونوس. ٢٠٠
وقال كل منهم وهو يتطلع للسماء الفسيحة الأرجاء :

" أبانا زيوس، يا من تحمى جبل إيدا، يا أعظم الآلهة وأكثرهم
مجدًا مكن أياس من إحراز النصر ونيل الشرف والمجد.
أما إذا كنت تحب هيكتور وتهتم بأمره
فلتمنحهما قوة ومجدًا متساويين ". ٢٠٥

هكذا قال كل منهم متضرعًا، بينما كان أياس يرتدى سلاحه
البرونزى البراق. وعندما انتهى من وضع جميع أسلحته على جسده
انطلق مسرعًا، مثل أريس الضخم،
إلى القتال، وسط الرجال الذين حشدهم ابن كرونوس
ليشاركوا فى الحرب، التى تأكل القلوب غضبًا. ٢١٠
هكذا اندفع أياس الضخم، حصن الآخيين،
وهو يضع ابتسامة خفيفة على وجهه المخيف، وأقدامه من تحته
تمشى بخطوات واسعة، وهو يلوح برمحه الطويل.
وصاح حشد الأرجيين فى سرور عند رؤيته،
بينما تملك الطرواديين خوف رهيب فكك أوصال كل منهم. ٢١٥

ونسارعت دقات قلب هيكتور داخل صدره،
فلم تعد هناك وسيلة للهرب أو التراجع
أمام شعبه، فهو الذى دعا للنزال.
واقترب أياس حاملاً درعه البرونزى
الذى يشبه البرج والمصنوع من سبع طبقات من جلد الثور. ٢٢٠
وقد صنعه له تيخيوس، أفضل صانعى الجلود فى هولى، بمهارة
فائقة. لقد صنع الدرع البراق من سبع طبقات
من جلد الثيران السمينة، وصنع الطبقة الثامنة من البرونز.
حمل أياس التيلامونى درعه أمام صدره
ووقف على مقربة من هيكتور وهدده قائلاً : ٢٢٥

"هيكتور، سوف ترى الآن بوضوح، ونحن نقف رجلاً لرجل
أى نوع من الرجال بقى بين قادة الدانائيين،
حتى بعد غياب أخيليوس، مشتت صفوف المحاربين، فى شجاعة
قلب الأسد. حقًا إنه يرقد الآن فى سفنه المقوسة التى تمخر العباب
إلى أبعد البحار بعد أن سيطر على نفسه غضب جامح ضد
أجاممنون، راعى الشعوب. ولكن بقى بيننا كثيرون قادرون ٢٣٠
على منازلتك. فلتبدأ المعركة وليبدأ القتال ".

فأجابه هيكتور المجيد، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً :

" أياس، ياسليل زيوس، أيها التيلامونى، يا قائد الشعوب،
لا تتعامل معى وكأننى غلام ضعيف ٢٣٥
أو امرأة لا تعرف فنون الحرب .
فقد رأيت ما فيه الكفاية من الحروب وقتل الرجال
وإننى لخبير فى التعامل بالدروع المصنوعة من جلد الثيران
المجفف، فأنا أعرف كيف أديرها يمينًا ويسارًا، وأعرف كيف أشتبك فى

حرب شرسة، كما أعرف كيف أندفع للقتال بخيولى السريعة، ٢٤٠
وأعرف جيدًا كيف أردد لآريس أنشودة الحرب الضروس.
ولكننى لا أقتل بطلاً مثلك، مترصدًا له
سرًا، ولكننى أنوى أن أطيح بك فى العلن ".

هكذا قال، وسحب رمحه الطويل وقذف
به درع أياس الرهيب المكون من سبع طبقات ٢٤٥
من الجلد وتعلوه طبقة ثامنة من البرونز،
فمرق السهم البرونزى الذى لا يقهر من خلال الطبقات السبع
ووصل إلى الطبقة الثامنة من الدرع. وعندئذ
استل أياس، سليل زيوس، رمحه الطويل
وضرب به درع ابن برياموس متين التوازن، ٢٥٠
فنفذ الرمح القوى من خلال الدرع اللامع
ومرق خلال درع الصدر المزخرف بسخاء
ومزق عباءته بجوار ضلوعه مباشرة.
لكن (هيكتور) مال فتجنب الموت الأسود.
وفى نفس اللحظة سحب كل منهما رمحه الطويل بيده ٢٥٥
وهجم كل منهما على الآخر، كما لو كانا أسدين ضاريين
أو خنزيرين بريين متوحشين لا تقهر قوتهما.
وبعد ذلك صوب ابن برياموس رمحه فى منتصف درع أياس
ولكن الرمح البرونزى لم ينفذ خلاله، فقد انثنى سنه.
فوثب أياس وطعنه فى درعه ونفذ الرمح ٢٦٠
خلال الدرع، فترنح المحارب القوى من جراء الهجوم
وشق الرمح طريقه إلى عنقه، فقطعه وتدفق الدم الأسود.
ولكن هيكتور ذو الخوذة اللامعة لم يتوقف عن القتال

ولكنه سحب حجرًا أسود، ضخمًا وحادًا مدببًا، كان ملقى
في السهل ورفعه بيده الضخمة. ٢٦٥
وضرب به درع أياس الرهيب، المكون من سبع طبقات
فجاءت الضربة في منتصف الدرع، فدوى صوت البرونز.
عندئذ رفع أياس بدوره حجرًا كبيرًا جدًا
وقذفه بسرعة واضعًا فيه كل قوته
وضرب الدرع بالحجر الذى يشبه حجر الطاحونة فمزقه، ٢٧٠
ثم سقط الحجر على ركبتي هيكتور الغاليتين فأصابهما. فسقط
ممددًا تحت درعه المحطم. ولكن أبوللون رفعه في الحال.
وكادا أن يلتحما في قتال بالسيوف،
لولا وصول الرسل، مبعوثي زيوس والبشر.
وكان أحدهما موفدًا من قبل الطرواديين والآخر من الآخيين، ٢٧٥
لابسي البرونز. تالثيبيوس و إيدايوس وكان كل منهما ذا عقل راجح
ووقفا بين المتحاربين وهما يمسكان بصولجانيهما. وصاح
إيدايوس صاحب النصح السديد قائلاً :

" لتكفا يا ولدي الحبيبين عن الصراع والقتال
فإن زيوس، جامع السحب، يحب كلاً منكما ٢٨٠
وكل منكما يجيد استخدام الرمح كما نعرف جيدًا.
لقد أقبل الليل بالفعل ومن الخير أن تخضعا لحكمه ".

فأجابه أياس التيلاموني بقوله :

" إيدايوس، فلتأمر هيكتور بهذا القول
فهو الذى كان قد دعى أفضل القادة جميعًا للنزال ٢٨٥
فليبدأ، وسوف أمتثل تماما إذا ما فعل ".

عندئذ أجابه هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً :

" أياس، حيث إن الإله قد حباك بنعمة عظيمة سواء فى القوة
أو فى الحكمة، كما إنك أمهر الآخيين فى استخدام الرمح
فدعنا الآن نتوقف عن القتال ٢٩٠
والنزال. على أن نستأنفه فيما بعد إلى أن يحكم الإله
فيما بيننا، ويمنح أحدنا النصر.
لقد أقبل الليل بالفعل. ومن الخير لنا الخضوع لحكمه.
حتى تتمكن من إسعاد جميع الآخيين الموجودين فى السفن
وخاصة أقاربك ورفاقك الموجودين معك. ٢٩٥
أما أنا فسوف أسعد قلب الطرواديين والطرواديات، ذوات الثياب
الطويلة، فى أنحاء مدينة الملك برياموس العظيمة.
اللائى سوف يدخلن معابد الآلهة ويصلين من أجلى.
ولكن دعنا نتبادل الهدايا(*) القيمة، أحدنا مع الآخر،
حتى يقول قائل من الآخيين أو الطرواديين: ٣٠٠
لقد تصارع الاثنان فى قتال، يلتهم القلوب،
ولكنهما اتفقا بعد ذلك وافترقا صديقين ودودين".

هكذا قال، ثم أعطاه سيفه المرصع بالفضة،
ومعه غمده الذى يضعه فيه، وحمالاته الجلدية الجميلة.
فأعطاه أياس بدوره حزامًا براقًا قرمزى اللون(**) ٣٠٥
وافترق الاثنان. فذهب أحدهما إلى حشود الآخيين

(*) حول تبادل الهدايا بين الأعداء انظر "بنات تراخيس" و "أياس" لسوفوكليس وراجع:
Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis, pp. 108, 112, 118 n.3, 128, 162, 165, 185 n.3 etc.
(المحرر)

(**) اللون القرمزي أو الأرجواني في اليونانية يشتق من اسم الفينيقيين Phoinikes لأن أقدم من أكتشف هذا اللون وأول من أستخدمه هم الفينيقيون .

بينما عاد الآخر إلى الطرواديين. فسعدوا
برؤيته وقد عاد إليهم حيًا وسالمًا مرة أخرى،
وبأنه قد أفلت من بأس أياس ويديه اللتين لا تقهران.
فقادوه إلى المدينة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى نجاته. ٣١٠
بينما قاد الآخيون لابسو الدروع أياس
إلى الناحية الأخرى، إلى أجاممنون المجيد، مزهوًا بانتصاره.
وعندما وصلوا إلى خيام ابن أتريوس
ذبح أجاممنون، ملك الرجال، ثورًا لهم،
عمره خمس سنوات، قدمه قربانًا لابن كرونوس القوى ٣١٥
سلخوا جلده وأعدوه، وقطعوه إلى أجزاء
ووضعوا قطع اللحم فى السفود بمهارة فائقة.
وقاموا بشوائها بعناية، ثم نزعوا السفود.
وعندما انتهوا من مهمتهم وأصبحت الوجبة جاهزة
أقاموا وليمتهم. فلا توجد نفس لا تهفو لوليمة جيدة. ٣٢٠
وكرم البطل ابن أتريوس أجاممنون،واسع الملك،
أياس وأعطاه ظهر الثور كله.
وعندما نالوا كفايتهم من الطعام والشراب،
وقبل الجميع، قام الشيخ المسن نيستور ليعلن نصيحته فى حكمة،
فقد ظهر من قبل أن رأيه هو أفضل الآراء ٣٢٥
وأنه يجيد الحكم على الأشياء، فخاطبهم قائلاً :

" يا ابن أتريوس، ويا زعماء الآخيين جميعًا
لقد لقى كثير من الآخيين ذوى الشعر الطويل حتفهم
لقد أسال آريس القاسى دمهم القانى حول
نهر سكاماندروس سريع الجريان، ونزلت أرواحهم إلى هاديس. ٣٣٠
لذا يجب عليك أن تمنع الآخيين من الحرب

ثم نتجمع لننقل جثث الموتى
بالعربات التى تجرها الثيران والبغال ثم نحرقها
على مقربة من السفن، حتى يتمكن
كل فرد من حمل جثث ذويه
إلى أولادهم، عندما نعود إلى أرض الوطن. ٣٣٥
ولنقم قبرًا واحدًا حول المحرقة
يضم رفات الجميع فى الوادى. ولنشيد بسرعة
الأبراج العالية لتكون حصنًا لنا ولسفننا،
ولنصنع فيها بوابات محكمة الغلق،
حتى تكون طريقًا تعبر من خلاله عرباتنا. ٣٤٠
ومن الخارج، نحفر خندقًا عميقًا بالقرب منه
ليمنع عنا هجوم الجياد والفرسان،
حتى لا تتساقط علينا هجمات الطرواديين المتعالين".

هكذا قال، ووافقه جميع الملوك.

بينما عقد الطرواديون فى قمة مدينة إليون ٣٤٥
اجتماعا صاخبًا ورهيبًا، بجوار بوابات برياموس.
وكان أنتينور الحكيم أول من بدأ الحديث، وقال :

" اسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون
وأيها الحلفاء، حتى أقول لكم ما يحدثنى
به قلبى الكائن فى صدرى،
هيا بنا نعيد هيلينى الأرجية وكل ممتلكاتها ٣٥٠
إلى ابناء أتريوس. فإننا نقاتل الآن
بعد أن ثبت حنثنا بعهودنا الموثقة، فلا مكسب

سوف يتحقق لنا، كما أتوقع، إذا لم نفعل ما أشير به "

وما إن قال هذه الكلمات حتى جلس. عندئذ وقف وسطهم

ألكسندروس المبجل، زوج هيلينى جميلة الشعر. ٣٥٥

فأجابه بكلمات مجنحة قائلا :

" أنتينور إن ما نطقت به لايعجبنى مطلقًا.

فأنت تعرف كيف تنطق بحديث أفضل من هذا.

ولكن إذا كنت جادًا بالفعل فيما تقول

فلابد أن الآلهة قد أتلفت عقلك. ٣٦٠

والآن سوف أتحدث وسط الطرواديين، مروضى الخيول :

إننى أعلن بكل صراحة أننى لن أعيد زوجتى أبدًا.

أما عن الممتلكات التى أحضرتها من أرجوس إلى منزلى،

فإننى أزمع ردها كلها وسوف أضيف إليها المزيد من ثروتى ".

وما إن قال هذا حتى جلس، ونهض من ٣٦٥

وسطهم برياموس بن داردانوس، نظير الآلهة فى سداد الرأى

والنصح، وتحدث راجح العقل وخاطبهم قائلاً :

" لتسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون ويا أيها الحلفاء،

حتى أقول لكم ما يحدثنى به قلبى الكائن فى صدرى.

لتتناولوا الآن عشاءكم المعد فى أنحاء المدينة كسابق عهدكم، ٣٧٠

وليتذكر كل منكم الحراسة، وليجلس منتبهًا.

وعند الفجر، ليذهب إيدايوس إلى السفن المجوفة

حاملاً لولدى أتريوس، مينيلاؤس وأجاممنون،

حديث ألكسندروس، الذى تفجرت الحرب بسببه.

وعليه أن يعلن هذه الكلمة الحكيمة: إذا ما أرادوا ٣٧٥

لنوقف هذه الحرب الكريهة، حتى نتمكن من إحراق

الجثث. وبعد ذلك لنستأنف الحرب مرة ثانية، إلى أن
يمنح أحد الآلهة النصر لأحدنا".

هكذا تحدث واستمعوا إليه باهتمام، ثم أطاعوا قوله.

فتناولوا العشاء على هيئة جماعات فى جميع أنحاء الجيش . ٣٨٠
وعند بزوغ الفجر شق إيدايوس طريقه إلى السفن
المجوفة ووجد الدانائيين، سدنة آريس، مجتمعين،
على مقربة من مقدمة سفينة الملك أجاممنون. فوقف
الرسول فى وسطهم وصاح عاليًا مخاطبًا جمعهم :
" يا ابن أتريوس، ويا كافة قادة الآخيين الآخرين، ٣٨٥
لقد أمرنى بريامَوس وباقى الطرواديين النبلاء
أن أعلن لكم عرض ألكسندروس، الذى قامت الحرب
بسببه، عله يجد منكم قبولاً ورضا.
إن كل الممتلكات والثروات التى أحضرها فى سفنه المجوفة
إلى وطنه طروادة، وليته هلك قبل وصوله إليها، ٣٩٠
فإنه يرغب فى ردها كلها وسوف يضيف إليها من ممتلكاته
الخاصة، ولكنه لن يرد تلك المرأة التى كانت زوجة
لمينيلاؤس المبجل. رغم أن الطرواديين يحثونه على فعل ذلك.
كما أمرونى أن أعلن لكم هذا الرأى أيضًا، فإذا ما رغبتم
فلنوقف هذه الحرب الكريهة حتى يتسنى لنا حرق ٣٩٥
جثث الموتى. ولنستأنف الحرب فيما بعد حتى يحكم
أحد الآلهة بيننا، ويمنح النصر لأحدنا ".

هكذا قال، واستمع إليه الجميع فى صمت مطبق.

وبعد برهة، قال ديوميديس البارع فى صيحة القتال :
"لا تدعوا أحدًا منكم يقبل ثروة ألكسندروس، ٤٠٠

ولا حتى عودة هيلينى. فقد أصبح معروفًا، حتى لطفل لا يفهم،
أن مصير الخراب قد حل بالفعل على الطرواديين ".

هكذا قال، فصاح ابناء الآخيين جميعًا

مستحسنين حديث ديوميديس، مروض الجياد.

عندئذ رد الملك أجاممنون على حديث إيدايوس قائلاً : ٤٠٥

" لقد استمعت بنفسك يا إيدايوس إلى حديث الآخيين

وهذا ردهم على ما عرضت. وهو رد يسعدنى.
أما بالنسبة لجثث الموتى، فإننى لا أعترض على حرقهم
فقد ماتوا وأصبحوا مجرد جثث،
ويجب ألا نبخل عليهم بوضعهم فى المحرقة على جناح السرعة. ٤١٠
وليشهد زيوس، ذو الرعود الصاعقة، زوج هيرا على عهودنا ".

هكذا قال، ثم رفع صولجانه تحيةً لجميع الآلهة.

وانطلق إيدايوس عائدًا إلى إليون المقدسة.
وكان الطرواديون والداردانيون جميعًا يجلسون
مجتمعين فى انتظار عودة الرسول ٤١٥
إيدايوس. وعندما عاد وقف فى وسطهم
وأعلن لهم الرد على رسالتهم. فاستعدوا بمنتهى السرعة.
وانطلق بعضهم لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر لإحضار
الأخشاب. وعلى الناحية المقابلة، انطلق بعض الأرجيين من
السفن ذات المقاعد المتينة لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر ٤٢٠
لإحضار الأخشاب. وعادت الشمس لتسطع من جديد على الحقول
بعد أن بزغت من مياه المحيط (الأوكيانوس) العميقة هادئة
الجريان وارتفعت فى السماء. وهنا تقابل الفريقان.
وكان من الصعب التعرف على شخصية القتلى،

ولكنهم غسلوا الجثث بالماء لإزالة الدم المتخثر، ٤٢٥
وذرفوا الدموع الساخنة عليها، ثم حملوها فوق العربات
ومنعهم برياموس المجيد أن يجهشوا بالبكاء بصوت عال. وفى
صمت وضعوا الموتى فى أكوام على المحرقة وقلوبهم مفعمة
بالأسى. وبعد أن أشعلوا فيهم النيران عادوا إلى إليون المقدسة.
ومن الناحية الأخرى، كان الآخيون لابسو الدروع ٤٣٠
يضعون جثث موتاهم فوق المحرقة وقلوبهم مفعمة بالحزن
وبعد أن أضرموا فيهم النيران عادوا إلى سفنهم المجوفة.

وبينما كان الفجر لم يبزغ بعد، وفى ظلمة الليل،
اجتمعت نخبة مختارة من الآخيين حول المحرقة
وشرعوا فى تشييد قبر واحد حولها ٤٣٥
يضم الجميع، بإحضار التراب من الوادى. وعلى مقربة منه أقاموا
حائطًا زودوه بأبراج عالية، حماية لهم ولسفنهم.
وبنوا فى وسطه بوابات متينة
تصلح أن تكون طريقًا تعبر من خلاله العربات.
ومن الخارج حفروا خندقًا عميقًا ٤٤٠
كبير الحجم وعريضًا، وثبتوا فيه أوتادًا محكمة.

هكذا كان الآخيون، ذوو الشعر الطويل، يعملون
بينما جلس الآلهة حول زيوس، إله البرق، وهم ينظرون
بإعجاب لهذا الجهد العظيم الذى يبذله الآخيون، لابسو البرونز.
وبدأ بوسيدون، مزلزل الأرض، الحديث وخاطبهم قائلاً : ٤٤٥

"أبانا زيوس، هل يوجد واحد من البشر على الأرض التى
لانهاية لها لا يزال يخبر الآلهة الخالدين عما يدور فى عقله، وعن نيته

المبيتة ؟ ألا ترى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل قد أقاموا
مرة أخرى حائطًا من أجل حماية سفنهم، وحفروا
حوله خندقًا، ولم يقدموا القرابين الفخمة للآلهة ؟ ٤٥٠
وسوف تمتد شهرة هذا الحائط إلى حيث يسطع ضوء النهار
وسوف يطوى النسيان ذلك الحائط الذى بنيناه أنا وأبوللون
فويبوس (الوضاء) للبطل لاؤميدون، وتكبدنا مشقة بنائه ".
فغضب زيوس جامع السحب، وأجابه قائلاً :
" سحقًا لك يا مزلزل الأرض، ما هذا الذى تقوله أيها القوى ؟ ٤٥٥
قد يخشى إله آخر غيرك من هذا الشعور،
إله أقل منك، أضعف فى القدرة والقوة.
إن شهرتك تصل إلى كل مكان يشرق عليه ضوء النهار.
فاذهب وانظر، فإذا ذهب الآخيون، ذوو الشعر الطويل،
ليعودوا بسفنهم ثانية إلى أرض وطنهم الحبيبة ٤٦٠
فحطم الحائط وبعثره فى جميع أنحاء البحر،
ولتكسو الشاطىء الكبير بالرمال مرة أخرى،
بعد أن ترى أن حائط الآخيين الكبير قد تحطم ".
هكذا خاطب كل منهما الآخر
حتى غربت الشمس وأتم الآخيون عملهم، ٤٦٥
فذبحوا الثيران فى جميع أنحاء المعسكر وتناولوا عشاءهم.
وكانت السفن العديدة قد أحضرت الخمر
من ليمنوس. فقد أرسلها إيونيوس بن ياسون،
والذى أنجبته هيبسبيلى من ياسون راعى الشعوب.
لقد أرسل ابن ياسون ألف مكيال من النبيذ ٤٧٠
لولدى أتريوس، أجاممنون ومينيلاؤس، وحدهما.

واشترى الآخيون ذوو الشعر الطويل حاجتهم من الخمر،
لقد اشتراه بعضهم بالبرونز، وبعضهم بالحديد اللامع
وآخرون مقابل الدروع المصنوعة من جلد الثيران، والبعض
الآخر بالثيران الحية، والبعض الآخر مقابل العبيد . ٤٧٥
ثم أقاموا مأدبة فاخرة. واستمر الآخيون ذوو الشعر الطويل
يحتفلون بالولائم طوال الليل، وكذلك فعل الطرواديون والحلفاء
في طروادة. وظل زيوس ذو المكر يدبر لهم المكائد
طوال الليل، ويرسل الرعد المخيف. فأصابهم الشحوب من شدة
الخوف، وسكبوا الخمر على الأرض من الكئوس. ولم يجرؤ ٤٨٠
واحد منهم. أن يشرب قبل أن يسكب الخمر تقربًا لابن كرونوس القوى.
ثم خلدوا بعد ذلك للنوم ليستمتعوا بهذه الهدية. ٤٨٢

الكتـــاب الثامن



ترجمة منيرة كروان

ونشرت إلهة الفجر، ذات الرداء الزعفرانى، الضياء فى أنحاء
الأرض. أما زيوس، المتمتع بالصاعقة، فقد عقد اجتماعا
للآلهة على أعلى قمة فى الأوليمبوس، متعدد القمم.
وبينما كان جميع الآلهة يرهفون السمع تحدث زيوس قائلاً:
" أيها الآلهة وأيتها الإلهات لتسمعونى ٥
حتى أقول لكم ما يحدثنى به قلبى الكائن فى صدرى.
لا يحاول أحدكم أبدًا، إلهًا كان أم إلهة،
أن يعارض رأيى، ولتقوموا جميعًا
بالموافقة عليه، حتى أستطيع تحقيق هذه المهام بسرعة.
فإن من أشعر أنه ينفرد دون الآلهة ويرغب ١٠
فى الذهاب لمساعدة الطرواديين أو الدانائيين،
فسوف يعود إلى الأوليمبوس وقد عاقبته بقسوة،
أو سوف أمسك به وأقذفه إلى تارتاروس المظلمة
أسفل سافلين، فى أعمق أعماق الأرض،
حيث توجد البوابات الحديدية والطريق البرونزى. ١٥
الهوة التى تبتعد عن هاديس بمقدار بعد السماء عن الأرض.
وسوف يعرف عندئذ أننى أقوى الآلهة أجمعين.
فهيا حاولوا أيها الآلهة، وسوف تعرفون جميعًا
أنكم لو ربطتم حبلاً متينًا من الذهب، وأنزلتموه من السماء العالية
وأمسكتم به جميعًا، آلهة وإلهات، ٢٠
فلن تستطيعوا إنزال زيوس أحكم الحكماء،
من السماء إلى الأرض، حتى لو بذلتم أقصى ما فى وسعكم.
ولكن إذا حاولت أنا أن أشده
فسوف أجركم ومعكم الأرض نفسها والبحر.
وإذا ما لففت الحبل حول إحدى قمم الأوليمبوس ٢٥
وربطته فيها، فسوف يظل الكون كله معلقًا.

بهذا القدر أتفوق أنا على جميع الآلهة والبشر ".

هكذا قال واستمع إليه الجميع فى صمت

من فرط إعجابهم بحديثه، فقد كان يتحدث بثقة تامة.

وأخيرًا تكلمت الربة أثينة، زرقاء العينين وقالت: ٣٠

" يا أبانا يا ابن كرونوس، يا أقوى الآلهة،

إننا نعرف تماما أن قوتك لا تقهر.

ولكننا رغم ذلك نشعر بالحزن على الرماحين الدانائيين

الذين قد يكون من نصيبهم أن يهلكوا بعد أن فاض بهم الكيل من

سوء المصير. وسوف ننسحب من هذه الحرب، كما أمرتنا ، ٣٥

ولكننا سوف نقدم للأرجيين نصيحة قد تفيدهم،

حتى لا يهلكوا جميعًا بسبب غضبك عليهم ".

فأجابها زيوس، جامع السحب، وهو يبتسم بقوله:

" لا تخافى ياطفلتى الحبيبة أثينة تريتوجينيا(*)، فأنا لا أتكلم

الآن بصرامة، وإننى لأرغب أن أكون رفيقًا بك ". ٤٠

هكذا قال، ثم ربط إلى عربته خيوله سريعه الركض

ذات الحافر البرونزى والعرف الذهبى الطويل.

ووضع رداءه الذهبى على جسده، وأمسك بسوطه

الذهبى رائع الصنع، وأعتلى عربته

وضرب الخيل بسوطه لتنطلق، فشرعت فى الركض ٤٥

وانطلقت بين الأرض والسماء المزينة بالنجوم.

فوصلت إلى جبل إيدا، كثير الينابيع، حاضن الوحوش،

إلى جارجاروس، حيث يوجد مذبحه المقدس الفواح بالعبير.

(*) يشير هوميروس هنا لأثينة بأحد أسمائها وهو (Τριτογενεια) وقد اختلفت وجهات النظر فى تفسير معنى هذه الكلمة ، فالبعض ينسبها لبحيرة (Τριτωνις) بليبيا والتى ولدت الربة على مقربة منها، بينما ينسبها البعض الأخر للصفة Τριτος) أى الثالث. فيقولون إنها ولدت فى ثالث يوم من الشهر أو إنها ولدت بعد أبوللون وأرتميس فكانت الطفلة الثالثة.

وهناك أوقف أبو البشر والآلهة جياده
وحل قيودها من العربة، ونشر حولها ضبابًا كثيفًا. ٥٠
وجلس فوق القمة، مزهوًا بجلاله
وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وسفن الآخيين.
وتناول الآخيون ذوو الشعر الطويل عشاءهم
فى المعسكر على عجل، ثم وضعوا أسلحتهم على أجسادهم.
وفى الجانب الآخر، كان الطرواديون يسلحون أنفسهم أيضًا فى ٥٥
أنحاء المدينة. كانوا أقل عددًا، بيد أنهم كانوا شديدى الحماس
للقتال بسبب حاجتهم الملحة للدفاع عن أولادهم وزوجاتهم.
وعندما فتحت البوابات كلها، اندفع شعب طروادة،
مشاة وفرسانًا، وارتفعت جلبة شديدة.
وعندما جاء الجيشان والتقيا فى مكان واحد ٦٠
تصادمت الدروع والرماح مع بعضها البعض، وثار غضب
المحاربين لابسى الدروع البرونزية. وكانت الدروع ذات الصرة
فى المنتصف تتصادم مع بعضها البعض فتثير الصخب
والضجيج. واختلطت أصوات النحيب مع صيحات النصر،
والقاتل بالقتيل، وتخضبت الأرض بالدماء. ٦٥
وبعد الفجر ومع تقدم النهار المقدس ومرور الوقت
ظلت الرماح تسقط بغزارة على الجانبين، وتوالى سقوط الرجال.
وعندما صعدت الشمس إلى منتصف السماء،
أمسك الأب (زيوس) بكفتى الميزان الذهبيتين
ووضع فيهما مصيرين من الموت الرهيب ٧٠
واحدًا للطرواديين مروضى الخيول، والآخر للآخيين لابسى
البرونز. وأمسك الميزان من منتصفه ورفعه. فسقط يوم موت
الآخيين، لقد سقطت أقدار الآخيين إلى الأرض وافرة الثمرات،
بينما ارتفعت أقدار الطرواديين إلى السماء الفسيحة.

عندئذ أرعد (زيوس) بقوة وأرسل البرق من إيدا ٧٥
وأسقط نيرانه المشتعلة وسط الآخيين. فلما رأوا ذلك
ذهلوا وأصابهم الخوف بالشحوب.
عندئذ لم يجرؤ إيدومينيوس على البقاء، ولا أجاممنون
ولا البطلان الثنائى أياس، خادما أريس.
وبقى نيستور الجيرينى، حارس الآخيين وحيدًا. ٨٠
ولم يبق نيستور برغبته، ولكن جواده كان قد أصيب بجرح
عندما ضربه ألكسندروس النبيل، زوج هيلينى جميلة الشعر،
فى مقدمة رأسه، حيث تنبت الشعيرات الأولى
فى أعلى جبهة الجواد، وهى المقتل.
وقفز الجواد من الألم عندما دخل السهم فى جبهته ٨٥
وأثار الارتباك وسط بقية الجياد وهو يتألم من طعنة السهم البرونزى.
عندئذ ضرب الشيخ الطاعن فى السن سيور الجواد الجلدية
بسيفه فقطعها، ولكن خيول هيكتور السريعة
جاءت وراءه حاملة قائدًا شجاعًا
هو هيكتور نفسه. عندئذ كاد الشيخ المسن أن يفقد حياته ٩٠
لو لم ينتبه إليه بسرعة ديوميديس البارع فى صيحة القتال.
فقد صاح فى أوديسيوس بصوت مرعب، واستحثه قائلاً:

" أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، ياسليل زيوس ويا واسع الحيلة
إلى أين تهرب وسط الحشود موليًا الأدبار كالجبان.
انتبه حتى لا يرميك أحدهم بسهم فى ظهرك أثناء هروبك ولتنتظر ٩٥
معى حتى ندفع عن الشيخ الطاعن فى السن عدوه الشرس بعيدًا".
هكذا قال، ولكن أوديسيوس الإلهى، شديد الجلد لم
يصغ إليه واندفع مسرعًا إلى سفن الآخيين المجوفة.
ولكن ابن تيديوس اندفع إلى الصفوف الأولى، رغم أنه كان
بمفرده ووقف أمام عربة ابن نيليوس المسن ١٠٠

وصاح مخاطبًا إياه بكلمات مجنحة:

"أيها الشيخ، لقد ضيق عليك المحاربون الشبان الخناق،
وقد ضعفت قوتك، وتضغط عليك الشيخوخة
بشدة، كما أن تابعك ضعيف وجيادك بطيئة.
فلتركب فى عربتى حتى تعرف ١٠٥
كيف تكون الجياد الطروادية التى تعرف كيف
تكر وتفر هنا وهناك بسرعة كبيرة فى السهل.
فهى التى استوليت عليها ذات مرة من آينياس، الذى يبعث الخوف
فى النفوس. إن تابعى سوف يعتنيان بجيادك، ولكن دعنا
نطارد بعربتى الطرواديين، مروضى الخيول، حتى يعرف ١١٠
هيكتور نفسه أن رمحى أيضًا قد يبلغ حد الجنون فى غضبه ".
هكذا قال، فأطاعه نيستور الفارس الجيرينى.
أما عن جياد نيستور، فقد تولى أمرها خادماه
القويان، سثينيلوس ويوريميدون الشجاع
بينما ركب البطلان فى عربة ديوميديس ١١٥
وأمسك نيستور بيديه أعنة الجياد اللامعة
وضرب الجياد بسوطه، فاقتربت بسرعة من هيكتور،
واندفع ابن تيديوس تجاهه وكله حماس، وصوب سهمه
تجاهه ولكنه أخطأه، وأصاب تابعه الذى يقود عربته
إنيوبيوس، بن ثيبايوس، المقدام ١٢٠
والذى كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه فى صدره بجوار ثديه.
فسقط من العربة وانحرفت الجياد
سريعة الأقدام جانبًا، وفاضت روحه ومات فى التو.
وأصاب قلب هيكتور حزن رهيب على سائق عربته،
ولكنه تركه راقدًا، ورغم أن الألم كان يعتصر روحه ١٢٥
حزنًا على رفيقه، فقد أسرع ليبحث عن سائق آخر شجاع.

ولم يطل انتظاره، فسرعان ما عثر لجياده على سائق. فقد وجد بسرعة
أرخيبتوليموس، بن إفيتوس، الشجاع وجعله
يمتطى ليقود جياده سريعة الأقدام، وأعطاه الأعنة فى يديه.
عندئذ ساد الدمار وحدثت أحداث أليمة. ١٣٠
وكادوا يحبسون فى إليون كالأغنام
لو لم يرهم أبو الآلهة والبشر بسرعة.
فقد أرعد بعنف وأنزل ألسنة البرق،
فسقطت على الأرض أمام جياد ديوميديس.
واشتعلت ألسنة اللهب التى بعث بها الإله بقوة ١٣٥
فأصاب الرعب الجياد وانكمشت، وهى ترتعد تحت العربة.
وأصاب الرعب نيستور، فأفلتت أعنة الجياد اللامعة من يديه
فأصاب الحزن قلبه، وصاح مخاطبًا ديوميديس

" تعال يا ابن تيديوس ولتستدر بجيادك الأصيلة طلبًا للهرب.
ألا ترى أن زيوس لا يؤيدك بنصره، فإن زيوس بن كرونوس ١٤٠
يهب اليوم مجده لهذا الرجل عدونا، وقد يمنحنا المجد فيما بعد
إذا كانت هذه هى مشيئته. فلا يوجد بشر مهما بلغت
قوته يمكنه أن يتحدى إرادة زيوس، فإنه أقوى الجميع ".

فأجابه ديوميديس البارع فى صيحة القتال قائلاً: ١٤٥
" سيدى إن كل ما تقوله صحيح تمامًا.
ولكن الحزن الرهيب يخيم على قلبى وروحى.
لأن هيكتور سوف يقول ذات يوم وسط الطرواديين:
لقد هرب ابن تيديوس، ذات يوم، إلى السفن خوفًا منى .
هكذا سوف يتفاخر ذات يوم. فلتبتلعنى الأرض الواسعة قبل ذلك " ١٥٠

عندئذ أجابه نيستور الفارس الجيرينى قائلاً:
" آه مما قلته يا ابن تيديوس الحكيم،

فحتى إذا وصمك هيكتور بالجبن والضعف،
فلن يصدق الطرواديون والداردانيون كلامه
ولا زوجات المحاربين الشجعان اللائى ١٥٥
مرغت فى التراب أزواجهم، وهم فى عنفوان شبابهم ".

هكذا قال، ثم أدار جياده القوية وحيدة الحافر، لكى يهرب
من خضم الاقتتال، بينما واصل الطرواديون وهيكتور
قذفه بوابل من السهام الموجعة، وهم يصيحون فى جلبة شديدة.
وخاطبه هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً بصوت عال: ١٦٠

" يا ابن تيديوس لقد كان الدانائيون، ذوو الجياد السريعة،
يكرمونك فى مجالسهم، ويقدمون لك اللحوم والكئوس المترعة.
أما الآن فإنهم سوف يحتقرونك. فإن شجاعتك لا تزيد عن
شجاعة النساء. اذهب أيها الدمية القميئة (الفتاة التافهة)، فلن
أستسلم ولن أدعك تعتلى أبراجنا، ولن تحمل نساءنا ١٦٥
أبدًا فى سفنك، وسأرديك صريعًا فى القريب العاجل".

هكذا قال، فتردد ابن تيديوس بين أمرين:
فإما أن يهرب بجياده أو يحاربه وجها لوجه.
ثلاث مرات تردد عقله وترددت روحه،
ولكن زيوس المدبر، أرعد ثلاثًا من جبال ايدا. معطيًا إشارة ١٧٠
للطرواديين بأن مجرى الأمور فى القتال يسير لصالحهم.
فصاح هيكتور فى الطرواديين واستحثهم بصوت عال قائلاً:

"أيها الطرواديون والليكيون وأيها المقاتلون الداردانيون
كونوا رجالاً يا أصدقائى، وتذكروا شجاعتكم الفائقة،
فإننى أشعر أن ابن كرونوس يومىء لى بنية طيبة ١٧٥
وسوف يمنحنى النصر والمجد العظيم، والدمار للدانائيين.
يا لهم من سذج، فقد شيدوا هذه الحوائط

الضعيفة التى لا تستحق النظر إليها، والتى لن تصمد أمام قوتنا.
إن خيولنا سوف تعبر بسهولة فوق خندقهم الذى حفروه،
ولكن إذا ذهبنا إلى حيث توجد سفنهم المجوفة ١٨٠
فلا تنسوا إحضار شعلات النار الحارقة
حتى أضرم النيران فى السفن، وأقتل هؤلاء
الأرجيين عندما يقفون مشدوهين بجانب سفنهم بسبب الدخان".

هكذا قال، ثم صاح فى جياده قائلاً:

" هيا يا كسانثوس ويا بودارجوس ويا أيثون ويا لامبوس القوى ١٨٥
إنكم مدينون لى على ما أوليته لكم من رعاية.
فإن أندروماخى، ابنة إيتيون الجسور،
قدمت لكم بقلبها المعسول القمح اللذيذ، ووضعت أمامكم
الخمر الممزوجة لتشربوا منها، كلما هفت نفوسكم للشراب.
أو تضعها أمامى، أنا الذى أزهو بأننى زوجها الهمام، ١٩٠
فلتسرعوا فى مطاردة نيستور، حتى يمكننا أن نستولى
على درعه، ذلك الدرع الذى بلغ صيته السماء
والمصنوع كله من الذهب، حتى قضبانه واقية الذراع.
وحتى نخلع عن كتفى ديوميديس، مروض الجياد،
درع الصدر المزخرف الذى صنعه له هيفايستوس. ١٩٥
فإذا ما أمكننا الاستيلاء عليه فسوف يراودنى الأمل
فى أن الآخيين سوف يبحرون فى سفنهم السريعة هذه الليلة".

هكذا قال بتفاخر، ولكن هيرا المبجلة كانت غاضبة،
وكانت تهتز فى عرشها، فجعلت الأوليمبوس الشاهق يرتجف.
ثم خاطبت الإله بوسيدون العظيم قائلة: ٢٠٠

" ويحى يا مزلزل الأرض يا واسع السلطان.
ألا تتألم روحك داخل صدرك لمصير الدانائيين الذين يهلكون،

رغم أنهم كانوا يحملون الهدايا إلى هيليكى وأيجاى(*) من أجلك،
هدايا كثيرة وجميلة، ألا تريد لهم النصر ؟
فلو أمكننا، نحن الذين نناصر الدانائيين، ٢٠٥
أن نطرد الطرواديين ونعرقل خطط زيوس، واسع الأفق،
لجلس وحيدًا يبكى فوق جبل ايدا ".

فانزعج مزلزل الأرض القوى من كلماتها ورد قائلاً:
" هيرا، ما هذه الكلمات الجريئة التى تتفوهين بها !
إننى لا أرغب مهما كان الأمر فى شن حرب ضد زيوس، بن ٢١٠
كرونوس. سواء نحن بمفردنا أو مع الآخرين، حيث إنه الأقوى ".

هكذا خاطب كل منهما الآخر.
وكانت كل المسافة بين السفن والخندق مكتظة
بالجياد والمحاربين على حد سواء
وقد حبسهم بداخلها شبيه الإله أريس، ٢١٥
هيكتور بن برياموس الذى منحه زيوس المجد،
حتى كاد أن يضرم النيران الحارقة فى السفن، متينة الاتزان،
لو لم تلهم هيرا المبجلة عقل أجاممنون
أن ينهض ليحث الآخيين بسرعة.
فذهب إلى حيث توجد خيام الآخيين وسفنهم ٢٢٠
وبيده القوية حمل عباءته الأرجوانية الفضفاضة،
ووقف بجوار سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
والتى تقف فى المنتصف، حتى يصل صوته إلى كلا الاتجاهين،
إلى خيام أياس التيلامونى على هذا الجانب،
وإلى خيام أخيليوس على الجانب الآخر. فقد سحبوا سفنهم القوية ٢٢٥
متينة الاتزان إلى أقصى الطرفين معتمدين على شجاعتهما

(*) هيليكى وأيجاى مدينتان فى آخايا. (المحرر)

وقوة أيديهما. وبصيحة شقت الفضاء صاح فى الدانائيين قائلاً:

"يا للعار ! عليكم اللعنة أيها الأرجيون يامن لا تملكون سوى
المظهر الحسن. أين ذهب تفاخركم عندما كنتم تعلنون أننا الأشجع
مثلما كنتم تتفاخرون بزهو فى ليمنوس: ٢٣٠
وانتم تلتهمون الكثير من لحم الثيران صغيرة السن،
وتشربون الكئوس المترعة بالخمر حتى حافتها،
وتدعون أن كل واحد منكم يعادل فى القتال مائة أو مائتين
من الطرواديين. بينما لا نعادل جميعًا الآن رجلاً واحدًا
هو هيكتور، الذى سرعان ما سيضرم النيران الحارقة فى ٢٣٥
سفننا. أبانا زيوس، هل يوجد أحد من الملوك العظام
أغرقته فى الحيرة وسلبته ملكه العظيم مثلى ؟
رغم أننى لم أمر مطلقًا بسفينتى ذات المقاعد الكثيرة
بأى من مذابحك الجميلة بأى مكان فى الأرض
إلا وأحرقت فيها من أفخاذ الثيران السمينة ٢٤٠
متضرعًا أن تمكننا من تدمير طروادة، منيعة الأسوار.
فلتحقق لى يا زيوس هذا الرجاء
ولتمكننا أن نهرب وننجو بحياتنا.
ولا تسمح يا أبانا للطرواديين أن يقتلوا الآخيين بهذه الصورة ".

هكذا قال، فشعر الإله الأب بالشفقة عليه، وهو يذرف الدمع ٢٤٥
الغزير، فأومأ بالموافقة على إنقاذ شعبه حتى لا يفنى.
وفى الحال، أرسل نسرًا، علامة زيوس المؤكدة بين الطيور،
يمسك بمخالبه ظبيًا صغيرًا، وليد غزالة سريعة،
وأسقط النسر الظبى على مذبح زيوس فائق الجمال،
حيث كان الآخيون يقدمون القرابين لزيوس، سيد كل النبوءات. ٢٥٠
وعندما تأكدوا أن الطائر مرسل من لدن زيوس
هجموا بسرعة على الطرواديين وعاودهم الحماس للقتال.

عندئذ، لم يستطع واحد من قادة الدانائيين، رغم كثرة عددهم،
أن يتفاخر بأنه سبق جياد ابن تيديوس السريعة
في عبور الخندق وفي منازلة الأعداء وجهًا لوجه. ٢٥٥
وكان هو بالفعل أول من قتل أحد المحاربين الطرواديين،
أجيلاؤس بن فرادمون، الذي كان قد استدار بجياده طلبًا للفرار،
ولكنه ما كاد يستدير حتى غرس ابن تيديوس الرمح في ظهره
في منتصف المسافة بين كتفيه. فنفذ الرمح إلى صدره
وسقط من فوق عربته، وسقطت أسلحته فوقه وهي تجلجل. ٢٦٠
وجاء بعده أجاممنون ومينيلاؤس، ولدا أتريوس
ثم جاء البطلان الثنائي أياس وهما يتدثران بشجاعتهما.
وبعدهما إيدومينيوس، ورفيقه في الحرب
ميريونيس، نظير إنياليوس، قاتل الرجال.
وجاء بعدهم يوريبيلوس، بن يوأيمون الشجاع ٢٦٥
وكان تاسعهم تيوكروس الذي جاء رافعًا قوسه المعقوف،
ووقف في حمى درع أياس التيلاموني.
وكان أياس يرفع درعه للأمام عاليًا، بينما يقوم البطل
باستطلاع الأمر ثم يصوب سهمه تجاه واحد
من الأعداء فيسقط في الحال ويلفظ أنفاسه. ٢٧٠
ثم يذهب على الفور إلى أياس كطفل يرتمي
في صدر أمه، فيحميه بدرعه اللامع.
فمن أولاً بين الطرواديين قتل تيوكروس النبيل ؟
لقد سقط أورسيلوخوس أولاً، ومن بعده أورمينوس، ثم أوفيلستيس،
ثم دايتور، فخروميوس، ثم ليكوفونتيس، شبيه الآلهة ، ٢٧٥
ثم أموباؤن بن بوليأيمون، ثم ميلانيبوس.
لقد جعلهم تيوكروس جميعًا يتمددون على الأرض، كثيرة
الخيرات. ولقد انشرح صدر أجاممنون، ملك الرجال، وهو يراه

يشيع الفوضى فى صفوف الطرواديين بقوسه العتيد.
فاقترب منه ووقف بجانبه وخاطبه قائلاً: ٢٨٠

"أيها الحبيب إلى قلبى، تيوكروس بن تيلامون، قائد الشعوب
واصل إطلاق سهامك هكذا، حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين
ولوالدك تيلامون، الذى رباك وأنت طفل صغير
وكان يحملك، وقام بتنشئتك فى منزله رغم أنك كنت ابنًا غير شرعى.
فسوف تجلب له الشهرة رغم وجوده على مسافة بعيدة منك. ٢٨٥
إننى أعلن لك ما سوف يحدث،
فإذا ما مكننى زيوس، حامل الدرع أيجيس، وأثينة
من تدمير مدينة إليون، متينة البنيان
فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،
التى قد تكون مقعدًا ثلاثيًا أو زوجًا من الجياد ومعهما عربة، ٢٩٠
أو امرأة تشاركك فراشك".

فرد عليه تيوكروس النبيل بقوله:
" يا ابن أتريوس صاحب الجلالة، لماذا تحثنى على ما أنا
متحمس له بالفعل ؟ فإنى لن أتراجع طالما بقيت قوتى
فلم أتوقف عن القتال، منذ دفعناهم إلى داخل إليون ٢٩٥
ولم أترك فرصة واحدة لقتل الرجال بسهامى.
فقد صوبت ثمانية سهام ذات رءوس مدببة،
أصابت كلها أجساد محاربين أقوياء يتميزون بالسرعة فى
الحرب. ولكننى رغم ذلك، لا أستطيع إصابة ذلك الكلب الهائج ".

هكذا قال، ثم قذف سهمًا آخر من جعبة سهامه ٣٠٠
فى اتجاه هيكتور، وقلبه يهفو لإصابته.
ولكن السهم أخطأه وأصاب جورجيثيون الذى لا مثيل له،
ابن برياموس النبيل، واستقر السهم فى صدره.

جورجيثيون الذى أنجبته أمه كاستيانيرا الجميلة، من مدينة
أيسيمى والتى تشبه الربات فى هيئتها بعد زواجها (من ٣٠٥
برياموس). وكما تضع زهرة الخشخاش، الموجودة فى الحديقة،
رأسها على أحد الجانبين بسبب ثقل ما تحمله من ندى الربيع،
هكذا مالت رأسه جانبًا بسبب ثقل خوذته.
ومرة أخرى سدد تيوكروس تجاه هيكتور
سهمًا من جعبة سهامه، فهكذا أمره قلبه. ٣١٠
ولكنه أخطأه مرة أخرى. فقد جعل أبوللون السهم يحيد عن هدفه،
فأصاب السهم أرخيبتوليموس، سائق عربة هيكتور الشجاع،
فى صدره بجانب ثديه، وهو يسرع وسط معمعة القتال.
فسقط من فوق العربة، وتراجعت الخيول
سريعة الأقدام. وفى الحال خارت قوته وفاضت روحه. ٣١٥
وامتلأ قلب هيكتور بحزن موجع على سائقه،
ولكنه تركه مسجى هناك رغم شدة حزنه عليه.
وأمر شقيقة كيبريونيس، الذى كان موجودًا على مقربة منه،
أن يمسك بأعنة الجياد، فأطاعه فور سماع أمره.
أما هو فقد قفز من عربته اللامعة إلى الأرض. ٣٢٠
وصاح صيحة مرعبة. ثم أخذ بيده حجرًا
واندفع تجاه تيوكروس يريد مهاجمته.
ولكن تيوكروس جذب سهمًا حادًا من جعبة سهامه
ووضعه على وتر قوسه، وبينما هو يسحب السهم للخلف
ضربه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، فى كتفه، حيث تفصل عظمة ٣٢٥
الترقوة العنق عن الصدر، وحيث المقتل.
لقد ضربه، أثناء اندفاعه تجاهه، بحجر مدبب
فقطع الوتر، وأصيبت يده بالشلل من عند المعصم.
فتوقف ثم سقط على ركبتيه، وسقط السهم من يده.

ولم يكن أياس غافلاً عن سقوط أخيه، ٣٣٠
فجرى وأحاطه بدرعه ليحميه
وقام اثنان من رفاقه المخلصين برفعه،
هما ميكيستيوس بن إخيوس وألاستور المجيد،
وحملاه إلى السفن المجوفة، وهو يئن ويتوجع.

عندئذ بعث الأوليمبى (زيوس) الحماس فى نفوس ٣٣٥
الطرواديين مرة أخرى، فدفعوا الآخيين فى الحال فى اتجاه الخندق
العميق. ووقف هيكتور فى مقدمة المحاربين وهو يتيه زهوا
بقوته. ومثلما يطبق أحد الكلاب السريعة فكيه على خنزير برى
أو أسد ويغرس فيه أسنانه من الخلف، وهو يطارده بسرعة
ويمسك به من ردفه أو فخذه وهو يراقبه عن كثب أثناء دورانه. ٣٤٠
هكذا كان هيكتور يتعقب الآخيين ذوى الشعر الطويل
ويقتل منهم من كان فى المؤخرة، فيفرون منه مذعورين.
وكانوا يعبرون التحصينات والخندق
أثناء هروبهم، فقتل كثير منهم بأيدى الطرواديين.
وبعد تراجعهم، مكثوا بجوار سفنهم ٣٤٥
ينادى بعضهم البعض، ويصلى كل منهم
لجميع الآلهة رافعًا يديه فى ضراعة .
وكان هيكتور يجول هنا وهناك بجياده جميلة العرف
وهو ينظر بعيون أشبه بعيون الجورجونة. أو آريس مدمر
البشر. وعندما نظرت إليهم الربة هيرا، بيضاء الذراعين، أشفقت ٣٥٠
عليهم وعلى الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة قائلة:

" يا للعار، ألا يجب علينا، يا ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس،
أن نفكر، ولو للمرة الأخيرة، فى الدانائيين
الذين يعانون من القدر القاسى وقد يهلكون الآن
بسبب هجوم رجل واحد، هو هيكتور بن برياموس ٣٥٥

الذى يثور الآن بطريقة لا يمكن احتمالها
والذى ارتكب الكثير من الشرور". فأجابتها الربة أثينة،
زرقاء العينين، بدورها قائلة:
"حقا، كم تمنيت أن يفقد قوته وروحه
فى أرض وطنه أو يموت بيد أحد الأرجيين.
ولكن أبى غاضب ولا يضمر (لاينوى) خيرًا ٣٦٠
فهو يخيب آمالى، كما أنه آثم وقاسى
ولا يتذكر أننى كثيرًا ما أنقذت
ابنه (هرقل) من الأعمال القاسية
التى فرضها عليه يوريسثيوس. فكثيرًا ما كان
ينتحب وهو ينظر للسماء، فكان زيوس
يرسلنى من السماء، لمساعدته. ٣٦٥
" ولو كنت قد أدركت ذلك بعقلى الحكيم
عندما أرسله إلى مملكة هاديس،
كى يخرج (يقود) كلب هاديس الكريه حارس البوابات من
إريبوس[*]. ما كان ليستطيع الهروب من نهر ستيكس شديد
الانحدار. ولكنه يكرهنى الآن، ويستجيب لرغبات ثيتيس. ٣٧٠
التى قبلت ركبتيه وأمسكت ذقنه بيدها
وتوسلت إليه أن يمنح المجد لأخيليوس، مدمر المدن.
و لكن سوف يأتى وقت ينادينى فيه مرة أخرى بحبيبتى زرقاء
العينين. والآن، فلتجهزى جيادنا السريعة (ذات الحافر الواحد)
حتى أدخل أنا إلى قصر زيوس، حامل الدرع أيجيس ٣٧٥
وأتسلح بأسلحة الحرب، وسوف نرى عندئذ
إذا كان هيكتور، بن برياموس، ذو الخوذة اللامعة

(*) إريبوس Erebos: مكان يوجد فى ظلمة العلم السفلى . فوق هاديس ويستخدم فى التشبيهات للدلالة على الإظلام الشديد.

سوف يُسَر بظهورنا عند خطوط القتال
أم أن أحد الطرواديين سوف يملأ بطون الكلاب والطيور
الجارحة باللحم والدهن، بعد أن يسقط صريعًا بجوار سفن الآخيين". ٣٨٠
هكذا قالت، فأطاعتها الربة هيرا، بيضاء الذراعين.
وأسرعت الإلهة المبجلة هيرا ابنه كرونوس العظيم
وأعدت الجياد ذات الجبهة الذهبية.
بينما كانت أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس
تدع طيات ثوبها الرقيق رائع الزينة تقع على عتبات والدها. ٣٨٥
ثوبها الذى صنعته وطرزته بيدها،
ثم وضعت على جسدها عباءة زيوس جامع السحب.
وسلحت نفسها استعدادا للحرب، التى تذرف فيها الدموع.
ثم صعدت إلى العربة البراقة، وأمسكت برمحها
الثقيل، القوى والكبير، الذى قتل صفوفًا من الرجال ٣٩٠
الصناديد، إذا ما غضبت عليهم ابنة الأب الجبار.
وبسرعة ضربت هيرا الجياد بالسوط
فانفتحت بوابات السماء من تلقاء نفسها البوابات التى كانت
تحرسها الهوراى فقد عهد إليهن بحراسة السماء
الفسيحة والأوليمبوس، وأن تفرق السحب الكثيفة، وأن تجمعها معًا. ٣٩٥
وقادت الإلهتان خيولهما التى يحثها المهماز.
ولكن الأب زيوس رآهما من فوق إيدا فتملكه غضب شديد،
وأرسل إيريس، ذهبية الجناحين، لكى تبلغهما رسالته:

" فلتذهبى، أيتها السريعة إيريس. ولتعيديهما مرة أخرى
ولا تجعليهما يأتيان لمقابلتى، فليس من المفيد أن نتعارك معًا. ٤٠٠
ولتعلمى أن ما أقوله الآن سوف أجعله يتحقق.
فسوف أعيق جيادهما السريعة عن التحرك بالعربة،
وسوف أقذف بهما من فوق مقعديهما إلى خارج العربة

ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
لشفاء الجروح التى سوف تسببها لهما الصواعق. ٤٠٥
حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
أبيها. أما هيرا، فإننى لا أغضب منها، ولا أحنق عليها بالقدر نفسه،
فقد اعتادت معارضتى دائمًا وإحباط كل ما أنوى فعله ".

هكذا قال، فنهضت إيريس سريعة القدمين، حاملة رسالته
وذهبت منطلقة من إيدا إلى الأوليمبوس شاهق الارتفاع. ٤١٠
وعند بوابات الأوليمبوس الأمامية، ذلك الجبل كثير الثنيات،
التقت بهما فأوقفتهما، وأبلغتهما رسالة زيوس وقالت:

"إلى أين تندفعان ؟ لماذا أصاب الجنون قلبيكما داخل صدريكما ؟
إن ابن كرونوس لن يسمح بتقديم المساعدة للأرجيين.
لقد هدد ابن كرونوس بالآتى وسوف ينفذ وعيده، ٤١٥
فسوف تعيق الهوراى جيادكما السريعة عن التحرك بالعربة
ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
لكى تشفى جروحكما التى سوف تسببها لكما صاعقته
حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع ٤٢٠
أبيها. أما هيرا، فإنه لا يغضب منها، ولا يحنق عليها بالقدر نفسه
فقد اعتادت معارضته دائمًا وإحباط كل ما ينوى فعله.
وسوف تكونين بشعة للغاية، أيتها الكلبة الوقحة، إذا ما
تجرأت على رفع سهمك الضخم فى وجه زيوس".

هكذا قالت إيريس سريعة القدمين ثم رحلت. ٤٢٥
فوجهت هيرا حديثها لأثينة قائلة:

" ويحى يابنة زيوس، حامل الدرع أيجيس، فإننى لا أوافق
مطلقًا على الدخول فى حرب ضد زيوس من أجل البشر.
فليهلك هذا وليعش ذاك،

كل حسب حظه، وليحدد زيوس ما يشاء، ٤٣٠
ما يقرره للطرواديين وللدانائيين، حسب ما يتلاءم معه ".

هكذا قالت، ثم استدارت عائده بجيادها السريعة.
وفكت الهوراى لجام الجياد، جميلة العرف
وربطتها لتأكل من المعلف المليء بالطعام الإلهى الأسبروسيا.
وأسندت العربة على الجدار الداخلى اللامع. ٤٣٥
بينما جلست الربتان على عرشيهما الذهبي
وسط الآلهة الآخرين، وقلباهما مفعمان بالأسى؟؟؟
ومن إيدا قاد الإله زيوس عربته متينة العجلات وجياده
إلى الأوليمبوس، وعندما وصل إليه اتخذ مجلسه بين الآلهة.
وقام مزلزل الأرض النبيل بفك الخيول من لجامها ٤٤٠
ووضع العربة فى مربطها ونشر فوقها الغطاء الكتانى،
بينما جلس زيوس بعيد النظر فوق عرشه الذهبى،
ومن تحت قدميه، كان الأوليمبوس الضخم يهتز.
وجلست أثينة وهيرا بمفردهما بعيدًا عن زيوس،
لم تتبادلا الحديث معه، ولم تسألاه عن شىء ٤٤٥
ولكنه كان يدرك ذلك فى قرارة نفسه، فخاطبهما قائلاً:
" ماذا يحزنكما هكذا يا أثينة وهيرا ؟
من المؤكد أنكما لم تتعبا من القتال الرهيب،
ومن قتل الطرواديين، إذ إنكما تحقدان عليهم حقدًا رهيبًا.
وعلى أية حال فطالما أملك القوة، وطالما يداى لا تقهران ٤٥٠
فلن يثنينى عن عزمى جميع الآلهة الموجودين فوق الأوليمبوس،
على كثرتهم. لقد استولى الرعب على أطرافكما اللامعة
حتى قبل أن تريا الحرب وأعمالها المروعة.
ولذلك فإننى أقول، وهو ما كنت سوف أنفذه،
إذا كانت الصاعقة قد أصابت عربتيكما ٤٥٥

لما أمكنكما العودة مرة أخرى إلى الأوليمبوس، مقر الآلهة ".

هكذا قال، وتمتمت أثينة وهيرا،
اللتان كانتا تجلسان متجاورتين وهما تدبران المصائب
للطرواديين. وظلت أثينة صامتة ولم تنبس بكلمة
رغم غضبها الشديد من أبيها زيوس. ٤٦٠
أما هيرا فلم تشعر بمثل هذا الغضب فى صدرها، فخاطبته قائلة:

"يا بن كرونوس، يا أكثر الآلهة مهابة، أى حديث هذا الذى تقوله
إننا نعرف جيدًا أن قوتك لا تقهر.
ولكننا نشعر بالشفقة على الرماحين الدانائيين
الذين يخرون صرعى ويلقون مصيرًا سيئًا. ٤٦٥
وسوف ننسحب من القتال، إذا كانت هذه هى أوامرك.
ولكننا سوف نسدى النصح للأرجيين، ربما يستفيد به أحدهم،
فلا يهلكون جميعًا بسبب غضبك".

فأجابها زيوس، جامع السحب بقوله:
"فى الصباح، سوف تشاهدين ابن كرونوس أقوى الجميع ٤٧٠
ياعزيزتى هيرا ذات العيون الواسعة (كعيون المها)، إذا ما
رغبت، وهو يفنى جيش المحاربين الأرجيين الكبير.
لن ينسحب هيكتور القوى من الحرب قبل
أن ينهض ابن بيليوس سريع القدمين بجانب السفن،
وفى اليوم نفسه سوف يدخلان، بالقرب من مقدمة السفن، ٤٧٥
فى صراع رهيب حول جسد باتروكلوس بعد موته.
فهكذا قدرت الآلهة، ولن يزعجنى غضبك
مطلقا، حتى لو ذهبت إلى أقصى حدود الأرض،
سواء على البر أو فى البحر، حيث يقيم يابيتوس وكرونوس
حيث لا يستمتعون بفجر هيليوس هيبريون ٤٨٠

ولا بالهواء (بالرياح). حيث يلفهم ظلام تارتاروس السحيق.
فحتى لو ذهبت إلى هناك فى تجوالك، فلن
أحفل بغضبك، فلا يوجد من هو أكثر خزيًا منك ".

هكذا قال، ولم ترد عليه هيرا بيضاء الذراعين.
وسقطت أشعة الشمس اللامعة فى المحيط (الأوكيانوس) ٤٨٥
الذى أسدل الليل الأسود فوق الحقول المثمرة.
فاختفى ضوء النهار على غير رغبة الطرواديين، ولكنه لقى
ترحابًا من الآخيين، الذين صلوا ثلاث مرات لمجيء الليل المظلم.

وعقد هيكتور المجيد اجتماعا للطرواديين
بعد أن قادهم من السفن بجوار البحر الهادر. ٤٩٠
إلى ساحة رحبة، حيث لا تتكدس الجثث،
نزلوا من فوق خيولهم إلى الأرض واستمعوا إلى الحديث
الذى ألقاه هيكتور، حبيب زيوس. وفى يده
كان يمسك برمحه الذى يبلغ طوله أحد عشر ذراعًا، وأمامه
كانت تلمع رأس الرمح البرونزى، الذى كانت تحيط به حلقة من ٤٩٥
الذهب. وثبت هيكتور رمحه فى الأرض وخاطب الطرواديين قائلاً:

"فلتسمعونى أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء،
لقد كنت أعتقد أننا سوف ندمر السفن وجميع الآخيين الآن
ونعود على الفور إلى إليون ذات الرياح العاصفة.
ولكن ظلمة الليل هبطت. فأنقذت ٥٠٠
الأرجيين وسفنهم الراسية على شاطئ البحر.
فدعونا الآن نستسلم لليل المظلم
ولنجهز عشاءنا. ولنحل قيود الجياد، جميلة العرف،
من العربات، ونضع أمامها الكثير من العلف.
ولتحضروا من المدينة الثيران والأغنام السمينة ٥٠٥

بسرعة، ولتجلبوا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلكم، ولتجمعوا الكثير من الخشب
حتى نشعل النيران الكثيرة طوال الليل
إلى أن يظهر الفجر، ابن الصباح، وليصل لهب النيران إلى السماء
حتى لا يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، أثناء الليل ٥١٠
من الهرب ويشرعون فى الإبحار إلى عرض البحر.
فلا تدعوهم يركبون سفنهم دونما قتال
ولكن يجب أن ينال كل منهم رمية رمح
فيذهب إلى وطنه مصابًا بطعنة من رأس رمح حاد،
وهو يقفز إلى سفينته، حتى يحجم أى شخص أخر ٥١٥
أن يشن الحرب المؤلمة على الطرواديين، مروضى الخيول.
وليعلن المنادون، أحباء زيوس، فى أنحاء المدينة
أن على الشباب والشيوخ
أن يتخذوا مواقعهم فى الأبراج التى بنتها الآلهة حول المدينة.
أما بالنسبة للأمهات المرضعات، فعلى كل واحدة منهن ٥٢٠
أن تشعل نارًا عظيمة فى منزلها، ولتكن الحراسة يقظة
حتى لا يدخل كمين إلى المدينة فى غياب المحاربين.
ليكن الأمر كما قلت أيها الطرواديون الشجعان.
وإننى آمل أن يكون حديثى الذى قلته الآن صحيحًا.
وسوف أعلنه عند الفجر لبقية الطرواديين، مروضى الخيول. ٥٢٥
وإننى أصلى متضرعًا لزيوس وللآلهة الآخرين
أن نطرد من أرضنا هؤلاء الكلاب
الذين سوف تحملهم أقدارهم فوق سفنهم السوداء
ومع ذلك سوف لا نغفل الحراسة طوال الليل
وعند الفجر فى الصباح سوف نسلح أنفسنا ٥٣٠
ونشن حربًا شرسة بجوار السفن المجوفة.

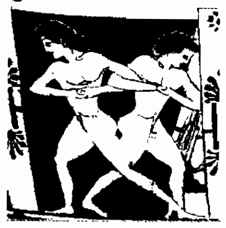
وسوف أرى ما إذا كان ديوميديس، بن تيديوس، القوى
سوف يدفعنى إلى الحائط بعيدًا عن السفن، أم أننى
سوف أمزقه بسلاحى البرونزى وأسلبه أسلحته الملطخة بالدماء.
٥٣٥ سوف يحدد الغد مدى شجاعته وما إذا كان فى إمكانه
الصمود أمام، هجمة رمحى، أم أنه سوف يرقد،
كما آمل. جريحًا فى الصفوف الأولى وحوله العديد من رفاقه.
وذلك عندما تشرق شمس الغد. فليتنى أتيقن
من أننى سأكون خالدًا ولن أعانى من الشيخوخة
٥٤٠ و أننى سوف أكون مبجلاً مثل أثينة وأبوللون
مثلما أنا متأكد الآن أن الغد سوف يحمل البلاء للأرجيين".

هكذا قال هيكتور، وصاح الطروادبون عاليًا.
ثم رفعوا النير عن الجياد المبللة بالعرق،
وربطوا كل واحد منها بسيور جلدية إلى عربته.
٥٤٥ ومن المدينة جلبوا الثيران والأغنام السمينة
بسرعة، وأحضروا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلهم، كما جمعوا أخشابًا كثيرة.
ومن السهل رفعت الرياح رائحة شواء القرابين إلى السماء.
٥٥٠ وسهروا الليل بطوله، وهم يفكرون فى أمور عظيمة،
بجوار خنادق القتال، وأشعلوا الكثير من النيران أمامهم.
وكما تلمع النجوم المتألقة حول القمر
فى السماء، عندما يكون الهواء عليلاً
٥٥٥ فتظهر قمم الجبال كلها والأراضى المرتفعة
والوديان كثيفة الأشجار، ومن السماء ينساب الأثير الرائع
فيرى المرء النجوم جميعها، ويتهلل قلب الراعى،
٥٦٠ هكذا أشعل الطرواديون، فيما بين السفن وروافد نهر كسانثوس،
الكثير من النيران التى كانت تتألق أمام إليون .

لقد أشعلت آلاف النيران فى السهل، وبجانب كل
شعلة من النيران المتأججة، جلس خمسون رجلاً.
وكانت الجياد تأكل الشعير الأبيض والحبوب وقد وقفت ساكنة
بجوار العربات فى انتظار ظهور ربة الفجر، ذات العرش والبهاء. ٥٦٥



الكتاب التاسع



ترجمة منيرة كروان

هكذا واصل الطرواديون الحراسة، ولكن الرعب
الإلهى، رفيق الخوف الذى يجمد الأطراف، أصاب
الآخيين، وتملك حزن يفوق الاحتمال جميع القادة.
وكما تهب الرياح الشمالية (بورياس) والغربية (زيفيروس)،
القادمة من طراقيا، على البحر الملىء بالأسماك، ٥
فتهيج أمواجه وفى الوقت نفسه، تندفع موجة داكنة،
على حين غرة وتجرف معها إلى الشاطىء الكثير
من الأعشاب البحرية، هكذا هاجت روح الآخيين داخل
صدورهم. وقد أصاب قلب ابن أتريوس ضيق عظيم،
فكان يروح جيئة وذهابا، وأمر المنادين ذوى الصوت ١٠
الواضح أن يدعوا كل فرد بالاسم لحضور الاجتماع،
وألا يصيحوا بصوت عال. بينما تولى هو دعوة القادة.
وبقلوب كسيرة جلسوا فى الاجتماع. ونهض أجاممنون
وهو يذرف الدمع الغزير مثل نافورة
تصب مياهها قاتمة اللون من فوق صخرة منحدرة، ١٥
وخاطب الأرجيين وهو يئن بشدة قائلا:
" أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجيين وقادتهم
لقد أوقعنى زيوس، بن كرونوس، ذلك القاسى، فى حرج كبير
فقد أعلن موافقته ووعدنى بألا أشق طريقى للوطن قبل تحطيم إليون
الحصينة تماما. أما الآن فقد خطط لخيانة مخجلة، إذ يأمرنى ٢٠
أن أعود إلى أرجوس مجللاً بالعار، لأننى حطمت
شعوبًا عديدة. رغم أن زيوس، أقوى الآلهة، يجد
متعة فى ذلك، لقد حطم قلاع مدن عديدة من قبل،
وسوف يحطم غيرها بالتأكيد، لأنه أقوى سلطة. ٢٥

ولكن هيا بنا ولنحاول إقناع الجميع بما أقول،
فلنهرب بسفننا إلى أرض وطننا الحبيبة،
لأننا لن نستولى على طروادة, فسيحة الطرقات , أبدًا".

هكذا تحدث، واستمع إليه الآخرون فى صمت.
وظل ابناء الآخيين فى صمتهم طويلاً بسبب حزنهم ٣٠
الشديد. وبعد وقت طويل, تحدث ديوميديس، البارع فى
صيحة القتال، قائلاً:

" يا ابن أتريوس، سوف أجادلك أولا فيما قلته من حماقة،
فلا تغضب يا سيدى، فتلك سنة مجلسنا.
فى البداية، لقد سبق وأنكرت شجاعتى وسط جموع
الدانائيين، وادعيت أننى ضعيف وغير كفء للحرب. ٣٥
إن الأرجيين جميعا، صغارهم وكبارهم، يعرفون تمامًا
أن ابن كرونوس، ملتوى النصيحة، منحك إحدى الحسنيين:
لقد منحك الصولجان لتكون مبجلا بين الجميع،
ولكنه لم يمنحك الشجاعة، ولها السلطان الأكبر.
سيدى المبجل، أتعتقد حقًا أن الآخيين ضعفاء ٤٠
وغير أكفاء للحرب كما سبق وأعلنت ؟
إذا كنت متلهفا على العودة، فلتذهب أنت،
فالطريق أمامك والسفن تقف فى انتظارك بجانب
الشاطىء العديد من السفن، إنها تلك التى أقلتك من
موكيناى. أما الآخيون الآخرون ذوو الشعر الطويل ٤٥
فباقون إلى أن نتمكن من تدمير طروادة تماما. وإذا أرادوا
حتى هؤلاء فليعودوا إلى أرض وطنهم الغالية.
أما نحن الاثنين، أنا وسثينيلوس، فسنظل نحارب
حتى ندمر إليون. لقد جمعتنا مشيئة الآلهة ".

هكذا قال، وواصل كل ابناء الآخيين الصياح ٥٠
مستحسنين حديث ديوميديس مروض الخيول.
عندئذ قام الفارس نيستور وخاطبهم قائلا:
" يا ابن تيديوس، إنك بارع فى الحرب
كما أنك تبز أقرانك المتساوين معك سناً فى إسداء
النصيحة، وما من أحد بين الأخيين سوف يلومك على ٥٥
حديثك، وما من أحد سوف يعارضك. ولكن شيئًا ما لم
تقل بعد. إنك صغير جدًا، أصغر من أن تكون
كآخر ما جاءنى من الولد. ولكنك تنطق بالحكمة.
لقد حدثت النبلاء الأرجيين بطريقة صائبة،
ولكن، لأننى أكبرك فى السن ٦٠
فسوف أتكلم وأحكى كل شيء وما من أحد
سوف يستخف بحديثى، ولا حتى أجاممنون سيدنا:
إن الذى يحب إشعال نيران الحروب بين أهله
وعشيرته، تكرهه عشيرته وينبذه القانون ويلفظه وطنه.
والآن، وما دمنا قد انتهينا من متاعب النهار ٦٥
دعونا نجهــز العشاء، وليمكث كل حارس
بجوار الخندق المحفور خارج المتاريس.
سوف أعلن هذه الأوامر للشباب. ولتتول أنت
بقية الأمور يا ابن أتريوس. ولأنك أكثر الملوك هيبة،
فلتقم مأدبة تليق بك لكبار السن. فهذا من مهام ٧٠
منصبك. فالخيام مليئة بقنان الخمر، التى تحضرها
سفن الآخيين يوميًا من طراقيا، وهى تجوب أنحاء
البحر الفسيح. أما كرم الضيافة فمن شيمك. وأنت سيد
الجميع. فإذا ما اكتمل الجمع، أطيعوا من يقدم

النصيحة الأكثر حكمة. فالآخيون جميعا ٧٥
فى أمس الحاجة للنصيحة الطيبة الحصيفة. لقد أشعل
الأعداء حرائق كثيرة بالقرب من السفن. من الذى
يسعده ذلك ؟ سوف تشهد هذه الليلة تحطم أسطولنا أو إنقاذه".

هكذا قال، وبعد أن استمعوا إليه فى هدوء
أطاعوا نصيحته، وأسرع الحراس كل إلى وظيفته بعد ٨٠
أن نظموا أنفسهم وتجمعوا حول ثراسيميديس بن
نيستور، حامى الشعوب، وحول أسكالافوس وياالمينوس،
ولدى آريس، وحول ميريونيس وأفاريوس ودايبيروس،
وحول ليكوميديس الإلهى بن كريون.
سبعة قادة للحرس، ذهب مع كل منهم مائة من ٨٥
الشباب، ساروا شاهرين رماحهم الطويلة فى أيديهم،
واتخذوا مواقعهم فى منتصف المسافة بين الخندق
والحائط هنالك أشعلوا النيران وأعدت كل فرقة
عشاءها. بينما جمع ابن أتريوس حشدًا من كبار
أعضاء مجلس الآخيين فى خيمته، وبسط أمامهم مأدبة ٩٠
حافلة (تليق به). ومد الضيوف أيديهم إلى الطعام
الوفير المبسوط أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الطعام
والشراب بدأ نيستور، قبل الجميع، ينسج خيوط
نصيحته، فقد كانت نصيحته دائمًا الأكثر حكمة.
لقد قام ذو العقل الراجح واستحثهم قائلاً: ٩٥

"أجاممنون، يا ابن أتريوس، يا ملك الرجال وصاحب
الجلال، باسمك سيبدأ هذا الحديث وبه سوف
ينتهى. فأنت ملك العديد من الشعوب.وقد وضع زيوس
بين يديك الصولجان والقوانين، حتى تقدم

النصيحة للشعوب. لذلك يجب عليك أن تتحدث قبل　　١٠٠
الجميع، وواجبنا أن نستمع حتى تحقق للآخرين ما
تتمناه قلوبهم. تحدث إلى القادة، فإن تحقيق
رغباتهم يتوقف عليك. أما أنا فسأعلن الرأى الذى
أراه أكثر حكمة، وما من أحد سوف يجد فكرة أفضل
منه. فقد واصلت التفكير فيه منذ زمن بعيد وحتى هذه　　١٠٥
اللحظة. منذ اندفعت أنت يا سليل زيوس
إلى خيمة أخيليوس الغاضب، وأخذت فتاته بريسئيس
رغم أننا لم نوافقك قط. لقد حاولت إقناعك بالعدول،
حاولت جاهدًا دون جدوى. فللأسف، لقد جعلتك روحك
المتجبرة تهين أشجع الرجال، الذى تحترمه الآلهة　　١١٠
نفسها وتبجله. لقد أخذت جائزة تكريمه. والآن
فلنتشاور كيف نصالحه ونقنعه ونستميله
بالهدايا، وكيف نخاطبه بالكلمات الرقيقة "

ومرة أخرى رد عليه أجاممنون، ملك الرجال قائلا:

"إنك لم تجاوز الحقيقة فيما قلت عن أخطائى،　　١١٥
لقد تصرفت بحماقة. ولن أنكر ذلك أبدًا.
فمن يحبه زيوس من صميم قلبه يجعله يساوى عددًا
كبيرا من البشر، مثلما يكرم الآن هذا الرجل ويدمر
شعب الأخيين. لقد كنت أعمى، عندما خضعت
لحماقتى، ولكى أصلح ما فعلته فسأقدم له فدية　　١٢٠
لا تعد ولا تحصى، وأعلن أمامكم هداياي:
سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة تالنتات(*)

(*) لم تك العملة تالنت Talanton قد عرفت فى عصر هوميروس وربما تشير العبارة إلى مجرد أوزان من الذهب. (المحرر)

من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
اثنى عشر جوادًا من جياد السباق القوية التى
تحصد الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيرًا ١٢٥
أبدا من يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب
من يحصل على هذا الكنــز ، فقد أحرزت لى
جيادى الأصيلة الكثير منه فى السباقات.
وسوف أمنحه سبع نساء ماهرات لا نظير
لهن جلبتهن من ليسبوس، جميلة المبانى،
عندما فتحها هو نفسه، وكنت قد اخترتهن ١٣٠
لجمالهن الفائق. سوف أقدمهن له،
بالإضافة إلى الفتاة التى أخذتها منه
ابنة بريسيوس. وأقسم بأغلظ الأيمان
أننى لم أقفز إلى فراشها ولم أضمها فى أحضانى
ولم تربطنى بها قط العلاقة المعتادة بين الرجل والمرأة.
كل هذه الأشياء سوف تكون ملكًا له فى الحال. وإذا ما ١٣٥
قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة برياموس
العظيمة، فسوف أجعله يملأ سفينته بالذهب والبرونز،
قبل أن نقتحم نحن الآخيين المدينة، ونبدأ فى توزيع
الغنائم. وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من
الطرواديات من بين أجمل النساء بعد هيلينى الأرجية. ١٤٠
وإذا ما وصلنا إلى أرجوس الآخية، أخصب
الأراضين، سوف أعامله كابنى. وسوف أحبه مثلما
أحب ابنى أوريستيس الذى ربيته فى رفاهية ونعيم لشدة
حبى له، ومن بين بناتى الثلاث الموجودات فى قصرى

الحصين، خريسوثيميس ولاؤديكي[*] وإفياناسا ١٤٥
فليأخذ من تروق له إلى بيت بيليوس،
دون أن يقدم هدايا الزواج، بل سوف أعطيها
أنا هدايا كثيرة قيمة. لم يقدمها أحد لابنته
من قبل قط. سوف أمنحه سبع مدن عامرة بالسكان:
كاردامولى وإنوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب ١٥٠
وفيراى المقدسة، وأنثيا الغنية بالمروج
وآيبيا الجميلة، وأيضًا بيداسوس الغنية بجنات الأعناب.
وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس
كثيفة الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير
من الماشية والثيران، وسوف يبجلونه كما لو كان إلهًا ١٥٥
ويقدمون له الهدايا. وعندما يحكمهم
سوف يقدمون له فرائض الطاعة.
كل هذا سوف أقدمه له إذا ما تخلى عن غضبه
وأذعن، فإن هاديس فقط هو الإله الذى يتصف بالعناد الشديد
لذلك فهو من بين جميع الآلهة الخالدين كريه لدى كافة البشر
الفانين فليذعن لى، فأنا أقوى منه سلطانًا، وأنا أتوسل إليه، ١٦٠
رغم أننى أكبر منه سنًا".

فأجابه نيستور، الفارس الجيرينى، قائلاً:

" سيدى المبجل أجاممنون بن أتريوس، يا ملك الرجال
لا عيب مطلقًا فى الهدايا التى تقدمها لأخيليوس لتكسب
وده، ولكن لنعجّل بإرسال من نختارهم ليذهبوا ١٦٥
بأقصى سرعة إلى خيمة أخيليوس بن بيليوس.
أما الآن فليطع أوامرى من يقع عليه اختيارى

(*) يرجح أن تكون لاؤديكى هى إليكترا. (المحرر)

سوف يتولى القيادة، قبل الجميع، فوينيكس،
حبيب زيوس، ثم يليه أياس العظيم، ويليه أوديسيوس
شبيه الآلهة، وليذهب معهم أوديوس ويوريباتيس رسلاً. ١٧٠
أما الآن، فلتحضر الماء لنغسل أيدينا، ولنلتزم الصمت
المقدس ولنتضرع لزيوس بن كرونوس، كى يرحمنا".

هكذا تحدث. وكان حديثه مصدر ارتياح للجميع.
وفى الحال أحضر الرسل الماء وصبوه على أيدى
القادة. ثم ملأوا أباريق الخمر عن آخرها، ١٧٥
وبعد أن وزعوها على الكئوس، سكبوا القرابين للآلهة.
وبعد أن شرب كل منهم حتى ارتوى،
اندفعوا خارجين من خيمة أجاممنون بن أتريوس،
بعد أن أصدر إليهم نيستور، الفارس الجيرينى، العديد
من الأوامر وهو ينظر إلى كل منهم، وخاصة إلى ١٨٠
أوديسيوس. وأوصاهم أن يحاولوا إقناع ابن بيليوس،
البطل المغوار. وسار الرفيقان بمحاذاة شاطىء البحر
الهادر وتضرعا كثيرا (لبوسيدون) مزلزل الأرض
والمحيط بها، أن يساعدهما فى إقناع عقل سليل أياكوس
العنيد. وعندما وصلا إلى خيام الميرميدونيين ١٨٥
وجدا أخيليوس يروح عن نفسه بالعزف على
قيثارته الجميلة، التى تزينها الزخارف الدقيقة وكذا قضيب
من الفضة. وكان قد أخذها ضمن الغنائم عندما اجتاح
مدينة إيتيون وكان يطيب له التغنى بأمجاد الأبطال.
وكان باتروكلوس يجلس فى مواجهته صامتًا وحيدًا ، ١٩٠
وكان يستمع إلى سليل أياكوس منتظرًا أن ينتهى من
غنائه. وعندما وصل الاثنان إليه، وكان أوديسيوس فى

المقدمة، وقفا فى مواجهة أخيليوس الذى ترك
مكانه وهب واقفًا من الدهشة وهو ما يزال يمسك
قيثارته. وبالمثل هب باتروكلوس واقفًا عندما رأى ١٩٥
الرجلين ورحب أخيليوس، سريع القدمين، بهما قائلاً:

"مرحبًا بكما أيها الصديقان العزيزان.
ما الأمر الملح الذى جاء بكما ؟ فرغم غضبى فأنتما أحب
الناس إلى قلبى بين جميع الآخيين".

هكذا قال أخيليوس النبيل وهو يقودهما حيث أجلسهما على ٢٠٠
المقاعد والمفارش الأرجوانية. وتوجه بالحديث لباتروكلوس الذى كان
يقف على مقربة منه قائلا:

"والآن يا ابن مينويتيوس، لتحضر لنا طاسًا أكبر
ولتمزج فيه الخمر الأقوى، ولتصب لهما الخمر فى
الكئوس، فهذان اللذان جاءا إلى خيمتى هما أعز الرجال لدى". ٢٠٥

هكذا قال وأطاعه رفيقه الحبيب باتروكلوس ،
الذى ألقى صحفة ضخمة فى النيران المستعرة
كان قد وضع فيها قطعة لحم من ظهر خروف سمين ،
كما وضع بها قطعة من سلسلة ظهر خنزير سمين،
غنى بالدهون. وكان أوتوميدون يمسك اللحم بينما كان ٢١٠
أخيليوس المبجل يقطعها. وبعد أن قطعها جيدًا، ثبت
قطع اللحم فى الأسياخ وأشعل ابن مينويتيوس، شبيه
الآلهة، نارًا ضخمة. وبعد أن هدأت النيران وسكن
لهيبها قام بتسوية الجمرات ووزع الأسياخ فوقها
ونثر عليها الملح المقدس، ثم وضع قطع اللحم على ٢١٥
النار. وعندما نضج الشواء تم وضعه على الموائد،

ثم أخذ باتروكلوس الخبز ووزعه على الموائد،
بعد أن وضعه في سلال جميلة، بينما وزع أخيليوس
اللحم. ثم جلس في مواجهة أوديسيوس الإلهي
قريبًا من الحائط المقابل، وأمر رفيقة باتروكلوس
بتقديم القرابين للآلهة، فوضع نصيب الآلهة على ٢٢٠
النيران. ومدوا جميعًا أيديهم إلى الأطباق المصفوفة
أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الأكل والشراب
أومأ أياس برأسه إلى فوينيكس. والتقط أوديسيوس
المبجل الإشارة فملأ كأسه بالخمر وشرب نخب أخيليوس وهو يقول:
"لتسعد أخيليوس ! ونحن حقًا لم تنقصنا الولائم ٢٢٥
سواء في خيمة أجاممنون بن أتريوس أو في هذه الوليمة
المصفوفة أمامنا فهي فاحشة الثراء.
ولكن الولائم المبهجة لم تعد تثيرنا
إذ يجتاح نفوسنا حزن عظيم، يا ربيب زيوس، عند
رؤية الكارثة. فنشعر جميعا بالخوف، إذ تتوقف نجاتنا ٢٣٠
أو هلاكنا على السفن ذات المقاعد القوية، إذا لم
نتزود بالشجاعة. لقد أقام الأعداء معسكرهم بالقرب من
السفن والحائط. لقد أشعل الطرواديون الأشاوس
وحلفاؤهم ذائعو الصيت نيرانًا كثيرة في جميع أنحاء
المعسكر، يعتقدون أننا لن نستطيع الصمود وأننا
سوف نسقط هنا وسط السفن السوداء. ٢٤٥
كما أن زيوس بن كرونوس، يظهر لهم علامات فأله
الطيب ويرسل البرق، ويسطع نجم هيكتور مفعمًا
بالقوة. لقد استبد به الغضب الشديد، ولأنه يعتمد على
تأييد زيوس، ولم يعد يحترم بشرًا ولا آلهة. لقد امتلأت

نفسه بغضب مجنون، وهو يتضرع لربة الفجر (إيوس) ٢٤٠

أن تسرع بالبزوغ متوعدًا أن يمزق الشارات

فوق سفننا وأن يشعل فيها النيران المدمرة، وأن يقتل

الآخيين بجوار السفن بعد أن يجبرهم الدخان على

الخروج. يرتجف قلبي خوفًا من هذا كله، خشية أن

تحقق الآلهة هذه التهديدات، ويصبح مقدرًا علينا ٢٤٥

أن نهلك هنا في طروادة، بعيدًا عن أرجوس، حيث

توجد مراعي الخيول، إلا إذا كنت ترغب في إنقاذ

الآخيين الذين يعانون من صخب الطرواديين. ولو أنك

قد تأخرت كثيرًا، وإلا فسوف يصيبك الحزن فيما بعد.

ولن تجد علاجًا للكارثة بعد أن تكون قد وقعت ٢٥٠

بالفعل(*). ففكر جيدًا كيف تجنب الدانائيين مغبة هذا

اليوم العصيب. صديقي العزيز، لقد أمرك أبوك

بيليوس نفسه يوم أرسلك من فثيا لمساعدة أجاممنون قائلاً:

"يا بني، إن أثينة وهيرا ستمنحانك القوة

إذا كانت هذه هي مشيئتهما، ولكن لتكبح جماح الغضب ٢٥٥

داخل قلبك وإن كبر حجمه، فإن الحلم سيد الأخلاق.

واجتنب الشقاق جالب الفتنة يبجلك

الأرجيون جميعًا، صغارهم وكبارهم.

بهذا أمرك الشيخ المسن ولكنك أهملت نصيحته.

والآن لتتوقف عن غضبك الذي يضني قلبك، ولسوف ٢٦٠

يمنحك أجاممنون هدايا تليق بك إذا تخليت عن غضبك

(*) يرد عند بداروس (الأوليمبية الثانية بيت ٢٩ وما يليه مامعناه: "عندما يتم الفعل لا يستطيع الزمن نفسه، الأب الكون للأشياء، وليس بوسعه، أن يغير نتائج ما تم فعله" وعن فكرة فوات الآوان في الأدب الإغريقي بصفة عامة راجع: أحمد عتمان، "الزمن المأساوي في الفكر الإغريقي". "ألف، مجلة البلاغة المقارنة". عدد ٩ (الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩) ص١٧٣-١٨٨. (المحرر)

تعال الآن هنا واستمع لى وأنا أعدد لك
الهدايا الموجودة فى خيامه والتى وعد أن يمنحك
إياها:(*) سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة
تالنتات من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع، ٢٦٥
اثنى عشر جوادًا من جياد السباق القوية التى تحصد
الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيرا أبدا من
يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب من يحصل
على هذا الكنز، فقد أحرزت له جياده الأصيلة الكثير
منه فى المسابقات. وسوف يمنحك سبع نساء ماهرات لا ٢٧٠
نظير لهن، جلبهن من ليسبوس، جميلة المبانى، عندما
قمت أنت نفسك بفتحها، وكان قد اختارهن لجمالهن
الفائق، سوف يقدمهن إليك، بالإضافة إلى الفتاة التى
أخذها منك، ابنة بريسيوس. وهو يقسم بأغلظ الإيمان
أنه لم يقفز إلى فراشها ولم يضمها إلى أحضانه ولم ٢٧٥
تربطه بها قط، أيها الملك، العلاقة المعتادة بين الرجل
والمرأة. كل هذه الأشياء سوف تكون ملكك فى الحال
وإذا ما قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة
برياموس العظيمة فسوف يدعك تدخل وتملأ سفينتك
بالذهب والبرونز، قبل أن نقتحم نحن الآخيين المدينة ٢٨٠
ونبدأ فى توزيع الغنائم. وسوف يدعك تختار لنفسك
عشرين امرأة من الطرواديات من بين أجمل
النساء بعد هيلينى الأرجية. وإذا ما وصلنا إلى أرجوس
الأخية، أخصب البلاد فسوف يعاملك كابنه. سوف
يحبك مثلما يحب ابنه أوريستيس الذى رباه فى رفاهية ٢٨٥

(*) هذه الأبيات مكررة قارن أعلاه بيت ١٢٠ وما يليه. (المحرر)

ونعيم لشدة حبه له. ومن بين بناته الثلاث الموجودات
فى قصره الحصين خريسوثيميس ولاؤديكى وإفياناسا
لتأخذ من تروق لك إلى بيت بيليوس. دون أن تقدم هدايا زواج،
وسوف يعطيها هو هدايا كثيرة قيمة لم يقدمها أحد لابنته من قبل قط. ٢٩٠
وسوف يمنحك سبع مدن عامرة بالسكان:
كاردامولى وانوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب،
وفيراى المقدسة، وأنثيا الغنية بالمروج
وآيبيا الجميلة وكذلك بيداسوس الغنية بجنات الأعناب
وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس، كثيفة ٢٩٥
الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير من الماشية
والثيران، وسوف يبجلونك كما لو كنت إلهًا وسيقدمون
إليك الهدايا. وعندما تحكمهم سوف يقدمون لك فرائض
الطاعة. كل هذا سوف يقدمه لك إذا ما تخليت عن
غضبك، حتى لو كنت تكره ابن أتريوس من كل قلبك، ٣٠٠
وتكره هداياه، فلترحم كافة الآخيين الآخرين
الذين أصابهم الحزن فى جميع أنحاء الجيش، فسوف
يبجلونك كإله، وسوف تكون مكانتك رفيعة بينهم.
والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور، فقد يهاجمك
فى نوبة جنون مدمرة، إذ يعتقد أنه يتفوق ٣٠٥
على جميع الدانائيين الذين أحضرتهم السفن إلى هنا".

فرد عليه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:

"أوديسيوس، ياكثير الحيل، يا ابن لائيرتيس. ياسليل
زيوس هل يجب على أن أقول كلمتى دون تدبر
العواقب، ودون أن أمحص ما أفكر فيه وأرى كيف ٣١٠
يتحقق، حتى لا تتكدسوا من حولى بكلمات التملق.

إننى أكره الرجل الذى يخفى فى قلبه أمرًا
ويعلن أمرًا آخر(*)، كراهيتى لبوابات هاديس.
ولكننى سوف أعلن ما يبدو أفضل الأشياء بالنسبة لى.
أعتقد أن أجاممنون، بن أتريوس، لن يستميلنى أبدًا. ٣١٥
ولا جميع الدانائيين، فما من كلمة شكر قدمت لى،
عندما كنت أحارب الأعداء دون هوادة.
فمصير من يتكاسل ومن يحارب واحد
ويلقى الجبان والمقدام التقدير نفسه، فالذي
يكافح كثيرًا، والذى لا يكافح مطلقًا يموتان الميتة نفسها، ٣٢٠
وما جنيت فائدة قط من الصعاب التى تكابدها روحى،
والتى تربط حياتى بالخطر وإشعال الحروب.
مثل الطائر الذى يحمل بمنقاره كسرات الطعام
لصغاره قليلة الخبرة ويطعمها إياها، رغم أنه فى شدة
الحاجة إليها. هكذا أنا، فكم من ليال مديدة وأيام عديدة ٣٢٥
قضيتها دون نوم، تغطى الدماء جسدى فى ساحة
الوغى، أحارب مع من يحاربون من أجل زوجاتهم.
لقد دمرت اثنتى عشر مدينة بسفنى، وإحدى
عشر مدينة سيرًا على قدمى عبر أراضى طروادة الخصيبة.
كثيرة هى وعظيمة تلك الكنوز التى غنمتها من هذه ٣٣٠
المدن، والتى كنت أحملها كلها إلى أجاممنون بن أتريوس،
وأعطيها له. بينما يبقى هو فى الخلف بجوار
السفن ليستقبل ما أعطيه له. فيوزع القليل ويحتفظ
لنفسه بأكثرها. وعندما كان يعطى مكافأة للملوك

(*) قارن ما يقوله سينيكا "Turpe est aliud loqui, aliud sentire" (Episll. 14) "من العار أن تقول شيئًا وتضمر شيئًا آخر". (المحرر)

والنبلاء كانت يده لا تمتد إليها ثانية. ولكنه أخذ ٣٣٥
محظيتى أنا من بين جميع الآخيين، وهو ينعم بقربها
الآن. ولكن لماذا ينبغى أن يحارب الأرجيون
الطرواديين ؟ لماذا أبحر ابنا أتريوس
وحشدوا الجيوش هنا ؟ من أجل هيلينى جميلة الشعر،
أليس كذلك ؟ أم أن ابنا أتريوس هما فقط من بين ٣٤٠
البشر اللذان يحبان زوجتيهما ؟ إن الرجل النبيل الفطن
يحب زوجته ويهتم بأمرها. وكذا أحببت أنا
أيضًا زوجتى، رغم أننى حصلت عليها بحد السيف.
فدعه لا يحاول الآن، وقد أخذ جائزتى وخدعني
أن يستميلنى ثانية، فأنا أعرفه جيدًا، فلن أذعن له. ٣٤٥
وليتشاور معك يا أوديسيوس ومع الملوك الآخرين
كيف يجنب السفن خطر نيران العدو، فقد قام بأعمال كثيرة بدونى،
فقد قام ببناء الحائط وأضاف إليه أيضًا خندقًا
كبيرًا وعميقًا وأحاطه جيدا بالسياج الخشبية. ٣٥٠
فليبحث الآن كيف يصد هيكتور قاتل الرجال.
لم يجرؤ هيكتور أن يحارب بعيدا عن أسواره
طالما كنت أحارب أنا فى صفوف الآخيين. ولم يذهب
مطلقا لأبعد من بوابات سكاياى وشجرة البلوط،
لقد قاومنى مرة واحدة وأفلت من هجومى بصعوبة. ٣٥٥
والآن، حيث إننى لا أرغب فى قتال هيكتور، شبيه
الآلهة، فسوف أقدم القرابين غدا لزيوس ولجميع الآلهة.
وبعد أن أملأ سفنى بالعتاد الكافى سوف أبحر،
فإذا ما كانت لديكم الرغبة والاهتمام، سوف تروننى
أبحر فى الصباح الباكر إلى بحر هيلليسبونطوس ٣٦٠

الملىء بالأسماك، ومعى فى السفن رجالى الذين يجدفون
بحماس جارف. وإذا ما وفر لى بوسيدون المجيد،
مزلزل الأرض، رحلة طيبة فسوف أصل إلى فثيا الخصبة
فى اليوم الثالث. إننى أملك الكثير، وقد تركته خلفى
عندما أتيت إلى هنا للدمار. وسوف أحمل معى من هنا ٣٦٥
الذهب والنحاس الأحمر والنساء اللائى يتمنطقن جيدًا
والحديد العتيق. وكانت كلها من نصيبى عند إجراء
القرعة. فهى غنيمتى التى أعطانى إياها الملك
أجاممنون بن أتريوس، ثم أهاننى وأخذها منى ثانية .
فلتعلنوا على الملأ ما آمركم به حتى لا يتذمر الآخيون ٣٧٠
الآخرون، إذا ما فكر فى خداع أحد الرفاق من الدانائيين،
فهو يتصف بالوقاحة دومًا . ولكنه لن يجرؤ
على النظر فى وجهى، رغم أنه لا يعرف
الخجل، ولن أتشاور معه فى أمر، ولن أشاركه العمل
لأنه خدعنى وأساء إلى. لذلك فمن الآن فصاعدًا ٣٧٥
لن يخدعنى بكلماته. يكفينى منه ذلك, وليذهب هو
للجحيم كما يشاء. لقد سلبه زيوس، واسع الحكمة،
عقله. إننى أكره هداياه، وهى لا تساوى عندى شيئًا ،
حتى لو أعطانى عشرة أضعاف أو حتى عشرين ضعفًا
من كل ما يملكه الآن، وكل ما قد يحصل عليه من مكان ٣٨٠
آخر، ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة.
المصرية، حيث تمتلىء الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم طيبة،
ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل
منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.
إن أجاممنون لن يسيطر على روحى، ٣٨٥

حتى لو أعطانى هدايا بعدد حبات الرمال،
بسبب ما لحقنى منه من إهانة.
ولن أتزوج ابنة أجاممنون بن أتريوس، أبدًا حتى لو
كانت تبارى أفروديتى ذهبية الشعر، جمالاً،
أو لو كانت تقوم بما تقوم به أثينة، زرقاء العينين، من ٣٩٠
أعمال. لن أتزوجها أبدًا. فليختر لها شخصًا آخر من
بين الآخيين، شخصًا يتناسب معه ويكون أكثر سلطانًا منى.
أما أنا، فإذا ما أنقذتنى الآلهة وعدت إلى وطنى سالمًا
فإن بيليوس نفسه هو الذى سوف يختار لى زوجتى.
ففى هيلاس وفى فـــثيا، توجد فتيات آخيات كثيرات ٣٩٥
من بنات الملوك، الذين يحرصون على إنقاذ
المدن، ومن الأفضل أن أختار عروسى من بينهن.
إن روحى الأبية تدفعنى دفعًا
إلى أن أتخذ لنفسى زوجة تتواءم معى، وأن أستمتع
بما يملكه بيليوس الشيخ المسن من ثروة. فإننى أعتقد ٤٠٠
أنه لا شىء يساوى روح الإنسان، ولا حتى الثروات
الضخمة التى يقال إن مدينة إليون العامرة كانت
تملكها وقت السلم، قبل مجىء الآخيين، ولا حتى
كل ما يوجد فى معبد أبوللون الوضاء (فويبوس)
الذى يسيطر على معبد بيثو (دلفي) الصخرى. ٤٠٥
فمن الممكن أن يأخذ المرء غنائم من الثيران والماشية
السمينة، ومن المقاعد الثلاثية، وكذلك من الجياد الشقراء،
ولكن روح الإنسان لا تعود إليه مرة أخرى
إذا ما أزهقت وخرجت من بين أسنانه.
لقد أخبرتنى أمى ثيتيس، فضية القدمين أن مصيرى ٤١٠

الذى يحمل لى الموت فى النهاية مقسم بين أمرين:
فإذا ما اخترت البقاء فى مدينة طروادة لأحارب
فلن تتاح لى العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.
أما إذا عدت إلى أرض وطنى الحبيب
فسأفقد سمعتى الطيبة، وإن كانت حياتى ستمتد طويلا، ٤١٥
إذ لن ألقى الموت سريعًا. ومن ثم فإننى سوف أحث الآخرين كذلك
على الإبحار للوطن، حيث أنكم لن تشهدوا
سقوط إليون المنيعة. لأن زيوس بعيد النظر،
يحمى هذه المدينة ويؤيد أهلها. ٤٢٠
وحيث إنكم سوف تذهبون للقاء ملوك الآخيين
فلتعلنوا لهم رسالتى بصراحة، فتلك هى مهمة الشيوخ
أن يعملوا عقولهم ويفكروا فى خطة أفضل تنقذ السفن
وتنقذ شعب الآخيين الموجود فى السفن المجوفة حيث أن الخطة
التى أعلنوها وهم لا جدوى منه، فإن غضبى لم يهدأ بعد. ٤٢٥
أما فوينيكس، فلتتركوه لينام هنا فى خيامنا
حتى يبحر معى فى السفن إلى وطننا الحبيب فى
الصباح الباكر. إذا كانت هذه رغبته، فإننى لن أصحبه مكرهًا "
هكذا تحدث واستمع إليه الآخرون فى صمت ٤٣٠
مطبق، وقد أخذتهم الرهبة من حديثه. فقد كان رفضه
عنيفًا للغاية. وبعد وقت طويل تحدث فوينيكس، الفارس الأشيب،
ودموعه تنهمر مدرارًا من شدة خوفه على سفن الآخيين وقال:
"أخيليوس أيها الأمجد، إذا كنت قد حسمت أمرك
وقررت العودة، ولم تعد تهتم مطلقًا بإبعاد خطر النار المدمرة ٤٣٥
عن السفن السريعة، حيث إن الغضب تمكن من
روحك، فكيف أبقى أنا هنا بعيدًا عنك، يا ولدى

الحبيب، وأتركك وحيدًا ؟ لقد أرسلني إلى جانبك
الفارس المسن بيليوس في اليوم نفسه الذي أرسلك
من فثيا لمساعدة أجاممنون وكنت آنذاك غرًا صغيرًا، ٤٤٠
لا تعرف فن القتال ولا مهارة الحديث، وهي المهارات
التي تنضج الرجال. من أجل ذلك استدعاني والدك كي أعلمك
كيف تكون ماهرًا في القول وفي الفعل.
لذلك يا ولدي الحبيب، لن أوافق بعد الآن على أن
ابتعد عنك، حتى لو وعدني الإله نفسه بأن يخلصني ٤٤٥
من الشيخوخة، وأعود إلى شرخ الشباب مثلما كنت
عندما تركت هيلاس، بلاد النساء الجميلات، وهربت
بعد أن تشاجرت مع أبي أمينتور، بن أورمينوس.
فقد غضب مني غضبا شديدًا بسبب محظيته جميلة الشعر.
فقد شغف أبي بحبها. مهملاً زوجته، أمي، ٤٥٠
التي ركعت أمامي وتوسلت إليّ أن أستبقه
وأضاجع محظيته حتى تنفر من أبي المسن.
فخضعت بالفعل لتوسلاتها. وفي الحال. شعر أبي بما حدث
واستمطر اللعنات علي، ونادى الإيرينيات[*] البغيضات
وتضرع إليهن ألا يجلس على قدميه ابن ٤٥٥
يخرج من صلبي. واستجابت الآلهة للعناته عليّ.
استجاب زيوس العالم الآخر (هاديس) وبرسيفوني الرهيبة.
ولم يعد قلبي يحتمل أكثر من ذلك في داخل صدري ، ٤٦٠
ولم أعد أحتمل البقاء في منزل أبي الغاضب .

(*) الإيرينيات (Ερινυες) : الإيرينيات ربات يظهرن في الأعمال الأدبية بدءًا من هوميروس كمنتقمات جبارات عادلات ومنفذات للعنات التي يصبها المظلوم وخاصة على أولئك الذين يرتكبون جرائم تقطع صلة الرحم، ومن ثم كن يصغين إلى لعنات الأمهات والآباء على أولادهم العاقين . لذلك استجبن للعنات أمينتور على ولده فوينيكس كما طاردن أوريستيس ، بن أجاممنون ، بعد أن قتل أمه كليتمنسترا.

وجاء العديد من رجال عشيرتى وابناء عمومتى

وتضرعوا إلى محاولين إبقائى فى المنزل ، ٤٦٥

وظلوا يذبحون الكثير من الأغنام السمينة والثيران

ذات القرون الملتوية والخنازير المليئة بالشحم والدهون،

وقدموا الكثير منها قرابينًا على نيران الإله

هيفايستوس. وشربوا حتى الثمالة من قوارير خمر

أبى، وظلوا لمدة تسع ليال ينامون بالقرب منى، ٤٧٠

وتناوبوا الحراسة فيما بينهم، تسع ليال لم تنطفئ

خلالها النيران فى فناء الدهليز المنيع

ولا فى الفناء الآخر الموجود أمام مدخل الحجرة.

ولكن عندما أرخت الليلة العاشرة أسدالها حولى

نهضت وفتحت باب حجرتى الموصد ٤٧٥

ومرقت للخارج، وقفزت من فوق سور الفناء، وأفلت

بسهولة من الحرس، ومن رجال المنزل ونسائه.

ثم هربت بعد ذلك بعيدًا إلى هيلاس الفسيحة ووصلت

إلى فثيا الخصيبة، موطن قطعان الماشية، حيث

ذهبت إلى الملك بيليوس الذى استقبلنى بحفاوة بالغة، ٤٨٠

وأحبنى كما يحب الأب ابنه

الوحيد، الذى أنجبه والذى سيرث ثروته الضخمة.

فأغدق علىّ المال وجعلنى حاكمًا على شعب كبير العدد.

وعندما كنت أقيم فى أطراف فثيا، حكمت الدولوبيس.

ولقد أحببتك يا أخيليوس، يا شبيه الآلهة، ٤٨٥

من كل قلبى، فقد كنت ترفض الذهاب

إلى المآدب مع أحد غيرى، وكنت ترفض الأكل

فى المنزل، إلا إذا أجلستك على ركبتى. وكنت

أطعمك من اللحم حتى تشبع، وأقدم لك الخمر لتشرب

وكم من مرة لوثت صدر عباءتي ٤٩٠

وسكبت عليها الخمر فى مشاكسة طفولية

لقد تعبت من أجلك كثيرًا وعانيت مصاعب جمة.

وحيث إن الآلهة لم تمنحنى ولدًا من صلبى،

فقد اتخذتك أنت، يا أخيليوس يا شبيه الآلهة

ولدًا لى، حتى تدفع عنى الدمار المخيف. فلتكظم ٤٩٥

يا ولدى أخيليوس غيظك الكبير، فلا يليق بك أن تملك

هذا القلب، الذى لا يلين.فإن الآلهة ذاتها تلين، رغم

أن فضيلتها ومكانتها وقوتها أكبر منا، فالبشر

يجعلون الآلهة تلين، عندما يقدمون لها البخور والنذور،

وعندما يحرقون لها الذبائح، ويسكبون قرابين الشراب ٥٠٠

ويتضرعون وبذلك يتخلصون من غضب الآلهة عليهم،

إذا ما أخطأوا أو أصابهم الغرور. الليتاى(*) هن بنات زيوس

العظيم بحق، وهن عرجاوات، مجعدات الوجوه،

تنظر عيونهن بارتياب. تمشى الليتاى خلف الخطيئة وتتبعها.

الخطيئة قوية ورشيقة القدمين، لذلك فإنها ٥٠٥

تسبق الجميع، وهى تصل إلى جميع أنحاء الأرض،

وتسبب سقوط البشر، ثم تصلحهم مرة أخرى.

أما الذى يبجل بنات زيوس، عندما يحضرن إليه،

يساعدنه كثيرًا ويستجبن لتضرعاته.

ولكن من ينكرهن ويصرح بذلك جهرًا ٥١٠

يجعلهن يذهبن إلى زيوس بن كرونوس ويتضرعن إليه

أن يجعل خطيئته تتبعه حتى يكفر عنها

(*) الليتاى (Λιται): الليتاى هى تضرعات الاستغفار والتوبة وقد جسدتهن الأساطير وجعلتهن بنات زيوس.

ولتتأكد يا أخيليوس، أن من يتبع طريق بنات زيوس
ينال التقدير، مثلما يميل القلب بفطرته للأشياء الطيبة.
ولكن لو لم يكن ابن أتريوس قد أحضر الهدايا ولم يسع ٥١٥
وراءك، بل استمر فى غضبه العنيف وغيه،
ما كنت سأنصحك بالتخلى عن غضبك
حتى من أجل إنقاذ الأرجيين رغم حاجتهم للعون.
ولكنه يقدم لك الكثير الآن، ووعد بتقديم المزيد فيما بعد
كما أرسل لك أفضل الرجال ليتوسلوا إليك، ٥٢٠
واختار من بين الآخيين أكثر
المقربين إلى نفسك، فلا تحتقر حديثهم
ولا تستهن بسعيهم، رغم أنك محق فى غضبك.
لقد سمعنا فيما مضى عن أبطال مشهورين،
قد يتملك الغضب الجامح نفس أحدهم، لكنه يقبل ٥٢٥
الهدايا وتؤثر فى نفسه الكلمات الطيبة. إننى شخصيًا
أتذكر تلك القصة، وهى ليست قصة جديدة، ولكنها
ترجع إلى الأزمان السحيقة، وسوف أقصها على هؤلاء
الأصدقاء، اشتبك الكوريتيون فى حرب مع الأيتوليين
الأشداء حول مدينة كاليدون، واحتدم القتال بين ٥٣٠
الطرفين، وبينما كان الأيتوليون يدافعون عن مدينة
كاليدون الجميلة، كان الكوريتيون يحاولون تدميرها
عن بكرة أبيها. وقد أنزلت ذهبية العرش أرتميس البلاء بهم.
فقد استشاطت غضبا لأن أوينيوس لم يقدم على أعتاب معبدها قرابينا ٥٣٥
من بشائر المحصول، وقدم القرابين الضخمة للآلهة الآخرين.
لقد تجاهلها هى فقط، وهى ابنة زيوس العظيم،
سواء أكان ذلك نسيانًا منه، أو لأنه لم يهتم بها. فاكتسب بذلك إثما كبيرا

مما أثار حفيظتها وغضبها. وسلطت رامية السهام
عليه مخلوقًا سماويًا، خنزيرًا بريًا ذا أنياب بيضاء،
فدمر حديقة أوينيوس تدميرًا شاملاً. ٥٤٠
فقد اجتث الكثير من الأشجار الطويلة من جذورها
وطرحها أرضًا وسواها ببراعم أشجار التفاح.
ولكن ملياجروس، بن أوينيوس، تمكن أخيرًا من قتله،
عندما جمع العديد من الصيادين والكلاب من مدن
كثيرة، لأن الوحش أيا كانت قوته لن يتغلب ٥٤٥
على عصبة كبيرة من البشر، رغم أنه أهلك كثيرين.
وأطلقت الربة الكثير من الصياح والعويل حوله
وعلى رأسه وجسده المليء بالشعر. وأثارت
الصراع بين الكوريتيين والأيتوليين البواسل وحتى ذلك
الوقت كان ملياجروس، حبيب آريس، يحارب ٥٥٠
الكوريتيين وينزل البلاء بهم، لذلك لم يستطيعوا
البقاء خارج السور رغم كثرتهم. ولكن عندما دخل
الغضب إلى نفس ملياجروس، وهو ما يحدث دائمًا،
جعل قلبه يمتليء بالغضب داخل صدره، بالرغم من
رجاحة عقله، وقد رقد الآن بجانب زوجته الجميلة ٥٥٥
كليوباترا، وقلبه مليء بالغضب من أمه الحبيبة ألثايا.
كليوباترا ابنة ماربيسا، جميلة الكعبين، ابنة إيوإنينى
وإيداس الذى كان يعد من أقوى الرجال
على وجه الأرض، والذى صوب قوسه ضد أبوللون
الوضاء (فويبوس) دفاعًا عن زوجته جميلة الكعبين ٥٦٠
والتى كان أبوها وأمها يدعوانها وهى فى
قصرهما ألكيونى، وإذ أطلقت أمها صرخة ألم عليها

مثل نحيب طائر الرفراف[*] عندما اختطفها
أبوللون الوضاء (فويبوس) رامى السهام البعيدة.
رقد ملياجروس بجانب كليوباترا حزين القلب مهمومًا ٥٦٥
غاضبًا من لعنات أمه، فقد تضرعت للآلهة وصلت
لها كثيرًا وهى فى شدة الحزن لموت إخوتها[**].
وبيديها لطمت الأرض كثيرة الخيرات وتضرعت إلى
هاديس وبرسيفونى (برسيفونيا) الرهيبة وهى راكعة
على ركبتيها ودموعها الغزيرة تسيل أنهارًا على ٥٧٠
صدرها متمنية الموت لابنها. وسمعتها الإيرينيات
اللاتى يسرن فى الظلام فى أعماق إريبوس[***] بقلوبهن
التى لا تعرف الرحمة. وفى الحال ارتفع ضجيج الأعداء وصياحهم
حول البوابات وبدأت الأبراج فى السقوط. فتضرع له كبار السن
من الأيتوليين وأرسلوا له أفضل الكهنة ٥٧٥
حتى يأتى وينقذهم واعدين إياه بهدايا كثيرة، وتوسلوا
إليه أن يختار قطعة أرض شديدة الجمال ويأخذها
لنفسه، حيث تكون التربة شديدة الخصوبة فى وادي
كاليدون الجميل، خمسين فدانًا نصفها مزروع بالكروم
ونصفها الآخر أرض خالية فى الوادى جاهزة للحرث. ٥٨٠
وقد توسل إليه الفارس المسن أوينيوس
وهو يقف على أعتاب حجرته ذات السقف العالى،
وظل يهز مقبض الباب الذى أغلقه بإحكام.

(*) طائر الرفراف Alkyon : طائر من فصيلة القرليات ، يصيد الأسماك من المياه العذبة ، ويبنى هذا الطائر عشه فى أيام محددة أثناء فصل الشتاء ، حيث استقرار الطقس وهدوء البحر ، لذلك تستخدم كلمة Alkyonides والتى تعنى فى الأصل الأربعة عشر يوما التى يبنى فيها الطائر عشه للتعبير عن أيام الصفاء والهدوء الذى لا يعكر صفوه شيء.

(**) يسمى باكخيليديس (V, 129) أخويها إيفيكلوس Iphiklos وأفاريس Aphares. (المحرر)

(***) إريبوس Erebos: هى منطقة الظلام الغامض التى يعبرها الميت فى طريقه إلى هاديس وقد جسدت الأساطير الإغريقية إيريبوس ابنا للفوضى Chaos وكشقيق لليل Nyx.

كما توسلت إليه أيضًا شقيقاته وأمه المبجلة. ولكنه
أدار ظهره لتوسلاتهم. كما توسل إليه مرارًا أكثر ٥٨٥
من يثق فيهم من أصدقائه الذين يحبهم أكثر من الجميع،
ولكنهم فشلوا جميعا فى استمالة قلبه الكائن فى صدره.
إلى أن وصل الهجوم الكاسح إلى حجرته. وصعد
الكوريتيون إلى البرج، وأشعلوا النيران الضارية فى
المدينة، عندئذ تضرعت الزوجة ذات النطاق الجميل إلى ٥٩٠
ملياجروس، وقصت على مسامعه وهى تبكى
كل الفظائع التى تنتظر شعب المدينة المهزومة. فبعد
قتل جميع الرجال سوف تضرم النيران فى أنحاء
المدينة، وسوف تساق الزوجات والنساء ذوات النطاق المتين
إلى ذل العبودية مع أطفالهن.
وعندما سمع ملياجروس تلك الفظائع انتفضت روحه، ٥٩٥
وخرج للمعركة واضعًا أسلحته البراقة حول جسده.
وهكذا جنب ملياجروس الأيتوليين مغبة يوم مفجع
بعد أن خضع لنداء قلبه، ولكنهم لم يقدموا له بعد ذلك
الهدايا الكثيرة والجميلة، بالرغم من أنه أنقذهم.
فلا تكن يا أخيليوس يا ولدى الحبيب عنيدًا مثله، فإن ٦٠٠
الآلهة لا تؤيدك فى ذلك. إن المهمة الصعبة هى إنقاذ
السفن المحترقة، فلتذهب للحرب بعد قبول الهدايا
فإن الآخيين سوف يبجلونك كإله.
أما إذا رفضت الهدايا، وواصلت الشقاق
فلن تنال تقديرهم بعد ذلك أبدًا، إذ إنك اعتزلت الحرب". ٦٠٥

عندئذ أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلا:

"فوينيكس، يا والدى الشيخ، يا من رباك زيوس. إننى

لا أحتاج لتقديرهم، فأنا أعتقد أن زيوس منحنى تقديرًا
مماثلاً سوف يبقى معى، وأنا بجوار سفنى معقوفة
المقدمة، طالما بقى نفس فى صدرى، وطالما كانت ٦١٠
أطرافى قادرة على الحركة. إننى أقول لك شيئًا آخر
فكر فيه جيدًا مع نفسك: لا تتعب روحى بنواحك
وحزنك لمجرد إرضاء ابن أتريوس المغوار. إن
صداقته لا تتواءم معك. وحتى لاتصبح عدوًا لى رغم
حبى لك. والأفضل لك أن تشاركنى عداوة الرجل الذى ٦١٥
عادانى، لأنك ملك مثلى وتشاركنى التقدير الذى أناله.
هؤلاء الرجال سوف يعلنون له قرارى، ولكن لتبق أنت
هنا ولتسترح فى فراش وثير. وعندما يشرق الصباح
سوف نفكر ما إذا كنا سوف نبحر إلى وطننا أم سنبقى هنا".

وفى صمت أومأ إلى باتروكلوس بحاجبيه ٦٢٠
ليقوم بإعداد فراش وثير لفوينيكس، وأن
يغادر (الرسولان) الخيمة بأقصى سرعة، ولكن أياس
بن تيلامون، شبيه الآلهة، خاطبهم قائلا:

"أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، يا كثير الحيل ويا سليل
زيوس هيا بنا نرحل. يبدو لى أن هذه الرحلة ٦٢٥
لن تحقق شيئًا أبدًا. ويجب علينا أن نعلن ذلك
للدانائيين على وجه السرعة، رغم أنه خبر لا يسعد،
ولن يأت خير من ورائه، فإنهم يجلسون الآن فى انتظار
الرد. ولكن صدر أخيليوس ونفسه البطولية تجيشان
بغضب وحشى فهو لا يلين أبدًا، ولا يهتم بحب ٦٣٠
زملائه. فمن بين كل الموجودين فى السفن كان هو
أكثر من أحببنا. يا لقسوة قلبه! إن المرء يقبل الفدية

من قاتل شقيقه، أو حتى من قاتل ولده
ويبقى القاتل فى البلدة إذا نال العقوبة
العادلة. وبعد أن يقبل الفدية ٦٣٥
تهدأ روحه الغضوب. أما أنت، فقد وضعت الآلهة في
قلبك غضبًا شريرًا لا يلين، وذلك من أجل فتاة واحدة
فقط، بينما نقدم لك الآن سبع فتيات فاضلات بالإضافة
إلى أشياء أخرى قيمة، فلتصن روحك الكريمة
ولتحترم وجودنا فى منزلك. فنحن ضيوفك وقد أرسلنا ٦٤٠
إليك وفودًا كثيرة من الدانائيين. ونحن نرغب أن تكون
أكثر من نهتم به من بين الجميع، وأكثر من ينال حبنا
من بين جميع الآخيين، على كثرتهم".

عندئذ. أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:

" أياس، يا سليل زيوس التيلاموني وحاكم الشعوب
يبدو أنك تنطق دائمًا بما يدور فى عقلي ٦٤٥
ولكن قلبى مازال مفعمًا بالغضب عندما أتذكر
تلك الأفعال، وكيف أهانني ابن أتريوس بين الأرجيين
بوقاحة، كما لو كنت شخصًا منبوذًا عديم الكرامة.
فلترجعوا ولتعلنوا للأرجيين قرارى بوضوح: إننى لن
أبالى بالحرب الملعونة التى تستنزف الدماء، قبل أن ٦٥٠
يأتى ابن برياموس ذو القلب الحكيم، هيكتور شبيه
الآلهة، إلى سفن الميرميدونيين وخيامهم،
فيقتل الأرجيين ويضرم النيران فى سفنهم. ولكننى
أعتقد أنه مهما كانت رغبة هيكتور فى القتال، لن يأت
لمحاربتى هنا بجوار خيمتى وسفينتى السوداء". ٦٥٥

هكذا تحدث. وأمسك كل منهم كأسًا ضخمًا، وقبل

أن يشربوا سكبوا القرابين للآلهة، ثم أسرعوا إلى سفنهم
مرة أخرى. وقادهم أوديسيوس. فى حين أمر
باتروكلوس محظياته بإعداد فراش وثير لفوينيكس على
وجه السرعة. وكما أمرهن، قمن بإعداد الفراش ٦٦٠
بأجود أنواع الكتان وبأغطية من الفرو.
وتمدد العجوز فوقه منتظرًا بزوغ ربة الفجر (إيوس).
بينما نام أخيليوس فى نهاية الخيمة المتينة،
وإلى جانبه نامت امرأة: ديوميدى، ابنة فورباس،
جميلة الوجنتين، التى أحضرها من ليسبوس. أما ٦٦٥
باتروكلوس فقد نام فى الجانب المقابل وبجانبه إيفيس
(ذات النطاق الجميل) التى منحها له أخيليوس المبجل
عندما استولى على مدينة سكيروس، قلعة إنيوس الحصينة.
وعندما عاد الرسل، دخلوا خيمة ابن أتريوس،
فنهض جميع الآخيين وقدموا لهم الكئوس الذهبية، ٦٧٠
وتجمعوا من كل صوب وحدب وتوجهوا إليهم
بالأسئلة، وكان أجاممنون، ملك الرجال، أول السائلين:
"فلتأت يا أوديسيوس، يا فخر الآخيين العظيم، يامن
يمدحونك كثيرًا، ولتخبرنى ما إذا كان قد وافق على الدفاع
عن السفن وحمايتها من نيران العدو أم رفض. ٦٧٥
وهل مازال الغضب يسيطر على روحه المتعالية؟".
وفى الحال أجابه أوديسيوس الإلهى، الذى عانى كثيرًا، قائلاً:
"أجاممنون يا ابن أتريوس المبجل، ياملك الرجال،
إنه يرفض أن يطفىء نار حنقه. ومازال الغضب
المجنون يسيطر على روحه أكثر مما مضى. ويحتقرك
أنت وهداياك. وهو يطلب منك أن تتشاور مع الأرجيين ٦٨٠

كيف ننفذ شعب الآخيين وسفنهم .
وهو يهدد أنه، عندما يطلع الصباح سوف ينزل إلى
الماء سفنه ذات المجاديف القوية على كلا الجانبين.
كما قال إنه سوف يحث الآخرين على العودة معه
إلى الوطن، حيث إنكم لن تشهدوا نهاية إليون المنيعة، ٦٨٥
لأن زيوس، بعيد النظر يضع يده مع هذه المدينة
ويحميها، ويملأ شعبها بالثقة. هكذا قال، ويستطيع
من ذهبوا معى أن يؤكدوا ذلك، إنهم موجودون
هنا، أياس والرسولان الآخران، وهم جميعًا يتمتعون
بالحكمة والحصافة. كما أمر الشيخ فوينيكس أن يبقى ٦٩٠
معه حتى الصباح، فسوف يصحبه فى سفينته
إلى وطنه الحبيب فى اليوم التالى، إذا ما رغب فى ذلك.
فهو لا يريد أن يصطحبه مكرهًا".

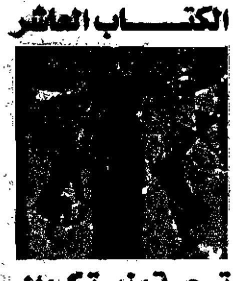
هكذا تحدث. واستمع الآخرون إليه فى صمت
مطبق، من شدة دهشتهم بحديثه العنيف
ومن شدة حزنهم. ظل الأخيون صامتين فترة طويلة. ٦٩٥
وأخيرًا تحدث ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، قائلا:

"يا ملك الرجال، أجاممنون العظيم، يا ابن
أتريوس، يجب عليك ألا تتوسل لابن بيليوس الذى لا
نظير له، وألا تخطب وده بالهدايا الكثيرة. فهو
متغطرس على الدوام، وأنت الآن تثير فيه روح ٧٠٠
الغطرسة أكثر. فيجب علينا أن نتركه الآن، سواء قرر
الرحيل أو البقاء، فسوف يحارب مرة أخرى عندما
يأمره قلبه داخل صدره بذلك، أو عندما يحثه أحد
الآلهة. ولكن فلنحاول إقناع الآخرين.

أما الآن. فلنذهب للنوم، سعداء القلب مسرورين، ٧٠٥
بعد أن امتلأنا بالطعام والخمر. فذلك يمنحنا القوة
والشجاعة. وعندما تشرق ربة الفجر الجميلة ذات
الأصابع الوردية، سوف نأخذ الرجال والجياد بسرعة
من أمام السفن ونسرع للقتال. ولتحارب أنت في المقدمة".

هكذا تحدث ديوميديس، مروض الخيول. ٧١٠
وصاح الجميع مستحسنين حديثه.
وبعد أن سكبوا قرابين الشراب، ذهب كل منهم إلى
خيمته ليستريح ويستمتع بهدية النوم. ٧١٣

الكتـــاب العاشر



ترجمة منيرة كروان

نام كافة ملوك الآخيين الآخرون بجانب السفن
طوال الليل بعد أن غلبهم النعاس الجميل.
فقط أجاممنون بن أتريوس، راعى الشعوب
لم يستطع النوم اللذيذ أن يتغلب عليه، لانشغال ذهنه بالتفكير.
وكما يرسل زيوس، زوج هيرا جميلة الشعر، البرق ٥
ويصاحبه عاصفة مروعة من المطر أو البرد،
أو عاصفة ثلجية تجعل الثلج يغطى الحقول،
أو عندما يجعل الحرب المدمرة تفغر فاهًا واسعًا،
هكذا كانت تأوهات أجاممنون تندفع بسرعة من صدره،
من أعماق قلبه، وكانت روحه ترتعد داخله. ١٠
وكثيرًا ماكان يحملق فى السهل الطروادى متعجبًا
من كثرة النيران المستعرة أمام إليون،
بينما تصل إلى مسامعه أصوات الناى والمزمار وضجيج البشر.
وكاد يمزق شعر رأسه من جذوره،
عندما كان ينظر إلى سفن الآخيين وحشودهم ١٥
ويتضرع إلى زيوس فى عليائه، وقلبه الشجاع يئن ويتوجع.
ورأى فى قرارة نفسه أن أفضل الحلول
أن يذهب أولاً إلى نيستور بن نيليوس، دون سواه
عله يستطيع أن يدبر معه خطة ماكرة وماهرة،
يمكن بها تجنب الكارثة التى تكاد تقع على جميع الدانائيين. ٢٠
لذلك نهض، ثم لف عباءته حول جسده،
ووضع صندله الجميل فى قدميه اللامعتين
ولف جسده بجلد أسد متوحش
أصفر اللون، وطويل يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه.
وبالمثل، تملك الخوف مينيلاؤس ٢٥

وهجر النوم جفونه، فقد كان يخشى
أن تنزل كارثة بالأرجيين، فمن أجله
عبروا البحر، وجاءوا إلى طروادة ساعين إلى حرب شجاعة.
لذلك، لف مينيلاؤس كتفيه العريضتين بجلد نمر
مبرقش، ثم رفع خوذته البرونزية ووضعها ٣٠
على رأسه، وأمسك رمحه بيده القوية.
ثم انطلق كى يوقظ أخاه، ملك
الأرجيين جميعًا، الذى كان الناس يبجلونه كإله.
فوجده فى مؤخرة سفينته، واضعًا سلاحه
الجميل حول كتفيه، ورحب به بسرور عند قدومه. ٣٥
وبدأ مينيلاؤس النبيل الحديث بقوله:

"لماذا تسلحت هكذا، ياأخى العزيز؟ ألا تبحث عن أحد
الرفاق ليقوم بالتجسس على الطرواديين؟ لشد ما أخشى
ألا يوافق أحد على القيام بهذه المهمة من أجلك،
وأن يقوم بالتجسس على الأعداء بمفرده، ٤٠
أثناء الليل العاطر. إذ يتطلب الأمر شجاعة فائقة".

ورد عليه أجاممنون المهيب قائلاً:

"إننى فى أمس الحاجة للنصيحة، وكذلك أنت يامينيلاؤس،
يامن رباه زيوس، نصيحة ذكية، تساعد الأرجيين
وتنقذ سفنهم، حيث إن زيوس قد تحول ضدنا ٤٥
فمما لا شك فيه أن قلبه قد تحول بسبب القرابين التى يقدمها له هيكتور.
فلم أرى فى حياتى، ولم أسمع أن أحدًا قال من قبل،
إن رجلاً واحدًا يمكنه أن يحدث هذا القدر الهائل من الضرر يوميًا
مثلما ينزل هيكتور، حبيب زيوس، بالآخيين من أضرار،

رغم أنه ليس ابنا لأحد الآلهة أو إحدى الإلهات. ٥٠
أعتقد أن تلك الأفعال الشريرة التى يخطط لها
ضد الأرجيين سوف تصيبهم بأضرار تستمر أمدًا طويلاً.
ولكن، لتذهب الآن بسرعة تجاه السفن، ولتدعو
أياس وإيدومينيوس، وسوف أسرع أنا إلى نيستور، شبيه الآلهة.
فإذا كان راغبًا فى الحضور، سوف أحثه لكى يأتى الآن ٥٥
ليرى الحراس البواسل وليوجه إليهم الأوامر.
فهو الوحيد الذى سوف يطيعون أوامره أكثر من أى شخص آخر،
لأن ابنه يتولى قيادة الحرس، فقد عهدنا إليه
بهذه المهمة، هو وميريونيس، رفيق إيدومينيوس فى القتال".

عندئذ أجابه مينيلاؤس، البارع فى صيحة القتال، قائلاً: ٦٠
"حسنًا، ولكن بماذا تأمرنى
أأبقى هنا معهم فى انتظار عودتك
أم ألحق بك بعد أن أصدر لهم الأوامر"؟

فأجابه أجاممنون، ملك الرجال، مرة ثانية، بقوله:
"لنبق هنا، حتى لا يفقد أحدنا الآخر ٦٥
فى الذهاب هنا وهناك، إذ توجد طرق عديدة تؤدى إلى المعسكر.
وأينما ذهبت لتناد عليهم بصوت مرتفع حتى يستيقظوا،
ولتناد على كل منهم باسم أبيه
ولتعظمهم جميعًا، ولا تبالغ فى تكريم نفسك.
فلنتعب نحن أنفسنا من أجلهم، نحن الذين رسم لنا ٧٠
زيوس، منذ مولدنا، قدرًا مليئا بالمتاعب".

هكذا قال، ثم أرسل أخاه بتعليمات مشددة،
بينما ذهب هو باحثًا عن نيستور، راعى الشعوب.

ولقد وجده مستلقيًا بجوار خيمته قريبًا من سفينته السوداء
ممددًا على فراش وثير وبجواره سلاحه المزركش: ٧٥
ترس مستدير، ورمحان، وخوذة لامعة
وعلى مقربة منه، الحزام البراق الذى اعتاد البطل المسن
أن يتمنطق به، كلما بدأ الاستعداد لقيادة شعبه للحرب،
قاتلة الرجال، غير عابئ بوهن الشيخوخة.
وبعد أن ارتكز على مرفقيه، رفع رأسه ٨٠
وخاطب ابن أتريوس وسأله قائلاً:

"من هذا القادم بمفرده إلى السفن عبر المعسكر
خلال الليل البهيم، بينما جميع البشر يغطون فى سبات عميق؟
أتبحث عن بعض الحراس أم تبحث عن أحد رفاقك؟
تحدث ولا تقترب فى صمت، ماذا جاء بك؟" ٨٥

عندئذ أجابه أجاممنون، ملك الرجال، قائلاً:

"اطمئن يا فخر الآخيين نيستور، بن نيليوس،
فأنا أجاممنون بن أتريوس، الذى أوقعه زيوس،
أكثر من جميع البشر الآخرين، فى متاعب تدوم طالما
بقى نفس فى صدرى، وطالما استطاعت أطرافى الحركة. ٩٠
وهكذا أهيم على وجهى، لأن النوم اللذيذ لم يزر جفونى،
لقد أثقلتنى الحرب وأحزان الآخيين بالهموم.
إننى أشعر بخوف عظيم على الدانائيين، ولا تستقر روحى
فى هدوء، بل تعانى من هم ثقيل، ويكاد قلبى
يقفز خارج صدرى، وترتعد فرائصى من الخوف. ٩٥
ولكن، إذا كنت مهتمًا ولم يتغلب عليك النوم،
دعنا نذهب هناك لنتفقد الحرس ونراقبهم

حتى لا يغلبهم التعب والنعاس
فيخروا نائمين وينسوا واجبهم تمامًا.
فالعدو يربض على مقربة منا، ولا نعرف ١٠٠
إذا كان يخطط للقتال أثناء الليل أم لا".

عندئذ أجابه نيستور، الفارس الجيريني، قائلاً:

"أجاممنون، يا ابن أتريوس، ياملك الرجال وأعظمهم
إننى الآن أتمنى ألا يحقق زيوس الحكيم
خطط هيكتور، بل إننى أتوقع أنه ١٠٥
سوف يصادف متاعب جمة، إذا ما تحول
قلب أخيليوس الرقيق وتخلى عن غضبه العنيد.
بكل تأكيد سوف أذهب معك لنوقظ الآخرين،
ابن تيديوس المشهور برمحه، أوديسيوس،
وأياس سريع القدمين، وابن فيليوس الشجاع. ١١٠
وليذهب أحدهم ليستدعى هؤلاء الأبطال:
أياس شبيه الآلهة، وإيدومينيوس المبجل.
فإن سفنهم توجد على مسافة بعيدة، وليست على مقربة منا.
وسوف أوجه اللوم لمينيلاؤس، رغم حبى الشديد له
واحترامى لشخصه، ورغم أن ذلك قد يضايقك، فلن أخفيه. ١١٥
فهو يغط فى سبات عميق ويترك هذا العبء عليك وحدك،
وكان أحرى به أن يكون هو الذى يسعى بين جميع القادة
ويتضرع إليهم، فقد أصبح الموقف عصيبًا".

عندئذ، أجابه أجاممنون، ملك الرجال، بقوله:

"أيها الشيخ، ربما أطلب منك فى وقت آخر أن تلومه ١٢٠
فهو كسول ولا يحب أن يجهد نفسه،

ولا يتخلى مطلقًا عن كسله وحماقته،
وينتظر دائمًا أن أتولى أنا القيادة.
أما هذه الليلة، فقد سبقنى، استيقظ مبكرًا وجاءنى
ولكننى أرسلته ليستدعى بعض القادة الذين أمرت بحضورهم. ١٢٥
ولكن لنذهب الآن، فسوف التقى بهؤلاء القادة أمام البوابات،
فقد طلبت منهم أن نتجمع عند الحراس".
فأجابه نيستور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
"هكذا لن يتضايق منه أحد من الأرجيين
إذا ما طلب منه شيئا، ولن يعصاه إذا ما أصدر إليه أمرًا". ١٣٠
هكذا قال ثم ضم رداءه على صدره،
ووضع صندله الجميل فى قدميه اللامعين
ولف عباءته الأرجوانية الواسعة ذات الطيات،
كثيفة الوبر، حول جسده ثم أمسك رمحه القوى ذا الرأس
البرونزى الحاد. وذهب متجهًا ناحية سفن الآخيين لابسى البرونز. ١٣٥
وأيقظ نيستور، الفارس الجيرينى، أوديسيوس نظير زيوس فى حكمته،
عندما صاح صيحة نفذت إلى عقله بسرعة،
فجاء من خيمته مسرعًا وخاطبهم بقوله: ١٤٠
"لماذا تتجولان هكذا بمفردكما بين المعسكر والسفن
أثناء الليل العاطر، ماهى الحاجة الملحة التى دفعتكما لذلك؟"
فأجابه نيستور، الفارس الجيرينى بقوله:
"لا تنزعج يا أوديسيوس يا كثير الحيل، يامن وهبته
السماء للائيرتس. لقد أطبق الحزن الشديد على الآخيين، ١٤٥
فلتلحق بنا حتى نوقظ بقية القادة، فيجب
أن نناقش معهم ما إذا كان من الأفضل أن ننسحب أو أن نحارب".

هكذا قال، أما أوديسيوس كثير الحيل، فقد ذهب إلى خيمته
ووضع درعه المزخرف على كتفيه، وذهب ليلحق بالآخرين.
وانطلقوا يبحثون عن ديوميديس بن تيديوس، ووجدوه، ١٥٠
خارج خيمته ومعه سلاحه، وكان رفاقه نائمين حوله وقد
وضعوا تروسهم تحت رءوسهم. وعلى مقربة منهم كانت رماحهم
مصفوفة ومسندة على مقابضها، بينما كانت رءوسها البرونزية
تلمع من بعيد وكأنها وميض البرق، الذى يرسله زيوس أبو الآلهة.
وكان البطل نائمًا وقد بسط تحته جلد ثور من ثيران ١٥٥
المراعى، ووضع تحت رأسه بساطًا رائعًا.
ووقف نيستور، الفارس الجيرينى، بجانبه،
وأيقظه بركلة من كعب حذائه، وانفجر فى وجهه مؤنبًا:
"استيقظ يا ابن تيديوس، أتغرق فى النعاس طوال الليل؟
ألا ترى أن الطرواديين قد عسكروا على التل المرتفع ١٦٠
بالقرب من السفن وأن المسافة التى تفصلهم عنا ضئيلة".
هكذا قال، فقفز الآخر من نومه مذعورًا
ورفع صوته بهذه الكلمات المجنحة:
"سيدى الشيخ، إنك عديم الرحمة، ولا تتوقف عن خلق المتاعب
أليس هناك من بين الآخيين من هو أصغر منك سنًا ١٦٥
فيكون بوسعه أن يذهب هنا وهناك ليوقظ الملوك
كلاً حسب دوره ؟ إنك عجيب أيها الأشيب".
فأجابه نيستور، الفارس الجيرينى، بدوره قائلاً:
"بلى ياصديقى العزيز، لقد نطقت صدقًا.
فلدى ابناء شجعان، وهناك الكثير من ١٧٠
الرجال، ويمكن لأحدهم أن يذهب ويتجول ليدعو القادة،

ولكن الضرورة القاسية تسحق الأخيين فمصيرهم الآن على شفا الهاوية،
فإما أن تقدر لنا النجاة أو الموت.
ولكن إذا كنت حقًا تشفق عليّ، فلتذهب لتوقظ ١٧٥
ابن فيليوس وأياس، سريع القدمين، فأنت بالفعل أصغر سنًا".
هكذا قال، ثم وضع حول كتفيه جلد
أسد متوحش أصفر اللون يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه
وشرع فى الانصراف، فأيقظ الأبطال وسار أمامهم.
وعندما وصلوا إلى مكان الاجتماع وسط الحراس، ١٨٠
وجدوا أن قادة الحرس لم يناموا،
بل كانوا يقومون بالمراقبة ومعهم أسلحتهم، لقد كانوا جالسين،
مثل الكلاب التى تحرس الغنم بيقظة تامة فى ساحة المنزل،
فعندما يشعرون باقتراب وحش مفترس قادم
عليهم من الغابة، يحيطونه بجلبة شديدة، ١٨٥
جلبة من أصوات البشر والكلاب، ويهرب النوم من أعينهم.
هكذا هجر النوم اللذيذ جفونهم
وسهروا طوال الليل فى نوبات للحراسة. وحدقت
أبصارهم فى اتجاه التل، علهم يسمعون صوتَ قدوم الطرواديين.
وقد سعد الشيخ المسن لرؤيتهم وشجعهم بحديثه ١٩٠
وخاطبهم بهذه الكلمات المجنحة:
"أبنائى الأعزاء، هكذا تكون الحراسة، لا تدعوا النوم
يتمكن من أحدكم، حتى لا نصبح مصدر سعادة لعدونا".
هكذا تكلم، ثم وثب ليعبر الخندق وتبعه الملوك
الأرجيون الكثيرون الذين تمت دعوتهم لهذا الاجتماع. ١٩٥
وقد جاء معهم ميريونيس وابن نيستور المجيد،

فقد دعا الملوك هذين الاثنين ليتشاوروا معهما.
وبعد أن عبروا الخندق المحفور، جلسوا
فى مكان نظيف خال من الجثث
المبعثرة، بعد أن توقف هيكتور القوى ٢٠٠
عن قتل الأرجيين، عندما بدأ الليل يرخى سدوله.
وجلسوا هناك ليتبادلوا الحديث معًا.
وبدأ نيستور، الفارس الجيرينى، الحديث قائلاً:
"أيها الأصدقاء، ألا يثق أحدكم فى شجاعته
ويجرؤ على الذهاب وسط الطرواديين البواسل ٢٠٥
ويقوم بهذه المخاطرة، فربما يأسر بعض الأعداء المتخلفين،
أو قد يكشف شيئا، أو قد يسمع حديث بعض الطرواديين
فنعرف منه ماذا يدبرون الآن،
وهل سيمكثون هنا قرب السفن بعيدًا عن المدينة، أم
أنهم سوف ينسحبون إلى المدينة بعد أن قهروا الآخيين؟ ٢١٠
إن من يذهب ويكتشف كل ذلك، ثم يعود إلينا
سالمًا، سوف تبلغ شهرته عنان السماء
ويصل صيته إلى جميع البشر، فهو شجاع للغاية.
وسوف يمنحه كل واحد من القادة الذين يتولون
أمور السفن، على كثرتهم، شاة ٢١٥
سوداء(*) ومعها رضيعها، ويالها من ملكية عظيمة.
وسوف يكون ضيفًا مكرمًا على كل الولائم والمآدب".
هكذا تحدث، واستمع إليه الباقون فى صمت مطبق،
إلى أن تحدث ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، قائلاً:

(*) يبدو أن الشاة السوداء كانت الجائزة أو المكافأة التى تعطى للجاسوس العائد من مهمته الصعبة، وقد تكون لها دلالات رمزية. (المحرر)

"نيستور، إن قلبى وروحى الشجاعة يدفعانى ٢٢٠
للذهاب إلى معسكر أعدائنا الطرواديين
الموجود على مقربة منا. ولكن شجاعتى وثقتى
سيلقيان مزيدًا من القوة إذا ما صحبنى أحد الرفاق.
فعندما يذهب اثنان معًا، فإن أحدهما يوضح للآخر
كيف يحقق الفائدة، أما إذا كان فردًا واحدًا فإن حيلته ضعيفة" ٢٢٥

هكذا قال، ورغب كثيرون فى مرافقة ديوميديس.
فقد رغب فى ذلك المحاربان الثنائى أياس حبيب آريس.
وكذلك ميريونيس، وكانت رغبة ابن نيستور شديدة
وكذلك مينيلاؤس بن أتريوس، المشهور برمحه. ٢٣٠
كما رغب أوديسيوس شديد التحمل فى الذهاب إلى
معسكر الطرواديين، فإن حب المغامرة كامن فى نفسه دائمًا.
لذلك صاح أجاممنون ملك الرجال قائلاً:

"ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا أحب الناس إلى قلبى
سوف تختار أنت من تريده ليكون رفيقًا لك. ٢٣٥
ومن ثم، فمن بين الكثيرين الراغبين، خذ الأفضل.
ولا تأخذ شخصًا سيئًا ليكون رفيقك، وتترك الأفضل
بسبب احترامك لشخص ما، أو لأنك
تخشى أحدهم، حتى لو كان من أصل ملكى".

هكذا تكلم، ولكنه كان قلقًا بشأن مينيلاؤس، أشقر الشعر. ٢٤٠
ومرة أخرى تحدث ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، وقال:
"إذا كنتم تطلبون منى أن أختار رفيقًا لى
فكيف إذن أنسى أوديسيوس، شبيه الآلهة،
فهو يملك قلبًا مليئًا بالحماس وروحًا بطولية قادرة على مواجهة

كل الصعاب، كما أن أثينة باللاس تحبه. ٢٤٥
فإذا صاحبنى وكان رفيقى فى مهمتى فسوف نعود معًا
من بين النيران المشتعلة، فهو يعرف كيف يتدبر الأمور ببراعة".

عندئذ أجابه أوديسيوس، شبيه الآلهة، برباطة جأش قائلاً:

"لست بحاجة لأن تمدحنى أو تذمنى، يا ابن تيديوس،
فأنت، كما ترى، تتحدث بين الأرجيين الذين يعرفوننى جيدًا. ٢٥٠
ولكن هيا بنا نذهب، فالليل يمضى مسرعًا والصباح يقترب
وارتحلت النجوم بعيدًا فى السماء، لقد مضى معظم الليل،
لقد انقضى ثلثاه وبقى ثلثه الأخير فقط".

هكذا قال، ثم وضع الاثنان أسلحتهما الرهيبة على جسديهما،
وأعطى ثراسيميديس، ثابت الجنان فى المعركة، ابن تيديوس ٢٥٥
سيفًا ذا حدين، لأنه ترك سلاحه فى السفينة
كما أعطاه ترسًا، ثم وضع على رأسه خوذة
من جلد الكلب، ليس بها عرف ولا يزينها الريش،
إنها غطاء يحمى رأس المحارب قوى البنية.
وأعطى ميريونيس أوديسيوس جعبة سهام وقوسًا ٢٦٠
وسيفًا، وغطى رأسه بخوذة
من الجلد ومزينة بشرائط عديدة ومبطنة من الداخل جيدًا،
أما من الخارج فقد كان بها نتوءات لامعة
منتشرة هنا وهناك ومصنوعة من أسنان الخنزير.
إنها خوذة جيدة الصنع، ومثبت بها فى منتصفها طبقة من اللباد. ٢٦٥
إنها خوذة أمينتور بن أورمينوس الذى أخذها ذات مرة
أوتوليكوس عندما حل ضيفًا على صاحبها الجسور فى مدينة إيليون(*).

(*) إيليون Eleon تقع فى بويوتيا أما أوتوليكوس فهو اللص الرئيسى فى الأساطير وهو جد أوديسيوس وكان قادرًا على تغيير شكله ومن ثم لم يستطع أحد الإمساك به. (المحرر)

وقد أعطاها إلى أمفيداماس، ملك كيثيرا، الذى أخذها إلى سكانديا
وقدمها أمفيداماس إلى مولوس، هدية ضيافة.
ثم أعطاها مولوس إلى ابنه ميريونيس ليرتديها. ٢٧٠
وهى تحيط الآن برأس أوديسيوس وتغطيها.
هكذا، وبعد أن وضع هذان البطلان أسلحتهما الرهيبة
شرعا على الفور فى الانصراف، وتركا بقية القادة.
فلما مضيا فى طريقهما أرسلت
لهما أثينة باللاس طائر البلشون (مالك الحزين)
على الجانب الأيمن من الطريق، ورغم أنهما لم يرياه بأعينهما ٢٧٥
بسبب ظلمة الليل الحالك، فقد سمعا صوت هتافه .
وتفاءل أوديسيوس بهذا الطائر و تضرع إلى أثينة قائلاً:
"اسمعينى يا ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس، يامن
أجدك دائمًا بجوارى فى كل الأزمات، فما من حركة من حركاتى
تخفى عليك، كونى كريمة معى الآن أكثر من ذى قبل ٢٨٠
وامنحينا عودة سالمة إلى سفننا، محاطين بالمجد،
بعد أن نتم بنجاح مهمتنا التى ستجلب الحزن للطرواديين".
ثم تبعه ديوميديس، البارع فى صيحة الحرب، قائلاً فى تضرع:
"فلتستمعى إلى أنا أيضًا يا ابنة زيوس الدؤوبة
ولتتبعينى كما تبعت أبى تيديوس، شبيه الآلهة، ٢٨٥
إلى طيبة، عندما ذهب رسولاً من قبل الآخيين
بعد أن ترك الآخيين لابسى البرونز عند نهر أسوبوس
وحمل معه للكادميين حديثًا رقيقًا.
ولكنه سبب لهم أهوالاً فظيعة عندما عاد إليهم مرة أخرى
معك، أيتها الربة المشرقة، عندما وقفتِ بجانبه بمنتهى العطف. ٢٩٠

والآن فلتقفى بجانبى بكل الرضا ولتساعدينى،
وسوف أقدم لك عجلاً عمره عام واحد، عريض الجبين
سوف أقدمه لك كاملاً، عجلاً لم يضعه بشر فى النير بعد،
بعد أن أزين قرونه بالذهب".

هكذا تحدث البطلان فى ضراعة، واستمعت ٢٩٥
إليهما أثينة باللاس. وبعد أن تضرعا إلى ابنة زيوس القوى
انطلقا كزوج من الأسود خلال الليل البهيم،
انطلقا إلى القتل والذبح وعبر الدم الأسود والسلاح

ولم يسمح هيكتور للأبطال الطرواديين بالنوم، ولكنه دعاهم
للاجتماع. لقد دعى للاجتماع جميع قادة الطرواديين ورؤساءهم ٣٠٠
وقدم للمجتمعين خطة ماكرة وهو يقول:

"من منكم يعدنى أن يقوم بهذا العمل
وسوف ينال هدية ضخمة؟ إن جائزته سوف تكون ضخمة،
فسوف أمنحه زوجًا من الخيول طويلة العنق،
من أفضل الخيول الموجودة على سفن الآخيين السريعة وعربة. ٣٠٥
فمن يخاطر ويقوم بهذا العمل سوف يحقق لنفسه صيتًا
إذا ذهب إلى سفن الآخيين السريعة واستطلع ما إذا كانت
توجد حراسة على هذه السفن السريعة، كما كان الحال
من قبل، أو أنهم بعد أن قهرتهم أيادينا،
يتشاورون فيما بينهم كى يهربوا، ولا يرغبون ٣١٠
فى تولى الحراسة طوال الليل بعد أن غلبهم التعب الرهيب".

هكذا قال، واستمع إليه الحاضرون فى صمت دون أن ينبسوا
بكلمة، وكان يوجد بين الطرواديين الحاضرين دولون، بن يوميديس،
الرسول الذى يشبه الآلهة، والذى كان يملك ثروة من الذهب والبرونز. ٣١٥

ورغم قبح منظره، فقد كان دولون سريع القدمين،
وكان الابن الوحيد لوالده بعد خمس بنات.
خاطب دولون الطرواديين و هيكتور بهذه الكلمات:
"هيكتور، إن قلبي وروحي الشجاعة يدفعاني
إلى أن أذهب إلى السفن السريعة للتجسس. ٣٢٠
ولكن لتأت وترفع هذا الصولجان، وتقسم
أنك سوف تعطيني الخيول والعربة المزينة بالبرونز
التي كانت تحمل ابن بيليوس الذي لا نظير له،
فإنني لن أخاطر دون مكسب. سوف تتحقق آمالك
إذ سأذهب على الفور إلى حيث يعسكر الجيش حتى ٣٢٥
أصل إلى سفينة أجاممنون، حيث يعقد القادة اجتماعًا
يتناقشون فيه ليقرروا ما سيفعلون، سيهربون أم سيحاربون".

هكذا قال، ورفع هيكتور الصولجان بين يديه وأقسم قائلاً:

"ليشهد زيوس، مرسل الرعد القوي، زوج هيرا
إنه ما من رجل آخر من بين الطرواديين ٣٣٠
سوف يمتطي هذه الخيول، وإنني لأؤكد لك
أنك سوف تسعد بهذه الخيول إلى الأبد".

هكذا قال، وأقسم قسمًا غير مجدٍ، لكنه أثار روح دولون
فوضع أقواسه المعقوفة على كتفيه على الفور،
ولف نفسه بحزام من جلد الذئب الرمادي،
ووضع على رأسه غطاء من فرو الدلّق ٣٣٥
الرمادي اللون، وأمسك برمحه الحاد.
وأسرع بالخروج من المعسكر سائرًا في اتجاه السفن، عازمًا
على ألا يعود مرة أخرى من السفن دون أن يحمل خبرًا لهيكتور،

وترك خلفه حشدًا من الجياد والرجال
واتجه فى طريقه بحماس. ولكن أوديسيوس، سليل زيوس، ٣٤٠
لمحه قادمًا، فقال مخاطبًا ديوميديس:

"ديوميديس، إننى ألمح شخصًا قادمًا من المعسكر،
ربما جاء ليتجسس على سفننا.
أو ربما جاء ليسلب أسلحة إحدى الجثث الملقاة،
فلنجعله يمر بأمان على التل لبعض الوقت
ثم ننقض عليه بعد ذلك ونمسك به ٣٤٥
بسرعة. فإذا ما أفلت منا، بسبب سرعة قدميه،
فلتدفعه بعيدًا عن معسكره فى اتجاه السفن،
مستخدمًا الرمح، حتى لا يهرب إلى المدينة".

وبعد أن قال ذلك، انبطح الاثنان أرضًا، بعيدًا
عن الطريق، وفى غفلة تامة مر دولون بهما مسرعًا. ٣٥٠
وعندما ابتعد عنهما بمقدار المسافة التى تقطعها البغال
بمحراث مزدوج فى تربة سهلة.
- والمعروف أن البغال تتفوق على الثيران فى سرعة الحرث -
عندئذ اندفع الاثنان فى مواجهته، وتوقف دولون فور
سماع صوتيهما، وقلبه ينبض بأمل أن يكونا رفيقين قادمين ٣٥٥
من عند الطرواديين كى يعودا به، حسب أوامر هيكتور.
وعندما أصبح على بعد رمية رمح أو أقل منها
عرف أنهما من الأعداء، فلاذت قدماه السريعتان
بالفرار، وبدأ الاثنان مطاردته فى الحال.
ومثلما يطارد كلبان خبيران بفنون الصيد والقنص ولهما أسنان حادة ٣٦٠
غزالاً صغيرًا أو أرنبًا بريًا ويجريان وراءه بدون توقف

وسط الأشجار الكثيفة، وهو يجرى أمامهما صارخًا فى هلع،
هكذا قام ابن تيديوس و أوديسيوس مدمر المدن،
بإبعاده عن أهله، وتعقباه دون توقف.
وعندما كان على وشك الجرى وسط الحراس ٣٦٥
والهرب فى اتجاه السفن، وملأت الربة أثينة
نفس ديوميديس بالشجاعة مرة أخرى، وخشى أن يتفاخر أحد
الآخيين لابسى البرونز أنه كان الأول وأن ديوميديس كان الثانى
فهاجمه ديوميديس برمحه قائلاً:
"قف وإلا أصابك رمحى، إننى أحذرك بأنك لن تفلت ٣٧٠
من الموت المؤلم على يدى لفترة طويلة".
هكذا قال، ثم قذف رمحه وتعمد ألا يصيبه
فمر طرف الرمح اللامع من فوق كتفه اليسرى
ثم انغرس فى الأرض. فتوقف دولون مرتبكًا
وكانت أسنانه تصطك ببعضها البعض من الخوف ٣٧٥
وشحب لونه من الرعب، وعندما وصلا إليه وهما يلهثان
أمسكاه من كلتا يديه، فقال وهو يذرف الدمع:
"أبقيا على حياتى وسوف أدفع فديتى، ففى بيتى
الكثير من البرونز والذهب وكذلك الحديد المصنوع بفن ومهارة.
إن أبى سوف يقدم لكما عن طيب خاطر فدية هائلة ٣٨٠
إذا عرف أنى مازلت حيًا فى سفن الآخيين".
عندئذ أجابه أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"لا تخف ولا تجعل فكرة الموت تسيطر عليك،
والآن لتصدقنى القول ولتحكى لى بالتفصيل
لماذا أتيت بمفردك من معسكركم إلى سفننا ٣٨٥

أثناء الليل المظلم، بينما جميع الأحياء نيام؟.
أجئت لتجرد الجثث من أسلحتها ؟
أم أرسلك هيكتور لتتجسس على ما يجرى،
فى السفن الضخمة ؟ أم جئت من تلقاء نفسك؟"

عندئذ أجابه دولون، وأطرافه ترتعد من الخوف قائلاً: ٣٩٠

"لقد قادنى هيكتور لأخطاء كثيرة
عندما وعدنى أن يعطينى خيول ابن بيليوس
الأشهر الأصيلة، وعربته المزينة بالبرونز
وأمرنى أن أذهب بسرعة فى ظلمة الليل
إلى معسكر الأعداء، ربما أعرف ٣٩٥
ما إذا كانت هناك حراسة على السفن السريعة، كما كانت من قبل
أم أنكم، بعد أن هزمتم على أيدينا، تتشاورون
فيما بينكم بشأن الهرب، وتركتم السفن
دون حراسة طوال الليل، بعد أن نال منكم التعب الفظيع".

فأجابه أوديسيوس، كثير الحيل، وهو يبتسم بقوله: ٤٠٠

"حقًا، إنها هدايا عظيمة تلك التى كانت روحك تتطلع إليها،
خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها خيول يصعب
على الرجال من البشر أن يتحكموا فيها ويروضوها،
باستثناء أخيليوس، لأنه مولود لأم من غير البشر.
ولكن لتحك لى القصة، ولتلتزم الصدق فى روايتها. ٤٠٥
أين تركت هيكتور، راعى الشعوب،
عندما حضرت إلى هنا؟ وأين يضع سلاحه؟ وأين توجد خيوله؟
كيف يتم تنظيم الحرس؟ وكيف ينام بقية الطرواديين؟
فيما يتناقشون الآن: هل يرغبون فى

البقاء عند السفن، بعيدًا عن المدينة، أم سوف ٤١٠
ينسحبون إلى الداخل، بعد أن قهروا الآخيين؟".
وأجاب دولون بن يوميديس، على أسئلة أوديسيوس بقوله:
"حسنًا، سأخبرك بكل هذه الأمور وسألتزم الصدق تمامًا.
يعقد هيكتور وجميع القادة الآخرين الذين يتشاور معهم
بالفعل اجتماعًا الآن بالقرب من قبر إلوس المقدس، ٤١٥
بعيدًا عن ضوضاء المعركة. أما الحراس الذين تسأل عنهم، أيها البطل،
فلا يوجد أحد منهم لينقذ المعسكر أو ليحرسه. يشعل
الطرواديون الكثير من المشاعل المضيئة، بقدر ما تقضى الحاجة،
لمن يسهر لتولى الحراسة، حيث ينادى كل منهم
على الآخر (ليظل مستيقظًا). أما الحلفاء القادمون من بلاد مختلفة، ٤٢٠
فقد خلدوا للنوم بعد أن اعتمدوا على الطرواديين فى الحراسة،
حيث إن أطفالهم وزوجاتهم (ليسوا معهم بل) يعيشون فى مكان بعيد".
حينئذ سأله أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"ولكن كيف ينامون؟ أينامون مختلطين بالطرواديين
مروضى الخيول أم منفصلين عنهم؟ أخبرنى حتى أعرف". ٤٢٥
فأجابه دولون، بن يوميديس، قائلاً:
"حسنًا، سأخبرك بكل صراحة. ينام الكاريون
فى مواجهه البحر، وكذلك البايونيون ذوو الأقواس المعقوفة،
وأيضا الليليجيون والكاوكونيون ومعهم البلاسجيون أشباه الآلهة.
وفى مواجهة ثيمبرا عسكر الليكيون والميسيون الشجعان والفريجيون ٤٣٠
الذين يحاربون من فوق العربات والمايونيون الفرسان
ولكن لماذا تكثر من السؤال عن هذه الأشياء ؟
فإذا كنتما ترغبان حقًا فى دخول معسكر الطرواديين ،

فإن الطراقيين يعسكرون فى مؤخرة خطوط الطرواديين حيث وصلوا
لتوهم وهم الأقرب لكم ومعهم ملكهم ريسوس، بن إيونيوس، ٤٣٥
ومعه خيوله، وهى أجمل الخيول التى رأيتها على الإطلاق وأكبرها
حجمًا، وهى أكثر بياضًا من الجليد وتشبه الريح فى سرعتها.
وقد زينت عربته بالذهب والفضة، كما أحضر معه سلاحه الضخم
المصنوع من الذهب، أعجوبة للناظرين.
إن من يستطيع حمل هذا السلاح لا يعد من البشر بأى حال ٤٤٠
من الأحوال، ولكنه يعد من الآلهة الخالدين. فلتأخذانى الآن إلى
السفن السريعة، أو لتتركانى هاهنا بعد أن تقيدانى بقيد رقيق.
ولتذهبا أنتما فى طريقكما لتحاولا التحقق
ما إذا كنت قد أخبرتكما بالحقيقة أم لا". ٤٤٥

فرماه ديوميديس الشجاع بنظرة قاسية وقال له:
"لا تفكر الآن فى الهرب يا دولون
بعد أن وقعت فى أيدينا، فرغم الأشياء الجيدة التى قلتها،
فإننا إذا أطلقنا سراحك الآن، أو منحناك حريتك مقابل الفدية،
فقد تأتى فيما بعد إلى سفن الآخيين السريعة ٤٥٠
لتتجسس علينا أو لتحارب ضدنا. ولكن إذا خضعت لأيدينا
وأزهقنا روحك فلن تكون مصدر متاعب للأرجيين أبدًا".

فأمسك دولون لحيته الكثيفة وهو يتضرع إليه،
ولكن ديوميديس وثب عليه، وفى الحال ضرب عنقه بسيفه ٤٥٥
ضربة قطعت شرايينه، وتمرغت رأسه فى التراب بينما كان.
لا يزال يهذى عندئذ خلعا عنه غطاء رأسه وهو من
فرو الدلق الرمادى، وأخذا رمحه الطويل وقوسه المعقوف
وجلد الذئب وقدما ذلك كله قربانًا لأثينة، مانحة الغنائم فقد رفع ٤٦٠

أوديسيوس، شبيه الآلهة هذه الأسلاب عاليًا بين يديه وقال متضرعًا:

"فلتسعدى أيتها الربة بهذه الأشياء، فإننا نطلب عونك

أنت من بين جميع الآلهة التى تسكن الأوليمبوس.

فلتقودينا إلى حيث توجد خيام الطراقيين وخيولهم".

٤٦٥ هكذا قال، ثم رفع الغنائم عاليًا وعلقها فى

شجرة الطرفاء، ووضع عليها علامة واضحة

وجمع فوقها أعواد الشجرة المزهرة وسيقانها

حتى لا يفقد مكانها، عندما يعود فى ظلمة الليل.

ومضى الاثنان يخوضان وسط الأسلحة والدم الأسود،

٤٧٠ حتى وصلا بسرعة فى النهاية إلى حيث يعسكر الطراقيون.

وكانوا يرقدون على الأرض نيامًا بعد أن أنهكهم التعب، وقد وضعوا

أسلحتهم الجميلة بجوارهم، إذ صفوها على هيئة ثلاثة صفوف

فى نظام كامل، وكان يقف بجوار كل منهم زوج من الجياد.

وقد نام ربسوس فى وسط الطراقيين وبجواره خيوله السريعة

٤٧٥ التى كانت مربوطة بإحكام فى مقدمة عربته بسيور جلدية.

وكان أوديسيوس قد رآه أولاً، فأشار إلى ديوميديس عليه قائلاً:

"ها هو ذا يا ديوميديس، وهذه هى خيوله

التى وصفها لنا دولون، الذى قتلناه منذ لحظات.

ولكن هيا بنا، ولتتحل بكل قوتك،فلا يليق بك

٤٨٠ أن تقف عاطلاً وأنت كامل السلاح، ولتطلق سراح الخيول.

أو لتقتل أنت الرجال بينما أتولى أنا أمر الخيول"

هكذا قال، وملأت أثينة، زرقاء العينين، نفسه بالشجاعة

فصار يقتل الأعداء عن يمينه وشماله، وارتفع أنين مؤلم

من الرجال الذين أصابتهم السيوف. واصطبغت الأرض بالدماء

الحمراء. ومثل أسد يهاجم قطيعًا من الغنم أو الماعز ٤٨٥
ليس له راع، ويقفز عليه بغتةً وغيلةً ،
هكذا هاجم ابن تيديوس الطراقيين،
حتى قتل منهم اثنى عشر رجلاً، ولكن
أوديسيوس، كثير الحيل، كلما كان ابن تيديوس يضرب بالسيف عنق
رجل، يقترب منه أوديسيوس ويمسك الجثث من أقدامها ويجرها، ٤٩٠
لأنه كان يخطط أن تمر من بينها الخيول،
جميلة العرف، بسهولة، وحتى لا تصاب بالفزع
إذا ما داست فوق الجثث، فهى غير معتادة على الجثث .
وأخيرًا، وصل ديوميديس، إلى الملك (ريسوس)
وكان الضحية الثالثة عشر، فسلبه الحياة ٤٩٥
وأخذ الملك نفسه الأخير بصعوبة. وفى تلك الليلة
كان ابن أوينبوس (ريسوس) يعانى من حلم فظيع أرسلته له أثينة.
وأثناء ذلك، كان أوديسيوس الشجاع قد أطلق سراح الخيول الأصيلة
وربطها معًا بسيور من الجلد، وقادها بعيدًا عن المعسكر ٥٠٠
وهو يضربها بقوسه، فقد نسى
أن يأخذ سوطه اللامع من العربة المزركشة.
ثم أطلق صفارة خافتة لكى ينبه ديوميديس الإلهى ،
الذى كان يقف وهو يفكر فى حيرة أيهما أكثر شجاعة:
أن يمسك العربة التى تحمل الأسلحة المطعمة بالنحاس ٥٠٥
ويسحبها من القضيب ويرفعها ويحملها عاليًا،
أو أن يحصد المزيد من أرواح الطراقيين.
وبينما هو يقلب هذه الأفكار فى ذهنه، ظهرت الإلهة أثينة
ووقفت بالقرب من ديوميديس الإلهى وخاطبته قائلة:
"يا ابن تيديوس عظيم الشجاعة، فكر فى العودة ٥١٠

إلى السفن السريعة، فربما يوقظ أحد الآلهة الآخرين
حشود الطرواديين قبل أن تتمكن من الهرب".

هكذا قالت، وعندما عرف من هى التى تتحدث معه من صوتها
قفز بسرعة إلى العربة، بينما واصل أوديسيوس
ضرب الخيول بقوسه حتى وصلا إلى سفن الآخيين السريعة. ٥١٥
ولم يكن أبوللون، ذو القوس الفضى، غافلاً عن
مراقبة ما يجرى، وعندما رأى أثينة تحث بن تيديوس وتشجعه
حنق عليها، ودخل وسط الطرواديين
وأيقظ أحد قادة الطراقيين، هيبوكوؤن
ابن عم ريسوس نبيل المولد، فهب من نومه فجأة ٥٢٠
وعندما رأى المكان الذى كانت تقف فيه الخيول السريعة خاليًا
ورأى الرجال مازالوا يصارعون ألام الموت الرهيبة
راح يئن وهو يصرخ باسم صديقه الحبيب.
وما هى إلا لحظات حتى ارتفعت صرخات الطرواديين الرهيبة عاليًا.
وفى الحال اندفعوا جميعًا، وجحظت عيونهم عندما رأوا الأفعال ٥٢٥
العديدة البشعة التى قام بها أولئك الذين عادوا إلى السفن السريعة.
وعندما وصل أوديسيوس وديوميديس إلى المكان الذى قتلا فيه جاسوس
هيكتور قام أوديسيوس، حبيب زيوس، بإيقاف الخيول السريعة
وقفز ابن تيديوس إلى الأرض، وبعد أن وضع بين يدى أوديسيوس
تلك الأسلاب المخضبة بالدم، اعتلى ظهر خيوله مرة أخرى ٥٣٠
بعد أن دفعها بلمسات من سوطه، وذهبا فى طريقهما
للسفن المجوفة، ونفوسهما تتلهف للوصول إليها.
وكان نيستور أول من سمع جلجلة العربة، فصاح قائلاً:
"أصدقائى، يا زعماء الأرجيين وقادتهم

أوهم هذا أم صدق؟ إن الفرحة تملأ روحي

إننى أسمع الآن وقع حوافر خيول سريعة. ٥٣٥

أيقود أوديسيوس، ومعه ديوميديس الشجاع،

الآن بعض خيول الطرواديين الأصيلة؟

فرغم أنهما أشجع قادة الأرجيين، فإننى أخشى من كل

قلبى أن يكون قد أصابهما مكروه فى معركتهم مع الطرواديين". ٥٤٠

ولم يكن قد أتم قوله عندما وصل البطلان

فترجلا بسرعة عن الخيول، ووقفا على الأرض وسط فرحة

الآخيين الذين قابلوهما بترحاب عظيم وبكلمات رقيقة،

وكان نيستور، الفارس الجيرينى، أول من سألهما قائلاً:

"أوديسيوس، يامن يمدحك الجميع، يا فخر الآخيين ٥٤٥

لتقل لى كيف استوليتما على هذه الخيول بعد دخولكما

معسكر الطرواديين، أم منحها لكما أحد الآلهة عندما تضرعتما إليه.

إن هذه الخيول تشبه أشعة الشمس تمامًا.

لقد اشتبكت مع الطرواديين فى حروب كثيرة، ونظرًا لأننى

محارب قديم، فقد ذهبت إلى مناطق كثيرة بعيدة عن السفن،

ولكننى، مع ذلك، لم أر مثل هذه الخيول، ولم أتخيل مجرد وجودها. ٥٥٠

لذلك فإننى أعتقد أن أحد الآلهة قد منحها لكما عندما تضرعتما إليه

فإن زيوس، جامع السحب، يحبكما معًا

وكذلك زرقاء العينين، أثينة حاملة الدرع أيجيس، وابنة زيوس".

فرد عليه أوديسيوس، كثير الحيل، بقوله:

"نيستور، يابن نيليوس، يا فخر الآخيين العظيم ٥٥٥

إذا شاء إله من الآلهة فسوف يقدم بسهولة خيولاً أفضل

من هذه الخيول، فالآلهة أكثر قدرة من البشر.

وهذه الخيول، التى وصلت توًا و تسأل عنها، أيها الشيخ الأشيب،
خيول طراقية. لقد قتل ديوميديس الشجاع الملك الذى كان يملكها،
كما قتل اثنى عشر قائدًا من خيرة رفاقه. ٥٦٠
وقتل الثالث عشر، وكان جاسوسًا، بعد أن أمسكنا به بالقرب من السفن،
لقد أرسله هيكتور وبقية القادة
الطرواديين لكى يتجسس على جيشنا".

بعد أن قال ذلك، قفز بخيوله الأصيلة فوق الخندق
وهو يضحك بصوت عال، وعمت الفرحة بقية الآخيين. ٥٦٥
وعندما وصلوا إلى خيمة ابن تيديوس
هنالك ربطوا الخيول بأربطة قوية
فى مقدمة العربة، حيث كانت تقف خيول
ديوميديس السريعة تأكل طعامها من الحبوب المعسولة.
ووضع أوديسيوس أسلحة دولون الملطخة ٥٧٠
بالدماء فى مؤخرة سفينته حتى يقدمها قربانًا للربة أثينة.
وذهب أوديسيوس وديوميديس إلى البحر
ليزيلا العرق الغزير عن جسدهما بماء البحر،
وغسلا أرجلهما وأعناقهما وأكتافهما، فانتعشت روحاهما بعد
أن غسل موج البحر العرق الغزير الذى علق بجلدهما ٥٧٥
ثم ذهبا بعد ذلك إلى أحواض الاستحمام متينة البناء ليستحما.
وبعد أن استحما، مسحا جسديهما بالزيت،
وجلسا إلى مائدة العشاء، وسكبا القرابين
للربة أثينة من إبريق مملوء بالنبيذ اللذيذ. ٥٧٩

الكتاب الحادى عشر



ترجمة منيرة كروان

استيقظت ربة الفجر لتحمل الضياء للآلهة والبشر،
ونهضت من مخدعها بجوار تيثونوس(*) النبيل.
وأرسل زيوس إريس الشريرة إلى سفن الآخيين.
السريعة، وكانت ترفع شارة الحرب بيدها.
ووقفت على سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة، ٥
وقفت فى منتصفها تماما، حتى يصل ما تعلنه إلى كلا الناحيتين،
إلى حيث توجد خيام أياس التيلامونى،
وإلى حيث توجد خيام أخيليوس، فقد سحبوا سفنهم
إلى أبعد مسافة ممكنة معتمدين على شجاعتهم وقوة أيديهم.
وعندما وقفت الربة هناك صاحت بأعلى ١٠
صوتها، ووضعت فى قلب كل واحد من
الآخيين رغبة عارمة للحرب وللقتال الدائم.
وفى الحال شعروا أن الحرب أكثر بهجة من أن يبحروا
إلى أرض الوطن الحبيبة فى سفنهم المجوفة.
وصاح بن أتريوس عاليًا وأمر الأرجيين ١٥
أن يستعدوا للحرب. ثم لبس سلاحه البرونزى اللامع.
ففى البداية وضع درع الساق حول ساقيه
الجميلتين، وثبته بأربطة من الفضة.
وبعد ذلك وضع حول صدره درع الصدر،
الذى أعطاه له ذات مرة كينيراس، عندما نزل ضيفًا عليه. ٢٠
فعندما وصلت إلى قبرص أنباء بأن الآخيين
يستعدون للإبحار بسفنهم إلى مدينة طروادة،

(*) تيثونوس Tithonos: شقيق الملك برياموس، وزوج إيوس (ربة الفجر)، ووالد ممنون. تقول الأساطير إن ربة الفجر طلبت من زيوس أن يمنح زوجها الخلود ولكنها نسيت أن تطلب منه أن يمنحه أيضاً الشباب الدائم. ولذلك أصبح يضرب به المثل على متاعب الشيخوخة والهرم.

أعطى كينيراس الدرع للملك حتى يسعد باستخدامه.
وكان الدرع مصنوعًا من عشر طبقات من الفولاذ الداكن،
واثنتى عشر طبقة من الذهب، وعشرين طبقة من القصدير. ٢٥
وعلى كل جانب كانت تزينه ثلاثة أشكال فولاذية ثعبانية
تتلوى صوب العنق تشبه قوس قزح الذى يرسله
ابن كرونوس من بين السحب العالية نذيرًا للبشر الفانين .
ثم وضع سيفه حول كتفيه، وكانت به مسامير
من الذهب البراق، بينما كان غمده ٣٠
فضيًا، وكانت الأربطة التى يثبت بها ذهبية.
وأمسك درعه المزخرف الذى يستخدم فى الدفاع والهجوم،
وكان درعًا جميل المنظر، تحيط به عشر دوائر من البرونز،
وكان به عشرون نتوءًا بيضاء اللون
مصنوعة من القصدير، أما النتوء الموجود فى الوسط فكان من ٣٥
الفولاذ الأسود، وقد نقش عليه رسم لجورجونة قاسية النظرة
بشعة الهيئة، يحيط بها كل من"الذعر"و"الخوف"
ويتدلى منه حزام فضى، يلتف حوله
تنين من الفولاذ له ثلاثة رءوس
تدور فى جميع الاتجاهات، ولكنها تخرج جميعا من عنق واحد. ٤٠
ووضع على رأسه غطاء من الجلد به شارتان وأربع
خصلات من شعر الجياد، ويحيط به العرف ويميل عليه بشكل مهيب
وأمسك رمحين قويين، مطليين جيدًا بالبرونز وحادين.
و انبعث من هذين الرمحين البرونزيين بريق
هائل وصل إلى عنان السماء، فأصدرت أثينة وهيرا صوتا عاليًا ٤٥
لتحية ملك موكيناى الغنية بالذهب.
ثم أمر كل قائد سائق عربته

أن يقود الخيول بمهارة، حتى لا تتراجع عند الخندق.
واندفع الجنود المشاة بسرعة
مدججين بالأسلحة. وارتفعت صيحة مدوية قبيل الفجر. ٥٠
وتقدم المشاة حتى وصلوا إلى الخندق، متراصين فى صفوف منظمة،
ثم تبعهم الفرسان بعد قليل.
وأثار ابن كرونوس جلبة شديدة بينهم، عندما أسقط عليهم
من السماء قطرات مطر ممزوجة بالدماء، دليلاً علي
أنه ينوى إرسال العديد من الأبطال الأقوياء إلى هاديس. ٥٥
وعلى الجانب الآخر، كان الطرواديون يقفون على التل المرتفع
ملتفين حول هيكتور العظيم وبوليداماس النبيل
ومعهم آينياس الذى يبجله الشعب الطروادى كما لو كان إلهًا.
وكان معهم ثلاثة من ابناء أنتينور، الأول بوليبوس والثانى أجينور
الإلهى والثالث أكاماس الابن (الصغير) شبيه الآلهة. ٦٠
وكان هيكتور يقف فى المقدمة حاملاً درعه المستدير،
وكما يسطع نجم الكوارث ويتلألأ من بين
السحب، ثم يختفى وسط السحب غير واضحة المعالم.
هكذا كان هيكتور يظهر فى لحظة فى (وسط) الصفوف الأولى،
وفى اللحظة التالية يصدر أوامره وهو فى الصفوف الخلفية، وكان ٦٥
درعه البرونزى يتلألأ مثل البرق، الذى يرسله أبو الآلهة زيوس،
لابس الدرع أيجيس. ومثلما يحصد الفلاحون القمح أو الشعير
فى حقل مالك ثرى، ويقفون فى صفوف، كل منهم
فى مواجهة الآخر، وتتساقط حزم المحصول أمامهم بغزارة،
هكذا هاجم الطرواديون والآخيون كل منهما الآخر ٧٠
وتبادلوا القتل، ولم يفكر أى منهم فى الهزيمة الأليمة.
وسيطر الحماس للقتال على رءوسهم بنفس القدر، فاندفعوا

مثل الذئاب. ونظرت إريس، مسببة الأحزان، وهى سعيدة.
فقد كانت لها السيادة من بين جميع الآلهة الذين شاركوا فى المعركة
فإن أحدًا من الآلهة الآخرين لم يكن حاضرًا، ولكنهم ٧٥
جلسوا جميعًا فى قصورهم فى راحة تامة، حيث جهز كل منهم
مسكنه الجميل، المشيد على جنبات الأوليمبوس.
وكانوا جميعًا يلومون ابن كرونوس، المتدثر بالسحب،
لأنه قد عقد العزم على منح المجد للطرواديين.
ولكن الإله الأب لم يعرهم اهتمامًا. فقد جلس ٨٠
بعيدًا عن الآخرين، متألقًا فى عليائه،
وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وإلى سفن الآخيين
وإلى بريق السلاح وإلى القتل والقتلى.
والآن، ومع انبلاج الفجر (الصبح) وتقدم النهار
اندفعت السهام من كلا الجانبين وسقط البشر. ٨٥
وعندما حل الوقت الذى يقوم فيه الحطاب الذى يعيش فوق الجبل
بإعداد عشاءه، بعد أن تتعب يداه من تقطيع
الأشجار العالية ويعود، قرير العين،
لكى يشبع رغبته فى الطعام والحلوى،
شق الدانائيون صفوف الأعداء بشجاعتهم ٩٠
وهم يحثون رفاقهم من صف لآخر. وكان أجاممنون
أول المهاجمين، فقام بقتل البطل بينور، حامى الشعوب،
ثم قتل رفيقه أويليوس الذى كان يقود العربة.
فعندما قفز من عربته كى يواجه خصمه،
اندفع إليه أجاممنون بحماس، وجعل رمحه الحاد ينفذ داخل ٩٥
جبينه، ولم تنجح خوذته البرونزية الثقيلة فى صد الرمح
ولكنه نفذ من خلالها إلى عظامه، وبعثر

مخه كله داخل الخوذة، فسقط قتيلا رغم شجاعته الفائقة.
وترك أجاممنون، ملك الرجال، الجثث مبعثرة هناك،
عارية الصدر مكشوفة، بعد أن نزع عنهم ملابسهم. ١٠٠
ثم أسرع كى يستولى على أسلحة إيسوس وانتيفوس
ولدىّ برياموس، الشرعى وغير الشرعى، واللذان جاءا
معًا فى عربة واحدة. وكان الابن الشرعى يقود العربة
بينما أنتيفوس الشهير يقف بجانبه. وذات مرة
شد أخيليوس وثاقهما بأغصان الصفصاف اللينة على ظهر جبل إيدا ١٠٥
حيث كانا يرعيان الأغنام، ولكنه أطلق سراحهما بعد أن حصل
على فدية. لقد صوب أجاممنون بن أتريوس واسع الملك
رمحه إلى صدر إيسوس فأصابه فوق ثديه تمامًا وأصاب أنتيفوس
بالقرب من أذنه بطعنة سيفه، ثم أطاح به من فوق العربة،
وبحركة سريعة جردهما من أسلحتهما الرائعة ١١٠
فقد كان يعرفها جيدًا، فقد سبق ورآها من قبل عند السفن
السريعة عندما أحضرهما أخيليوس، سريع القدمين من إيدا.
وكما يهاجم أسد ما بسهولة صغار غزالة سريعة
ويقبض عليهم بأسنانه القوية ويعود بهم إلى عرينه فيزهق أرواحهم
البريئة، ورغم وجود الأم على مقربة منهم فإنها لا تستطيع ١١٥
إنقاذهم لأن الخوف القاتل يتملكها،
فتنطلق بسرعة خلال الغابة والأحراش الكثيفة
وتسرع بالفرار وهى خائفة من هجوم الوحش القوى.
هكذا، لم يستطع أحد الطرواديين أن ينقذ ١٢٠
هؤلاء من الموت، لأنهم كانوا خائفين من الأرجيين.
ثم هاجم أجاممنون بيساندروس و هيبولوخوس الشجاع
ولدىّ أنتيماخوس الحكيم، والذى كان أشد المعارضين

لإعادة هيلينى إلى زوجها مينيلاؤس، ذهبى الشعر،
متوقعا أن يقدم له ألكسندروس ذهبًا كثيرًا وهدايا رائعة. ١٢٥
والآن يهاجم الملك أجاممنون ولديه الاثنين،
وكانا معًا فى عربة واحدة تجرها الخيول السريعة.
وعندما أفلت اللجام المصقول من أيديهما
أصيبا بالذعر والهلع. عندئذ اندفع ابن أتريوس
كالأسد لمواجهتهما، فنزلا من العربة وتضرعا إليه: ١٣٠

"يا ابن أتريوس، لتأخذنا أسرى حتى تحصل على
فدية عظيمة، إذ توجد كنوز ضخمة فى منزل أنتيماخوس،
سواء من البرونز أو الذهب أو الحديد المصقول بمهارة.
فإذا أبقيت علينا أحياء فى سفن الآخيين،
فسوف يقدم لك والدنا فدية لا حصر لها ولا عدد". ١٣٥

بهذه الكلمات الرقيقة خاطبا الملك
وهما يذرفان الدمع، ولكنهما سمعا ردًا قاسيا:

"إذا كنتما حقا ولدىّ أنتيماخوس الحكيم،
الذى أمر ذات مرة فى مجلس الطرواديين بقتل مينيلاؤس،
عندما ذهب كرسول مع أوديسيوس شبيه الآلهة، ١٤٠
حتى لا يعود مرة أخرى إلى رفاقه الآخيين،
فسوف تدفعان الآن ثمن حماقة والدكما المشينة".

هكذا قال، ثم دفع بيساندروس من فوق العربة وطرحه أرضًا
ثم غرس السيف فى صدره، فرقد على ظهره بلا حراك.
وعندما قفز هيبولوخوس، طرحه أرضًا وجرده من أسلحته، ١٤٥
وقطع يديه بسيفه البتار، ثم فصل رأسه عن جسده
وأسرع يدحرجه وسط الجموع الغفيرة وكأنه صخرة،

ثم تركه حيث هو، واندفع إلى حيث تقاتل غالبية الجنود.
وانطلق ومعه باقى الآخيين، الذين كانوا يحمون أنفسهم جيدًا بدروع
الساق، إلى حيث كان المشاة يقاتلون المشاة ويرغمونهم على الهرب. ١٥٠
كما كان الفرسان يقاتلون الفرسان. وارتفع الغبار عاليًا
فى الوادى، فقد أثارته حوافر الخيول التى تحدث دويًا هائلاً
أثناء القتال بالأسلحة البرونزية. وكان الملك أجاممنون
يحارب وهو يصدر أوامره للأرجيين
وكما كانت النيران المدمرة تهب على أشجار الغابة المتشابكة، ١٥٥
فتحملها الرياح إلى جميع الأنحاء، فتسقط
أشجار الغابة من جذورها بسبب شدة النيران
هكذا كانت رءوس الطرواديين تتساقط أمام
أجاممنون بن أتريوس أثناء هروبهم. وكانت الخيول، طويلة العنق،
تصدر صهيلاً مدويًا وهى تجر العربات الفارغة على خطوط القتال، ١٦٠
لقد خلت من فرسانها النبلاء بعد أن سقطوا قتلى
على الأرض، فأحبتهم الطيور الجارحة أكثر مما كانت زوجاتهم تحبهم.
وسحب زيوس هيكتور بعيدًا عن السهام والغبار
والقتل والدماء وضوضاء المعركة.
وكان بن أتريوس يصدر الأوامر للدانائيين وهو غاضب ١٦٥
خلف قبر إيلوس بن داردانوس، القديم
فى وسط الوادى، بينما كان البعض يندفعون خلف شجرة التين الضخمة،
مشتاقين للعودة للمدينة، بينما كان ابن أتريوس يواصل
الصياح وقد تخضبت يده التى لا تقاوم بدماء ضحاياه،
وعندما وصل الطرواديون إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط ١٧٠
توقفوا عندها وانتظر أحدهم الآخر.
وكان بعضهم يقف فى منتصف الوادى، وهم يرتعدون من الخوف

كقطيع من الثيران يتوجس خيفة من قدوم أسد فى ظلمة الليل،
ولكن جمعهم يتفرق عندما يكتشف أن كارثة خطيرة قد أصابت بالفعل
أحدهم. فقد أمسك به الأسد بأنيابه القوية من رقبته فكسرها ١٧٥
أولاً، ثم قام بعد ذلك بالتهام أحشائه ودمه.
هكذا كان الملك أجاممنون، بن أتريوس، يقوم بمطاردتهم
ويقتل من كان فى المؤخرة منهم، فيتملك الخوف الآخرين.
وسقط كثير منهم من فوق الخيول، سواء على وجوههم أو على
ظهورهم ووقعوا فى يد ابن أتريوس. فقد صال وجال بسيفه. ١٨٠
بيد أنه عندما أوشك على الاقتراب من المدينة ومن السور
المنيع، كان زيوس أبو البشر والآلهة
يتخذ مجلسه على قمة إيدا المليء بعيون الماء،
بعد أن نزل بعيدًا عن السماء. وكان يمسك الصاعقة بيديه
فأسرع بإرسال إيريس، ذات الأجنحة الذهبية، برسالة قائلا: ١٨٥

"إيريس، أيتها السريعة، هيا بسرعة واعلنى هذه الكلمة لهيكتور:
طالما يرى أجاممنون، راعى الشعوب،
يحارب فى مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً فى صفوف المحاربين،
ليكف هو عن القتال، وليأمر الآخرين بقتال الأعداء قتالاً عنيفًا. ١٩٠
ولكن عندما يصيب أجاممنون رمح أو يجرحه سهم،
فليسرع نحو خيوله، وسوف أضع فى يديه قوة
تمكنه من القتال حتى يصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتى الليل المقدس".

هكذا قال، ولم تعص إيريس، سريعة القدمين، ١٩٥
أمره بل أسرعت من إيدا إلى إليون المقدسة،
حيث وجدت هيكتور المبجل شبيه الآلهة، بن برياموس الحكيم،

واقفًا وسط خيوله وعربته المتينة.
ووقفت إيريس، سريعة القدمين، على مقربة منه وخاطبته قائلة:
"هيكتور يا بن برياموس، يامن تماثل زيوس فى الحكمة، ٢٠٠
لقد أرسلنى زيوس الأب كى أبلغك الرسالة التالية:
طالما ترى أجاممنون، راعى الشعوب،
يحارب فى مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً فى صفوف المحاربين
فلتكف أنت عن القتال، ولتأمر الآخرين
بقتال الأعداء قتالاً عنيفًا. ٢٠٥
ولكن عندما يصيبه رمح أو يجرحه سهم
فلتسرع نحو خيولك وسوف يضع زيوس فى يديك قوة
تمكنك من القتال حتى تصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتى الليل المقدس".
هكذا قالت إيريس، سريعة القدمين، ثم رحلت، ٢١٠
وقفز هيكتور من فوق عربته إلى الأرض ومعه سلاحه
وسار وهو يلوح بسيفه البتار ليحث المحاربين
فى كل مكان على القتال، فأشعل فيهم شهوة القتال المخيفة
فنظموا صفوفهم ووقفوا فى مواجهة الآخيين. وعلى الجانب الآخر،
دعم الأرجيون صفوفهم، وبعد أن استعدوا للمعركة، ٢١٥
وقفوا فى مواجهة العدو. وكان أجاممنون أول من بدأ الهجوم،
فقد كان يرغب، أكثر من الجميع، فى القتال فى المقدمة.
والآن، يا ربات الفنون (الموساى) يامن تسكن
الأوليمبوس لتخبرنى من الذى جاء أولاً لمواجهة أجاممنون،
هل كان واحدًا من الطرواديين أنفسهم أم من حلفائهم المشهورين. ٢٢٠
لقد كان القوى الشجاع إفيداماس بن أنتينور

الذى نشأ فى طراقيا أم قطعان الماشية.
إذ تولى كيسيس تربيته فى قصره طفلاً صغيرًا.
وكان كيسيس جده لأمه ووالد ثيانو جميلة الخدين،
وعندما بلغ إفيداماس مبلغ الرجال وأصبح شابًا يافعًا ٢٢٥
أراد كيسيس أن يمنعه من العودة لوطنه، فمنحه ابنته
زوجة له، ولكن عندما قدم ابناء الآخيين غادر غرفة نومه
وتبعته اثنتا عشر سفينة ذات مقدمة معقوفة،
وهى السفن التى تركها بعد ذلك فى بركوتى
فقد جاء إلى مدينة إليون سيرا على الأقدام. ٢٣٠
وهو المحارب الذى يواجه أجاممنون بن أتريوس الآن.
وعندما وقف أحدهما فى مواجهة الآخر
أخطأ ابن أتريوس الرمية ومرق الرمح بالقرب من خصمه،
فأصاب إفيداماس فى أسفل درعه، الذى كان قد ثبته جيدًا
بيديه القويتين، ولكنه لم يصل إلى حزامه المزخرف، ٢٣٥
فقبل أن يصل إلى الجزء المصنوع من الفضة، انثنى كما لو كان
مصنوعًا من الرصاص. فأمسك أجاممنون، واسع الملك، خصمه بيده.
وسحبه بقوة تجاهه بغضب شديد، ورفعه، كالأسد،
بين يديه بعنف وضرب عنقه بالسيف فأرداه قتيلا. ٢٤٠
هكذا سقط، حيث نام نومًا أبديًا (حديديًا). ياله من مسكين،
فقد كان عونًا لأبناء وطنه، ولعروسه التى زف إليها
ولكنه لم يعرف المتعة معها، رغم أنه قدم لها هدايا كثيرة.
فقد قدم فى البداية مائة ثور، ثم وعد بعد ذلك بتقديم ألف
رأس من الأغنام والماعز، فهو يرعى أعدادًا غفيرة منها، ٢٤٥
واستولى أجاممنون بن أتريوس على عتاد خصمه
وحمل أسلحته الرائعة وذهب إلى حشود الآخيين.

وعندما رآه كوؤن، أكثر الرجال شهرة
وأكبر أبناء أنتينور، اكتست عيناه بحزن شديد لمقتل شقيقه. ٢٥٠
فوقف جانبًا بحيث لم يلحظه أجاممنون الإلهى،
وقذفه برمح فى منتصف ذراعه، أسفل الكوع
فنفذت رأس الرمح اللامعة إلى مقدمة ذراعه
فانتفض أجاممنون، ملك الرجال، ولكنه
رغم ذلك، لم ينسحب من المعركة ولا من القتال ٢٥٥
بل اندفع بعنف تجاه كوؤن حاملاً رمحه الصلب المتين.
وكان كوؤن يجر إفيداماس، شقيقه من الأب نفسه،
من قدميه بسرعة وهو ينادى على جميع الأبطال بصوت مرتفع.
وبينما كان يسحبه وسط الزحام والصخب، محتميًا بدرعه
ذى الحلى المعدنية أصابه سهم برونزى أطلقه أجاممنون، ٢٦٠
فأرداه قتيلاً، وحيث كان يرقد إفيداماس، قطعت رأس شقيقه،
وفى المكان نفسه نال ولدا أنتينور كفايتهما من الموت (القدر)
على يد الملك أجاممنون، ودخلا معًا مقر هاديس.
وواصل أجاممنون صولاته وجولاته بين صفوف المحاربين
ممسكًا رمحه أو سيفه أو مستخدمًا الأحجار الضخمة. ٢٦٥
وأثناء ذلك كله كان الدم الدافىء يسيل من جرحه،
ولكن عندما جف الجرح وتوقف الدم،
شعر ابن أتريوس بشدة آلامه وشعر بالوهن.
لقد كان ألما حادًا، مثل الذى يصيب المرأة أثناء الولادة
ذلك الألم القاتل الذى ترسله الإيليثويات اللائى يساعدن النساء أثناء ٢٧٠
المخاض، بنات هيرا اللائى يتحكمن فى آلام الولادة الموجعة.
وبعد أن نال الألم الشديد من قوة ابن أتريوس قفز إلى العربة
وأمر سائقه أن يسرع به إلى السفن المجوفة. فقد كان

قلبه حزينًا. وأطلق صيحة مدوية وخاطب الدانائيين قائلا: ٢٧٥

"أصدقائى، يا قادة الأرجيين وحكامهم،
يجب عليكم الآن أن تبعدوا صخب المعركة الأليمة
عن سفننا جوابة البحار البعيدة، حيث إن زيوس إله التدبير
لم يسمح لى أن أواصل قتال الطرواديين طوال اليوم".

هكذا قال، ثم ضرب خيوله ذات العرف الجميل بالسوط ٢٨٠
لتذهب به إلى السفن المجوفة، فاندفعت طائعة.
وانطلقت حاملة الملك المنهك بعيدًا عن المعركة
وصدورها مملوءة بالزبد، وهى تنثر الغبار من تحتها.

وعندما رأى هيكتور أجاممنون يذهب بعيدًا
حث الطرواديين والليكيين بصيحة تردد صداها بعيدًا، وقال: ٢٨٥

"أيها الأصدقاء من الطرواديين والليكيين والداردانيين
إنكم أبطال بحق، فلتتذكروا شجاعتكم وإقدامكم،
لقد ذهب أفضل رجالهم، ولقد منحنى زيوس بن كرونوس
مجدًا عظيمًا. فلتقودوا خيولكم الأصيلة ضد
الدانائيين الأقوياء، حتى تنالوا مجدًا عظيمًا أعلى من مجدى". ٢٩٠

هكذا قال، فأثار حديثه شعور كل واحد منهم وعقله،
وكما يقوم أحد الصيادين بإطلاق كلابه
ذات الأسنان البيضاء، أثناء رحلته لاصطياد خنزير برى أو أسد،
هكذا حث هيكتور بن برياموس، شبيه آريس مدمر البشر، ٢٩٥
الطرواديين ذوى العقول الراجحة كى يحاربوا الآخيين.
وانطلق هو، وقلبه ينبض بالشجاعة، إلى الصفوف الأولى
وواصل القتال كالعاصفة المدمرة
التى تقلب البحر رأسًا على عقب، وترفع مياهه البنفسجية.

فمن كان أول القتلى ومن كان آخرهم، ٣٠٠
عندما منح زيوس المجد لهيكتور بن بريamos؟
قتل أولاً أسايوس (أو أساياس) وأوتونوؤس وأوبيتيس
دولوبس بن كليتيوس وأوفيلتيوس، ثم أجيلاؤس
وأيسيمنوس وأوروس، ثم هيبونوؤس الجسور فى الحرب .
قتل هيكتور كل هؤلاء القادة الدانائيين، ثم واصل
التدمير بعد ذلك. ومثلما تهب الرياح الغربية (زيفيروس) العاصفة ٣٠٥
وتدفع سحب الجنوب الصافية أمامها وهى تضربها بهباتها
العنيفة فترتفع أمواج البحر، ويمتلىء بالزبد
الذى يقذفه الموج فتبعثره الرياح هنا وهناك،
هكذا تناثرت رءوس الأعداء الكثيرة التى أسقطها هيكتور،
لقد كان دمارًا عليهم وقام بأعمال لا تقاوم. ٣١٠

وكان الآخيون على وشك الإسراع ليهربوا إلى سفنهم
لولا أن أوديسيوس صاح فى ديوميديس بن تيديوس بقوله:

"ماذا أصابك يا ابن تيديوس، أنسيت شجاعتك وإقدامك؟
تعال هنا، أيها الصديق، وقف بجانبى، فسوف يكون
من العار حقيقة أن يستولى هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، على السفن". ٣١٥

فأجابه ديوميديس القوى بقوله:
"سوف أبقى معك فعلاً وسوف أصمد، ولكن مكسبنا
سوف يكون تافهًا، فمن الواضح أن زيوس، جامع السحب،
يرغب فى منح القوة للطرواديين، وليس لنا".

قال ذلك، ثم طرح ثيمبرايوس أرضا ٣٢٠
وضربه بالرمح فى الجانب الأيسر من صدره، بينما قتل
أوديسيوس موليون، شبيه الآلهة، الذى كان يرافق ذلك الملك.

وبعد أن تركا الجثتين انسحبا من القتال،
وأقبل بقية الأبطال لمواصلة الهجوم. وكما يهجم خنزيران بريان
على مجموعة من كلاب الصيد ويقاتلانها بشراسة وغضب، ٣٢٥
هكذا واصل البطلان هجومهما على الطرواديين، بعد أن التقطا
أنفاسهما. وتنفس الآخيون الصعداء وهم يهربون من هيكتور شبيه
الآلهة. واستولى البطلان على إحدى العربات، وهاجما اثنين من
خيرة الرجال إنهما ولدا ميروبس البركوتى(*) الذى كان يبز الجميع
فى مهارته فى فن العرافة. لقد حاول أن يمنع ولديه ٣٣٠
من الاشتراك فى الحرب، مهلكة الرجال. ولكنه فشل
فى إقناعهما. فقد كانت الأقدار تسوقهما للموت الأسود.
إذ حرمهما ديوميديس بن تيديوس، المشهور برمحه القوى،
من الحياة، واستولى على أسلحتهما ذائعة الصيت.
بينما كانت أسلحة هيبوداموس وهيبيروخوس من نصيب أوديسيوس، ٣٣٥
عندئذ نظر (زيوس) بن كرونوس من فوق جبل إيدا
وجعل كفتى المعركة متساويتين. وأثناء اقتتال الطرفين
ضرب ابن تيديوس البطل أجاستروفوس
بن بايون بالرمح فى فخذه، ولم تكن خيوله
قريبة منه حتى يتمكن من الهرب، وكانت إصابته شديدة. ٣٤٠
لقد كان تابعه يقف بالعربة فى مكان بعيد، بينما كان هو يحارب
وسط الجنود المشاة فى طليعة الجيش. وهكذا فاضت روحه.

وكان هيكتور يراقب الموقف باهتمام من بين صفوف الجنود،
فاندفع وسطهم وهو يطلق صيحة مدوية. وفى الحال تبعته فيالق
الطرواديين. ورأى ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، ٣٤٥

(*) هما أدريستوس Adrestos أى أدراستوس وأمفيوس Amphios. (المحرر)

ذلك فشعر بالرجفة، وبسرعة خاطب أوديسيوس الذى كان
واقفًا على مقربة منه قائلاً:

"إن دائرة الدمار تضيق علينا بسبب شجاعة هيكتور
فهيا بنا نتصدى له ولنصمد، ربما أمكننا أن نصد هجومه".

هكذا قال، ثم جذب رمحه طويل الظل، وقذفه
فأصاب هيكتور ولم يخطئه. فقد صوبه إلى رأسه فرشق الرمح ٣٥٠
البرونزى فى قمة خوذته، فصدته الخوذة البرونزية بعيدًا،
ولم يصل الرمح إلى اللحم الأبيض، فقد كانت مقدمة خوذته
مصنوعة من ثلاث طبقات، وكان أبوللون فويبوس (الوضاء) قد
أعطاها له. وبسرعة قفز هيكتور بعيدًا وذاب وسط الزحام
حيث وقع على ركبتيه، واستند على يديه القويتين ٣٥٥
إلى الأرض، ثم غاب عن الوعى لحظات .
وظل (ديوميديس) ابن تيديوس واقفًا فى مقدمة الجيش
يتابع اندفاع رمحه حتى سقط على الأرض.
وبعد أن استعاد هيكتور وعيه، اندفع إلى عربته مرة أخرى
وانطلق بها وسط الجموع، وهكذا تجنب الموت الأسود. ٣٦٠
ولكن ديوميديس القوى اقترب منه ومعه رمحه وصاح قائلا:

"لقد هربت من الموت مرة ثانية أيها الكلب، لقد اقترب
منك الموت جدا، ولكن أبوللون فويبوس أنقذك مرة أخرى،
فلنرى من الذى سوف تتضرع إليه عندما يأتيك ضجيج رماحى
فعندما ألتقى بك سوف أقتلك، إن عاجلاً أو آجلاً، ٣٦٥
إذا ما ساعدنى أحد الآلهة ووقف بجانبى
أما الآن فسوف أهاجم غيرك إلى أن أجد هذا الإله".

هكذا قال، ثم قتل ابن بايون، المشهور بقوة رمحه،

بينما كان ألكسندروس، زوج هيلينى، ذات الشعر الجميل،
يوجه سهمه تجاه ابن تيديوس، حامى الشعوب، ٣٧٠
وهو متكىء على قبر إيلوس بن داردانوس
الذى أقامه له البشر، لأنه كان أحد الأبطال القدامى.
وكان ديوميديس قد خلع درع أجاسترفوس الشجاع
عن صدره، وخلع درعه المستدير اللامع من كتفيه،
كما خلع خوذته الثقيلة. فسحب ألكسندروس قوسه ٣٧٥
ورماه بسهم لم ينطلق من يده دون طائل
بل أصابه فى مقدمة قدمه اليمنى، ثم انغرس فى الأرض
بعد أن جرح قدمه، فخرج (ألكسندروس) من مكمنه
وضحك ملء شدقيه وقال فى نشوة وسعادة:

"لقد أصبتك، فسهمى لم ينطلق دون طائل، ولكن لو لم أقذفه ٣٨٠
لأسفل لكان قد استقر فى معدتك وأخذ روحك ولكان الطرواديون
قادرين على التنفس بحرية بعيدًا عن المتاعب بدلاً من وقوفهم
الآن يرتعدون أمامك مثل الماعز التى تجهش باكية أمام الأسد".

وأجابه ديوميديس القوى بشجاعة قائلاً:
"يا رامى السهام، أيها الوغد المشهور بقوة رمحه، يا من تغرر ٣٨٥
بالعذارى، لو كنت قد حاولت مواجهتى وجهًا لوجه ومعك سلاحك
ما كان لينفعك رمحك ولا سهامك الثقيلة فى شىء.
ليس هناك ما تتفاخر به لأنك قد خدشت سطح قدمى.
إننى لا أبالى. كما لو كانت قد أصابتنى امرأة أو صبى غر
إنه سهم كليل قذفه رجل ضعيف لا قيمة له. ٣٩٠
فعندما ينطلق السهم الحاد من يدى ويلمس شخصًا لمسًا خفيفًا
فإنه يجعله يرقد بلا حراك فى الحال، وتلطم زوجته خديها

وتمزقهما حزنا عليه ويتحول أطفاله إلى أيتام،
وترتوى الأرض من دمه القانى. وعندما يتعفن جسده تتجمع
حوله الجوارح أكثر مما كانت النساء تتجمع حوله". ٣٩٥

هكذا قال له، ثم جاء إليه أوديسيوس المشهور بقوة
رمحه ووقف على مقربة منه. ثم جلس خلفه، وبدأ (ديوميديس) يسحب
الرمح من قدمه بسرعة، فسرت فى جسده آلام رهيبة.
وبعد ذلك صعد إلى العربة وأمر السائق
أن يذهب به إلى السفن السريعة. فقد كان قلبه مهموما. ٤٠٠
أما أوديسيوس المشهور بقوة رمحه، فظل وحده، إذ لم يبق
معه أحد من الأرجيين، فقد سيطر الخوف عليهم جميعا.
وبقلب جريح ناجى روحه النبيلة قائلاً:

"آه لى، ماذا أصابنى ؟ سوف تكون فضيحة كبرى إذا
هربت خوفا من بعض الرعاع. ولكن لو هزمت وأنا وحيد ٤٠٥
فسوف يكون الأمر أسوأ. لقد جعل ابن كرونوس الدانائيين الآخرين
يفرون، ولكن لماذا يحدثنى قلبى الحبيب بهذه الأشياء؟
إننى أعرف جيدا أن الجبناء فقط هم الذين يهربون من القتال،
ولكن المقاتل الشجاع هو الذى يصمد
فى الحرب بقوة سواء انتصر أو هزم". ٤١٠

كان أوديسيوس يقلب هذه الأفكار فى عقله وقلبه
عندما هجمت عليه صفوف المقاتلين الطرواديين
وحاصرته من كل جانب، حاملة الدمار معها.
وكما تهجم مجموعة من الأثرياء الأقوياء ومعهم كلابهم
على خنزير برى، فيندفع تجاههم من الدغل الكثيف ٤١٥
شاهرًا أسنانه البيضاء من بين أنيابه المعقوفة

فيلتفون حوله، وتعلو أصوات ارتطام أسنانه ببعضها،
فلا يتراجعون بل يصمدون أمامه رغم قوته.
هكذا حاصر الطرواديون أوديسيوس،
حبيب زيوس، ولكنه قتل البطل ديوبيتيس ٤٢٠
أولا بعد أن قفز فوقه وضربه بسيفه البتار،
ثم بعد ذلك قتل ثوؤن، وإنوموس،
ثم انقض على خيرسيداماس فى عربته
وضربه بسيفه، فنفذ السيف داخل درعه ذى الحلى المعدنية
وسقط على الأرض، وتشبثت أظافره بالتراب. ٤٢٥
وترك أوديسيوس هؤلاء القتلى، وهاجم خاروبس بن هيباسوس،
شقيق سوكوس نبيل المحتد، وقتله بضربة من رمحه .
ذهب سوكوس، شبيه الآلهة، للدفاع عن شقيقه
فاقترب من أوديسيوس وخاطبه قائلاً:

"أوديسيوس الأمجد، يا من تسعى دائما وراء المزيد من ٤٣٠
المتاعب والحيل، إما إنك سوف تفتخر اليوم بقتل
اثنين من أبناء هيباسوس، وسلب أسلحتهما،
وإما إنك سوف تسلم الروح بعد ضربة من سهمى".

هكذا قال، ثم قذفه بسهم قوى رشق فى درعه المستدير ونفذ ٤٣٥
من خلال الدرع، دقيق الصنع، فمزق لحم ضلوعه. ولكن الربة
أثينة باللاس ما كانت لتسمح بنفاذ السهم إلى أحشائه.
وانسحب أوديسيوس للخلف، وحتى يعرف سوكوس
أنه لم يصب فى مقتل، خاطبه قائلاً" ٤٤٠

"أيها الجبان، لقد حل بك موت محقق،
لقد أمكنك أن توقفنى عن قتال الطرواديين.

والآن فإننى أعلن لك أن الخراب والموت الأسود
سوف يحلان عليك اليوم، وبرمحى المهزوم سوف تمنحني
المجد، فسوف أبعث بروحك إلى هاديس، ذى الجياد الأصيلة". ٤٤٥

هكذا قال، ولكن سوكوس تمكن من الهرب وانطلق
موليًا الأدبار وبينما كان يدير ظهره، ضربه أوديسيوس بالرمح
فى ظهره فى منتصف المسافة بين كتفيه، فنفذ الرمح إلى صدره
وسقط مرتطما بالأرض. فصاح أوديسيوس المبجل متباهيا بقوله:
"سوكوس يا ابن هيباسوس مروض الخيول الماهر، ٤٥٠
لقد هزمك الموت الذى لا فرار منه، ولم تستطع الهرب
أيها البائس، ولن يغلق أبوك وأمك المبجلة
عينيك عند موتك، بل سوف ترفرف الطيور الجارحة الجائعة
بأجنحتها ذات الريش حولك وتمزق لحمك.
أما أنا، فعندما أموت سوف يدفننى الآخيون النبلاء بإجلال". ٤٥٥

هكذا قال، ثم نزع رمح سوكوس الثقيل ذلك المحارب
القوى، نزعه بنفسه من جسده فخرج من لحمه، ومن الدرع المزين
بحلية ناتئة فى المنتصف وانبعث الدم بغزارة، وشعر بالألم المبرح.
وعندما رأى الطرواديون، ذوو النفوس الأبية، دماء أوديسيوس
صاحوا فى جموع المحاربين حتى يذهبوا جميعا ويهاجموه. ٤٦٠
ولكنه تراجع للخلف وأخذ ينادى على رفاقه.
أطلق ثلاث صيحات عاليات بقدر ما يستطيع فم محارب أن يصيح.
وسمعه مينيلاؤس، حبيب آريس، وهو يصيح ثلاثا،
وفى الحال خاطب أياس الذى كان على مقربة منه بقوله:

"أياس يا سليل زيوس، أيها التيلامونى يا قائد الشعوب، ٤٦٥
إن صيحة أوديسيوس، ذى القلب الشجاع، تحيط بى و تصك أذنى

ويخيل إلى أنه يصيح وهو فى مأزق وحيدا،
وأن الطرواديين الشرسين قد أبعدوه عن أصدقائه.
فلنذهب وسط الحشود. فمن الأفضل أن ننقذه.
فإننى أخشى أن يصيبه سوء وهو وحيد بين الطرواديين ٤٧٠
رغم شجاعته العظيمة، فإن الدانائيين يحتاجون إليه بشدة".
هكذا قال، ثم انطلق وتبعه البطل شبيه الآلهة
حتى وجدا أوديسيوس، حبيب زيوس، وقد حاصره
الطرواديون مثلما تلتف مجموعة متوحشة من ابن آوى
فى الجبال حول غزال ذى قرون، كان صياد قد أصابه ٤٧٥
بسهم من جعبة سهامه، فأطلق ساقيه للريح
كى يهرب منهم، بينما دمه الدافىء ينساب ولا تقوى ساقاه على حمله
وفى النهاية، عندما يقهره السهم السريع
تبدأ حشود ابن آوى المتوحشة فى التهامه على الجبال العالية
وفى الغابة وارفة الظلال، إلى أن يرسل أحد الآلهة أسدًا ٤٨٠
كاسرا، فتتفرق حشود ابن آوى (عند رؤيته) ويلتهم هو الفريسة.
هكذا، تجمع هناك الكثير من الطرواديين الأقوياء
حول أوديسيوس الداهية كثير الحيل، ولكن البطل
استطاع أن يبعد يوم موته لأنه واصل قذفهم بالسهام،
وجاء أياس حاملا درعه، ووقف على مقربة منه ٤٨٥
مثل البرج المنيع، فتفرق الطرواديون هنا وهناك.
وقاده مينيلاؤس، المحب للقتال، بعيدا عن صخب المعركة
وهو يمسك بيده. وأمر تابعه بأن يقود الخيول بعيدا.
عندئذ هاجم أياس الطرواديين وقتل دوريكلوس
ابن برياموس غير الشرعى، ثم قتل باندوكوس بعد ذلك ٤٩٠
ثم ليساندروس وبيراسوس وبيلارتيس.

ومثلما يفيض النهر ويندفع من فوق الجبال
إلى الوادى بعد أن يمتلىء من (ذوبان) جليد الشتاء وسقوط أمطار
زيوس، فيجرف الكثير من أشجار البلوط الجافة وأشجار الصنوبر
ويلقى بالكثير من الطمى فى البحر، ٤٩٥
هكذا واصل أياس العظيم الهجوم عليهم، وكان يشتت جموعهم
فى الوادى وهو يقتل الرجال والجياد. ولم يعرف هيكتور
ذلك، إذ إنه كان يحارب فى مكان بعيد على اليسار،
على ضفاف نهر سكاماندروس، حيث تطاير الكثير
من رءوس الرجال، وارتفعت صرخة لا تخمد ٥٠٠
حول نيستور العظيم وإيدومينيوس، المولع بالقتال.
فقد اشتبك هيكتور فى قتال معهما، وقام بأعمال مدمرة
متسلحا بسيفه وراكبا عربته. وعاث تحطيما فى صفوف المحاربين.
وما كان الآخيون البواسل لينسحبوا من المعركة
لو لم يصب ألكسندروس، زوج هيلينى جميلة الشعر، ٥٠٥
ماخاؤن الشجاع، قائد الشعوب، الذى كان يفوق الجميع فى شجاعته.
فقد قذفه فى كتفه الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات.
ورغم شجاعته الفائقة، خشى الآخيون البواسل
أن يقع فى أيدى الطرواديين وهو جريح عندما تنتهى المعركة.
وفى الحال خاطب إيدومينيوس نيستور، شبيه الآلهة، بقوله: ٥١٠

"نيستور يا ابن نيليوس، يا فخر الآخيين العظيم،
تعال واصعد إلى العربة ولتدع ماخاؤن
يصعد بجانبك، وسوف نقود الخيول الأصيلة بأقصى سرعة
إلى السفن. فإن طبيبا واحدا يساوى فى أهميته الكثير من الأبطال،
فلنذهب حتى ينزع السهم وينثر الأدوية المسكنة على الجرح". ٥١٥

هكذا قال وأطاعه نيستور، الفارس الجيرينى، وصعد فى الحال
إلى العربة وصعد معه ماخاؤن بن أسكليبيوس الطبيب الماهر
وضرب الخيول بالسوط، فطارت بحماس
فى اتجاه السفن السريعة، وكانت روحه متشوقة للوصول. ٥٢٠

وعندما لاحظ كيبريونيس تشتت الطرواديين
وقف بجانب هيكتور فى عربته وخاطبه قائلاً:

"هيكتور، لقد واصلنا نحن الاثنين بمفردنا القتال ضد الدانائيين
حتى انتهت هذه المعركة الكريهة. بينما كان بقية الطرواديين
يتخبطون فى الفوضى هم وخيولهم.
لقد أربكهم أياس بن تيلامون، إننى أعرفه جيدًا ٥٢٥
فهو يضع درعًا عريضًا حول كتفيه. لذلك دعنا
نتجه بالخيول والعربة إلى هناك، إلى حيث يحارب
الفرسان والمشاة ويقاتلون بشراسة. حيث يقتل بعضهم البعض الآخر،
وترتفع صيحة الحرب التى لا تخمد". ٥٣٠

هكذا خاطب هيكتور، ثم ضرب الخيول ذات العرف الجميل
بالسوط ذى الصفير. وعندما سمعت الخيول صوت السوط
جرت العربة السريعة وسارت وسط حشود الطرواديين والآخيين
وهى تدوس فوق الجثث والدروع. وكان الدم يلطخ
محور العجلة كله من أسفل، وكانت قطرات الدم ٥٣٥
التى تنثرها حوافر الجياد تتساقط من حافة العربة المستديرة
ومن الإطارات. وكان هيكتور يتمنى أن
يدخل وسط زحام البشر ويقفز داخله ويخترقه. ولقد سبب
إزعاجا كبيرا للدانائيين. وبعد وقت قصير نحى رمحه جانبا،
ولكنه واصل جولته بين صفوف رجاله الآخرين ٥٤٠

ليزودهم بالسيوف أو الرماح أو الصخور الضخمة.
ولكنه كان يحجم عن منازلة أياس بن تيلامون
وضع الأب زيوس، رفيع العرش، الخوف فى نفس أياس
فوقف مذهولا واضعا درعه المصنوع من سبع طبقات من جلد الثور ٥٤٥
خلفه، وكان يحملق فى الجموع وهو خائف، وكأنه حيوان مفترس
يتجول خائفا هنا وهناك، يتقدم خطوة ثم لا يلبث أن يتراجع أخرى.
مثل أسد كاسر يحاول المزارعون، ومعهم كلابهم،
أن يبعدوه بعيدا عن حظيرة الثيران،
حتى لا تسنح له الفرصة ويقتنص أسمن الثيران . ٥٥٠
لذلك فإنهم يواصلون مراقبته طول الليل. وعندما تدفعه
شراهته إلى الدخول فإنه يفشل فى تحقيق غايته
لأن الأيدى الشجاعة تطلق الكثير من السهام ضده.
كما أنه يخاف من المشاعل المضيئة ويخشاها رغم عنف رغبته.
إلى أن يشعر قلبه باليأس عند الفجر فيرحل بعيدا. ٥٥٥
هكذا رحل أياس بعيدا عن الطرواديين وهو حزين القلب،
رغم كراهيته لذلك، لأنه كان يخاف على سفن الآخيين.
ومثلما يعبر حمار عنيد أحد الحقول، ويفشل الصبية فى
إبعاده، رغم أنهم يضربونه بالكثير من العصى ويكسرونها عليه، ٥٦٠
فإنه يدخل حقل القمح الناضج ويدمره، رغم مواصلة الصبية
ضربه بالهراوات. ورغم أن قوة الصبية محدودة
فإنهم يطردونه بسهولة عندما ينال كفايته من الطعام.
هكذا واصل الطرواديون البواسل وحلفاؤهم من مختلف البلاد
قذف أياس العظيم، ابن تيلامون،
بالرماح فى منتصف درعه، وواصلوا تعقبه أينما ذهب. ٥٦٥
وعندما كان أياس يتذكر شجاعته الفائقة فى الماضى

كان يعود مرة أخرى ويواصل صد فرق
الطرواديين مروضى الخيول، ولا يفكر فى الهرب.
وكان يمنعهم جميعا من الذهاب إلى السفن السريعة،
فقد كان يحارب فى المسافة التى تفصل بين الطرواديين والآخيين، ٥٧٠
ونجح فى الاحتفاظ بموقعه. وكانت السهام تنطلق
من الأيدى القوية فيصطدم بعضها بدرعه الكبير، ورغم قوة اندفاعها
كان الكثير منها يسقط فى منتصف المسافة ويرشق فى الأرض
قبل أن يلمس لحمه الأبيض، رغم تعطشه الشديد له.
وعندما لاحظ يوريبيلوس بن يوأيمون الشهير كيف ٥٧٥
يعانى أياس من السهام التى تتساقط حوله
ذهب إليه ووقف بالقرب منه، وصوب سهمه اللامع
فأصاب أبيساؤن بن فاوسياس راعى الشعوب
فى كبده أسفل قلبه، فأرداه قتيلا فى الحال.
وهب يوريبيلوس إليه كى ينزع السلاح من كتفه. ٥٨٠
وعندما رآه ألكسندروس. شبيه الآلهة،
يجرد أبيساؤن من سلاحه، وفى الحال صوب سهما
تجاه يوريبيلوس، فأصاب السهم فخذه
الأيمن. وانكسر رأس السهم فى فخذه وآلمه.
فتقهقر عائدا إلى رفاقه حتى يتجنب الموت ٥٨٥
وصرخ صرخة مدوية وخاطب الدانائيين قائلاً:
"أصدقائى قادة الأرجيين وملوكهم
تعالوا وتجمعوا حتى نجنب أياس هذا
اليوم العصيب، فإن السهام تحاصره. وأعتقد
أنه لن يستطيع الهرب من هذه المعركة الكريهة. فلتتجمعوا ولتقفوا ٥٩٠
بقوة بجانب أياس العظيم بن تيلامون".

هكذا قال يوريبيلوس الجريح. فوقفوا
بجانبه، مثبتين دروعهم على أكتافهم
وممسكين بحرابهم. فاستدار أياس
وجاء إليهم، وعندما وصل إلى رفاقه وقف، ٥٩٥
وحاربوا معا وكأنهم نيران مستعرة.
وحملت خيول نيليوس وماخاؤن قائد الشعوب
لكى يعودا من المعركة، وهى تتصبب عرقًا
ورأى أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، نيستور وعرفه فى الحال،
فقد كان واقفا فى مؤخرة سفينته الضخمة ٦٠٠
يراقب اندلاع المعركة الصاخبة المليئة بالدموع.
وفى الحال صاح، وهو يقف على سفينته، مناديًا
رفيقه باتروكلوس، وعندما سمعه باتروكلوس، شبيه آريس،
وكان داخل خيمته، خرج إليه. وكان ذلك بداية الكارثة
وخاطبه باتروكلوس بن مينويتيوس الشجاع أولا بقوله: ٦٠٥

"لماذا تناديني يا أخيليوس، فى أى شىء تحتاجنى؟".
فأجابه أخيليوس، سريع القدمين، بقوله:
"يا بن مينويتيوس الإلهى، أيها العزيز على قلبى،
أعتقد أن الآخيين سوف يحتشدون سريعا حول قدمى،
لكى يتضرعوا لى. فما سوف يأتى يصعب احتماله. ٦١٠
فلتذهب الآن يا باتروكلوس، يا حبيب زيوس، ولتسأل من
الجريح الذى أحضره نيستور من الحرب،
فهو من الخلف يشبه ماخاؤن
بن أسكليبيوس، ولكننى لم أتمكن من رؤية وجهه،
فقد مرقت الخيول أمامى بسرعة" ٦١٥

هكذا قال، وأطاع باتروكلوس، رفيقه العزيز
وذهب مسرعا إلى حيث توجد خيام الآخيين وسفنهم.
وعندما وصلت العربة إلى خيمة نيستور بن نيليوس
نزلوا منها جميعا إلى الأرض، وفيرة الخيرات.
وفك يوريميدون، تابع نيستور، الخيول من ٦٢٠
عربة الشيخ المسن. ووقف البطلان فى مواجهة النسيم
القادم من شاطىء البحر ليجففا العرق فى ملابسهما.
ثم دخلا الخيمة حيث اتخذا مجلسهما.
وأعدت الشراب لهما هيكاميدى، جميلة الشعر،
التى كان قد أحضرها الشيخ المسن من تينيدوس، عندما دمر ٦٢٥
أخيليوس المدينة. وهى ابنة أرسينوؤس الشجاع. وقد اختارها
الآخيون له، لأنها كانت تفوق الجميع فى حكمتها.
وفى البداية، مدت لهما هيكاميدى مائدة
جميلة، ذات أرجل فولاذية جيدة الصقل، ووضعت عليها
سلة من البرونز وبعض البصل لإعطاء نكهة للحم، ٦٣٠
وعسلاً مصفى وطبقا من القمح المقدس
بالإضافة إلى كأس فائق الجمال، أحضره الشيخ المسن من منزله،
كأس مرصع بحليات ذهبية ناتئة، وله أربعة من
الأيدى حول كل يد نحت من الذهب، يمثل زوجًا من
الحمام وهو يلتقط الحب. وكان للكأس قاعدة مزدوجة. ٦٣٥
وكان من العسير على أى شخص أن يرفعه
عن المائدة، ولكن نيستور الشيخ المسن كان يرفعه بسهولة.
ومزجت فيه الفتاة التى تشبه الإلهات
نبيذًا براميًا، ثم بشرت جبنا من لبن الماعز
بمبشرة من البرونز، ثم نثرت بعضا من الشعير الأبيض. ٦٤٠

وبعد أن أعدت لهما الشراب طلبت منهما أن يشربا.
وبعد أن شربا وأطفأ نيران الظمأ الشديد
بدآ متعة تبادل أطراف الأحاديث فيما بينهما.
وقف باتروكلوس، البطل الذى يشبه الآلهة. على الباب
وعندما رآه الشيخ المسن نزل عن عرشه الذهبى ٦٤٥
وأخذه من يده وطلب منه أن يتخذ لنفسه مجلسا.
ولكن باتروكلوس رفض الجلوس قائلاً:

"سيدى المبجل، يا من رباه زيوس، لا تحاول إقناعى بالجلوس.
لقد أرسلنى السيد النبيل المهيب حتى أسأل وأعرف
من هو الجريح الذى أحضرته. إننى أعرفه . ٦٥٠
فقد رأيته، إنه ماخاؤن، قائد الشعوب والآن، ولأننى رسول
أخيليوس، يجب أن أعود بالخبر إليه. سيدى المبجل،
يا من رباه زيوس، أنت تعرف جيدا ذلك البطل الرهيب،
الذى قد يبادر بلوم حتى ذلك الإنسان الذى لا تثريب عليه".

عندئذ أجابه نيستور، الفارس الجيرينى، قائلاً: ٦٥٥
"ولكن لماذا يبكى أخيليوس هكذا على الآخيين
الذين جرحتهم السهام ؟ إنه بالقطع يجهل
مدى الحزن الذى ساد الجيش. فأفضل أبطالنا
يرقدون فى السفن جرحى ومصابين.
فقد أصيب ديوميديس القوى، ابن تيديوس. ٦٦٠
وكذلك أوديسيوس ذو الدرع الشهير، وكذلك أجاممنون.
أما يوريبيلوس فقد أصيب برمح فى فخذه،
وهناك شاب آخر أحضرته من المعركة
وقد أصابه سهم أطلقه أحدهم من جعبة سهامه. ولكن أخيليوس

الشجاع لا يهتم بالدانائيين ولا يشفق عليهم ٦٦٥
هل ينتظر حتى تحترق سفننا السريعة
الراسية على شاطىء البحر، وتأتى عليها نيران العدو نكايةً فى
الأرجيين، أم ينتظر حتى يتم قتلنا واحدا تلو الآخر؟ إن أطرافى
الواهنة لم يعد بها قوة مثلما كان الحال فى الماضى.
آه لو كنت فى ميعة الصبا والشباب وفى عنفوان قوتى ٦٧٠
مثلما كنت، عندما حدث بيننا وبين الإيليين صراع
بشأن نقل الإبل. فقد قتلت آنذاك إيتيمونيوس
بن هيبيروخوس الشجاع، الذى كان يسكن فى إيليس.
وذلك عندما كنت أسوق قطعانه غنائم لى. لقد حاول الدفاع عن ثيرانه
فأصيب، وهو وسط حرسه، بسهم انطلق من يدى رغما عنى، ٦٧٥
وسقط على الأرض. ووقف الناس حوله وهم يرتعدون من الخوف،
فأخذنا غنائم كثيرة وسقناها بعيدا عن الوادى:
خمسين قطيعًا من الثيران، العديد من الأغنام
والكثير من الخنازير ومن قطعان الماعز،
بالإضافة إلى مائة وخمسين من الخيول الشقراء، ٦٨٠
كانت كلها من الإناث فتبع العديد منها صغارها.
وبعد أن سرنا طوال الليل، وصلنا بها
إلى مدينة بيلوس مدينة نيليوس، وابتهج قلب نيليوس،
لأننى حققت كل هذا النجاح عندما ذهبت للقتال وأنا شاب صغير.
وفى الصباح، صاح المنادون بصوت عال ودعوا السكان ٦٨٥
للذهاب حتى يأخذوا ديونهم التى كانت لهم فى إيليس الإلهية.
وعندما تجمعوا جميعا، قام قادة مدينة بيلوس
بتوزيع الغنائم، فقد كان الإيبيون مدينين لكثيرين منا.
فنظرا لقلة عددنا، فقد كنا نلقى معاملة سيئة فى بيلوس.

لقد نزلت علينا قوة هيراكليس (هرقل) وقهرتنا ٦٩٠
وقُتل خيرة رجالنا فى السنوات الماضية.
وكنا نحن أبناء نيليوس النبيل اثنى عشر ابنا
لم يبق منهم أحد غيرى، فقد هلك الباقون جميعا.
ولقد عاملنا الإيبيون، لابسو البرونز، بكبرياء وصلف
وواصلوا إهانتنا وسببوا لنا الكثير من الأذى. ٦٩٥
واختار الشيخ لنفسه قطيعا من الثيران وقطيعا
كبيرا من الأغنام، بالإضافة إلى ثلاثمائة رأس ومعها رعاتها.
فقد كان له دين كبير فى إيليس الإلهية
فقد أرسل أربعة خيول من التى تفوز فى المسابقات ومعها العربات
لتشارك فى المسابقات وتجرى من أجل الفوز ٧٠٠
بالمقعد ذى القوائم الثلاث. ولكن أوجياس(*) ملك الرجال
استولى عليها وطرد السائق الذى عاد حزينًا على خيوله
وبطبيعة الحال غضب الشيخ المسن من هذه الأفعال والأقوال.
لذلك اختار الكثير من الغنائم وأعطى الباقى للشعب
كى يوزعه فيما بينه حتى لا يُحرم أحد من نصيب عادل. ٧٠٥
وبعد أن ناقشنا كافة الأمور. ذبحنا القرابين
فى أنحاء المدينة. وفى اليوم الثالث جاء سكان المدينة
بأعداد غفيرة، جاءوا ومعهم خيولهم الأصيلة
كى يتعقبونا. وقد جاء معهم ولدا مولوس التوأم
رغم أنهما كانا مجرد صبيين لا يعرفان فنون القتال. ٧١٠

(*) تقول الأساطير الإغريقية إن أوجياس Augeias كان ملكا على مدينة إيليس. وكانت حظائره تضم عددا هائلا من الثيران (٣٠٠٠). ولكن هذه الحظائر لم تُنظف لمدة ٣٠ سنة. فكان من ضمن الأعمال الخارقة الاثنى عشر التى أسند لهيراكليس القيام بها تنظيف الحظائر الأوجية. ولقد أمكنه القيام بهذه المهمة فى يوم واحد عندما حول مجرى نهرى الفيوس وبينيوس ليمرا داخل الحظائر فأزال فى ساعات كل ما كان قد تجمع فيها من الروث على مدى السنوات الثلاثين.

وكانت توجد مدينة تسمى ثريؤيسا تقع على تل مرتفع
على نهر الفيوس، بعيدًا جدا عن مدينة بيلوس الرملية.
فحاصروا هذه المدينة وكلهم رغبة فى إبادتها
وعندما احتلوا السهل بأكمله، جاءت إلينا الربة أثينة.
فقد ظلت تجرى طوال الليل من الأوليمبوس حتى وصلت إلينا ٧١٥
برسالة تحثنا فيها أن نتسلح، ليس لأنها تكره شعب بيلوس
ولكن لرغبتها الشديدة فى الحرب. ولم يسمح لى نيليوس
آنذاك بحمل السلاح. لذلك أخفى خيولى.
قائلاً إننى لم أعرف فنون الحرب بعد.
ورغم أننى كنت أحارب على الأقدام فقد كنت ٧٢٠
مميزا بين صفوف الفرسان، إذ كانت أثينة هى التى توجهنى.
وعند النهر المسمى مينيويس الذى يصب فى البحر
بالقرب من أرينى انتظرنا نحن فرسان بيلوس
بزوغ ربة الفجر المقدس. وتوافد إلى هناك الفرسان
بسرعة مسلحين بالدروع وكافة أسلحتهم. ٧٢٥
وعند منتصف النهار وصلنا إلى نهر ألفيوس المقدس،
وهناك قدمنا لزيوس الكثير من القرابين العظيمة،
كما قدمنا لنهر ألفيوس ثورا، ولبوسيدون ثورا آخر.
واخترنا ثورا سمينا لأثينة زرقاء العينين .
ثم تناولنا العشاء فى (وسط) حشود الجيش ٧٣٠
وذهبنا للنوم حول ضفتى النهر،
وكل واحد منا بكامل سلاحه. وكان الإيبيون الشجعان
يقفون أمام المدينة متلهفين على تدميرها،
ولكنهم سرعان ما شاهدوا بطولة رائعة من بطولات
الحرب (آريس). فعندما أشرقت الشمس على ٧٣٥

تجمعنا استعدادا للقتال، ونحن نبتهل لزيوس وأثينة.
وعندما بدأ القتال بين أهل بيلوس والإيبيين
كنت أنا أول من قتل واحدا من الأعداء، وغنمت خيوله الأصيلة.
إذ قتلت موليوس. رامى السهام، وصهر الملك أوجياس
فقد تزوج كبرى بناته، أجاميدى الشقراء، ٧٤٠
التى كانت تعرف جميع الأعشاب المداوية التى تنبتها الأرض
الشاسعة. فبينما كان يهم بالهجوم علىّ قذفته برمح برونزى
فسقط على الأرض. وقفزت إلى العربة
وحاربت فى طليعة الصفوف. وعندما رأى
الإيبيون البواسل قائد الفرسان وقد سقط صريعًا ٧٤٥
أصابهم الرعب وهربوا هنا وهناك. فقد كان أفضل مقاتليهم
واندفعت أهاجمهم مثل عاصفة سوداء،
واستوليت على خمسين عربة، وعض اثنان من أبطالهم
الأرض بأسنانهم وهم فى سكرة الموت بعد أن قهرهما رمحى.
وكنت على وشك قتل ولدى موليون المنسوبين إلى أكتور، ٧٥٠
ولكن أبوهما الحقيقى (بوسيدون)، مزلزل الأرض، أنقذهما
من الموت (القتل)، فقد أخفاهما بين طيات الضباب الكثيف.
ووضع زيوس فى أيدينا نحن ابناء بيلوس قوة عظيمة،
فشتتنا فلول العدو فى أنحاء الوادى الفسيح
وأشبعناهم قتلاً، واستولينا على أسلحتهم الرائعة. ٧٥٥
وقدنا خيولنا حتى بوبراسيون، الغنية بالغلال.
ووقفت الربة أثينة على صخرة أولينيا التى توجد
فى تل أليسيون، أو هكذا يُسمى، وردتهم على أعقابهم.
وهناك قتلت أخر قتلاى وتركته. وقاد الآخيون
خيولهم السريعة من بوبراسيون عائدين إلى بيلوس. ٧٦٠

وتوجه الجميع بالشكر لزيوس من بين الآلهة، ولنيستور من بين البشر.
هكذا كنت، وهكذا كانت مكانتى ذات يوم بين الرجال. أما أخيليوس
فلن يفيد من بسالته سوى هو نفسه. وأعتقد أنه
سوف يندم كثيرا. حيث لا ينفع الندم. إذا ما دُمر هذا الشعب.
يا ولدى الحبيب، لقد أمرك مينويتيوس بذلك ٧٦٥
فى اليوم الذى أرسلك فيه من فثيا إلى أجاممنون.
لقد كنت أنا وأوديسيوس الإلهى فى المنزل،
وسمعنا كل أوامره وهو يلقيها عليك.
فما أن وصلنا إلى قصر بيليوس الفخم
حتى حشد شعب آخايا، كثيرة الخيرات، ٧٧٠
ووجدنا البطل مينويتيوس بالداخل،
كما وجدناك أنت وأخيليوس. وكان الفارس الأشيب بيليوس
يحرق قطعة سمينة من فخذ ثور قربانا لزيوس، مرسل الصواعق،
وذلك فى الفناء. ثم رفع كأسا ذهبيا
وصب منه خمرا متلألئة فوق القرابين المشتعلة. ٧٧٥
وكنتما منهمكين فى إعداد لحم الثور عندما وقفنا
نحن الاثنين أمام الباب. فنهض أخيليوس وقد تملكته الدهشة لرؤيتنا
وقادنا من أيدينا. ودعانا للجلوس
وأحسن ضيافتنا. كما جرى العرف دائما مع الضيوف.
وعندما أشبعنا رغبتنا من الطعام والشراب، ٧٨٠
بدأت أنا الحديث، وطلبت منك أن تكون التالى.
وكنتما شديدى الحماس للذهاب. وأصدر كل منهما الكثير من
الأوامر لكما. فقد أمر بيليوس الشيخ ولده أخيليوس
أن يكون الأفضل دائما، وأن يتفوق على الآخرين.
كما أمرك مينويتيوس، بن أكتور، أن تكون كذلك (مثله) ٧٨٥

يا بنى، قد يباهى أخيليوس بأنه أفضل منك نسبا،
أما أنت فأكبر منه سنا. كما أنه يتفوق عليك من حيث القوة،
ولكن من المفيد أن تنصحه نصيحة عاقلة،
وأن توضح له ما يجب عليه فعله. فإن من مصلحته أن يطيعنا
هكذا أمرك الشيخ المسن، ولكنك نسيت. ويجب ٧٩٠
عليك أن تقول هذه الأشياء لأخيليوس المحارب الجامح.
من يدرى ! ربما يسمع كلامك، إذا عاونك أحد الآلهة، فعليك أن ترفع
روحه بكلماتك المقنعة. فمن الخير إقناع الصديق.
فإذا كان يخشى إحدى النبوءات، التى كشفها له زيوس
أو كشفتها له أمه المبجلة (المقدسة) ٧٩٥
فليرسلك أنت، وليجعل بقية الميرميدونيين
يتبعونك فى الحال. فقد تأتى بنور الخلاص للدانائيين.
وليعطك أسلحته الرائعة لترتديها فى الحرب،
فربما ينسحب الطرواديون من الحرب،
إذا ما اعتقدوا أنك هو. وعندئذ سوف يتنفس المحاربون الآخيون ٨٠٠
الصعداء. إن فترات الراحة شحيحة أثناء الحرب
وقد يُتاح لكم، لأنكم غير متعبين، أن تطردوا الأعداء،
الذين أرهقتهم الحرب، إلى داخل المدينة بعيدا عن السفن والخيام".
هكذا قال، فأهاج قلب باتروكلوس داخل صدره،
فشرع يجرى بمحاذاة السفن، ليذهب إلى أخيليوس، سليل أياكوس ٨٠٥
وبعد جريه وصل إلى سفينة
أوديسيوس (الإلهى) حيث كان مجلسهم واجتماعهم منعقدين
وحيث شيدوا المذابح للآلهة.
هنالك قابل يوريبيلوس بن يوأيمون،
سليل زيوس، مصابا بسهم فى فخذه، ٨١٠

مما جعله ينسحب من القتال. وكان العرق الغزير
يتساقط من كتفيه ورأسه، وكان الدم الأسود
يتدفق من جرحه المؤلم. ولكنه كان رابط الجأش.
وعندما رآه ابن مينويتيوس القوى شعر بالشفقة عليه
وخاطبه بكلمات مجنحة وهو يتأوه من الحزن: ٨١٥

"أيها البؤساء، يا قادة الدانائيين وملوكهم،
هذا قدركم، أن تشبع الكلاب المتسارعة
من لحمكم الأبيض، هنا فى طروادة، بعيدا عن أحبابكم وعن أرض
الوطن. ولكن لتقل لى أيها البطل يوريبيلوس، يا سليل زيوس.
هل سيتمكن الآخيون من قهر بطل مثل هيكتور ٨٢٠
أم سيتمكن هو منهم ويقهرهم بسيفه؟".

فأجابه يوريبيلوس الجريح قائلاً:
"باتروكلوس، ياسليل زيوس، لم يعد للآخيين
أية قدرة على الدفاع وسوف يسقطون بجوار السفن السوداء.
فرغم أنهم كانوا الأفضل فيما مضى، ٨٢٥
فإنهم يرقدون مصابين وجرحى فى السفن،
ويقعون فى أيدى الطرواديين الذين تزداد قوتهم على الدوام.
والآن، ليتك تأخذنى إلى مكان آمن فى السفينة السوداء
لتنزع الرمح من فخذى، وتغسل الدم الأسود
بالماء الدافئ، وأنثر عليه بعض الدواء الملائم المسكن للألم ٨٣٠
إنهم يقولون، إنك تعلمت ذلك من أخيليوس
الذى تعلمه على يد خيرون، أعظم الكنتوروى.
فالطبيبان بوداليريوس و ماخاؤن
حسب ما أظن، يرقد أحدهما فى الخيمة جريحا

فى أمس الحاجة هو نفسه لرعاية أحد الأطباء، بينما بقى ٨٣٥
الآخر فى السهل متحملا هجوم الطرواديين الضارى".

فأجابه (باتروكلويس) بن مينويتيوس الشجاع بدوره قائلاً:
"ما هذا المأزق ؟ وماذا نفعل إزاءه أيها البطل يوريبيلوس ؟
إننى ذاهب إلى أخيليوس الحكيم، لأنقل إليه الحديث
كما أمرنى بذلك نيستور الجيرينى، حامى الآخيين، ٨٤٠
ولكننى لن أتركك وأنت تعانى فى وقت الشدة".

هكذا قال، ثم أمسك قائد الشعوب من صدره
وقاده إلى خيمته. وعندما وجد فراشا من جلد الثور
جعله يتمدد فوقه، وأخرج الرمح الحاد المؤلم
من فخذه بسكين، وغسل جرحه من الدم الأسود ٨٤٥
بالماء الدافئ، ونثر فوقه نبات مر الطعم
بعد أن فركه بين يديه، فسكنت
جميع آلامه وجف الجرح، وتوقف تدفق الدم. ٨٤٨

الكتاب الثانى عشر



ترجمة منيرة كروان

هكذا اعتنى (باتروكلوس) ابن مينويتيوس القوى الشجاع داخل
الخيمة بيريثيؤوس الجريح، بينما كانت حشود الأرجيين
والطرواديين تواصل القتال. ولم يكن مقدرًا
أن يصمد خندق الداناثيين طويلا ولا الحائط العريض
الذى بنوه فوقه حتى يحيط بالخندق، ٥
ولكى يحمى هذا الحائط سفنهم السريعة
ويحفظ غنائمهم الكثيرة آمنة. وذلك لأنهم أغفلوا تقديم قرابين ذات
قيمة للآلهة. لقد بنى هذا الحائط ضد إرادة
الآلهة الخالدين. لذا لم يكن مقدرًا أن يبقى طويلاً.
وطالما ظل هيكتور على قيد الحياة، وظل أخيليوس غاضبًا ١٠
بقيت مدينة الملك بريامو‌س صامدة،
وظل حائط الآخيين القوى قائمًا.
ولكن عندما مات العديد من أفضل قادة الطرواديين،
وقُتل كثير من الأرجيين. بينما بقى البعض الآخر،
ودُمرت مدينة الملك بريامو‌س فى العام التاسع. ١٥
عندما أبحر الأرجيون فى السفن إلى وطنهم الحبيب.
عندئذ تحاور بوسيدون وأبوللون
فى أمر تدمير الحائط، واستعانوا بقوة الأنهار.
تلك الأنهار العديدة التى تنبع من جبال إيدا وتصب فى البحر:
نهر ريسوس وهيبتابوروس وكاريسوس ورو‌ديوس ٢٠
وجرينيكوس وأيسيبوس وسكاماندروس المقدس وسيموئيس.
حيث يوجد الكثير من الدروع المصنوعة من جلد الثيران والخوذات
ملقاة فى الثرى, وبجوارها جيل من أنصاف الآلهة من البشر.
لقد جمع أبوللون فويبوس (الوضاء) كل ذلك فى مجرى واحد
وأرسله لمدة تسعة أيام فى فيضان تجاه الحائط، كما أرسل ٢٥

زيوس مطرًا متواصلاً حتى يجعل الماء يغطى الحائط بسرعة أكبر.
وكان (بوسيدون) يتولى القيادة بنفسه،
وشوكته الثلاثية فى يده. وكان يرسل مع الأمواج جميع الأساسات.
سواء عوارض السفن أو الأحجار، تلك التى صنعها الآخيون بمشقة،
فسواها مع سطح مياه الهيلليسبونـــطوس، سريعة الجريان. ٣٠
وبعد أن غطت أكوام الرمال الشاطئ الفسيح
وبعد تحطيم الحائط، حول بوسيدون الأنهار لتعود
إلى مجراها، إلى حيث تصب مياهها لطيفة الانسياب مرة أخرى.
هكذا كان بوسيدون وأبوللون يخططان للتدمير
فيما بعد. ولكن الحرب وصخب القتال أشعلا النار ٣٥
حول الحائط المتين، وتردد صوت القتال
بين جنبات الأبراج، وقهر سلطان زيوس الأرجيين،
فتوقفوا عن القتال وعادوا أدراجهم إلى السفن المجوفة
خائفين من هيكتور جالب الخوف الشديد.
فقد كان يحارب، كعهده دائمًا، مثل عاصفة هوجاء، مثل أسد ٤٠
أو خنزير برى يقف مدافعًا عن نفسه، وروحه مفعمة بالقوة،
أمام مجموعة من الرجال والكلاب الذين يحاولون صيده.
وتكالبوا عليه وهاجموه بثبات كالبرج الحصين
ووقفوا له بالمرصاد وانطلقت من أيديهم رماح
وحراب لا حصر لها. ورغم ذلك لم يهتز قلبه الشجاع، ٤٥
ولم يشعر بالخوف، فقضت شجاعته عليه.
هكذا كان هيكتور يمتحن شجاعة الرجال أينما ذهب،
وحيثما كان يشن هجومه تنسحب حشود الأعداء.
وطوال القتال كان يجمع الرجال
ويستحثهم على عبور الخندق. ولكن الخيول ٥٠
رغم سرعتها. فعندما كانت تصل إلى حافة الخندق

كانت تتوقف وتصهل بصوت عال. فقد كان الخندق
العريض يخيفها. ولم يكن من السهل القفز عن قرب،
وكان عبور الخندق عسيرًا. إذ انتشرت التحصينات
العالية على جانبيه وقد ثبت عليها حاجز ٥٥
من الأعمدة المدببة، أقامه الآخيون
بشكل قوى ومتين، ليحميهم من هجوم الأعداء
وكان من المستحيل أن يعبره حصان بعربة، حتى لو كان سريعًا.
واشتدت رغبة المحاربين لإتمام هذه المهمة.
عندئذ وقف بوليداماس بجانب هيكتور الشجاع وخاطبه قائلا: ٦٠
"هيكتور، ويا قومى من الطرواديين ويا قادة الحلفاء،
من الغباء أن نحاول عبور الخندق بخيولنا السريعة
فمحاولة عبوره خطيرة للغاية. وقد ثبتت عليه
أعمدة حادة، وهو قريب من الحائط الذى بناه الآخيون
فكيف يمكن أن ينزل عليه الفرسان أو أن يحاربوا. ٦٥
فهو ضيق للغاية وأعتقد أننا سوف نعانى هناك.
ولكن إذا دبر زيوس، مرسل الرعد من عل، لتدميرهم
فإن ذلك سوف يكون لصالح الطرواديين.
لكم أتمنى أنا نفسى أن يموت جميع الآخيين فى الحال،
هنا بعيدا عن أرجوس، مجهولين بلا ذكرى. ٧٠
ولكن إذا هاجمنا الخندق المحفور عندما يرجعون من السفن
بعد أن يستردوا قوتهم ويتجمعوا مرة أخرى،
أعتقد انه لن يذهب رسول للمدينة
ويعود مرة أخرى من عند الآخيين.
والآن أقول لكم لنوافق جميعًا على ٧٥
أن يبقى الأتباع عند الخندق ومعهم الخيول.
بينما نذهب نحن مترجلين

مدججين بالسلاح لنتبع هيكتور. فإذا كان
مقدرًا للأخيين الهلاك فلن يصمدوا طويلاً".

هكذا تحدث بوليداماس. وأسعد حديثه هيكتور، ٨٠
فقفز فى الحال من عربته إلى الأرض ومعه سلاحه.
ولم يبق الطرواديون الآخرون فى عرباتهم.
ولكنهم قفزوا جميعًا، عندما رأوا هيكتور الإلهى يقفز
وعهد كل منهم بخيوله لسائقه،
وأمره أن يبقى بجانب الخندق فى نظام وترتيب. ٨٥
وانتشر الطرواديون بعد أن قسموا أنفسهم
إلى خمس مجموعات منظمة، وساروا خلف قادتهم.
وهكذا ذهب أفضل الرجال وأشجعهم
خلف هيكتور وبوليداماس النبيل، وكانوا متحمسين
لاختراق الحائط، وللسير للقتال عند السفن السريعة. ٩٠
وكان رفيقهم الثالث هو كيبريونيس. حيث عهد هيكتور
بخيوله لشخص آخر أقل شجاعة من كيبريونيس.

وتولى باريس قيادة القسم الثانى ومعه ألكاثوؤس وأجينور
أما هيلينوس وديفوبوس، شبيه الآلهة، فتوليا قيادة القسم الثالث.
وهما ولدا الملك برياموس. وكان رفيقهم الثالث ٩٥
أسيوس بن هيرتاكوس. الذى حملته خيوله الضخمة
النشيطة من أريسبى على ضفاف نهر سيللئيس.

وقاد المجموعة الرابعة الشجاع آينياس
بن أنخيسيس. وكذلك أرخيلوخوس و أكاماس
ولدا أنتينور، اللذان كانا يتقنان فنون القتال. ١٠٠
وقاد ساربيدون الحلفاء الأماجد
واختار معه جلاوكوس وأستيروبايوس المحب للقتال.

فقد كانا، على ما يبدو، أفضل كثيرًا من الآخرين.
وكان (ساربيدون) أفضل الجميع. وبعد أن ثبتوا
دروعهم المصنوعة بإتقان من جلد الثور ذهبوا فى الحال، ١٠٥
وكلهم حماس، لملاقاة الدانائيين، وهم يعتقدون أنهم لن يصمدوا
طويلاً، وأنهم سرعان ما سيسقطون وسط سفنهم السوداء.
وأطاع بقية الطرواديين وحلفاؤهم الأماجد
نصيحة بوليداماس النبيل.
ولكن أسيوس بن هيرتاكوس، قائد الرجال، لم يرغب ١١٠
فى ترك خيوله وعربته التى يقودها تابعه.
لذلك أخذها واقترب من السفن السريعة.
ياله من ساذج !! فلا يمكنه تجنب سوء حظه
والعودة سالما مرة أخرى من السفن، ومعه خيوله وعربته،
إلى مدينة إليون التى تعصف بها الرياح ١١٥
فقدره السيئ يكمن له(*) تحت سيف إيدومينيوس بن ديوكاليون النبيل.
واتجه إلى السفن من جهة اليسار، من حيث اعتاد الآخيون
الدخول بعد عودتهم من السهل ومعهم خيولهم وعرباتهم.
لقد سار بخيوله وعربته، ولكنه لم يجد ١٢٠
أبواب المدينة مغلقة، ولم يجد الألواح الخشبية الطويلة التى تغلقها.
وكان الرجال قد فتحوها على مصاريعها انتظارًا لأن
يفر أحد الرفاق من الحرب ويعود سالمًا إلى السفن.
وعلى الفور قاد خيوله بلا تردد وتبعه رفاقه
وهم يصيحون عاليًا. لقد ظنوا أن الآخيين ١٢٥
لن يصمدوا طويلا وأنهم سرعان ما سيسقطون بجوار سفنهم السوداء.
يالهم من حمقى ! فقد وجدوا عند البوابة رجلين من أفضل
الرجال بين اللابثياى الجسورين، وأمهر رماة السهام.

(*) راجع وصف موته فى الكتاب الثالث عشر بيت ٣٨٤ وما يليه. (المحرر)

الأول هو بوليبويتيس بن بيريثوؤس القوى،
والثانى ليونتيوس شبيه آريس قاتل الرجال. ١٣٠
وجد أسيوس هذين البطلين واقفين أمام البوابات العالية
مثل شجرتى بلوط فى أعالى الجبال،
تقفان شامختين بثبات فى مواجهة الرياح والأمطار الغزيرة،
بينما تتغلغل فى الأرض جذورهما القوية فتزيدهما صلابة وقوة،
هكذا وقف الاثنان ولم يخشيا أسيوس العظيم، بل هاجماه ١٣٥
معتمدين على قوة أيديهما وشجاعتهما.
وفى الحال، جاء رفاقهم واتجهوا نحو الحائط المتين حاملين دروعهم
المصنوعة من جلد الثور وهم يصيحون عاليًا.
والتفوا حول الملك أسيوس ويامينوس و أوريستيس
وكذلك حول أداماس بن أسيوس، وحول ثوؤن وأوينوماؤس. ١٤٠
وواصل البطلان تشجيع الآخيين لابسى الدروع
على القتال دفاعا عن سفنهم .
ولكن عندما لاحظا اندفاع الطرواديين نحو الحائط
والذعر الذى ساد بين الدانائيين وصراخهم
اندفعا من البوابة وانخرطا فى القتال. ١٤٥
ومثلما تتوقع مجموعة من الخنازير البرية التى تعيش
فى الجبال وتخشى هجوم حشد من الرجال ومعهم كلابهم لصيدها
فتسلك طريقا جانبيًا وتدوس على أحراش الغابة المنتشرة حولها
وتقتلع الأشجار من جذورها ويعلو صوت صرير أسنانها
ويتزايد، إلى أن يصوب أحدهم سهامه تجاهها فيسلبها الحياة. ١٥٠
هكذا كان البرونز اللامع يحدث صريرًا فوق صدور المحاربين
عندما توجه إليهم الضربات. لقد كانوا يحاربون بشجاعة متناهية
واثقين من قوتهم وقوة جنودهم،
الذين كانوا يواصلون قذف الحجارة من الأبراج

الحصينة، دفاعًا عن حياتهم وخيامهم ١٥٥
وسفنهم السريعة. وكانت الحجارة تسقط على الأرض مثل نتف
الجليد التى تقذف بها الرياح العاصفة، التى ترج السحب الداكنة
فتقذف نتف الجليد الكثيفة على الأرض كثيرة العطاء.
هكذا كانت الحجارة تسقط من أيدى الآخيين والطرواديين
على حد سواء. وعندما كانت الحجارة تسقط على الخوذات ١٦٠
والدروع ذات الحلى المعدنية كانت تحدث دويًا خشنًا
وحادًا مثل جعجعة الطواحين. وعندما أصيب أسيوس بن هيرتاكوس
فى فخذه صرخ بصوت عال وصاح فى غضب قائلاً:

"زيوس، أيها الإله الأب، حتى أنت تلفق
الأكاذيب الكثيرة !! إننى لم أتصور أن يتمكن أبطال الآخيين ١٦٥
من مقاومة بأسنا والتصدى لأيدينا التى لا تُقهر.
لقد صمد هذان البطلان ثابتين ولم يرغبا
فى التوقف قبل أن يقتلا أو يُقتلا،
مثل مجموعة من النحل أو الزنابير، التى لها لمعة فى منتصفها،
وبنت لنفسها وكرًا فى طريق وعر ١٧٠
فإنها لا تترك وكرها الذى حفرته فى الأعماق، ولكنها
تبقى وتقاوم الصيادين لتدافع عن صغارها".

هكذا قال، ولكن حديثه لم يؤثر فى زيوس،
فقد عقد العزم على أن يمنح هيكتور المجد.
كان هناك من يحاربون بجانب البوابة والبعض الآخر يحاربون ١٧٥
على البوابة الأخرى ولذلك فمن الصعب أن أحكى كل ما حدث،
حتى لو كنت إلهًا. واشتعلت النيران، فى كل الحائط الحجري،
بتحريض من أحد الآلهة. ورغم الحزن الذى أصاب الأرجيين، فقد
دافعوا عن السفن ببسالة. وأصاب الحزن كل الآلهة،

التى كانت تقف بجانب الدانائيين فى المعركة. ١٨٠
وهكذا اشتبك اللابثياى فى الحرب، وشاركوا فى المعركة،
وعندئذ قذف بوليبويتيس القوي، بن بيريثوؤس،
داماسوس برمح نفذ من خلال خوذته البرونزية.
ولم تفلح الخوذة، رغم أنها مصنوعة من البرونز، فى حمايته،
فنفذ السهم الحديدى إلى عظامه، وفتت مخه ١٨٥
تمامًا، فأرداه قتيلاً، رغم حماسه الشديد.
ثم قتل بيلون بعد ذلك، ثم أورمينوس، واستولى على أسلحتهم.
وصوب ليونتيوس بن آريس رمحه
تجاه هيبوماخوس بن أنتيماخوس فأصابه فى بطنه.
وفجأة سحب سيفه البتار من غمده ١٩٠
واندفع وسط المقاتلين، وفى البداية قتل أنتيفاتيس
بعد أن التحم فى قتال لصيق، فطرحه أرضًا.
وبعد ذلك قتل مينون ويامينوس و أوريستيس،
فجعلهم جميعًا يتمددون على الأرض، وفيرة الخيرات،
الواحد تلو الآخر. وقام بعض المحاربين بالاستيلاء على أسلحة القتلى ١٩٥
البراقة، بينما هبّ كثير من الشباب الذين تشتعل نفوسهم بالحماس
والرغبة فى تحطيم الحائط وإشعال النيران فى السفن،
للسير وراء بوليداماس وهيكتور.
وأثناء وقوفهم القلق بجوار الخندق، يفكرون
فى كيفية عبوره، اقترب منهم طائر، ٢٠٠
نسر يحلق عاليًا، ومر على يسار المحاربين
حاملاً بين مخالبه ثعبانًا ضخمًا أحمر قانى.
وكان الثعبان حيًا رغم ضعفه . ولأنه لم ينس لذة القتال
انحنى للخلف وهاجم آسره فجرحه فى صدره
بالقرب من رقبته. وعندما شعر النسر بالألم ٢٠٥

أسرع بالهبوط به إلى الأرض، وألقاه وسط حشود المحاربين
ثم عاد يطير عاليًا وهو يصرخ وسط الرياح العاصفة (*).
وشعر الطرواديون بالرعب عندما رأوا الثعبان البراق
يرقد وسطهم، نذير شؤم(**). من زيوس حامل الدرع أيجيس.
عندئذ ذهب بوليداماس إلى هيكتور الشجاع وخاطبه قائلا: ٢١٠
"هيكتور، إنك تنتصر عليّ دائمًا فى مناقشات المجلس
رغم أننى أجيد الحديث، ولم يحدث مطلقا
أن عارضك الشعب، سواء فى مناقشات المجلس
أو فى أمور الحرب. إذ تزداد قوتك على الدوام،
ولكننى سأعلن ما أحسب أنه الأفضل: ٢١٥
يجب علينا ألا ندخل فى حرب الآن مع الدانائيين
بالقرب من سفنهم، لأننى أعتقد أنه إذا كان صحيحًا
أن طائرا جاء للطرواديين وهم يخططون لعبور الخندق،
ذلك النسر الذى يحلق عاليًا، و مر بهم من جهة اليسار
حاملاً بين مخالبه ثعبانًا ضخمًا أحمر اللون ٢٢٠
وهو مازال حيًا، ولكنه ألقاه فجأة قبل أن يصل لعشه
وفشل فى مواصلة حمله ليعطيه لصغاره.
هكذا سيكون حالنا. فإذا ما حطمنا بوابات الآخيين وسفنهم

(*) ناقش أوريجين **Origen**. هذه الفقرة (فى "دفاع ضد كيلسوس ٩١ وIV) وصور هذا المشهد على عملة عثر عليها فى إيليس وتعود للقرن الرابع الميلادى.

British Museum. Coins of Peloponnesos, p. 62: 34.

وفى الكتاب الحادى عشر من "الإينيادة" (أبيات ٧٥١ ومايليها) يقلد فرجيليوس هذه الفقرة. حيث يقـــول: "مثل نسر أعفر عندما يحمل حية، خطفها وطار بها عاليًا وقد شبك قدميه، وقبض عليها بمخالبه، بينما تثنى الحية الجريحة طياتها الملتوية وتتصلب بحراشفها المنتفخة بفمها، وهى تنهض منتصبة. وليس النسر بأقل منـــها، فهـــو يصرعها بمنقاره المعقوف، وهى تقاومه، بينما يرفرف النسر بأجنحته فى الهواء". كما أشار شيللى إلى المعركـــة بين النسر والثعبان فى أغنية "لاؤون وكيثنا **Laon and Cythna**". (المحرر)

(**) سادت فى العالم القديم كله تقريبًا ظاهرة التشاؤم والتفاؤل واستطلاع الغيب لمعرفة المستقبل . وكان القدماء، وخاصة الإغريق، يعتمدون فى تشاؤمهم وتفاؤلهم على نوعين من الظواهر: الأول: الظواهر الطبيعية مثل نعيق الغربان والبوم ونباح الكلاب... إلخ، وكانت تفسر فى بعض الأحيان على أنها نذير خير وفى أحيان أخرى على أنها نذير. أما النوع الثانى فهى الظواهر غير الطبيعية مثل اتجاه الطيور المقدسة فى طيرانها جهة اليمين أو اليسار وكسوف الشمس وسقوط المذنبات وما إلى ذلك. وكانوا يعتقدون أن هذه الظواهر تدل على ظهور الآلهة بشكل غير مباشر للإنسان لتحذره من فعل شىء أو لتشجعه عليه .

وأخضعنا الآخيين بالقوة الغاشمة.
فسوف نعود من السفن فى فوضى من نفس الطرق
تاركين وراءنا الكثير من الطرواديين، وسوف يقتلهم ٢٢٥
الآخيون بأسلحتهم البرونزية دفاعا عن سفنهم.
ويستطيع أى عراف يفهم جيدا مغزى الإشارات
ويثق فيه الشعب أن يفسر ذلك".

فنظر إليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، متجهما وخاطبه قائلاً: ٢٣٠
"إن ما تقوله يا بوليداماس لا يصادف هوى فى نفسى،
فأنت بالتأكيد تعرف كيف تفكر بشكل أفضل من هذا.
ولكن يبدو أنك تقول هذا بسبب تهورك،
وإلا فمن المؤكد أن الآلهة قد سلبتك عقلك
فأنت تطلب منا أن ننسى زيوس، مرسل الرعد، ٢٣٥
وننسى كل ما وعدنا به، عندما أومأ برأسه موافقًا.
وتأمرنا أن نطيع الطيور، ذات الأجنحة الطويلة.
فلن أنظر إليها ولن أهتم بها، سواء اتجهت ناحية اليمين،
إلى الفجر والشمس أو إلى اليسار، إلى عتمة الليل والظلام. ٢٤٠
فلنثق فى نصيحة زيوس القوى فهو سيد الجميع، بشرًا وآلهة.
ثم إن ظهور طائر واحد فأل ممتاز لكى ندافع عن وطننا،
ولكن قل لى لماذا تخشى الحرب والموت؟
فحتى لو قُتلنا جميعا عند سفن ٢٤٥
الأرجيين، فلا خوف عليك من الموت.
فلا أنت شجاع القلب، ولا أنت محب للقتال.
ولكن إذا امتنعت عن القتال، أو حرضت أحدًا
آخر على الانسحاب من الحرب بكلماتك
فسوف أضربك برمحى وأقتلك فى الحال". ٢٥٠

هكذا قال، ثم شق طريقه وتبعه الآخرون
وهم يصيحون صيحة مدوية. ولكن زيوس، صاحب الصاعقة
أثار من جبال إيدا رياحا عاصفة
أهالت الغبار على السفن مباشرة. فشوش
عقل الآخيين ومنح المجد لهيكتور و للطرواديين. ٢٥٥
فقد اعتمدوا على قوتهم وعلى علامات الفأل
فى محاولتهم تحطيم حائط الآخيين الكبير.
فهدموا أسوار البرج وأسقطوا التحصينات
وحاولوا رفع الدعامات والأساسات التى وضعها الآخيون
فى الأرض فى البداية لتكون أساسا للبرج. ٢٦٠
لقد سحبوها بعيدًا على أمل أن يحطموا
حائط الآخيين. ولم ينسحب الدانائيون من الممر،
ولكنهم تحصنوا بالدروع المصنوعة من جلد الثور،
واستمروا يقذفون أعداءهم من الأبراج إذا ما اقتربوا من الحائط.
وكان الثنائى أياس يصدران الأوامر من البرج ٢٦٥
ويتجولان هنا وهناك. ويثيران حماس الآخيين،
فتارة يحثان أحدهم بكلماتهما الرقيقة، وعندما
يجدون أحدهم ينسحب من المعركة يعنفانه بكلمات خشنة قائلين:

"أيها الأصدقاء إن الرجال جميعا لا يتساوون
فى الحرب. وبين الأرجيين يوجد المحارب الفذ والمتوسط القدرة ٢٧٠
والسيئ، وقد جاء الآن دور الجميع كى يبذلوا الجهد.
وأنتم تعرفون ذلك. فلا تسمحوا لأحد
أن ينسحب الآن إلى السفن، لمجرد أنه سمع من يدعو للانسحاب.
ولكن لتتقدموا للأمام ولتحثوا بعضكم البعض على التقدم .
فقد يمكننا زيوس الأوليمبي، سيد البرق، ٢٧٥

أن نصد الأعداء ونطردهم بعيدا عن المدينة".
هكذا كانا يصيحان عاليًا ويشجعان الآخيين.
ومثلما تسقط ندف الثلج بكثافة
فى أيام الشتاء، هكذا أسقط زيوس،
صاحب التدبير، الثلج بغزارة، معلنًا معجزاته للبشر. ٢٨٠
ولقد استمر سقوط الثلج حتى بعد أن هدأت الرياح، حتى غطى
أعالى الجبال وقممها، واللسان الممتد فى البحر والسهول المليئة
بنبات اللوتس(*)، والأراضى الخصبة التى حرثها الرجال.
كما غطى الموانئ، والشواطئ على طول البحر الرمادي
وكان الموج يزيله عندما يقترب من الشاطئ. ولكنه كان ٢٨٥
يغطى كل شيء. ومثل المطر الغزير الذى تسقطه عاصفة زيوس
تساقطت الحجارة الكثيفة على الجانبين.
سقط بعضها على الطرواديين وسقط بعضها الآخر على الآخيين
من أيدى الطرواديين. وارتفعت الجلبة على طول الحائط.
وحتى ذلك الحين ما كان للطرواديين ولا لهيكتور العظيم ٢٩٠
أن يحطموا بوابات الحائط ولا العارضة الطويلة
إذا لم يستحث زيوس ذو التدبير ابنه ساربيدون
ويثيره ضد الأرجيين. ومثل أسد يهاجم مجموعة من الثيران القوية
اندفع فى الحال، وأمامه درعه المستدير
المصنوع من الحديد المطروق بمهارة وفن، لقد صنعه حداد ٢٩٥
ماهر ووضع داخله المزيد من جلد الثور،
وخاطه بخيوط ذهبية حول الحلقة التى تحيط به.

(*) هناك عدة أنواع من اللوتس، اللوتس الإعريقي: عبارة عن نبات يشبه البرسيم تتغذى عليه الحيوانات. اللوتس القوريني: عبارة عن شجيرة إفريقية ذات سيقان متعددة، كانت بعض القبائل الإفريقية التى تقطن الساحل تتغذى على ثمارها، ولذلك سموا " آكلى اللوتس **Lotophagi** وقد جاء ذكرهم فى "الأوديسية" لأن أتباع أوديسيوس عندما أكلوا من اللوتس نسوا الوطن كما أشار إليهم هيرودوتوس. وهناك اللوتس المصرى أو زهر النيل وهناك أيضًا لوتس شمال إفريقيا وكانت سيقانه السوداء القوية تستخدم لصنع آلة الفلوت ، ومن ثم استخدم الشعراء تعبير "اللوتس الليبي" للدلالة على هذه الآلة.

حمل ساربيدون درعه أمامه، وهو يلوح باثنين من الرماح.
وأسرع فى طريقه كأسد تربى فى الجبال
وطال شوقه لأكل اللحم. فأغراه قلبه الشجاع ٣٠٠
أن يدخل بيتًا حصينًا ويحاول أن يهاجم الأغنام.
فلما وجد هناك رعاة شجعانًا
معهم كلابهم ورماحهم يحرسون الأغنام
لم يفكر فى الهرب قبل أن يفوز بصيده،
فإما أن يقفز مختطفًا فريسته من الأغنام، وإما أن يصاب ٣٠٥
عندما تقذف يد سريعة سهما من الصفوف الأولى.
هكذا كان قلب ساربيدون شبيه الآلهة في
شوق للاندفاع نحو الحائط وتحطيم التحصينات.
وفى الحال خاطب جلاوكوس بن هيبولوخوس قائلاً:
"جلاوكوس، لماذا ننال نحن الاثنين التكريم فى ٣١٠
ليكيا، ونُمنح مقاعد الشرف وتقدم لنا اللحوم والكئوس
المترعة ؟ إن الجميع ينظرون إلينا باحترام كما لو كنا آلهة،
وقد خصصت لنا قطعة أرض كبيرة على ضفاف نهر كسانثوس
بها مزارع كروم جيدة وحقول مزروعة بالقمح.
لذا يجب علينا الآن أن نقف فى طليعة المقاتلين ٣١٥
الليكيين، وأن نواجه القتال الضارى
حتى يقول عنا دائما الليكيون حاملو الدروع:
إن ملوكنا الذين يحكمون فى ليكيا
ليسوا وضيعين، إنهم يلتهمون الأغنام السمينة
ويشربون خمرا قوية فى حلاوة العسل ، ٣٢٠
لأنهم يحاربون دائما فى مقدمة الليكيين.
يا صديقى العزيز، لو كان الهروب من هذه
الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين،

ما كنت لأحارب فى طليعة الصفوف،
وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التى تجلب المجد للأبطال ٣٢٥
أما الآن، فإننى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد".

هكذا قال، وأصاخ جلاوكوس السمع ولم يقاطعه.
وذهبا مباشرة ليقودا شعب الليكيين العظيم. ٣٣٠
وارتجف مينيسثيوس بن بيتيوس عندما وقع بصره عليهما
فقد جاءا إلى البرج حاملين الدمار.
وحدق طويلاً فى برج الآخيين، فقد يرى واحدًا
من القادة يستطيع أن يمنع الكارثة ويدافع عن رفاقه.
ووقع بصره على الثنائى أياس، اللذان لا يشبعان من القتال، ٣٣٥
واقفين على مقربة من تيوكروس الذى كان قد وصل
لتوه من خيمته، وماكان الصياح ليصل إليهما
فقد كان الصخب شديدًا، وكان الصراخ يصل إلى عنان السماء،
صخب ارتطام الدروع والخوذات المزينة بشعر الخيل،
وصخب الاصطدام بالبوابات، لقد كانت كلها مغلقة ولكن ٣٤٠
الطرواديين كانوا يحاولون فتحها والدخول عنوة.
وفى الحال، أرسل مينيسثيوس الرسول ثوؤتيس إلى أياس قائلاً:

"ثوؤتيس يا شبيه الآلهة، لتذهب ولتستدع واحدًا من الثنائى أياس
أو لتستدعهما هما الاثنين معا، فذلك أفضل،
فسرعان ما سيحل علينا دمار كبير، ٣٤٥
لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتهروا
منذ القدم بعنف هجومهم وضراوته.
ولكن إذا كان الوضع قد تأزم هناك بسبب القتال

فليأت فقط أياس التيلاموني القوى
وليحضر معه تيوكروس. الخبير بالسهام". ٣٥٠
هكذا قال واستمع إليه الرسول وأطاع أوامره،
فجرى بسرعة حتى وصل إلى حائط الآخيين لابسى البرونز
ووقف بالقرب من الثنائى أياس وخاطبهما قائلا:

"أيها الثنائى أياس، يا قائدى الأرجيين لابسى البرونز
لقد أمرنى ابن بيتيوس الحبيب، الذى رباه زيوس ٣٥٥
أن أحضر لأستدعكما لتشتركا فى القتال فى الحال.
ومن الأفضل أن تحضرا معا فهذا افضل
لأن الدمار الكبير سرعان ما سيحل علينا،
لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتهروا
منذ القدم بعنف هجومهم وضراوته. ٣٦٠
ولكن إذا كان الوضع هنا قد تأزم بسبب القتال،
فليأت أياس التيلاموني القوى
وليحضر معه تيوكروس، الخبير بالسهام".

هكذا قال. وأطاعه أياس التيلاموني العظيم.
وفى الحال خاطب ابن أويليوس بكلمات مجنحة: ٣٦٥
" لتمكث هنا يا أياس ومعك ليكوميديس (= ديوميديس) القوى
لتشجعا الدانائيين على أن يحاربوا ببسالة .
أما أنا فسأسرع بالذهاب لأشارك فى القتال
وسوف أعود بسرعة مرة أخرى بعد أن أقدم لهم المساعدة".

هكذا قال أياس التيلاموني ومضى فى طريقه ٣٧٠
ومعه شقيقه من نفس الأب. كما سار معهما بانديون حاملا سهام
تيوكروس المقوسة. وعندما وصلوا إلى البرج حيث يوجد مينيستيوس،
سامى الروح، عبروا الحائط. ووجدوا محاربيهم فى مأزق

فقد كان الأعداء يتسلقون التحصينات مثل عاصفة سوداء. ٣٧٥
وانخرط قادة الليكيين وحكامهم البواسل
والأشداء فى القتال. وارتفعت صيحة الحرب عاليًا.
وكان أياس التيلامونى أول من قتل واحدًا من الأعداء
فقد قتل إبيكليس، سامى الروح، رفيق ساربيدون،
وذلك عندما قذفه بحجر مدبب ضخم ٣٨٠
كان فى داخل الحائط أعلى الحاجز. حجر لا يستطيع
رجل من رجال الجيل الراهن(*) أن يرفعه بسهولة بكلتا يديه
وإن كان فى شرخ الشباب. ولكن أياس رفعه عاليًا وقذفه به
فحطم الخوذة ذات الحليات الأربع، وتحطمت فى الوقت نفسه
جميع عظام رأسه. لقد سقط الحجر مثل غواص ٣٨٥
يسقط من قمة البرج، ففارقت الحياة جسده.
عندئذ قذف تيوكروس جلاوكوس بن هيبولوخوس القوى
بسهم، بينما كان يواصل تقدمه نحو الحائط المرتفع
وذلك عندما رأى ذراعه مكشوفة، فتوقف عن القتال
فى الحال، وقفز فى الخفاء من فوق الحائط حتى ٣٩٠
لا يلحظ أحد الآخيين أنه جريح ويتباهى بذلك.
وعندما شعر ساربيدون برحيل جلاوكوس
شعر بالألم، ولكنه لم يترك القتال. فقد صوب رمحه تجاه
الكماؤن بن ثيستور فأصابه وسقط على مقربة منه. سقط الكماؤن، ٣٩٥
متتبعًا اندفاع السهم، على وجهه وأسلحته البرونزية المزخرفة
تجلجل حوله. وأمسك ساربيدون الحائط بيديه القويتين
وجذبه بقوة. فسقط كله تباعًا. وهكذا صار الحائط
بلا دفاع. وأصبح الطريق مفتوحا أمام الجميع.

(*) هنا يشير هوميروس إلى فكرة تدهور الأجيال وهى الفكرة التى تصبح محورية فى أشعار هيسيودوس الذى ربط العصور والأجيال بالمعادن. (المحرر)

وهاجم أياس وتيوكروس ساربيدون. فصوب أحدهما ٤٠٠
رمحه إلى الرباط اللامع الملتف حول صدره
والذى يحمل الدرع الذى يغطي جسده كله. ولكن زيوس أبعد
الموت عن ولده حتى لا يُقتل فى مؤخرة السفن.
ثم وثب أياس وصوب سهما إلى درع ساربيدون. ولكن السهم
لم ينفذ من خلاله، وإن جعل ساربيدون يترنح أثناء الهجوم عليه. ٤٠٥
فتراجع قليلاً عن الحاجز ولكنه لم ينسحب
تماما، فقد كان عقله ما يزال يطمع فى أن ينال المجد.
واستدار ساربيدون تجاه الليكيين أشباه الآلهة وهو يصيح قائلاً:

"أيها الليكيون، لماذا تتخلون عن شجاعتكم وإقدامكم؟
فمن العسير علىّ، رغم قوتى أن أذهب ٤١٠
وحدى وأحطم الحائط لأشق طريقًا للسفن
فلتتبعوني، فكلما كثر العدد كان ذلك أفضل".

هكذا قال. والتف الليكيون حول ملكهم
أكثر من ذى قبل بسبب تأنيبه لهم، والتزموا بنصيحته.
وكان الأرجيون على الجانب الآخر يدعمون صفوفهم ٤١٥
داخل الحائط، وياله من عمل ضخم
ولم يستطع الليكيون رغم قوتهم أن يحطموا
حائط الدانائيين وأن يشقوا طريقًا إلى السفن.
كما لم يستطع رماة الرماح الدانائيون أن يبعدوا
الليكيين عن الحائط عندما اقتربت منه طلائع قواتهم. ٤٢٠
وكما يتنافس رجلان على الحدود
فى حقل على المشاع، وهما يحملان فى أيديهما عصى القياس،
ويتعاركان فى مساحة ضئيلة من أجل الحصول على نصيب متساو.
هكذا كانوا يتنافسون على تقسيم الحائط، بينما كان الأعداء

فوقه يتعاركون ويمزق كل منهم دروع الآخر المستديرة المصنوعة ٤٢٥
من جلد الثور، والتي كانوا يضعونها حول صدورهم وكذلك الصديريات
الخفيفة. وجرحت الأسلحة الحديدية التي لا ترحم أجساد كثيرين.
وأثناء المعركة، عندما كان يصبح ظهر
أحدهم مكشوفًا، كان يتلقى العديد من الجروح من خلال درعه.
وفي كل مكان لطخت دماء الرجال الأبراج ٤٣٠
والأسوار. دماء الطرواديين والآخيين على السواء.
ولكن الآخيين لم يخافوا ولم يتشتتوا.
ومثلما تمسك امرأة أمينة كفتي الميزان وهي تقوم بالغزل
وتضع الصوف في كفة والمكاييل في الكفة الأخرى
حتى تتعادل الكفتان، وذلك حتى تكسب قوت أولادها. ٤٣٥
هكذا كانت المعركة تسير بالتساوي بين الطرفين
إلى أن منح زيوس مجدًا عظيمًا لهيكتور،
بن برياموس، الذي اندفع أولاً تجاه حائط الآخيين
وصاح في الطرواديين بصوت مدوٍ قائلاً:
"أيها الطرواديون، يا مروضي الخيول، انهضوا ٤٤٠
وحطموا حائط الأرجيين أشعلوا النيران المستعرة في سفنهم".
هكذا قال ليحرضهم. وبعد أن استمعوا له جميعًا
اندفعوا تجاه الحائط. ثم أمسكوا رماحهم الحادة وهاجموا،
وأمسك هيكتور بحجر كان يوجد ٤٤٥
أمام البوابة ورفعه. حجر ضخم عند قاعدته ومدبب
وحاد عند قمته، حجر لا يستطيع اثنان من أفضل رجال
العصر الحالي أن يرفعاه بسهولة من الأرض كي يضعاه
في العربة. ولكن هيكتور رفعه وحده بسهولة
فقد جعله زيوس بن كرونوس، ملتوي النصيحة، خفيفًا بالنسبة له. ٤٥٠

ومثلما يرفع الراعى فروة كبش بسهولة
ويمسك بها فى يد واحدة، ويكون الحمل خفيفًا عليه،
هكذا رفع هيكتور الحجر ووضعه فوق الألواح الخشبية
التى كانت تحمى البوابة كلها والتى تربطها بقوة
بطبقتين من الألواح الخشبية الطويلة وبعارضتين كانتا　　٤٥٥
تحيطان بالبوابة من الداخل وتمسكانها. وكان يضمهما معًا مزلاج واحد.
ووقف هيكتور على مقربة، ثم اندفع إلى المنتصف
بعد أن أعد نفسه جيدًا للهجوم حتى يكتسب قوة أكبر
ثم دفع ضفتى البوابة فحطمهما. وبسبب ثقل الحجر
سقط إلى أسفل. و تأوهت البوابة على كلا الجانبين. ولم تصمد　　٤٦٠
العوارض الخشبية أكثر من ذلك، فتحطمت وتناثرت أجزاؤها
من ثقل الحجر. وقفز هيكتور الشجاع
ووجهه يشبه الليل المفاجئ وسلاحه الرهيب
الذى ارتداه حول جسده يتلألأ. وأمسك فى يديه
اثنتان من الحراب. وما كان فى استطاعة أحد،　　٤٦٥
سوى إله من الآلهة، أن يوقفه إذا ما قابله. فقد اندفع نحو البوابة
وعيناه تشعان نارًا، واستدار وصاح فى الطرواديين
يحثهم لعبور الحائط، فاستجابوا لندائه.
وعبر بعضهم الحائط على الفور، بينما اندفع
البعض الآخر عبر البوابة. وأصاب ذعر شديد الدانائيين　　٤٧٠
فهربوا إلى سفنهم السريعة، وعمت الفوضى العارمة.　　٤٧١

الكتاب الثالث عشر

ترجمة أحمد عتمان

وبعد أن سمح زيوس لهيكتور والطرواديين بالوصول إلى السفن،
ترك المتحاربين هناك يكابدون الويل بلا نهاية، أما هو فأدار عينيه
البراقتين، ونظر إلى الآفاق البعيدة،
إلى أرض الفرسان الطراقيين والميسيين، الذين
يشتبكون فى التحام مباشر. وأرض الهيبيمولجيين السادة　٥
الذين يشربون من لبن الفرسات، وأرض الآبيين أكثر الناس عدلاً.
ولم يعد يولى عينيه البراقتين شطر طروادة على نحو أو آخر،
لأنه لم يكن يعتقد فى قلبه أن أيا من الخالدين سيتوجه إلى
هناك، ليمد يد العون إلى الطرواديين أو الدانائيين.
أما السيد، مزلزل الأرض، فلم يغفل عن المراقبة الدقيقة،　١٠
لقد جلس يشاهد الحرب والمعارك على قمة جبل ساموطراقيا
الشاهقة، وكثيفة الغابات، فمن هناك كان من السهل عليه أن يرى
أرجاء إيدا. وظهرت أمامه مدينة برياموس جلية المعالم، وسفن الآخيين.
قفز من لجة البحر ليجلس هناك مشفقًا على الآخيين المدحورين　١٥
أمام الطرواديين، واستشاط غضبًا من زيوس. بعدئذ هبط من
قمة الجبل الوعر بخطى واسعة رشيقة، ارتعدت الجبال
والغابات تحت قدمي بوسيدون الإلهيتين، حيث خطا خطوات
ثلاث، وفى الخطوة الرابعة بلغ غايته أيجاى(*) حيث أقام　٢٠
قصره المعروف فى أعماق اليّم، وهو قصر ذهبى يتألق ولا يبيد
أبد الدهر. وبعد أن وصل بوسيدون إلى هناك أعد عربته وشد إليها
جواديه الرشيقين ذوى الحافر البرونزى والعرف الذهبى، وتزيا
بالذهب وتزود بالسوط الذهبى، وامتطى عربته وطار بها　٢٥
فوق لجة البحر. ومن تحته كانت وحوش البحر تثب على الجانبين

(*) كانت أيجاى Aigai فى جزيرة يوبويا ترتبط بعلاقة خاصة مع أسطورة بوسيدون وعبادته. قارن Anth. Pal IX 90. (المحرر)

منطلقة من الأعماق، وقد عرفت سيدها. وانشق البحر عن
طيب خاطر أمامه، فاندفع الموكب فى سرعة هائلة.
ولم يبتل محور العربة تحت قدميه، وحمل الجوادان ٣٠
الرشيقان سيدهما إلى سفن الآخيين.
هناك كهف سحيق فى أعماق البحر العميق،
فى منتصف المسافة بين تينيدوس وإمبروس الوعرة،
وفى هذا المكان توقف بوسيدون مزلزل الأرض،
فحل الخيول من العربة، ووضع أمامها ٣٥
شيئًا من طعام الخلود (الأمبروسيا) لتتغذى عليه، وحول
أرجلها وضع أصفادًا ذهبية
لا تكسر ولا يمكن فكها، فلا مفر من البقاء حيث تركها
وحتى يعود سيدها. ثم ذهب هو نفسه إلى جيش الآخيين.
وكان الطرواديون جميعًا يسيرون وراء هيكتور بن برياموس ٤٠
متوهجين كاللهب المتأجج، ويطلقون صيحات مدوية.
كانوا يشعرون أنهم على وشك الاستيلاء على سفن الآخيين،
والفتك بأبسل المحاربين جميعًا. إلا أن بوسيدون، طاوى الأرض
ومزلزلها، شرع يحث الآخيين بعد أن خرج من أعماق البحر
فى هيئة كالخاس وبصوته الذى لا يكل. ٤٥
وبدأ بمخاطبة الثنائى أياس فقد كانا يتأججان حماسًا:

"أيها الثنائى أياس، أنتما اللذان ستنقذان جيش الآخيين، إذا
وثقتما فى قوتكما، ولم تفكرا فى الفرار المخزى.
أنا لا أخشى الطرواديين وأيديهم التى لا تقهر، ٥٠
فهم بحشدهم الغفير قد تسلقوا الحائط العظيم، فالآخيون
لابسو الدروع المتينة سيصدونهم جميعًا، بل أخشى ما أخشاه
هنا أن يصيبنا الشر، لأن هيكتور ذا الغضب الجنونى يندلع
كأنه لهب النار مزهوًا بأنه ابن زيوس الجبار. وأتمنى أن يبث ٥٥

إله ما فى قلبيكما الثبات فتحرضان الآخرين على الصمود،
وقد تصدانه عن السفن السريعة مهما كان اندفاعه،
حتى وإن كان (زيوس) الأوليمبى نفسه هو الذى يحفزه".

٦٠ ثم لمس طاوى الأرض ومزلزلها البطلين بعصاه،
فنفخ كامل القوة، وعنفوان النشاط فيهما، فى أوصالهما
وأيديهما وأقدامهما. وطار هو نفسه كالصقر حين يحلق
فى أجواز الفضاء فوق ربوة عالية مطاردًا صيده، طائرًا
٦٥ آخر، هكذا طار بوسيدون مزلزل الأرض بعيدًا عنهما.

وكان أياس بن أويليوس أول من أدرك أنه الإله،
فصاح مخاطبًا أياس بن تيلامون:

"أياس ! إنه إله من آلهة الأوليمبوس جاء يستحثنا
٧٠ على القتال دفاعًا عن السفن – إنه ليس كالخاس
العراف المفسر، فبسهولة تعرفت على علامات قدميه ورجليه
حين انطلق بعيدًا عنا، والآلهة يعرفون بسهولة – وإن قلبى
داخل صدرى يكاد يقفز لهفة على القتال، وتشتعل جذوة النشاط
٧٥ فى قدمى من تحتى، وفى يدى من فوقى".

فرد عليه أياس التيلامونى:
"أنا أيضًا تدب شعلة النشاط فى يدى اللتان لاتهزمان، لكى
أشهر رمحى، واستنفرت كل قوتى، وقدماى تتحركان
من تحتى برشاقة. إذ أتلهف على مواجهة هيكتور بن برياموس
٨٠ – الذى لا تتوقف سورة غضبه – فى معركة فردية"

هكذا تحدث كل منهما إلى الآخر
فرحين بما بث الإله فى قلبيهما من جنون الحرب.
وفى الوقت نفسه استنفر طاوى الأرض بقية الآخيين، الذين
٨٥ كانوا بجوار السفن السريعة. لكى يهبُّوا للقتال .

كانت أوصالهم قد تسيبت وأنهكت بفعل الإرهاق والأسى ،
الذى حط على قلوبهم، وهم يرون حشود الطرواديين يتسلقون
الحائط العظيم. كانوا يشاهدون ذلك بعيون غارقة فى الدموع
حتى الحواجب. إذ كانوا يظنون ألا أمل فى الخلاص
من الهلاك. ولكن عندما مر مزلزل الأرض، تسلل بينهم،
وأخذ يشعل جذوة الحماس فى فرقهم القوية. ٩٠
فى البداية اقترب من تيوكروس وليئيتوس ليصدر لهما الأوامر،
ثم أقبل على المحارب بينيليوس وثواس ودئيبيروس وميريونيس
وأنتيلوخوس، سادة صيحات الحرب، مستفزًا همتهم بكلمات مجنحة:

"عار عليكم أيها الأرجيون، يا لكم من صبية صغار ! ٩٥
كنت أثق فى قدرتكم على القتال لإنقاذ سفننا. أما إذا
كنتم ستتقاعسون عن الحرب المؤلمة، فهذا معناه أنه جاء اليوم
الذى يقينًا سنندحر فيه أمام الطرواديين. يا لهول ما آراه بعينى!
شىء فظيع! لم أظن قط أنه يمكن أن يقع: الطرواديون يبلغون سفننا! ١٠٠
كانوا من قبل كالأيلة المذعورة التى وقعت فريسة للثعالب
والنمور والذئاب فى وسط الغابة، بينما كانت تهيم على وجهها
بلا هدف وفى جبن، دون أن يكون لديها أية فكرة عن الحرب.
لم يكن الطرواديون من قبل يجرؤون على مواجهة قوة الآخيين ١٠٥
وأيديهم، ولو للحظة واحدة.
أما الآن فهم بعيدون عن مدينتهم، بل بجوار سفننا المجوفة يحاربوننا
بسبب غلطة قائدنا وتقاعس حشودنا، التى بسبب الغضب
لا تملك الدفاع عن سفننا السريعة، بل سيصل الأمر ١١٠
إلى حد أن يذبحوا فيها. وإذا كان المحارب بحق أجاممنون
بن أتريوس واسع الملك هو السبب فى كل هذا، بما جلبه
من شعور بالخزى والعار فى قلب ابن بيليوس سريع القدمين،
يجب ألا نتقاعس عن القتال. ولنكفِّر عن الخطأ بسرعة، ١١٥

فقلوب الأخيار تقبل الاعتذار. لا يليق أن تتخلفوا فى البسالة،
فأنتم خيرة الرجال فى الجيش. أنا لا أتنازع مع من يتقاعسون
عن القتال منكم، فهم ليسوا سوى جبناء. ولكن جام غضبى
ينصب عليكم. أنتم مستكينون، وسرعان ما ستجلبون شرورًا أكبر ١٢٠
بتقاعسكم هذا. فليضع كل منكم العار والخزى أمام ناظريه؛
انظروا فوهج المعركة يندلع من جديد. وهيكتور البارع فى
صيحة القتال يقاتل فوق السفن شامخًا فى قوته،
وقد حطم الأبواب والحائط الطويل".

وهكذا أفلح طاوى الأرض فى استثارة همة الآخيين بكلماته، ١٢٥
واتخذت الفرق مواقعها حول الثنائى أياس. كانوا من القوة بحيث
لا يستطيع حتى آريس نفسه أن يخترق صفوفهم ويضعفهم،
ولا أثينة محرضة الرجال على القتال تستطيع ذلك.
فقد كانوا خيرة الأبطال الذين صمدوا أمام هجمة الطرواديين،
وهيكتور الإلهى. كان المتحاربون يتبارزون الرمح بالرمح ١٣٠
والدرع المتين بالدرع، والترس بالترس، والخوذة بالخوذة
والرجل بالرجل. وكل خصلة من شعر الخيل تلامس نظيراتها فوق
الخوذات اللامعة، كلما هز الرجال رءوسهم. وكانوا يحاربون فى
صفوف متراصة، كل محارب كان لصيقًا بالآخر، شاهرين جميعًا ١٣٥
الرماح المتلامسة، ملوحين مهددين بعضهم بعضًا.
ولم تكن أذهانهم شاردة ولا قلوبهم شتى،
بل كانوا جميعًا يتلهفون على النزال. ثم تقدم الطرواديون
فى التحام مباشر بقيادة هيكتور، الذى كان يتقدم مهاجمًا مثل
جلمود صخر يتدحرج من فوق ربوة شاهقة، حطه من علٍ ١٤٠
نهر فاضت به أمطار الشتاء. فيقفز عاليا ويتطاير وتهتز الغابات
من تحته، وتزداد سرعة تدحرجه، ولا يتوقف إلا حين

يبلغ أرض السهل المستوية(*)، فيتوقف عن التدحرج
على الرغم من كل ما اكتسبه من قوة اندفاع. وتمثل
الخطر الداهم فى أن يشق هيكتور طريقه إلى البحر ١٤٥
عبر خيام الآخيين وسفنهم مواصلاً القتل فى طريقه.
ولكنه اصطدم بالفرق المتلاحمة عند تقدمه فتوقف. وواجهه
ابناء الآخيين بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين، وصدوه فتراجع
وتقهقر، ثم أطلق صيحة مدوية يخاطب الطرواديين قائلاً:

١٥٠ "أيها الطرواديون، والليكيون والداردانيون، يا من تقاتلون فى
التحام مباشر، اصمدوا، لن يفلح الآخيون فى صدى
لمسافة طويلة، مع أنهم اصطفوا جميعًا كأنهم حائط. بل سيتراجعون
أمام رمحى إذا أيدنى أكبر الآلهة زوج هيرا ذو الرعد المدوى".

١٥٥ فلما قال ذلك استثار القوة والروح فى نفس كل محارب،
وسار بينهم ديفوبوس بن برياموس بروح عالية، ورفع درعه
المتوازن فى كل اتجاه أمامه، وأخذ يتقدم برشاقة على قدميه
محتميًا فى درعه. وصوب ميريونيس عليه برمحه اللامع
وأطلق رمحًا لم يخطىء هدفه بل أصاب الدرع المبطن بجلد
الثور، والمتوازن فى كل اتجاه، ولكنه لم يخترقه، ١٦٠
بل انكسر سن الرمح الطويل فى التجويف. وحافظ ديفوبوس
على الدرع المبطن بجلد الثور، واستولى الخوف على قلبه من
رمح ميريونيس الحصيف. عندئذ تراجع هذا المحارب إلى
حشد رفاقه أمام هذه الهجمة الشرسة، وقد استشاط غضبًا بسبب
فقدان النصر وانكسار الرمح. وانطلق نحو خيام الآخيين ١٦٥
وسفنهم طلبًا لرمح طويل لنفسه، كان قد تركه فى خيمته.

(*) تذكر المرء هنا قول امرىء القيس

مكـــر مفـــر مقبل مـــدبر معـــًا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وواصل الآخرون القتال ودوت صيحة لا حدود لها، وبدأ
تيوكروس بن تيلامون بقتل أحد المحاربين، إنه ١٧٠
الرماح إمبريوس بن مينتور ذو الثروة الهائلة من الخيول.
وكان يسكن فى بيدايون قبل أن يأتى ابناء
الآخيين، وتزوج ابنة برياموس ميديسيكاستى
التى ولدت له من قصة حب. ولكنه بمجىء سفن الدانائيين ١٧٥
المقوسة، عاد إلى إليوس واكتسب مكانة مرموقة بين
الطرواديين، وسكن فى بيت برياموس، الذى كرمّه كأنه واحد
من ابنائه. الآن أصابه ابن تيلامون تحت أذنه بطعنة من
رمحه الطويل، ثم سحب الرمح من جسده فسقط. كان مثل شجرة
الدردار على قمة جبل ترى من مسافات بعيدة من كل اتجاه،
اجتثت بالبرونز الحاد، فتناثرت أوراقها ١٨٠
على الأرض. هكذا سقط وفوقه أسلحته البرونزية المزركشة.
وهرع تيوكروس فى لهفة لتجريده من أسلحته، لكن هيكتور
صوب إليه رمحه البراق. بيد أن تيوكروس لمح الرمح
البرونزى وتفاداه بمسافة صغيرة جدًا. فأصاب هيكتور
أمفيماخوس بن كتياتوس بن أكتور فى صدره برمحه، ١٨٥
بينما كان يتأهب لدخول النزال، فسقط وهو يصرخ صرخة
مكتومة، وارتطم بالأرض وتكوم سلاحه فوقه. واندفع هيكتور بسرعة
لينزع عن رأس أمفيماخوس الباسل خوذته المثبتة عند وجنتيه،
لكن أياس صوب رمحه البراق إلى هيكتور المندفع، ١٩٠
فلم يصل الرمح إلى لحمه، إذ كان محميًا تمامًا بالبرونز
الرهيب؛ ولكنه أصاب صرة درعه فدفعه بشدة إلى الوراء
وأبعده عن الجثتين، وعندئذ سحبهما الآخيون. وحمل ١٩٥
ستيخيوس ومينيسثيوس الإلهى قائدا الأثينيين أمفيماخوس
إلى الآخيين، وحمل الثنائى أياس الملهوفان على خوض

المعركة الفتاكة، جثة إمبريوس بعيدًا. وكانا مثل أسدين
اختطفا عنزة من أفواه كلاب صيد حادة الأنياب، فحملاها
عبر أحراش الغابة الكثيفة، فرفعاها فى فكيهما بعيدًا عن ٢٠٠
الأرض. هكذا حمل الثنائى أياس الباسلان إمبريوس عاليًا
وجرداه من سلاحه، وقام ابن أويليوس بفصل رأسه عن عنقه
انتقامًا غاضبًا لمقتل أمفيماخوس، وقذف بها لتتدحرج وسط
الحشود كأنها كرة، واستقرت فى التراب تحت قدمى هيكتور. ٢٠٥

شعر بوسيدون بالغضب الشديد فى قلبه، عندما سقط
ابن ابنه فى خضم الصراع الرهيب، فذهب بين خيام الآخيين
وسفنهم ليستنفر الدانائيين للقتال. أما بالنسبة للطرواديين
فكان يثير الرعب. وهناك قابل إيدومينيوس المعروف برمحه ٢١٠
أثناء عودته من المعركة مع أحد رفاقه المصاب فى ركبته
بالرمح البرونزى الحاد. حمله رفاقه، وكان إيدومينيوس قد
أصدر أوامره إلى الأطباء وذهب هو إلى خيمته، فقد كان
تواقًا إلى المعركة. وخاطبه الإله مزلزل الأرض بصوت ٢١٥
يتقمص صوت ثوأس بن أندرايمون، الذى كان سيدًا على
الآيتوليين فى كل أنحاء بليورون وكاليدون، وكان موضع
تبجيل الناس كأنه إله، وقال:
"أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، أين ذهبت ٢٢٠
التهديدات التى وجهها أبناء الآخيين للطرواديين؟"

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلا:

"يا ثوأس، لا تثريب على أحد الآن، فكلنا بارعون فى الحرب.
وما من رجل ولى الأدبار من المعركة مستكينًا أو مستسلمًا للجبن،
وما انسحب أحد من الحرب اللعينة، بيد أن ٢٢٥
ابن كرونوس الأعلى فى جبروته يسره أن يهلك الآخيون هنا
بعيدًا عن وطنهم أرجوس، فلا يبقى لهم ذكر. لكن يا ثوأس،

بما أنك كنت دومًا صامدًا فى ساحة الوغى وتحرض الآخرين
حين ترى أحدهم يتقاعس عن القتال، فلا تتوان، بل ٢٣٠
أطلق صيحاتك واستنفر كل الرجال".

فرد عليه بوسيدون مزلزل الأرض قائلاً:

"أى إيدومينيوس، ليت هذا الرجل لا يعود إلى وطنه من أرض
طروادة، بل يترك هنا طعامًا للكلاب، ذلك الذى تقاعس اليوم عمدًا
عن القتال. فانهض وتسلح واتبعنى، ٢٣٥
فلعلنا معًا ننجز هذه المهمة على وجه السرعة. ورغم أننا اثنان
فقط، فالأمل معقود علينا، والتعاون والتعاضد يزيدان قوة الأقوياء
حتى لو كانوا محاربين فى مأزق، بيد أننا نحن الآخيين نعرف
جيدًا كيف ندير القتال ضد عدونا الشرس".

هكذا قال الإله، ثم انخرط مرة أخرى فى زمرة المتقاتلين.
وما أن بلغ إيدومينيوس خيمته المحكمة البناء، حتى سلح ٢٤٠
نفسه تسليحًا جيدًا واختار رمحين وانطلق. كان مثل الصاعقة
التى يمسك بها ابن كرونوس فى يده ويلوح بها من فوق
الأوليمبوس، آية للبشر الفانين، تومض الأشعة منه على المدى،
هكذا تألق البرونز على صدره وهو يهرول. وقابله تابعه الهمام ٢٤٥
ميريونيس وقد كان لا يزال على مقربة من الخيمة،
وكان قد ذهب ليحضر رمحًا برونزيًا، وناداه
إيدومينيوس الجبار قائلاً:

"أى ميريونيس، يا ابن مولوس، يا سريع القدمين، أنت أعز رفاقى
إلىّ، لماذا أتيت تاركا القتال والمعركة؟ هل أصبت ٢٥٠
وهل يؤلمك سن رمح؟ أم هل أتيت إلىّ برسالة ما؟
أما أنا فلا يسرنى البقاء هنا فى الخيام، بل يسرنى الالتحام فى القتال".

فرد عليه ميريونيس الحصيف:

"أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، لابسى ٢٥٥
الدروع البرونزية، أنا فى طريقى لأحضر رمحًا،
لعلك تكون قد تركت واحدًا فى الخيام؛ فالرمح الذى
أحمله منذ مدة تحطم حين أطلقته على درع ديفوبوس المتجبر".

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً :

"إن أردت رماحًا فستجدها، سواء أردت واحدًا أو عشرين، ٢٦٠
ستجدها فى الخيمة تقف مستندة على حائط المدخل اللامع،
رماحًا طروادية، فمن عادتى أن أسلبها من قتلاهم. وأنا لا أميل
إلى قتال الأعداء من مسافة بعيدة، لذا فإن لدى رماحًا
ودروعًا ذات صرر وخوذات وأحزمة تلمع". ٢٦٥

فرد عليه ميريونيس الحصيف:

"وفى خيمتى أنا أيضًا وفى سفينتى السوداء الكثير من غنائم
الطرواديين، ولكنها الآن ليست فى متناول يدى. ولم أنس
البسالة، بل أحب مكانى فى طليعة المقاتلين؛ حيث يحرز ٢٧٠
الأبطال المجد، وحيث ترتفع صيحات القتال. وقد لا يعلم
بعض الآخيين لابسى الدروع البرونزية قدرتى فى القتال،
ولكنك أنت تعرفها تماما".

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً: ٢٧٥

"أنا أعرف أى نوع من الرجال أنت، وأى بأس لديك
فى القتال. فما الداعى لتقول ماهو معروف ؟ إذا كان
أفضل ما لدينا قد قيل بجوار السفن وفيما يتعلق
بالكمين، فإن بسالة الرجال تختبر وتتجلى ويتبين الجبان
من الشجاع، إذ يتبدل الجبان ٢٨٠
من لون إلى لون آخر، وروحه لا تظل فى صدره، فلا
يثبت على حال، فيغير ركبة مكان الأخرى، ويرتكز على

قدم بعد الأخر، ويخفق قلبه بدقات مرتفعة الصوت، ويتوقع
الموت فى كل لحظة، وتصطك أسنانه فى فمه. أما لون
الشجاع فلا يتغير ولا يتبدل، وهو لا يخاف حين يتخذ موقعه فى
كمين المحاربين، بل يبتهل أن يخوض قتالاً رهيبًا — ٢٨٥
وحتى فى مثل هذه الحالة لا يقلل أحد من بسالتك وقوة يديك.
وإذا كنت قد أصبت بسن رمح أو بطعنة فى لهيب القتال،
فالرمية لا تأتيك من الخلف فى الرقبة أو الظهر، بل على
صدرك أو بطنك حيث كنت تهاجم فى مقدمة صفوف المقاتلين. ٢٩٠
فتعال ولنتوقف عن التلكؤ هنا، حتى لا نثرثر كالأطفال،
فقد يثور غضب أحدنا إلى ما وراء الحد، فاذهب إلى الخيمة
واتخذ لنفسك رمحًا متينًا".

هكذا قال، وأخذ ميريونيس، قرين آريس فى سرعته، رمحًا ٢٩٥
برونزيًا وتبع إيدومينيوس متطلعًا بلهفة للقتال. فهو يخوض
الحرب مثل آريس الفتاك بالبشر الفانين، ويتبعه ابنه
فوبوس (الخوف) المقدام، الذى لا يهاب والذى يرعب
أى محارب إن لم يكن ثابت القدمين. كلاهما تسلح ٣٠٠
وقدم من طراقيا(*) للانضمام إلى الإفيريين أو الفليجيين
الأشاوس، ولكنهما لا يصغيان لأى من الجانبين، بل
يهبان المجد لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى. هكذا
يخوض ميريونيس وإيدومينيوس قائدا الأبطال القتال لابسين ٣٠٥
الدروع البرونزية اللامعة، وقال ميريونيس لإيدومينيوس:

"يا ابن ديوكاليون، أين ترغب أن تنضم إلى زمرة
المقاتلين، هل فى الجانب الأيمن للحشد، أم فى القلب، أم إلى
اليسار؟ وظنى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل يفلحون

(*) تُقبل طراقيا Thrake أو Threke فى العموم على أنها موطن إله الحرب (المحرر).

فى القتال فى أى موضـع". ٣١٠

فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:

"فى وسط السفن هناك من يدافعون عنها، وهما الثانى أياس

وتيوكروس أبرع الآخيين فى رمى القوس وفى الالتحام

القتالى المباشر. وهؤلاء سينهكون هيكتور بن بريـاموس

ويصدونه بعيدًا عن القتال رغم شراسة هذا البطل وقوة عزمه. ٣١٥

ومهما كان متلهفا على القتال سيكون من العسير عليه

أن يقهر عنفوانهم وأياديهم القوية، وأن يضرم شعلة النار

فى السفن، ما لم يشعل ابن كرونوس نفسه اللهب المندلع فى

السفن السريعة. أما أياس التيلامونى الجبار، فلا يستسلم لأحد ٣٢٠

من البشر الفانين من آكلى حبوب ديميتر، الذين يضـربون

بالبرونز أو يسحقون بالأحجار الضخمة. ولا يخضع حتى

لأخيليوس مشتت صفوف الرجال، الفتاك فى الالتحام القتالى

المباشر، فلا أحد ينازع أخيليوس فى سرعة القدمين. ٣٢٥

أما بالنسبة لكلينا، فلنقف فى ميسرة الجيش كما قلت،

حتى نعلم ما إذا كنا سنهب المجد لغيرنا، أم غيرنا هو

الذى سيهب المجد لنا".

هكذا كان حديث ميريونيس، الذى ينازع آريس فى سرعة

الهرولة، ثم قاد الطريق حتى بلغا الحشد، حيث أمره إيدومينيوس ٣٣٠

بأن يمضى. وما أن رأى الطرواديون منظر إيدومينيوس بقوته وكأنه

شعلة لهب ومعه تابعه المسلح تسليحًا جيدًا بالغ الإتقان،

نادى كل فرد من أفراد الحشد على الآخر إيذانًا

بالهجوم، فهاجموه. وعند مؤخرات السفن التحم المتحاربون

جميعًا فى قتال مباشر فى حشد متكتل. واشتدت العواصف

وهبت الريح فى يوم تراكم التراب فيه سميكًا على الطرقات. ٣٣٥

فأثارت الريح سحابة كثيفة من الغبار. بيد أن المعركة بينهم

لم تنقطع، وكان كل طرف منهما يتلهف على قتل الآخر
بالبرونز البتار. واندلع الصراع فتكًا بالفانين، الذين سقطوا
ضحايا الرماح الطويلة ممزقة لحم الأجساد. وكادت الأبصار
تزوغ ببريق البرونز فى الخوذات اللامعة والأحزمة ٣٤٠
المصقولة والدروع البراقة، حيث كانوا يلتحمون التحامًا
كاملاً. قوى العزيمة فقط هو من جرؤ قلبه وانشرح صدره
لرؤية هذا القتال المفجع دون أن ينقبض فؤاده.

كان ابنا كرونوس(*) الجباران موجودين، وكان لكل منهما ٣٤٥
أهدافه المختلفة عن أهداف الآخر، ولكنهما معًا دبرا آلاما
قاسية للمتحاربين الفانين. كان زيوس يود النصر للطرواديين
ولهيكتور، وبذلك يوفر المجد لأخيليوس سريع القدمين.
مع ذلك لم يشأ القضاء على حشد الآخيين قضاءً مبرمًا ٣٥٠
أمام إليوس، وكل ما أراد هو أن يوفر التكريم لثيتيس والمجد
لابنها المغوار.

أما بوسيدون فقد ذهب إلى وسط الأرجيين، وأخذ يقوى عزمهم
بعد أن انسل سرًا من البحر المضطرب، إذ كان قد ضايقه
كثيرًا أن الطرواديين دحروهم، وكان حانقا على زيوس.
ومع أنهما من سلالة واحدة ومن الوالدين نفسيهما، ٣٥٥
بيد أن زيوس كان هو الأكبر والأكثر فطنة بمراحل.
ولذا كان بوسيدون يتجنب إظهار مساعدته المباشرة،
وسعى سرا لاستنفار الأرجيين وحشدهم متخذا هيئة
بشرية. وهكذا عقد كلاهما طرفى حبل الصراع الفتاك والحرب
اللعينة، وأخذا يتجاذبانه بعنف فوق الجيشين، ولا يستطيع ٣٦٠
أى رجل قوى أن يحل عقدة هذا الصراع، وإن استطاع أن

(*) زيوس وبوسيدون. (المحرر)

يحل ركب العديد من الرجال.

ونادى إيدومينيوس، مع أن اللون الأبيض بدأ يخالط شعر
رأسه، على الدانائيين، وقفز وسط الطرواديين فولوا الأدبار.
فقتل أوثريونيوس القادم من كابيسوس والمقيم ضيفًا فى
طروادة، فقد جاء حديثًا بعد أن سمع نبأ الحرب؛ وطلب يد ٣٦٥
كاساندرا أجمل بنات برياموس. ولم يقدم الهدايا ليخطب ودها،
بل وعد بإنجاز بطولى، وهو أن يطرد ابناء الآخيين من أرض
طروادة. ووعد الشيخ برياموس بأن يعطيها له فأومأ برأسه،
وانخرط (أوثريونيوس) فى القتال واثقًا فى وعد الملك.
بيد أن إيدومينيوس صوب إليه رمحه البراق وأصابه بينما ٣٧٠
كان يتبختر فى خيلاء، ولم يحمه الدرع البرونزى الذى
يحتمى به، بل اخترق الرمح بطنه، فسقط مرتطمًا بالأرض،
وفوق جثته وقف إيدومينيوس متباهيًا وقائلاً:

"يا أوثريونيوس ! إنى أعدك حقًا الأسعد بين كل البشر ٣٧٥
الفانين، فسوف تنجز وعدك لبرياموس الداردانى، وقد وعدك
بابنته. ونحن أيضًا نعدك وسننجز ما وعدنا، وسنزوجك أجمل
بنات أتريوس، وسنحضرها إليك من أرجوس لتتزوجها هنا؛
إذا ناصرتنا فى حصار إليوس المأهولة. فاتبعنا فقد نعقد عقد ٣٨٠
الزواج فى السفن جوابة البحار، وثق تمامًا أننا لا نغالى فى
طلب هدايا الزواج" .

هكذا كان حديثه، وسحب المحارب إيدومينيوس الجثة من
القدمين عبر ساحة القتال. وجاء أسيوس لينقذ الميت سيرًا ٣٨٥
على قدميه أمام جواديه، اللذين ساقهما تابعه وقائد عربته،
واقتربا حتى صارت أنفاسهما فوق كتفى أسيوس. وكان الأخير
يتلهف على إصابة إيدومينيوس؛ إلا أن هذا البطل كان أسرع
منه، فأطلق عليه رمحًا أصابه فى عنقه تحت ذقنه، ٣٩٠

واخترق البرونز لحمه. فسقط كما تسقط شجرة البلوط أو
شجرة الجوز أو شجرة الصنوبر الباسقة، التى أسقطها
وسط الجبال قاطعو أخشاب السفن ببلطاتهم الحادة. هكذا
تمدد أسيوس أمام جواديه وعربته يئن بصوت عال قابضًا
على التراب المختلط بالدم.

أما سائق عربته الذى أصيب بالهلع، فتخلى عن تماسكه
الذى تحلى به، ولم يجرؤ على العودة بالخيول والفرار من ٣٩٥
أيدى الأعداء. فرماه أنتيلوخوس البارع فى القتال
وأصابه برمحه، فلم يحمه الدرع البرونزى، الذى كان يرتديه
بل استقر الرمح فى بطنه تمامًا. فسقط من العربة المتينة
البناء. وساق أنتيلوخوس بن نيستور الباسل الحصانين من
معسكر الطرواديين إلى حيث حشد الآخيين. ٤٠٠

حزن ديفوبوس حزنًا بالغًا على أسيوس، فاقترب من إيدومينيوس
وصوب إليه رمحه اللامع. بيد أن إيدومينيوس الذى كان يحملق فيه
مباشرة تفادى الرمح البرونزى، إذ احتمى بغطاء درعه الذى ٤٠٥
اعتاد ارتداءه والمتوازن من كل جانب والمصنوع من جلد الثور
والبرونز اللامع بإتقان شديد وعليه حلقتان. تقلص تحت
هذا الدرع فطار الرمح البرونزى من فوقه مرتطمًا بدرعه
بشدة. وما كان ديفوبوس ليدع الرمح يطير من يده الثقيلة سدى،
بل أصاب هيبسينور بن هيباسوس راعى شعبه فى كبده تحت ٤١٠
حجابه الحاجز، ففك مفاصل ركبتيه. ووقف ديفوبوس فوق
جثته منتشيًا بالنصر وصائحًا بأعلى صوته:

"لم يمت أسيوس دون انتقام؛ بل سيسر – فيما أظن – فى
رحلته إلى مقر هاديس، الحارس شديد البأس، فقد منحته ٤١٥
مرافقًا فى رحلته".

هكذا كان تفاخره، وتألم الأرجيون لتبجحه.
أثار بالدرجة الأولى حنق أنتيلوخوس الحصيف، الذى رغم
حزنه لم ينس رفيقه الحبيب(*)، بل جرى نحوه ووقف فوق
جثمانه وحماه بدرعه. وانحنى اثنان من الأتباع الموثوق بهما، ٤٢٠
وهما ميكيستيوس بن إخيوس وألاستور الطيب، وحملا هيبسينور
وهما يجهشان بالبكاء إلى السفن المجوفة. ولم يتلكأ إيدومينيوس
فى عنفوان غضبه، بل تلهف على أن يدفن أحد الطرواديين ٤٢٥
فى ظلمة الليل الأسود، أو أن يسقط هو نفسه دفاعًا عن الآخيين.
فقتل الوحش المحارب ألكاثوؤس الابن الحبيب لأيسيئيتيس ربيب
زيوس، إنه زوج بنت أنخيسيس، حيث كان قد تزوج
كبرى بناته، هيبوداميا التى أحبها أبوها وأمها وربياها فى بيتهما، ٤٣٠
فبزت كل الفتيات من سنها فى جمالها وكمالها وأشغالها اليدوية
وحكمتها. وتزوجها أفضل رجال طروادة الشاسعة، إنه ذلك
الذى أخضعه بوسيدون برمح إيدومينيوس، فألقى غشاوة على ٤٣٥
عينيه البراقتين، وفك أوصاله المتينة حتى لا يفر أو يتفادى
الرمح. وفى ثباته كان كمثل دعامة أو شجرة باسقة تطاول
السماء، أصابه إيدومينيوس المغوار بطعنة من رمحه فى صدره
فاخترقت درع صدره البرونزى، والذى طالما صد عنه طعنات ٤٤٠
الموت. أما الآن فقد اخترق الرمح هذا الدرع، فأحدث دويًا
هائلاً وسقط مرتطمًا بالأرض فى خضم دمائه، وغاص الرمح
فى قلبه فارتج ظهره. ووقف آريس الجبار على مبعدة يكظم غيظه(**).
ووقف إيدومينيوس فوق الجثة منتشيًا بانتصاره
ومباهيًا وصاح عاليًا: ٤٤٥

"أى ديفوبوس، هل لنا الآن أن نحسبها تسوية مرضية – ثلاثة

(*) هيبسينور. (المحرر)

(**) تحذف بعض الطبعات البيتين ٤٤٣ – ٤٤٤ باعتبارهما منتحلين. (المحرر)

قتلى فى مقابل رجل واحد ؟ تراك تفخر بهذا ؟
أيها السيد الطيب، بل قف بنفسك وواجهنى ! لتعلم من هو
ابن زيوس الذى جاء هنا. فى البداية أنجب زيوس مينوس ٤٥٠
حارسًا على كريت، ثم أنجب مينوس ابنا هو ديوكاليون
الذى لا قرين له، وأنجبنى ديوكاليون سيدًا على الكثير من
رجال كريت الشاسعة. الآن حملتنى السفن إلى هنا
وبالاً عليك وعلى أبيك وعلى كافة الطرواديين". ٤٥٥

هكذا قال، ودبت الحيرة فى قلب ديفوبوس، تراه يتراجع ويتخذ
رفيقا من الطرواديين البواسل، أم يعتمد على نفسه ويتقدم
بمفرده ويجرى، وظن أنه من الأفضل أن يذهب إلى آينياس.
فوجده واقفًا فى نهاية الحشد، وكان آينياس ناقما على
برياموس الإلهى. فعلى الرغم من بسالته المميزة بين المحاربين ٤٦٠
لم يكرمه برياموس بشىء. فاقترب ديفوبوس منه وخاطبه
بكلمات مجنحة :

"أى آينياس يا صاحب الرأى بين الطرواديين، عليك الآن أن
تقدم العون لزوج أختك، إذا كان حقًا يؤلمك ما ألم بقريب
لك. أقبل وقدم العون لألكاثوؤس، فقد كان على أية حال زوج ٤٦٥
أختك وهو الذى رباك فى بيته طفلاً صغيرًا. لقد قتله
إيدومينيوس الشهير برمحه".

هكذا قال فاستثار همة آينياس فى صدره، فراح يبحث عن
إيدومينيوس توافًا لمنازلته. لكن لم يكن الخوف يعرف ٤٧٠
طريقه إلى قلب إيدومينيوس، كما لو كان مثل طفل مدلل. كان فى
هجومه مثل خنزير برى يسكن الجبال يثق تمامًا فى قواه
فيصمد أمام هجوم حشد غفير من الرجال فى مكان منعزل، تنتصب
عضلات ظهره وتتقد عيناه بالشرر، ويكشر عن أنيابه استعدادًا لصد ٤٧٥

الكلاب والرجال. هكذا كان إيدومينيوس الشهير برمحه،
حيث تصدى لهجمة آينياس الذى لبى نداء العون، ولم يتراجع،
بل نادى على رفاقه وبحث عن أسكالافوس وأفاريوس ودايبيروس
وميريونيس وأنتيلوخوس سادة صيحة الحرب. فحرضهم
على القتال بكلمات مجنحة:
"هلموا يا أصدقاء وقدموا العون لى، فأنا بمفردى وأخشى ٤٨٠
بشدة مجىء آينياس سريع القدمين، فهو يتقدم ليهاجمنى.
فله من القوة ما يمكنه من الفتك بالرجال فى المعارك، وهو
فى زهرة شبابه وكامل قوته. آه لو كنا فى السن نفسها وبالحالة نفسها،
كما هو الآن، عندئذ كان أحدنا سينال نصرًا عظيمًا أنا أو هو". ٤٨٥

هكذا قال فتوحدت أفئدتهم فى صدورهم، وصمدوا فى مواقعهم،
ووقفوا متراصين محتمين بدروعهم. وفى مواجهتهم نادى
آينياس على رفاقه وبحث عن ديفوبوس وباريس وأجينور ٤٩٠
الإلهى، وهم من قادة الطرواديين. وتبعهم الحشد كما تتبع
قطعان الأغنام الكبش إلى الماء من المرعى، فيفرح
الراعى فى قلبه. هكذا امتلأ قلب آينياس بالفرح حين
رأى احتشاد الجيش الزاحف من خلفه. والتحموا ٤٩٥
فى قتال لصيق برماحهم الطويلة بعد أن قفزوا فوق جثة
ألكاثوؤس، وكان البرونز على صدورهم وهم يصوبون
كل إلى الآخر فى الهجوم. وفى طليعة الحشود كان هناك
رجلان مقدامان هما آينياس وإيدومينيوس اللذان كانا يضارعان
آريس. كان كل منهما يتلهف على تمزيق لحم الآخر بالبرونز ٥٠٠
الذى لا يرحم. كان آينياس البادىء بإطلاق رمحه على
إيدومينيوس، ولكنه كان يحدق فيه بثبات واستطاع أن يتجنب
الرمح البرونزى، فانغرس رمح آينياس فى باطن الأرض،
فقد انطلق سدىً من يده القوية. ورمى إيدومينيوس وأصاب ٥٠٥

أوينومأوس فوق البطن وحطم الحلقة المعدنية على درعه،
وأخرج البرونز أمعاءه، فسقط فى التراب قابضا على الأرض
براحة يده. وسحب إيدومينيوس الرمح طويل الظل من
الجثمان، ولكنه لم يستطع أن ينزع بقية الدرع الجميل عن
الكتفين؛ فقد كان غاثرًا بالقذائف. ذلك أن مفاصل قدميه ٥١٠
فقدت رسوخها، الذى كان لها من قبل ومكنته من الإسراع
فى كره أو فره، هجومًا على عدوه أو تفاديًا لضرباته. ومن ثم
اكتفى فى الالتحام المباشر بالدفاع عن نفسه اتقاء يوم
المصير الذى لا يرحم، ولم تعد قدماه قادرتين على أن تحملاه
للهرب بسلام من المعركة. وبينما كان يتراجع إلى الوراء ٥١٥
خطوة بخطوة، رماه ديفوبوس برمحه اللامع، ذلك أنه
كان لا يزال يحمل داخل نفسه حقدًا دفينًا. ومع ذلك فقد أخطأه
هذه المرة أيضا، وأصاب رمحه أسكالافوس بن إنياليوس وغاص
الرمح البتار فى كتفه، فسقط فى التراب قابضًا على الأرض ٥٢٠
براحة يديه. ولم يحزن آريس الرهيب ذو الصيحة المدوية لموت
ابنه صريع القتال الفتاك؛ بل جلس فوق أعلى قمم الأوليمبوس
تحت السحب الذهبية، تشكمه إرادة زيوس، حيث كان الآلهة
الخالدون الآخرون قد حجبوا عن ميدان الحرب. ٥٢٥
ثم اشتبكوا حول أسكالافوس فى التحام مباشر، وسلب ديفوبوس
خوذة أسكالافوس اللامعة، لكن ميريونيس قرين آريس
السريع انقض على ديفوبوس وأصاب ذراعه برمحه، فطارت
الخوذة من يده على الأرض، وكان ارتطامها مدويًا. ووثب
ميريونيس مرة أخرى كأنه نسر، وسحب الرمح الجبار من أعلى ٥٣٠
ذراع ديفوبوس، واندس مرةً أخرى وسط رفاقه. لكن بوليتيس
شقيق ديفوبوس أحاط خصره بذراعيه وسحبه بعيدًا عن
ساحة المعركة الرهيبة إلى أن بلغ الجوادين السريعين، ٥٣٥

اللذين كانا يقفان فى انتظاره خلف ساحة المعركة بعربتهما
فاخرة الزخرف وسائقهما. وحملاه إلى المدينة وهو يئن
ويتألم بشدة، وينزف دمًا غزيرًا من ذراعه المصاب حديثًا.

٥٤٠ وواصل الآخرون الالتحام، وانطلقت صيحة مدوية.
ثم انقض آينياس على أفاريوس بن كاليتور، الذى كان قد
استدار نحوه. ضرب عنقه برمحه المسنون، فمالت رأسه جانبًا
وسقط الدرع عنه ومعه الخوذة، وغمره الموت الذى يفتك
٥٤٥ بالأرواح. ثم وثب أنتيلوخوس على ثؤون وهو يولى الأدبار
وطعنه فى الوريد الذى يجرى من أول الظهر إلى العنق
فمزقه شر ممزق، فسقط ثوؤن على ظهره فىالتراب مادًا
يديه لرفاقه الأعزاء. بيد أن أنتيلوخوس انقض عليه ونزع
٥٥٠ درعه عن كتفيه، وهو يتلفت من حوله فى فزع.
فقد حاصره الطرواديون من كل جانب، وشرعوا يضربون درعه
اللامع العريض فى كل ناحية منه؛ ولكنهم لم يتمكنوا من خرقه
والنفاذ إلى لحم أنتيلوخوس الطرى بالبرونز
٥٥٥ القاطع. فقد كان بوسيدون مزلزل الأرض يحرس
ابن نيستور، حتى فى وسط الرماح العديدة. ولم يكن
أنتيلوخوس بعيدًا عن الأعداء، بل كان يصول ويجول
بينهم دون أن يركن رمحه للراحة، بل كان مشهرًا متحركًا
٥٦٠ على الدوام. وكان قلبه تواقًا للهجوم على العدو أو
الاشتباك فى الالتحام مباشرة.
وبينما كان يصوب سهمه وسط المحاربين، لمحه
أداماس بن أسيوس، الذى بعد أن التصق به ضربه فوق الدرع
بطعنات البرونز المسنون. بيد أن بوسيدون، الإله ذا الشعر
الأزرق الداكن، أحبط سن الرمح وجعل طعناته هباءً، وتشبث
بحياة أنتيلوخوس وبقى جزء من الرمح مغروسًا كالعصا فى

درع أنتيلوخوس، ونصفه الآخر ملقى على الأرض. واندس　٥٦٥
أداماس مرة أخرى وسط رفاقه متجنبًا مصيره المحتوم. بيد
أن ميريونيس لاحقه، وأطلق عليه رمحه فأصابه فيما بين أعلى
الفخذين والصرة، حيث يقسو آريس (الحرب) على الفانين
الطائشين. وغرس ميريونيس رمحه، وارتكز الآخر على الرمح　٥٧٠
الذى غاص فى لحمه، وأخذ يتلوى كالثور الذى قيده الرعاة وسط
الجبال وحاولوا جره بالقوة. هكذا كان أداماس حين أصيب،
تلوى قليلاً إلى أن اقترب المغوار ميريونيس وسحب الرمح من
لحمه، وطوت الظلمة نور عينيه. وفى التحام مباشر، أصاب هيلينوس
دايبيروس فى صدغه بسيف طراقى ضخم فحطم خوذته، حيث سقطت　٥٧٥
على الأرض فالتقطها أحد الآخيين وهى تتدحرج وسط أقدام المقاتلين.
وعلى نور عينى دايبيروس حط ظلام الليل وطواه.

عندئذ خيم الحزن على قلب ابن أتريوس مينيلاؤس البارع فى　٥٨٠
صيحة الحرب، وشرع يتهدد الأمير المحارب هيلينوس ملوحًا
برمحه المسنون، بينما جذب الآخر الجزء الأوسط من قوسه تأهبًا.
وبلغ الاثنان لحظة الإطلاق معًا فى آن واحد، أحدهما برمحه
المسنون، والآخر بسهم من القوس. فأصاب ابن برياموس　٥٨٥
بسهمه اللوحة المعدنية فوق درع مينيلاؤس على صدره،
فارتد السهم المرير، وطار جانبًا كما تطير حبات الغلال
على أرض الحصاد الشاسعة بفعل هبة الريح وقوة المذراة.
هكذا ارتد من فوق درع مينيلاؤس المجيد السهم المرير وطار　٥٩٠
بعيدًا. بيد أن مينيلاؤس المحارب المقدام، ابن أتريوس البارع فى
صيحة الحرب، أطلق رمحه وأصاب هيلينوس فى يده القابضة على
قوسه الصقيل، فمزق الرمح البرونزى الكوع. واندس مرة أخرى　٥٩٥
وسط رفاقه متجنبًا قدره المحتوم، تاركًا يده مرتخية إلى جانبه،
والرمح الرمادى يتدلى خلفه. ثم سحب أجينور المغوار الرمح

من يده، وربط اليد الجريحة بقطعة من صوف الغنم قدمها له
تابعه بوصفه راعى شعبه.

٦٠٠ هجم بيساندروس على مينيلاؤس المجيد، بيد أن قدره اللعين
كان يقوده إلى نهايته، إلى أن تقتله يا مينيلاؤس فى الالتحام
المرعب. وبعد أن تقدم كل منهما إلى الآخر، لم يصبه ابن
٦٠٥ أتريوس وانحرف رمحه جانبًا، فى حين أصاب بيساندروس
درع مينيلاؤس المجيد، ولكن لم يخترق البرونز لحمه إذ أوقفه
الدرع كثيف السمك، فتحطم سن الرمح فى الثنية، ولكنه فرح فى
قلبه وتمنى النصر. وهنا شهر ابن أتريوس سيفه المرصع بالفضة
٦١٠ وهاجم بيساندروس، ثم سحب من تحت درعه بلطة من البرونز
المتين، لها مقبض خشبى من شجر الزيتون طويل ومصقول، وفى
اللحظة نفسها صوب كل على الآخر. فأصاب بيساندروس مينيلاؤس
فى قرن خوذته ذات الذؤابة من شعر الحصان.
٦١٥ أما مينيلاؤس فأصابه بينما كان يتقدم نحوه، طعنه فى جبهته فوق
قاعدة الأنف. فتهشمت العظام وسقطت مقلتاه فى بركة من الدماء
تحت قدميه فى التراب، فترنح ثم سقط . ووضع مينيلاؤس قدمه
فوق صدره، وجرده من أسلحته، ووقف مباهيًا بانتصاره فقال:
"على هذا النحو فقد يتأكد أنكم ستتركون سفن الدانائيين ذوى
٦٢٠ الخيول السريعة، أيها الطرواديون المتعجرفون يا من لا تشبع
شهيتكم من هول القتال. فلم تتورعوا عن الإهانة المخزية،
لقد أهنتمونى أيها الكلاب المسعورة، ولم تخش قلوبكم يومًا
٦٢٥ غضب زيوس المدمر، الإله الذى يكرم الضيف ويرسل
الرعد، هو الذى سيسوى بالأرض مدينتكم العالية. فقد خطفتم
زوجتى الشرعية ومعها كنوز كثيرة عبرتم بها البحر،
خطفتموها بخسة، وهى تقوم بواجب الضيافة لكم !
والآن مرة أخرى تطمعون فى إضرام النار المدمرة فى السفن

جوابة البحار، وفى قتل الأبطال الآخيين. لكن سنمنعكم ٦٣٠
عن القتال مهما كان اندفاعكم. أى زيوس الأب ! يقولون إنك
تفوق الجميع حكمة، بشرًا كانوا أم آلهة، ولكن كل هذه المصائب
جاءت من لدنك أنت، فلقد آزرت مرتكبى العنف الطرواديين
المفعمة قلوبهم بالفجور، ولا يشبعون من شرور الحرب اللعينة. ٦٣٥
فللمرء أن يأخذ كفايته من النوم والحب والأغانى العذبة
والرقص الجميل، حقًا من الخير للمرء أن يشبع من هذه الأشياء
لا من الحرب، بيد أن نهم الطرواديين للحرب لا يشبع أبدًا."

ثم جرد مينيلاؤس الذى لا نظير له الميت من أسلحته الملطخة ٦٤٠
بالدماء وأعطاها لرفاقه وعاد هو لينخرط بين مقاتلى الصفوف الأولى.

وهنا وثب أمامه هارباليون ابن الملك بيلايمينيس، الذى جاء مع
أبيه العزيز إلى طروادة حيث القتال، ولكنه لم يعد قط إلى
وطنه الحبيب. لقد اقترب بشدة من ابن أتريوس وأصابه ٦٤٥
فى قلب الدرع، ولكنه لم يتمكن من غرز البرونز فى لحمه،
فعاد واندس وسط رفاقه تجنبًا لمصيره المحتوم، متلفتا فى
كل اتجاه خشية أن يصيب أحد لحمه بالبرونز. فهاجمه
ميريونيس أثناء انسحابه بسهم ذى سن برونزى فأصابه ٦٥٠
فى أعلى فخذه الأيمن، وغاص السهم فى جسده حتى المثانة
تحت عظمة الحوض. فجثم فى مكانه ولفظ أنفاسه الأخيرة
بين أذرع رفاقه الأحباء، وتمدد كالدودة على الارض.
وانهمر منه الدم الأسود ليبلل الأرض، وتولى البافلاجونيون
البواسل أمره، فحملوه فى عربة إلى إليوس المقدسة ٦٥٥
وقد غلبهم الحزن. ويصحبهم أبوه(*) يذرف الدموع، وهو

(*) هو بيلايمينيس الذى على النقيض من ذلك ورد فى الكتاب الخامس (البيت ٥٧٦) أن مينيلاؤس قتله. وقد حاول نقاد كثيرون إيجاد الحلول لهذا التناقض ولكن هوراتيوس تقدم بحل أفضل حيث قال: "بين الحين والحين ينام هوميروس الطيب" *quandoque bonus dormitat Homerus*. (المحرر)

الذى لم يتلق أية دية فى مقابل موت ابنه.

تملك الغضب الشديد باريس لمقتله، فمن بين البافلاجونيين ٦٦٠
الكثيرين كان هارباليون مضيفه ذات مرة. أطلق سهمًا ذا سن برونزى
لكى ينتقم له. وكان هناك من يدعى يوخينور بن بوليئيدوس العراف،
وهو رجل ثرى وخير، وكان يقيم فى كورنثة. جاء بسفينته ٦٦٥
وقد عرف مسبقًا بسوء مصيره المحتوم، فكثيرًا ما أنبأه به
أبوه الشيخ الطيب بوليئيدوس، وفحواه أنه سيموت إما
بمرض عضال فى عقر داره أو يقتل وسط سفن الآخيين
على يد الطرواديين. لذا فقد تخلص من دفع الغرامة ٦٧٠
الباهظة للآخيين(*)، ومن المرض البغيض حتى لا يصيب الغم
قلبه. إذ على الفور ضربه باريس تحت فكه وأسفل أذنه،
فرحلت الروح عن أوصاله وحطت عليه الظلمة الكريهة.

اندلع القتال بين الطرفين كأنه نار موقدة، بيد أن هيكتور
حبيب زيوس لم يكن يعرف أن جنوده دحروا تمامًا ٦٧٥
عند يسار السفن على يد الأرجيين، ومن ثم سيكون النصر
حليف الآخيين، لأن طاوى الأرض ومزلزلها
هو الذى استثار الأرجيين وأمدهم بقوته. فاندفع هيكتور
حيث كان قد قفز فى المقدمة إلى داخل البوابة والحائط، ٦٨٠
واجتاح الصفوف الدانائية المتراصة من لابسى الدروع،
حيث كانت سفن أياس (التيلامونى) وبروتيسيلاؤس على
شاطىء البحر الرمادى ومن خلفها شيد الحائط منخفضا،
وهناك اشتعل الرجال والجياد قتالا.

ولم يستطع البويوتيون والأيونيون ذوو ٦٨٥
السترات الطويلة واللوكريون والفثيون والإيبيون ذوو

(*) كانت تدفع هذه الغرامة – كما يفهم من النص – عوضًا عن الخدمة العسكرية فى الحرب. (المحرر)

الأسلحة اللامعة، لم يستطيعوا صد هجمة هيكتور الإلهى
المندفع كاللهب صوب السفن، ولم يوقفوه. حتى صفوة
الأثينيين؛ وكان قائدهم مينيسثيوس بن بتيوس، وتبعه
فيداس وستيخيوس وبياس المقدام، بينما كان الإيبيون ٦٩٠
بقيادة ميجيس بن فيليوس وأمفيون ودراكيوس. وكان فى
طليعة الفثيين ميدون وبوداركيس البارعان فى القتال.
وكان الأول (ميدون) ابنا غير شرعى لأويليوس شبيه الآلهة
أخًا لأياس، ولكنه كان يقيم فى فيلاكى بعيدًا ٦٩٥
عن مسقط رأسه، لأنه كان قد قتل رجلا من أقرباء
إريوبيس زوجة أبيه أويليوس. وكان الآخر بوداركيس ابنا
لايفيكلوس بن فيلاكوس. وكانا قد ارتديا دروع الحرب فى
طليعة الفثيين البواسل دفاعا عن السفن مع البويوتيين. ٧٠٠

وما كان لأياس بن أويليوس السريع ليبتعد عن أياس بن
تيلامون ولو للحظة واحدة. لقد كانا مثل ثورين بلون النبيذ ربطا
فى محراث واحد يحرث أرضًا مراحة. يتصبب العرق غزيرًا
عند قرونهما، ولا يفصل بينهما سوى النير الصقيل.
وهما يجران معًا المحراث حتى يصل سهمه إلى حافة الحقل.
هكذا يقف المحاربان جنبًا إلى جنب فى ثبات، وجاء مع ابن ٧٠٥
تيلامون العديد من الجنود البواسل رفاقًا وأتباعًا،
كانوا يأخذون منه الدرع حين ينهك العرق والتعب أوصاله.
أما اللوكريون فلم يتبعوا ابن أويليوس الباسل، لأنهم ٧١٠
لم يقدروا على الصمود فى الالتحام القتالى المباشر، إذ لم تكن
لديهم خوذات برونزية ذات ذؤابة سميكة من شعر الحصان،
ولم تكن لديهم دروع مستديرة ولا رماح رمادية، بل تبعوه إلى إليون
معتمدين على الأقواس ذوات الأوتار من صوف الغنم. ٧١٥
وكان بعضهم يرمون قذائفهم بقوة وسرعة، وحاولوا اختراق

صفوف الطرواديين. فخاض محاربو المقدمة
لابسو الدروع دقيقة الصنع القتال ضد الطرواديين وهيكتور ذى الدرع ٧٢٠
البرونزى. أما الآخرون من ورائهم فكانوا يطلقون قذائفهم
دون أن يراهم أحد. وظن الطرواديون أنهم تركوا
المعركة فأربكتهم قذائف الأقواس.
كاد الطرواديون يتراجعون تاركين السفن والخيام إلى إليون
عاصفة الريح، لولا أن اقترب بوليداماس من هيكتور المقدام وقال : ٧٢٥

"أى هيكتور، كم هو عسير التعامل معك، فأنت لا تقبل
كلمات الإقناع، وقد أنعم الإله عليك بما لم ينعم به على أحد آخر فى
فنون القتال، وفى الرأى تتمتع بحصافة تفوق الجميع.
بيد أنه من المحال أن تهيمن على كل شىء بمفردك. ٧٣٠
فالإله ينعم على هذا بالتفوق فى فنون الحرب، ويهب
ذاك الرقص، ويمنح آخر الشعر والأغانى، وفى صدر
آخر يودع زيوس – بعيد الإدراك – عقلاً راجحًا ليكون
هاديًا للناس، ويحرم آخر من هذه النعمة. فاسمع لما أرى
أنه الحق: انظر حولك تجد دائرة القتال مستعرة وهاهم الطرواديون ٧٣٥
البواسل وقد عبروا فوق الحائط ووقف بعضهم بأسلحتهم على
مبعدة، وبعضهم الآخر لازال يقاتل، قلة تواجه كثرة، مبعثرين
بين السفن. فلنعد للوراء ولتنادى كل البواسل، وبعد ذلك
نتدبر كل رأى. فإما أن نهاجم السفن ذات المقاعد العديدة ٧٤٠
إن شاء الإله أن يهبنا النصر هكذا، أو أن نتخلى عن السفن.
وبالنسبة لى فالحقيقة أنى أخشى أن يكون الدور على الآخيين
اليوم لتسديد دين الأمس. فهناك فى السفن أرى رجلا(*) ٧٤٥
لا يشبع نهمه للحرب، ولا أظن أنه سيظل هكذا عزوفًا عن القتال".

(*) يعنى أخيليوس. (المحرر)

هكذا قال بوليداماس، وكان لرأيه حسن القبول لدى هيكتور،
فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وخاطبه بكلمات مجنحة:

"أي بوليداماس، احتفظ أنت هنا بكل الرجال، أما أنا فسألتحم　　٧٥٠
في القتال، وسأعود سريعًا بعد أن أكون قد أرهقتهم تمامًا".

هكذا كان رده، واندفع كأنه جبل ثلجي(*)، وأسرع مطلقا
صيحات مدوية لاستنفار الطرواديين وحلفائهم. فهرعوا　　٧٥٥
دفعة واحدة إلى بوليداماس ذي القلب الطيب ابن بانثوؤس
بمجرد أن سمعوا صيحة هيكتور. ولكنه صال وجال
وسط مقاتلي الصفوف الأولى بحثا عن
ديفوبوس والأمير القوي هيلينوس وأداماس
بن أسيوس وأسيوس بن هيرتاكوس، إن　　٧٦٠
صادفهم. فلم يعثر لهم على أثر بين الأحياء، بل
كان بعضهم مطروحًا على الأرض في مؤخرة
سفن الآخيين وبعد أن قضى عليهم الأرجيون،
بينما كان بعضهم الآخر خلف الحائط وقد أصابتهم
طعنات السهام والرماح. وأخيرًا عثر على أحدهم على　　٧٦٥
يسار ساحة المعركة، وهو ألكسندروس الإلهي زوج
هيليني ذات الخصلات الجميلة، وكان لا يزال يحرض
رفاقه على القتال، فاقترب منه ووجه إليه كلمات مخزية:

"أي باريس التعس! أيها الجميل شكلاً فقط ! مجنون النساء،
أيها العابث! أرجوك أين ديفوبوس والأمير القوي هيلينوس　　٧٧٠
وأين أداماس بن أسيوس وأسيوس بن هيرتاكوس؟ وأين
أوثريونيوس؟ أنبئني . فلقد أتى الدمار تماما على أكثرهم،

(*) أربك هذا التشبيه الكثير من النقاد وإن كان فرجيليوس قد قلده "الإينيادة" (الكتاب الثاني عشر ٦٩٩ وما يليه). فما وجه التشابه بين محارب يشتعل لهفة على القتال وجبل ثلجي؟ وارجع للمقدمة. (المحرر)

ومن المؤكد أنه لا يأتى منك سوى الهلاك المطبق".

فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة:

"أى هيكتور أراك تكيل اللوم على من لا يستحق أى لوم ٧٧٥

فهل انسحبت من الحرب ولو مرة واحدة ؟ فأمى لم تلدنى جبانًا

متخاذلاً. ومنذ أن اندلعت المعركة بجوار السفن ونحن مع رفاقك

صامدون هنا، نقاتل الدانائيين بلا هوادة. لكن رفاقنا الذين

تسأل عنهم لقوا حتفهم. ولم يترك المعركة سوى ديفوبوس ٧٨٠

والأمير القوى هيلينوس، كل منهما مصاب فى يده برمح

طويل، لكن ابن كرونوس صد عنهما خطر الموت.

فانطلق أنت حيثما يملى عليك قلبك، فسنتبعك بكل همة، فنحن

لا تنقصنا البسالة والإقدام مادامت لنا بقية قوة. ٧٨٥

ولكن ليس بوسع أحد فقد القوة أن يقاتل مهما كان حماسه".

هكذا قال المحارب فأقنع أخاه، واندفعا إلى حيث توهجت

نيران القتال حول كيبريونيس وبوليداماس الذى لا نظير له،

وفالكيس وأورثايوس وبوليفيتيس شبيه الآلهة، وبالميس ٧٩٠

وأسكانيوس وموريس بن هيبوتيون، وقد جاءوا من

أسكانيا عميقة التربة صباح الأمس فقط ليحلوا محل

رفاقهم، لقد زج بهم زيوس الآن إلى المعركة. فكانوا

مثل الرياح العاتية هبت عاصفة بالأرض من تحتهم، بينما رعود ٧٩٥

زيوس الأب من فوقهم تدوى وقد خالطت أمواج البحر التى

تعقبها أمواج أخرى ترغى بزبدها الأبيض. هكذا كان

الطرواديون بصفوفهم المتراصة يهرولون كأمواج تعقبها

أمواج، مندفعين وراء قادتهم، وبريق البرونز يلمع من حولهم جميعًا. ٨٠٠

كان يقودهم هيكتور بن برياموس قرين آريس، مهلك الفانين.

يضع أمامه درعه المتين المتوازن من كل جانب والمبطن

بجلد الثور وقد التصق به كثير من البرونز، وعلى وجنتيه

تتماوج حلقات خوذته اللامعة. وراح يصول ويجول هنا ٨٠٥
وهناك مستعرضًا الفرق، وهم يفسحون له الطريق أثناء
تقدمه خطوة خطوة محتميًا بدرعه. وما كان له بذلك كله
أن يخمد حماس الآخيين. إذ جرى أياس بخطوات سريعة
نحوه، وكان أول من تحداه قائلا :

٨١٠ "اقترب أيها السيد الهمام، لماذا تطمع هكذا فى أن تخيف
الأرجيين؟ اعلم أننا لا نجهل فن القتال، ولكننا نحن الآخيين
رضخنا لحكم زيوس الرهيب. يتمنى قلبك أن تسلب السفن،
ولكن تيقن أن لنا أيدٍ قادرة على الدفاع عنها، ومقدر على
مدينتكم الآهلة أن تدمرها أيدينا، وتستولى عليها. وبالنسبة لك
أنت فسيأتى قريبًا اليوم الذى تتوسل لزيوس الأب وغيره ٨١٥
من الخالدين أن تكون خيولك ذات اللبدة الجميلة أكثر
سرعة من الصقور فى المعركة، حتى تلوذ بك إلى المدينة
مثيرة الغبار فوق السهل". ٨٢٠

وبينما كان يتحدث حلق طائر على يمينه، نسر
يطير فى أجواز الفضاء، فصاح جيش الآخيين صيحة
مدوية متهللين بهذا الفأل الطيب للآخيين، بيد أن هيكتور
المجيد رد عليه بقوله:

"أى أياس! يا من تنقصك الفصاحة ! ماهذا التبجح فيما
زعمت؟ أنا أفخر دومًا بأنى ابن زيوس حامل الدرع أيجيس، ٨٢٥
وأمى هيرا هى مليكة السماء، فلى من الشرف ما لأثينة
وأبوللون. سيأتى حقًا ذلك اليوم بالوبال على الأرجيين
كافة؛ وستقتل أنت نفسك معهم، إذا استبسلت وصمدت لرمحى
الطويل الذى سيمزق جلدك الناعم. وسيكون شحمك ولحمك ٨٣٠
طعامًا سائغًا لكلاب الطرواديين وطيورهم، عندما تسقط

وسط سفن الآخيين".

هكذا قال واندفع فى طريقه، وتبعه الأتباع

فى ضجة وجلبة، وبدأ الجنود من ورائهم يطلقون الصيحات

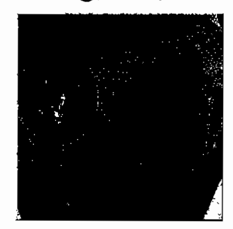
المدوية. ورد عليهم الأرجيون بصيحات ٨٣٥

مماثلة ولم يتخلوا عن شيء من بسالتهم، بل صمدوا أمام

جحافل الطرواديين. وملأ صخب الحبيشين الآفاق

فبلغ أثير زيوس العلوى وأشعته البازغة. ٨٣٧

الكتاب الرابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

لم تفت صيحات المعركة أبدًا نيستور،
إذ خاطب ابن أسكليبيوس بكلمات مجنحة قائلاً:
"أى ماخاؤن، يا شبيه الآلهة، فكر كيف تكون نهاية هذا الموقف،
صرخات المحاربين البواسل تدوى عاليًا عند السفن.
لتبق أنت هنا، وارتشف أنت من كئوس الخمر المتألقة ولتُعدّ لك ٥
هيكاميدى مجدولة الضفائر حمامًا دافئًا، واغسل عنك بقع الدم.
بينما سأمضى أنا، توًا، إلى مكان المراقبة؛ لأستطلع الأمر
"قال ذلك وأخذ درع ابنه الصقيل ١٠
ثراسيميديس مروض الجياد، ذلك (الدرع) الملقى بالخيام
يتلألأ عليه البرونز. وكان الابن قد أخذ درع أبيه،
فأمسك (نيستور) الرمح البرونزى الحاد المصقول
ووقف خارج الخيام، فرأى أمامه مشهدًا مشينًا. فهؤلاء (الآخيون)
يطردون ويتفرقون فلولا، وأولئك الطرواديون متحجرو
القلوب يطاردونهم، حتى تهدم حصن الآخيين. ١٥
ومثلما يتمخض البحر الهائل متورمًا بموجة هادئة،
منذرًا مجاريه السريعة (بقدوم) رياحٍ عاصفة
متصاعدًا لا يزال، فلا هو يهرول إلى الأمام، ولا إلى الخلف،
حتى تهب عاصفة مرسلة من زيوس فتقرر الاتجاه.
هكذا، تحير الشيخ، وكان مشتت الفكر ٢٠
فثمة أمران: أن يهرع إلى حشد الدانائيين سريعى الخيول،
أو أن يقصد أجاممنون بن أتريوس راعى الشعب.
وبينما كان يتفكر، بدا له أنه من الأفضل فى هذا (الموقف)
أن يذهب إلى ابن أتريوس، بينما الآخرون يقاتلون بعضهم البعض،
ويئز البرونز الذى لا يكل حول أجسامهم ٢٥
بينما كان يعصف كلٌ بالآخر بالسيوف والحراب مزدوجة الرءوس.

وهناك، التقى نيستور بالملوك، من سلالة زيوس،
وكانوا قد أصيبوا بالأسلحة البرونزية، أثناء عودتهم من السفن،
ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أتريوس.
فكانوا قد سحبوا كل السفن ٣٠
إلى الشاطئ، وبنوا سورًا على البر ليحميها
ومع أن الشاطىء كان واسعًا إلا أنه لم يسع كل السفن،
وتكدس المحاربون فى مكان ضيق. سحبوا السفن
صفًا وراء صف حتى ملأوا فم الشاطىء العريض بأكمله، ٣٥
والذى تحوطه نتوءات اليابسة.
واندفع (الملوك) جميعهم كجسد واحد متكئين على
رماحهم متلهفين على الحرب والنزال، وقلوبهم تئن فى صدورهم.
وقابلهم نيستور الشيخ قادمين على هذا النحو،
فأشاع فى قلوب الآخيين رعبًا. ٤٠
رفع الملك أجاممنون صوته قائلاً:

"أى نيستور، يا ابن نيليوس، يا مجد الآخيين العظيم،
لماذا جئت هاهنا تاركًا المعركة الفتاكة؟
أخشى أن يفى هيكتور الهمام بتهديداته
التى توعدنا بها سلفاً، إذ كان قد خطب فى الطرواديين ذات مرة ٤٥
مهددًا بأنه لن يرحل إلى إليون من السفن،
قبل أن يحرق السفن بالنار ويقتل مَنْ بها(*).
هذا ما تفوه به، وهذا كله ما سيتحقق.
ويحى! إن سائر الآخيين المزودين بالدروع جيدًا
يحملون المقت لى، مثلما يحمل أخيليوس، ٥٠
وليسوا راغبين أن يخوضوا المعركة عند مؤخرات السفن"

(*) راجع الكتاب الثامن بيت ١٨١. (المحرر)

فأجابه نيستور الفارس الجيرينى:
"حقًا فكل هذه التهديدات قد تحققت وباتت واقعًا،
ولا يستطيع مساعدتنا حتى زيوس نفسه، الذى يرعد فى عليائه
وا أسفاه! الحائط تحطم، ذلك ما كنا نثق به ٥٥
ونعده حصنًا منيعًا لنا وللسفن.
الحق أن هؤلاء (الأعداء) يشنون عند السفن حربًا
لا هوادة فيها، فلا تستطيع أن تعرف، ولو شاهدت
عن قرب، من أى ناحية يتقهقر الآخيون فى فوضى،
يتهاوون قتلى، وصيحات الحرب تبلغ عنان السماء. ٦٠
أما عنًا، فدعنا نتفكر فيما تعنيه هذه الأمور
لو كان التعقل يجدى نفعًا، فنصيحتى ألا ندخل الحرب.
إذ ينبغى، على الجريح ألا يحارب بأية حال"
وأجابه بدوره أجاممنون ملك الرجال:
"أى نيستور، طالما أن (الطرواديين) يقاتلون وراء السفن ٦٥
ولا يحمينا الخندق أو الحائط،
فإن العبء على الدانائيين ثقيل، فقد كان الأمل يراودهم
أن يحميهم الحائط المنيع ويحمى سفنهم، ومن ثم،
فظنى أنها مشيئة زيوس الباطش،
أن يهلك الآخيون هنا بعيدًا عن أرجوس. ٧٠
أدركت ذلك عندما كان يساعد الدانائيين بكل جبروته
وعرفت ذلك، الآن، وهو يمنح أعداءنا المجد دوننا،
وكأنهم من الآلهة المباركة، بينما يغل قوتنا وأيدينا.
إذن تعالوا، وكما آمركم، فليطع الجميع أمرى
لنمخر بالسفن التى سُحبت فى المقدمة بالقرب من البحر، ٧٥
وندفعها جميعًا تجاه البحر الإلهى، نربطها هناك،
فى مرسى عائم، إلى أن تحل ليلة مباركة قد يكف فيها الطرواديون،

عن القتال، وحينئذ، يمكن دفع السفن كلها (إلى البحر)
فليس فى تجنب الخراب عار ٨٠
فالفرار من الهلاك أفضل من الوقوع فى الأسر"
رماه أوديسيوس واسع الحيلة بنظرة ثاقبة مستنكرًا وقال:
"يا ابن أتريوس، ما ذلك الكلام الذى انفلت من بين أطراف أسنانك؟
تبًا لك من رجلٍ، ليتك كنت تقود جيشًا ما آخر مغمورًا،
ولم تكن ملكًا علينا نحن، فزيوس قدّر لنا، ومنذ نعومة أظافرنا ٨٥
إلى كهولتنا، أن نخوض غمار الحرب الضروس طيلة حياتنا،
وحتى الموت. أهكذا أنت مشتاق إلى أن تترك وراءك مدينة
الطرواديين واسعة الشعاب، والتى من أجلها عانينا شرورًا لا تُعد؟
الزم الصمت خشية أن يسمع آخيىٌّ آخر ٩٠
هذا الكلام، فلن يجرؤ أحدٌ التفوه بمثله مطلقًا.
جديرٌ بك أن تحرص، ومن قلبك، على التحدث بالحقائق.
فأنت ملكٌ ذو سلطان، يأتمر له جيش عريض
من الأرجيين الذين تحكم فيهم.
كم أحتقر أفكارك تلك التى نطقت بها! ٩٥
فأنت تأمرنا، ونحن فى ذروة القتال وصيحة الحرب،
أن نسحب السفن متينة المقاعد إلى البحر، حتى
يحقق الطرواديون أملهم، أكثر من ذى قبل. فهم الآن منتصرون
وربما يحيق بنا الهلاك، فلن يستمر الآخيون فى القتال،
بمجرد أن تنزلق السفن إلى البحر، بل سيتلفتون هنا وهناك ١٠٠
وينسحبون من المعركة، إذن ستهلكنا خطتك، يا قائد الجيوش"
فأجابه أجاممنون ملك الرجال:
"الحق أنك، بتأنيبك الموجع، لمست قلبى يا أوديسيوس
وأؤكد أننى لن آمر الآخيين ضد رغبتهم ١٠٥
أن يرسلوا سفنهم متينة المقاعد إلى البحر

ولو أن فيكم، صغيرًا كان أو كبيرًا،
من هو بمقدوره أن يسدى النصيحة السديدة فسأقبلها"
وخطب فيهم، كذلك، ديوميديس البارع فى صيحة الحرب قائلاً:
"إنه رجل بالقرب منا، ولن نبحث عنه لوقت طويل، ١١٠
إذا وافقتم أن تصغوا لى، ولم يعرض أحدكم عنى
أو يغضب منى، إذ إننى الأصغر سنًا بينكم.
بيد إننى، أفخر بأننى من نسل والد نبيل
هو تيديوس الذى دفن تحت الثرى فى طيبة،
حيث كان قد أنجب بورثيوس ثلاثة أولاد ليس كمثلهم أحدٌ ١١٥
كانوا يقطنون بليورون وكاليدون المرتفعة
وهم أجريوس وميلاس وثالثهم الفارس أوينيوس
جدى لأبى، الذى يفوقهم بسالة.
فبقى (أوينيوس) هناك، واستقر والدى فى أرجوس
التى ذهب إليها، وكانت تلك إرادة زيوس وباقى الآلهة ١٢٠
وتزوج إحدى بنات أدراستوس(*) وسكن فى قصر
غنى بثرواته، وحقوله غنية بالقمح
حوله بساتين كثيرة من أشجار الفاكهة
وأغنام كثيرة، وكان متفوقًا على كل الآخيين برمحه.
ولابد أنكم سمعتم بذلك وتعرفون أن ما أقوله الحق ١٢٥
أستحلفكم ألا تتحدثوا عنى وكأنى وضيع المولد أو قليل الشأن،
ولا تسفهوا ما سأسديه من رأى، فإنى أصدقكم القول:
هلموا إلى القتال، حتى وإن كنا مجروحين، كما تملى الضرورة
وبعد حين علينا أن ننأى بأنفسنا بعيدًا عن الحرب فيما وراء
مرمى القذائف، خشية أن يضاف جرحٌ إلى جراحنا ١٣٠
ونسارع بإرسال آخرين إلى الحرب، هؤلاء الذين

(*) يرد هذا الاسم عند هوميروس هكذا أدريستوس **Adrestos**، أما ابنته فهى ديبولى **Deipule**. (المحرر)

فرحوا بكونهم بعيدًا، فى معزل عن القتال"

هكذا تكلم، وكانوا صاغرين ينصتون باهتمام
وانطلقوا راحلين، يقودهم أجاممنون ملك الرجال
ولم يكن مزلزل الأرض المجيد (بوسيدون) يراقب الأحداث بلا وعى ١٣٥
بل كان يتتبع خطاهم عن قرب فى صورة رجل كهل.
وقبض على يد أجاممنون بن أتريوس اليمنى
رافعًا صوته وخاطبه بكلمات مجنحة:

"يا ابن أتريوس، أرى، فيما أرى، قلب أخيليوس القاسى
بداخل صدره فرحًا، لرؤية هلاك الآخيين ومرارهم، ١٤٠
ولم يعد لديه ولو قدر ضئيل من العقل.
ليته يهلك! ليت الإله يخسف به إلى أسفل سافلين!
لكن الآلهة المباركة ليست غاضبة منك البتةَ،
وبعد قليل سيملأ قادة الطرواديين ورؤساؤهم
الوادى الفسيح بالغبار، وتراهم بنفسك ١٤٥
هاربين من السفن والخيام، ناحية مدينتهم"

قال ذلك وهرع فوق السهل وصاح بقوة،
وكان صياحه مدويًا، كصياح تسعة آلاف رجل أو ربما عشرة آلاف
عندما اشتبكوا فى معركة إله الحرب (آريس) الضارية.
كانت صيحة الإله مُزلزل الأرض تخرج من صدره مروعةً، ١٥٠
حتى بث قوة هائلة فى قلب كل رجلٍ من الآخيين ليحارب
ويقاتل بمثابرة كانت هيرا ذهبية العرش واقفة فوق قمة
الأوليمبوس تنظر إليه، وعرفته عندما كان منطلقًا
ومنهمكًا، هنا وهناك، فى المعركة جالبة المجد للرجال، ١٥٥
فهو أخوها وصهرها أيضًا(*). وكانت سعيدة من قلبها

(*) فى الأساطير تزوجت هيرا من أخيها زيوس أخو بوسيدون. (المحرر)

كما رأت زيوس جالسًا على أعلى قمة إيدا كثير الينابيع
وكان بغيضًا إلى قلبها، حينئذٍ فكرت هيرا المليكة
ذات العيون الواسعة كعيون المها. كيف يمكنها خداع عقل زيوس
حامل الدرع أيجيس، فبدت هذه الخطة لديها هى الأفضل. ١٦٠
وهى أن تتزين وتتجمل، وتذهب إلى إيدا، لربما يرغب أن
يرقد إلى جانبها ويحتضن جسدها شهوة،
وربما تستطيع أن تغدق نومًا عميقًا لذيذًا على جفنيه وعقله البارع. ١٦٥
وتوجهت إلى حجرتها التى بناها لها ابنها العزيز
هيفايستوس، وثبت أبوابًا توصد بمزاليق
خفية على دعائم حتى لا يفتحها أى إله آخر.
دخلت إليها وغلقت الأبواب الناصعة،
وبدأت بأن غسلت، بعطر إلهى (أمبروسيا) ١٧٠
كل ما يشوب جمال جسدها البديع، وبغزارة دهنته بزيت
إلهى ناعم فواح شذاه، فاح فعلاً فى أرجاء قصر زيوس برونزى
العتبات وانداحت الرائحة تجوب جنبات الأرض والسماء.
ملَسَت بالعطر على جسدها الجميل، ومشطت ١٧٥
شعرها وضفرت بيديها ضفائرها المتألقة
الربانية الجميلة التى تنساب من رأسها الخالد.
وألبست نفسها ثوبًا ربانيًا غزلته
لها أثينة بمهارة فائقة، ووضعت عليه زخرفًا متأنقًا
وثبتت على صدرها مشابك ذهبية، ١٨٠
وطوّقت نفسها بحزام تكسوه مائة شرّابة.
ثم وضعت الأقراط فى أذنيها المثقوبتين،
لآلىء ثلاث يشع منها جمال فائق،
وغطت الربة المتألقة نفسها بشبكة على شعرها،
وعباءة جميلة تضىء مثل أشعة الشمس، ١٨٥

وارتدت صندلها الجميل فى قدميها البراقتين.
وما أن انتهت من زينة جسدها،
حتى خرجت من حجرتها، وتوّا نادت أفروديتى
بعيدًا عن باقى الآلهة وتحدثت إليها قائلة:

"أى بنيتى العزيزة، ألا تستجيبين إلى ما أسألك إياه؟ ١٩٠
أم أنك سترفضين لغضب كامنٍ فى صدرك
إذ أقدم أنا العون للدانائيين، بينما أنت تقدميه للطرواديين؟"

فأجابتها أفروديتى ابنة زيوس:
"أى هيرا، أيتها الربة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم
هات ما لديك، إن قلبى ليأمرنى أن أستجيب له ١٩٥
طالما أستطعت ومادام الأمر مما يمكن تحقيقه"

فقالت المعبودة هيرا ذات المكر:
"امنحينى، الآن، الحب والرغبة اللذين بهما تقهرين كل الآلهة
والبشر الفانين. وإنى ذاهبة لأزور الأرض السخية مترامية الأطراف ٢٠٠
وأوكيانوس الذى من نسله جاء كل الآلهة(*)، وتيثيس
الأم فهما مَنْ ربيانى فى قصرهما بحب وإعزاز
عندما أخذانى من ريا، حيث دفع زيوس –
بعيد النظر – كرونوس ليقطن تحت الأرض والبحر الهائج.
إننى ذاهبة لأزورهما ولأهدىء نزاعهما الدائم. ٢٠٥
فقد ابتعد كلٌّ عن الآخر منذ وقت بعيد وحتى الآن
عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلبيهما وصل الغضب.
وإذا استطعت أن أقنع قلبيهما بكلماتى،

(*) ورد فى محاورة لأفلاطون (Kratylos 402) ما نقل عن أورفيوس أن أوكيانوس كان أول من تزوج، حيث زف إلى أخته تيثيس. وهذه الفكرة عن الأوكيانوس (المحيط) النهر الذى يحيط بالأرض بوصفها أسطورة الخلق genesis ربما تعود لأصول شرقية أو بصفة خاصة مصرية قديمة. (المحرر)

وأعيدهما إلى فراش الحب متعانقين سيدعوانني
صديقةً أبدية جديرة بكونها معبودة" ٢١٠

فأجابتها أفروديتى الضحوك:
"أيليق أن أقول لك لا، أويصح ذلك؟!
أنت يا مَنْ تنامين بين ذراعى زيوس القدير"

وحلت حزام السحر(*) من صدرها، وكان سخى التطريز
مزركشاً، بكل ألوان الفتنة صُنع ٢١٥
وعليه الرغبة ولذيذ الكلام والإغواء،
الذى يسلب حتى لب أحكم الحكماء،
ووضعته بين يديها وتحدثت إليها قائلة:

"خذى هذا الحزام المزركش الآن، وضعيه حول
صدرك، فعليه نُقشَ كلُ شئ، وأعدك ٢٢٠
أنك لن تعودى بغير بغيتك مهما كانت"

وابتسمت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها لقول (أفروديتى)
ووضعت الحزام الجميل حول صدرها.
ثم ذهبت أفروديتى ابنة زيوس إلى مقرها،
بينما وثبت هيرا فى عجالة تغادر قمة الأوليمبوس ٢٢٥
ومرت فوق أرض بيريا وفوق إماثيا الجميلة،
وأسرعت فوق جبال الفرسان الطراقيين الجليدية
من أعلى قممها ولم تطأ قدماها الأرض،
وسارت من أثوس، بعيدًا، فوق البحر المتلاطم
فوصلت إلى ليمنوس، مدينة ثوأس الربانى، ٢٣٠

(*) هذا الحزام الساحر الذى ترتديه أفروديتى (فينوس) ذاع فى الشعر اللاتينى يقول مارتياليس (VI, 13) مخاطبًا يوليا بنت عم الإمبراطور "إذا أحب مارس أو مرسل الرعد يوبيتر من جديد، سألتك زوجاتهم الإلهات حزام الجاذبية". (المحرر)

فقابلت (إله) النوم (هيبنوس) هناك، شقيق (إله) الموت (ثاناتوس)
فأمسكته من يده، وخاطبته قائلة:
"أى (إله) النوم (هيبنوس)، يا ملك الآلهة والبشر جميعًا،
لطالما أصغيت فيما مضى إلى كلامى، فأطعنى الآن أيضًا
وسأدين لك بالعرفان طوال أيامى كلها. ٢٣٥
من أجلى هدهد عينى زيوس البراقتين تحت جفنيه حتى ينام،
بمجرد أن أضطجع إلى جانبه عشقًا.
وسأغدق عليك الهدايا – عرشًا جميلاً لا يفنى
مصنوعًا من الذهب، سيصنعه لك بمهارة هيفايستوس ابنى
الذى يعرج بساقيه، وسيضع لك مسندًا للقدمين ٢٤٠
من تحته حيث تريح قدميك اللامعتين عليه عند الطعام"
وسرعان ما رد (إله) النوم (هيبنوس) اللذيذ على الربة:
"أى هيرا، أيتها الربة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم!
إننى أستطيع ببساطة أن أهدهد
للنوم أى إله آخر من الخالدين، ولو كانت ٢٤٥
جداول نهر أوكيانوس ذاتها، تلك التى انحدرت منها الأشياء كلها.
إلا أننى لا أستطيع، بأى حال أن أدنو من زيوس بن كرونوس،
ولا أن أهدهد عينيه إلى النعاس، إلا إذا أمرنى هو نفسه بذلك.
فقد تلقنت منك، فيما مضى، درسًا
فى ذاك اليوم، حين أبحر الباسل المجيد ٢٥٠
ابن زيوس (هرقل)، من إليون، بعدما دمر مدينة الطرواديين
حينئذٍ، هدهدت لكِ عقل زيوس حامل الدرع أيجيس للنوم
ونثرت حوله غلالة العذوبة، بينما أوغرت أنتِ شرًا فى قلبك
تجاه ابنه وهيَّجت عواصف من الرياح القاسية على سطح البحر
وألقيتِ (بهرقل) بعيدًا عن كوؤس (كوس) الآهلة بالسكان ٢٥٥
بعيدًا عن أحبائه جميعًا، وما أن استيقظ زيوس حتى غضب

وأخذ يدفع الآلهة، حول قصره، هنا وهناك مستهدفًا إياى
فى المقام الأول، وكاد يلقى بى من السماء لأتوارى فى المياه
لولا (إلهة) الليل (نوكس) التى تهدهد الآلهة والرجال
فلجأت إليها هاربًا وأنقذتنى، وكفَّ زيوس عن ملاحقتى رغم غضبه　٢٦٠
الشديد فكان يحترم إلهة الليل (نوكس) السريعة، ولم يكن
ليمسها بسوء. وها أنت الآن تعيدين الكرة وتأمرينى بفعل المحال"

فقالت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
"يا إله النوم (هيبنوس)، لمَ تشغل روحك بمثل هذه الأفكار؟
هل ترى أن زيوس بعيد النظر، سيساعد　٢٦٥
الطرواديين بسبب غضبه من أجل هيراكليس (هرقل) ابنه؟
تعال، سأزوجك إحدى عرائس الحُسن (خاريتيس)
وستدعى زوجتك إلى الأبد
باسيثيا التى تتوق إليها أنت نفسك دومًا"(*).

تهلل إله النوم (هيبنوس)، إذ سمع ذلك، وأجابها قائلاً:　٢٧٠
"أحقًا ستفعلين هذا!؟، تعال إذن واقسمى بمياه ستيكس الطاهرة
وضعى إحدى يديك على الأرض، الأم السخية،
والمسى البحر البهى بالأخرى، ليشهد كلاهما علينا
وكذلك الآلهة كلها التى تسكن الكون مع كرونوس.
أيمكن حقًا أن تعطينى إحدى عرائس الحسن (الخاريتيس)　٢٧٥
وأن تكون هى باسيثيا التى، على مر الزمان، أتحرق لها شوقًا"

قال ذلك، فلم تتوان هيرا الربة ذات الذراع الأبيض،
فى أن تطيع وتقسم كما طلب منها، وأشهدت الآلهة جميعًا
ممن يقيمون أسفل تارتاروس ويدعون باسم الجبابرة تيتانيس.
أدت هيرا لإله النوم هيبنوس القسم　٢٨٠

(*) تحذف بعض الطبعات هذا البيت رقم ٢٦٩ وقارن بيت ٢٧٦. (المحرر)

ثم رحل الاثنان عن ليمنوس وإمبروس
ومضيا متدثرين بالضباب مسرعين فى طريقهما.
وسرعان ما وصلا إلى إيدا كثير الينابيع ومرتع الوحوش
وإلى ليكتوس؛ حيث غادرا البحر أولاً وسارا الاثنان فوق
الأرض الجافة حيث اهتزت قمة الغابة تحت أقدامهما. ٢٨٥
هناك، توقف النوم إله هيبنوس لكيلا تلمحه عينا زيوس،
وتسلق فوق شجرة صنوبر شاهقة، وهى أعلى شجرة
نمت، حينئذٍ، على جبل إيدا، وكانت تتجه صوب السماء تناطح السحاب
هناك، جلس فى الظلام مستترًا بغصون الصنوبر.
واتخذ هيئة طائر عالى الصوت من طيور الجبال، ٢٩٠
يعرفه الآلهة بخالكيس (برونزى اللون)، ويعرفه البشر بكيميندیس
(البومة الصغيرة)(*). وجاءت هيرا مسرعةً قرب قمة جارجاروس
حافة (جبل) إيدا الشاهق، فرآها زيوس جامع السحب
ملأ منها ناظريه، وما أن وقع بصره عليها
حتى دهم العشق قلبه الحكيم وكأنما هى المرة الأولى التى انسلا فيها ٢٩٥
معًا إلى الفراش، وطارحها الغرام الدافئ، على غير علم والديهما(**)
فتسمَّر قبالتها وهمس إليها:

"أى هيرا، ما الذى أتى بك إلى هنا من الأوليمبوس؟
ماذا تبغين؟ إن خيولك ليست معك، ولا حتى عربتك التى تعتليها"
فأجابته المعبودة هيرا بدهاء الأنثى: ٣٠٠
"أتيت لأزور أقصى أطراف الأرض المثمرة
وأوكيانوس منجب الآلهة، وتيثيس أمهم،
فهما اللذان ربيانى فى قصرهما بحب وإعزاز
أتيت لأزورهما، ولأهدئ نزاعهما الدائم.

(*) الاسم العلمى لهذا الطائر وهو من أكبر وأشرس الطيور الجارحة bubo maximus. (المحرر)
(**) يعلق أفلاطون (الجمهورية ٢٩١) على هذه الفقرة. (المحرر)

فقد تباعدا منذ وقت بعيد، وحتى الآن، ٣٠٥
عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلبيهما وصل الغضب.
خيولى تقف عند سفح إيدا كثير الينابيع،
لتحملنى فوق اليابسة وفوق مياه البحر.
فما جئت هاهنا من الأوليمبوس إلا من أجلك،
خشية أن تغضب منى، فيما بعد، إن ذهبت دون ٣١٠
إذن منك إلى بيت أوكيانوس عميق الانسياب"

فأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:
"أى هيرا، تستطيعين أن تذهبى إلى هناك فيما بعد.
أما الآن، فتعال، حتى نسعد ونضطجع معًا عشقاً.
فلم يواتنى الشوق إلى ربة أو حتى إلى امرأة ٣١٥
بمثل ما غمر قلبى ويدفعنى لإشباعه الآن.
بل إننى لم أتيم عشقًا، ولا حتى بعروس إكسيون(*).
التى أنجبت لى بيريثوؤس، صنو الآلهة فى المشورة.
ولا شغفتنى حتى داناى، جميلة الكعبين، ابنة أكريسيوس،
التى أنجبت لى بيرسيوس ذائع الصيت بين الرجال أجمعين. ٣٢٠
وما همت بابنة فوينيكس (يوروبا) العذراء الشهيرة
التى أنجبت لى مينوس ورادامانثيس الربانى.
ولم أتيم بسيميلى، ولا بألكمينى فى طيبة
تلك التى أنجبت لى هيراكليس الابن الشجاع القلب.
وسيميلى التى أنجبت لى ديونيسوس بهجة البشر، ٣٢٥
ولا بالمليكة ديميتر جميلة الضفائر.
ولم أشغف بليتو المجيدة، بل ولا بك أنت نفسك
بمثل ما أتيم بك الآن وتتملكنى الرغبة اللذيذة والشهوة الطاغية"

(*) هى ديا Dia وهناك أسطورة على النقيض من ذلك تروى أن إكسيون وقع فى غرام هيرا. (المحرر)

فقالت المعبودة هيرا بمكر:

"يا أكثر نسل كرونوس هولاً، ماهذا الذى تقوله!؟ ٣٣٠

إذا كنت حقًا تهفو الآن لمضاجعتى

هنا، فوق قمة إيدا ؛ فإن كل شىء هنا مكشوف للعيان.

ماذا لو أن أحدًا من الآلهة الخالدة

رآنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً.

حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية، ٣٣٥

فبعد النهوض من مضجعى سيمنعنى الحياء.

لكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،

فثمة غرفة بناها لك ابنك العزيز

هيفايستوس، وقد ثبّت أبوابًا منيعة على قوائمها.

فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق بغيتك" ٣٤٠

وأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:

"أى هيرا، لا تخشى رؤية إله أو إنسان،

فسوف نتدثر بمثل تلك السحابة

الذهبية، التى ربما من خلالها لن يكشف أمرنا أحد

حتى هيليوس، مع أن أشعته هى الأكثر نفاذًا وإبصارًا" ٣٤٥

واحتضن ابن كرونوس زوجته بذراعيه،

وأنبتت الأرض المقدسة من تحتهما

براعم عشب تنمو، ورفعهما اللوتس الندى والزعفران والزنبق

عن الأرض، وهناك اضطجع الاثنان متدثرين

بسحابة جميلة ذهبية تتساقط منها قطرات من الندى المتلألىء. ٣٥٠

هكذا، نام الأب فى هدوء على قمة جارجاروس،

وغلبه النوم والعشق محتضنًا زوجته بين ذراعيه.

وشرع إله النوم هيبنوس اللذيذ يعدو تجاه سفن الآخيين

حاملاً رسالةً إلى (بوسيدون) طاوى الأرض ومزلزلها. ٣٥٥
ووصل إليه وخاطبه بكلمات مجنحة:

"أى بوسيدون، قدِّم العون بقلب مطمئن للدانائيين الآن،
وامنحهم المجد، مع أنه لا يبقى طويلاً، حيث إن زيوس نائم الآن
فقد أسدلت عليه غلالة النوم المعسول
كما أغوته هيرا حتى يضاجعها عشقًا" ٣٦٠

قال (النوم) ذلك وارتحل إلى قبائل الرجال المجيدة
بعدما ألح فى تشجيع (بوسيدون) على أن يسدى العون للدانائيين،
وتقافز بين صفوف المقدمة وصاح عاليًا:

"أيها الأرجيون، هل نتخلى عن النصر هكذا مرة أخرى
لهيكتور بن بريامو س، حتى يأخذ السفن ويفوز بالمجد؟ ٣٦٥
لا، وإن قال ذلك وتبجح بأنه الواقع مادام
أخيليوس يركن إلى السفن المجوفة وقلبه مليء بالغضب.
فأبدًا، لن يكون افتقادنا له وبالاً ماحقًا،
إذا تشجعنا نحن الباقين ومددنا يد العون لبعضنا البعض.
تعالوا أطيعوا الأمر جميعًا ٣٧٠
هيا نسلح أنفسنا بأفضل ما فى الجيش من دروع متينة،
ونغطى رءوسنا بخوذات زاهية
ونقبض بأيدينا على أطول الرماح،
ونمضى إلى هدفنا، وسوف أكون قائدكم على هذه الطريق
لا أحسب أن هيكتور بن بريامو س سيبقى طويلاً، مهما تكن لهفته. ٣٧٥
دع الظامىء للحرب ولديه درع صغير على كتفه
يعطيه للأقل منه إقداماً، وليسلح نفسه بدرعٍ أكبر"

هكذا تكلم، فأصاخوا السمع إليه وأطاعوه
ونظَّم الملوك أنفسهم، رغم أنهم كانوا مجروحين،

في صفوف: ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أتريوس ٣٨٠
وتخللوا الجيش كله واستبدلوا أسلحة القتال
وارتدى المحارب القوى أسلحة قوية، وأعطوا الأقل
إقدامًا الأقل متانة. وما أن كسوا أجسامهم بأسلحة براقة،
حتى تقدموا يقودهم بوسيدون مزلزل الأرض
ممسكًا بيده القوية سيفًا طويلاً حاداً ٣٨٥
يشبه البرق، لا يسمح لأحد أن
يواجهه فى نزال فتاك، بل يولى الرجال الأدبار رعبًا منه.
ونظم هيكتور المجيد الطرواديين صفوفًا على خط المواجهة.
والحق، أن بوسيدون ذا الشعر الأزرق الداكن وهيكتور المجيد
كانا يشدان حبل الصراع الفتاك ٣٩٠
أحدهما يقود الطرواديين والآخر الأرجيين.
وفاض البحر نحو خيام الأرجيين وسفنهم،
واشتبك الطرفان وعلا الصخب المدوى،
حيث لم تهج بمثله أمواج البحر المتلاطمة
على الشاطئ، تدفعها رياح الشمال بورياس الجارفة. ٣٩٥
ولم يزأر، أيضًا، زفير النار المستعرة عند شعاب الجبل بمثله،
عندما تندلع (ألسنة اللهب) لتحرق الغابة.
ولم تزعق الرياح بين أغصان الصفصاف العالية بمثله،
تلك الرياح التى تزأر فى غضبها أيما زئير.
هكذا كان صياح الطرواديين والآخيين ٤٠٠
بمثل هذا الفزع منقضين، كل فريق على الآخر.
فطعن هيكتور المجيد أياس فى البداية برمحه
مجرد أن استدار نحوه، ولم يخطئه
لكنه أصابه عند الحمالتين؛ (حمالة) درعه و(حمالة) سيفه
المزدانين بالفضة، الممتدتين عبر صدره ٤٠٥

فصدت (الحمالتان) الطعنة عن جلده الرقيق، فاستشاط
هيكتور غضبًا لأن رمحه السريع طار من بين يديه هباءً.
عاد ليندس بين رفاقه متجنبًا مصيره
وبينما هو عائدٌ، قذفه أياس التيلامونى الباسل
بحجر، حيث كانت هناك أحجار كثيرة، تتدحرج بين ٤١٠
أقدامهم وهم يتقاتلون وبها يسندون مراسى السفن عند الشاطئ،
فرفع حجرًا منهم عاليًا ورمى (هيكتور) فى صدره أعلى طرف ترسه
على مقربة من عنقه، فجعله، من شدة الضربة، يلف ويدور حول نفسه
كدوامة. وكما تسقط شجرة بلوط اقتلعتها صاعقة من الأب زيوس،
فيصَّعَّد منها دخانٌ كبريتى بشع. ٤١٥
والحق أن الشجاعة حينئذ لا تعود بنفعٍ لمن ينظر (للدخان)
ويقف منه عن قرب، فكم هى بشعة صاعقة زيوس الأعظم!
هكذا سقط هيكتور القوى منبطحًا للأمام على الأرض فى التراب،
وسقط من يده الرمح، أما الترس فتخبط فوقه
ومعه الخوذة، ومن حوله صلصلت أسلحته البرونزية. ٤٢٠
وأسرع إليه أبناء الآخيين بصياح مدوى
أملاً فى أن يسحبوه بعيدًا، وأن يمطروه بالرماح.
لكن هيهات أن يُجْرَح أحد راعى الجيش
بطعنة أو برمية؛ فقبل حدوث ذلك، وقف شجعان (الطرواديين) لحمايته
بوليداماس وآينياس وأجينور الربانى ٤٢٥
وساربيدون قائد اللوكيين وجلاوكوس الذى لا نظير له.
ولم يهمله أحدٌ من الباقين، بل رفعوا دونه
دروعهم المستديرة، وحمله رفاقه على أذرعهم
وأبعدوه عن ساحة الوغى، حتى وصل إلى الخيول سريعة العدو
التى كانت تقف فى انتظاره خلف (ساحة) المعركة والصراع ٤٣٠
بسائقيها وعجلاتها الحربية رائعة الزخرف.

ثم حملوه إلى المدينة وهو يئن بمرارة
ولما وصلوا إلى مخاضة النهر جميل الانسياب
كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد
حملوه هناك من العجلة الحربية إلى الأرض، ٤٣٥
وسكبوا فوقه ماءً فعاد إلى وعيه، ونظر بعينيه لأعلى
وتقيأ دمًا قاتمًا، مرتكزًا على عقبيه،
ثم ارتمى على الأرض وغشى ليلٌ حالكٌ
عينيه، فالضربة كانت لا تزال تجثم على روحه.
وعندما رأى الأرجيون هيكتور محمولاً بعيدًا عن المعركة. ٤٤٠
ازدادوا هجومًا على الطرواديين واستعادوا متعة القتال.
فى البدء، هجم أياس السريع بن أويليوس
على ساتنيوس وجرحه بطعنة من رمحه الحاد،
حتى إن ابن إينوبس (ساتنيوس) الذى أنجبته إحدى العرائس الفريدة
لإينوبس، بينما كان يرعى قطعانه بجوار ضفتىّ (نهر) ساتنيؤيس. ٤٤٥
دنا منه ابن أويليوس (أياس) الشهير برمحه
فطعنه فى خاصرته، فسقط للخلف ومن حوله
اشتبك الطرواديون والدانائيون فى صراعٍ دامٍ.
فأتى إليه بوليداماس بن بانثؤس البارع فى رمى الرمح ؛ ليدافع عنه
فقذف (الرمح) وأصاب كتف ٤٥٠
بروثوئينور بن أريليكوس اليمنى وغاص الرمح القوى
فى كتفه، وسقط على التراب كابشًا براحته الأرض.
فتهلل بوليداماس وصاح بتبجح عاليًا:
"يبدو أن الرمح لم ينطلق مرة أخرى هباءً من يد
ابن بانثؤس (بوليداماس) القوية، شديدة البأس، ٤٥٥
بل تلقاها أحد الأرجيين فى لحمه، وأحسبه
سيتكىء عليه كعصا وهو ذاهب إلى مقر هاديس"

وما أن تكلم (بوليداماس) حتى حل الحزن بالأرجيين
بسبب تبجحه وأثار على نحو خاص حفيظة البارع أياس
بن تيلامون، فذلك الذى هوى كان منه قريبًا. ٤٦٠
فأسرع وقذف الآخر (بوليداماس) برمحه البراق بينما كان يتراجع
وقد أفلت بوليداماس نفسه من المصير الأسود
بأن قفز جانبًا، إلا أن أرخيلوخوس
بن أنتينور تلقى الرمح، وقد قدر الإله الموت له.
فأصابه الرمح عند ملتقى الرأس بالعنق، ٤٦٥
عند أعلى فقرة من العمود الفقارى، فهتك العصبين كليهما
فوقع فى الحال، وارتطم بالأرض رأسه وفمه
وأنفه، قبلما تصل ساقاه وركبتاه.
نادى أياس عاليًا على بوليداماس الذى لا مثيل له:

"أى بوليداماس، فكر، وقل لى صراحةً ٤٧٠
ألا يستحق هذا الرجل أن يُقتَل انتقامًا
لبروثوئينور؟ فهو لا يبدو لى حقير الشأن ولا وضيع
المولد، لكنه أخٌ أو ابن لأنتينور مروض الخيول
فهو أكثر شبهًا به فى البنية"

هكذا قال، وكان يعرف (الحقيقة) كلها تمامًا، ٤٧٥
فتملك الأسى قلوب الطرواديين، وما كان من أكاماس، إذ كان
يقف فوق جثة أخيه (أرخيلوخوس) إلا أن ضرب بروماخوس
البويوتى، برمية من رمحه، إذ نوى أن يجر الجثة من القدم، وتهلل
أكاماس بفظاظة وصاح عاليًا ومتباهيًا:
"أيها الأرجيون، يا محبو القوس، يامن لا تشبعون تهديدًا ووعيدًا
انظروا، لن يكون الأسى والحزن من نصيبنا وحدنا ، ٤٨٠
بل إنكم أيضًا ستعانون القتل بالمثل.

انظروا كيف يرقد بروماخوس مقهورًا برمحى،
حتى لا يبقى طويلاً دم أخى المسفوك بلا انتقام
ولهذا، إنما يتمنى الرجل
أن يخلفه أحد أقاربه فى بيته ليصد عنه الأذى" ٤٨٥
وما أن تكلم حتى لحق بالأرجيين الحزن لتهلله وزهوه
فأثار على نحو خاص روح بينيليوس الحكيم
فاندفع نحو أكاماس الذى لم يصمد أمام هجوم الأمير بينيليوس.
ولكن الرمح أصاب إليونيوس
بن فورباس الغنى بالقطعان، والذى أحبه هرميس ٤٩٠
من بين الطرواديين أجمعين، ومنحه الثروة
وأنجبت الأم له طفلاً وحيدًا (من هرميس) هو إليونيوس.
طعنه بينيليوس أسفل جبينه، عند قاع العين
فاقتلع مقلته، ونفذ الرمح خلال الحدقة حتى قفاه، انطرح باسطاً ٤٩٥
يديه كلتيهما، وسحب بينيليوس سيفه الحاد وضربه
بقوة على عنقه، فأسقط رأسه على الأرض بالخوذة
وبات الرمح النافذ منتصبًا فى عينيه.
ورفعه (بينيليوس) لأعلى كزهرة خشخاش على ساقها
وعرضه على الطرواديين وتهلل بزهو قائلاً: ٥٠٠

"أيها الطرواديون، أرجو أن تبلغوا العزيز والد إليونيوس
المبجل ووالدته أن ينتحبا فى بيتهما،
فلن تسعد زوجة بروماخوس بن أليجينور بمجىء
زوجها العزيز، بينما نعود نحن شباب
الآخيين بسفننا من أرض طروادة" ٥٠٥

قال ذلك، فتملك الارتجاف أطرافهم جميعًا
وأخذ كل رجل يحملق ليرى كيف يمكنه أن يهرب من الهلاك المؤكد

خبرننى، الآن، ياربات الفنون (الموسات)، يا مَنْ تقطن
الأوليمبوس مَنْ كان أول الآخيين الذى يسلب غنائم المحاربين الملطخة
بالدم إذ بدّل مزلزل الأرض الشهير، وفجأةً، (مجرى) القتال؟ ٥١٠
الحق أن أياس بن تيلامون كان الأول، فقد ضرب هيرتيوس
بن جيرتيوس قائد الميسيين شجعان القلوب.
وجرّد أنتيلوخوس كلاً من فالكيس وميرميروس (من أسلحتهم).
أما ميريونيس فقتل موريس و هيبوتيون.
كذلك تيوكروس فنهب بروثوؤن وبيريفيتيس. ٥١٥
وضرب ابن أتريوس بعد ذلك هيبيرينور راعى الشعب برمية
فى جنبه، حتى غاص البرونز فى أحشائه عندما اخترقها
وتصاعدت روحه لاهثة من خلال الجرح الغائر، وطوى الظلام عينيه
لكن أياس السريع ابن أويليوس قتل أكثر (من سواه)، ٥٢٠
فلم يكن له مثيل فى النضال، فى سرعة قدمه
وسط حشد الرجال، عندما نشر زيوس الرعب بينهم. ٥٢٢

الكتاب الخامس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

وعندما مرَّ الطرواديون بالتحصينات وبالخندق هاربين،
وسقط العديد تحت أيدى الدانائيين،
حينئذ، توقفوا إلى جانب عجلاتهم الحربية وقد شحب لونهم
خوفًا ورعبًا. نهض زيوس
فوق قمة إيدا من مرقده إلى جوار هيرا ذهبية العرش، ٥
نهض واقفًا، فرأى الطرواديين والآخيين.
وكان (الطرواديون) فى فوضى يدفعهم الأرجيون
من خلفهم، وبينهم يقف الإله بوسيدون.
كما رأى هيكتور ملقى على السهل، ويجلس أصدقاؤه
حوله، يلهث بأنفاس متألمة ومشتت الذهن ١٠
يتقيأ دمًا، فلم يكن الذى ضربه هو أضعف الآخيين.
وعندما رآه، أبو الآلهة وأشفق عليه
وتحدث إلى هيرا وهو يرمقها بنظرة عابسة من أسفل حاجبيه:
"أى هيرا، أيتها العنيدة، يا له من خداع بارع شرير،
أقعدت به هيكتور الربانى عن القتال ودحرت جيشه. ١٥
ولكن قد تكونين أنت أول من يجنى ثمار
خداعك الآثم، سوف أجلدك بالسوط.
هل تتذكرين يوم أن علقتك من علٍ،
وفى قدميك ربطت حجرين، وحول معصميك سبكت
سلسلة من الذهب لا تنكسر؟ تدليت فى الهواء بين السحب ٢٠
واشتد سخط الآلهة، فى أرجاء الأوليمبوس الشاهق،
ولكنهم لم يستطيعوا أن يدنوا (منك) ويفكوا وثاقك، ومَنْ أمسكته منهم
ألقيت به من حدود (مملكتى) ليرتطم
بالأرض بلا حول ولا طول. ولم يكفنى ذلك، ولم يخفف آلام القلب
الدائمة، على ما أصاب هرقل الإلهى ٢٥

الذى، عندما تحالفت مع رياح الشمال بورياس وأقنعتها بالهبوب،
دفعت به إلى البحر الهائج بتدبيرك الشرير،
وقذفت به بعيدًا إلى كوس الآهلة بالسكان.
ومن ذلك المكان أنقذته أنا وجئت به إلى أرجوس
مرعى الجياد، بعدما قاسى أهوالاً كثيرةً(*). إننى أذكِّرك، ثانيةً، ٣٠
بهذه الأشياء لربما تكفى عن المكر، وسترين، توًا، ما إذا كانت
مداعباتك
الغرامية ستفيدك عندما جئتِ إلىَّ ومارسنا الحب، بعيدًا عن الآلهة،
لقد كان كل ذلك خداعًا منكِ"
قال ذلك، فارتجفت المليكة هيرا واسعة العينين كالمها
وتحدثت إليه بصوت مرتعد: ٣٥
"الآن، لتشهد الأرض (جايا)، وكذلك السماء (أورانوس) الرحبة
ومياه ستيكس المتدفقة،
فهذا هو القسم الأعظم قداسةً لدى الآلهة المباركة،
أقسم برأسك المقدسة، ومضجعنا نحن الاثنين،
الذى لا أستخف بالقسم به، ٤٠
أن بوسيدون مزلزل الأرض لم يدحر الطرواديين،
ولم يؤذ هيكتور، ولم يساعد أعداءهم بإيعاز منى.
كلاَّ، أحسب أنها روحه التى ألحت عليه وأمرته بذلك.
فهو قد رأى الآخيين مهزومين بخزىٍ إلى جوار سفنهم وأخذته بهم
الشفقة. بل إنى أخبرك بأننى نصحته بأن يسير فى هذا الدرب ٤٥
الذى تشير عليه أنت، يا مليك السحاب"
فتبسم أبو الآلهة والبشر عندما سمع ذلك
وأجاب بكلمات مجنحة قائلاً:

(*) إشارة ضمنية للأعمال الاثنى عشر التى قام بها هرقل. (المحرر)

"لو صدقت حقًا نيتك يا هيرا، يا مليكتى واسعة العينين كالمها،
بما يتفق مع نيتى، عندما تجلسين بين الآلهة الخالدين، ٥٠
سيغير بوسيدون رأيه سريعًا ليتبع ما فى قلبك
وقلبى، مهما تعارضت رغبته معنا.
وإذا كنت حقًا صادقة فى قولك
فلتذهبى، الآن، إلى جماعات الآلهة، واطلبى
إيريس أن تأتى إلى هنا، وكذلك أبوللون الشهير بقوسه ٥٥
ذلك لكى تجوس إيريس بين جيوش الآخيين
لابسى الأسلحة البرونزية، وتأمر الإله بوسيدون
أن يكف عن القتال، وتأخذه إلى بيته.
أما فويبوس أبوللون، فليحث هيكتور على القتال
وليبث فيه القوة من جديد، وينسيه آلام قلبه ٦٠
الموجعة، حتى يقهر الآخيين مرة أخرى،
بأن يثير فيهم الرعب والجبن،
حتى يهربوا مدحورين بين سفن أخيليوس بن بيليوس
ذات المقاعد الكثيرة. وبدوره سيرسل صديقه
باتروكلوس الذى سيقتله هيكتور المجيد ٦٥
برمح أمام إليون، بعدما يكون هو نفسه قد قتل
محاربين صناديد كثيرين، من بينهم ابنى ساربيدون الإلهى.
وسوف يقتل أخيليوس الإلهى هيكتور، غضبًا لمقتل
صديقه باتروكلوس. ومن الآن فصاعدًا، سأجعل الطرواديين
يتقهقرون بعيدًا عن السفن، حتى يفتح الآخيون ٧٠
إليون الشاهقة عملاً بنصائح أثينة.
وحتى ذلك الحين، لن أكبح جماح بطشى، ولن أسمح بأن يقدم
أى (إله) آخر من الخالدين، العون للدانائيين

إلى أن تتحقق رغبة ابن بيليوس (أخيليوس)،
كما وعدت فى البداية وأومأت كذلك برأسى، ٧٥
يوم أمسكت الإلهة ثيتيس ركبتى متوسلةً
أن أمجِّد أخيليوس مدمر المدن"

تابعت هيرا بيضاء الذراعين بانتباه شديد كلمات (زيوس)
وانصاعت لها، وأسرعت من جبال إيدا وحتى الأوليمبوس الشاهق
منطلقة كما تنطلق أفكار عقل رجلٍ رحل ٨٠
إلى أراض بعيدة، يتفكر بقلبٍ حكيم
"ليتنى أكون هنا أو هناك"، وكثيرة كانت الأمانى التى راودته.
هكذا، انطلقت المعبودة هيرا فى لهفة
ووصلت إلى الأوليمبوس الشاهق، فألفت الآلهة الخالدين
مجتمعين فى بلاط زيوس، وعندما رأوها ٨٥
قاموا وحيوها بكئوس الترحاب.
ومن جانبها، أهملت الآخرين، وتناولت الكأس
من ثيميس جميلة الوجنات، فهى أول من همَّت
لاستقبالها، وحادثتها بكلمات مجنحة:
"لماذا جئت يا هيرا كالمذهولة؟ ٩٠
لابد أن ابن كرونوس زوجك قد أفزعك"

فأجابتها المعبودة هيرا بيضاء الذراعين:
"لا تسألينى، أيتها الإلهة ثيميس، عن هذه الأشياء، فأنت
نفسكِ تعرفين طبيعة مزاجه، فكم هو متغطرس متعجرف!
لكن ابدئى المأدبة المقدمة للآلهة فى القصر، ٩٥
وستسمعين هذه الأشياء وسط الخالدين أجمعين،
ستسمعين أى أعمال سيئة يعلنها زيوس، أحسب

أنها لا تسر قلب أى فرد من البشر أو الآلهة،
حتى لو كان هناك مَنْ هو سعيد الآن"

وما أن قالت المعبودة هيرا ذلك حتى جلست ١٠٠
واستشاط الآلهة غضبًا فى منزل زيوس، لكن (هيرا) تبسَّمت
بشفتيها، ومن فوق حاجبيها الداكنين لم يتراخ جبينها المقطب
وتحدثت بينهم جميعًا فى قنوط:

"يا لنا من حمقى، حتى فى حمقنا نغضب من زيوس،
لكننا دائمًا ما نشتاق إلى أن نتقرب منه، ونعوق إرادته ١٠٥
إما بالقول أو بالجبروت، بينما هو يجلس بعيدًا لا يبالى
ولا يهتم، فهو يعلن أنه بين الآلهة الخالدة
هو الأكثر قوةً وقدرةً بلا منازع.
وبناءً عليه، فأنتم أنفسكم قانعون بالشر الذى يلقى به أيًا منكم
وأحسبه، الآن، يضمر شرًا لآريس. ١١٠
هلك ابنه فى المعركة، وهو أعز الرجال
إسكالافوس الذى زعم آريس بقوة أنه ابنه"

براحتى يديه لطم آريس على فخذيه، إذ سمع ذلك،
وتكلم منتحبًا :

"لا تلومونى، الآن، يا من تسكنون الأوليمبوس، ١١٥
إذا ذهبت إلى سفن الآخيين وانتقمت لمقتل ابنى،
حتى وإن كان قدرى أن أضرب بصاعقة من زيوس
وأرقد هناك فى الدم والتراب بين الجثث"

وما أن قال ذلك، أمر (إله) الرعب (ديموس) و(إله) الخوف
(فوبوس) أن يسرجا خيوله، أما هو فقد لبس أسلحته البرَّاقة ١٢٠
حينئذٍ كاد ينشب نزاع أعظم وغضب لم يسبق له مثيل

ما بين زيوس وباقى الخالدين، إن لم تسرع أثينة
عبر البوابة، يتملكها الخوف على الآلهة
أجمعين، إذ كانت قد غادرت العرش الجالسة عليه
وأخذت الخوذة من فوق رأس آريس وكذلك الدرع من ١٢٥
كتفيه، كما أخذت الحربة البرونزية من يديه القويتين
ووضعتها جانبًا، ثم وبخت آريس الغاضب بالكلمات:

"أيها المجنون مختل العقل، أودى بك الغضب
حقًا فلك أذنان لا تسمعان شيئًا، ولا إدراك لديك ولا حياء
ألم تسمع ما قالته الربة هيرا بيضاء الذراعين ١٣٠
بعد أن عادت من حضرة زيوس الأوليمبى منذ هنيهة؟
هل تزمع أن تكمل الويلات الكثيرة
وأن تعود بالخزى مكرهًا إلى الأوليمبوس، وأن تجلب
علينا جميعًا الشر الأعظم؟
إنه سيترك لتوه الطرواديين شديدى الهمة، والآخيين ١٣٥
ويسرع إلى الأوليمبوس لكى يقهرنا نحن هنا أجمعين،
سيبطش بنا جميعًا، المذنب وغير المذنب، على حد سواء
لذا، أنصحك بالتخلص من غضبتك من أجل ابنك الآن.
فكثيرون ممن يفوقونه بأسًا وقوةً قد قُتلوا
من قبل، أو سيقتلون يوما ما، ومن العسير ١٤٠
أن تصون البشر ونسلهم جميعًا"

قالت ذلك وأجلست آريس الجامح على العرش
حينئذٍ دعت هيرا، أبوللون إلى خارج القصر،
وكذلك إيريس رسول الآلهة الخالدة
وتحدثت إليهما بكلمات مجنحة قائلة: ١٤٥
"يأمر زيوس كليكما أن تذهبا إلى إيدا بأقصى سرعة

وما أن تصلا إلى هناك، وتريا وجه زيوس
امتثلا، حينئذٍ، إلى ما يحكم به و يأمر"
وعندما قالت المليكة هيرا ذلك، عادت ثانية
وتربعت على عرشها، وانطلق كلاهما مسرعين ١٥٠
حتى بلغا إيدا كثيرة الينابيع وأم الوحوش.
فألفيا ابن كرونوس بعيد النظر جالسًا على قمة جارجاروس،
تحوم حوله سحابة فواحة من شذى البخور.
دنا الاثنان من حضرة زيوس جامع السحاب
وإذ رآهما، لم يتقد قلبه غضبًا ١٥٥
لأنهما اتبعا على الفور أوامر زوجته العزيزة.
فى البداية خاطب إيريس بكلمات مجنحة:
"أى إيريس السريعة، انهضى واذهبى إلى المليك بوسيدون،
خبِّريه بكل هذه الأشياء، واحذرى أن تكون رسالتك كاذبة.
مريه أن يكف عن القتال ويتوقف عن الحرب، ١٦٠
وأن يذهب ليلحق بجماعة الأرباب أو ينزل إلى البحر الإلهى.
وإن أغفل أوامرى ولم يمتثل لها،
حينئذ، فدعيه يفكر بعقله و قلبه،
فهو لا يملك من الشجاعة، مهما يكن قويًا، ما يواجه به
هجمتى، وأعلن أننى أفوقه قوةً، ١٦٥
وأنى أكبر منه سنًا، إلا أن الكبرياء تركب قلبه العزيز
فيعد نفسه مساويًا لى، و(أنا) الذى يهابه الآلهة الآخرون"
وما أن قال ذلك، حتى انصاعت للأوامر وانطلقت إيريس السريعة
ممتطية الريح، أن تنصاع فهبطت من تلال إيدا إلى إليون المقدسة.
وكما تتطاير ندف الثلج، أو وابل الصقيع من السحاب ١٧٠
مدفوعة بزوبعة من الرياح الشمالية (بورياس) التى تهب عبر أثيرٍ

شفيف، هكذا انطلقت بمثل هذه الهمة إيريس السريعة، متلهفة
ودنت مخاطبة مزلزل الأرض الشهير:

"أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، لقد جئت
إليك هاهنا برسالة حاملة إياها من زيوس حامل الدرع أيجيس. ١٧٥
إنه يأمرك أن تكف عن الحرب والقتال،
وأن تذهب لتلحق بجماعة الأرباب أو تنزل إلى البحر الإلهى.
أما إذا عصيت أوامره، ولم تطعها
فإنه يهدد بأنه سيأتى إلى هنا بنفسه ويضع قوته
ضدك فى المعركة، ويأمرك بأن تنأى بنفسك بعيدًا عن ١٨٠
يديه، فهو يعلن أنه يفوقك قوة بكثير،
وهو الأسبق مولدًا، ومع ذلك فإن قلبك العزيز لا يتورع
عن الإعلان بأنك تضارعه، وهو من تهابه الآلهة الآخرون"

استشاط مزلزل الأرض الشهير غضبًا وتحدث إليها قائلاً:

"تبًا، فرغم أنه قوى حقًا، فهو يتحدث بصلفٍ، ١٨٥
وكأنه يستطيع أن يقهر بالقوة من يعادله جلالةً.
فنحن إخوة ثلاثة، أنجبنا كرونوس وريا:
زيوس، ثم أنا، وثالثنا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.
قسمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعيَّن لكل منا نصيبه.
وعندما ضربت القرعة، كان البحر الرمادى نصيبى ١٩٠
ليصير مسكنى إلى الأبد. وفاز هاديس بالظلام الدامس،
بينما كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزيوس.
وبقت الأرض والأوليمبوس الشاهق مشاعًا لنا جميعًا.
وبالطبع لن أذعن لزيوس مهما يكن قويًا
دعيه يقيم فى سكينة فى نصيبه الخاص به، ١٩٥
ولا يحاول أن يرهبنى ببطش يده، كما لو كنت جبانًا.

فالأفضل له أن يوجه تهديداته إلى أبنائه و بناته،
فهم الذين أنجبهم هو نفسه
وينصاعون إلى كل ما يأمر به مكرهين"

فأجابته إيريس السريعة، ممتطية الريح: ٢٠٠
"أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، أيجب حقًا
أن أحمل إلى زيوس هذه الرسالة الخشنة والعنيدة؟
ألم تتغير بعدُ؟ فقلوب الأخيار تلين
وإنك لتعلم كم تنساق الإيرينيات لصالح الأكبر"

فأجابها مزلزل الأرض بوسيدون: ٢٠٥
"أيتها الإلهة إيريس، لقد قلت شيئًا طيبًا وبحكمة.
هذا شيء رائع حقًا، أن يكون للرسول قلب واع،
إذ يزمع زيوس أن يوبخنى بكلمات قاسية،
بيد أن ألمًا ثقيلاً حط على قلبى وعقلى
أنا الذى نلت نصيبًا معادلاً لنصيبه فى التكريم وفى القسمة. ٢١٠
وسأخضع هذه المرة، رغم حنقى عليه،
وسأخبرك بشيء آخر، إذ سأعلن الوعيد الذى بقلبى
فإذا كان سيدافع عن إليون الشاهقة ويحول دون تدميرها -
رغمًا عنى، وعن أثينة حاصدة الغنائم،
وعن هيرا، وعن هرميس، وعن الملك هيفايستوس، ٢١٥
وإذا كان لن يمنح الأرجيين قوة عظيمة
فليعلم أنه سينشب بيننا غضب لن يهدأ"

وما أن قال مزلزل الأرض ذلك تاركًا حشد الآخيين
حتى أسرع نحو البحر، وقفز فيه فافتقده الأبطال الآخيون.
ثم خاطب زيوس جامع السحب أبوللون هكذا: ٢٢٠

"أيها العزيز فويبوس، اذهب، الآن، إلى هيكتور ذى الخوذة
البرونزية فقد ذهب، الآن، طاوى الأرض ومزلزلها
إلى البحر الإلهى متحاشيًا غضبنا الشديد
وإلا لسمع الآخرون ضوضاء نزاعنا
حتى آلهة العالم السفلى مع كرونوس. ٢٢٥
ولكن كان ذلك هو الأفضل لكلينا، لى وله،
حيث رضخ لقوة يدى، رغم غضبه
وإلا لما انتهى الأمر دون تعب.
لكن، أمسك الدرع المصقول (أيجيس) فى يديك،
ارفعه عاليًا وهزه بعنف لترهب به الأبطال الآخيين. ٢٣٠
أما أنت يا بعيد القذائف، ليكن هيكتور المجيد
تحت رعايتك، وفى أثناء ذلك ابعث فيه قوته الهائلة
حتى يفر الآخيون إلى سفنهم وإلى الهيلليسبونطوس.
وبعد ذلك سأتدبر الأمر وماذا أفعل وماذا أقول
لأرفع عن الآخيين العناء ". ٢٣٥
وما أن قال ذلك، لم يتوان أبوللون فى طاعة والده
بل هبط فورًا من فوق تلال إيدا كالصقر السريع
قاتل اليمام، وأسرع الكائنات المجنحة.
فوجد هيكتور الإلهى بن برياموس حكيم القلب
جالسًا، فلم يعد راقدًا بعد، وقد استرد وعيه، ٢٤٠
وتعرف على رفاقه من حوله، وقد توقف لهاثه وعرقه،
إذ أحيته إرادة زيوس حامل الدرع أيجيس.
فدنا منه أبوللون، بعيد القذائف، وخاطبه:
"أى هيكتور، يا ابن برياموس، لماذا أنت قابعٌ هنا
بعيدًا عن الباقين وقد خارت قواك؟ قل لى هل أصابك مكروه؟" ٢٤٥

فأجابه هيكتور ذو الخوذة اللامعة بإعياء:

"مَنْ مِن الآلهة أنت، أيها النبيل يامن تسألنى وجهًا لوجه؟

ألا تعرف أنه بينما كنت أفتك بالمحاربين،

عند مؤخرات سفن الآخيين ضربنى أياس

البارع فى صيحة الحرب، فى صدرى بحجر فقضى على قوتى؟ ٢٥٠

نعم، عندما كدت ألفظ روحى العزيزة

اعتقدت أننى فى ذلك اليوم سأرى الموتى ومقر هاديس"

فتحدث إليه الملك أبوللون، بعيد القذائف، مرة أخرى:

"تشجع الآن، إنه لقوى ذلك المعين الذى أرسله ابن كرونوس

من إيدا، ليقف إلى جانبك ويحميك، ٢٥٥

إنه فويبوس أبوللون ذهبى السيف، الذى

طالما حماك من قبل، وحمى القلعة الشاهقة أيضًا.

فلتأت، الآن، ولتأمر سائقى العجلات الحربية الكثيرين

أن يقودوا خيولهم السريعة نحو السفن المجوفة

وسأتقدمهم أنا نفسى، وسأمهد الممرات للخيول ٢٦٠

كلها وسأجبر الأبطال الآخيين على الفرار"

ولم يكد ينهى حديثه حتى نفث قوةً هائلةً فى راعى الشعب

ومثل جواد مربوط فى معلفه(*)، تغذى جيدًا

وفك قيده، يجرى منطلقًا فى السهل متلهفًا على الاغتسال

فى النهر رائع الانسياب، صاهلاً ورافعًا رأسه عاليًا، ٢٦٥

تميل خصلات لبدته على كتفيه وتحمله مفاصله برشاقة

مزهوًا بطلعته البهية، يجرى نحو مأوى الخيول ومراعيها

هكذا كان هيكتور بمثل هذه الرشاقة، يحرك قدميه وركبتيه،

(*) هذا التشبيه مكرر، إذ سبق أن ورد فى الكتاب السادس أبيات ٥٠٦ وما يليه. (المحرر)

مشجعًا سائقى عجلاته الحربية، عندما سمع صوت الإله. ٢٧٠
وكما يحدث عندما يلاحق الريفيون و الكلاب
أيلاً ذا قرونٍ، أو عنزة برية، فتنقذه
منهم صخرة منحدرة، أو أيكة ظليلة
فلم يُقَدَّر لهم أن يصلوا إلى صيدهم، حينئذٍ يظهر
على صياحهم فى الطريق أسدٌ أشعث فيجبرهم، جميعًا، ٢٧٥
على الفرار عائدين، رغم لهفتهم على صيدهم.
هكذا كان الدانائيون يهاجمون محتشدين
ويضربون بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين،
لكن ما أن رأوا هيكتور يهاجم صفوف رجالهم الأمامية
حتى أصابهم الذعر وخرّت قلوب كل الرجال فى أقدامهم. ٢٨٠
عندئذٍ خطب فيهم ثوأس بن أندرايمون خير الفرسان الأيتوليين،
الماهر جدًا فى إطلاق الرمح وكان أيضًا باسلاً فى الاشتباك،
وفى الحديث أمام الجمع فى ساحة الاجتماعات وربما لا يفوقه
إلا أقل القليل من الآخيين، عندما يجتهد الشباب فى المناظرة.
وبنية طيبة تكلم إلى جموعهم قائلاً: ٢٨٥

"انظروا الآن، الحق أن ما تراه عيناى هو العجب العجاب!
فكيف قام هيكتور الآن من جديد وتجنب القدر،
بعد أن تمنى قلب كل منا موته على يد أياس بن تيلامون.
لكن أحد الآلهة نجّى هيكتور وأنقذه مرة أخرى، ٢٩٠
ذلك الذى حلَّ ركب الكثيرين من الدانائيين.
وأحسب أنه سيعيد الكرة مرة أخرى على الفور، فدونما
مشيئة زيوس ذى الرعد المدوى، ما كان (لهيكتور) أن يقف هكذا بطلاً
فى الصف الأول. تعالوا إذن وليطع الجميع ما آمر به
لنجعل الحشود، الآن، تعود إلى السفن مرة أخرى ٢٩٥

أما نحن، من نزعم أننا الأقوى والأشجع
لنقف ولنكن أول من يصده ويرده
برماحنا المشهرة، فإنه سيهاب من أعماق
قلبه، رغم لهفته، أن يدخل وسط حشد الدانائيين"
هكذا، تكلم، وأصغوا هم إليه تمامًا وأطاعوه، ٣٠٠
فهؤلاء الذين كانوا فى صحبة الثنائى أياس والأمير إيدومينيوس
وتيوكروس وميريونيس وميجيس صنو إيريس
نادوا على القادة وصفُّوا صفوف المعركة
فى مواجهة كل من هيكتور والطرواديين، لكن الحشود
من ورائهم تراجعت إلى سفن الآخيين. ٣٠٥
حينئذٍ، هاجم الطرواديون فى حشود متلاصقة يقودهم هيكتور
متقدمًا بخطى واسعة، وذهب أمامه فويبوس أبوللون
تطوق كتفيه سحابة، يحمل الدرع الرهيب (أيجيس)
وضاء البريق، المطوق بأهداب شعثاء، وهو الدرع الذى أعطاه إله
الحدادة هيفايستوس إلى زيوس ليستخدم فى بث الرعب ٣١٠
بين الرجال، فحمله (أبوللون) فى يديه، بينما كان يقود الجيوش.
وكان الأرجيون فى حشود متلاحمة منتظرين قدومهم،
وقد علت صيحات القتال مدوية من كلا الجانبين، ومن أوتار
الأقواس انطلق وابل الرماح وقد أطلقتها أيدٍ قوية،
فغاص بعضها فى لحم المقاتلين البواسل، والكثير منها لم يصل ٣١٥
إلى اللحم الأبيض، بل طاش ووقع فى منتصف الطريق وانغرس
منتصبًا فى الأرض وسط الطريق، وكلها عطشى للارتواء من الدماء.
ومادام فويبوس أبوللون قد أمسك الدرع أيجيس بيديه دونما حركة،
باتت قذائف الجانبين تصل إلى أهدافها، وتساقطت الحشود.
وما أن حدَّق (أبوللون) فى وجوه الدانائيين سريعى الخيول، ٣٢٠

وهزّ الدرع، وصاح هو نفسه بقوة، حينئذٍ
وهنت القلوب فى صدورهم، وتلاشت قوتهم الشديدة.
ومثلما يحدث لقطيع هائل من قطعان الثيران أو الأغنام
إذ يهاجمه وحشان ويطردانه فى فوضى، فى ظلمةٍ
حالكةٍ، وقد باغتاه، فى غفلة من الراعى، ٣٢٥
هكذا كان الآخيون، إذ أصابهم ذعرٌ لا مُعين عليه.
حيث أحلّ أبوللون بهم الرعب، ومنح المجد للطرواديين ولهيكتور.
عندئذٍ اندلع القتال، وتبارز الرجال
فقتل هيكتور ستيخيوس و أركيسيلاؤس.
فكان أولهما قائدًا للبويوتيين، أما الآخر ٣٣٠
كان رفيقًا وفيًا لمينيسثيوس شديد البأس.
وقتل آينياس ميدون وياسوس،
وكان ميدون ابنًا غير شرعى لأويليوس الإلهى
فهو أخو أياس، لكنه أقام فى فيلاكى
بعيدًا عن وطنه، ذلك لأنه قتل أحد أقارب ٣٣٥
إريوبيس زوجة أبيه، والتى تزوجها أويليوس.
أما ياسوس، فكان قائدًا للأثينيين
إلا أنه كان يدعى ابن سفيلوس بن بوكولوس.
وقتل بوليداماس ميكيستيوس، أما بوليتيس فقتل إخيوس
فى الجبهة الأمامية للقتال. أما أجينور الإلهى فقتل كلونيوس. ٣٤٠
لكن باريس ضرب ديوخوس من الخلف، وهو يهرب فى مقدمة صفوف
المحاربين، ضربه عند أسفل كتفه، وغرس الرمح (فى لحمه). كان
(الطرواديون) على وشك أن يسلبوا الأسلحة عن هؤلاء، فى الوقت الذى
كان فيه الآخيون يندفعون إلى الخندق المحفور المحاط بالتحصينات
فارين مشتتين هنا وهناك، وأرغموا على الاختباء وراء التحصينات. ٣٤٥

صاح هيكتور عاليًا ونادى على الطرواديين:

"هلموا إلى السفن، واتركوا الغنائم الملطخة بالدماء،

ومن سأراه مُحجمًا عن السفن

سأدبر موته فورًا وفى ذات مكانه، ولن يقدم له

أقاربه أو قريباته حقه الواجب من النار للدفن بعد موته ٣٥٠

بل ستنهشه الكلاب أمام مدينتنا"

قال ذلك، وهوى بالسوط على خيوله بضربة قوية ونادى على

الطرواديين عاليًا عبر الصفوف، فاستجابوا له جميعًا بصيحات مدوية.

ومعه ساقوا الخيول التى تجر عرباتهم الحربية

بصخب لا يمكن وصفه، وأمامهم فويبوس أبوللون ٣٥٥

يحطم بقدميه فى يسر حافتى الخندق العميق

ويلقى بهما فى وسطه، فأقام هكذا جسرًا

طويلاً وعريضًا بطول مرمى رمح، يقذف به محارب مجربًا قواه.

فتدفقوا عبره فرقًا فرقًا يتقدمهم أبوللون ٣٦٠

حاملاً الدرع أيجيس النفيس، وقد حطم حائط الآخيين

بسهولة، مثلما يبعثر صبى الرمال بجوار البحر لاعباً

مثل طفل، يكوم الرمال أكواماً

ثم يبعثرها ثانية بيديه وقدميه وهو يلهو.

بهذه البساطة بعثرت يا فويبوس، يا رامى السهام، أعمال ٣٦٥

الأرجيين وجهدهم، وألقيت الرعب فى نفوسهم.

وعندما مكث (الأرجيون) بجانب سفنهم

وباتوا ينادون الواحد على الآخر رافعين أيديهم،

يبتهل كل منهم بحماس إلى الآلهة أجمعين،

وبخاصة نيستور الجيرينى حارس الآخيين ٣٧٠

الذى تضرع رافعًا يديه إلى السماء المزدانة بالنجوم قائلاً:

"أبتاه زيوس، إذا كان أى رجل منا، حتى ونحن لا نزال فى

أرجوس الغنية بالقمح، قد قدم لك السمين من فخذ ثور أو كبش قربانًا،

ضارعًا أن يعود، ووعدت أنت حينئذٍ وأومأت برأسك

فلتتذكر الآن هذه الأشياء، وقنا، ياسيد الأوليمبوس، من يومٍ ٣٧٥

لايرحم، ولا تدع الآخيين ينهزمون هكذا أمام الطرواديين"

هذا ما قاله ضارعًا، فأرعد زيوس ذو النصح السديد بشدة

عندما سمع تضرع الشيخ المسن ابن نيليوس.

ولما سمع الطرواديون رعد زيوس لابس الدرع أيجيس

اشتد هجومهم على الأرجيين واسترجعوا روح البسالة فى القتال. ٣٨٠

ومثلما تعصف موجة شديدة من بحر مديد،

بجانبى سفينة، دفعتها قوة الرياح فتزداد الأمواج ارتفاعًا،

هكذا اندفع الطرواديون فوق الحائط بزئير مدوٍ

يسوقون خيولهم داخله، ويحاربون عند مؤخرات السفن ٣٨٥

من فوق الخيول برماح ذات حدين فى قتال مضطرم.

وحارب (الآخيون) من فوق متون سفنهم السوداء التى تسلقوها،

حاربوا برماح طويلة من تلك التى كانت ملقاة بجوار السفن لأجل

المعركة البحرية، وكانت (رماح) مقواة مصقولة أطرافها بالبرونز(*).

وبينما كان الآخيون والطرواديون. ٣٩٠

يتقاتلون، كان باتروكلوس - حول الحائط بعيدًا عن السفن -

جالسًا فى خيمة يوريبيلوس المحارب طيب القلب

يؤنسه بحديثه ويضمِّد جرحه المؤلم بدواءٍ، ليلطف من آلامه الرهيبة.

وما أن رأى الطرواديين مندفعين تجاه الحائط، ٣٩٥

(*) كانت هذه الرماح تستخدم لمنع الأعداء من ركوب السفن وكذا للدفاع عن السفن الراسية كما هو الحال الآن. (المحرر)

ورأى الدانائيين يتراجعون فلولا تولول بصرخات مدوية
تأوه وضرب فخذيه براحتى
يديه وصرخ فى فزع قائلاً:

"أى يوريبيلوس، إننى لا أطيق أن أبقى هنا معك،
رغم شدة حاجتك، فالحق أن قتالاً شديدًا احتدم. دع الخادم يعتنى بك، ٤٠٠
أما أنا سأسارع إلى أخيليوس لأحثه على أن يستأنف القتال.
فمن يعلم، إذ إننى، بمعونة الإله، قد أستطيع أن أحث روحه
بكلمات مقنعة؟ فشىءٌ طيبٌ إقناع الصديق"

قال ذلك، ثم حملته قدماه إلى حيث شاء. وواجه الآخيون ٤٠٥
بثباتٍ هجومَ الطرواديين، إلا أنهم لم يتمكنوا من
صدهم عن السفن رغم قلتهم
ولم يقوَ الطرواديون، أيضًا، على أن يخترقوا صفوف الدانائيين
ويشقوا طريقهم وسط الخيام والسفن.
ومثلما ينجح النجار الماهر فى جعل ألواح السفينة مستقيمة، ٤١٠
وذلك فى يد صانع حاذق له معرفة ناضجة بكل أسرار حرفته
وبفضل رعاية أثينة، هكذا تواصل القتال بينهما متساويًا.
قاتل بعضهم بعضًا عند هذه السفن أو تلك.
واتجه هيكتور نحو أياس المجيد ٤١٥
وباتا كلاهما يتقاتلان فى كدحٍ حول سفينة (واحدة)،
ولم يفلح أولهما أن يطرد الآخر ويحرق بالنار السفينة،
كما أن الآخر لم يدفعه، إذ كانت تلك مشيئة الإله التى جعلته يقترب.
فأطلق أياس المجيد رمحه، وضرب صدر كاليتور
بن كليتيوس وهو يحمل النيران إلى السفينة، ٤٢٠
فسقط فى صخبٍ وأفلت المشعل من يده.
وما أن رأى هيكتور ابن عمه يهوى

فى التراب على الأرض أمام السفينة السوداء،
نادى على الطرواديين واللوكيين بصيحة عالية قائلاً :

"أيها الطرواديون واللوكيون والداردانيون المهرة فى الاشتباك ٤٢٥
فى المعركة، إياكم أن تتقهقروا فى هذا المأزق،
بل انقذوا ابن كليتيوس، حتى لا يجرده الآخيون
من أسلحته، فقد سقط بين حشد السفن"

وإذ قال ذلك قذف أياس برمحه البراق
فأخطأه. لكن ليكوفرون بن ماستور - حامل دروع ٤٣٠
أياس وهو من كيثيرا، و يقطن معه
لأنه كان قد قتل رجلاً فى كيثيرا المقدسة - ضربه (هيكتور)
على رأسه، فأصاب أعلى أذنه بالبرونز الحاد
حين كان واقفًا بالقرب من أياس، فانطرح أرضًا فى التراب،
وقد هوى من مؤخرة السفينة، وقد تراخت أوصاله واستسلمت للموت. ٤٣٥
فارتجف أياس ونادى أخاه قائلاً:

"أى تيوكروس الطيب، ألا ترى أن خير رفيق لنا قد قُتِلَ،
إنه ابن ماستور، ظل إلى جوارنا وأقام معنا
عندما جاء من كيثيرا، كرَّمناه فى سكنانا كما نكرم آباءنا،
قتله هيكتور شديد البأس، فأين سهامك الآن ٤٤٠
سريعة الفتك، والقوس الذى أعطاك إياه فويبوس أبوللون؟"

وإذ قال ذلك، سمعه (تيوكروس) فأسرع ووقف قريبًا من
(أياس) وقبض بيده على قوسه المقوس للخلف، ومعه جعبة
مليئة بالسهام، وأطلق سريعًا رماحه على الطرواديين.
فأصاب كليتيوس، الابن المجيد لبيسينور رفيق بوليداماس الابن الباسل ٤٤٥
لبانثوؤس، بينما كان ممسكًا بيديه الأعنة، ومنشغلاً بخيوله.

إذ ساقها إلى هناك، حيث تحتدم المعركة وتلتقى فرق المحاربين فى
اضطراب لكى يرضى هيكتور والطرواديين. وفى التو جاءه
شرٌ مستطير لا يمكن لأى إنسان مهما أوتى من قوة ومهما كانت ٤٥٠
أمانيه أن يصده، فالسهم القاسى انغرس خلف عنقه
فسقط عن عجلته الحربية، وانحرفت خيوله جانبًا،
وقعقعت عجلاته الفارغة، وسرعان ما رمقها الأمير
بوليداماس، فكان أول من أسرع تجاه الخيول
فسلمها لأستينوؤس بن بروتياؤن ٤٥٥
وأصدر إليه أمرًا صارمًا بأن يراقب نتيجة المعركة ويجعل الخيول
على مقربة منه، بينما عاد هو نفسه واختلط بصفوف المقدمة.
ثم صوَّب تيوكروس سهمًا آخر على هيكتور ذى الخوذة البرونزية
وكاد يقعده عن الحرب عند سفن الآخيين،
ويسلب حياته لو أصابه وهو يستعرض بسالته. ٤٦٠
لكنه لم يغب عن عقل زيوس المحيط بكل شىء الذى حمى
هيكتور، وسلب المجدَ من تيوكروس بن تيلامون.
إذ شد تيوكروس الوتر المجدول بحذقٍ على القوس المتين،
وبالفعل صوبه ضد (هيكتور)، وانحنى سهمه المصقول
بالبرونز، وانطلق القوس من يده. ٤٦٥
إلا أن تيوكروس ارتجف، وخاطب أخاه:

"ويحى، لقد حسم الإله، هكذا، خطط معركتنا، فأحبطها
إذ أوقع القوس من يدى وقطَّع الوتر المجدول بإحكام متقن هذا الصباح
ليقدر على حملِ السهامِ التى ستنطلق كثيفة منه وسريعة" ٤٧٠

فأجابه أياس العظيم ابن تيلامون:

"أى صديقى، اترك قوسك، وسهامك الكثيرة
كما هى، طالما عطَّلها إله من الآلهة، حقدًا على الدانائيين.

وخذ رمحًا طويلاً فى يدك، وترسًا فوق كتفك
وحارب الطرواديين، ولتلهب باقى الجيش حماسةً. ٤٧٥
فرغم تفوقهم حقًا علينا، فلن يستولوا على سفننا
متينة المقاعد، دونما قتال، دعنا نسترجع متعة البسالة فى الحرب!"

وإذ قال ذلك، ترك تيوكروس القوس فى الخيام،
ووضع فوق كتفيه ترسًا رباعيًا،
وفوق رأسه القوية خوذة متينة المعدن، ٤٨٠
ذات عرف من شعر حصان، يشيع اهتزاز الريشة من فوقها رعبًا
وأخذ رمحًا قويًا ذا نصل برونزى حاد
وسار مسرعًا ووقف إلى جانب أياس.
وما أن رأى هيكتور سهام تيوكروس وقد خابت،
نادى على الطرواديين واللوكيين بصوت جهورى: ٤٨٥

"أيها الطرواديون واللوكيون والداردانيون المهرة فى الاشتباك،
كونوا رجالاً يا أصدقائى. وتفكروا فى بسالتكم وإقدامكم
وسط السفن المجوفة، لقد رأيت بعينى حقًا وصدقًا
كيف خابت، سهام قائد شجاع بتدبير زيوس.
فمن السهل إدراك قدر العون الذى يقدمه زيوس للرجال، ٤٩٠
يدرك ذلك مَنْ يهبهم مجد النصر،
أو مَنْ يسلبهم إياه، إذ لا يرغب فى مساعدتهم،
كما هو الآن يضعف قوة الأرجيين، ويمنح العون لنا.
فحاربوا، أنتم، متحدين فى حشود، عند السفن، ومَنْ
تدركه قذيفةٌ أو طعنة سيف، ويلقى المصيرُ المحتوم ٤٩٥
ليرقد فى سلامٍ، إذ لا يعيبه ذلك الموت من أجل الوطن.
ولتأمن زوجة (من يموت)، وأطفاله من بعده
والأمان لمسكنه ولنصيبه من الأرض، فلن يلحقه أذى

إذا عاد الآخيون بسفنهم إلى وطنهم الحبيب"

ألهب، بقوله حماسة الرجال وأرواحهم بالقوة ٥٠٠

ثم عاد أياس وصاح فى رفاقه:

"أيها الأرجيون، يا له من عار، من المؤكد أننا إما

هالكون جميعًا، أو سنجد الخلاص بأن ندفع الخطر عن السفن

فما بالكم لو استولى هيكتور ذو الخوذة اللامعة على السفن،

فهل يعود كلّ منكم إلى الوطن على قدميه؟ ٥٠٥

ألم تسمعوا هيكتور، يحث جيشه بكامل حشوده،

وهو يتلهف لحرق السفن.

فالحق أنه لم يأمرهم بأن يأتوا إلى هنا للرقص، بل للقتال.

بالنسبة لنا فليس ثمة خطة أو نصيحة، سوى أن تتحد أيدينا

ضدهم فى معركة ضروس وفاصلة. فخيرٌ لنا جميعًا، ٥١٠

إما أن نموت ونختفى للأبد، أو أن نكسب الحياة الكريمة،

فهذا خير من أن نحاصر طويلاً بجوار السفن فى صراعٍ رهيبٍ بلا

طائل على أيدى رجالٍ أقل منّا شأنًا"

وما أن قال ذلك حتى ألهب قوة كل رجلٍ وروحه،

وقتل هيكتور، بعدها، سخيديوس بن بيريميديس ٥١٥

قائد الفوكيين، وقتل أياس لاؤداماس

قائد المحاربين على أقدامهم، الابن المجيد لأنتينور.

أما بوليداماس فصرع أوتوس من كيلّلينى

رفيق ابن فيليوس، قائد الإيبيين قوى العزم.

وشاهده ميجيس، فانقض عليه، لكن بوليداماس ٥٢٠

تملّص من تحته، فأخطأه ميجيس – لأن أبوللون لم يسمح

بأن يقهر ابن بانثوؤس وسط محاربى المقدمة –

لكنه أصاب كروبسموس برميةٍ من رمحه

وقعت على صدره فسقط مرتطمًا، وبادر الآخر ينزع أسلحته من

كتفيه، فانقض عليه دولوبس الرمَّاح الماهر ٥٢٥

ابن لامبوس فهو الذى أنجبه لامبوس بن لاؤميدون، إنه

أشجع أبنائه والأكثر مهارة فى القتال الضارى،

فهو الذى قذف برمحه، آنذاك، درع ابن فيليوس

مقتربًا منه، لكن درع صدره المحبوك بمهارة والذى

كان يرتديه حماه، فهو مقوى بألواح معدنية. ٥٣٠

وكان فيليوس قد أحضر هذا (الدرع) من خارج إفيرى، من نهر

سيللئيس، حيث أهداه إليه صديقه الضيف يوفيتيس ملك الرجال

ليرتديه فى المعركة ويقيه شر العدو،

والآن، حال الدرع دون إصابة جسد ابنه بالموت.

ثم قذف ميجيس برمحه الحاد أعلى تجويف الخوذة البرونزية ٥٣٥

ذات العرف من شعر الحصان، التى كان يرتديها دولوبس

فجزَّ (الرمح) منها العرف، وسقط العرف كله، على التراب،

وكان يتألق فى صبغته الأرجوانية الجديدة.

بينما ظل (ميجيس) يحارب (دولوبس) وكله أمل فى النصر.

ولاسيما عندما جاء مينيلاؤس محب الحرب ليساعده. ٥٤٠

إذ جاء إلى جانبه حاملاً رمحه دون أن يراه (دولوبس)،

وقذفه، فأصابه خلف كتفه، وغاص الرمح لضرواته

ووصل إلى صدره، فاندفع إلى الأمام، وانكفأ على وجهه.

فأسرع نحوه الاثنان ينزعان الأسلحة البرونزية عن كتفيه.

لكن هيكتور نادى أقاربه جميعهم، ٥٤٥

وكان ميلانيبوس القوى بن هيكيتاؤن(*) أول من وبخه،

(*) هيكيتاؤن هو أخو برياموس. (المحرر)

إذ كان، حتّى ذلك الوقت، يطعم قطعانه بطيئة الحركة
فى بركوتى، عندما كان الأعداء لا يزالون بعيدًا.
وما أن جاءت سفن الدانائيين المقوسة
عاد إلى إليون، وكان مرموقًا بين الطرواديين ٥٥٠
فأقام عند برياموس الذى رعاه باحترام كأحد أبنائه.
عنّفه هيكتور وخاطبه قائلاً:

"أى ميلانيبوس، كيف لنا أن نتهاون هكذا؟
ألم ينتبه قلبك العزيز لموت قريبك؟
ألم تر كيف يعبثون بأسلحة دولوبس؟ ٥٥٥
لكن، تعال، فلم يعد يجدى أن تحارب الأرجيين
من بعيد، فإما أن ننقض عليهم أو يستولون هم على إليون،
من قمتها وحتى قاعها، ويقتلون شعبها"

قال ذلك ومضى يتبعه الرجل شبيه الآلهة (ميلانيبوس).
وحثّ أياس العظيم بن تيلامون الأرجيين قائلاً: ٥٦٠

"أى أصدقائى، كونوا رجالاً، واشعروا بالحياء فى قلوبكم
وليخجل كلٌ من الآخر فى خضم هذا الصراع العنيف.
فإذا شاع بينكم الحياء أنقذ منكم أكثر مما قتل.
أما الفارون، فلن يلحقهم مجدٌ أو نفعٌ"

وما أن قال ذلك، حتى تحمس جميعهم للدفاع ٥٦٥
واختزنوا فى قلوبهم كلمته، وطوقوا السفن
بسياج من البرونز، بينما كان زيوس يحرض الطرواديين ضدهم.
وحثّ، مينيلاؤس، البارع فى صيحة الحرب، أنتيلوخوس:

"أى أنتيلوخوس، ليس من بين الآخيين من هو أكثر شبابًا
وعنفوانًا منك، ولا من هو أسرع من قدميك، ولا من هو أبسل منك ٥٧٠

فى الحرب. فماذا لو تهجم على واحدٍ من الطرواديين وتقتله؟"

وعاود الإسراع، بعد أن قال ذلك، بعدما أشعل حماسة

(أنتيلوخوس) الذى وثب بين محاربى المقدمة، وتلفت حوله،

بنظرات خاطفة حذرة فصوب برمحه البرّاق، فتراجع

الطرواديون مسرعين بعيدًا عن الرجل، فهو لم يطلق ٥٧٥

قذائفه هباءً، بل أصاب ميلانيبوس بن هيكيتاؤن، قوى الهمة

وهو قادم إلى المعركة، أصابه فى حلمة ثديه

فسقط مغشيًا عليه، وغامت عيناه فى الظلمة.

فهجم عليه أنتيلوخوس، كما يهجم الكلب

على ظبى صغير أصابه القناص بجرح ٥٨٠

وهو يثب من جحره،وأرخى أطرافه.

هكذا، يا ميلانيبوس، هجم عليك أنتيلوخوس العتيد

لينزع عنك أسلحتك، بيد أنه لن يخفى عن هيكتور

الإلهى، الذى هرع من وسط صفوف القتال للقائه.

ولم يبق أنتيلوخوس فى مكانه، رغم أنه محاربٌ ماهرٌ ٥٨٥

بل فر كوحشٍ ارتكب سوءًا، بأن قتل كلبًا أو راعيًا بجوار قطعانه

ثم هرب قبل أن تدركه جموع الرجال المطاردين له

هكذا هرب ابن نيستور، بينما الطرواديون وهيكتور

يمطرونه بقذائفٍ قاسية يصاحبها صياح عجيب. ٥٩٠

غير أنه عاد إلى جموع رفاقه

و وقف، ثم هجم الطرواديون على السفن، وكأنهم

أسود ضارية، ينفذون ما قدرّه زيوس

الذى طالما بثّ فيهم عزيمةً ثائرة، وأخمد الحماس فى قلوب

الأرجيين، وسلبهم المجد، وشجّع الآخرين. ٥٩٥

فقد عزم قلبه على أن يمنح المجد لهيكتور

بن بريـاموس، حتى يستطيع أن يلقى على السفن المقوسة
نارًا متوهجة، لا تخبو، ويحقق لثيتيس بذلك وحتى النهاية
دعاءها المسرف. وبات زيوس ذو االنصح السديد ينتظر ذلك
علَّ عينيه ترمقان وهج سفينة مشتعلة ٦٠٠
ومن الآن فصاعدًا، شرع يرتب انسحاب
الطرواديين من السفن، ويمنح الدانائيين المجد.
وذلك ما فكَّر فيه عندما حرَّض هيكتور
بن برياموس ضد السفن المجوفة، والذى كان هو نفسه أشد لهفةً
وثورة، مثل آريس الرَّماح، أو كنار ضارية ٦٠٥
تستعر وسط الجبال فى أعماق غابة كثيفة
غطى الزبد شفتيه، وعيناه شاخصتان تبرقان
أسفل حاجبين رهيبين. واهتزت خوذة هيكتور
حول وجنتيه بصخبٍ، بينما كان يحارب
ويحميه زيوس بنفسه من السماء، ويمنحه ٦١٠
الشرف والمجد، دون غيره من بين المحاربين.
حيث كان مقدرًا أن يكون أجله قصيرًا.
وكانت باللاس أثينة، من الآن تُعجِّل
بيوم هلاكه على يد ابن بيليوس وقوته الفتاكة.
كان (هيكتور) تواقًا لاقتحام صفوف الرجال ٦١٥
فحاول ذلك أينما رأى تكتلاً كبيرًا وأسلحة عظيمة.
بيد أنه، رغم لهفته، لم يقو على الاقتحام
وظلوا صامدين، كما لو أنهم قلعةٌ، تشبه صخرة ناتئة
شديدة الانحدار، هائلة وصلبة، بجوار بحرٍ رمادى،
تتجلى فى مهب ريحٍ عاصفة عاتيةٌ، ٦٢٠
حيث الأمواج العالية أمامها.

بمثل تلك الصلابة قاوم الدانائيون الطرواديين، ولم يتراجعوا،
إلا أن (هيكتور) وثب وسط الجموع، متوهجًا كاللهب.
نزل فى وسطهم، كما تسقط تحت السحب موجةٌ مجنونة
دفعتها الريح على سفينة مسرعة، فغمرتها ٦٢٥
عن آخرها بالزبد، وجأرت فى حبال الصارى عاصفة
الرياح الهوجاء، فارتجفت قلوب البحارة
رعبًا، وقد رأوا أنهم على وشك الهلاك.
هكذا كانت قلوب الآخيين فى صدورهم ممزقة،
إذ انقض عليهم (هيكتور) بشهوة جموح للافتراس، كأسد ٦٣٠
نزل على قطيع لا يحصى، يرعى فى أرض منخفضة
فى مستنقع رحب، فيه راع غير متمرس فى
قتال مثل هذا الوحش الذى صرع عجلاً ملتوى القرنين،
وإلى جانب القطيع يمشى الراعى تارة فى المقدمة
وأخرى فى المؤخرة، فينقض الأسد على الوسط ٦٣٥
ليلتهم عجلاً، ويفر باقى القطيع مذعورًا.
هكذا، فُزِعَ الآخيون جميعًا بشدة من هيكتور وزيوس الأب.
قتل هيكتور رجلاً واحدًا: بيريفيتيس من موكيناى
الابن العزيز لكيبريس (القبرصية)، الذى حمل رسائل
الملك يوريستيوس إلى هرقل الجبار. ٦٤٠
ورغم أن الأب كان أقل شأنًا (من ابنه) بكثير، إلا أنه
أنجب ولدًا يبزه فى الفضائل جميعًا، سرعة القدمين
والقتال، والفطنة. كان أول الموكينيين
الذى قدم مجد النصر لهيكتور
حيث تعثّر، وقد استدار للخلف فى حافة الترس ٦٤٥
الذى كان يرتديه وقد وصل إلى قدميه، ليحميه

من الرماح، تعثَّر به، فوقع وعندما سقط صلصلت الخوذة
بصخب حول وجنتيه. وسرعان ما لمحه هيكتور، فجرى نحوه
وغرس رمحه فى صدره، وقتله أمام رفاقه ٦٥٠
الأعزاء الذين لم يتمكنوا من نجدته، رغم تألمهم
لصديقهم، ففزعهم الرهيب من هيكتور الإلهى كان يغلبهم.
كادوا يصلون إلى وسط السفن، تحيطهم السفن من الأطراف
تلك التى سحبوها إلى الصف الأول، لكن باغتهم (الطرواديون)
وتقهقر الأرجيون من السفن الأمامية ٦٥٥
مرغمين، ومكثوا إلى جوار خيامهم
متكتلين، ولم ينتشروا عبر المعسكر، حيث تملكهم خزى
وخوف، وطفق كل منهم يستحث الآخر دون توقف
لاسيما نيستور الجيرينى، حارس الآخيين
(الذى) توسل إلى كل رجلٍ وهو يقسم بآبائه: ٦٦٠
"أيها الأصدقاء، كونوا رجالاً، واشعروا بالحياء فى قلوبكم
كغيركم من الرجال الآخرين، وليتذكر كل منكم
صغاره وزوجته وممتلكاته ووالديه
أحياءً كانوا أو أمواتًا. إننى أتوسل إليكم، من أجل ٦٦٥
الغائبين عنًا، أن تقاوموا بصلابةٍ ولا تتقهقروا مذعورين"
قال ذلك فألهب قوة كل رجل وروحه وأزاحت أثينة سحابة
ضباب عن أعينهم، وبزغ النور ساطعًا عليهم من كلا الجانبين
من ناحية السفن، ومن ناحية الحرب المتكافئة. ٦٧٠
فتبينوا هيكتور القوى فى صيحة الحرب ورفاقه
أولئك الذين وقفوا جميعًا فى المؤخرة ولم يحاربوا،
وكذلك جميع من شنوا الحرب الشعواء عند السفن السريعة.
ولم يعد يشفى غليل روح أياس شديد العزم

أن يقف، حيث يقف الآخرون من أبناء الآخيين، فى منأى عن القتال. ٦٧٥
بل أخذ يسير بخطو واسع فوق ظهر السفن
ممسكًا برمحٍ طويلٍ فى يديه
موصول بأبازيم ويبلغ من الطول اثنتين وعشرين ذراعًا.
ومثلما يسرج فارس فائق البراعة
أربعة خيول اختارها من بين أسراب (الجياد)، ٦٨٠
فيسوقها فى طريق سريع من سهل إلى مدينة عظيمة
عبر طريقٍ عام، فيعجب به الكثيرون
رجالا ونساء، وبخطوة واثقة
يثب من (حصان) إلى آخر، وهى مسرعة كأنها تطير.
هكذا كان أياس يقفز بخطو واسع فوق ٦٨٥
ظهر السفن السريعة، حتى بلغ صوته عنان السماء
وهو ينادى على الدانائيين، بصيحات رهيبة
ليدافعوا عن سفنهم وخيامهم. غير أن هيكتور لم
يمكث ساكنًا وسط جموع الطرواديين المسلحين،
لكنه كصقرٍ أسمر مائل للاصفرار انقض على سرب ٦٩٠
من طيور مجنحة تأكل على ضفة نهر
- سرب من الأوز البرى أو الغرانيق أو البجع طويل الأعناق -
هكذا، انقض هيكتور على سفينة مقدمتها قاتمة.
مندفعًا تجاهها مباشرة، وقد دفعه زيوس بيدٍ بالغة القوة
من الخلف، فألهب حماس الحشد معه فى آن واحد. ٦٩٥
ويالها من معركة وحشية، تلك التى عاودت الاندلاع عند السفن،
فلك أن تقول إنهم واجهوا بعضهم البعض
دونما كلل أو هوادة فى المعركة، كانوا يقاتلون فى ضراوة.
ولكن كان كل فريق يحمل فى قلبه أفكارًا مختلفة: فقد كان الآخيون

يقولون إنهم لن يفلتوا من السوء، وسيهلكون لا محالة. ٧٠٠
أما الطرواديين، فتمنى قلب كل واحد منهم فى صدره
أن يحرق السفن، ويقتل أبطال الآخيين
تلك كانت أمانيهم، عندما صمد كل جيش فى مواجهة الآخر.
غير أن هيكتور أمسك مؤخرة سفينة ماخرة عباب البحار
متألقة تسرع فوق المياه، هى التى حملت بروتيسيلاؤس ٧٠٥
إلى طروادة، إلا أنها لم تعد به ثانية إلى أرض الوطن.
وحول سفينته كان الآخيون والطرواديون يفتك
كل منهم بالآخر فى التحام مباشر،
دون انتظار لإطلاق السهام والرماح،
بل وقف كل فريق لصيقًا بالآخر ٧١٠
وبعقل واحد وبقلب واحد حاربوا ببلطات حربية حادة وبلبطات
وسيوف هائلة، ورماح ذات حدين.
وتساقطت على الأرض سيوف كثيرة رائعة محاطة مقابضها بسيور
بعضها (سقط) من أيادى الرجال وهم يحاربون
وبعضها من فوق أكتافهم، وقد فاضت الأرض السوداء بالدماء. ٧١٥
وما أن أمسك هيكتور بمؤخرة السفينة، حتى أحكم قبضته
ولم يدع ذيل السفينة يفلت من يده، وحث الطرواديين صائحًا:
"أحضروا النيران، وألهبوا بها صيحات القتال، كلكم
بصوت واحد، فقد منحنا زيوس، يومًا جليلاً من بين كل (الأيام)
حتى نستولى على السفن التى جاءت إلى هنا دون إرادة الآلهة، ٧٢٠
وأتت علينا بويلات عديدة بسبب تقاعس الشيوخ
الذين باتوا يمنعوننى، وأنا متلهف لأن أحارب
عند مؤخرات السفن، وعاقوا الجيش
وإذا كان زيوس، بعيد النظر، قد عطل خططنا من قبل

فإنه الآن هو نفسه يحرّضنا ويأمرنا" ٧٢٥

وإذ قال ذلك، ازداد هجومهم على الأرجيين
ولم يصمد أياس طويلاً، فكان محاصرًا بالرماح
وتراجع قليلاً، ظنًا منه أنه هالك تاركًا متن السفينة متينة الاتزان،
إلى ممر خشبى مؤقت طوله سبعة أقدام.
ووقف مراقبًا وظل يصدُ برمحه ٧٣٠
كل من يفكر من الطرواديين أن يحضر نارًا مستعرة إلى السفن،
وراح يستحث الدانائيين بصيحات مرعبة:

"أى أصدقائى، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع آريس
كونوا رجالاً، أيها الأصحاب، واستنفروا قوتكم الباطشة
ماذا إذن! أنظن أن ثمة مساعدين خلفنا، ٧٣٥
أو أن هناك حصنًا منيعًا يصد الهلاك عن الرجال؟
إنه لا توجد على مقربة منًا مدينةٌ حصينة بأبراج
نلجأ إليها، أو بها من الجيوش ما يمكنها من تحويل دفة القتال،
لكننا متمركزون فى سهل الطرواديين المسلحين،
دونما شيء يحمى ظهرنا سوى البحر، بعيدًا عن أرض الوطن. ٧٤٠
ولذا فإن نور الخلاص يكمن فى قوة أيدينا وليس فى التقاعس
عن الحرب".

قال ذلك، وراح يطير برمحه الحاد ثائرًا
ومَنْ يقترب من الطرواديين من السفن المجوفة
بنيران مشتعلة، مندفعًا بفضل صيحات هيكتور
ينتظره أياس، وبرمية من رمحه الطويل، يصيبه بالجروح،
فأصاب اثنى عشر رجلاً، فى اشتباك أمام السفن. ٧٤٦

الكتاب السادس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

حول السفن ذات المقاعد المتينة، كانوا يحاربون،
واقترب باتروكلوس من أخيليوس راعى الشعب،
يذرف دمعًا ساخنًا كنافورة ماء قاتم
تدفع بتيارها العكر إلى هوة منحدر صخرى.
فلما رآه أخيليوس الإلهى سريع القدم　　٥
خاطبه بكلمات مجنحة قائلاً:

"لماذا، إذن، تذرف دمعًا، يا باتروكلوس، كطفلة صغيرة
تلاحق أمها لتتوسل أن تحملها،
تتعلق بردائها وتعرقل خطوها السريع،
وترنو إليها مستعطفة بالدموع لعلها تقبل حملها؟　　١٠
هكذا أنت تبدو، يا باتروكلوس، ينهمر منك الدمع رقيقًا.
ألديك شىء تقوله للميرميدونيين، أو (تقوله) لى؟
أم أن ثمة رسالة من فثيا، أنت وحدك، من سمعها؟
يقولون إن مينويتيوس، ابن أكتور، لم يزل حيًا،
وإن بيليوس ابن أياكوس حى أيضًا، بين الميرميدونيين.　　١٥
فموت هذين الاثنين بالذات هو الذى يمكن أن يستدر بحق دموعنا.
أم أنك تنتحب على الأرجيين الذين،هكذا، يهلكون
فى سفنهم المجوفة، بسبب تخطيهم الحدود؟
لا تكتم ما بقلبك، قلها علانية، ولنعلمها معًا"

أجبته، أيها الفارس باتروكلوس، وأنت تئن بمرارة:　　٢٠
"أى أخيليوس، يابن بيليوس، يا أعظم الآخيين قوة
لا تغذى غضبك، فالحزن المرير يعصف بالآخيين.
كانوا الأفضل والأقوى، فى ذات يوم مضى
والآن، يرقدون جرحى، تحصدهم القذائف عند السفن.

هذا حال ديوميديس بن تيديوس القوى ٢٥
وكذا أوديسيوس الشهير برمحه وقد جرح، وأجاممنون
ويوريبيلوس وقد قذف بسهم فى فخذه.
إن الأطباء، ذوى الخبرة فى المداواة، يرعونهم،
يداوون الجروح، وأنت، يا أخيليوس، لم تزل بلا حيلة.
ليتنى أنا الذى أختزن ما تحتفظ به من غضبك، ٣٠
يا لها من قوة ملعونة ! لكن أى جيل تال سيفيد منك ومن قوتك
إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار المخزى؟
يا لقسوتك، لايمكن حقًا أن يكون والدك هو الفارس بيليوس!
وأن تكون أمك هى ثيتيس، أنت أنجبك البحر الرمادى
والصخور قاسية الانحدار، لذا فرأسك صلبة. ٣٥
لكن إذا كان عقلك يهرب من تحذير إلهى ما،
ربما أسره إليك زيوس عن طريق أمك الإلهة،
فلا أقل من أن ترسلنى أنا على الفور على أن يتبعنى باقى جيش
الميرميدونيين، فربما أجلب نورًا للدانائيين.
فاعطنى أسلحتك واسمح لى أن أحملها على كتفى، ٤٠
فربما يخطىء الطرواديون لو رأوها عن بعد ويظنوننى أنت،
فيكفوا عن القتال، وعندئذ يستطيع المحاربون المتعبون أبناء الآخيين
أن يلتقطوا أنفاسهم، فكم يتضاءل زمن التنفس فى المعارك!
وقتها، ربما أمكننا نحن - غير المتعبين - أن نطرد إلى المدينة
هؤلاء المحاربين المتعبين، بعيدًا عن السفن والثكنات" ٤٥
تكلم فى ضراعة، وما أحمقه،
فالموت ومصيره القاسى ينتظرانه، وهذا هو حقًا حصاد ما تضرع به.
فرد عليه أخيليوس سريع القدم قائلاً فى انزعاج:
"ما هذا الذى تفوهت إلىَّ به، يا باتروكلوس، يا سليل زيوس؟

فأنا بالنبوءات، أيًا تكون، لا أبالى ٥٠
ومن زيوس، لم يأتنى شىءٌ عبر المليكة أمى،
لكنَّ الحزنَ يسممُ قلبى وروحى.
فعندما يستبد الرجل الحاكم فى حرمان قرينه المساوى له من نصيبه،
يعميه سلطانه فيسلب قرينه مكافأته.
كم عانت روحى من مرارة تجلب ألمًا حزينًا! ٥٥
فحتى السبية مكافأتى التى منحها لى أبناء الآخيين
جزاء ما حصده رمحى من المدينة الحصينة(*).
سلبها من بين يدى الملك أجاممنون
بن أتريوس، كما لو كنت غريبًا أو عابر سبيل ليست له كرامة.
ومع ذل فلندع الماضى يمر، فلا يليق ٦٠
بإنسان أن يحبس نفسه فى الغضب للأبد، بيد أنه فيما
أظن من غير الممكن أن أتخلى عن غضبى، حتى يحين الوقت
وتأتى صيحة المعركة، ويشتعل القتال عند سفنى.
ومع ذلك ضع أسلحتى المجيدة على كتفيك
وقُد الميرميدونيين محبى الحروب إلى القتال. ٦٥
فغمام الطرواديين المعتم متكتل يحاصر
السفن فى قوة، بينما دفع حشد الأرجيين قريبًا من شاطىء البحر،
ولم يتبق لهم سوى قطعة منحسرة من اليابسة.
خرجت مدينة الطرواديين كلها ضدهم ٧٠
وقد امتلأوا ثقة، لأنهم لم يلمحوا ذؤابة خوذتى
تتلألأ عن قرب، وإلا فكانوا، فيما أظن، سيهرعون فرارًا
وكانت ستمتلىء مجارى المياه بجثثهم لو أن الملك أجاممنون، فقط،
عاملنى بلطف. إلا أنهم، الآن، يحاصرون جموعنا من كل اتجاه،

(*) هى ليرنيسوس Lyrnessos التى ورد ذكرها فى الكتاب الثانى بيت ٦٩٠. (المحرر)

ولم يعد الرمح يثور فى جموح بيد ديوميديس بن تيديوس
لكى يدفع الموت والهلاك عن الدانائيين. ٧٥
حتى الآن، لم أسمع صياح ابن أتريوس
يعلو من فمه الكريه، (لكنى أسمع) صوت هيكتور قاتل الرجال
يجلجل حولى، آمرًا الطرواديين، الذين يملأون السهل
بصيحات النصر، إنهم الآن يهزمون الآخيين فى المعركة.
رغم هذا، يا باتروكلوس، لتدفع الدمار عن السفن ٨٠
اهجم عليهم بقوةٍ خشية أن يدمروها بنيرانهم
ويحرمونا من عودتنا المنشودة للوطن.
الآن، فلتنصت، لأسكب النصائح فى تيار عقلك.
لعلك تجلب لى – على يد كل الدانائيين – تكريماً
ومجدًا أبديين، فيردون إلىَّ الفتاة الحسناء ٨٥
كما يغدقون لى الهدايا الرائعة.
اطرد الأعداء من السفن وعد ثانية، لكن إذا منحك،
زوج هيرا، ذو الرعد المدوى، مجدًا تطرب له نفسك
فلا تطمع فى أن تخوض المعركة دونى
ضد الطرواديين محبى النزال، فأنت حينئذ تنقص من قدر مكافأتى. ٩٠
لا تدع نشوة الفخر، لضراوة النزال
وقتل الطرواديين تصيبك، ولا تقد (الحشد) إلى إليون
خشية أن يهبط إله خالد من الأوليمبوس
ضدك فأبوللون – بعيد القذائف يحبهم ويؤازرهم
وبمجرد أن تجلب نور الخلاص للدانائيين عند السفن ٩٥
ارجع واترك للباقين المعركة فى السهل.
أيها الأب زيوس، ويا أثينة، ويا أبوللون،
ليت لا ينجو من الموت أحد من الطرواديين، أيًا كان عددهم

ولا من الأرجيين أيضًا. ابعدوا عنا – نحن الاثنين فقط – الهلاك
حتى نمزق – نحن الاثنين فقط –، تاج طروادة المقدس" ١٠٠

وبينما كان الحديث يدور بينهما
لم يعد أياس يصمد حيث حاصرته القذائف.
أخضعته مشيئة زيوس وكبرياء الطرواديين وبراعتهم،
وظلت خوذته المصقولة حول خديه تجلجل
بقوة، كلما أصابتها القذائف المنهالة ١٠٥
على المعدن المتين الواقى لخديه. أما كتفه
اليسرى فقد أنهكها التعب، تحت وطأة درعه البراق. ومع ذلك لم
يستطيع الأعداء رغم قذائفهم العاتية، أن يميطوا الدرع من فوقه.
كانت أنفاسه تتحشرج بصعوبة، وتصبب العرق من أطرافه
ليغمر جسده، و لم يتوقف لحظةً ١١٠
ليلتقط أنفاسه، كانت المصائب حوله تتراكم على المصائب.

أخبرننى، الآن، ياربات الفنون (الموساى)، يا من تقطنّ
الأوليمبوس كيف، ومنذ البداية، أتت النيران على سفن الآخيين؟

تقدم هيكتور وضرب بسيفه العظيم رمح
أياس الرمادى، عند طرفه، فى أسفل سنه الحاد
فشقه تمامًا. أما أياس التيلامونى العظيم ١١٥
فكان يلوح عبثًا، وفى يده رمح مكسور لا رأس له،
حيث سقط نصل الرمح النحاسى على الأرض يدوّى بعيدًا عنه.
حينئذ، ارتجف أياس، وبقلبه الجسور أدرك
أفعال الآلهة، التى أفسدت كل خططه فى المعركة. ١٢٠
فزيوس ذو الرعد المدوى يرغب فى النصر المؤزر للطرواديين.
واشعلوا نيرانًا لا يخمد أوارها فى السفينة السريعة.

وعلى الفور ودون توقف انتشر اللهب فى كل مكان.

اندلعت النيران بمؤخرة السفينة، إلا أن أخيليوس

وهو يضرب فخذيه وخاطب باتروكلوس قائلاً: ١٢٥

"انهض يا باتروكلوس يا سليل زيوس، أيها الفارس البارع

انظر، لهب النيران يلتهم السفن، أخشى أن

يستولوا على السفن، فلا يبقى لنا طريق للهرب.

أسرع وتسلح بسلاحى، بينما سأمضى لإستثارة همة الجيش"

هكذا تكلم (أخيليوس)، وشرع باتروكلوس يلبس ١٣٠

أسلحته المصقولة، شد أولاً دروع الساق برشاقة حول ساقيه،

وثبتها بأبازيم فضية عند كاحليه، أحاط كامل صدره بدرع

سليل أياكوس سريع القدم، وكان زاهيًا مرصّعًا بنجوم زاهرة.

وضع على كتفيه، سيفًا مرصعًا بالفضة، ١٣٥

كان السيف برونزيًا مصقولاً بمهارة،

وضع خوذته الصلبة على رأسه القوية

مزينة بعرف من شعر الجياد، الذى يتدلى فيثير الرهبة.

وأمسك،أخيرًا، برمحين عظيمين يلائمان قبضتيه

لكنه لم يأخذ رمح سليل أياكوس الذى لا نظير له ١٤٠

ذلك الرمح الثقيل الحاد، حيث لا يمكن لأحد غيره من الآخيين

السيطرة عليه، فأخيليوس، دون غيره، هو من يستطيع ترويضه.

صُنع الرمح من شجرة دردار فوق جبل بيليون، منحه خيرون لوالده

الحبيب، فهو رمح انحدر إذن من قمة جبل بيليون؛ هلاكًا للأبطال.

على الفور أمر أوتوميدون أن يضع النير على أعناق الخيول ١٤٥

(أوتوميدون) الذى كان (باتروكلوس) يبجله

كثيرًا جدًا على نحو يلى أخيليوس مشتت صفوف المحاربين

وكان فى نظره الأكثر إخلاصًا من غيره فى الصمود فى خضم
صخب القتال. وبأمره قاد أوتوميدون الجياد تحت النير بسرعة:
كسانثوس وباليوس السريعين اللذين يطيران مثل الرياح.
وهما اللذان أنجبتهما بودارجى إحدى الهاربيات لريح الغرب ١٥٠
زيفيروس. إذ كانت ترعى فى مرج بجانب مجرى الأوكيانوس.
وكذلك بيداسوس، شده (أوتوميدون) إلى العنان
ذلك (الجواد) الذى لا يبارى أتى به أخيليوس عندما نهب مدينة إثيتيون
ورغم كونه فانياً، فقد كان يشارك الخيول الخالدة.
فى نفس الوقت كان أخيليوس يتجول هنا وهناك ١٥٥
بين الخيام آمرًا رجاله الميرميدونيين جميعًا بالتسلح وارتداء الدروع.
وكانوا كالذئاب المفترسة تعتمل فى صدورها قوة لا توصف.
قتلت (تلك الذئاب) أيلاً بريًا ترعرع قرنه فى الجبال،
نهشته حتى تخضبت أفواهها بالدماء،
ثم ذهبت معًا إلى ينبوعٍ ذى مياه قاتمة ، ١٦٠
ارتشفت بألسنتها النحيلة ماءً عكرًا،
وتتساقط نقاط الدم من فكها، وكانت قلوبها
مفعمة بالتحفز، وبطونها منتفخة.
احتشد القادة وأصحاب الرأى الميرميدونيون
التفوا، جميعًا، حول الرفيق الوفى لسليل أياكوس، سريع القدم ١٦٥
يقف أخيليوس الشجاع، بالطبع، بينهم
محرضًا الجياد والرجال لابسى الدروع، (على القتال)
كانت خمسون سفينة سريعة تحت قيادة أخيليوس
حبيب زيوس، وقد أبحر إلى طروادة
فى كل منها جلس خمسون رجلاً من أتباعه عند مساند المجاديف ١٧٠
عين لهم قادةً خمسة محل ثـــقته، يعطون

إشارات يرسلها إليهم، فهو ملك قوى له القيادة العليا.
كان مينيسثيوس ذو درع الصدر اللامع قائد المجموعة الأولى
(مينيسثيوس) بن سبرخيوس، ذلك النهر المتدفق من زيوس (السماء)
و (أمه) بوليدورى الجميلة ابنة بيليوس. ١٧٥
أنجبته لسبرخيوس الذى لا يكل، امرأة سلمت نفسها لإله.
ومع ذلك عرف على أنه ابن بوروس بن بيريريس
الذى زف إليها علنًا وقد قدم هدايا ثمينة.
وقاد المجموعة الثانية يودوروس الشجاع
ابن بوليميلى الجميلة البارعة فى الرقص، تلك العذراء ١٨٠
ابنة فيلاس التى شغفت صياد أرجوس القوى حباً،
عندما تملَّى منها بعينيه وهى تغنى وسط العذارى
فى رقصة تحتفى بأرتميس ذات السهام الذهبية.
انسل، بعد ذلك مباشرة، إلى حجرتها وشاركها الفراش سرًا
الإله هرميس جالب الخير، فوضعت له ولدًا ١٨٥
هو يودوروس المجيد، سريع القدمين قوى العراك.
بعد آلام المخاض أتت به إيليثويا إلهة المهد
إلى النور، حيث طالع نبع الشمس، وقاد إخيكليس
بن أكتور شديد البأس (بوليميلى) إلى منزله
وأغدق عليها من هدايا الزواج مالا يحصى ١٩٠
وبات أبوها المسن فيلاس يربى (يودوروس) ويُحسن
رعايته شاملاً إياه بالحب تمامًا كما لو كان ابنه.
وكان بيساندروس قائد المجموعة الثالثة، إنه
القائد الشجاع ابن مايمالوس الذى يفوق الميرميدونيين جميعهم
فى القتال بالرمح بعد (باتروكلوس) رفيق ابن بيليوس. ١٩٥
وكان فوينيكس، الفارس الأسن (قائدًا) للمجموعة الرابعة

وكان ألكيميدون؛ الذى لا نظير له ابن لائيركيس، (قائد) المجموعة
الخامسة وما أن صفهم أخيليوس جميعًا مع قادتهم
ألقى فيهم كلمة صارمة قائلاً:

"أيها الميرميدونيون، لا تدعوا أحدًا منكم ينسى التهديدات ٢٠٠
التى هددتم بها الطرواديين بجوار السفن السريعة.
إبان فترة غضبى، ولقد أنبنى كل فرد منكم قائلاً:
أى ابن بيليوس العنيد، لقد أرضعتك أمك الضغينة
يا عديم الرحمة، يا من تحتجز رفاقك مكرهين عند السفن،
ليتنا على الأقل نعود، إلى ديارنا بسفننا عابرة البحار ٢٠٥
فقد غمر قلبك الغضب المهلك.
بمثل هذه الكلمات فى مجموعات هاجمتمونى، وها هى
الآن حرب عظيمة تنتظركم ولطالما تمنيتموها فيما سبق.
فليحارب كلٌ منكم الطرواديين بقلب شجاع"

خرجت منه الكلمات تستدر القوة وتستفز شجاعة كل رجل ٢١٠
اصطفت الصفوف متلاصقة عندما سمعوا مليكهم.
ومثلما يرص رجلٌ حجارةً ليشيد حائطًا
لبيتٍ شاهق يتقى به عنف الرياح.
وهكذا كانت الخوذات والدروع ذات الحلى المعدنية
درعًا تلو درع، وخوذة تلو خوذة، ورجلا تلو رجل. ٢١٥
تعلو قمم الخوذات، ذؤابات من شعر الخيل
تضوى إذ يومئون، وتتلامس فى الزحام المتراص(*).
وفى مقدمتهم جميعًا يتأهب المحاربان للقتال
إذ كان باتروكلوس وأوتوميدون قد عزما معًا

(*) هذه الأبيات شبه مكررة من الكتاب الثالث عشر، أبيات ١٢١ وما يليه. (المحرر)

على الحرب فى مقدمة صفوف الميرميدونيين، وسرعان ما ٢٢٠
هرع أخيليوس إلى خيمته وفتح غطاء الصندوق
الجميل ذا الزخارف الفارهة، الذى أعطته إياه ثيتيس
فضية القدمين، ليأخذه فى سفينته، وقد ملأته بملابس
وعباءات تقى من الرياح، وأغطية صوفية ناعمة
وكأس مصنوع ببراعة، لا أحد ٢٢٥
من البشر شرب من هذا النبيذ المتلألىء سوى أخيليوس.
لم يسكب منه قطرة قربانًا لإله إلا لزيوس الأب
أخذ الكأس من الصندوق ونظفه بالكبريت
ثم غسله بعناية من ماء جار،
وغسل يديه كذلك، ثم صب النبيذ المتلألىء فى الكأس ٢٣٠
وقف وسكب منه قطرات وسط الساحة
وهو يرنو إلى السماء ليراه زيوس ذو الرعد، وقال:
"أى زيوس، يا ملك الدودونيين، أيها البلاسجى(*)، يا من تسكن
بعيدًا وتحكم بستان دودونى المطير وحولك السيللوى (= الهيللوى)(**).
حيث يقطن مفسرو نبوءاتك لا يغسلون أقدامهم ، ٢٣٥
الذين يرقدون فى العراء، سمعت ندائى، ذات مرة، عندما تضرعت
إليك، وكرمتنى بينما أخزيت جيش الآخيين.
ها أنا ذا أتوسل، مرة أخرى، كى تحقق أمنية قلبى.
إذ سأبقى، أنا نفسىهنا عند حشد السفن
بينما بعثت رفيقى، بحشودى الميرميدونية، إلى المعركة ، ٢٤٠
لتمنحه المجد، أى زيوس، ياذا الرعد المدوى،

(*) البلاسجى أى الثيسالى. (المحرر)

(**) سيللوى Selloi أو هيللوى Helloi اسم قبيلة قديمة كانت تسكن دودونى موطن نبوءة زيوس. وربما كان الهدف من ترك أقدام هؤلاء الكهنة دون غسيل هو تسهيل اتصالهم بالعالم السفلى إذ كانت النبوءة فى الأصل تأتى من الموتى عبر إحدى الأشجار. (المحرر)

ولتهب قلب المقاتل قوة، علّ هيكتور يدرك
ما إذا كان رفيقى يحسن إدارة المعركة
أم يحارب وحيدًا، أم أن يديه القويتين لا تثوران،
إلا عندما أذهب أنا إلى ساحة القتال. ٢٤٥
لقد أخذه القتال بعيدًا عن السفن
إننى لأصلى كى يعود سالمًا إلى السفن السريعة،
ولتعد معه كل القوات من رفاقى المحاربين، ومعه أسلحتى"

هكذا تكلم فى ضراعة، وسمعه زيوس صاحب التدبير
فرضى الأب على جزء من صلاته، ورفض الجزء الآخر. ٢٥٠
وافق على أن يستدرج باتروكلوس القتال بعيدًا عن السفن،
إلا أنه أبى عودته سالمًا من المعركة.
وعليه أقيمت القرابين مع الصلوات للأب زيوس.

عاد (أخيليوس)، إلى خيمته وأعاد الكأس إلى الصندوق،
وخرج مرة أخرى ووقف أمام الخيمة، لأن روحه ٢٥٥
تاقت أن ترى صدام الآخيين والطرواديين الرهيب.
وتقدمت صفوف المحاربين، ومعهم قائدهم باتروكلوس جسور
القلب، واثقين فى قوتهم، حتى هجموا مندفعين على الطرواديين.
هبوا دفعة واحدة مثل الزنابير تندفع من جنب الطريق،
حيث أوكارها، إذا استثارها صبية صغار يلهون كعادتهم ٢٦٠
فجلبوا ضررًا عامًا للكثيرين. فحتى عابر السبيل
دون أن يعى يقع عرضة لهجوم الزنابير الشرس
التى تطير فى كل مكان دفاعًا عن سلالتها
ومن أجل البقاء. بمثل هذه القلوب والأرواح ٢٦٥
انطلقت القوات الميرميدونية فى هجومها.
انطلقوا من السفن بصيحاتهم المدوية.

وبصيحة هائلة نادى باتروكلوس رفاقه:

"أيها الميرميدونيون، يا رفاق أخيليوس بن بيليوس

كونوا رجالاً، أصدقائى، ولتوقظوا روح النضال فيكم ٢٧٠

من أجل تكريم ابن بيليوس، إنه أفضل قادة أرجوس قاطبةً

ذلك الذى يقاتل، مع رفاقه، فى صفوف متقاربة بجوار السفن.

أجل، لعل أجاممنون بن أتريوس نفسه واسع الملك، يدرك ذلك

لكن العمى دفعه لازدراء أمجد الآخيين"

وما أن تفوه بذلك، حتى ألهب كل فرد قوةً وشجاعةً. ٢٧٥

وبضربة رجل واحد انقضوا جميعًا على الطرواديين، وبينما كان

يصيح الآخيون، كانت السفن من حولهم ترعد بشكل مفزع

وما أن أدرك الطرواديون أن ابن مينويتيوس الباسل

بنفسه وتابعه المتألقين فى وسط بريق الأسلحة،

حتى ارتجفت قلوبهم، وارتعدت صفوف الفرق المحاربة. ٢٨٠

حسبوا أن ابن بيليوس سريع القدم عند السفن، بعد أن قرر

أن يكظم الغيظ ويتركه إلى جوار السفن مفضلاً التصالح.

فصار كل رجلٍ يتلفت بحثًا عن طريق الهروب من الهلاك المطبق.

كان باتروكلوس هو أول من قذف رمحه البراق مباشرة

وسط الحشد، حيث الاحتشاد الكثيف. ٢٨٥

هناك، عند مؤخرة سفينة بروتيسيلاؤس ذى الروح الجليلة

جُرِحَ بيرايخميس، الذى كان يقود فرسان البايونيين

بعيدًا عن أميدون، آتيًا من نهر أكسيوس وافر الفيض.

ضربه بشدة فى كتفه الأيمن، فانقلب للخلف

على التراب، يتألم، حتى ان رفاقه البايونيين من حوله ٢٩٠

فروا فى ذعر أشاعه بينهم جميعًا باتروكلوس

حين صاح قائدهم وأفضلهم قتالاً فى المعركة،
وطردهم بعيدًا عن السفن، وأخمد النيران المضرمة.
وهناك، ظلت السفينة نصف مشتعلة، وارتعد الطرواديون،
وفروا هاربين، محدثين ضجيجًا هائلاً، وقد انقض عليهم الدانائيون ٢٩٥
وسط السفن المجوفة، والصخب يضطرم دونما انقطاع.
وعصف زيوس المهيب مرسل البرق،
فقشع الغمام القاتم، من قمة جبل شاهق
ولمعت فجأة كل الصخور والنتوءات
والوديان الصغيرة، أو من السماء انفرج الأثير العلوى بالضياء. ٣٠٠
فى تلك الأثناء، وبعد أن أبعدوا عدوهم عن سفنهم ،
وجد الدانائيون متسعًا لالتقاط الأنفاس، لكنهم لم يستريحوا طويلاً
من القتال. فالطرواديون، لم يكونوا قد طُرِدُوا، بعدُ على يد الآخيين
أحباء آريس، فى جماعات مهرولين من السفن السوداء ،
بل ظلوا صامدين فى عناد، لكنهم تقهقروا بعيدًا عن السفن مرغمين. ٣٠٥
ثم سقطوا رجلاً تلو الآخر،

ثم اندلع القتال بين القادة، ضَرَبَ ابن مينويتيوس المغوار أولاً
بحربته الحادة أريليكوس (أو أريلوخوس) فى فخذه.
ما إن استدار (ليهرب) حتى غرس (باتروكلوس) سيفه البرونزى فى
ساقه فكسر السيف العظمة، وسقط (الطروادى) على الأرض ٣١٠
منطرحًا. أما مينيلاؤس الشجاع فجرح ثوأس(*).
فى صدره بطرف الرمح عند الجزء الذى لا يغطيه الدرع، فارتخت
أطرافه كلها، بينما كان ابن فيليوس(**) يراقب أمفيكلوس

(*) ثوأس Thoas قائد طروادى وهو غير ثوأس ملك ليمنوس المذكور فى الكتاب الرابع عشر، بيت ٢٣٠.
(المحرر)

(**) هو ميجيس Meges. (المحرر)

الذى كان مندفعًا تجاهه، وأثبت أنه أسرع من غريمه إذ استبقه
وضربه عند أعلى ساقه، حيث العضلة الأكثر سمكًا، فمزقت الحربة ٣١٥
ذات الرأس الحاد تلك الأعصاب، وغطى سواد عميق جفنيه.
طعن أنتيلوخوس بن نيستور بحربته الحادة
أتيمنيوس – فوخذه بسيفه البرونزى فى جنبه
فهوى مباشرة للأمام على وجهه. لكن ماريس، والسهم فى يده
قفز، فى الحال، على أنتيلوخوس، يملؤه الغضب لموت أخيه. ٣٢٠
وقف دون جثمانه، لكن ثراسيميديس (أخو أنتيلوخوس) – شبيه الآلهة
قذفه مستبقًا ضربته فأصاب بقوة هدفه.
فمزق سن الحربة كتفه أعلى ذراعه
والعضلات كلها، كما تهشمت العظمة تمامًا
ارتطم بالأرض والظلام يطمس جفنيه. ٣٢٥
ذهب الشقيقان التوأم إلى عالم الأشباح على يد شقيقين توأم،
ذهب كلاهما إلى إربيوس رفيقى ساربيدون البطلين،
من رماة الحراب، ولدى أميسوداروس، الذى كانت من قبل
قد ربته خيمايرا، تلك المتوحشة الكاسرة، هلاكًا للكثير من الرجال.
هجم أياس بن أويليوس على كليوبولوس ٣٣٠
قبض عليه حيًا، إذ ارتبك وسط الزحام، فسلبه
على الفور قوته، ضاربًا عنقه بسيفه الفتاك
ومن أثر الدماء، بات السيف دافئًا، وحل الظلام
الدامس والقدر القاسى على عينيه.
ثم التحم بينيليوس وليكون، واشتبكا مندفعين ٣٣٥
برماحهما، ودونما جدوى إذ أخطأ كلاهما الآخر،
فلم يصب رمح أحدهما الآخر. فانهالا ضربًا بالسيوف.
وعلى الفور، ضرب ليكون شارة الخوذة عند تجويفها

فتحطم السيف تمامًا من مقبضه. ثم ضربه بينيليوس
تحت أذنه، فغاص السيف كله، وما بقى سوى المقبض ٣٤٠
فقط، وتدلت الرأس جانبًا، وارتخت الأطراف.
وأدرك ميريونيس، بخطواته الواسعة أكاماس،
وهو يمتطى عربته، وضربه بقوة فى كتفه فهوى من عربته،
وخيمت غمامة على عينيه. ثم ضرب إيدومينيوس
بقوة إريماس على فمه بسلاح لا يرحم ٣٤٥
فانغرس برونز الحربة، إثر الطعنة البارعة،
من أعلى المخ وحتى أسفله، وانشطر العظم الأبيض
ونفرت أسنانه خارج فمه، وقد امتلأت عيناه
بالدماء، النازفة من فمه ومنخاره
حيث فغر الفاه وطوته سحابة الموت السوداء. ٣٥٠

هكذا كان كل واحد من قادة الدانائيين يصرع غريمه من الأعداء
مثلما تنقض الذئاب المفترسة على الحملان الصغيرة
يتخيرونها من بين القطيع، عندما تنتشر مبعثرة فوق الجبال، فى غفلة
من الراعى، فما أن تلمحها الذئاب، حتى تتربص بها
وسرعان ما تمزقها إربًا إربًا، فهى ضحايا ضعيفة القلب جبانة. ٣٥٥
هكذا انقض الدانائيون على الطرواديين، الذين لم يفكروا
إلا فى الفرار والصراخ، وقد باتت بسالتهم مجرد ذكرى.

لكن أياس العظيم، طالما استهدف هيكتور المسلح بالبرونز
متلهفًا أن يرميه برمحه، إلا أن هيكتور الماهر فى شئون الحرب
غطى عرض كتفيه بدرع من جلد الثور، ٣٦٠
وبات يراقب طنين السهام وعويل الرماح.
ومع أنه أدرك حقيقة تبدل كفتى ميزان القتال،
إلا أنه صمد وتفانى فى إنقاذ رفاقه المخلصين.

ومثلما يحدث عندما تغيم سحابة من الأوليمبوس، عبر الأثير العلوى

(سحابة) من العباب المقدس، عندما يرسل زيوس عاصفة عاتية. ٣٦٥

هكذا انطلق الدانائيون من السفن فى صخب

عبروا (الخندق) فى غير نظام. لكن الخيول الراكضة كانت

تحمل هيكتور، ومعه أسلحته تطير به بعيدًا حيث ترك جحافل

الطرواديين الذين كانوا جميعًا مكبوحين كرهًا، بخندق عميق،

وهلك كثيرٌ من الخيول السريعة التى تجر العربات، عند الخندق ٣٧٠

العميق وتحطمت عرائشها وتخلت عن عربات أصحابها.

واصل باتروكلوس الهجوم، صائحًا بالدانائيين

عاقدًا العزم على دحر الطرواديين، الذين تخبطوا فى كل الطرق

يفرون ويصرخون مهزومين مشتتين، وهبت فوقهم زوبعة

بلغ غبارها السحاب، و كانت الخيول ذات الحافر الواحد ٣٧٥

تركض من السفن والخيام صوب المدينة. توجه باتروكلوس

إلى حيث لمح الحشود الكثيفة المندحرة وأطلق صيحة الحرب،

بينما يتساقط الرجال تحت عجلاته،

كما تهاوت العربات محدثةً ضجيجًا.

وطارت الخيول الخالدة فوق الخندق ٣٨٠

تلك الخيول التى منحتها الآلهة لبيليوس هبة إلهية مجيدة

كان باتروكلوس يهفو إلى ملاقاة هيكتور، فقلبه

يتوق إلى الفتك به، لكن خيوله كانت تطير به بعيدًا.

وكما تعتم الأرض السوداء تحت زوبعة هوجاء

فى خريف ما، إذ يرسل زيوس الأمطار العاصفة ٣٨٥

ساخطًا على هؤلاء البشر، الذين يثيرون حفيظته

بما ينطقون به، فى ساحة الاجتماع من أحكامٍ مُخِلةٍ دون مراعاة

للحق والعدل ويقظة السماء وانتقامها.

عندئذ تفيض الأنهار على ضفافها
وتندفع إلى منحدرات التلال فى سيول جارفة. ٣٩٠
تتدفق من الجبال فى صخب نحو البحر الأرجوانى الثائر.
تنهمر السيول مدوية، ومدمرة حقول البشر، ومزروعاتها
هكذا كانت تعدو خيول الطرواديين، وهكذا كان أنينها.
شتت باتروكلوس صفوف الطرواديين الأمامية
وقذف بهم إلى الوراء، ناحية السفن، ولم يُمَكِّنْهُم ٣٩٥
رغم لهفتهم، من أن تطأ أقدامهم المدينة.
إذ ما بين السفن والنهر والسور مرتفع البناء
حاصرهم وانتقم منهم للكثيرين.
كان برونوؤس أول من ضربه بحربته المتلألئة
فى صدره المكشوف، فأرخى أطرافه ٤٠٠
وارتطم بالأرض. وكان ثيستور بن إينوبس الثانى
حيث كان يجلس فوق عجلته الحربية المصقولة
مشتتًا فكره من الذعر، فأفلتت
الأعِنَّة من بين أصابعه، عندئذ اقترب (باتروكلوس)
ووقف إلى جواره، وغرس حربته بين أسنانه فهشم فكه الأيمن. ٤٠٥
ثم التقط (باتروكلوس) حربته وسحبه إلى حافة عجلته كمن يسحب
من البحر، وهو جالس على نتوء صخرى، سمكةً مقدسةً(*)،
بخيط سنارة برونزى متلألئ. هكذا كان (باتروكلوس)
يسحب (ثيستور) بحربته المتلألئة من عجلته الحربية،
ألقى به على وجهه فهوى على الأرض وفارقته الحياة. ٤١٠

(*) أو سمكة"ضخمة" وورد عند هوميروس ثلا ثة تشبيهات بالأسماك. فبالإضافة إلى هذه الفقرة راجع الكتاب ٢٤ بيت ٨١، و"الأوديسة" الكتاب ١٢ بيت ٢٥١-٢٥٦ حيث التشبيه فى هذه الفقرة الأخيرة يقترب من هذه الفقرة التى بين أيدينا. (المحرر)

أسرع إريلاؤس ليعتنى به، إلا أن (باتروكلوس) ضربه بقوة
بجلمود صخر على رأسه، فتهشمت كلها
بداخل الخوذة الثقيلة، وسقط على الأرض منبطحًا
يرف حوله الموت سالب الأرواح.
هجم، بعد ذلك، على إريماس، ثم على أمفوتيروس ٤١٥
وإيبالتيس وتليبوليموس، بن داماستور، وكذلك إخيوس
وبيريس، وإفيوس أيضًا، ويوإيبوس، وبوليميلوس بن أرجياس.
لقد طرحهم جميعًا على الأرض الحاضنة، واحدًا تلو الآخر.

وما إن رأى ساربيدون رفاقه بأردية منزوعة الأحزمة
وقد ضربوا على أيدى باتروكلوس بن مينويتيوس ٤٢٠
حتى صرخ موبخًا الليكيين أشباه الآلهة:

"يا للعار، أيها الليكيون، إلى أين تفرون؟ هلموا، أسرعوا!
حيث إننى سأجابه هذا الرجل حتى أعرف
من ذا الذى يسيطر، هكذا، علينا؟ ذلك الذى أنزل بالطرواديين
شرورًا دامية، ويشيع الرعب بقلوب رجالٍ بواسل" ٤٢٥

تكلم، ثم قفز من فوق عجلته الحربية إلى الأرض فى كامل عدته
متأهبًا. أبصره باتروكلوس فقفز، هو أيضًا، من فوق عجلته الحربية
فى مواجهته كانا مثل نسرين بمخالب ملتوية بمناقير خطافية
يطلقان الصرخات، على قمة منحدر شاهق، تأهبًا للقتال
هكذا أطلقا الصرخات، واندفع كل منهما إلى الآخر. ٤٣٠
رآهما، حينئذ، ابن كرونوس ذو المكر الملتوى
فأشفق عليهما، فتحدث إلى زوجته وشقيقته هيرا:

"أه، يا ويلاه، مقدرٌ على ساربيدون، أعز البشر لدى
أن يموت بأيدى باتروكلوس بن مينويتيوس.

حقيقة، انشطر قلبى بصدرى شطرين ٤٣٥
أفكر فى أمرين: إما أن أنتشله حيًا بعيدًا عن المعركة المبكية،
وأعيده إلى منزله بأرض ليكيا الخصبة،
أو أن أدعه يهزم على أيدى ابن مينويتيوس"

وأجابته بدورها المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:

"يا أكثر أبناء كرونوس بشاعة، ما هذا الذى قلته؟ ٤٤٠
أتريد أن تخلص من براثن الموت إنسانًا فانيًا مقدر له أن يموت؟
افعلها، لكننا، معشر الآلهة، لن نبارك ذلك. أقول لك، ولتنصت جيدًا.
لو أنك أرسلت ساربيدون النبيل، الآن، إلى بيته حيًا، ٤٤٥
تأكد أن أى إله آخر قد يرغب
فى إقصاء ابن عزيز لديه عن ساحة القتال،
فأبناء الخالدين الذين يحاربون مدينة برياموس العظيمة كثيرون،
وستزرع بين الآلهة بذور الغضب والغيرة.
إذا كان (ساربيدون) عزيز لديك، ينفطر له قلبك حزنًا، ٤٥٠
دعه يلج غمار الحرب، دعه يُهْزَمُ على أيدى باتروكلوس
بن مينويتيوس. فإذا غادرت الروح جسده،
فابعث (إله) النوم الهادىء و(إله) الموت ليحملانه سريعًا
إلى مثواه بأرض ليكيا الشاسعة. ٤٥٥
هناك، يواريه أقاربه وأصدقاؤه الترابَ فى مراسم دفن مشرفة،
ويشيدون له ضريحًا يليق بميت مثله"

أنصت إليها أبو البشر والآلهة عندما كانت تتكلم،

وصبَّ، على الأرض وابلاً من أمطار غزيرة فى لون الدم،
تكريمًا لابنه العزيز، الذى قُدِرَ أن يقتله، فى الحال، باتروكلوس ٤٦٠
على أرض طروادة الخصبة، بعيدًا عن وطنه.
وبينما هما يدنوان مندفعين كلٌّ نحو الآخر،

على الفور، ضرب باتروكلوس برمحه ثراسيميلوس الشهير،
حامل الدروع الوفى لعاهل (ليكيا) ساربيدون،
وأصابه أسفل أحشائه، حتى خلع أطرافه. ٤٦٥
هجم عليه ساربيدون برمحه البراق
فأخطأه وأصاب جواده الفانى بيداسوس،
طعنه برمحه فى كتفه الأيمن، فصهل الجواد مسلمًا الروح،
وانطرح يئن وفارقته الحياة بينما جنح الجوادان الآخران
الخالدان حتى تصدع فوقهما نير العجلة الحربية. ٤٧٠
سقط الجوادان متشابكين وتجرجرت الأعنة متشابكة فوق التراب.
عرف أوتوميدون الشهير كيف يتصرف برمحه
وجاءه الحل، فاستل سيفه الهائل من غمده بجانب فخذه البدين
ولم يتردد، فقفز ليقطع رباط الجواد (الفانى).
انفرجت (سيقان) الجوادين الخالدين وشدًا إلى الأعنة. ٤٧٥
ومرة أخرى التقى المحاربان فى صراع مميت.
أخطأ رمح ساربيدون البرّاق الاتجاه، مرة أخرى
مرقت رأس الرمح تهتز فوق كتف باتروكلوس اليسرى
ولم تصبه. فصوب بدوره باتروكلوس
بدقة قذيفته البرونزية، ولم تكن لتنطلق عبثًا هذه القذيفة من بين يديه ٤٨٠
فأصاب (غريمه) حيث يحيط الحجاب الحاجز القلب النابض.
ومثلما تسقط شجرة البلوط أو الصفصاف، أو كشجرة صنوبر
باسقة قطعها صناع السفن فوق الجبال بفئوس حادة من أجل
أخشاب السفن. هكذا سقط ساربيدون بصرخة مكتومة،
سقط مفترشًا الأرض، أمام خيوله وعربته الحربية. ٤٨٥
كان يئن بمرارة قابضًا براحتيه التراب المخضب بالدماء.
كان الأمر كما لو انقض أسد على قطيع مارق، حيث افترس

ثورًا ضخمًا أسمر يميل للاصفرار، من تلك الثيران ثقيلة الخطا
فيسقط متأوهًا تحت مخالب الأسد وفكيه.
هكذا كان سقوط قائد الدروع الليكى (ساربيدون) أمام باتروكلوس، ٤٩٠
ومع أنه كان مجروحًا على حافة الموت، نادى رفيقه العزيز

"أى جلاوكوس، أيها الرفيق العزيز، أيها المحارب بين الأبطال
ينبغى أن تثبت أنك رماح ومحارب شجاع.
ولتكن، لعنة الحرب بغية قلبك، إن كنت باسلاً
سر هنا وهناك، وفى كل مكان، واستنهض قوة الأبطال ٤٩٥
قادة الليكيين إلى القتال من أجل ساربيدون،
قاتل بأسلحتك البرونزية دفاعًا عنى،
فأنا، بعد كل شىء، عارك وخزيك
طيلة أيامك وللأبد، لو سلب الآخيون أسلحتى.
ها أنا ذا أرقد بين حشود السفن ٥٠٠
لتنهض، بكل قوتك، ولتشعل حماسة الجيش كله"

ما أن انتهى كلام البطل، حتى داهمته سكرة الموت
حطّت كسحابة على منخاريه وعينيه. أما باتروكلوس فبقدمه
داس صدره، ونزع الرمح من جسده، فانبثق الحجاب الحاجز
وكأنما قد انتزع، مع رأس الحربة، روح (ساربيدون). ٥٠٥
حينئذ، أمسك الميرميدونيون خيول (ساربيدون) اللاهثة
تلهفًا للفرار، بعدما تخلت عن عجلات أصحابها الحربية.
تناهى صوت ساربيدون إلى جلاوكوس فامتلأ حزنًا موجعًا،
لأن قوته لم تُجد شيئًا، فطوى الحزن قلبه.
أمسك ذراعه وضغطها بشدة، فالجرح يؤلم ٥١٠
ذلك الجرح الذى أحدثه تيوكروس برمحه، عندما كان يدفع
الهلاك المحيق برفاقه، ويقفز فوق السور العالى.

تحدث مبتهلاً إلى أبوللون بعيد السهام:

"لتسمعنى أيها الملك، يا من تطأ الآن مكانًا ما بأرض ليكيا

الخصبة، أو قد تكون هنا بأرض طروادة، فأنت حيثما تكون، ٥١٥

قادر على أن تسمع نداء البشر، المنكوبين مثلى، من ألم

جرح غائر أصابنى، وساعدى مهترىء فى كل موضع

بوخزات ألم حادة، ولم يتوقف قط نزيف الدم

وألم الجرح رهيب، يعوق كتفى فلا أستطيع أن أمسك رمحى جيدًا، ٥٢٠

ولا أن أواصل قتال الأعداء، وقد سقط رجلٌ من أشجع الرجال.

إنه ساربيدون بن زيوس الإله، الذى لم يساعد ولده.

أيها المليك، امنحنى الشفاء من هذا الجرح الأليم

لتسكِّن وخزات الألم الحادة، وامنحنى قوةً لأشد من أزر رفاقى

أبناء عشيرتى الليكية، وأحثهم على القتال. ٥٢٥

أجل، امنحنى القدرة على أن أقاتل دفاعًا عن جثة بطل هوى"

ابتهل، وسمعه فويبوس أبوللون،

وعلى الفور سكَّن الإله آلامه، كما أوقف نزيف الدم الأسود

المتدفق من جرحه الأليم، ومنح روحه قوةً.

شعر جلاوكوس بما يحل فى روحه، وكان فرحًا ٥٣٠

إذ أدرك أن الإله القدير استجاب لدعائه فى الحال.

فى البدء، سارع نحو الأبطال، قادة الليكيين

وحثهم جميعًا على القتال من أجل ساربيدون.

ثم ذهب بخطىً واسعة وسط الطرواديين

إلى بوليداماس بن بانثوس، و أجينور العظيم. ٥٣٥

كما ذهب إلى آينياس وهيكتور ذى الخوذه البرونزية،

دنا (منهم) ثم توقف، وتحدث بكلمات مجنحة:

"أى هيكتور، يبدو أنك نسيت تمامًا حلفاءك،

وهم الذين من أجلك – بعيدًا عن وطنهم وأصدقائهم –

قدموا حياتهم طوعًا، وأنت لا تكترث بأن تدافع عنهم. ٥٤٠

ها هنا يرقد ساربيدون، قائد الليكيين المسلحين بالدروع، قتيلاً

ذلك الذى أقام حكمه فى ليكيا على العدل والقوة.

قد قتله آريس البرونزى بالرمح على يد باتروكلوس.

فتعالوا أيها الأصدقاء، وقفوا إلى جانبه، واملأوا صدوركم بالهمة

خشية أن يجرده هؤلاء الميرميدونيون من أسلحته ، ٥٤٥

ويمثلوا بجثته انتقامًا للقتلى الكثيرين من الدانائيين

وقد قتلناهم برماحنا عند السفن السريعة"

عبأت كلمات (جلاوكوس) الطرواديين بشعور طاغ

من الخزى والحزن، فساربيدون كان غريبًا عن سلالتهم،

ودائمًا ما كان حصنًا لهم ولمدينتهم، تبعت (جلاوكوس) ٥٥٠

حشود الجيش الغفيرة، وكان أبسلهم فى القتال.

تقدموا بلهفة نحو الدانائيين يقودهم هيكتور غاضبًا من أجل ساربيدون.

لكن باتروكلوس بن مينويتيوس قاسى القلب حرض الآخيين.

فتحدث أولاً إلى الثنائى أياس، حيث كانا متلهفين (على القتال) ٥٥٥

"أيها الثنائى أياس، ليكن لكما أن تتمتعا بهزيمة الأعداء

ومثلما كنتما عليه من شجاعة بين الرجال من قبل، لتكونا أكثر شجاعةً

الآن حيث يرقد صريعًا، ذلك الذى كان أول القافزين فوق الحائط[*]

الآخى، إنه ساربيدون، فهلموا نمثل بجثته

وننزع عن كتفه أسلحته. أما عن رفاقه الكثيرين ٥٦٠

(*) ورد فى الكتاب الثانى عشر بيت ٣٩٧ وما يليه أن هيكتور هو الذى قفز أولاً ومع ذلك ليس فى هذا الاختلاف ما يدعو للشك فى صحة هذه الفقرة أو تلك. (المحرر)

فلنقطع دابرهم بالبرونز الفتاك جزاء ما فعلوا للدفاع عنه"

ذلك ما تفوه به، وكان كلاهما يتلهفان على هزيمة الأعداء.

احتشد المحاربون على كلا الجانبين، هنا الطرواديون والليكيون،
وهناك الآخيون والميرميدونيون. خاضا معركةً من أجل جثمان ٥٦٥
ساربيدون، كان الصياح مخيفًا وصليل أسلحة المحاربين مرعدًا ،
أنزل زيوس على الليل، ظلامًا دامسًا، فغطى ساحة المعركة،
لكى يرفع ويلات الحرب من حول ابنه العزيز.

كان الطرواديون أول من طردوا الآخيين ذوى العيون البراقة،
فقتل من بين الميرميدونيين رجل لم يكن أقل الميرميدونيين شأنًا ٥٧٠
على الإطلاق. إنه أبيجيوس العظيم بن أجاكليس قوى الهمة،
كان ملك بوديون، المدينة العتيدة المنيعة
فيما مضى، يبدو أنه قتل أحد أقاربه النبلاء
ثم جاء ضارعًا إلى بيليوس وإلى ثيتيس فضية القدمين،
فأرسلاه ليلحق بأخيليوس قاتل الأبطال، ٥٧٥
فجاء إلى إليون أرض الجياد الرائعة، ليحارب الطرواديين.
وبينما كان متشبثًا بجثمان ساربيدون، ضربه هيكتور المجيد
بحجر على رأسه، حتى تهشمت
داخل خوذته الثقيلة، وهوى على جثمان (ساربيدون) منكفئًا على وجهه
وخيم الموت، سالب الأرواح، حوله من كل ناحية. ٥٨٠
وشمل حزن مجنون باتروكلوس، لمقتل رفيقه المقتول
فانقض (باتروكلوس) كالصقر على صفوف المحاربين الأولى.
ومثل الصقر بأجنحته السريعة يشتت الغربان والزرازير
هكذا انقضضت يا باتروكلوس يا قائد الفرسان على الليكيين
وعلى الطرواديين، وقلبك ملىء بالغضب من أجل رفيقك. ٥٨٥
فضرب سثينيلاؤس الحبيب بن إيثايمينيس

بحجر هتك أعصاب عنقه. تقهقر محاربو المقدمة، وكذا هيكتور المجيد
بعيدًا عن المدى الذى يمكن أن تصل إليه الحربة الخفيفة التى
يلقيها رجلٌ يجرب قوته فى القتال. ٥٩٠
من أجل مكافأة، أو فى معركة ضد عدو كريه،
إلى هذا المدى تقهقر الطرواديون ودفعهم الآخيون بعيدًا.
كان جلاوكوس قائد الليكيين أول المسلحين بالدروع
من استدار وقتل باثوكليس شديد البأس
الابن الحبيب لخالكون، الذى يقطن قصرًا منيفًا بهيلاس. ٥٩٥
كان يفوق رفاقه الميرميدونيين مالاً وجاهًا،
ضربه جلاوكوس فى صدره برمحه.
استدار (جلاوكوس) إليه فجأة، وقد أوشك (باثوكليس)
أن يهزمه، فسقط (باثوكليس) محدثًا ضجة، فتملك حزن شديد الآخيين
لأن رجلاً شجاعًا قد سقط، بينما غمرت الطرواديين سعادة تفوق الحد ٦٠٠
فالتفوا من حوله فى حشد دائرى. لكن الآخيين
لم ينسوا بسالتهم أبدًا، فانقضوا عليهم بكل قوة.
قتل ميريونيس أحد الرجال الطرواديين المسلحين بالخوذات
العزيز لاؤجونوس بن أونيتور، الذى كان قد عُين
كاهنًا لزيوس المعبود على جبل إيدا، وكان الناس يبجلونه كإله. ٦٠٥
ضربه (ميريونيس) أسفل فكه وأذنه، فزهق على الفور روحه
من بين أطرافه، ونزلت عليه عتمة كريهة.
دفع آينياس نحو ميريونيس رمحه البرونزى
على أمل أن يقتله، حين رآه يتقدم حاميًا نفسه بالترس.
ولكنه راوغ الرمح البرونزى، ٦١٠
انحنى للأمام، فمرق الرمح الطويل وسقط خلفه
وانغرس رأسه فى الأرض، وظل طرفه منتصبًا يهتز.

بيد أن آريس القوى هدّأ ضراوته فى الحال.
اهتز طرف رمح آينياس هادئًا فى الأرض ،
لقد انطلق من يده القوية عبثًا ٦١٥
تملك الغضب قلب آينياس وصاح عاليًا:
"يا لك من راقص حقًا يا ميريونيس،
لو أصبتك، لكاد رمحى يوقفك للأبد (عن الرقص)"
فأجابه ميريونيس الشهير برمحه:
"مهما كنت شجاعًا، صعب عليك الأمر، آينياس ٦٢٠
تود أن تحطم قوة كل الرجال، الذين يواجهونك فى القتال
أنت بشر، فيما أظن ، ولو قذفتك بالبرونز الفتّاك وأصبت خصرك
ساعتها، ورغم شجاعتك وثقتك فى يديك، عليك أن تمنحنى
المجد ، فلتسلم روحك إلى هاديس الشهير بالجياد" ٦٢٥
وما أن قال ذلك حتى عنفه ابن مينويتيوس القوى:
"أيصدر عنك كلام كهذا، ميريونيس، رغم شجاعتك؟!
أى صديقى الطيب، ليس بمجرد التأنيب
سينسحب الطرواديون عن الجثة قبل أن تلتهم الأرض الكثيرين.
فمسألة الحرب بين أيدينا، أما الحوار فسيأتى دوره لاحقًا فى ساحة ٦٣٠
الاجتماع فلا مجال الآن لأن نكثر من الكلام وهيا إلى القتال"
ذلك ما قاله شبيه الآلهة، ثم مضى إلى القتال يتبعه الآخرون
وكما يعلو ضجيج فئوس الحطابين عاليًا
عند وديان جبل، فتسمع عن بعد أصداؤها.
هكذا كان تصاعد ضجيج المحاربين، على الأرض واسعة الشعاب ٦٣٥
يتناهى رنين البرونز والتروس، التى تشكلت ببراعة من جلد الثور،
ومن فوقهم ضربات السيوف والرماح مزدوجة الرءوس.

لم يتمكن أحد من رؤية ساربيدون الإلهى، حتى ولو كان يعرفه جيدًا
كان مغطى تمامًا بالقذائف والتراب وأشلاء المعركة،
مغطى من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، ٦٤٠
واحتشدوا حول جثمانه، كأسراب الذباب تئز فى مزرعة،
على سطح جرار حليب ممتلئة وطافحة ،
حيث يملأ الحليب الصافى الجرار فى فصل الربيع.
هكذا احتشد (المحاربون) حول الجثمان، لكن زيوس
لم يحول عينيه البراقتين عن الصراع المميت، ٦٤٥
حملق فيهم بثبات، وبات يتدبر الأمر فى عقله.
ولمدة طويلة فكر فى قتل باتروكلوس الشجاع.
أيجب على هيكتور المجيد، أن يسارع فى هذا العراك المهلك
بقتل (باتروكلوس)، هناك، عند جثة ساربيدون
شبيه الآلهة؟ يصرعه بالبرونز، ويجرد كتفيه من الأسلحة أو أن ٦٥٠
يعفيه من الموت ويتيح له فرصة المزيد من القتل وويلات الحرب؟
بدا له، بينما يتفكر، أن أفضل ما يكون
هو أن يدفع حامل الدروع الوفى لأخيليوس
ليطيح بكل من الطرواديين وهيكتور صاحب الخوذة البرونزية.
وهكذا يعودون، إلى مدينتهم، بعد إزهاق أرواح الكثيرين ٦٥٥
وبدأ بأن ألحق الوهن بقلب هيكتور، الذى وثب فوق عجلته الحربية
وأدار خيوله للفرار ونادى الباقين من الطرواديين لينجوا بأنفسهم،
إذ كان قد رأى أن كفتى ميزان زيوس المقدس يتبدلان.
لم يصمد الليكيون البواسل، بعدها، إذ حل الفزع فيهم جميعًا،
عندما رأوا مليكهم (ساربيدون) مصابًا فى قلبه ٦٦٠
مسجى مثقلٌ جسده تتراكم فوقه جثث القتلى،
عندما أشعل ابن كرونوس نار القتال.

وانتزع (الميرميديون) أسلحة الحرب البرونزية عن كتف ساربيدون
وأرسلها ابن مينويتيوس الشجاع إلى رفاقه،
كي يحملوها إلى سفنهم المجوفة ٦٦٥
حينئذ قال زيوس جامع السحاب متحدثًا إلى أبوللون:
"تعال الآن، أيها الحبيب فويبوس، اذهب وخذ من بين ساحة
الرماح ساربيدون الميت، وطهره من الدماء القاتمة، ثم احمله
بعيدًا عن المعركة، واغسله عند جداول النهر، عطره بعطر إلهى -
أمبروسيا - وألبسه أرديةً ربانية وسلمه إلى الحمَّالين السريعين ٦٧٠
إلى التوأم: (إله) النوم هيبنوس و(إله) الموت ثاناتوس، اللذين
يرسلانه على عجل إلى أرض ليكيا الخصبة الواسعة.
هناك، يقيم له أقاربه وأصدقاؤه جنازة تكريمية
سيقيمون له شاهدًا وضريحاً، بما يليق بميت مثله" ٦٧٥

ذلك ما تكلم به، وكان أبوللون مصغيًا لكلمات والده
فنزل من جبال إيدا تجاه ساحة الحرب
وسرعان ما انتشل ساربيدون الربانى من وسط وابل النيران.
حمله بعيدًا عن ساحة القتال، وغسله فى جداول النهر
ومسحه بعطر إلهى - أمبروسيا - وألبسه أردية ربانية ٦٨٠
ثم أرسله مع حمَّالين ذوى سرعة شديدة ليحملاه إلى التوأم -
إله النوم هيبنوس وإله الموت ثاناتوس - اللذان على الفور حملاه
إلى وطنه ليكيا ليستقر فى رحابها الخصيبة.

ولكن باتروكلوس صاح عاليًا فى خيوله، وفى أوتوميدون
ومازال يهاجم الطرواديين والليكيين وقد غمره العمى تمامًا. ٦٨٥
ياله من أحمق! لم ينتبه لكلمة ابن بيليوس، ولو فعل
لنجا بالفعل من الموت الأسود، ذلك القدر المشئوم.
إلا أن تدبير زيوس غالبًا ما يفوق إدراك البشر،

فحتى الشجاع يخور أمامه ويُسلب

النصر ببساطة، ثم يحرّضه ثانية على القتال. ٦٩٠

هو الذى أثار الطيش فى صدر باتروكلوس

فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير

يا باتروكلوس، عندما كانت الآلهة تناديك إلى الموت؟

فأولهم كان أدراستوس، ثم أوتونوؤس وإخيكلوس

وبيريموس بن ميجاس وإبيستور وميلانيبوس ، ٦٩٥

وبعدهم إلاسوس وموليوس بيلارتيس.

قتلت هؤلاء، أما الباقون فلاذوا بالفرار.

أوشك، حينها، أن يسيطر أبناء الآخيين على طروادة عالية الأبواب

بأيدى باتروكلوس، فرمحه هاج وماج فى كل الاتجاهات.

بيد أن فويبوس أبوللون وقف فوق أعلى برج حصين ٧٠٠

يمد يده للطرواديين و يدبر لهلاكه (باتروكلوس).

وكاد باتروكلوس أن يثب من فوق ركن من الحصن المنيع ثلاثًا ،

بيد أن الإله القوى أبوللون دفعه للوراء ثلاثًا

ضاربًا درعه اللامع بيديه الخالدتين.

وفى المرة الرابعة، هجم عليه وهو على هيئة الإله ٧٠٥

زعق بصوت مخيف وبكلمات مجنحة قال :

"استسلم يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، لقد قُدِّرَ

ألا تسقط مدينة الأكابر الطرواديين برمحك

أو برمح أخيليوس، الذى يفوقك مهارة"

تراجع باتروكلوس بعيدًا عن الحصن بمجرد سماع هذه الكلمات، ٧١٠

حتى يتجنب غضب أبوللون بعيد الرمى بالسهام.

كان هيكتور، وقتها، يقيد خيوله ذات الحافر الواحد

عند بوابات سكاياى مترددًا فى أن يتقدم، إلى المعترك من جديد

أو أن يحشد الجيوش عند الحصن. وبينما هو كذلك،
تجلى له فويبوس أبوللون فى صورة بطل مغوار ٧١٥
هو أسيوس خال هيكتور مروّض الخيول،
شقيق هيكابى أمه، وابن ديماس والدها
الذى كان يسكن فريجيا بالقرب من نهر سانجاريوس.
اتخذ أبوللون بن زيوس صورته، ثم خاطبه: ٧٢٠

"أى هيكتور، لأى سبب توقفت عن المعركة؟
لا يليق ذلك بك، ليتنى، الآن، أقوى منك بقدر ما أنا بالفعل الآن
أضعف منك. ما أشد الأسف لتنحيك، هكذا، عن القتال
فلتأت، الآن، ولتوجه خيولك قوية الحوافر نحو باتروكلوس
فلو تقتله يمنحك أبوللون المجد" ٧٢٥
وما أن قال الإله ذلك حتى انخرط، فى حشد الرجال.
وأمر هيكتور المجيد كيبريونيس حكيم القلب أن ينخس
خيوله ويعود للقتال. عندئذ ذهب أبوللون
وشق طريقه بين جموع المحاربين، وأشاع فى صفوف الأرجيين
ارتباكًا مفزعًا، ليهيىء المجد لهيكتور والطرواديين. ٧٣٠
أما بقية الدانائيين، فتركهم هيكتور ولم يحاول قتلهم
لكنه وجه خيوله صلبة الحوافر مباشرة إلى باتروكلوس.
وثب باتروكلوس من عربته، إلى الأرض، بجوار (هيكتور)
مستهدفًا إياه ممسكًا رمحه بيساره، وبيمينه حجرٌ
براق خشن، غطته تمامًا قبضته العريضة. ٧٣٥
ثبت قدميه بقوة، وقذفه دونما رهبة من العدو،
ولم يخفق الحجر، بل أصاب سائق هيكتور
كيبريونيس، الابن غير الشرعى لبرياموس المجيد.
كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه الحجر المدبب

في جبهته، وسحق كلا حاجبيه، فلم تتماسك ٧٤٠
العظمة، وسقطت عيناه فى التراب
عند قدميه، وسقط، على الفور كيبريونيس كغواص
من فوق عربته المزركشة جيدًا، ومات
وسخرت منه، أيها الفارس باتروكلوس قائلاً:

"يا إلهى، يا له من رجل رشيق، عرف كيف ينقلب بخفة رائعة، ٧٤٥
فلو كان (يصطاد) فى بحر عميق عامر بالأسماك
لأشبع الرجل، فيما أظن، الكثيرين بالمحار،
لاسيما أنه، برغم الجو العاصف، قفز من سفينته
وغطس بخفة من فوق عربته الحربية على السهل !
حقًا يبدو أنه يوجد غواصون بين الطرواديين" ٧٥٠

تكلم باتروكلوس، ثم تقدم نحو البطل كيبريونيس
وثب كأسد يشتت قطعان الحظيرة،
فجرحه إثر ضربة رمح فى صدره، فخارت قواه، وهلك.
هجمت على كيبريونيس يا باتروكلوس بضراوة،
وإلى جانبك وثب هيكتور من فوق عربته إلى الأرض. ٧٥٥
وتصارع الاثنان، من أجل كيبريونيس، كأسدين
يقتتلان، أو قد استبد بهما الجوع على قمم الجبال
يتجاذبان بضراوة أيلة مقتولة.
هكذا، من أجل كيبريونيس، كانت فرصة القتال بين البطلين
باتروكلوس بن منيويتيوس وهيكتور المجيد. ٧٦٠
يتحفز كلاهما لنهش لحم الآخر بأسلحة من البرونز الفتَّاك.
قبض هيكتور على رأس الميت ولم يتركها
ثم أمسك باتروكلوس، بدوره، القدم. وأما باقى
الطرواديين والدانائيين فالتحما فى صراع دامٍ

ومثلما تتنافس رياح الشرق يوروس ورياح الجنوب نوتوس ٧٦٥
عند أودية الجبل، على العصف بأشجار الغابة
من الزان والدردار، وأشجار القرانيا ناعمة اللحاء،
فتتلاطم في جلبة تلك الأشجار، واحدة مع الأخرى، بفروعها العجيبة
وتتصادم أطرافها الممتدة، فتتصدع وتتكسر.
هكذا، هجم الآخيون والطرواديون، كلٌ يحاول قتل الآخر، ٧٧٠
ولم يفكر كلا الطرفين في الفرار المخزى.
عوت رياحٌ عاتيَّةٌ حول الميت ،
وتراشقت من بين أوتار الأقواس سهام مجنحة،
قصف وابل الأحجار الضخمة تروس الأبطال،
كان (الرجال) يتحاربون حول (جثة كيبريونيس) وهو مسجى فى خضم ٧٧٥
العاصفة الترابية، حيث سقط جبارًا عاتيًا، وقد نسيت أعماله الفروسية.
وطالما دامت الشمس ساطعة فى كبد السماء
باتت القذائف تتساقط بقوة من كلا الجانبين، وتصيب أهدافها.
وحين مالت الشمس قرب موعد رفع النير عن الثيران
تفوق الآخيون بما يتعدى أى توقع. ٧٨٠
سحبوا، حينئذ، جسد البطل كيبريونيس من بين القذائف
بعيدًا عن صياح الطرواديين، ونزعوا عن كتفيه الأسلحة.
هجم باتروكلوس على الطرواديين بعزم شديد،
انقض عليهم ثلاثًا، كآريس السريع
صائحًا صيحته المفزعة، وقتل فى كل مرة تسعة أبطال. ٧٨٥
وفى الرابعة، انقض عليهم مثل إله.
تبدت لك يا باتروكلوس نهاية الحياة
حين واجهت فويبوس فى نزال دامٍ.
كم هو إله مروع! دخل المعركة

وكان يغلفه ضبابٌ كثيف، ولم يميزه باتروكلوس. ٧٩٠
ثبت خلف (باتروكلوس) وضرب بيده على ظهره
وكتفيه العريضين بقوة، ودارت عينا الإله فى غضب.
أسقط فويبوس أبوللون خوذته عن رأسه
تدحرجت مقعقعة تحت حوافر الخيول
كانت ذات تجويف عمودى، فتلطخ ريشها المصنوع من شعر الجياد، ٧٩٥
تمرغت فى الدماء والتراب، ولم يكن مقدرًا لها قبل الآن
أن تتلطخ، هكذا، فى التراب، ولاسيما أنها مكسوة بذيل حصان
كانت تحمى رأس البطل الإلهى أخيليوس وطلعته البهية.
منحها، أخيرًا، زيوس إلى هيكتور
ليضعها بزهو على رأسه، مع أن نهايته قد اقتربت. ٨٠٠
وتحطم فى يد باتروكلوس الرمح مديد الظل،
الثقيل الهائل القوى ذو النصل البرونزى الحاد،
وسقط الدرع على الأرض يصلصل منفصلاً
عن كتفيه لقد فك الملك أبوللون بن زيوس درعه،
وحل العمى على قلب (باتروكلوس) وارتخت أطرافه المجيدة. ٨٠٥
وقف، هناك فى هذيان ووثب على مسافة منه رجل داردانى
وضربه على ظهره ما بين كتفيه برمح بتَّار
إنه يوفوربوس بن بانثوؤس، الذى يفوق كل رفاقه
فى إطلاق الرماح وركوب الخيل والعدو.
أجل، لقد ألقى بعشرين رجل من فوق عجلاتهم الحربية، ٨١٠
عندما دخل بعربته من أجل التدريب للمرة الأولى على القتال.
فهو أول من وصل إليك برمحه، أيها الفارس باتروكلوس.
مع ذلك لم يقهرك، وعاد ليندس وسط الحشد
بعدما سحب حربته الرمادية من جسدك.

لم يصمد أمامك رغم كونك منزوع السلاح ٨١٥
هُزِمتَ يا باتروكلوس بضربة الإله وبالرمح
ونجوت من الموت إذ تراجعت إلى صفوف رفاقك.
رأى هيكتور أن باتروكلوس شديد البأس
أصابه رمح برونزى باتر وتراجع عن مقدمة المعركة.
اخترق الصفوف واقترب منه وضربه برمحه، أسفل بطنه مباشرة ٨٢٠
فاخترق السلاح جسده. سقط مجلجلاً، فألم الحزن العميق بالآخيين.
ومثلما يفترس أسدٌ خنزيرًا لا يكلُّ فى معركةٍ،
إذ يتناحران بحماس شديد عند قمة جبل
لكيلا يقتسما الشرب من نبع صغير. ٨٢٥
ينفث الخنزير لكن الأسد يقهره بقوته.
هكذا كان الابن الباسل لمينويتيوس، بعد أن قتل
الكثيرين، سلبه هيكتور بن برياموس حياته برمية رمح صائبة
وخاطبه فى زهوٍ، بكلمات مجنحة:
"باتروكلوس، حقًا، كنت تفكر فى نهب مدينتنا ٨٣٠
وتسلب النسوة الطرواديات حريتهن، وتسوقهن معك أسيرات
إلى السفن نحو وطنك الحبيب.
يا لك من أحمق، لأن خيول هيكتور السريعة أمامهن
متلهفة كلها للحرب، أما أنا، فواحد من الطرواديين
محبى الحرب، هذا رمحى، الذى يصدُّ ٨٣٥
عنهم يوم الهلاك. أما أنت، فلسوف تنهشك النسور هنا.
يا لك من تعيس، فحتى أخيليوس بكل شجاعته لن يجديك نفعًا
فيما أظن، ورغم بقائه هناك، أمرك وأنت قادم إلى هنا بقوله:
إنى آمرك ألا تعود ثانية يا باتروكلوس يا سيد الفرسان
إلى السفن المجوفة، قبل أن تكون قد شققت ٨٤٠

عباءة هيكتور، قاتل الأبطال، الأرجوانية من على صدره.
هذا ما أظن أنه تكلم به إليك وتلقاه عقلك الأحمق.

وأجبته، أيها الفارس باتروكلوس بأنفاسك الواهنة قائلاً:

"لتتفاخر، كيفما شئت، بقوتك يا هيكتور،

فزيوس بن كرونوس وأبوللون قد منحاك النصر وأخضعانى ٨٤٥
ببساطة، وهما اللذان جردا كتفىَّ من أسلحته.
ولو أن عشرين رجلاً من البشر أمثالك واجهونى
لقهرتهم برمحى ولهلكوا جميعًا.
القدر العنيد، وابن ليتو (أبوللون)، فقط، هما اللذان قتلانى
أما من البشر، فهو يوفوربوس، ولم تكن أنت إلا ثالث من طعنونى ٨٥٠
سأقول لك شيئًا، ضعه فى قرارة نفسك:
أنت نفسك لن تحظى بحياة مديدة، فالموت ويد القدر ثقيلان،
يحومان بالقرب منك. ستموت (يا هيكتور) على أيدى أخيليوس
سليل أياكوس، الذى لا نظير له"

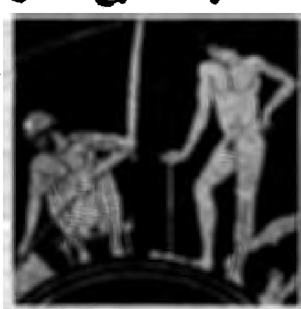
تلك كانت كلماته قبل أن يغمره خلاص الموت ٨٥٥
رحلت روحه إلى مقر هاديس متطايرة من بين أطرافه
وهى تندب مصيرها، تاركةً ريعان الشباب وعنفوانه.
ورغم موته، إلا أن هيكتور المجيد تحدث إليه:

"لمَ يا باتروكلوس تتنبأ لى بدمار وشيك؟

فمن يدرى؟ لربما أقهر أخيليوس بن ثيتيس جميلة الشعر ٨٦٠
برمحى، وأكون أنا من يباغته ويسلبه حياته"
قال ذلك وسحب الحربة البرونزية الحادة من الجرح،
وثبت باطن قدمه على الجسد ليدفعه بعيدًا عن الحربة.
وعلى الفور، انقض شاهرًا رمحه على أوتوميدون

شبيه الآلهة، وحامل درع سليل أياكوس سريع القدم كان متلهفًا لأن ٨٦٥
يضربه، لكن حملته الخيول السريعة إلى الأمام، فكانت (هذه الخيول)
الهدية الخالدة المجيدة، التى وهبتها الآلهة، من قبل، إلى بيليوس. ٨٦٧

الكتاب السابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

لم يغب عن فطنة مينيلاؤس بن أتريوس، حبيب آريس
إدراك أن باتروكلوس قد قُتِلَ فى المعركة بيد الطرواديين.
ذهب إلى المقدمة بأسلحته البرونزية المصقولة، وحام حول
جسده، كما تحوم بقرة صغيرة لم تعان من قبل آلام الأمومة تطلق
صرخات الفزع فوق وليدها البكر. ٥
هكذا حام مينيلاؤس ذهبى الشعر حول جسد باتروكلوس
شاهرًا رمحه ودرعه المصقولين تماماً،
يتلهف لقتل من يغامر، محاولاً سلب الجثمان.
ولم يكن ابن بانثوؤس(*) ذو الرمح الدردارى غافلاً
عن مقتل باتروكلوس الذى لا نظير له، دنا منه ١٠
مخاطبًا مينيلاؤس، حبيب آريس،
"أى مينيلاؤس، يا ابن أتريوس، يا سليل زيوس،
يا قائد الجيوش، لتستسلم وتترك الجثة، ودع لى الغنائم الملطخة بالدم
القانى. فلن يوجد – من بين الحلفاء المشهورين ولا بين الطرواديين –
واحدٌ قد سبقنى فى النيل من باتروكلوس بالرمح فى المعركة المحتدمة. ١٥
فاسمح لى، من بين الطرواديين، أن أغتنم ذلك المجد المنشود.
وإلا ضربتك قاضيًا على عذوبة روحك"
فأجابه مينيلاؤس ذهبى الشعر فى غضب شديد:
"أى زيوس الأب، إن التباهى المفرط ليس حسنًا، فليست روح
النمر أو الأسد أو الخنزير البرى المتوحش – تلك التى هى أعنف ٢٠
وأشجع – كل المخلوقات، عندما ينفخ الواحد منها صدره عابسًا –
ليست أكثر جسارة من روح أبناء بانثوؤس فى زهوهم، برماحهم
الدردارية. حتى هيبيرينور، ذلك القوى مروِّض الخيول
لم يسعد قط بشبابه، عندما تجاسر وواجهنى بالإهانة، دونما تقدير

(*) يوفوربوس. (المحرر)

معتقدًا، بأننى أضعف محاربى الدانائيين ٢٥
وأقلهم (جلدًا)، بيد أن قدميه فيما أظن، لم تحملاه إلى
وطنه، ليسعد زوجته الحبيبة وأبويه العزيزين.
هكذا، أيضًا، يبدو أننى سأسلبك قوتك إن جرؤت
على مواجهتى، فالأحرى بك أن تعود إلى جموع المحاربين. ٣٠
إننى آمرك بذلك، وألا تغامر بمواجهتى، حتى لا تقاسى
من الشر الأهوال، فسفيه من يعى الكلام بعد فوات الآوان"

هكذا كانت كلماته، لكن الآخر لم يقتنع، فأجابه بقوله:
"حسنٌ يا سليل زيوس، يا مينيلاؤس، الحق أنك ستدفع الآن
(ثمن) أخى الذى قتلته(*)، وتفاخرت (بقتله) ٣٥
وجعلت من زوجته أرملة منعزلة فى حجرة عرسها الجديدة،
وألحقت بأبوينا كربًا وحزنًا لا يوصفان.
سأكون لهما سلوانًا فى حزنهما، وبلسمًا
لدموعهما إن عدت حاملاً رأسك وأسلحتك،
ووضعتها بين أيادى بانثوؤس وفرونتيس المبجلة. ٤٠
على كلٍ، لن يتأخر القتال طويلاً دون
الخوض فيه، سواء انتهى إلى الهزيمة أو إلى النصر"

هكذا نطق لسانه، ثم ضرب فوق درع (مينيلاؤس) جيد الصقل،
لكن لم ينغرس البرونز فيه، إذ انثنى سن الرمح
بسبب صلابة الدرع القوى، فما لبث مينيلاؤس بن أتريوس ٤٥
أن طعنه برمحه ذى السن البرونزى، مبتهلاً إلى زيوس أبى الجميع.
طعنه فى قاع حلقه من أسفله، فهوى على ظهره،
ولاحقه بيده العتية، وبثــقل جسده،
دفع سن الرمح ليغوص فى رقبته الواهنة

(*) يعنى هيبرينور Hyperenor سالف الذكر والمشار إليه أيضًا فى الكتاب الخامس عشر بيت ٣٥٠. (المحرر)

فارتطم بالأرض، وتكومت فوقه أسلحته فى صخب ٥٠
وتبللت بالدماء خصلاته، الشبيهة بخصلات إلهات الحسن خاريتيس
المجدولة ضفائرها والمزينة بشرائط من الفضة والذهب.
كان كمن غرس شجيرة أبية، مثل زيتونة،
فى مكان منعزل تتدفق فيه المياه، فبزغت
كبرعم جميل يافع، تداعبه النسائم كلها من ٥٥
حوله، فيتمايل، ويزهر زهورًا بيضاء،
وفجأة باغتته هبات الزوابع، الريح العاصفة
فاجتثته من جذوره، وطرحته أرضًا فتمدد هزيلاً.
هكذا كان (مينيلاؤس) بن أتريوس، عندما قتل يوفوربوس بن بانثوؤس
ذا الرمح الدردارى العتى، وجرده من أسلحته. ٦٠
كان كأسدٍ جبليٍ خطف، بكل شجاعة
أسمن البقرات بقطيع يرعى،
قبض بأسنانه القوية على رقبتها وكسرها
ثم مزقها وارتشف (بنهم) دماءها، وكذلك كل أحشائها،
وتظل الكلاب (تنبح) من حوله، والرعاة (تصيح) ٦٥
بصخب، عن بعدٍ، بينما لا يجرؤ أحدهم بالمخاطرة
بمعركة خاسرة، حيث يوهنهم الرعب.
هكذا، لم تجش شجاعة واحدٌ من الطرواديين فى صدره،
حتى يغامر بخوض معركة ضد مينيلاؤس ذائع الصيت.
وكاد ابن أتريوس بسهولة أن يحمل أسلحة ابن بانثوؤس ٧٠
المجيدة بعيدًا، لو لم يحسده فويبوس أبوللون عليها.
فأشار حفيظة هيكتور السريع شبيه آريس
متخذاً هيئة منتيس، ذلك الرجل قائد الكيكونيين،
إذ رفع صوته بكلمات مجنحة، وخاطبه:

"أى هيكتور، أنت تجرى الآن وراء أشياء ربما لا ٧٥

تحققها ؛ وراء خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها لأبية تلك
الخيول على أن تسوسها، ولصعب على الرجال جميعًا
أن يسوسوها، إلا أخيليوس وهو ابن احدى الخالدات.
وكما ترى، فى إثر ذلك، مينيلاؤس الشجاع ابن أتريوس
الذى يقف فوق جثة باتروكلوس، وقتل خير الطرواديين ٨٠
يوفوربوس بن بانثوؤس، وقضى على شجاعته الطائشة"
هكذا، تكلم الإله، واختلط مرة ثانية فى جلبة الرجال،
وغمر روح هيكتور حزن أليم، واغْتمَّ.
وبينما كان يجول بين الصفوف هنا وهناك مستكشفًا، لمح
بسرعة ذلك الرجل الذى سلب الأسلحة المجيدة، وذلك الآخر ٨٥
الذى افترش الأرض، والدم ينز ما يزال من جرحه الغائر.
فتقدم خلال الصفوف، وكان برونز أسلحته وضاءً،
صاح صيحته المفزعة التى تشبه وهج هيفايستوس
الذى لا يقمع، إلا أن ابن أتريوس لم يكن غير مبال بهذه الصيحة.
فاضطرب قوى القلب (مينيلاؤس) وتحدث إلى روحه المعطاءة: ٩٠
"ويلى إذا تخليت عن الأسلحة المجيدة، وكذلك باتروكلوس
الذى يرقد هنا قتيلاً، وقد قتلته (يونوربوس) دفاعًا عن كرامتى.
أخشى أن يلومنى بعض من يرانى من الدانائيين.
لكننى لو حاربت وحيدًا ضد الطرواديين وهيكتور
دفعًا للإهانة، أخشى وأنا وحيدٌ، أن يحاصرونى وهم كثر. ٩٥
فهيكتور ذو الخوذة اللامعة يقود الطرواديين جميعًا إلى هنا.
ولكن لم تجادلينى على هذا النحو، أى روحى العزيزة؟
فمن يحارب ضد رغبات الآلهة رجلاً آخر
ممن تمجده الآلهة، سيلطمه الكرب كالموج.
لذا لن يلومنى واحدٌ، ممن سيروننى من الدانائيين ١٠٠
على هزيمتى أمام هيكتور، إذ يحارب باسم الآلهة.

ليتنى أجد أياس البارع فى صيحة الحرب، هنا أو هناك.
فكلانا سيسعى مشحونًا بنشوة الحرب،
وسوف نسحب الرجل الميت، حتى ولو نازعتنا السماء،
لكى نسلمه إلى أخيليوس بن بيليوس، وتلك تكون أخف الشرور" ١٠٥

وبينما كان ابن أتريوس يقلب الأمر، فى قلبه وروحه،
حلت صفوف الطرواديين يقودهم هيكتور.
فتراجع مينيلاؤس تاركًا جسد الميت. كان يتلفت حوله، كأسد أشعث
تطارده الرجال والكلاب والصراخ والرماح، ١١٠
بارح إحدى الحظائر، ورغم قوته تجمد قلبه بداخله
من الفزع، وغادر الحظيرة مرغمًا.
هكذا رحل مينيلاؤس ذهبى الشعر عن باتروكلوس الصريع،
ثم عاد أدراجه إلى الوراء، وتوقف عند لحاقه بالرفاق
باحثًا فى لهفة هنا وهناك عن أياس العظيم ابن تيلامون. ١١٥
وسرعان ما لمحه فى ميسرة المعركة يحث رفاقه على القتال.
هؤلاء الرفاق الذين أصابهم فويبوس أبوللون برعب من السماء.
هرع إليهم، ثم توقف عن قرب منهم، وقال:

"أى أياس، أيها الصديق الحبيب، هلم بنا ندافع عن ١٢٠
باتروكلوس الصريع، علّنا نستطيع حمله إلى أخيليوس حتى ولو
كان مجردًا من أسلحته، التى سلبه إياها هيكتور ذو الخوذة اللامعة"

وما أن قال ذلك حتى أثار روح أياس حكيم القلب،
فسرعان ما تخلل (صفوف) المقدمة، معه مينيلاؤس ذهبى الشعر
فى اللحظة التى ينزع فيها هيكتور الأسلحة المجيدة عن باتروكلوس. ١٢٥
كان يسحب الجسد بعيدًا بنية أن يقطع العنق بالبرونز الفتاك
ويرميه إلى كلاب الطرواديين. فدنا أياس حاملاً درعه الشبيه بالبرج
فتراجع هيكتور برشاقة على الفور متجهًا إلى رفاقه،

إذ قفز إلى عجلته الحربية وعهد بالأسلحة المجيدة ١٣٠
إلى الطرواديين، يحملونها إلى المدينة لتكون مجده الأعظم.
وبينما كان أياس واقفًا يحمى ابن مينويتيوس بدرعه العريض
ثابتًا كلبوءة تدافع عن أشبالها
عندما تقودهم إلى غابة كثيفة وتواجه
القناصين فتستجمع كل قواها فى صدرها ١٣٥
وتكشِّر عابسة، وتقطب الحاجبين إلى أن تختفى عيناها.
هكذا، كان يرى أياس واقفًا دفاعًا عن البطل باتروكلوس،
ووقف مينيلاؤس بن أتريوس بجواره صلبًا، يطحن قلبه حزن عميق.
لكن جلاوكوس بن هيبولوخوس قائد رجال الليكيين ١٤٠
رمق هيكتور عابسًا، ورماه بكلمات قاسية:

"أى هيكتور، تبدو أفضل الشجعان، لكن يعوزك فى شئون
الحرب الكثير، فالمجد العظيم يغمرك هباءً، بينما أنت جبان رعديد.
عليك، الآن، أن تفكر فى طريقة تحمى بها مدينتك ووطنك
بنفسك، مع الشعب الذى يتخذ من إليون وطنًا. ١٤٥
فلا أحد من الليكيين سيحارب الدانائيين من أجل المدينة، وقد رأوا
أنهم لا يلقون الشكر على أداء واجبهم
بخوض غمار القتال فى قلب حشود الأعداء.
فكيف لك أن تنقذ من هم أقل جدارة بين ذويك فى الحرب،
وقد تركت، يا قاسى القلب، ساربيدون ضيفك ورفيقك ١٥٠
ليكون فريسةً للأرجيين وغنيمة،
وهو الذى كثيرًا ما كان عونًا لك، أنت نفسك، ولمدينتك
طيلة حياته، وأنت الآن لا تجرؤ أن تحميه من الكلاب.
لو يسمعنى الآن أحد الليكيين
لذهبنا إلى بيوتنا، وأحاق بطروادة دمارٌ وشيك. ١٥٥
فإذا غمرت الطرواديين روحٌ جريئةٌ وشجاعةٌ،

مثل تلك التى تملأ قلوب الرجال وهم
يخوضون غمار القتال العنيف ضد الأعداء من أجل بلدهم،
لاستطعنا أن نسحب جسد باتروكلوس سريعًا إلى إليون.
أجل، وإذا جاء هذا الميت إلى مدينة برياموس العظيمة ١٦٠
وإذا تمكنّا أن نبعده عن المعركة لتنازل الأرجيون سريعًا عن أسلحة
ساربيدون العظيمة، واستطعنا أن نعيد (الجسد) إلى إليون(*).
فالقتيل باتروكلوس هو حامل الدروع، وهو أفضل
الأرجيين المحاربين بجوار السفن، هو وأتباعه المحاربون الآخرون. ١٦٥
أنت لا تملك شجاعة تؤهلك لمقاومة أياس قوى القلب، ولا تستطيع
الصمود أمامه أو أن تجابهه وجهًا لوجه وسط صيحات المحاربين،
أنت لا تستطيع تحدى مَنْ هو أفضل منك"

فقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة عابسًا:
"أى جلاوكوس، لماذا - وأنت من أنت - تتكلم بطريقة ١٧٠
غير لائقة؟ تبًا، ظننت أنك تفوق غيرك حكمةً،
أكثر من هؤلاء الكثيرين الذين يقطنون ليكيا ذات التربة الخصبة.
ولكن الآن، ما أحمقك!
تقول إننى لا أجرؤ على ملاقاة عملاق مثل أياس،
إننى لا أهاب الحرب ولا جلبة الجياد، ١٧٥
لكن تدبير وتقدير زيوس، لابس الدرع أيجيس، هما الأقوى دائمًا،
فهو الذى يفزع الشجاع ويسلبه النصر
ببساطة، ثم يعود ليحرِّضه على الحرب مرة أخرى.
لكن تعال هنا، أيها الرفيق، قف إلى جوارى وانظر
ما أفعله، لتعرف ما إذا كنت اليوم ألعب دور الجبان، كما تدعى ١٨٠
أم أن أيًا من الدانائيين، وأيًا تكون لهفته للقتال

(*) يبدو هنا أن جلاوكوس لا يعرف شيئًا عن حقيقة أن جسد ساربيدون قد نقله إله النوم وإله الموت من ساحة القتال إلى ليكيا. راجع الكتاب السادس عشر، بيت ٦٨٩. (المحرر)

سأكبح شجاعته وأحرمه من أن يقاتل دفاعًا عن باتروكلوس الصريع"

قال ذلك، وصاح بالطرواديين عاليًا:

"أيها الطرواديون و الليكيون الداردانيون المقبلون على القتال

كونوا رجالاً، أيها الأصدقاء، واستثيروا شجاعتكم الجامحة، ١٨٥

بينما أتقلد أنا الأسلحة الباترة لأخيليوس العظيم،

تلك الأسلحة المجيدة، التى نزعتها عن باتروكلوس عندما قتلته"

قال ذلك هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ثم

ابتعد عن ساحة الوغى، ليلحق بأتباعه،

وسرعان ما لحق بهم مهرولاً لأنهم لم يكونوا على مسافة كبيرة منه. ١٩٠

كانوا يحملون أسلحة ابن بيليوس الشهيرة إلى المدينة.

توقف متجنبًا جانب القتال العنيف وبدّل أسلحته

فأعطاها للطرواديين محبى الحرب لكى يحملوها

إلى إليون المقدسة، بينما تقلد هو الأسلحة الخالدة

التى كان أخيليوس بن بيليوس يرتديها، تلك الهدية التى صنعها ١٩٥

ساكنو السماء وقدموها إلى والده الحبيب، والتى عندما تقدم به السن

منحها لابنه، الذى لم يبلغ الشيخوخة بعد وهو يضع على كتفه

هذه الأسلحة. وعندما لمحه زيوس، جامع السحاب، عن بعد

وهو متسلح بأسلحة ابن بيليوس شبيه الآلهة

حينئذ، هز الإله رأسه وخاطب نفسه: ٢٠٠

"ويحك، يا لك من تعس، إذ لا تفكر فى الموت الذى سيحيق بك

رغم أنه وشيك، أنت ترتدى الأسلحة الخالدة

لأفضل الرجال، الذى يرتجف أمامه كل مَنْ سواه.

أنت الذى قتلت رفيقه الشهم القوى

وأخذت الأسلحة من رأس صديقه وكتفيه ٢٠٥

على نحو لا يليق، رغم ذلك، سأمنحك قوة هائلة فى الوقت الراهن

مقابل ألا تعود أبدًا من الحرب إلى أندروماخى،
تتسلم من يديك أسلحة ابن بيليوس المجيدة"

هكذا تكلم ابن كرونوس وأومأ بحواجبه الداكنة،
وثبت الأسلحة على جسم هيكتور، بل وألبسه روح آريس ٢١٠
الرهيب، حينئذ، شحنت أطرافه قوةً وشجاعةً،
انطلق تجاه حلفائه الأماجد
وصاح (بصوت عالٍ) ولاح أمام كل الجموع متلألئًا
فى الأسلحة البراقة لابن بيليوس شديد البأس.
وما أن وصل إليهم حتى ألهبهم بكلمات حماسية. ٢١٥
حث على الحرب كلاً من ميستليس وجلاوكوس وميدون
وثيرسيلوخوس وأستيروبايوس وديسينور وهيبوثوؤس
وفوركيس وخروميوس وإينوموس العراف.
حثهم جميعًا على القتال، بكلمات مجنحة:

"اصغوا إلىَّ يا قبائل الحلفاء الغفيرة، يا من تقطنون ٢٢٠
حولنا، ليس لأننى أسعى أو أنشد فيكم الكثرة التى لا تحصى،
فما احتشدتم هنا بعيدًا عن بيوتكم
إلا لتدافعوا، بكل ما أوتيتم من قوة، عن زوجات الطرواديين
وأطفالهم الأبرياء ضد الآخيين محبى القتال.
لهذه الغاية أسعى وأكلف قومى بإمدادكم ٢٢٥
بالهدايا والطعام، لتلتهب قوتكم وشجاعتكم،
ليسع كل فرد منكم إلى القتال، يعيش أو يموت، فتلك هى نشوة الحرب.
ومَنْ يسحب باتروكلوس الميت إلى الطرواديين
مروضى الخيول، ويقهر أياس شديد البأس، ويخضعه ٢٣٠
فنصف الغنائم له، والنصف الآخر لى، ومجده هو مجدى"

سمعوا ذلك، فانقضوا جميعًا على الدانائيين بكل قوتهم

شاهرين الرماح عاليًا، تخفق قلوبهم أملاً
في جذب الجثة من تحت أياس بن تيلامون. ٢٣٥
حمقى! كم من أرواح زهقت فوق هذه الجثة!
تحدث أياس إلى مينيلاؤس الشجاع صائحًا:

"أى مينيلاؤس، يا صديقى الشجاع، يا سليل زيوس
لم يعد لدى أمل فى عودة كلينا من المعركة، سالمين إلى الوطن.
إننى لا أخشى على جسد باتروكلوس، ٢٤٠
فكلاب وطيور الطرواديين، فيما أظن، لن تنال منه.
لكنى أرتجف (خوفًا) على نفسى وعليك خشية أن يصبنا
أذى، فسحابة حرب عاصفة تحوم فوق رءوسنا فى ظلام مخيف.
إنها هيكتور نفسه، إنها الدمار الوشيك الذى يحدق بنا.
هلم، إذن، نادى على أبطال الدانائيين، وليسمعوك" ٢٤٥

أطاعه مينيلاؤس الشجاع وصاح صيحة الحرب
صارخًا فى محاربى الدانائيين بصيحات مدوية:

"أى أصدقائى، يا قادة الأرجيين وناصحيهم،
يا مَنْ تجلسون مع أجاممنون بن أتريوس ومينيلاؤس
على الموائد، تشربون على نفقة المال العام، ويمتثل الناس لأمركم، ٢٥٠
وسيلازمكم مجدٌ وشرفٌ من زيوس.
إنه لمن العسير علىَّ أن أميِّز من بين الجموع الحاشدة،
أيًا منكم أيها الزعماء، فالنزال مضطرم فى المعركة.
ليتقدم كل منكم من تلقاء نفسه ناقمًا فى قلبه،
يأبى فى غضب أن يصبح باتروكلوس ألعوبةً لكلاب الطرواديين" ٢٥٥

وحين قال ذلك، سمعه أياس السريع ابن أويليوس،
كان أول من أسرع خلال الجموع لمقابلته
ولحق به تابعه القوى إيدومينيوس،

وكذلك تابعه ميريونيس نظير إنياليوس، قاتل الأبطال.
لكن، من ذا الذى يستطيع بمفرده (دونه عون ربات الفنون)
ذكر الآخرين وحصر أسمائهم جميعًا، هؤلاء الذين اندفعوا ٢٦٠
وراء قادتهم وأشعلوا جذوة القتال فى صفوف الآخيين؟

هبت جموع الطرواديين فى هجوم يقوده هيكتور،
مثلما يحدث عند مصب نهر سماوى المنبع،
حيث تزأر موجة هائلة فى المجرى،
وتضرب أمواج البحر الشاطىء فتغمر الشاطىء بالأصداء محدثة دويًا، ٢٦٥
هكذا كان صياحهم، عندما هجم الطرواديون، بينما الآخيون
يلتفون واقفين حول ابن مينويتيوس وقفة رجل واحد.
التفوا جميعًا حوله بدروع من البرونز، ومن فوقهم
وفوق خوذاتهم الناصعة صبَّ ابن كرونوس الظلام دامسًا.
فزيوس لم يكن يكره ابن مينويتيوس من قبل، ٢٧٠
عندما كان على قيد الحياة يخدم سليل أياكوس.
بل إن (زيوس) تبرم لوقوع (باتروكلوس) فريسة
لأعدائه كلاب الطرواديين، لذا حث رفاقه ليدافعوا عنه.
فى البدء، صدَّ الطرواديون الآخيين ذوى الأعين البرّاقة،
فانسحبوا تاركين الجسد، لكن الطرواديين المغرورين ٢٧٥
لم يقتلوا واحدًا برماحهم، رغم رغبتهم الجامحة.
فقط، كادوا أن يسحبوا الجسد بعيدًا،
وما كاد الآخيون أن يبتعدوا عن الجسد قليلاً، حتى لحقهم
أياس الذى يفوق الدانائيين جميعًا - فيما عدا
ابن بيليوس - فى الجمال وأعمال القتال. ٢٨٠
هبَّ من خلال صفوف المحاربين الأولى ببسالة،
كخنزير نزل من الجبال يشتت الكلاب والقناصين
الشباب والشجعان بسهولة، ويتحرش بهم فى الوديان.

هكذا، شتت أياس المجيد ابن تيلامون أبىِّ الروح
صفوف الطرواديين بسهولة، إذ هجم عليهم ٢٨٥
وهم يتحلقون حول جسد باتروكلوس يزمعون
أن يسحبوه إلى المدينة، فيحظون بمجد أبدى.
تقدم هيبوثوؤس المجيد بن ليثوس البلاسجى
وسط الطعان الرهيب ليسحب الجسد،
بعد أن ربط القدمين من الكعب إلى الساق، ٢٩٠
ليبهج بذلك هيكتور والطرواديين.
لكن سرعان ما جاءه ويلٌ لا يمكن لأحد، أيًا كان، أن يدفعه.
ابن تيلامون، الذى اندفع من بين الجموع
وضربه، عن قرب، على خوذته البرونزية
فاهتزت الخوذة المزينة بخصلات من شعر الجياد تحت رأس الحربة، ٢٩٥
فتحطمت بضربة سيف قوية من (أياس)،
وتفجر المخ عبر الجرح على طوق رأس الحربة
حيث لطخها بالدم، وانهارت قواه تمامًا فتركت يداه
قدم باتروكلوس قوى الهمة تفلت من قبضتيها، وعلى الأرض
أسقطها، بينما هو نفسه هوى فوق الجسد. ٣٠٠
هناك بعيدًا عن لاريسا عميقة التربة، لم يرد جميل والديه
العزيزين عن رعايته، فأجله كان قصيرًا،
حيث سقط برمح أياس عتى القلب.

وبدوره قذف هيكتور رمحه اللامع صوب أياس
وعندما لمح (أياس) الرمح ذا الرأس الحادة قادمًا ٣٠٥
راوغه بالكاد، إلا أن رمح (هيكتور) أصاب سخيديوس بن إفيتوس
الذى يفوق الفوكيين جميعًا، القاطن
بانوبيوس الشهيرة، وكان ملكًا على شعب غفير.
فضربه هيكتور عند أسفل عظمة عنقه

ضربة غائرة، ونفذ الرمح البرونزى مدبب الرأس أسفل كتفيه ٣١٠
فسقط بصخب، وطنطنت أسلحته وهى تسقط فوقه.
ثم ضرب أياس فوركيس حكيم القلب ابن فاينوبس
فى محيط بطنه، عندما كان يقف فوق هيبوثوؤس،
فكسر صفيحة درعه ومزق السلاح أحشاءه،
وسقط على التراب وتشبثت بالأرض يداه. ٣١٥

تقهقر، محاربو المقدمة، وكذلك هيكتور الأمجد،
بينما صاح الأرجيون بقوة وسحبوا جثتى
فوركيس وهيبوثوؤس ونزعوا الأسلحة عن أكتافهم.
حينئذ تقهقر الطرواديون، يطاردهم جبنهم،
عادوا إلى إليون أمام الآخيين محبى آريس. ٣٢٠
وعلى الرغم من وعود زيوس، كاد الأرجيون يفوزون بالمجد
بسبب قوتهم وشجاعتهم، لولا أن أبوللون نفسه
حثَّ آينياس، منتحلاً هيئة الرسول بيريفاس بن إيبيتوس،
الذى شاخ فى خدمة والد (آينياس) وكان طيب القلب. ٣٢٥
انتحل أبوللون بن زيوس صورته مخاطبًا (آينياس):

"أى آينياس، كيف تستطيعون، ضد إرادة الإله،
أن تحموا إليون عالية الأسوار؟ حقًا إننى رأيت رجالاً آخرين غيركم،
لديهم الثقة فى قوتهم وقدرتهم وبسالتهم
وفى جيوشهم، قد حافظوا على شعبهم حتى ضد إرادة زيوس. ٣٣٠
بل يرغب زيوس فى أن يكون النصر لنا
أكثر من أن يكون للدانائيين بيد إنكم ترتعدون خوفًا، ولن تحاربوا"

شعر آينياس بأبوللون رامى السهام البعيدة
عندما طالع وجهه، وصاح عاليًا بهيكتور:
"أى هيكتور، ويا أيها الآخرون، يا قادة الحلفاء والطرواديين ٣٣٥

إنه لمن العار، أمام الآخيين أحباء آريس
أن نعود إلى إليون مهزومين لجبن فينا.
إن وحيًا بالقرب منى يعلن:
أن زيوس ذا الإرادة العليا لمعينٌ لنا فى المعركة.
فهيا بنا، إذن، نواصل (التقدم) نحو الدانائيين، فربما نحول ٣٤٠
بينهم وأن يحملوا باتروكلوس الصريع إلى سفنهم"

قال ذلك، وقفز للأمام فى مقدمة الجيش.
حينئذ، احتشدوا وقاوموا الآخيين مرة أخرى،
وبرمحه طعن آينياس ليوكريتوس
بن أريسباس، الرفيق النبيل لليكوميديس الشجاع ٣٤٥
فجرحه، وأشفق عليه ليكوميديس حبيب آريس، عندما هوى،
فتقدم وأخذ موقعًا قريبًا منه وأطلق
رمحه البرّاق، فأصاب أبيساؤن بن هيباسوس راعى الشعب
فى عمق كبده، حتى اهتزت من تحته ركبتاه.
وكان (أبيساؤن) قد أتى، من بايونيا عميقة ٣٥٠
التربة، كما كان أفضل الرجال فى الحرب بعد أستيروبايوس.
فأشفق عليه أستيروبايوس الشجاع لما هوى،
وانقض على الدانائيين متلهفًا على قتالهم.
لكنه أخفق، حيث تسيجوا من كل ناحية بالتروس،
ووقفوا فوق باتروكلوس شاهرين رماحهم. ٣٥٥
فأياس العملاق كان يجول ويصول هنا وهناك وكان يحضهم
ويأمرهم بشجاعة ألا يتراجع فردٌ منهم عن جسد (باتروكلوس)،
وألا يتقدم أحدهم ويحارب فى طليعة بقية الآخيين
بل ليصمد الجميع يدًا بيدٍ، فى موضع الجثمان.
بهذا أمرهم أياس القوى، فتضمخت الأرض ٣٦٠
بالدماء المسفوكة، وتساقط القتلى

بغزارةٍ هادرة، من الطرواديين و حلفائهم الشجعان
ومن الدانائيين أيضًا، الذين يسقط منهم قتلى،
ولكن عدد من سقط منهم أقل بكثير من قتلى أعدائهم ؛ لحرصهم
– أثناء المعركة – أن يصدوا الموت عنهم. ٣٦٥

حاربوا كنار مستعرة، وما كان لأحد أن يتيقن
وقتها، أن الشمس أو القمر لا يزال فى الأفق،
إذ خيم الضباب الكثيف ولاسيما على أشجع المحاربين
الملتفين حول جسد ابن مينويتيوس. (بينما فى مكان آخر)
كان الباقون من الطرواديين والآخيين المسلحين جيدًا بالدروع ٣٧٠
يحاربون غير مكترثين تحت السماء الصافية، وضوء الشمس المشرق
يسطع فوقهم، ولم تظهر هناك حتى سحابة فى السماء
لا فوق سهل أو (فوق) تل. فكانوا يستريحون من القتال
بين الحين والآخر، وقد أفلت البعض من الرماح المحملة بالأنين،
بأن انتحوا جانبًا، بينما آخرون ممن، كانوا فى الوسط يتحملون ٣٧٥
قسوة المعركة والظلام. كما أرهقت وطأة الأسلحة
عديمة الرحمة كل القادة. إلا أن رجلين
– رغم أنهما محاربان شهيران: ثراسيميديس وأنتيلوخوس –
لم يعلما بموت باتروكلوس الذى لا نظير له،
وكانا يعتقدان أنه لم يزل على قيد الحياة
يحارب بقوة، وسط طلائع الجيش ضد الطرواديين. ٣٨٠
توقع هذان البطلان أن يكون رفاقهما قد ماتوا أو هزموا،
وباتا يحاربان بمعزل عن الباقين، لأن نيستور أمرهما بذلك،
عندما كانا عند السفن السوداء، وحرضهما على القتال.
واستمر قتالهما العنيف طوال اليوم.
وازدادت ضراوته، وغرق كل محارب ٣٨٥
فى العرق والكدح، وقد توحلت سيقانهم وأقدامهم

وأذرعهم، وتبللت أعينهم. إذ يتعارك الفريقان
حول جسد التابع المغوار لسليل أياكوس سريع القدم.
وكما يعطى رجلٌ جلد ثور ضخم إلى شعبه
لكى يشدوه بإحكام، بعد نقعه فى الدهن، ٣٩٠
فعندما يأخذونه ويقفون متباعدين فى دائرة، ويشدونه
بالتواء، فتخرج الرطوبة، بينما تدخل الدهون
بسبب شد الكثيرين، ويتمدد الجلد كله فى كل اتجاه.
هكذا، من كلا الجانبين، كانوا هنا وهناك، يتجاذبون
جسد باتروكلوس فى محيط ضيق بقلوب مفعمة بالأمل. ٣٩٥
(فأمل) الطرواديين أن يسحبوا (الجسد) إلى طروادة، أما الآخيون
فأملهم أن يعودوا بها إلى السفن المجوفة. واستعر حول الجسد
نزاع مهول لم تستطع أثينة أن تخففه عندما رأته،
ولا آريس، مستنفر الجيوش، رغم أن غضبهما كان عنيفًا.

ذلك هو الكدح المرهق للأبطال والجياد الذى فرضه زيوس ٤٠٠
اليوم حول جسد باتروكلوس. بيد أن أخيليوس
شبيه الآلهة لم يكن يعرف بعد أن باتروكلوس قد هوى.
لأنهم كانوا يحاربون بعيدًا عن السفن السريعة
تحت حصن الطرواديين، لذلك لم يتصور أبدًا
أنه قد مات، بل إنه حى ينتظر عودته سالمًا ٤٠٥
بعد أن اقترب من البوابات. كان يتوقع
دومًا أنه لن يحاصر المدينة ويسلبها بدونه،
فربما أسرت له والدته بذلك فى حديث خاص.
إذ كانت تواتيه بأنباء عن نوايا زيوس الجبار،
لكن حتى ذلك الحين، لم تكن والدته قد أخبرته بشىء ٤١٠
عن ذلك الحزن الثقيل المقدر، فأعز صديق له قد مات.
والباقون ما زالوا يجاهدون عند جثته بسهامهم الباترة،

وصارع بعضهم بعضًا فى قتال متواصل.
كان الواحد من أبناء الآخيين المسلحين بالبرونز يقول للآخر:
"أيها الأصدقاء، حقًا إنه عار علينا أن ننسحب ٤١٥
إلى السفن المجوفة، الأجدر أن تنشق الأرض السوداء
وتبتلعنا جميعًا. الأفضل أن يحدث ذلك،
ولا نترك للطرواديين مروضى الخيول
يحرزون المجد ويسحبون الجسد بعيدًا إلى مدينتهم".
وبالمثل كان أحد الطرواديين شديدى العزم يقول: ٤٢٠
"أيها الأصدقاء، لو قدِّر لنا جميعًا أن نهلك
فوق هذا الرجل، فليكن ولا يفر أحدكم من المعركة"
كانوا كلهم يلهبون حماستهم وبأسهم،
فاشتد التناحر وامتد حتى الدياجير،
وصليل الحديد يطول عنان السماء المذهبة. ٤٢٥
وقفت خيول سليل أياكوس بعيدًا عن المعركة
تبكى، منذ أن عرفت أن قائدها قد سقط
فى التراب، بيد هيكتور قاتل الرجال.
وعبثًا حاول أوتوميدون الشجاع بن ديوريس
أن يحمسها مرة بضربات من سوطه السريع، ٤٣٠
وأخرى بنبرات رقيقة معسولة، وأحيانًا أخرى باللعنات القاسية.
ولم ترغب الخيول فى الذهاب إلى السفن بجوار بحر الهيلليسبونطوس
الشاسع، ولا أن تلحق للمشاركة مع الآخيين فى الحرب.
وكما يقف العمود ثابتًا بلا حراك، قائمًا على قبر رجل أو امرأة، ٤٣٥
هكذا وقفت الخيول فى سكون مربوطة إلى العجلة الحربية الباهية،
وقد نكست رءوسها حتى تكاد تلامس الأرض
وكانت الدموع تنهمر من أعينها على التراب

حزنًا على موت سائقها، وقد لطخ التراب أعرافها المنسابة
مسترسلة إلى أسفل على الجانبين من تحت سنادة النير. ٤٤٠
وعندما رأى ابن كرونوس حزنها أشفق عليها
فهز رأسه وقال محدثًا نفسه:
"أيتها الخيول التعسة، لماذا أعطيناكم إلى بيليوس الملك
الفانى، بينما أنتم جيول إلهية خالدة لا تموت؟
أيكون ذلك مشاركة للبشر التعساء فى محنتهم؟ ٤٤٥
حيث لا يوجد، فى تصورى، من يستحق الشفقة بين الكائنات
التى تتنفس على وجه الأرض وتتحرك أكثر من الإنسان(*).
والحق أن هيكتور بن برياموس لن يمتطى صهوتكم ولن يمتطى عربتكم
الحربية البهية. ألن يكفيه أن يرتدى الأسلحة التى يزهو بها متبخترًا؟ ٤٥٠
لكنى سأضع فى أرجلكم وروحكم قوةً
حتى تحملوا أوتوميدون سالمًا بعيدًا عن المعركة
إلى السفن المجوفة، حيث سأمنح مزيدًا من النصر (للطرواديين)
ليواصلوا القتال حتى يصلوا إلى السفن متينة المقاعد،
وتغرب الشمس ويحل بهم ظلام إلهى" ٤٥٥

وما أن قال ذلك حتى نفث فى الخيول قوة هائلة،
فنفضت الخيول الغبار عن أعناقها إلى الأرض
وبرشاقة جرت العجلة الحربية السريعة وسط الطرواديين والآخيين.
وكان أوتوميدون من خلفها يحارب الطرواديين وكله حزن على رفيقه
(باتروكلوس)، وانقض بعجلته الحربية كما ينقض النسر على الأوز. ٤٦٠
كاد يفر بخفة من بين حشود الطرواديين
ولاحق جموعهم الغفيرة ملاحقة حثيثة لكنه لم يقتل أحدًا،
فلم يكن بإمكانه، فى كل الأحوال، وهو وحيد على عجلته الحربية

(*) ذاع هذان البيتان فى الأدب القديم والحديث باعتبارهما دليلاً على تشاؤم هوميروس ورؤيته للإنسان على أنه أبأس المخلوقات. قارن الأوديسية، الكتاب الثامن عشر بيت ١٣٠. (المحرر)

المقدسة أن يهاجم برمحه، و يقود الخيول السريعة فى الوقت نفسه. ٤٦٥
وأخيرًا، لمحه أحد الرفاق، ألكيميدون بن لائيركيس بن هايمون،
فوقف فوق عربته من الخلف، وتحدث إلى أوتوميدون:

"أى أوتوميدون، مَنْ من الآلهة قد غرس
فى صدرك نصيحة غير ذات نفع، وسلب الفهم من عقلك؟ ٤٧٠
تقاتل، هكذا، فى مقدمة الصفوف ضد الطرواديين بمفردك،
قُتِل رفيقك، وأسلحته يرتديها هيكتور على كتفيه
إنها أسلحة سليل أياكوس المجيدة"

وأجابه أوتوميدون بن ديوريس:
"أى ألكيميدون، مَنْ غيرك من أبطال الآخيين بوسعه ٤٧٥
أن يشكم ويقود خيولاً خالدة
باستثناء باتروكلوس وحده، صنو الآلهة فى المشورة
عندما كان حيًا؟، أما الآن وقد أدركه الموت والهلاك
فلتأخذ أنت السوط والأعنة البراقة،
وسأنزل أنا للأرض حتى أقاتل" ٤٨٠

قال ذلك، فوثب ألكيميدون فوق العجلة الحربية المسرعة
وبخفة قبض بيديه على السوط والأعنة.
وكان أوتوميدون قد نزل من فوق عجلته الحربية. وعندما شاهدها
هيكتور المجيد، نادى مباشرة على آينياس الذى كان على مقربة منه:
"أى آينياس، يا قائد الطرواديين المسلحين بالبرونز، ٤٨٥
هناك، ألمح جوادى سليل أياكوس سريع القدم
قادمين نحو المعركة ظاهرين للعيان يقودهما رجال ضعاف.
كلِّى أملٌ أن ألسرهما، فإذا كنت حقًا ترغب فى ذلك
من قلبك، فلن يصمدا أمام هجومنا نحن الاثنين
ولن يغامرا بالوقوف والنضال أمامنا فى المعركة" ٤٩٠

هكذا قال، وأطاعه ابن أنخيسيس الشجاع،
وتقدم كلاهما وفوق كتفى كل منهما
درع من جلد ثور مقوى ومجفف وملحوم به برونز سميك.
وكان خروميوس معهما، وكذلك أريتوس شبيه الآلهة
وكانت قلوبهم قد امتلأت فى داخلهم ٤٩٥
بالأمل في قتل الرجلين، وأن يستوليا على الخيول قوية الأعناق.
ويا لهما من أحمقين! حيث إنه دونما إراقة دماء
لن يستطيعا سلبهما من أوتوميدون الذى تضرع إلى زيوس الأب
ممتلئًا قلبه العتيد بالبسالة والقوة.
وسرعان ما خاطب ألكيميدون رفيقه المخلص قائلاً: ٥٠٠

"أى ألكيميدون لا تمسك الخيول على مبعدة منى، بل دع
أنفاسها تضرب فى ظهرى، فالحق أننى لا أعتقد
أن هيكتور بن برياموس سيرجع عنّا،
حتى يقتلنا نحن الاثنين ويمتطى خيول
أخيليوس جميلة العُرف، فينشر الذعر بين صفوف ٥٠٥
الأرجيين، أو يُقتَل هو نفسه فى صفوف المقدمة"

وما أن قال ذلك حتى نادى الثنائى أياس كليهما ومينيلاؤس:
"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا مينيلاؤس
ويحكم! سلموا جسد الميت لمن هم أجدر
بحمايته وصد صفوف الرجال (الأعداء) عنه. ٥١٠
تعالوا، الآن، لتصدوا عنّا نحن الاثنين الأحياء(*) يومًا قاسيًا.
فهنا فى خضم الحرب الأليمة يهاجم بعنف
هيكتور وآينياس اللذان هما أفضل الطرواديين.

(*) هـذا معناه أن الحـى أفضـل مـن الميـت وأولى بالرعاية، ولقد ورد فى الكتابات المسيحية الأولى (Ecclesiastes, ix 4) قول فحواه أن كلبًا حيًا أفضل من أسد ميت. (المحرر)

حقًا إن كل شىء يقع على ركبتى الآلهة
ولذا سأقذف (هذا الرمح) وأترك الباقى لزيوس" ٥١٥

قال ذلك، و وازن رمحه بعيد الظل وقذفه
فأصاب مباشرة درع أريتوس المصقول باستدارة جيدة،
ولم يقو الدرع على صد (الرمح)، فنفذ البرونز بقوة خلاله
إلى العمق، متجاوزًا حزام البطن. ومثلما يضرب رجلٌ عتى القبضة،
بفأس ذى حافة حادة خلف قرون ثور أليف، ٥٢٠
فتنهتك أعصابه كليةً، ويقفز الثور للأمام ويتهاوى.
هكذا وثب أريتوس للأمام وسقط على ظهره، فالرمح
بالغ الحدة الذى ثبت مهتزًا فى أحشائه، قد أرخى أطرافه.
لكن هيكتور برمحه اللامع، قذف أوتوميدون، ٥٢٥
فما كان من (أوتوميدون) الذى كان ينظر إليه بثبات، إلا أن راوغ
الرمح البرونزى بأن مال للأمام بسرعة، فانطلق الرمح الطويل
وانغرس فى الأرض خلفه، وانتصب الرمح واقفًا،
وعلى وجه السرعة أحبط آريس ضراوته.
حينئذ، أوشكا أن يشتبكا بسيوفهما ملتحمين، ٥٣٠
لو لم يكن الثنائى أياس قد حالا بينهما.
فعندما جاء (الثنائى أياس) فى حشد، تلبية لنداء رفيقهما
وعلى إثر هجومهما، حل الرعب مرة أخرى
بهيكتور وآينياس وخروميوس شبيه الآلهة
فتقهقروا وتركوا أريتوس، مطعونًا ومُسجىً. فسلب منه أوتوميدون، ٥٣٥
صنو آريس السريع، أسلحته غنيمة، وتفاخر ساخرًا:

"الحق إننى أرحت قلبى قليلاً من حزنه على موت ابن
مينويتيوس، مع أن الرجل الذى قتلته أقل من (ابن مينويتيوس) شأنًا"

قال ذلك، ثم حمل الغنائم الملطخة بالدماء ووضعها ٥٤٠

فوق عجلته الحربية التى امتطاها، وكانت قدماه ويداه
تنضح بالدماء، وكأنه أسدٌ قد التهم عِجلاً.

عادت المعركة الوحشية تستعر من جديد فوق
جسد باتروكلوس أضرمت أثينة نيران القتال المفجع،
هبطت من السماء، مرسلة من قبل زيوس بعيد النظر ٥٤٥
تحث الدانائيين (على القتال). (فزيوس) قد غير نواياه.
وكما يقذف زيوس قوس قزح يومض للبشر
من أعلى قمم السماء نذيرًا بالحرب
أو بعاصفة مطيرة، قارسة البرودة، تجبر
البشر على التوقف عن أعمالهم فى الأرض، وتوهن الدواب. ٥٥٠
هكذا، لفّت (أثينة) نفسها بسحابة من الوميض واندست بين حشود
الآخيين، وأشعلت حماس كل المحاربين واحداً بعد الآخر.
فى البدء، بادرت بالحديث إلى مينيلاؤس الشجاع بن أتريوس
لتشعل حماسته، حيث كان قريبًا منها.
بعدما تجسدت فى هيئة فوينيكس وصوته الذى لا يكل فقالت: ٥٥٥

"ويحك مينيلاؤس، ستطير رأسك ويلحقك العار حقًا،
إذا مزقت الكلاب اللاهثة تحت سور الطرواديين
جسد الصديق الصدوق لصاحب العزة أخيليوس.
لذا، تماسك، ولتشعل حماسة جيشك، ولتكن شجاعًا"

حينئذٍ، أجابها مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب: ٥٦٠
"أى فوينيكس، أيها الشيخ العزيز علينا منذ الأيام الخوالى!
ليت أثينة تمنحنى القوة وتدفع عنى ضربات السهام،
حينئذٍ، سأقف سعيدًا إلى جانب باتروكلوس وأدافع عنه.
فموته مسَّ قلبى فى أعماقه بالأسى،
لكن هيكتور مرعب كنار مستعرة ولم يكف عن ٥٦٥

نشر الدمار بسيفه، حيث وهبه زيوس المجد"

وعندما قال ذلك فرحت الإلهة أثينة زرقاء العينين،
فهى، من بين الآلهة أجمعين، أول من تضرع إليها.
فغرست القوة فى كتفيه وركبتيه،
كما طبعت فى نفسه الإصرار، ومثل ذبابة ٥٧٠
دائمًا ما تُطرد من فوق جلد البشر،
إلا أنها تصر دومًا على اللدغ، للذة دماء بنى الإنسان. بمثل هذه
الجسارة (التى لا تكل ولا تمل) ملأت (أثينة) قلبه الأسود بداخله.
فوقف (مينيلاؤس) فوق جسد باتروكلوس وانطلق برمحه المتلألئ.
حينئذٍ، كان بوديس بن إئيتيون بين صفوف الطرواديين، ٥٧٥
ذلك الرجل الثرى ذو القوة. وكان هيكتور يميِّزه عن سائر
الشعب، كما كان رفيقه وجليسه المفضَّل فى الاحتفال.
فضربه مينيلاؤس ذهبى الشعر على حزامه برمية من رمحه
بينما كان يستعد للفرار، وغرس فيه السلاح البرونزى
فسقط وارتطم مجلجلاً، وما كانِ من مينيلاؤس بن أتريوس ٥٨٠
إلا أن سحب جسد الميت (باتروكلوس) بعيدًا، من وسط الطرواديين،
إلى جموع رفاقه.

حينئذٍ، اقترب أبوللون من هيكتور وحثَّه على الاستمرار
وقد اتخذ أبوللون هيئة فاينوبس بن آسيوس
الأعز لديه من بين الضيوف جميعًا، وكان يتخذ أبيدوس وطنًا.
وخاطبه أبوللون بعيد القذائف متمثلاً فى هيئة فاينوبس: ٥٨٥

"أى هيكتور، مَنْ مِن الآخيين سيهابك بعد الآن؟
كيف جبنت أمام مينيلاؤس، الذى كان يُعدُّ
فيما مضى محاربًا ضعيفًا؟ رغم ذلك سحب الجسد
بمفرده، من بين الطرواديين، دونما مساعدة من أحد، وقتل

رفيقك الوفى الشجاع، بوديس بن إئيتيون، فى صفوف المقدمة" ٥٩٠

وما أن قال ذلك حتى غمرت سحابة قاتمة من الحزن (هيكتور)،
فوقف بين صفوف المقدمة، وكان برونز أسلحته وضاءً.
وسرعان ما أمسك ابن كرونوس درعه أيجيس المتلألىء بالحلى
المعدنية وساطع الضياء، وغطى قمة إيدا بساتر من السحاب،
أبرق وأرعد بقوة، ولوّح بسيفه ٥٩٥
مانحًا النصر للطرواديين. ورمى الآخيين بالفزع.

وأول من بدأ الفرار كان بينيليوس البويوتى،
فبينما كان لا يزال يواجه العدو، أصيب برمح فى كتفه
بضربة سطحية، لكن رأس حربة بوليداماس
قد غارت حتى العظام، حيث قذفها عن قرب. ٦٠٠
كان هيكتور قريبًا، فضرب ليئيتوس بن ألكتريون قوى الهمة،
فأصاب رسغه وأقعده عن القتال.
ثم نظر حوله وانسحب، فلم يعد يأمل فى قرارة نفسه
أن يحمل الرمح بيده ليحارب الطرواديين مرة أخرى.
وبينما كان هيكتور يتعقب ليئيتوس، ضربه إيدومينيوس ٦٠٥
على الفور على الحزام الواقى لصدره بالقرب من حلمة ثديه،
لكن الرمح الطويل انثنى عند حلقة الحزام.
وصاح الطرواديون عاليًا، حين قذف هيكتور إيدومينيوس
بن ديوكاليون، إذ كان واقفًا فوق عجلته الحربية، لكن الرمح
انحرف عنه قليلاً، فأصاب كويرانوس رفيق ميريونيس وسائقه ٦١٠
والذى تبعه من (مدينة) ليكتوس الحصينة،
حيث جاء (إيدومينيوس) على قدميه فى البداية من السفن المقوّسة.
وكاد يقدم للطرواديين مجدًا عظيماً(*)،

(*) أى لو قتلوه. (المحرر)

لو لم يكن كويرانوس قد سارع، بخيوله سريعة الركض،
لكى يخلصه، وجعله يتفادى لحظة الهلاك. ٦١٥
إلا أنه (كويرانوس) لقى حتفه على يد هيكتور، قاتل الرجال
الذى ضربه تحت فكه وأذنيه، فهشمت رأس الرمح
أسنانه من جذورها، كما شطرت لسانه من النصف.
فألقى الأعنة على الأرض وسقط من فوق عجلته الحربية.
فما كان من ميريونيس إلا أن أمسك بيديه ٦٢٠
الأعنة الملقاة على الأرض وتحدث إلى إيدومينيوس:

"اضرب، بالسوط، حتى تصل إلى السفن سريعة الإبحار،
حينئذٍ، ستعرف من تلقاء نفسك أن النصر لم يعد فى صف الآخيين"

وما أن، قال (ميريونيس) ذلك، حتى ضرب إيدومينيوس
بالسوط خيوله جميلة العُرف عائدًا إلى السفن المجوفة يغمر الفزع ٦٢٥
روحه. لكن أياس شديد البأس و مينيلاؤس لم يكونا بغافلين
بأن زيوس كان يرجح كفة الطرواديين.
كان أياس التيلامونى العظيم أول من تكلم منهما:

"ويحى، إن أى رجل، مهما يكن من الحمق، سيعرف
أن زيوس الأب نفسه يساعد الطرواديين. ٦٣٠
حيث إن قذائفهم كلها تصيب، أيًا كان راميها
شجاعًا أم جبانًا، فزيوس، فى كل الأحوال، يوجهها إلى الهدف.
بينما تطيش رماحنا هباءً على الأرض. فلنفكر، إذن، ولنحكم خطتنا،
حتى نتمكن من إنقاذ الجسد والعود إلى الوطن ٦٣٥
وندخل السرور على (نفوس) رفاقنا الأحباء،
الذين، فيما أظن، ينتابهم الحزن إذ ينظرون إلينا
ويرون أن هيكتور قاتل الرجال يعربد فى غضبه، ولن تتوقف يده
التى لا تقاوم، بل يتوقعون أن تقع على السفن السوداء.

ألا يوجد من الرفاق من يحمل رسالة عاجلة جدًا ٦٤٠
لابن بيليوس، إذ لم يعلم بعدُ بالأنباء الفظيعة
حسبما أرى، أى أن صديقه الحبيب قد مات.
فإننى لم أر، مثل هذا الرجل بين الآخيين
فهم جميعًا وخيولهم فى الظلام يعمهون.
أى زيوس الأب، لترفع الظلمة عن أبناء الآخيين ٦٤٥
امنحهم سماءً صافية، وامنحنا (بصرًا) لنرى
بأعيننا، ولا تميتنا،، إن كان فى ذلك سعادتك، إلا فى النور"

أشفق الأب (زيوس) عليه عندما رآه يبكى،
فسرعان ما بدد الضباب وشتت الظلمة،
وسطعت الشمس من فوقهم، وبانت تفاصيل المعركة. ٦٥٠
حينئذٍ تحدث أياس إلى مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب:

"انظر الآن يا مينيلاؤس، يا سليل زيوس، علك تستطيع أن ترى
أنتيلوخوس بن نيستور قوى القلب، وما إذا كان على قيد الحياة لا يزال،
فتحثه على أن يذهب ويخبر أخيليوس حكيم القلب
بأن رفيقه الأعز قد هلك" ٦٥٥

قال ذلك، فلم يستطع مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب
أن يرفض، بل أقدم كأسد ينطلق من مزرعة
عندما يتعب من مطاردة الكلاب والرجال والحراس
الذين صدوه عن نهش أسمن
ثور فى القطيع ؛ لأنهم كانوا يحرسون (الحظيرة) طوال الليل. ٦٦٠
لكن (الأسد) من شدة لهفته على اللحم، قد هجم، لكنه فشل
حيث أمطرته أيادى باسلة من سكان البلد بقذائف كثيفة
ومتقدة باللهب، فارتدع رغم لهفته.
حتى أتى الفجر، فرحل بقلب كسير.

هكذا، رحل مينيلاؤس البارع فى صيحة الحرب، عن باتروكلوس ٦٦٥
على غير إرادته، حيث خشى أن يتركه الآخيون
فريسة للأعداء، وقد أعجزهم خوف شامل.
ثم وجه عدة أوامر مباشرة إلى ميريونيس وإلى الثنائى أياس:

"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا ميريونيس
حان الوقت، الآن، أن نتذكر طيبة باتروكلوس التعس، ٦٧٠
كان دومًا رقيقًا مع الجميع فى حياته.
لكنه، الآن، بات فريسة الموت والقدر"

عندما قال ذلك، مضى ذهبى الشعر مينيلاؤس
محملقًا فى كل اتجاه حوله كالنسر الذى يُقال إنه
من الطيور التى تطير عاليًا تحت (قبة) السماء ٦٧٥
حاد البصر، فلا يستطيع الأرنب سريع العدو أن يراوغه رغم
أنه يحلق عاليًا، فيما يقبع الأرنب تحت شجيرات كثيفة الورق،
فينقض النسر ويمسك فريسته ويسلبها الحياة.
هكذا، يا مينيلاؤس، يا سليل زيوس، جُلت وصُلت
فى كل الأنحاء، بأعين متقدة، بين صفوف رفاقك الكثيرين ٦٨٠
علَّك تستطيع أن ترى ما إذا كان ابن نيستور لا يزال على قيد الحياة.
وعلى الفور رآه (مينيلاؤس) بعيدًا على ميسرة المعركة
يشجع رفاقه ويحثهم على القتال.
فدنا منه مينيلاؤس ذهبى الشعر وخاطبه:

"تعال هنا يا أنتيلوخوس، يا سليل زيوس ٦٨٥
لتسمع أخبارًا مفجعة، ما كنت أتمنى حدوثها.
أظن أنك تعرفها الآن، فأنت رأيت بعينيك
كيف أن الإله ينزل مصيبة بالدانائيين، وأنه يشاء
النصر للطرواديين، وكيف قُتِلَ خيرة (رجال) الدانائيين

باتروكلوس، وكيف يقاسى الدانائيون خسارة فادحة. ٦٩٠
لكن، فلتنطلق مسرعًا إلى سفن الآخيين وخبِّر أخيليوس
علَّه يستطيع أن يحمل الجثة العارية إلى بر الأمان، ويأتى
بها إلى سفينته. فهيكتور ذو الخوذة اللامعة جرده من أسلحته"

غمر أنتيلوخوس الفزع لسماعه ذلك النبأ،
فوقف لفترة طويلة دون أن ينبس بكلمة، تفيض عيناه بالدموع، ٦٩٥
واختنق صوته. ولكنه رغم ذلك لم يغفل ما أمر به مينيلاؤس،
فانطلق يعدو، وكان قد أعطى أسلحته لرفيقه الذى لا نظير له
لاؤدوكوس، الذى كان على مقربة منه يسوق خيوله ذات الحافر الواحد.

وكان يبكى وهو يجر قدميه بعيدًا عن ساحة الوغى، ٧٠٠
حاملاً نبًا حزينًا لأخيليوس بن بيليوس.
ألا ترغب يا مينيلاؤس، يا سليل زيوس،
أن تساعد رفاقك وهم فى محنة شديدة، بعد أن تركهم
أنتيلوخوس، على الرغم من أن أبناء بيلوس كانوا فى أمس الحاجة إليه.
إلا أن (مينيلاؤس) أرسل ثراسيميديس شبيه الآلهة. ٧٠٥
ليساعدهم، وبينما هو نفسه قد أسرع، ثانية، ليحمى البطل باتروكلوس.
فجرى واتخذ مكانه بجوار الثنائى أياس وخاطبهما:

"لقد أرسلت (أنتيلوخوس) إلى السفن سريعة الإبحار
وأمرته أن يسرع إلى أخيليوس سريع القدم، فلا أظن
أنه (أخيليوس) سيأتى فورًا، رغم غضبه من هيكتور الإلهى ٧١٠
إذ كيف يتسنى له أن يحارب الطرواديين بدون سلاحه.
دعونا، الآن، نفكر فى خطة بارعة
لا لكى ننقذ الجسد فقط، بل لننأى أيضًا
بأنفسنا عن الموت وعن الهلاك وسط صخب المعركة ضد الطرواديين"
أجابه، عندئذٍ، أياس التيلامونى العظيم: ٧١٥

"إن كل ما قلته حق، يا مينيلاؤس المجيد
إذن، فلتنحنِ أنت وميريونيس، على وجه السرعة، تحت جسد الميت
وترفعاه على كتفيكما، بعيدًا عن ساحة الوغى، ومن خلفكما
سنحارب نحن الاثنين الطرواديين وهيكتور الإلهى
إذ لنا قلب واحد واسم واحد، فطالما تقنا ٧٢٠
من قبل، إلى مواجهة آريس جنبًا إلى جنب"
قال ذلك، فرفع الآخران الجسد بقوة بالغة
من فوق الأرض بسواعدهما، وحينئذٍ، ومن خلفهما
صاح جيش الطرواديين عاليًا عندما شاهدوا الآخيَّين يرفعون الجسد.
فهاجموهم كما تهاجم الكلاب خنزيرًا جريحًا ٧٢٥
أمام قناصين فتيان يلاحقونه بجرأة،
وبينما يطاردونه، وكل منهم متلهف لأن يمزقه
ما أن يستدير نحوهم فى ثــقة
حتى يفروا أمامه مهرولين، هنا وهناك، من (شدة) الفزع.
هكذا، ظل الطرواديون يلاحقونهم أسرابًا، لوقت طويل. ٧٣٠
ويضربون برماحهم وسيوفهم الحادة
وما فتىء الثنائى أياس أن استدارا نحوهم، فأوقفوهم
فامتقع لونهم، ولم يجرؤ أحد منهم أن يتقدم ليحارب من أجل الجسد.
كان الاثنان يحملان الجسد ويسرعان به من ساحة ٧٣٥
القتال إلى السفن المجوفة، فاشتدت عليهما وطأة القتال
واستعرت نارها، كمثل (النار) عندما تلفح مدينة آهلة بالسكان
فتندلع بلهيب مباغت، وتنهار المنازل، ويأتى عليها،
وهج اللهب الذى تزيده الرياح زئيرًا.
هكذا، كان ضجيج الخيول وعجلات الرماحين متواصلاً ٧٤٠
فى تعقبهم لهم، بينما هم يحملون جسد (باتروكلوس) ويسرعون
كالبغال تبذل أقصى ما لديها من قوة

وهى تجر كتلة خشبية هائلة أو جزءً ضخمًا من سفينة من
فوق الجبل أو على طريق فرعى وعر،
فتنهك أرواحها داخلها من الكد والإرهاق وينهمر العرق. ٧٤٥
هكذا كافح (مينيلاؤس وميريونيس) فى حمل الجسد وخلفهما
الثنائى أياس يكبحان العدو، وكأنهما مرتفع صخرى كثيف الشجر
وقف عبر السهل بكل قوته فى وجه الفيضان المدمر،
يصد سيول الأنهار القوية،
ويبعد تيارات هذه المياه كلها حتى تنجرف ٧٥٠
إلى السهل، فلا تقوى السيول على تدميره مهما تكن قوتها.
بمثل هذه الطريقة واجه الثنائى أياس معركة الطرواديين،
لكن (الطرواديين) باتوا يلاحقونهما عن قرب، وكان بينهم
آينياس بن أنخيسيس فى صفوف المقدمة مع هيكتور المجيد.
ومثلما يطير سرب من الزرازر أو الغربان ٧٥٥
ويصرخ بصوت فزعٍ عند رؤية الصقر القادم
حاملاً الهلاك إلى الطيور الصغيرة.
هكذا بهذه الطريقة، هرع شباب الآخيين أمام
آينياس وهيكتور يصدرون صيحات الهلاك، متناسين متعة القتال
وتساقطت الأسلحة الناصعة أكوامًا حول الخندق ٧٦٠
عند هروب الدانائيين، لكنهم لم يكفوا عن القتال. ٧٦١

الكتاب الثامن عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

قاتل المحاربون مثل نار متأججة،
وجاء أنتيلوخوس سريع الخطو إلى أخيليوس
فوجده أمام السفن المقوسة مثل القرون،
تتوجس نفسه (أخيليوس) بالشيء الرهيب الذى قد حدث
وتحدث مهمومًا إلى روحه الباسلة: ٥

"ويحى كيف يطرد، مرة أخرى، هكذا، أبناء الآخيين
طويلو الشعر مشتتين عبر السهل المؤدى للسفن؟
ليت الآلهة لا تحقق الأحزان الثقيلة فى نفسى
والتى أخبرتنى بها، ذات مرة، والدتى عندما قالت لى
إن واحدًا من خيرة الميرميدونيين، فى أثناء حياتى ١٠
سيترك نور الشمس على أيدى الطرواديين.
من المؤكد أنه ابن مينوبوتيوس الشجاع، لقد مات!
إنه حقًا لمتهور؛ لأننى أمرته أن يخمد نار (الأعداء)
المستعرة، ثم يعود إلى السفن ولا يحارب هيكتور"

كان أخيليوس شاردًا يحدثه عقله وقلبه بتلك الأمور، ١٥
فدنا منه ابن نيستور المجيد
سافكًا دموعًا ساخنة، وأخبره النبأ الحزين:

"ويحى، يا ابن بيليوس حكيم القلب، إنه جد مفجع
ذلك الخبر الذى ستسمعه، وكم كنت أتمنى ألا يحدث.
إن باتروكلوس يرقد ميتًا بينما تتصارع الجحافل حول جثته العارية، ٢٠
بعد أن سلبه هيكتور ذو الخوذة اللامعة الأسلحة"

سمع أخيليوس ذلك فغمرته غمامة حالكة من
الحزن، وقبض بكلتا يديه على رماد أسود أهاله على
رأسه حتى تشوه وجهه الوسيم.

وتساقط الرماد الأسود على ردائه العبق ٢٥
وتمرغ، بكل كيانه الضخم، فى التراب يشد شعره ويمزقه.
و الإماء اللائى سباهن أخيليوس وباتروكلوس
كن ينوحن بصوت أليم مندفعات إلى العراء حول
أخيليوس حكيم القلب، وكن جميعهن يضربن صدورهن ٣٠
بأيديهن، وقد ارتخت مفاصل كل واحدة منهن.
كان أنتيلوخوس ينتحب سافكًا الدموع
وممسكًا بأيدى أخيليوس الذى كان يئن بشدة من قلبه المجيد،
خشية أن يقطع رقبته إربًا بسكين(*).
تأوه (أخيليوس) بشدة، فسمعته أمه الجليلة ٣٥
حيث كانت تجلس فى أعماق البحر إلى جوار أبيها المسن
وعندما صرخت، التفت من حولها عرائس البحر(**).
جميعهن، بنات نيريوس، الساكنات فى أعماق البحر.
كانت هناك، جلاوكى وثاليا وكيمودوكى
ونيسايا وسبيو وثوى وهاليى، ذات العيون الواسعة كالمها، ٤٠
وكيموثوى وأكتايا وليمنوريا
وميليتى ويارا (إيايرا) وأمفيثوى وأجاوى
ودوتو وبروتو وفيروسا وديناميني
ودكسامينى وأمفينومى وكاليانيرا
ودوريس وبانوبى وجالاتيا الشهيرة ٤٥
ونيمرتيس وأبسيوديس وكالياناسا.
وكانت هناك كليمينى ويانيرا وياناسا
ومايرا وأوريثيا وأماثيا جميلة الضفائر،
وأخريات من بنات نيريوس اللائى كن فى عمق البحر

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة للانتحار فى"الإلياذة"، مما دفع بعض المحققين لحذف هذا البيت. (المحرر)

(**) فى الأبيات ٣٩-٤٩ يورد هوميروس قائمة بأسماء عرائس البحر ويميل بعض المحققين لحذف هذه الأبيات. وجدير بالذكر أنه ورد عند هيسيودوس خمسون اسمًا لعرائس البحر. (المحرر)

فامتلأ الكهف البللورى بهن، وما لبثن جميعهن أن ٥٠
ضربن صدورهن، وبدأت ثيتيس فى النواح:
"أى بنات نيريوس، اسمعننى يا أخواتى،
لتعرف كل منكن كم هو أليم ذلك الحزن الذى أصاب قلبى.
ويحى، ما أشقانى، لقد أنجبت أفضل ولد فأشقانى!
إذ بعد أن أنجبت ابنًا فريدًا قويًا، ٥٥
متفوقًا على ماعداه من الأبطال، وشبَّ كنبتة بازغة،
ربيته كشجرة فوق تل خصيب،
وأرسلته فى السفن المقوَّسة إلى إليون،
ليحارب الطرواديين، لكننى لن أستقبله
عائدًا، مرة أخرى إلى وطنه، إلى بيت بيليوس. ٦٠
حتى فى أثناء حياته وهو لا يزال يرى نور الشمس
أصابه الحزن وما كان بوسعى أن أساعده بالذهاب إليه.
إلا أننى الآن ذاهبة إليه، كى أرى ابنى العزيز
لأسمع أى حزن قد ألم به رغم بقائه بعيدًا عن الحرب"

قالت ذلك، وغادرت الكهف، وذهبت فى معيتها ٦٥
عرائس البحر باكيات، وكانت أمواج البحر تتلاطم من حولهن.
وما أن وصلن إلى أرض طروادة عميقة التربة
حتى خرجن، جميعًا، واحدة تلو الأخرى، نحو الشاطئ
حيث تقف سفن الميرميدونيين فى صفوف متقاربة حول أخيليوس
السريع الذى كان يئن بشدة. فدنت أمه الجليلة منه ٧٠
وعانقت رأس ولدها وانفجرت فى النواح
بصوت عالٍ، وبصرخة يرثى لها، خاطبته بكلمات مجنحة:
"أى بنى، لماذا تبكى؟ أى حزن حل بروحك؟
أفصح عنه، ولا تخفيه، لقد استجاب
زيوس لدعائك، عندما تضرعت رافعًا يديك من قبل ٧٥

طالبًا، حينئذ، أن يحتشد أبناء الآخيين كلهم عند مؤخرات السفن،
وهم يعانون مر الهزيمة وبسبب احتياجهم المؤلم لوجودك"

فتأوه أخيليوس سريع القدم بشدة وأجابها:
"أى أماه، لقد حقق لى الأوليمبى دعواتى حقًا،
لكن، أية فرحة لى فى ذلك؟ وقد قتل صديقى العزيز ٨٠
باتروكلوس الذى أبجله من بين رفاقى جميعًا
مثل نفسى تمامًا. لقد فقدته، قتله هيكتور، سلبه أسلحته الرهيبة المهيبة
التى وهبتها الآلهة هدية ماجدة إلى بيليوس،
فى اليوم الذى زفوكِ فيه إلى فراش بشرى. ٨٥
ليتكِ بقيتِ حيثما كنتِ وسط عرائس البحر الخالدات
وكان بيليوس قد تزوج امرأة بشرية!
والآن، سيلتهم قلبك حزن لا يحتمل،
من أجل موت ابنك الذى لن ترحبى به ثانية،
حين يعود إلى أرض الوطن. فقلبى لن يسمح لى ٩٠
بأن أعيش أو أقيم بين البشر، إلا إذا فقد
هيكتور حياته أولاً بضربة من سيفى،
حتى يدفع ثمن قتل باتروكلوس بن مينويتيوس"

ثم خاطبته ثيتيس بدورها والدموع تنهمر من عينيها:
"إذن يا بنى، قدر عليك الموت الوشيك، طالما ٩٥
تتكلم هكذا، فموتك آت مباشرة بعد موت هيكتور"

تأثر بشدة سريع القدم أخيليوس وتحدث إلى أمه:
"فلأمت، إذن، فى الحال، إذا لم أتمكن من مساعدة
صديقى(*) عند مصرعه، وقد هلك بعيدًا عن وطنه،

(*) هذه مقولة هومرية مشهورة، إذ لها دلالة واضحة عن مفهوم الصداقة فى العالم البطولى الملحمى وسنجد لها أصداءً كثيرة فى كافة فنون الأدب الإغريقى واللاتينى. (المحرر)

وكان فى حاجة إلىَّ لأصدَّ عنه الكرب ١٠٠
وطالما أننى لن أعود إلى وطنى الحبيب،
ولن آتى بنور (الخلاص) إلى باتروكلوس، ولا إلى
الرفاق الآخرين والكثيرين الذين هزموا على يد هيكتور الإلهى.
وقد جلست (هاهنا) بجوار السفن، كعبء لا طائل منه على الأرض،
وأنا الذى ليس لى نظير فى الحرب، من بين الآخيين لابسى البرونز. ١٠٥
لكن هناك مَنْ يفوقنى مشورةً،
لذا، ليت الصراع بين الآلهة أو بين البشر ينتهى
كذلك الغضب الذى يشجع حتى لحليم على جنون العنف،
حيث يتزايد (الغضب) داخل روح الرجال كدخان يتصاعد
ويكون مذاقه أحلى من قطرات العسل. ١١٠
فهكذا، دفعنى أجاممنون ملك الرجال إلى الغضب.
لكن فلندع الآن هذه الأمور ما دامت قد مضت وانتهت،
وإن كانت مؤلمة، يتحتم أن تكظمها القلوب فى الصدور.
ذاهب أنا الآن لأقتفى أثر ذلك الذى اغتال من
أحببته، هيكتور فأهلاً بالمصير المحتوم، ١١٥
تلك هى إرادة زيوس وباقى الآلهة الخالدين.
فالموت لن يتفاداه أحدٌ وإن كان هرقل القوى
رغم أنه كان الأحب لدى زيوس بن كرونوس،
لكن هزمه القدر وغضب هيرا القاسى.
إننى مثله، إذا كان القدر هكذا قد رُسم لى ١٢٠
سأرقد عندما أموت، حينئذ ربما أفوز بمجد خالد. إذ ربما واحدة
من النساء الطرواديات أو الداردانيات ذوات الثياب الطويلة
تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها الرقيقتين
بيديها، وهى تتنهد بمرارة الحزن.

بذلك ربما يعلمون أننى توقفت عن الحرب وقتًا طويلاً(*) ١٢٥
إذن، و حبك، لا تمسكينى عن الحرب، فأنت لن تقنعينى"

أجابته الآلهة ثيتيس ذات الأقدام الفضية:
"أى بنى، إن ما قلته هو عين الصواب، فليس شرًا
أن تصد الدمار الوشيك عن الصديق فى وقت الضيق
لكن أسلحتك المهيبة التى تلمع بالبرونز سلبها الطرواديون. ١٣٠
فهيكتور، ذو الخوذة اللامعة،
يحملها الآن على كتفيه، متفاخرًا بها. وإنى لأعتقد
أن تفاخره لن يطول؛ لأن الموت يقترب منه هو أيضًا.
مع ذلك لا تقحم (نفسك) فى جلبة آريس
قبل أن ترانى بعينيك عائدة مرة أخرى إلى هنا. ١٣٥
وإننى سأعود غدًا مع شروق الشمس
حاملة أسلحة مهيبة من هيفايستوس الملك"

قالت ذلك وتركت ابنها،
واستدارت لتخاطب أخواتها عرائس البحر:

"لتغوصن الآن، يا أخواتى فى أعماق البحر الرحب ١٤٠
لزيارة مسكن والدنا شيخ البحر المسن
(نيريوس) تخبرنه بالقصة كلها، أما أنا فسأذهب إلى الأوليمبوس
الشاهق، إلى بيت هيفايستوس إله الحدادة الأشهر
لكى يمد ابنى بأسلحة مجيدة براقة"

سمعن كلامها، وغصن مسرعاتٍ طى أمواج البحر، ١٤٥
بينما صعدت ثيتيس الإلهة فضية القدمين إلى الأوليمبوس،
لكى تحضر أسلحة جديدة مجيدة لابنها العزيز.
عندئذٍ رفعتها قدماها إلى الأوليمبوس. كان الآخيون –

(*) خمسة عشر يومًا بالحسابات التى يمكن استنباطها من معطيات "الإلياذة". (المحرر)

هربًا من هيكتور قاتل الرجال - يهرولون فى صراخ مروع

حتى وصلوا إلى السفن والهيلليسبونطوس. ١٥٠

ولم يستطع الآخيون المسلحون بدروع متينة

أن يسحبوا باتروكلوس تابع أخيليوس بعيدًا عن

مرمى القذائف، حيث أدركته مرة أخرى حشود وخيول طروادة

التى يقودها هيكتور بن برياموس فى بسالة كاللهب.

فأمسكه هيكتور المجيد ثلاثًا من خلف قدميه ١٥٥

متلهفًا إلى أن يسحبه بعيدًا، ونادى على الطرواديين بصوت عالٍ.

أما الثنائى أياس كلاهما، فدفعاه إلى الخلف

ثلاث مرات بقوة بالغة. لكن أياس كان شديد الثقة بقوته،

اندفع وسط الجموع تارة، ووقف

وصاح بصوت مدوٍ تارة أخرى، ولم يتراجع قيد أنملة. ١٦٠

ومثل الرعاة العاجزين، عن طرد أسد أشعث

بعيدًا عن جثةٍ فى حقل، لفرط جوعه.

هكذا لم يستطع الثنائى أياس المحاربان العتيدان

أن يردعا هيكتور بن برياموس (ويقصياه) بعيدًا عن الجثة.

وكاد هيكتور أن يخطف الجثة وينال المجد الأعظم، ١٦٥

لولا أن إيريس سريعة القدمين جاءت مثل ريح مرسلة

برسالة إلى ابن بيليوس من الأوليمبوس لتحثه على الحرب

على غير علم من زيوس وباقى الآلهة، حيث أرسلتها هيرا

فدنت منه ووقفت وخاطبته بكلمات مجنحة:

"لتنهض يا ابن بيليوس، يا أقوى ١٧٠

الرجال طرًا، ولتساعد باتروكلوس الذى من أجله يحتدم الآن صراع

رهيب أمام السفن، ويتناحر (الرجال).

هؤلاء يدافعون عن جسده المسجى،

بينما يستميت الطرواديون ليسحبوه

من ذلك المكان إلى إليون ذات الريح العاصفة. وبخاصة هيكتور المجيد ١٧٥
يتلهف أن يسحبه، إذ يمنيه قلبه أن يفصل رأسه عن عنقه
الواهن، ويعلقه فوق أعمدة سور طروادة.
فلتنهض إذن، ولا تمكث هنا، وليداخل قلبك الفزع من أن يبيت
باتروكلوس، بأى حال، لعبة لكلاب الطرواديين.
وليحل بك عار لو لحق الدنس بجسده" ١٨٠

أجابها أخيليوس الإلهى سريع القدم:
أيتها الإلهة إيريس، أى من الآلهة بعثك إلى بهذه الرسالة؟"
فأجابته إيريس السريعة منتعلة الرياح:
"لقد أرسلتنى هيرا، زوجة زيوس المجيدة،
ولم يعلم بذلك ابن كرونوس فى علاه، ١٨٥
ولا أحد غيره من الخالدين قاطنى الأوليمبوس الثلجى"

فقال أخيليوس سريع القدم:
"كيف يتسنى لى أن أقاتل، وقد سلب أولئك الطرواديون أسلحتى؟
ووالدتى العزيزة منعتنى من التسلح للقتال
حتى يحين الوقت، وتراها عيناى عائدة إلى هنا مرة أخرى. ١٩٠
تعهدت لى بإحضار أسلحة رائعة من هيفايستوس:
كما أننى لا أعرف (إنسانًا) آخر جديرًا بأن أتقلد أسلحته المجيدة
سوى درع أياس بن تيلامون
هو نفسه، فيما أظن، يشارك فى طليعة الحشد
ناشرًا الهلاك بسيفه ليحمى باتروكلوس الميت" ١٩٥

فقالت إيريس منتعلة الرياح:
"إننا نعلم تمامًا أن أسلحتك المجيدة قد سلبت،
لكن، اذهب، كما أنت هكذا، إلى الخندق واظهر نفسك للطرواديين.
فإن تملك الطرواديين رعبٌ منك، وتوقفوا عن القتال

حينئذٍ، تسنح الفرصة لكى يلتقط أبناء الآخيين الشجعان أنفاسهم ٢٠٠
من بعد التعب، فكم هو قصيرٌ وقت الراحة فى الحرب!"

قالت ذلك إيريس سريعة الخطو، ورحلت.
لكن أخيليوس، حبيب زيوس، نهض وقد ألقت
أثينة على كتفيه القويين الدرع أيجيس ذا الأهداب.
ثم توجت الإلهة المقدسة رأسه بسحابة ذهبية ٢٠٥
كثيفة، وقد فجرت منها نارًا متوهجة.
ومثلما يتصاعد دخان فوق مدينة ويتجاوز عنان السماء،
من جزيرة يحاصرها الأعداء،
بينما يناضل سكانها طوال النهار فى معركة بغيضة
من فوق أسوار مدينتهم، وعند غروب ٢١٠
الشمس تستعر انفجارات اللهب واحدة تلو الأخرى،
ينطلق (اللهب) عاليًا حتى يراه سكان الجوار،
وربما يأتون على متن سفنهم لكى يخلصوهم من الدمار.
هكذا، انفجر اللهب من فوق رأس أخيليوس عاليًا إلى السماء،
فقفز من فوق السور نحو الخندق، وهناك اتخذ ٢١٥
لنفسه موقعًا، إلا أنه لم يختلط بحشد الآخيين، حيث تذكر نصيحة أمه
الحكيمة، فوقف هناك وصاح ورددت الصياح أثينة بالاس
من بعيد، فحل ارتباك لا يوصف وسط الطرواديين.
كانت صيحته مدوية كصوت البوق المنطلق عاليًا
وسط حشد أعداء عابثين يحاصرون مدينة. ٢٢٠
هكذا كانت صيحة سليل أياكوس.
وبمجرد أن سمعوا صوت سليل أياكوس البرونزى
ملأ الرعب قلوبهم جميعًا، وبدأت الخيول جميلة العرف
تتراجع عن العجلات، حيث تملكت نذر الشؤم قلوبها.
وتخبط سائقوها رعبًا عندما رمقوا النار ٢٢٥

المستعرة تتأجج بشكل مفزع، متصاعدة من فوق رأس البطل
ابن بيليوس حيث ألهبتها الإلهة أثينة براقة العينين(*).
وصاح أخيليوس الإلهى القوى فوق الخندق ثلاثًا.
وقد ارتبك فى كل مرة الطرواديون وحلفاؤهم أصحاب الشهرة
حيث قُتل فى التو وفى نفس المكان، اثنا عشر رجلاً من خيرتهم ٢٣٠
وسط عجلاتهم الحربية و(بين) رماحهم. لكن الآخيين
سحبوا (جثة) باتروكلوس بسرور بعيدًا عن مرمى القذائف
حيث وضعوه على نعش، واحتشد رفاقه الأعزاء حوله
يبكون، و بينهم أخيليوس سريع القدم،
الذى عندما رأى رفيقه المخلص مسجى على النعش ٢٣٥
مطعونًا برمح برونزى حاد ذرف دمعًا ساخنًا.
إذ كان هو الذى قد أرسله بالخيول والعربة
إلى الحرب، و لن يرحب بعودته مرة أخرى. أرسلت هيرا الإلهة
الجليلة ذات العيون الواسعة كالمها، الشمس التى ٢٤٠
لا تكل ــ مرغمة(**) ــ إلى جداول أوكيانوس، فغربت الشمس.
وتوقف الآخيون شبيهو الآلهة عن القتال الرهيب والحرب الضروس.
وتقهقر الطرواديون أمامهم فى القتال المحتدم،
وفكوا الخيول السريعة عن العربات الحربية التى كانت تحملهم،
واحتشدوا فى اجتماع ولم ينشغلوا بعشائهم. ٢٤٥
وظلوا واقفين ولم يجرؤ أحد على الجلوس أثناء انعقاد الاجتماع،
فلم يكن لأحد رغبة فى الجلوس؛ حيث تملكهم الفزع عندما
رأوا أخيليوس قادمًا بعدما كان قد نأى بنفسه طويلاً عن القتال الفتاك.
كان بوليداماس بن بانثوؤس الحصيف الفصيح أول من خاطبهم
فهو الوحيد الذى بمقدوره رؤية مافات وما هو آت ٢٥٠

(*) تترجم الصفة **glaukopis** – وهى لقب من ألقاب أثينة – إما بـ"زرقاء العينين" أو"براقة العينين". ونرى العبارة الأخيرة أليق بالسياق هنا. (المحرر)
(**) أى أرغمت هيرا الشمس على الغروب قبل الآوان. (المحرر)

فى آن واحد، كما كان رفيقًا لهيكتور، فقد ولد كلاهما فى ليلة واحدة.
لكنه يفوقه فى الفصاحة، بينما هيكتور يفوقه فى رمى الرمح،
وبالرأى السديد خاطب جمعهم قائلاً:

"أصدقائى، وازنوا بين كفتى الأمر، فمن ناحيتى
الآن، آمركم أن تعودوا إلى المدينة، ولا تنتظروا مطلع الصباح ٢٥٥
الإلهى فى السهل عند السفن، إننا بعيدون عن الأسوار.
إذ طالما استمر ذلك الرجل فى غضبته من أجاممنون الإلهى
كان من الأسهل علينا أن نقاتل الآخيين
بل، وكنت أنا أيضًا سعيدًا، إذ قضيت ليلة
فوق السفن السريعة المقوسة على أمل أن نستولى عليها. ٢٦٠
أما الآن فإننى أخاف ابن بيليوس سريع القدم
فهو رهيب ذو روح مستبدة، ولن يبقى
هنا فى السهل، حيث يقتسم الطرواديون والآخيون
غضب آريس بينهما سواءً بسواءٍ.
إنما سينقل القتال إلى داخل مدينتنا وضد نسائنا. ٢٦٥
هلموا إلى المدينة، فالأمر على هذا النحو سيسير.
الآن سيوقف الليل الخالد ابن بيليوس سريع القدم
وإذا هجم علينا فى الصباح فى عدته الحربية
ونحن لم نزل هنا، حينئذ، سيعرف كل منا جيدًا أى محارب هو،
وسيكون سعيدًا من يلوذ بالفرار إلى إليون المقدسة. ٢٧٠
ستلتهم الكلاب والنسور الكثيرين من
الطرواديين، وليبتعد هذا الشؤم عن أسماعى!
والحق، إن استمعتم إلى كلماتى، رغم أنها مؤلمة للجميع،
لنحشد كل قوتنا الليلة فى مكان التجمع،
سنحتمى بالأبراج والبوابات العالية، ٢٧٥
حيث الأبواب الشاهقة اللامعة والثابتة هناك محكمة الغلق.

وفى الصباح الباكر عند الفجر، يقف الواحد منا مزودًا
بأسلحته على الأبراج، وقتها سيحل (بأخيليوس) شر مستطير،
إذا جرؤ أن يغادر السفن ليحاربنا للاستيلاء على أسوارنا.
سرعان ما سيعود أدراجه إلى السفن، عندما تكون خيوله ٢٨٠
مشرئبة الأعناق، أنهكها فرط العدو هنا وهناك تحت (أسوار) المدينة
فلن يجرؤ على شق طريقه إلى داخل (المدينة) وبهذا لن يقتحمها
قبلما تلتهمه الكلاب اللاهثة"

وقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة وهو ينظر إليه شزرًا:
"أى بوليداماس، إن ما تقوله بغيض، ٢٨٥
فأنت تأمرنا بأن نتقهقر ونحبس أنفسنا فى المدينة،
ألم يكفكم بعدُ أنكم حوصرتم طويلاً داخل الأسوار؟
كم كان الناس جميعًا منذ القدم يتحدثون عن مدينة برياموس
وكم كانت غنية بكنوز الذهب والبرونز!
أما الآن فقد ضاعت خيراتها الطيبة من بيوتها، ٢٩٠
وبيع الكثير مما تملك إلى فريجيا ومايونيا الجميلة،
حيث أظهر زيوس القدير غضبه علينا.
ولكن الآن، وبعد أن ضمن لى ابن كرونوس ذو التدبير الملتوى
الفوز بمجد عند السفن، وأن أحبس الآخيين
بجوار البحر، فليس لك أيها الأحمق، أن تقدم مثل هذه النصيحة ٢٩٥
لدى الشعب، فلن يبالى أى من الطرواديين بك، ولن أسمح بذلك.
هلموا إذن وأطيعوا جميعا آوامرى!
تناولوا عشاءكم الآن بين الحشود فى جماعات،
واهتموا بالحراسة، وليكن كل فرد متيقظًا،
ومن هو مشغول من الطرواديين بثرواته، ٣٠٠
فليجمعها ويقدمها للشعب للاستخدام العام،
فالأفضل أن يفيد منها الشعب خير من (أن يتمتع بها) الآخيون.

وفى الصباح الباكر عند الفجر، نكون متسلحين بأسلحتنا، نثير آريس
العنيف بالقرب من السفن المجوفة. وإذا كان حقيقيًا أن أخيليوس
الإلهى قد نهض بالفعل عند السفن، سيقع به شر مستطير، إن كان ٣٠٥
كذلك فلا محالة، لن أهرب منه بعيدًا عن صخب المعركة الدامية
بل سأواجهه، وجهًا لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فإله الحرب
إنياليوس(*) نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يقتل فى الغالب".

هكذا خاطب هيكتور الحشود وصاح، حينئذ، الطرواديون عاليًا ٣١٠
فما كان أحمقهم! حيث سلبتهم باللاس أثينة الحكمة
لأنهم استحسنوا نصيحة هيكتور الشريرة،
ولم يمدح أحد بوليداماس، رغم ما قدمه من نصح طيب.
ثم تناولوا جميعًا العشاء هنا وهناك، فى حين بات
الآخيون يولولون طوال الليل بأنين عالٍ على باتروكلوس. ٣١٥
ومن بينهم ابن بيليوس أول مَنْ بدأ النواح الأليم
باسطًا يديه، قاتلتى الرجال، على صدر رفيقه،
متأوهًا بمرارة شديدة، تمامًا مثل لبؤة ذات لبدة،
سلب قناص أشبالها بعيدًا عن الغابة الكثيفة،
فحزنت وشرعت تئن آسفة على تأخرها فى الوصول. ٣٢٠
فهى تتجول فى كثير من الوديان الصغيرة مقتفية أثر القنّاص
عساها تجده، فالغضب الحاد يحركها.

هكذا، وبأنين مرير، تكلم (أخيليوس) بين الميرميدونيين:
"ويحى، إن الكلمة التى قلتها من قبل ضاعت هباءً،
إذ شجعت البطل مينويتيوس، هناك، فى قاعاتنا، ٣٢٥
وقلت إننى، بعدما أكون قد سلبت إليون سأعيده إلى أوبويس(**)
مع ابنه المجيد بنصيبه من الغنائم الذى يقدر له.

(*) إينياليوس Enyalios إما اسم آخر لآريس أو صفة له. (المحرر)
(**) أوبويس Opoeis أو أوبوس Opus مدينة فى لوكريس ببلاد الإغريق. (المحرر)

لكن زيوس لا يحقق كل مايشتهى البشر،
فقد قدَّر القدر لكلينا أن نروى الأرض نفسها بدمائنا،
هنا فى تربة طروادة؛ حيث لن أعود ليستقبلنى الشيخ الفارس بيليوس ٣٣٠
فى منزله، لا هو ولا أمى ثيتيس. إنما ستضمنى هذه التربة هنا
ولأننى يا باتروكلوس أرتحل وراءك تحت الثرى
فلن أقيم جنازتك حتى آتى إلى هنا بأسلحة
هيكتور قاتلك شديد البأس، وبرأسه كذلك. ٣٣٥
حينئذٍ، سأمزق اثنتى عشرة رقبة من رقاب خيرة شباب
طروادة المجيدة على المحرقة قربانًا للقتيل. لترقد حيث أنت،
يا باتروكلوس، بجوار السفن المقوسة، حتى يجيء الآوان،
ومن حولك الطرواديات والداردانيات بثيابهن ذات الطيات العميقة
تنتحبن وتذرفن الدمع ليل نهار. ٣٤٠
فهن اللائى جئنا بهن نحن الاثنين، بكدنا ورماحنا الطويلة
وقد سلبنا مدن البشر الفانيين الغنية"
قال أخيليوس الإلهى ذلك ثم أمر رفاقه
أن يضعوا وعاءً ثلاثى الأقدام ضخمًا فوق النار
لكى يغسلوا الدم المتخثر من جسد باتروكلوس. ٣٤٥
لذا وضعوا الوعاء فوق النار المشتعلة للغسل،
وصبوا الماء فيها، وأضرموا النار فى قطع الحطب التى وضعوها تحته
فتشابكت النيران حول بطن الوعاء، وسخَّن اللهب الماء
بسرعة، ولما غلى الماء فى الإناء البرونزى المصقول
غسَّلوا الجسد ودهنوه بالزيت(*). ٣٥٠
ملأوا الجروح بمرهم (معتَّق) لسبع سنين،
وعلى نعش مددوا (الجسد) مكفنًا بالكتان
من الرأس وحتى القدمين، ووضعوا عليه وشاحًا أبيض.

(*) قارن فرجيليوس"الإينيادة" الكتاب السادس بيت ٢١٨ وما يليه. (المحرر)

هكذا، وطول الليل، ومن حول أخيليوس سريع القدم
كان يئن الميرميدونيون فى عويل على باتروكلوس. ٣٥٥
تحدث عندئذ زيوس إلى هيرا، زوجته وأخته:

"حسنٌ يا هيرا، يا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها،
أخيرًا نفذت خطتك، وأثرت أخيليوس سريع القدم،
لابد أن أبناء الآخيين طويلى الشعر أتوا من نسلك"

فأجابته هيرا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها: ٣٦٠
"يا أكثر سلالة كرونوس بشاعةً، كيف تقول هذا الكلام؟
يبذل الإنسان ما بوسعه من أجل غيره،
ورغم كونه بشرًا لا يملك من الحكمة ما نملك نحن الآلهة.
فكيف لى أنا وهم يعرفون أنى مليكة السماء
أولاً بحكم السلالة وثانيًا لأننى أدعى زوجتك ٣٦٥
يا من لك حكم الخالدين جميعًا،
فكيف لا أدبر الويل للطرواديين وبى غضب عليهم؟"

هكذا كان حديثهما. ووصلت ثيتيس فضية القدمين إلى بيت
هيفايستوس الخالد المزدان بالنجوم، والجليل بين منازل الخالدين. ٣٧٠
ذلك البيت المصنوع من البرونز الذى بناه بنفسه الإله الأعرج.
فوجدته غارقًا فى عرق الكدح وهو يتجول حول الكير
بلهفة؛ حيث كان يصنع عشرين
مرجلاً ثلاثى الأقدام لتقف جميعها حول حائط قصره السماوى
متين البناء. فكان قد ثبت تحت قوائم كل منها عجلات ذهبية، ٣٧٥
تتحرك ذاتيًا إلى حيث اجتماع الآلهة وتعود
إلى داره ثانيةً، أعجوبة للناظرين! لم يكن يبقى للانتهاء
منها سوى اللمسات الأخيرة، فلم يكن قد ثبت فيها المقابض
المصنوعة بمهارة؛ حيث كان لا يزال يدقها بالمسامير.

وبينما كان يعمل هناك بمهارة فائقة ٣٨٠

اقتربت آنذاك ثيتيس الإلهة فضية القدمين،

رأتها وتقدمت منها خاريس(*) ذات الإكليل الزاهى

الجميلة التى تزوجها الإله المعروف بقوة ساعديه،

فأمسكتها بيدها وخاطبتها قائلة:

"ما الذى جاء بك إذن يا ثيتيس يا ذات الرداء الطويل المتجرجر ٣٨٥

لتزورى مسكننا؟ أيتها الضيفة العزيزة، فأنت نادرًا ما تجيئين.

وعلى كل، اتبعينى إلى الداخل، كى أجلسك مجلس الضيوف"

قالت ذلك الإلهة الجميلة (خاريس)، وقادت ضيفتها إلى الداخل

وأجلستها على مقعد رائع مرصَّع بالفضة،

دقيق الصنع، أسفله مسند للأقدام. ٣٩٠

ونادت خاريس على هيفايستوس الصانع الشهير وخاطبته:

"تعال هنا يا هيفايستوس، ها هى ثيتيس تحتاج إليك"

حينئذٍ، أجابها (هيفايستوس) الشهير الذى يعرج بقدميه:

"حقًا، أفى بيتى إلهة مهيبة موقرة!

أنقذتنى ذات مرة، عندما ألم بى ألمٌ، حين وقعت ٣٩٥

(فى خطر) بسبب فعلة والدتى المخزية، حين أرادت أن تخفينى

بعيدًا، لمجرد أننى أعرج(**)، وكادت روحى تذوق الويل

لو لم تأخذنى يورينومى و ثيتيس إلى صدريهما.

يورينومى ابنة أوكيانوس المنحسر.

لتسع سنوات، مكثت معهما، أصنع نفائس ٤٠٠

كثيرة رائعة، ودبابيس زينة وأساور لولبية وعقودًا

وكثيرًا من الحلقان، فى كهف سحيق، وكان أوكيانوس، من حولى

(*) تظهر خاريس Charis هنا على أنها تجسيد وتشخيص للجمال الذى يصنعه هيفايستوس نفسه فخطوط شخصيتها وملامحها غير واضحة وتقع فى المنطقة الوسطى بين الفكرة والشخصية. (المحرر)

(**) يقدم هيفايستوس هنا على أنه أعرج بالمولد ولكنه فى الكتاب الأول بيت ٥٩٠ وما يليه يحكى أن زيوس رماه من السماء بسبب غضبه، لأنه أخذ جانب أمه هيرا ضد أبيه زيوس. (المحرر)

يتدفق بزبده، محدثًا زئيرًا متواصلاً، ولم يكن يوجد
أحد آخر، يعرف عنه (شيئًا)، لا من الآلهة، ولا من البشر الفانين
سوى يورينومى وثيتيس اللتين أنقذتانى. ٤٠٥
وهاهى، الآن، (ثيتيس) جميلة الضفائر تأتى إلى بيتنا، فيتحتم
أن أكافئها، وبكل ما أستطيع؛ لانتشالى من الموت
و الآن (يا خاريس)، لتقدمى إليها ضيافة لائقة،
وسأترك الكير وأدواتى كلها"

قال ذلك، وقام من متكئه بهيكله ٤١٠
الضخم لاهثًا، وكان الإله يعرج عندما تحركت ساقاه
الهزيلتان من تحته بخفة، وأبعد الكير عن النار، وجمع
الأدوات التى كان يعمل بها جميعًا فى صندوق من الفضة.
ثم مسح وجهه وكلتا يديه بإسفنجة،
و(نظف) عنقه القوى وصدره الأشعث، ٤١٥
وارتدى رداءً وأمسك بعصا متينة ومضى يعرج،
وعلى وجه السرعة همت خادمات مصنوعات من الذهب
ينفذن أوامر مليكهن. كأنهن نساء يتمتعن بالحياة حقًا
وفى قلوبهن الوعى، ولهن صوتٌ وقوةٌ، ويمارسن
العمل اليدوى، إنهن هبةٌ من صنع الآلهة الخالدة. ٤٢٠
تحركن بهمةٍ لمساندة مليكهن، وهو
يعرج قريبًا من ثيتيس، وأجلسنه فى مقعد
ناصع، فقبض على مسنده وتكلم مخاطبًا إياها:

"أى ثيتيس، يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لم جئت البيت زائرة، أيتها الضيفة العزيزة؟ ٤٢٥
فقلما حضرت فيما مضى، أفصحى عما بذهنك، إن قلبى ليأمرنى
أن أحققه طالما أستطيع ذلك"

أجابته ثيتيس وهى تذرف الدمع:

"حقًا، يا هيفايستوس، أيوجد من بين الإلهات

قاطنات الأوليمبوس كلهن، واحدة أحست الحزن الثقيل بقلبها ٤٣٠

بقدر ما أصابنى به زيوس بن كرونوس من ويلات؟ أنا من دونهن

ومن بين عرائس البحر، قد اختارنى، أنا فقط، وأخضعنى لبشرى،

لبيليوس بن أياكوس؛ إذ تحملت فراش بشرى(*)، فيا له من

ألم لاقيته رغما عنى. يرقد الآن فى بيته

وقد أصابه وهن الشيخوخة وتعددت الأحزان. ٤٣٥

فعندما رزقنى (زيوس) بابن لأرعاه وأربيه،

لا نظير له بين المحاربين، نمى برعمًا

وربيته كشجرة فوق مرتفع صخرى مثمر،

حتى أرسلته فى السفن المقوسة إلى إليون ليحارب

الطرواديين، ولن أستقبله عائدًا مرة أخرى إلى ٤٤٠

وطنه، إلى بيت بيليوس. وطالما عاش ويرى نور الشمس

سيدوم حزنه وليس بوسعى إنقاذه

رغم ذهابى إليه، حين أخذ الملك أجاممنون من بين يديه فتاته التى

حددها له أبناء الآخيين مكافأةً، ٤٤٥

فأكل الحزن قلبه حزنًا عليها.

كان الطرواديون يحاصرون الآخيين عند سفنهم،

ولم يسمحوا لهم بالتقدم، وتوسل إليه شيوخ الآرجيين

واعدين إياه بهدايا كثيرة مجيدة، بيد أن ابنى نفسه رفض

أن يدفع عنهم الهلاك. ٤٥٠

واكتفى بأن ألبس باتروكلوس أسلحته وأرسله إلى الحرب،

ومعه فى الوقت نفسه أرسل حشدًا كبيرًا.

(*) حاولت ثيتيس عدة مرات الإفلات من بيليوس المشغوف بها حبًا عند طلبها للزواج، فتحولت إلى عدة أشكال كما يظهر فى رسوم الأوانى وكما جاء فى محاورة "الجمهورية" لأفلاطون (381 D)، وكما جاء فى النيمية الرابعة (بيت ٦) لبنداروس. (المحرر)

حاربوا النهار بطوله أمام بوابات سكاياى
وكادوا أن يدمروا المدينة فى ذاك اليوم، لولا أن أبوللون
قدر موت الباسل ابن مينويتيوس وسط الصفوف ٤٥٥
الأولى بعد أن قام بتدمير الكثير، وبذا منح هيكتور المجد.
وذلك هو السبب الذى له جثوت إلى ركبتيك (متوسلة) علَّك تستطيع
أن تمنح ابنى – الذى حُكِمَ عليه بالموت المبكر – درعًا
وخوذة ودرع ساقٍ جميلٍ بأبازيم عند الرسغ.
فقد صديقه المخلص كل ذلك عندما قتل على يد ٤٦٠
الطرواديين، ويرقد (ابنى) على الأرض كسير القلب"

أجابها الإله الأشهر وهو يعرج على قدميه:
"تشجعى، ولا تدعى هذه الأمور توجع قلبك،
ليتنى حقيقة أستطيع أن أخفيه بعيدًا عن الموت القاسى،
عندما يأتيه المصير المروع. يقينًا ٤٦٥
ستكون له أسلحة منيعة، ومثل هذه الأسلحة
التى أبهرت كل من رآها من جموع الشعب"

قال ذلك وتركها متوجهًا إلى الكير.
أدار الكير نحو النار وأمره أن يعمل،
فهبَّت منافخ الكير العشرون، فى بوتقات الانصهار ٤٧٠
وانبعثت منها تيارات مختلفة قوتها، حتى تسعفه وقت الحاجة،
ووفق ما يحتاجه العمل، وحسبما يشاء هيفايستوس.
وضع نحاسًا صلبًا وقصديرًا وذهبًا ثمينًا وفضةً ٤٧٥
على النار، ثم وضع سندانًا ضخمًا على قالب السندان،
وأمسك مطرقة كبيرة بإحدى يديه، وأمسك بالأخرى ملاقط النار.
وفى البدء شكَّل درعًا عملاقًا قويًا،
وزيَّنه فى أطرافه، وطوقه بإطار ثلاثى لامع،
يرتكز على حمَّالة من الفضة. ٤٨٠

فأصبحت طبقات الدرع خمسًا، وصنع
على شاكلته، بمهارة نادرة، أشكالاً مختلفة وغريبة.
ونقش عليها الأرض والسماوات والبحر
والشمس التى لا تكل، والبدر المستدير
وكل النجوم المترامية التى تتوج السماء(*) : ٤٨٥
بلياديس وهياديس، وكذلك أوريون القوى،
وأركتوس الدبة التى يسمونها أماكسا (العربة)،
التى تدور دومًا فى مكانها وتراقب أوريون،
وهى الوحيدة التى ليس لها مكان فى حمامات أوكيانوس.
ونقش أيضًا على (الدرع) مدينتين جميلتين لبشر فانين. ٤٩٠
- كان فى إحداهما عرس وولائم زواج:
وكانوا يزفون العرائس على أضواء المشاعل المنيرة -
من حجراتهن عبر المدينة وقد صدحت أغانى الزفاف عاليًا
وكان الشباب يدور راقصًا وترنم صوت
القيثار بينهم، وتناغم المزمار مع غنائهم. ٤٩٥
ووقفت النساء فى الأروقة والمداخل يحملقن فى عجب.
وتجمع الناس فى الساحة العامة لإقامة مسابقة:
يتنازع رجلان على دية قتيل، يدعى أحدهما أنه دفعها كاملةً للآخر
ويبرهن ذلك للناس، وينكر الآخر أخذها ٥٠٠
وكلاهما يرغب فى الفوز بحكمٍ لصالحه.
يصفق الجمهور مساندين هذا الجانب مرة أو ذاك مرة أخرى،
وينشغل المنادون بصد الناس، ويجلس الشيوخ
على مقاعد نظيفة وسط دائرة مقدسة،
يمسكون بصولجانات أخذوها من المنادين مرتفعى الأصوات ٥٠٥

(*) تلقى هذه الفقرة الضوء على ما قيل من إن الفلاسفة الإغريق وجدوا فى هوميروس مصدرًا لفلسفتهم الكونية وعلى ما قيل كذلك من أن الشراح المسيحيين الأوائل وجدوا فى هوميروس ما يعينهم على شرح اللاهوت المسيحى. فهنا نلاحظ تصوير دقة النظام الكونى، وهى الفكرة التى ربما استقاها هوميروس من التراث المصرى القديم. (المحرر)

نهضوا متكئين عليها، كل بدوره ينطق بالحكم.
كان بالمنتصف تالنتان ذهبيان(*)
مكافأة لمن يفصل فى القضية بينهما بالحق،

واصطف جيشان من المحاربين فى معسكر – حول المدينة
الثانية – بأسلحة برّاقة وخطتين ثنائيتين مقبولتين: ٥١٠
وهما إما أن ينهبوا المدينة أو أن يقسموا بينهما
الثروة التى تحتوى عليها المدينة الجميلة كلها.
ولم يرضخ المحاصرون، بل تسلحوا من أجل أن
يواجهوا العدو فى كمين، ووقفت زوجاتهم العزيزات وأطفالهم الصغار
يحرسون السور، كما وقف معهم رجال أثقلتهم الشيخوخة . ٥١٥
وذهب الآخرون بقيادة آريس وباللاس أثينة
متدثرين بالذهب، وكان الذهب يكسو ملابسهما الإلهية
كانا فارعى الطول رائعى الأسلحة، بما يليق بآلهة
يبرزان بوضوح بين الباقين، بينما الشعب تحت أقدامهما مثل الأقزام.
وما أن وصلا إلى المكان المعتقد أنه ملائم لنصب كمين ٥٢٠
فى بطن جدول؛ حيث يوجد مَسقَى لكل أنواع القطيع،
أجلساهم هناك متقلدين أسلحة من البرونز اللامع
وأرسلا حارسين، بعيدًا عن الجيش، ليترقبا حتى
يريا القطعان والماشية ملتوية القرون.
وعلى الفور جاءت (القطعان) يتبعها اثنان من الرعاة ٥٢٥
يعزفان المزامير، ولم يكن يخطر ببالهما الغدر.
وما أن أدرك المتربصون قدومهما حتى انقضوا عليهما
وسرعان ما مزقوا قطعان الماشية والأغنام الجميلة ذات الفرو الأبيض
وذبحوا راعيى الأغنام.

(*) لم يظهر سك العملة فى عصر هوميروس، بيد أنه هنا يبدو أن المتخاصمين فى المحاكم البدائية كانا يدفعان أجرًا. (المحرر)

كان المحاصِرون يجلسون أمام أماكن التجمع(*)، فسمعوا ٥٣٠
صخبًا عاليًا بين القطيع، فامتطوا خيولهم سريعة الركض
منطلقين نحوهم، وسرعان ما أدركوها.
نظموا صفوفهم، وقاتلوا عند ضفتى النهر،
وبات يطعن كل منهم الآخر بحراب برونزية النصل،
وفى المعركة امتزج الآلهة. واشتبك فى هذه المعركة
إلهة النزاع إريس وإله الدمار كيدويموس، وإلهة المصير القاتل كير ٥٣٥
التى أمسكت رجلاً حيًا جُرح لتوه، وآخر غير مجروح،
وسحبت رجلاً آخر ميتًا من قدميه فى وسط المعركة.
وصبغت العباءة - التى كانت تضعها على كتفيها - بدم الرجال القانى.
واشتبك (الآلهة) فى النزاع وحاربوا مثل البشر الأحياء
وكل فريق يسحب من الآخر جثةً. ٥٤٠

ونقش (هيفايستوس) أيضًا حقلاً من الأرض الناعمة الغنية.
أرضًا محروثة ثلاث مرات، شاسعة سمراء ضاربة إلى الصفرة.
ودفع حارثون كثيرون الأنيار أمامهم يسوقونها
هنا وهناك، وكلما عادوا بعد أن يبلغوا حدود الأرض المحروثة
يأتى رجل ويضع فى يد كل منهم كأسًا من النبيذ اللذيذ كالعسل. ٥٤٥
لذا كان الحارثون يعودون مسرورين
فى لهفة، عندما يصلون إلى حدود الأرض عميقة الحرث.
وكان الحقل من خلفهم قاتمًا بعد أن قُلبت التربة،
فتبدو كأنها مذهبة، وتلك آية من عجائب الصنع!

ونقش (هيفايستوس) ضيعة ملكية يحصد العمال فيها، ٥٥٠
حاملين مناجل حادة فى أياديهم، تتساقط فى صفوف متراصة
بعض سيقان (القمح) على الأرض بطول الجزء المحصود

(*) لم ترد الكلمة eiraon إلا هنا فقط (بيت ٥٣١) ويترجمها البعض" أماكن التجمع" ويترجمها آخرون" أماكن الخطابة" أى بما يوازى كلمة agora. (المحرر)

ويربط الحزَّامون (القمح) فى حزمات بأربطة من القش المجدول،
حزَّامون ثلاثة وراء الحصادين، يجمع خلفهم
الغلمان سيقان القمح ملء أذرعهم ويحملونها ويعطونها ٥٥٥
للحزَّامين. فى الوسط يقف الملك يمسك صولجانه صامتًا،
منشرح الصدر، عند خط المحراث.
ويعد الأتباع وليمة بعيدًا تحت شجرة بلوط
فكانوا يهيئون ثورًا ضخمًا ذبحوه قربانًا.
ونثرت النسوة شعيرًا أبيض بكثرة على جلده لغذاء العمال ٥٦٠

ونقش (هيفايستوس) كرمة ذهبية جميلة، حملها ثقيل
من العناقيد، عناقيد سوداء من أعناب
تصطف من أول الكرمة إلى آخرها أعراش فضية تحمل العناقيد.
ونقش حولها خندقًا طلى بالأزرق القاتم حوله سياج
من القصدير، يؤدى إليه ممر واحد يسلكه ٥٦٥
قاطفو الأعناب عندما يتجمعون فى الكرمة.
وقف الفتية والغلمان منشرحين فى مرح،
حاملين فاكهة ناضجة أحلى من العسل، فى سلال من الصفصاف.
وفى وسطهم غلام يحمل قيثارة جلية النغمات
يعزف عليها، ويتغنى مع الألحان ٥٧٠
بأغنية (خفيفة) (*) وبصوت رقيق، ويدق الباقون
الأرض فى تناغم، ثم يتقافزون فى رقص وصياح.

ونقش (هيفايستوس) قطيعًا من الماشية مستقيمة قرونها،
محلاة بالذهب والقصدير،
خافضة (رءوسها)، مسرعة من الحظيرة، لترعى ٥٧٥

(*) فى بعض الطبعات يبدأ اسم الأغنية بحرف كبير على أنه اسم علم Linos ويقال إنها أغنية حزينة النغمة تلقى احتفاء بفراق الصيف. وقيل إنها من أصل فينيقى (ai le nu) التى فهمت على أنها تعنى"ياويلتنا" التى ربما كانت اللازمة فى هذه الأغنية. اعتبر الإغريق أن لينوس هو شاب صغير مات فى سن مبكرة على أيدى أبوللون. وقالوا كذلك إنه مخترع هذه"المرثية" التى حملت اسمه. (المحرر)

بالقرب من نهر يعلو فيه خرير المياه، وتتمايل على ضفتيه العيدان.
يمشى بجانب الماشية أربعة رعاة من الذهب،
تلهث وراءهم تسعة كلاب. ففز وسط مقدمة الماشية أسدان مهولان،
وأمسكا بثور شرع يجأر بالخوار المدوى، ٥٨٠
لأنهما يبتعدان به، ويسرع وراءه الكلاب
والآيل، فيمزق الأسدان جلد الثور وينهشان
أحشاءه ودماءه السوداء، ولم يفعل الرعاة شيئًا
بسبب الخوف، فحرضوا الكلاب التى لم تجرؤ
على ملاحقة الأسدين، فما كان منها ٥٨٥
إلا أن وقفت تنبح، وابتعدت بنفسها جانبًا، وتقهقرت.
ونقش (هيفايستوس) الذى يعرج بكلتا ساقيه، مرعىً
شاسعًا فى وادٍ خصيب، به أغنام بيض
وحظائر وأكواخ مسقوفة وزرائب.
وأكثر من ذلك نقش الإله المعروف بقوة ساعديه ٥٩٠
قاعة رقص، (صنعها) بمهارة فائقة، كتلك التى
بناها دايدالوس فى كنوسوس الشاسعة من
أجل أريادنى مجدولة الضفائر. فيها شباب يرقص ويتودد للفتيات
بالهدايا، ويمسك كلٌ منهم بمعصم الآخر.
ترتدى الفتيات ثيابًا من الكتان الناعم، ويرتدى الشباب ٥٩٥
سترات مغزولة بمهارة تتلألأ من أثر الزيت.
ووضعت الفتيات أكاليل جميلة، بينما وضع الشباب
خناجر من الذهب تتدلى من حمالات فضية.
كانوا (جميعًا) يثبون فى دائرة بأقدام مدربة،
يتقدمون بخفةٍ مثل الخزاف الذى يجلس إلى جانب ٦٠٠
عجلته ويضبطها بين يديه ليجرب ما إن كانت تدور جيدًا.
وأحيانًا أخرى يدورون فى صفوف تواجه بعضها بعضًا.

وتجمع هناك عدد غفير حول الرقص المبهج
فرحين، وعزف بينهم منشد دينى على قيثارة.
يدور فى وسطهم بهلوانان ٦٠٥
يغنى المغنى، وهما يدوران على موسيقاه.
هناك أبدع (هيفايستوس)، أيضًا، قوة النهر أوكيانوس الرهيبة،
يطوق أطراف الدرع بديع الصنع.
ومن أن أتم الإله صنع الدرع العملاق القوى، حتى صنع له
درعَ صدرٍ أكثر لمعانًا من وميض النار. ٦١٠
ثم صنع خوذة ثقيلة تتلاءم مع صدغيه، خوذة جميلة
دقيقة الصنع، ووضع عليها ريشة ذهبية.
كما صنع له دروع ساقٍ من القصدير اللدن.
ولما انتهى الإله الذى يعرج بكلتا ساقيه، من الدرع
تمامًا، أخذه ووضعه أمام أم أخيليوس، ٦١٥
فوثبت من قمم الأوليمبوس الثلجية كصقر
حاملة الأسلحة المصقولة من هيفايستوس. ٦١٧

الكتاب التاسع عشر



ترجمة أحمد عتمان

كانت إلهة الفجر إيوس بردائها الزعفرانى تبزغ من أمواج
المحيط الأوكيانوس، حاملة النور للآلهة الخالدين والبشر الفانين.
وجاءت ثيتيس إلى السفن تحمل هبات الإله. ووجدت ابنها الحبيب
متعلقًا بجسد باتروكلوس يجهش بالبكاء، ومن حوله حشد غفير من
رفاقه يئنون. ٥

وقفت الإلهة المتلألئة بجواره وسط الرفاق، ممسكة يده بيدها
ونادته باسمه قائلة:

"أى بنى، علينا أن ندع هذا الرجل، مع أسفنا الشديد،
يرقد هنا كما هو، لأنه قد قتل بإرادة الآلهة، ولتتقبل
أنت من هيفايستوس الدرع الشهير رائع الجمال، الذى لم يحمل
مثله من قبل على كتفيه إنسان قط". ١٠

هكذا كان حديث الإلهة، ووضعت السلاح المجيد أمام أخيليوس،
فأحدث السلاح المتلألىء رنينًا مدويًا. فاستولت الرهبة على قلوب
الميرميدونيين جميعًا، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحملق فيه، فاستداروا
وابتعدوا. فلما نظر أخيليوس إلى السلاح ازداد غضبه توهجًا، ولمعت ١٥
عيناه ببريق مخيف، كما لو اشتعلت تحت جفنيه نيران مندلعة. غمرته
السعادة وهو يلمس بيديه هدايا الإله المجيدة، ولكن ما أن ارتوت روحه
بالتحديق فى هذا السلاح المتلألئ، حتى خاطب أمه بكلمات مجنحة:

"أماه، هذا السلاح قد صنعه الإله كما ينبغى أن تكون القدرة ٢٠
الإلهية، فلا طاقة لبشر فان أن يصنع مثله أبدًا. الآن سأرتدى هذا
الدرع، وإن كنت فى الوقت نفسه شديد الخوف أن يجد الذباب
طريقه إلى داخل جثة ابن مينويتيوس الصنديد عبر الجروح التى
أحدثتها طعنات البرونز، فتتغذى عليها الديدان مسيئة للميت،
فليس فى جثته حياة، ولذا سوف يتعفن لحمه". ٢٥

فردت عليه ثيتيس، الإلهة ذات القدمين الفضيتين، قائلة:
"بنى، لا تدع هذه الأفكار تتعب قلبك، فسوف أصد عنه
القبائل المتوحشة، أسراب الذباب التى تتغذى على قتلى
المعارك، حتى لو ظل جسده فى مكانه عامًا كاملاً ٣٠
فسيبقى لحمه سليمًا على الدوام. وربما أفضل مما هو
عليه الآن. لتنادى المحاربين الآخيين إلى الاجتماع فى
الساحة، وتخل عن غضبك على أجاممنون، راعى الشعب،
وتسلح بسلاح القتال فورًا، وتدثر برداء البأس". ٣٥

وبعد أن قالت ذلك ملأت صدره بالقوة والثقة، ونثرت
على باتروكلوس الأمبروسيا، وسكبت النيكتار الأحمر فى
ثقب الأنف، حتى يظل لحمه سليمًا دائمًا(*).

سار أخيليوس الإلهى على شاطىء البحر مطلقًا صيحته ٤٠
المدوية مستنفرًا المحاربين الآخيين، الذين كانوا من قبل
حول السفن، والذين كانوا يقومون على قيادة السفن وإدارة
الدفة، والذين قاموا بالخدمة وتقديم الطعام. فحتى هؤلاء
جاءوا إلى ساحة الاجتماع، لأن أخيليوس الإلهى حضر بعد
طول انقطاع عن الحرب المفجعة. وجاء اثنان من سدنة آريس ٤٥
يعرجان، وهما ابن تيديوس المحارب العتيد وأوديسيوس شبيه
الآلهة، كل يستند على رمحه لأن جراحهما كانت لا تزال تؤلمهما،
وجلسا فى مقدمة المجتمعين. وأخيرًا جاء ملك الرجال ٥٠
أجاممنون مثقلاً بجرحه، لأن كوؤن بن أنتينور أصابه برمحه
ذى السن البرونزى فى أثناء القتال الضارى. فلما تجمع
كل الآخيين وقف أخيليوس سريع القدمين وسطهم يخطب
فيهم قائلاً: ٥٥

(*) هنا يتذكر المرء فن التحنيط المصرى الذى تحدث عنه هيرودوتوس فى الكتاب الثانى من تواريخه. وهنا يستخدم الأمبروسيا والنيكتار، طعام وشراب الآلهة، وكأنهما عطر وعقار. (المحرر)

"يا ابن أتريوس، هل كان هذا أفضل لى ولك، أن انفجرنا
أنا وأنت فى غضب، وانزلقنا إلى خصومة فتاكة تستنزف
الروح، وكل ذلك من أجل فتاة ؟ ليت أرتميس قتلتها بسهمها
عند السفن فى اليوم الذى فزت بها سبية ومكافأة، عندما دمرت
ليرنيسوس ! عندئذ كان عدد أقل من الآخيين سيعضون ٦٠
تراب الأرض مدحورين على أيدى أعدائهم بسبب غضبى
الجامح. كان كل ذلك لصالح هيكتور والطرواديين. ولكن
الآخيين فيما أعتقد سيذكرون لأمد طويل الخصومة بينى وبينك.
على أى حال ما فات قد فات، فلابد أن نكبح جماح الكبرياء فى
صدورنا، لأن الضرورة تلزمنا بذلك. الآن سوف أكظم غيظى، ٦٥
وعليك ألا تحتفظ بغضبك للأبد، بل عليك أن تستثير حماس الآخيين
ذوى الشعر الطويل للقتال، لكى أستأنف أنا قتال الطرواديين
من جديد، وإن جاءوا إلى السفن. أعتقد أن الكثيرين منهم سوف
يفضل الراحة بثنى الركبة والقعود هربًا من هول المعركة ٧٠
ومن سهامى".

هكذا كان حديث أخيليوس، فتهلل الآخيون المسلحون بالدروع
جيدًا، لأن ابن بيليوس ذا الحماس الهائل قد تخلى عن غضبه الجامح.
ثم تكلم أجاممنون ملك الرجال، إذ لم ينهض ليقف وسطهم ٧٥
بل تحدث من مكانه قائلاً:

"أيها الأصدقاء، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع آريس،
من اللائق أن ينصت الناس إلى من يقف ليخطب فيهم، ولا يليق
أن يقاطعه أحد. فمن العسير على المرء أن يصرخ بالخطاب
حتى ولو كان بارعًا، لكن كيف ينصت المرء أو يتحدث جيدًا ٨٠
فى حشد صاخب من الناس ؟ فحتى الخطيب المفوه يعوقه
هذا الصخب. سوف أفتح قلبى لابن بيليوس، لكن على

الباقين من الأرجيين أن يسمعوا ويعوا كلماتى. لقد حدثنى
كثير من الآخيين وعاتبونى، ولكننى لم أكن السبب، ٨٥
بل كان السبب هو زيوس وإلهة القدر (مويرا) وإيرينيس، التى
تتحرك فى الظلام. لقد أصابوا نفسى بالجنون الأعمى فى
يوم الاجتماع الذى حرمت فيه أخيليوس من مكافأته المستحقة
له. ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ إنها القوة الإلهية التى تفعل ٩٠
كل شيء، إنها آتى كبرى بنات زيوس التى تصيب الجميع
بالعمى، عليها اللعنة ! لها قدمان رقيقتان، لا تسير بهما على
الأرض بل على رءوس البشر، فتقودهم إلى الأذى وتوقع ٩٥
هذا أو ذاك فى شراكها. حتى زيوس نفسه أصابه العمى ذات مرة،
نعم زيوس الذى يقولون عنه إنه أعظم الآلهة والبشر أجمعين،
حتى هو خدعته هيرا ذات الدهاء فى اليوم الذى كان مقررًا فيه
أن تضع ألكمينى فى طيبة ذات العرش المكين هيراكليس (هرقل)
القوى. إذ تباهى زيوس بين الآلهة جميعًا وصرح قائلاً: ١٠٠

أنصتوا لى جميعًا أيها الآلهة وأيتها الإلهات. إذ سأكشف لكم
عما يقوله قلبى فى داخل صدرى: هذا اليوم إيليثويا، إلهة
الولادة، ستخرج إلى النور طفلاً سيكون سيدًا على كل من
حوله من الشعوب المجاورة، فهو من سلالة تنتمى إلىّ.
فخاطبته الملكة هيرا بدهاء وقالت:

سوف تخلف وعدك ولن توفى بعهدك. تعال الآن أيها الأوليمبى ١٠٥
وأقسم لى قسمًا مؤكدًا أن هذا الإنسان الذى ينزل اليوم من بين
رجلى امرأة سيكون سيدًا على كل من حوله، الرجل الذى يولد
لأناس من نسلك.

هكذا قالت، ولم يدرك زيوس المكر فى ١١٠
حديثها وفكرها، بل أقسم قسمًا مغلظًا ووقع فى الشرك. لأن

هيرا هبطت مسرعة من قمة الأوليمبوس إلى أرجوس الآخية .
وكانت تعرف أن هناك زوجة سثينيلوس بن بيرسيوس
الجميلة، وأنها حامل فى شهرها السابع. فأخرجت هيرا هذا ١١٥
الطفل إلى النور قبل آوان الولادة، لكنها عطلت ولادة ألكمينى
ومنعت إيليثويا من آداء عملها. ثم حملت النبأ بنفسها إلى
ابن كرونوس قائلة:

أى زيوس الأب ياذا البرق اللامع، سأقص عليك النبأ الحق. ١٢٠
ولد اليوم إنسان شجاع ليكون ملكًا على الأرجيين.
إنه يوريستيوس بن سثينيلوس بن بيرسيوس، فهو من نسلك،
وليس من غير اللائق أن يصبح ملكًا على الأرجيين.

قالت هذا فأصاب الألم المرير زيوس فى أعماق القلب، ١٢٥
وقبض من فوره على خصلات شعر آتى الناعم فى سورة
غضبه، وأقسم قسمًا مغلظًا ألا تصعد مرة أخرى أبدًا إلى
الأوليمبوس، ولا إلى السماء ذات النجوم، آتى مضللة الجميع.
قال هذا وزجها بيده مطوحًا بها من السماء ذات النجوم، ١٣٠
فهبطت على الفور إلى الحقول التى يزرعها البشر. ومنذ
ذلك الحين يشتد حنقه عليها كلما وقع نظره على ابنه الحبيب
(هيراكليس) وهو يقوم بعمل شاق غير لائق طاعة لأوامر
يوريستيوس(*). وهكذا، فى الوقت الذى كان فيه هيكتور
ذو الخوذة اللامعة يعيث قتلاً فى الأرجيين عند مؤخرة سفننا،
لم أكن قادرًا على نسيان آتى التى أصابتنى بالعمى منذ البداية. ١٣٥
ولكن لأننى كنت كالأعمى فى ضلال، وحرمنى زيوس القدرة على
التمييز ومعرفة الصواب، فلم تُجد أية محاولة للإصلاح أو دفع

(*) إشارة للأعمال الاثنى عشر التى قام بها هرقل راجع: "بنات تراخيس" لسوفوكليس، (ترجمة وتقديم أحمد عتمان ومقدمة مع معجم أسطورى)، سلسلة من المسرح العالمى الكويتية، عدد ٢٤٩، يونيو ١٩٩٠.
و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكا – (ترجمة وتقديم أحمد عتمان مع معجم أسطورى). سلسلة من المسرح العالمى الكويتية – مارس ١٩٨١.

تعويض لا نهاية له. المهم أن تنهضوا الآن إلى المعركة، وأن
تستنفروا بقية الشعب، وأنا على استعداد لتقديم الهدايا التى سبق
أن وعد بها أوديسيوس الإلهى فى الخيام ذات مساء. فإذا شئتم ١٤٠
انتظروا هنا قليلاً، مع أنكم متلهفون على القتال، وسيحمل
رجالى الهدايا من سفينتى إليكم، لتروا بأنفسكم أننى سأقدم
كل الهدايا التى تروق لكم."

فرد عليه أخيليوس سريع القدمين: ١٤٥
"يا أمجد أبناء أتريوس ! أى أجاممنون ملك الرجال، الأمر لك
فى أن تعطى الهدايا كما يليق بك، أو أن تمنعها. لكن علينا أن
نفكر فى متعة القتال على وجه السرعة، ولا نضيع الوقت فى
تبادل الكلمات الجميلة(*)، فهناك عمل ضخم لم ينجز بعد.
وسيرون أخيليوس من جديد فى مقدمة الصفوف يدمر ١٥٠
برمحه البرونزى جموع الطرواديين. ففكروا
الآن فى المعركة، وليقاتل كل منكم عدوه".

عندئذ رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة، وقال:
"أى أخيليوس يا شبيه الآلهة ! رغم كل قوتك لا تحرض أبناء ١٥٥
الآخيين ضد إليون، ليقاتلوا صائمين الطرواديين، فلن تكون
المعركة قصيرة، عندما تتلاقى صفوف الرجال وينفث الإله
من قوته فى صدور الفريقين. فالأفضل أن تطلب من الآخيين
أن يتناولوا الطعام والنبيذ فى السفن المجوفة، فهما أساس القوة ١٦٠
والإقدام. فالذى يصوم عن الطعام لا يستطيع محاربة عدوه طيلة
النهار حتى غروب الشمس، حتى لو كانت روحه متلهفة على القتال.
إذ تتثاقل أطرافه دون أن يدرى، وسوف يقعده الظمأ والجوع، ١٦٥
وتتعثر ركبتاه أثناء السير. لكن الرجل الذى يأخذ كفايته من

(*) هذه الكلمة باليونانية klotopeuein لم ترد سوى فى هذا المكان، ولم ترد عند مؤلف إغريقى آخر (hapax legomenon) مما يجعلنا غير متأكدين من المعنى. (المحرر)

الطعام والشراب يحارب طوال النهار ضد الأعداء، ينبض قلبه
بالقوة فى داخله، ولا ترهق أطرافه حتى يعود الجميع من ساحة
القتال. فتعال وأصرف الحشد لكى يتناول كل منهم طعامه، ودع ١٧٠
أجاممنون ملك الرجال يحضر هداياه إلى وسط ساحة الاجتماع،
لكى يراها جميع الآخيين بأعينهم، ويطمئن قلبك أنت. ودعه يقسم
لك، وهو يقف وسط الأرجيين، أنه لم يذهب إلى فراش الفتاة ١٧٥
ولم يضاجعها كما هى العادة. يا ملك الرجال والنساء،
هدىء من روعك وافتح قلبك فى صدرك للتهدئة. ثم دعه
يقيم مأدبة فخمة لمصالحتك فى خيمته، وبذلك لا ينقص من
حقك شيئًا. أما أنت يا ابن أتريوس لا بد أن تكون من الآن ١٨٠
فصاعدًا أكثر عدلاً مع الآخرين، ولايعيب الملك أن يسرع
بإصلاح أخطائه إذا كان هو البادىء بالعنف".

ثم رد عليه أجاممنون ملك الرجال قائلاً:

"يا ابن لائيرتيس، أسعدنى ما سمعت من حديثك. حيث قطعت ١٨٥
بكل ما هو حسن وملائم، وأنا بكل سرور سأقسم القسم الذى
طلبت، فقلبى يدفعنى إلى ذلك، ولن أحنث فى قسمى أمام
القوة الإلهية. دع أخيليوس ينتظر قليلاً مع أنه متلهف على
القتال، وامكثوا أنتم جميعًا حتى تأتى الهدايا من خيمتى، ونوثق
قسمنا وثقتنا بالقرابين. ولكننى أكلفك وأطلب منك أنت ١٩٠
يا أوديسيوس أن تختار زهرة شباب الأبطال الآخيين ليحضروا
الهدايا من سفينتى مع كل ما وعدت أخيليوس مساء الأمس، وأن
يحضروا كذلك النساء. ودع تالثيبيوس يبحث لى بسرعة عن ١٩٥
خنزير برى فى كافة أنحاء جيش الآخيين العريض، ويجهزه
لى كى أقدمه قربانًا لزيوس وهيليوس".

فرد عليه أخيليوس سريع القدمين مرة أخرى قائلاً:

"يا أمجد أبناء أتريوس، أجاممنون ملك الرجال ! قد تفعل ذلك
وبإقدام أكبر فى وقت آخر حين تتوقف الحرب قليلاً، وعندما يهدأ ٢٠٠
الغضب المتقد فى قلبى. لكن الآن يرقد ضحايا هيكتور بن برياموس
قتلى بعد أن فتك بهم هيكتور، حيث منحه زيوس المجد، والآن
تدعو الرجال إلى الوليمة ! من جانبى كنت أود أن يدخل أبناء الآخيين ٢٠٥
المعركة صائمين دون طعام، وعند غروب الشمس يعدون وليمة
كبيرة، بعد أن نكون قد انتقمنا لإحساسنا بالعار. فحتى ذلك الحين لن
ينزل من حلقى إلى جوفى طعام أو شراب، فرفيقى قد قتل ويرقد فى
خيمتى مطعونا برمح حاد نافذ وقدمه عند المدخل(*)، ومن حوله ٢١٠
يلتف رفاقى باكين. ولهذا فليس فى قلبى شىء، وليس فى عقلى
تفكير إلا فى القتل والدماء والعويل الحزين على الميت".

ثم رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة:

"أى أخيليوس، يا ابن بيليوس، يا أنبل الآخيين طرًا ! إنك أقوى ٢١٥
منى وتفوقنى بمراحل فى استخدام الرمح، لكننى أفوقك فى الرأى
بما ليس قليلاً، لأننى ولدت قبلك وأعرف أكثر منك، وعلى هذا فليحتمل
قلبك الإنصات لحديثى، إذ لكم أفرط الناس فى الحروب، ٢٢٠
التى فيها لا يضيف السيف البتار سوى قشة فى كوم على الأرض،
فالمحصول هو أقل القليل، عندما يرجح زيوس، موزع نتائج
الحروب بين البشر، إحدى كفتى الميزان. ليست المسألة إذن أن
يسرع الآخيون بالبكاء على قتلاهم صائمين، حيث يسقط منهم الكثيرون ٢٢٥
يومًا بعد يوم ويموتون واحدًا بعد الآخر. فمنذا الذى يمكنه أن يستريح
من هذا العناء ؟ لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكى عليهم يومًا، ثم
نقوى قلوبنا بعد ذلك. لكن دعنا نحن الناجين من الحرب الكريهة ندبر ٢٣٠
أمر الطعام والشراب، لكى نواصل القتال ضد الأعداء بعد ذلك دون

(*) ربما يكون المقصود من هذا الوضع للميت كما كانوا يعتقدون هو أن يصير من الصعب على شبح الميت أن يعود. (المحرر)

توقف، بعد أن نغطى أجسادنا بالدروع البرونزية الصلبة. لذا لا تدع
أحدًا من حشدنا ينتظر استدعاءً آخر، فهذا هو الاستدعاء. وسوف
تسوء عاقبة من يتخلف عند سفن الأرجيين. علينا جميعًا أن
نهب هبة رجل واحد فى مواجهة الطرواديين ٢٣٥
مروضى الخيول، ونشتبك معهم فى معركة فاصلة".

هكذا كان حديث أوديسيوس، واصطحب أبناء نيستور المجيد
وميجيس بن فيليوس وثوأس وميريونيس وليكوميديس بن
كريون وميلانيبوس، وساروا فى طريقهم إلى خيمة أجاممنون
بن أتريوس. وفى لحظة واحدة قيلت الكلمة وتم الفعل (*). ٢٤٠
حملوا معهم من الخيمة سبعة من الأوعية ثلاثية القوائم،
كان قد وعد بها أجاممنون، وعشرين مرجلاً لامعًا، واثنى
عشرة جوادًا. وأخذوا معهم كذلك النساء البارعات فى الأعمال
اليدوية، وكن سبعة ثامنتهم جميلة الخدين بريسئيس. وبعد ٢٤٥
ذلك وزن أوديسيوس عشرة تالنتات من الذهب، ثم قاد جماعة
شباب الآخيين محملين بهدايا أجاممنون حيث وضعوها
وسط مكان الاجتماع. ثم نهض أجاممنون راعى الشعب
ووقف إلى جواره تالثيبيوس الذى كان صوته كصوت إله، ٢٥٠
وأمسك بيديه خنزيرًا بريًا. واستل ابن أتريوس سكينًا
كان يتدلى دائمًا بجوار غمد سيفه الضخم، فقص نتفة من
شعر الضحية، ورفع يديه ضارعًا لزيوس. ووقف الأرجيون
جميعًا صامتين منصتين فى خشوع لما يقول الملك، وكان ٢٥٥
يحملق فى السماء الواسعة ويبتهل قائلاً:

"كن يازيوس شاهدًا علىّ، أنت يا أعلى وأعظم الآلهة،
ولتشهد الأرض (جى) والشمس (هيليوس) والإيرينيات
يامن تقمن تحت الأرض وتنتقمن من الحانثين بقسمهم. ٢٦٠

(*) قارن ترنتيوس "المعذب نفسه" الفصل الخامس مشهد (١) بيت ٣١ " dictum, factum "بمجرد أن قال فعل". (المحرر)

اشهدوا جميعًا على قسمى بأننى لم أضع يدى على الفتاة
بريسئيس، لا لكى أضاجعها ولا لأى شىء من هذا القبيل،
بل أقامت فى خيامى عذراء لم يمسسها أحد. أما إذا كنت
كاذبًا فى قسمى فلتصب الآلهة على المصائب كلها التى تنزلها. ٢٦٥
الآلهة على من يكذب فى قسمه".

هكذا كان ابتهال (أجاممنون)، ثم قطع رقبة الخنزير البرى بسكين
لا ترحم. وحمل تالثيبيوس جسده وأداره فى الهواء ثم ألقى به إلى
لجة البحر الهائج فى الخليج، كى يكون طعامًا سائغًا للأسماك.
ولكن أخيليوس وقف وتحدث مخاطبًا الأرجيين محبى القتال قائلاً:
"أى زيوس الأب ! يا من تصيب بنى البشر بفقدان البصيرة ٢٧٠
المهلك، لم تكن كلمات ابن أتريوس لتثير غضبى، وما كان هو لينتزع
منى، وقد أصاب قلبه الضلال، فتاتى رغمًا عن أنفى، لولا أن زيوس
كان قد راق له أن يهلك الكثيرون من الآخيين. على أية حال اذهبوا
الآن لتناول طعامكم، على أن نسرع بعد ذلك لدخول المعركة". ٢٧٥

هكذا قال (أخيليوس) وبسرعة صرف المجتمعين، وذهب كل إلى
سفينته، لكن الميرميدونيين البواسل حملوا الهدايا إلى سفينة
أخيليوس شبيه الآلهة، ووضعوها فى الخيمة وتركوا النساء هناك ٢٨٠
أيضًا، وقاد الأتباع البواسل الخيول إلى سائر القطيع.

لكن بريسئيس شبيهة أفروديتى الذهبية، عندما رأت باتروكلوس
صريعًا مطعونًا بالبرونز القاطع، ألقت نفسها على جسده وبكت
بمرارة، وصرخت بعويل مدوٍ، ومزقت صدرها ورقبتها البضة ٢٨٥
ووجهها الجميل بيديها(*). ثم تفوهت من بين دموعها، تلك

(*) يقول بروبرتيوس محاكاة لهذه الفقرة، حيث تبكى بريسئيس موت أخيليوس وتقول (11,9,9):

'Necnon exanimem amplectens Briseïs Achíllem
Candida vesana verberat ora manu,...
Foedavitque comas.'

"ألم تحتضن بريسئيس أخيليوس الميت
وبيدها وبجنون لطمت خدودها ناصعة البياض
ومرغت (فى التراب) خصلات شعرها". (المحرر)

المرأة شبيهة الإلهات وقالت:

"أى باتروكلوس، يا أعز الناس إلى قلبى التعس، لقد تركتك حيًا
عندما غادرت الخيمة، لكنى الآن، يا قائد الحشود، عدت لأجدك ميتًا. ٢٩٠
وهكذا نصيبى أن تتراكم علىَّ المصيبة فوق المصيبة. إن من متحنى له
أبى وأمى الملكة لأكون زوجة، رأيته أمام مدينتنا وقد نفذ فيه سلاح
برونزى حاد، وأخوتى الثلاثة الأحبة الذين حملتهم بطن أمى
لقوا حتفهم كذلك. لكنك عندما قتل أخيليوس زوجى ودمر مدينة
مينيس شبيه الآلهة، لم تدعنى أبكى، وقلت لى إنك سوف ٢٩٥
تزوجنى من أخيليوس شبيه الآلهة، وإنه سيأخذنى فى سفينة إلى
فثيا ويقيم لى حفل زفاف بين الميرميدونيين. لذا فإننى أبكيك
فى موتك ولن أتوقف عن البكاء، إذ كنت علىّ دومًا عطوفًا." ٣٠٠

هكذا كان حديثها وهى تبكى، فناحت معها النساء الأخريات جميعًا
على باتروكلوس، الذى كان مدعاة لكل منهن فى الحقيقة لأن تبكى على
مصائبها هى. وحول أخيليوس تجمع شيوخ الآخيين، وتوسلوا إليه أن
يأكل، لكنه رفض وقال وهو يئن:

"أرجوكم، إذا كان أى منكم أيها الرفاق الأعزاء يسمع كلامى، ٣٠٥
دعه لا يسألنى أن أشبع جوعى من اللحم، ولا أن أروى
ظمأى من الشراب، وهو يرى أن حزنًا بالغًا قد أصابنى،
سأبقى هكذا حتى تغرب الشمس، وسوف أتحمل".

هكذا تحدث، فصرف كل القادة الآخرين، ولكن بقى ابنا أتريوس
وأوديسيوس الإلهى ونيستور وإيدومينيوس وفوينيكس الفارس ٣١٠
المسن، ساعين إلى تخفيف ما يشعر به من أسى وحزن. لكنه لم
يسمح لحزنه أن يهدأ، قبل أن يدخل بين فكى الحرب الدموية.
فلما خطر باتروكلوس بباله تنهد بعمق وصرخ:
"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرة كنت أنت نفسك تضع

بحماس أمامى فى خيمتى مأدبة حافلة بما لذ وطاب، عندما يسارع ٣١٥
الآخيون لشن الحرب مذرفة الدمع الغزير على الطرواديين
مروضى الخيول. لكنك الآن ترقد مضرجًا فى الدماء ومطعونًا
هنا وهناك فى جسدك. وقلبى لا يقبل لحمًا ولا شرابًا، لأنه يتوق إليك
أنت. ليس هناك أسوأ من هذا الشر الذى أعانى، حتى لو ٣٢٠
جاءنى خبر وفاة أبى، الذى أحسب أنه يذرف الدمع الغزير هناك
فى فثيا وقد حرم ابنه القوى، أنا الذى أحارب الطرواديين فى
أرض غريبة من أجل هيلينى المشئومة. لن يكون أسوأ أن
أسمع خبر وفاة ابنى حبيبى، الذى يقوم على تربيته إنسان
آخر غيرى فى سكيروس – إذا كان نيوبتوليموس(*) شبيه الآلهة ٣٢٥
لايزال حيًا – لقد راودنى الأمل أننى وحدى حتما سأهلك هنا بعيدًا
عن أرجوس – مربية الخيول –، هنا فى أرض طروادة، وأنك أنت يا
باتروكلوس سوف تعود إلى فثيا، وتحمل ابنى فى سفينتك السوداء ٣٣٠
السريعة من سكيروس، وتطلعه على كل شئ، كافة ممتلكاتى
وكل خدمى وقصرى المنيف ذا السقف العالى. ذلك أن بيليوس فيما
أحسب قد قضى نحبه، أو أنه يعانى كبر السن فى أرذل العمر،
فى انتظار الأنباء المفجعة عنى وعن موتى". ٣٣٥

هكذا كان حديثه الباكى، وأجهش الكبار بالبكاء معه، وتذكر
كل منهم ما تركه خلفه فى البيت. وعندما رآهم ابن كرونوس يبكون
أشفق عليهم، وفورًا خاطب أثينة بكلمات مجنحة قائلاً: ٣٤٠

"يا ابنتى لقد تخليت تمامًا عن الرجل الذى تحبينه. ألا تفكرين البتة
فى أخيليوس ؟ هاهو يجلس أمام السفن ذات المقدمات المنقارية
المقوسة يبكى صديقه الحبيب. بينما ذهب الآخرون لتناول طعامهم،

(*) ولد نيوبتوليموس فى سكيروس وبقى هناك تحت رعاية جده ليكوميديس إلى أن ذهب إلى طروادة. وبعد مولده مباشرة عاد أخيليوس إلى فثيا. وبعد ذلك بنحو ثمانى سنوات ذهب أخيليوس مباشرة إلى طروادة دون أن يرى ابنه. وهناك روايات أخرى، المهم أن نيوبتوليموس ظهر فى ملاحم تالية مثل: "القبرصية" و "الإلياذة الصغيرة": كما ظهر فى مسرحية فيلوكتيتيس لسوفوكليس. (المحرر)

لايزال هو صائمًا جائعًا. اذهبى واسكبى فى صدره النيكتار ٣٤٥
والأمبروسيا الشهية حتى لا ينهك الجوع قواه".
بهذا القول حفز أثينة، حيث كانت هى نفسها على أهبة الاستعداد،
فحلّقت فى أجواز الفضاء كالصقر ذى الجناحين العريضين
والصوت الحاد، ثم نزلت من السماء إلى الطبقات العليا من
الأثير. وبينما كان الآخيون يتسلحون فى المعسكر صبت فى ٣٥٠
صدر أخيليوس النيكتار والأمبروسيا الشهية حتى لا يهد الجوع
المر قواه، ثم عادت إلى مقر أبيها الجبار ذى البنيان المتين.
ثم اندفع الآخيون من السفن السريعة. وكما تتساقط نتف الثلج
فى زخّات كثيفة وسريعة من لدن زيوس، تحت هبات ريح الشمال ٣٥٥
بورياس المولودة فى الأثير الناصع. هكذا انطلقت من السفن الدروع
اللامعة والخوذات البراقة القوية، ودروع الصدر ودروع الساق
المصفحة والرماح الرمادية. فلما صعد هذا البريق إلى السماء، ضحكت ٣٦٠
الأرض كلها(*) من حولهم بتألق البرونز ولمعانه. من تحت أقدام
الرجال صعد صوت دقات الكعوب الرنانة، وفى قلب الحشد كان
أخيليوس الإلهى يضع أسلحته على جسده. اصطكت أسنانه بعضها
ببعض، ولمعت عيناه ببريق ساطع، كما لو كانتا لهبًا متوهجًا، لأن قلبه ٣٦٥
كان مفعمًا بألم لا نهاية له، وفى قمة غضبه على الطرواديين شرع
يرتدى هدايا الإله، التى أتقن هيفايستوس صنعها. فلف على ساقيه
دروع الساق وثبتها بمسامير فضية، ثم وضع درع الصدر على
صدره، ثم علق السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفه. ٣٧٠
ثم أخذ درعًا ضخمًا وقويًا يرسل بريقًا لامعًا كأنه القمر. ومثلما يظهر
بريق نار مشتعلة للبحارة فى عرض البحر، إذ تندلع النار على
قمة جبل شاهق فى مكان مقفر، بينما تجرف الريح هؤلاء البحارة

(*) ضحكت الأرض عند الشاعرين الرومانيين لوكريتيوس (الكتاب الثانى ٣٢٥) وفرجيليوس "الزراعيات" الكتاب الثانى (٢٨١) وقارن قصيدة البحترى:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

مرغمين إلى أعالى البحر، حيث مرتع الأسماك، بعيدًا عمن يحبون. ٣٧٥
هكذا تصاعد البريق من درع أخيليوس إلى عنان السماء.

ثم رفع الخوذة القوية ووضعها فوق رأسه، فلمعت كما تلمع
النجوم، وكانت تعلوها خصلة شعر حصان وحولها ريشات ٣٨٠
ذهبية كثيرة وضعها هيفايستوس على جانبى العرف. ثم تأكد
أخيليوس الإلهى من أن السلاح يتواءم معه، وأن أوصاله المجيدة
تتحرك بحرية. وأنها أصبحت كما لو كانت أجنحة تحمله
بوصفه راعيًا للشعب. ثم سحب من الغمد رمح أبيه، وكان ٣٨٥
رمحًا ثقيلاً ضخمًا وقويًا، لا يستطيع أحد من الآخيين سوى
أخيليوس أن يحسن استخدامه، ذلك الرمح من شجر الدردار
فوق بيليون. أعطاه خيرون لأبيه العزيز، فهكذا سقط من قمة بيليون ٣٩٠
ليكون وبالاً على المحاربين.

وذهب أوتوميدون والكيموس(*) كى يشدان الخيول للعربة، فوضعا
سيورًا تحمى صدرها، وشكائم حديدية بين الفكين، ومدا الأعنة إلى ٣٩٥
العربة المتينة. ثم أخذ أوتوميدون السوط اللامع وقبض عليه بقوة
وقفز وراء الخيول. ثم قفز أخيليوس ليجلس خلفه مستعدًا للقتال،
يلمع سلاحه كالشمس الساطعة هيبريون، ثم هتف مخاطبًا جوادى أبيه:

"أى كسانثوس وباليوس، يا ولدا بودارجى المشهورين، أعيدا ٤٠٠
من يمتطيكما سالمًا إلى حشد الدانائيين، بعد أن تضع الحرب
أوزارها، ولا تتركاه كما تركتما باتروكلوس قتيلاً".

عندئذ من تحت النير رد عليه الحصان كسانثوس لامع الرجلين.
إذ فجأة أحنى رأسه، فتدلت كل خصلات شعر العنق من على
جانبى النير حتى لامست الأرض، وهبته الإلهة هيرا القدرة ٤٠٥
على الكلام(**) فقال:

(*) يسمى أحيانًا الكيميدون Alkimedon. (المحرر)
(**) تحدثت الحيوانات فى الأساطير البابلية وتحدث ثور فى تواريخ ليفيوس، ثم قارن خرافات أيسوبوس وحواديت فايدروس. (المحرر)

"أى أخيليوس الجبار ! حقًا سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر
المحتوم قريب منك، ولن نكون نحن السبب، بل سيأتى به إله
قوى وقدر (مويرا) غلاب. فلم يسلب الطرواديون سلاح باتروكلوس من ٤١٠
كتفيه بسبب كسلنا أو تقاعسنا، لكن أقوى الآلهة، من ولدته ليتو ذات
الشعر الجميل، هو الذى قتله فى مقدمة الصفوف ومنح هيكتور
المجد. حتى مع الرياح الغربية زيفيروس، أسرع الرياح ٤١٥
كما يقولون، سوف نعدو بقوة، إلا إذا كان مقدورًا عليك الهلاك
فى المعركة على يد إله أو إنسان ما".

وبعد أن نطق بذلك أخرسته الإيرينيات، ورد عليه أخيليوس
سريع القدمين وقد تملك فزع شديد قلبه، قال:

"أى كسانثوس، لماذا تتنبأ بموتى ؟ لا يلزمك هذا ! أنا نفسى ٤٢٠
أعرف حق المعرفة أنه مقدر لى الموت هنا، بعيدًا عن أبى الحبيب
وأمى. ومع ذلك فلن أتوقف حتى أتخم الطرواديين قتالاً."

قال (أخيليوس) هذا وصاح صيحة مدوية فى المقدمة، قابضًا
على عنان خيوله ذات الحافر الواحد. ٤٢٤

الكتـــاب العشرون



ترجمة أحمد عتمان

هكذا يا ابن بيليوس، كان الآخيون الذى لم يشبعوا قتالاً
يتسلحون بجوار سفنهم المقوسة ملتفين حولك، بينما يقف
الطرواديون فى مواجهتهم فوق مرتفع ناتىء فى السهل.
لكن زيوس أمر ثيميس أن تدعو الآلهة من فوق قمم
الأوليمبوس متعدد الجنبات للاجتماع. فذهبت إليهم هنا ٥
وهناك ودعتهم للاجتماع فى مقر زيوس. حضرت كل
(آلهة) الأنهار ما عدا المحيط أوكيانوس، وكل العرائس
اللائى تتجولن فى الغابات الكثيفة وينابيع الأنهار والمروج
الخضراء. حضروا جميعًا إلى منزل زيوس جامع السحب،
فأجلسهم فى بهو الاعمدة المصقولة، التى أبدعها هيفايستوس
بمهارة من أجل زيوس الأب. ١٠

هكذا اجتمع كل الآلهة فى مقر زيوس، حتى مزلزل الأرض
(بوسيدون) لم يستخف بنداء الإلهة، وجاء من أعماق البحر
ليلحق بهم، وجلس فى وسطهم، ثم سأل زيوس عن الهدف
من وراء الاجتماع:

"لماذا، يا سيد الصاعقة الصاعقة استدعيت الآلهة للاجتماع مرة ١٥
أخرى، أهو أمر تفكر فيه ويتعلق بالطرواديين والآخيين؟ فلقد
اشتعلت الحرب واندلع القتال بينهما".

فرد عليه زيوس جامع السحب قائلاً:

"يا مزلزل الأرض، أنت تدرى بما يدور فى صدرى، ولماذا ٢٠
استدعيتكم للاجتماع هنا، فأنا أهتم بهم مع أنهم هالكون.
أما فيما يتعلق بى، فسأبقى هنا جالسًا على إحدى جنبات
الأوليمبوس مرتاحًا ومكتفيًا بالمراقبة، أما أنتم فلكم أن تذهبوا
إلى الطرواديين أو الآخيين، وتمدوا العون لهذا الطرف ٢٥

أو ذاك وفق ميول كل منكم. فلو أن أخيليوس وحده قاتل
الطرواديين، ما استطاعوا أن يقفوا أمام ابن بيليوس سريع
القدمين. لقد أصابتهم الرجفة بمجرد أن وقعت أنظارهم عليه.
أما الآن وقد استشاط قلبه غضبًا من الحزن على صديقه، ٣٠
أخشى أن يتخطى الحدود المرسومة له. ويحطم الأسوار".

هكذا قال ابن كرونوس فأشعل حربًا دون هوادة. فإلى هذا
الجانب أو ذاك تدخلت الآلهة فى القتال، وقد تفرقت بهم الميول.
فإلى جانب حشد السفن انضمت هيرا وباللاس أثينة وبوسيدون
مزلزل الأرض وهرميس جالب الحظ وسريع البديهة كما ٣٥
اشتهر. ومع هؤلاء ذهب أيضًا هيفايستوس المتباهى بجبروته
سائرًا بخفة على ساقيه المنكمشين. وإلى جانب الطرواديين انضم
آريس ذو الخوذة البراقة، وفويبوس بخصلات شعره المسترسل،
وأرتميس رامية السهام، وليتو وكسانثوس، وأفروديتى الضحوك. ٤٠

مادام الآلهة بعيدين عن البشر الفانين، ظل الآخيون يحرزون
النصر والمجد، ولاسيما بعد أن انضم إليهم أخيليوس منهيًا
اعتكافه عن القتال. أما الطرواديون فقد أصابت الرجفة أوصالهم،
بمجرد أن وقعت أبصارهم على ابن بيليوس ذى الأسلحة
البراقة، قرين آريس فى الفتك بالرجال. ولكن ما أن جاء ٤٥
الأوليمبيون واختلطوا بحشود البشر ثارت ثائرة إلهة النزاع
القوية إريس، التى تحرك الأمم، وأطلقت أثينة صيحاتها المدوية
سواء وهى تقف إلى جوار الخندق العميق خارج الحائط، أو
وهى تقف على الشواطىء المرددة لأصداء صيحاتها. وجاوبها
آريس على الطرف الآخر بصيحة رهيبة كأنها عاصفة سوداء، ٥٠
مستنفرًا بصرخات حادة الطرواديين من أعلى قلعة المدينة

أو عندما ناداهم على ضفاف سيموئيس على منحدر كالليكولونى(*).

هكذا استثار الآلهة المباركة الجانبين إلى القتال، وفيما بينهم
فجروا صراعًا فظيعًا. فمن فوقهم أرعد أبو البشر والآلهة على ٥٥
نحو رهيب، ومن تحتهم زلزل بوسيدون الأرض غير المحدودة
وقمم المرتفعات الشاهقة. ثم ارتجت كل سفوح جبل إيدا ذى
الينابيع العديدة وكل ذؤاباته، واهتزت مدينة الطرواديين وسفن
الآخيين. وفى العالم السفلى ارتعد أيدونيوس سيد الأشباح ٦٠
ومن شدة فزعه أطلق صرخة مدوية وهو يقفز من فوق
عرشه، خشية أن يشق بوسيدون مزلزل الأرض باطن
الأرض فيكشف أعماقها - وهى المخيفة حتى بالنسبة للآلهة - ٦٥
للبشر الفانين، فيرون أشباحها وأوحالها. فقد وقف فويبوس
(الوضاء) أبوللون بسهامه المجنحة فى مواجهة بوسيدون الملك،
ووقفت أثينة زرقاء العيون ضد إنياليوس، أما أرتميس
رامية السهام وأخت رامى السهام بعيدًا (أبوللون) إلهة
الصيد ذات السهام الذهبية والصوت الحاد فقد واجهت هيرا.
ووقف هرميس القوى جالب الحظ ضد ليتو، وفى مواجهة ٧٠
هيفايستوس وقف النهر العظيم ذو الدوامات العميقة والذى
تدعوه الآلهة كسانثوس ويسميه البشر سكاماندروس.

هكذا تقدم الآلهة ليواجه بعضهم بعضًا. فى حين كان أخيليوس ٧٥
تواقًا لملاقاة هيكتور بن برياموس من بين رجال الحشد
جميعًا، إذ تدفعه روحه دفعًا للارتواء من دمه دون الآخرين،
إشباعًا لآريس ذلك المحارب ذى الدرع المتين من جلد الثور. لكن
أبوللون مثير الأمم شجع آينياس على أن يذهب لمواجهة ابن

(*) يعنى هذا الاسم "تل الجمال"، وربما كان هذا هو المكان الذى كان الناس يعتقدون أن مسابقة الجمال بين أثينة وهيرا وأفروديتى، حيث حكم فيها باريس لصالح أفروديتى، قد جرت هنا. (المحرر)

بيليوس، وبث فى روحه البسالة وقال له أبوللون بن زيوس ٨٠
متخذًا صوت ليكاؤن بن برياموس وهيئته:

"أى آينياس يا ناصح الطرواديين، أين تهديداتك التى كنت
تتوعد بها متباهيًا أمام أمراء طروادة، وأنت تحتسى الخمر.
وكنت تقول إنك ستخوض غمار القتال متحديًا أخيليوس بن بيليوس". ٨٥

فرد عليه آينياس قائلا:

"يا ابن برياموس، لماذا تحرضنى على الوقوف أمام ابن بيليوس
العتيد، ضد إرادتى؟ فليست هذه هى المرة الأولى التى ألاقى
فيها أخيليوس سريع القدمين، إذ سبق أن هاجمنى ذات مرة ٩٠
برمحه وطردنى من إيدا، حين انقض على قطعاننا ودمر
ليرنيسوس وبيداسوس. ولم ينقذنى من بين يديه سوى
زيوس، الذى أمدنى بقوة فى قدمى، فأفلت مسرعًا فرارًا منه،
وإلا لكنت قد قتلت على يدى أخيليوس. وأثينة هى التى كانت ٩٥
تسير أمامه وتنقذه وتأمره أن يفتك بأهل ليرنيسوس
الليليجيين وكذا الطرواديين برمحه البرونزى. من المحال أن
يقف رجل أمام أخيليوس فى القتال، لأنه على الدوام هناك
إله ما يقف إلى جانبه ويمنع عنه الأذى. وفى كل حال تطير
رميته مباشرة إلى هدفها فتصيبه، فلا تتوقف قبل أن تنفذ
فى لحم إنسان. لكن إذا ماهيأ إله ما الفرصة متكافئة فى ١٠٠
القتال، فإنه لن يستطيع التغلب علىَّ بسهولة مهما تباهى
بأنه مخلوق برونزى لا يجرح".

ورد عليه الملك أبوللون بن زيوس قائلا:

"نعم أيها المحارب، فلتذهب وتتضرع أنت أيضًا للآلهة
الخالدة، فأنت أيضًا كما يقول الناس ابن أفروديتى ابنة زيوس، ١٠٥
أما هو فأمه إلهة أقل شأنًا. لأن أمك ابنة زيوس، أما أمه فهى

مجرد ابنة إله البحر الشيخ المسن. هيا احمل رمحك البرونزى
العتيد وتقدم لمواجهته، ولا تدعه يصدك للخلف بكلمات الاستعلاء
أو التهديدات".

١١٠ قال ذلك ونفث شجاعة جسورة فى روح راعى الشعب، ثم
اندفع إلى الصفوف الأولى متسلحًا بالبرونز المتوهج. ولكن لم
يغب عن هيرا ذات الذراع الأبيض أن تلمح ابن أنخيسيس
وهو يشق طريقه بين المحاربين مستهدفًا مواجهة ابن بيليوس،
فجمعت الآلهة حولها وحدثتهم قائلة:

١١٥ "فليتدبر كل منكما أى بوسيدون وأنت يا أثينة ما يجرى،
وليقل رأيه. فها هو آينياس يتسلح بالبرونز المتوهج ويتقدم
لمواجهة ابن بيليوس، فويبوس أبوللون هو الذى حرضه.
هيا بنا إذن، لنعيده للخلف، أو ليذهب أحدنا ويقف إلى جوار
١٢٠ أخيليوس، ويبث فيه قوة جبارة لكى لا يلين عزمه، وليعلم أن
من يحبونه هم أفضل الآلهة الخالدين، وأن الآلهة الآخرين
الذين وقفوا من قبل أثناء القتال إلى جانب الطرواديين كانوا
لاشىء، وكأنهم قبض الريح. أما نحن فقد نزلنا اليوم من
١٢٥ الأوليمبوس لكى نشارك فى هذا القتال، حتى لا يصيب
الطرواديون أخيليوس بأى أذى. وبعد ذلك سوف يلقى ما
خطته إلهة القدر آيسا على مغزلها منذ البداية ساعة ولادته
حين وضعته أمه. فإذا لم ينبىء أحدنا أخيليوس بهذا فسوف
تغلبه الرهبة حينما يواجهه إله ما فى المعركة، فكم هو رهيب
١٣٠ ظهور الآلهة للبشر!".

عندئذ رد عليها بوسيدون مزلزل الأرض، قائلاً:
"هيرا، لا تدعى غضبك يتخطى حدود حكمتك. لا حاجة
١٣٥ لذلك. بالنسبة لى فلن يطيب لى أن أكون سبب النزاع فيما بين

الآلهة. فلنترك هذا الطريق، ودعونا نبتعد إلى مرتفع ما
نتخذ لنا منه مجلسًا، ونراقب ما يدور، ونترك الحرب للبشر.
أما إذا بدأ آريس أو فويبوس أبوللون القتال، وعطلا أو منعا
أخيليوس عن النزال، فلنا عندئذ أن نطلق صيحة الحرب، ١٤٠
وسيعودون فى الحال إلى اجتماع الآلهة فوق الأوليمبوس
مهزومين على أيدينا".

هكذا قال الإله ذو الشعر الأزرق الداكن، وقاد الطريق إلى
هضبة هيراكليس (هرقل) سليل الآلهة، وهو متراس بناه له ١٤٥
الطرواديون وباللاس أثينة، حتى يلجأ إليه اتقاءً لشر الوحش
البحرى(*). فيكون فى مأمن منه كلما طارده من الشاطىء
إلى السهل. هناك جلس بوسيدون ومعه فريق من الآلهة
الآخرين، تلف أكتافهم سحابة لا يمكن اختراقها. وعلى الجانب ١٥٠
الآخر فريق الآلهة الآخرين على مرتفعات كالليكولونى حولك يا
فويبوس أنت وآريس مدمر المدن. هكذا جلس كل فريق إلهى فى
ناحية يتبادلون الرأى فيما بينهم، وكل فريق منهما يكره
أن يبدأ الحرب المفجعة، بينما ظل زيوس على عرشه
الرفيع ساميًا فوق الجميع. ١٥٥

حينئذ كان السهل قد اكتظ بالرجال والخيول واكتسى بوهج
البرونز، وقعقعت الأرض تحت أقدام الرجال المندفعين نحو
المعركة. وتقدم رجلان هما أفضل المحاربين طرًا، ليواجه أحدهما
الآخر فيما بين الحشدين. إنهما آينياس بن أنخيسيس ١٦٠
وأخيليوس الإلهى. فى البداية تقدم آينياس ونظرة التحدى
تتألق فى عينيه، وقد أومأ بخوذته الثقيلة، وأمسك بدرعه

(*) هذا الوحش البحرى أرسله بوسيدون ليبتلع هيسيونى بنت لاؤميدون، لأن الأخير خدع إله البحر ولم يعطه مكافأته المتفق عليها فى مقابل بناء طروادة. خلص هرقل هيسيونى من هذا الوحش، وبنى له هذا المتراس ليلجأ إليه عندما يهاجمه الوحش أثناء الصراع. (المحرر)

القوى أمام صدره، ولوح برمحه البرونزى. وعلى الجانب الآخر
تقدم ابن بيليوس لملاقاته وكأنه الأسد الهائج، الذى احتشد لقتله
كل رجال القرية. فهو بداية يمضى فى طريقه غير مبال ١٦٥
بمن هم حوله، ولكن ما أن يرميه أحد الشباب برمح حتى يفغر
فاه، ويطفح الزبد من بين أنيابه، ويئن قلبه القوى، وبذيله
يضرب جنبيه يسارًا ويمينًا مستجمعًا كل قواه للمعركة، تتقد
مقلتاه، ويهجم بجنون عسى أن يقتل أحدهم أو يلقى حتفه فى
مقدمة الصفوف. تلك كانت حالة أخيليوس مدفوعًا بقوته
وروحه العالية حين تقدم لملاقاة آينياس المقدام، وحين تقابلا ١٧٥
وجها لوجه، بدأ أخيليوس الإلهى سريع القدمين بمخاطبة
آينياس قائلاً:

"أى آينياس، لماذا قفزت خارجًا من هذا الحشد لملاقاتى: هل
حدثتك نفسك بأن تواجهنى فى المعركة طمعًا فى الحصول
على الزعامة فى مملكة برياموس، والسيادة على الطرواديين
مروضى الخيول؟ كلا، فحتى لو قتلتنى، فلن يضع برياموس ١٨٠
الملك فى يديك، لأن لبرياموس ذرية تخلفه ولديه الحكمة
والعقل. أم أن الطرواديين قد اقتطعوا لك قطعة ممتازة من
الأرض، غنية بحدائقها وحقولها، لتمتلكها لو قتلتنى؟ مع أننى ١٨٥
أعتقد أنه ليس من اليسير عليك أن تنجز هذه المهمة. فإننى
أفخر أننى ذات مرة أجبرتك على الفرار أمام رمحى. هل نسيت
ذلك اليوم، حين كنت بمفردك، فلما طاردتك وليت أنت الأدبار
مسرعًا عبر منحدرات إيدا الوعرة؟ لم تنظر يومئذ مرة أخرى
خلفك أثناء فرارك. هربت أنت إلى ليرنيسوس، فدمرت أنا ١٩٠
هذه المدينة عن آخرها بعون من أثينة وزيوس الأب، سبيت
نساءها وحرمتهن من حريتهن. بيد أن زيوس والآلهة الآخرين
أطلقوا سراحك. لكنهم الآن كما أعتقد لن يحموك كما تأمل فى

قلبك، فإننى آمرك بالعودة إلى الحشد، وعدم الوقوف فى وجهى ١٩٥
قبل أن يصيبك الأذى. فغبى من لا يفهم قبل فوات الآوان".

فرد عليه آينياس مرة أخرى، قائلاً:

"يا بن بيليوس، لا تظن أنك بالكلمات سترهبنى، وكأننى ٢٠٠
طفل، فأنا أيضًا أعرف جيدًا كيف أقول كلمات مهينة وأخرى
لائقة. كل منا يعرف سلالة الآخر ووالديه، ولقد سمعنا
الحكايات ذائعة الرواية عن البشر الفانين، ولكنك لم تر
آبائى بعينيك، ولا أنا رأيت آباءك. يقول الناس إنك ابن ٢٠٥
بيليوس الذى لا نظير له، وابن ثيتيس مليكة البحر ذات
الخصلات الجميلة. أما أبى الذى أتباهى به فهو أنخيسيس
نبيل القلب، وأمى هى أفروديتى. اليوم سينعى والدا أحدنا
ابنهما العزيز، فمن المؤكد أن لقاءنا لن ينتهى بكلمات ٢١٠
صبيانية، ولن نترك ساحة القتال سالمين. وعلى أية حال عليك
إذا أردت أن تعرف سلالتنا – والكثيرون يعرفونها – إذ كان
زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى ٢١٥
الوادى على أنها مدينة البشر الفانين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيدا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولدًا هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرسًا ترعى فى المروج ٢٢٠
وتنعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حبًّا
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
عشر مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد ٢٢٥
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرها ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة
الموج الهائج. ثم أنجب إريخثونيوس طروس كى يكون

ملكًا على الطرواديين، وأنجب طروس ثلاثة أبناء لا مثيل ٢٣٠
لهم هم إيلوس وأساراكوس وجانيميديس شبيه الآلهة، أجمل
أبناء البشر طرًا، فقد اختطفه الآلهة لكى يصبح ساقى الخمر
لزيوس، وذلك بسبب جماله، ولكى يقيم مع الخالدين. ثم أنجب ٢٣٥
إيلوس ولدا هو لاؤميدون الذى لا نظير له، وقد أنجب بدوره
تيثونوس وبرياموس ولامبوس وكليتيوس وهيكيتاؤن سليل
آريس. وأنجب أساراكوس كابيس الذى أنجب بدوره أنخيسيس،
وقد أنجبنى أنخيسيس. أما برياموس فقد أنجب هيكتور الإلهى. ٢٤٠
إننى أتباهى بهذه السلالة وبهذا الدم، ذلك أن زيوس هو الذى
يهب التفوق للبشر، أو يحرمهم منه. فهو الأعلى فوق الجميع.
هلم بنا إلى قلب النزال، دون أن نعود مرة أخرى للخوض فى
هذا الكلام مثل الأطفال، فما أكثر الإهانات التى يمكن أن ينطق ٢٤٥
بها كل منا، والتى يمكن أن تغرق سفينة بها مائة صف من
المقاعد. فألسنة البشر مزالق، وهناك كلمات كثيرة ومتباينة،
وحقل الكلمات فسيح بلا حدود، وكل ما يمكن أن تقوله، يمكن
أن يرد به عليك فى مسامعك، وبهذا سوف نتعادى ونتعارك ٢٥٠
كالنساء اللائى عندما يركبهن الغضب يخرجن إلى عرض
الطريق ويتشاجرن ويتراشقن بالكلمات النابية المبنية على
حقائق أو أكاذيب، لأن الغضب هو الذى يقف وراء الكلام. ٢٥٥
وعلى أية حال فإنك لن تثبط عزيمتى بالكلمات، وحتى
نتلاقى رجلاً لرجل بالبرونز، هلم يجرب كل منا الآخر بالرماح
ذات السن البرونزى".

قال هذا، ثم رمى رمحه الضخم فى اتجاه الدرع الرهيب
والعجيب. فأحدث الدرع دويًا تحت وطأة سن الرمح. ولكن ٢٦٠
ابن بيليوس أمسك درعه بيديه القويتين فى خوف. لأنه
خشى أن يخترقه رمح آينياس المغوار. ياله من أحمق! فهو لم

يدرك أن هدايا السماء المجيدة لا يمكن أن تهزم بسهولة
على يد أمجد الفانين، ولا يمكن أن تستسلم لهم. ولهذا لم يخترق
رمح آينياس المغوار - وهو رمح عتيد - الدرع، لأن الذهب، ٢٦٥
وهو هدية إلهية، حال دون ذلك. لقد تمكن رمح آينياس من
اختراق طبقتين اثنتين، وبقى ثلاث. لأن الإله الأعرج كان قد
صنع الدرع من خمس طبقات، اثنتين من البرونز، واثنتين ٢٧٠
من القصدير، وخامسة من الذهب. وهى التى عندها وقف
الرمح الدردارى(*).

وبدوره رمى أخيليوس رمحه طويل الظل فى اتجاه درع
آينياس متين الاتزان، أسفل طرف الحاشية حيث يخف ٢٧٥
البرونز، وحيث تكون بطانة جلد الثور نحيلة. ولذلك نفذ
الرمح المصنوع من شجر الدردار فوق بيليون، وتكسر الدرع
تحته محدثًا دويًا هائلاً، تراجع آينياس وهو يمسك بالدرع
محاولاً إبعاده فى خوف، ومر الرمح فوق ظهره ثم وقع على
الأرض، بعد أن مزق طبقتى الدرع الضخم. وبعد أن تجنب ٢٨٠
آينياس الرمح الطويل نهض، ولكن أسى بلا حدود غطى عينيه
وارتعد بشدة، حيث كان الرمح يقف منتصبًا بالقرب منه.

وعلى الفور وبصيحة مرعبة اندفع أخيليوس فى سرعة
خاطفة شاهرًا سيفه، وأمسك آينياس بحجر صخرى ضخم فى ٢٨٥
يديه، لا يستطيع رجلان من رجال اليوم رفعه، أما هو فقد
رفعه بسهولة ودون عون. وكاد آينياس أن يقذف بهذا الحجر
أخيليوس وقد هجم عليه، كاد يقذفه فى الخوذة أو فى الدرع
- الذى أنقذه فى الواقع من موت محقق ومرير. وكاد ابن ٢٩٠
بيليوس أن يقتل آينياس بالسيف، لولا أن بوسيدون مزلزل

(*) جدير بالذكر أن الأبيات ٢٦٩-٢٧٢ رفضها عالم الإسكندرية الفقيه أريستارخوس على أساس أنها تخالف ما جاء عن وصف درع أخيليوس فى الكتاب الثامن عشر وكما رأينا. (المحرر)

الأرض لاحظ ذلك، وبسرعة خاطب الآلهة الخالدين قائلا:

"واحسرتاه، ويالآسفى على آينياس ذى القلب النبيل، الذى
سيرحل سريعًا إلى هاديس، بعد أن يقتله ابن بيليوس.
وذلك لأنه بحمق يثق فى كلمات أبوللون رامى السهام ٢٩٥
من بعيد. بيد أن هذا الإله لن يمنع عنه بأية حال موتًا مروعًا.
لكن واحسرتاه! لماذا عبثًا يعانى هذا الإنسان بلا ذنب ويلات
ما ارتكبه الآخرون وهو الذى يقدم القرابين بسخاء للآلهة –
التى تسكن السماء الفسيحة؟ دعنا ننقذه على الأقل من ٣٠٠
الموت، خشية أن يغضب ابن كرونوس إذا قتله أخيليوس.
فمن المقدر أن ينجو من الموت، حتى لا يفنى نسل
داردانوس دون بذرة أو أثر، ذلك أن ابن كرونوس قد أحب
داردانوس أكثر من كل أبنائه الذين ولدوا له من بنات ٣٠٥
البشر. ولأن زيوس كان يكره نسل برياموس، فهكذا كان
مقدرًا أن يكون آينياس ملكًا على الطرواديين، وأن يخلفه
أبناؤه وأحفاده الذين سوف يولدون فى المستقبل".

فردت عليه هيرا، تلك الملكة ذات العيون الواسعة مثل المها:

"يا مزلزل الأرض تدبر أنت الأمر بنفسك، واعمل ما
يمليه عليك فؤادك، سواء أنقذت آينياس أو تركته وحيدًا ليقتله ٣١٠
أخيليوس بن بيليوس، برغم بسالته وقوته. لقد أقسمنا، باللاس
أثينة وأنا، فى حضرة شهود كثيرين وأمام كل الخالدين، بألا
ندفع عن الطرواديين يوم عثرتهم، ولو احترقت طروادة ٣١٥
كلها فى اللهب المندلع، وكان الذين يشعلون فيها النيران هم
أبناء الآخيين المحاربين".

وما أن سمع بوسيدون، مزلزل الأرض، هذه الكلمات حتى
شق طريقه وسط صفوف المتحاربين وقذائف الرماح المتبادلة،

فوصل إلى حيث كان آينياس وأخيليوس ذائع الصيتِ. ٣٢٠
وعلى الفور نشر ضبابًا فوق عينى أخيليوس ابن بيليوس،
وسحب الرمح الدردارى ذا الرأس البرونزية من درع آينياس
ذى القلب النبيل، ووضعه أمام قدمى أخيليوس. ثم رفع آينياس ٣٢٥
عاليًا وقذفه بعيدًا. فلما انفلت آينياس من يد الإله طار فوق
عدة صفوف من المحاربين وعدة خطوط من العربات
الحربية، حتى وصل إلى الطرف الأقصى من المعركة
المحتدمة، حيث كان السكاوكونيون يسلحون أنفسهم للقتال.
ثم جاء بوسيدون، مزلزل الأرض، إلى جواره وسماه باسمه ٣٣٠
وحدثه بكلمات مجنحة:

"يا آينياس، أى إله هذا الذى أمرك – وقد فقدت صوابك – أن
تدخل فى قتال مع ابن بيليوس، وهو رجل أفضل وأعز منك لدى
الخالدين؟ تراجع للخلف كلما صادفته، خشية أن ترحل إلى ٣٣٥
مقر هاديس، وهو ما يتعدى قدرك. ولكن ما أن يلقى أخيليوس
حتفه وقدره، عندئذ يجب عليك أن تكون مقدامًا فتحارب فى
الصفوف الأولى، لأنه فى هذا الحالة لن يقتلك أحد آخر من بين
الآخيين".

قال هذا ثم تركه هناك بعد أن كان قد شرح له كل شيء، ٣٤٠
وبسرعة قشع الضباب السحرى عن عينى أخيليوس، ففتح عينيه
محملقًا بشدة ومتأثرًا بالغ التأثر ومحدثًا نفسه الأبية:

"كم هو غريب! حقًا إن ما أرى أعجوبة! فرمحى يرقد هنا ٣٤٥
على الأرض، كما أنى لا أرى الرجل الذى رميته به ساعيًا
لقتله. وهذا يعنى أن آينياس حقا عزيز لدى الآلهة الخالدة، مع
أننى قد اعتقدت أن تفاخره بذلك كان فارغًا، دعه يمضى!
فهذا الذى أفلت من الموت بأعجوبة لن يعود ليتحدانى مرة أخرى. ٣٥٠

ولكن هلم الآن! دعنى أستنفر الدانائيين البواسل،
ولأتحدى الطرواديين الآخرين".

قال هذا ثم قفز إلى الصفوف، فصاح محرضًا كل الرجال:
"لا تقفوا أيها الآخيون الإلهيون على مبعدة من الطرواديين،
بل ليواجه كل رجل نظيره من الأعداء وقلبه مفعم بالرغبة ٣٥٥
فى القتال. فمن العسير علىّ - رغم قوتى - أن أواجه
هذا الحشد الضخم وأن أحارب الجميع، فلا آريس نفسه على
الرغم من أنه إله خالد، ولا أثينة نفسها، يستطيع أن يخوض
غمار مثل هذا القتال وينتصر. ومع ذلك فسأبذل كل ما بوسعى،
بيدى وقدمى وكل قوتى العجيبة، ولن أتوانى ولو قليلا. بل ٣٦٠
سأشق طريقى عبر منتصف خطوطهم، ولا أعتقد أن أيًا من
الطرواديين سوف يكون سعيدا إذا ما اقترب منه رمحى".

قال هذا مشجعًا لهم، ومن ناحية أخرى صاح هيكتور المجيد
فى الطرواديين بصوت عال معلنًا أنه سيتقدم للقاء أخيليوس:

"أيها الطرواديون شجعان القلوب! لا ترهبوا ابن بيليوس. ٣٦٥
فمن السهل علىّ أنا أيضًا أن أحارب بالكلمات حتى الخالدين،
ولكن من العسير أن يكون هذا بالرمح، لأنهم الأقوى كثيرا.
وأخيليوس نفسه لن يستطيع أن يحقق كل كلماته، ولكن قد ينجز البعض،
وسوف يترك البعض الآخر لمن سيخلفه فى منتصف الطريق. ٣٧٠
إنى ذاهب للقائه، حتى لو كانت يداه كالنار - نعم كالنار -
وغضبه مثل الحديد المتوهج".

هكذا تحدث مشجعًا إياهم، فشهر الطرواديون رماحهم
وتقدموا للقتال، واختلطت قوة المحاربين من الطرفين،
وتعالت صيحات الحرب مدوية. ثم وقف فويبوس أبوللون ٣٧٥
إلى جانب هيكتور وخاطبه قائلاً:

"أى هيكتور لا تواجه أخيليوس مرة أخرى، ولكن انتظره
فى الحشد وفى قلب المعركة، خشية أن يرميك برمحه، أو
أن يلتحم معك فيطعنك بسيفه."

هكذا قال، فتراجع هيكتور إلى الحشد المتدفق، وقد انتابه
الخوف حين سمع صوت إله. ولكن أخيليوس قفز بين ٣٨٠
الطرواديين وقد تدثر قلبه بالقوة، وارتفع صوته بالصيحة
الرهيبة. وبدأ بقتل إفيتيون بن أوترينتيوس الشجاع، وهو القائد
لعدة شعوب، والمولود من عرائس البحيرات والأنهار
لأوترينتيوس مدمر المدن تحت سفح تمولوس الثلجى فى مملكة ٣٨٥
هيدى ثرية الحقول. فى أثناء تقدمه ضربه أخيليوس الإلهى
برمحه فى منتصف الجبهة، فشطر الرأس تمامًا، وسقط وأحدث
ارتطامه بالأرض ضجيجًا. ومن فوق جثته وقف أخيليوس
مختالاً وقال:

"الآن هنا ترقد يا ابن أوترينتيوس، ياناشر الرعب بين الرجال،
هنا موتك، فقد كان مولدك فى بحيرة جيجايا حيث توجد التركة ٣٩٠
التى ورثتها عن الآباء، على ضفاف ٭يللوس الغنية بالأسماك
وهيرموس ذى الدوامات".

هكذا تحدث متباهيًا، وغطت الظلمة عينى إفيتيون، ومزقت
جسده إربًا إربًا إطارات عربات الآخيين الحربية فى مقدمة
الصفوف. وأضاف إليه أخيليوس ديموليون بن أنتينور ٣٩٥
المحارب الباسل، طعنه فى صدغه، حيث نفذ الرمح فى الجزء
البرونزى الذى يغطى الصدغ من الخوذة. لم تحمه هذه الخوذة
البرونزية من طعنة الرمح الطائر، الذى كسر العظم فانفجر المخ
مبعثرًا هنا وهناك. لقد تغلب عليه برغم شجاعته وإقدامه. ثم ٤٠٠
أصاب أخيليوس هيبوداماس فى ظهره برمحه، بعد أن نزل

من العربة وبدأ الفرار من أمامه. ولفظ أنفاسه الأخيرة بخوار
عال كخوار الثور، الذى يجره الشبان إلى مذبح إله هيليكى
(بوسيدون) مزلزل الأرض، الذى يسره مثل هذا القربان.
وهكذا كان خوار هيبوداماس، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ٤٠٥
ورحلت عنه روحه المتعالية.

بعد ذلك تحرك أخيليوس إلى بوليدوروس الإلهى ابن بريامس،
ذلك الذى منعه أبوه دومًا من الحرب، لأنه كان أصغر أبنائه
وأحبهم، لا أحد يباريه فى سرعة القدم. فى طيش صبيانى ٤١٠
استعرض سرعة قدميه فى مقدمة الصفوف الأولى، ففقد حياته.
ولقد ضربه الإلهى أخيليوس السريع برمح فى منتصف ظهره
أثناء انطلاقه السريع من أمامه. جاءت الطعنة فى المنطقة
التى تلتقى فيها أربطة الحزام الذهبية، وتتداخل أطراف الدرع ٤١٥
بعضها فوق بعض، ونفذ سن الرمح إلى جنب السرة.
وبصرخة مدوية انكفأ على ركبتيه، وغطته تمامًا سحابة سوداء،
وهوى قابضًا على أحشائه.

فلما رأى هيكتور أخاه بوليدوروس قابضًا على أحشائه بيديه ٤٢٠
وقد هوى على الأرض، وغطى الظلام عينيه، لم يعد يطيق
أن يظل بعيدًا، فتقدم لملاقاة أخيليوس مثل قطعة من اللهب
ملوحًا برمحه الحاد. وحين رآه أخيليوس قفز للأمام متأهبًا
للقاء وصاح متباهيًا:

"ها هو بالقرب منى الرجل الذى قبل أى شخص آخر أصابنى
فى صميم قلبى، فقد قتل الصديق الذى أكرمه. وأظن أن ٤٢٥
تحصينات الحرب لن تحجب أحدنا عن الآخر بعد الآن".

قال هذا ثم رمى هيكتور الإلهى بنظرة الغضب وخاطبه قائلاً:
"اقترب منى لكى تصل إلى نهايتك بأقصى سرعة".

فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة برباطة جأش: ٤٣٠
"يا ابن بيليوس، لا تظن أنك ترهبنى بكلماتك، وكأننى طفل،
فأنا أيضًا أعرف جيدًا كيف أقول كلمات مهينة وأخرى لائقة.
وأعرف أنك ذو بأس، وأننى أضعف منك. ولكن الأمر بيد
الآلهة جميعًا، ومع أننى الأضعف قد أقتلك برمية رمحى.
فسلاحى هذا قد أثبت أنه باتر حتى الآن." ٤٣٥

قال هذا ورمى الرمح، ولكن أثينة بنفخة أبعدته وأرجعته
للوراء بعيدًا عن أخيليوس المجيد الذى تنفس بهدوء. وأعادته
نحو هيكتور الإلهى فسقط أمام قدميه. عندئذ انقض أخيليوس
بجنون عاقدًا العزم على قتله، مطلقًا صيحته الرهيبة. ولكن ٤٤٠
أبوللون رفع هيكتور على نحو رفيق يليق بإله وخبأه فى
ضباب كثيف. وثلاث مرات انقض الإلهى أخيليوس سريع
القدمين برمحه البرونزى، وثلاثًا رمى الرمح البرونزى، ولكنه
لم يصب إلا عمق الريح. ولكنه فى المرة الرابعة هجم عليه ٤٤٥
وكأنه إله، مطلقًا صيحته الرهيبة وخاطبه بكلمات مجنحة:

"أيها الكلب، لقد أفلت مرة ثانية من قبضة الموت مع، أنه كان
حقًا قريبًا منك، أنقذك هذه المرة فويبوس أبوللون، الذى من
المؤكد عليك أن تصلى له حين تدخل حومة ارتطام الرماح. ٤٥٠
ولتعلم أننى سألقاك عاجلاً أو آجلاً وسأقضى عليك، إذا أعاننى
أنا أيضًا إله ما. أما الآن فسأشدد هجومى على الطرواديين
الآخرين أينما وجدتهم".

هكذا قال وطعن دريوبس فى العنق، فهوى عند قدميه. ٤٥٥
فتركه حيث تمدد، وقذف رمحه نحو ديموخوس بن فيليتور
فأصابه فى ركبته وأقعده. وهو رجل شجاع قوى البنية، وبعد
ذلك ضربه بسيفه الضخم فانتزع منه الروح. ثم انقض على

لاؤجونوس وداردانوس ولدى بياس، وجرهما من عربتهما ٤٦٠
نحو الأرض. قذف أحدهما بالرمح، والآخر طعنه بالسيف الضخم
فى التحام مباشر. بعد ذلك تحول إلى طروس بن آلاستور، الذى
جاء بنفسه، متعلقًا بركبتيه متضرعًا إليه أن يبقى عليه حيًا، وأن
يأخذه أسيرًا، وأن يبقى على حياته ولا يقتله إشفاقًا على شبابه الغض. ٤٦٥
وياله من أحمق! فلم يعرف أن توسله سيذهب سدىً! فلم
يكن رجلاً ذا قلب رحيم من السهل التوسل إليه، بل كان قاسيًا
بلا رحمة البتة. تعلق الشاب بركبتى أخيليوس، وكله أمل أن
يجدى التوسل، فما كان من المحارب إلا أن غرس سيفه فى
كبده. فسقط الكبد من جسده، وغطت الدماء السوداء طيات ملبسه، ٤٧٠
وغطت الظلمة عينيه وفارقته الحياة. وبعد ذلك اقترب
أخيليوس من موليوس وقذفه بالرمح فى إحدى أذنيه، ومن
الأخرى خرج سن الرمح البرونزى. وبالسيف ذى المقبض
ضرب رأس إخيكلوس بن أجينور، فازداد حد السيف دفئًا ٤٧٥
بغزارة الدم، ثم غطت ظلمة الموت والمصير الطاغى عينى
عدوه. ثم طعن ديوكاليون فى مفصل الكوع بسن الرمح
البرونزى. فتوقف فاقدًا أحد ذراعيه ورأى الموت بعينيه،
فطعنه أخيليوس فى الرقبة بسيفه مطيحًا برأسه وخوذته ٤٨٠
بعيدا. وعندئذ انبثق النخاع من العمود الفقرى، وتمددت الجثة
على الأرض.

وبعد ذلك لاحق ريجموس بن بيرووس، الذى لا نظير له،
والذى جاء من طراقيا ذات التربة الخصيبة. رشق رمحه ٤٨٥
بقوة فى منتصف البطن مستهدفًا معدته، فهوى بعنف من
عربته. أما أريثوؤس تابعه فقد قذفه (أخيليوس) بالرمح الحاد
فى ظهره، عندما كان يستدير بالخيول إلى الخلف، فألقى به من
العربة، واضطربت الخيول وهى تجرى هنا وهناك.

تمامًا كما تتدلع ألسنة اللهب العجيب فى الوديان الصغيرة
العميقة على جنبات الجبل الصخرى، فتشتعل الغابات وتتوهج ٤٩٠
النيران بفعل هبوب الرياح العاصفة، هكذا اكتسح أخيليوس
كل مكان برمحه، كما لو كان إلهًا لا رحمة عنده بأى من ضحاياه.
وهكذا فاضت الأرض السوداء بأنهار الدماء. ومثلما يربط
المرء الثيران عريضة الجباه إلى النير، لدرس الشعير الأبيض ٤٩٥
فى أرض الحصاد المنسقة جيدًا، وبسرعة يدرس الشعير تحت
أقدام الثيران وهى تطلق خوارًا مدويًّا. وهكذا سُحِقَت أكوام
من الجثث والدروع المختلطة تحت أقدام خيول أخيليوس ٥٠٠
الهمام ذات الحافر الواحد، وتناثر الدم على محور عربته
وإطارات العجلات، نثرتها عليها حوافر الخيول. بيد أن
ابن بيليوس لازال يواصل هجومه الكاسح ليحرز المجد،
ويداه اللتان لا تقهران مخضبتان بدماء متخثرة. ٥٠٣

الكتاب الحادى والعشرون



ترجمة أحمد عتمان

وعندما أتوا إلى مقدمة النهر، ذى الانسياب الرائع كسانثوس
ذى الدوامات ابن زيوس الخالد، شطر أخيليوس حشودهم إلى
شطرين. الشطر الأول واصل السير إلى السهل فى اتجاه المدينة،
وهو الطريق نفسه الذى سار عليه بالأمس الآخيون
فارين مشتتين حيث طاردهم هيكتور المجيد، حين غضب ولم ٥
يقف فى طريقه أحد. هناك تدفقوا مدحورين
مرعوبين، ووضعت هيرا فى طريقهم ضبابًا كثيفًا لكى
تعوقهم. أما شطرهم الثانى فقد طردوا متكدسين إلى
النهر العميق المجرى بدواماته الفضية. لقد سقطوا وهم
يولولون فى صراخ مدو، ورددت المياه المتدفقة الأصداء
بزئيرها وتجاوبت الشطآن مع هذه الأصداء. ١٠
وفى فوضى صرخوا وسعوا للسباحة هنا وهناك وسط
دوامات تلف بهم فى كل اتجاه. ومثلما يحدث عندما
تأتى النيران المندلعة على أسراب الجراد، فتهرع
طائرة إلى النهر، هكذا اندلعت النيران فجأة وأحرقت
كل شيء فألقوا بأنفسهم من الخوف فى النهر. وأمام أخيليوس ١٥
كان مجرى النهر كسانثوس يئن بالدوامات ويكتظ بالخيول
والرجال المرتبكين.

وترك سليل زيوس سهمه على ضفة النهر مستندًا على شجيرة
الطرفاء، وقفز هو نفسه فى النهر وكأنه إله فى قوته، ممتشقًا سيفه،
يضمر عزمًا مؤكدًا على أمر ما. فكان يضرب يمينًا ويسارًا، وفى كل
مرة تصعد عاليًا صرخات القتلى بسيفه. ٢٠

وتخضبت المياه بلون الدم الأحمر. وفرت الأسماك الأخرى
أما الدولفين الوحشى، فملأت الخلجان الصغيرة فى ميناء آمن
حيث لجأت إليها فى ذعر، إذ التهم بنهم أية سمكة تقع

فى قبضته. هكذا فى طول النهر الرهيب تكدس
الطرواديون مذعورين أسفل الضفاف الصخرية شديدة الانحدار. ٢٥

فلما تعبت يداه من كثرة القتل، اختار اثنى عشر شابًا
نبيلاً، والتقطهم من النهر ليكونوا فدية لباتروكلوس بن مينويتيوس.
قادهم إلى البر مذعورين كأنهم ظباء صغيرة، فربط أيديهم
من خلفهم بسيور جلدية جميلة كانوا يشدون بها ستراتهم ذات الطيات. ٣٠
وسلمهم لأتباعه ليقودوهم إلى السفن المجوفة، بينما واصل
هو القتال وكله ظمأ للقتل.

عندئذٍ صادف ابن برياموس الداردانى وهو يهرب من النهر. ٣٥
إنه ليكاؤن الذى كان هو نفسه ذات مرة قد أسره وأحضره
رغم أنفه من حديقة أبيه فى هجوم ليلى. إذ كان
يقطع ببلطة حادة الأغصان الصغيرة من جذع شجرة
تين، ليستخدمها فى إطار العربة الحربية. ولكن الحظ العاثر
غير المتوقع قد حط عليه فى هيئة أخيليوس الإلهى. ٤٠
حينئذ أخذه فى السفن إلى ليمنوس(*) الآهلة بالسكان
وعرضه للبيع فاشتراه ابن ياسون ودفع ثمنه(**). ولكن
ضيفًا صديقًا لأبيه، إئيتيون من إمبروس افتداه بمبلغ
كبير وأرسله إلى أريسبى(***) الإلهية، ومن هناك هرب
سرًا وجاء إلى بيت أبيه. هكذا جاء من ليمنوس ومنذ ٤٥
أحد عشر يومًا يمرح مع أصدقائه. وفى اليوم الثانى عشر
أوقعه الإله مرة أخرى فى أيدى أخيليوس. فقد كان
مقدرًا أن يبعث به دون إرادته إلى مقر هاديس. بمجرد

(*) توصف ليمنوس فى الكتاب الرابع والعشرين بيت ٧٥٣ على أنها جزيرة غير مضيافة. وتظهر هذه الجزيرة فى مسرحية سوفوكليس "فيلوكتيتيس"على أنها جزيرة مهجورة تمامًا ويعيش فيها البطل وحيدًا. (المحرر)

(**) ابن ياسون هو إيونيوس Euneos أما الثمن فهو كأس فضى كما نعلم من الكتاب الثالث والعشرين بيت ٧٤٦. (المحرر)

(***) مدينة على بحر مرمرة (هيلليسبوتطوس) ووردت فى الكتاب الثانى ٨٣٦، ٨٣٨. (المحرر)

أن رآه أخيليوس الإلهى سريع القدمين دون سلاح ولا حتى
خوذة أو درع. ٥٠
ولم يكن حتى السهم فى يده، لأنه ألقى كل أسلحته على الأرض
(لأنه عندما أسرع من النهر كان العرق يرهقه وكان يسعى
للهروب من النهر وأنهك التعب ركبتيه من تحته) عندئذ تحرك
أخيليوس فى قوة وتحدث إلى روحه المتسامية!

"أحق ما تراه عيناى، هذه الأعجوبة الكبيرة! هل حقًا سينهض
من جديد الطرواديون الشجعان من الظلمات المدلهمة
بعد أن قتلتهم، مثلما أرى هنا هذا الرجل الذى عاد هربًا من يوم الدمار ٥٥
وقد بيع فى ليمنوس المقدسة. لم تمنعه أعماق البحر الهائج التى
تمنع الكثيرين رغمًا عن إرادتهم. لقد جاء، فدعه يذوق سن رمحى
لأرى بقلبى وأتأكد ما إذا كان سيعود هو أيضًا من عالم الموتى،
أو ما إذا كانت الأرض واهبة الحياة ستحتفظ به، فهى تحتفظ بالقوى". ٦٠

هكذا كان يفكر وتوقف، ولكن ليكاؤن اقترب منه فى تردد،
إذ كانت به رغبة للتعلق بركبتيه فهو يتوق من كل قلبه أن يهرب
من الموت والمصير الأسود. وشهر أخيليوس الإلهى رمحه
متلهفًا على ضربه، ولكن الأخير جرى وانحنى بسرعة وتعلق ٦٥
بركبتيه ورأى الرمح وهو يمر من فوق ظهره لينغرس فى
الأرض منتصبًا، مع أن الرمح نفسه كان يطمع فى اختراق
لحم البشر. وبيد أمسك ليكاؤن بركبتيه متوسلاً، وباليد الثانية
أمسك الرمح المسنون ولم يكن ليتركه، وعندئذ رفع صوته
مخاطبًا أخيليوس بكلمات مجنحة: ٧٠

"أتوسل إليك يا أخيليوس أن تنظر إلىَّ بعين الشفقة.
فأنا، يا ربيب زيوس، متضرع مقدس، لأننى على مائدتك
أكلت من حبوب ديميتر يوم أخذتنى فى المرة الأولى أسيرًا ٧٥

في الحديقة المنسقة تنسيقًا جميلاً. وقدتني
بعيدًا عن أبي وأصدقائي، وبعتني في جزيرة ليمنوس المقدسة،
وقدمت لك فديتي مائة ثور. والآن أفتدي نفسي للمرة الثالثة. ٨٠
وحيث إن هذا هو اليوم الثاني عشر لمجيئي إلى إليون بعد كل
هذه المعاناة، فإن قدرًا قاسيًا قد أوقعني اليوم في يديك من
جديد. من المؤكد أنني إنسان كريه لدى الأب زيوس الذي
سلمني لك مرة أخرى. لعمر قصير ولدتني أمي لاؤثوي بنت ٨٥
ألتيس المسن، الذي يحكم الليليجيين محبي الحرب في بيداسوس عالية
البنيان بجوار نهر ساتنيوئيس. تزوج برياموس ابنته، بين أخريات،
وأنجب منها ولدين ستقتل ثانيهما كما قتلت الأول أنت بيديك.
فلقد قتلت أخي في مقدمة صفوف المحاربين، بوليدوروس الإلهي، ٩٠
عندما أصبته برمحك الحاد، والآن سينزل هذا الشر بي هنا. إذ
يبدو لي أنني لن أفلت من يديك لقد أرسلني إله ما بالقرب منك.
لكنني سأقول لك شيئًا آخر لتعيه جيدًا بقلبك، لا تقتلني وأنت
ترى أنني لست أخًا شقيقًا لهيكتور، الذي قتل صديقك
اللطيف والشجاع". ٩٥

هكذا تحدث ابن برياموس المجيد متوسلاً لأخيليوس بعمق،
ولكن الكلمة التي وقعت على أذنيه كانت قاسية:
"يا لك من أحمق! لا تقدم لي فدية ولا كلمة توسل.
إلى أن لقي باتروكلوس يوم مصيره، حتى ذلك الحين
كان يسرني أن أبقي على حياة الطرواديين ١٠٠
لآخذ كثرتهم أحياءً وأبيعهم فيما وراء البحر، أما الآن فلن
يفلت أحد منهم من الموت، فكل من تضعه الآلهة في يدي
أمام إليون لن يفلت من الموت، كل الطرواديين بلا استثناء، ١٠٥
وأبناء برياموس بصفة خاصة. نعم ياصديقي! لتمت كما مات
آخر. ولم تبكي هكذا عبثًا؟ لقد مات أيضًا باتروكلوس وهو

أفضل منك بكثير. ألا ترى من أى نوع من البشر أنا،
ألا ترى أننى طيب وقوى؟ ألم أكن من نسل والد نبيل؟ وأمى ألم ١١٠
تكن إلهة؟ ومن المؤكد أن الموت والقدر الطاغى ينتظرانى
ويد لا أعرفها سوف تنهى حياتى، عندما تنشب المعركة، بسهم أو
برمح ينطلق من قوس، صبحًا أو مساءً، أو فى منتصف النهار"

١١٥ هكذا قال، فسقطتا على الفور ركبتا ليكاؤون وذاب قلبه العزيز.
سقط الرمح من يده وجثم رافعًا يديه فى استسلام تام. عندئذٍ
استل أخيليوس سيفه البتار وطعنه فى الرقبة بجوار الترقوة،
وغاص السيف بنصليه الحادين إلى الأعماق.
فتمدد على الأرض وتفجر الدم الأسود فيضًا يبلل الأرض. ١٢٠
وأمسك أخيليوس به من القدم وألقى به إلى النهر
ليجرفه التيار ووقف مباهيًا، ويصيح بكلمات مجنحة:

"ارقد هنا الآن مع رفاقك الأسماك، التى ستلعق الدم
من جرحك دونما اكتراث بمصيرك. فلن تضعك أمك
على سريرك لتبكيك، ولكنه سكامندروس بدواماته الجارفة
سيقذف بك إلى أحضان البحر الواسع. ١٢٥
أسماك كثيرة، وهى تسبح بين الأمواج، ستقفز تحت التيار
الأسود لتتغذى على دهن ليكاؤن الأبيض. لتهلك أنت ونوعك بأكمله
حتى نصل إلى مدينة إليون المقدسة، أنتم تفرون أمامى وأنا
خلفكم أعمل القتل فيكم! لن ينفعكم النهر ذو الانسياب الجميل
بدواماته الفضية مع أنكم قدمتم له قرابين التكريم، ١٣٠
ثيران كثيرة منذ زمن طويل، وألقيتم فى
دواماته خيولاً حية من ذوات الحافر الواحد. مع كل
ذلك ستهلكون وستلقون أسوأ مصير حتى تكفِّروا جميعًا عن
مقتل باتروكلوس، والدمار الذى لحق بالآخيين الذين

قتلتموهم عند السفن المجوفة، عندما ابتعدت أنا عن القتال" ١٣٥

هكذا قال فاشتعل غضب إله النهر ضده، وأخذ يتدبر فى
قلبه كيف يوقف أخيليوس الإلهى عن عمله الدموى، وكيف
يصد الخراب عن الطرواديين. وفى الوقت نفسه انقض ابن بيليوس –
ممسكًا رمحه طويل الظل – على أستيروبايوس بن بيلاجون ١٤٠
برغبة جامحة فى قتله. إنه ابن أكسيوس النهر واسع الفيضان
من بيريبويا أكبر بنات أكيسامينوس التى تزوجها وخالطها
النهر عميق الدوامات. اندفع أخيليوس على عدوه (أستيروبايوس)
الذى خرج من النهر لمواجهته وصمد أمامه ١٤٥
ممسكًا بزوج من الرماح، ووضع كسانثوس الشجاعة فى قلبه.
إذ كان الغيظ قد استبد به، لأن أخيليوس قتل من قتل من
المحاربين فى مجراه ودون رحمة. وعندما اقترب كل منهما
من الآخر كان أخيليوس الإلهى سريع القدمين البادىء بالحديث: ١٥٠

"من أنت بين البشر؟ ومن أى مكان يامن تجرؤ على مواجهتى؟
يالهم من تعساء الآباء، الذين يواجه أبناؤهم قوتى"

فأجابه عندئذ ابن بيلاجون المجيد:

"يا عظيم الروح أى ابن بيليوس! لماذا تسأل عن سلالتى؟
فأنا من بايونيا الخصبة، أتيت هذه الأرض البعيدة قائدًا البايونيين ١٥٥
ذوى الرماح الطويلة. وهذا هو اليوم الحادى عشر منذ مجيئى
إلى إليون. يمتد نسبى إلى أكسيوس واسع الفيضان، أكسيوس
الذى تنساب منه أعذب المياه على وجه الأرض. فهو والد
بيلاجون المشهور برمحه وهو – كما يقول الناس – الذى
أنجبنى، ولذا فدعنا الآن نتقاتل يا أخيليوس المجيد" ١٦٠

هكذا قال مهددًا، وشهر أخيليوس الإلهى رمحه المصنوع من
الدردار فوق بيليون. ولكن البطل أستيروبايوس قذف رمحيه الاثنين

دفعة واحدة، لأنه كان ذا ذراعين. برمح ضرب الدرع،
ولكنه لم ينفذ لأن الذهب – هدية الإله – أوقفه. ١٦٥
وبالرمح الثانى لامس وخدش الجزء الأمامى من ذراع أخيليوس
اليمنى، فانبثق الدم الأسود. ولكن الرمح مرق من فوق
جسده وانتصب منغرسًا فى الأرض، رغم تلهفه على
اللحم البشرى. بعد ذلك رمى أخيليوس رمحه الدردارى الطائر
على أستيروبايوس متلهفًا لقتله. ١٧٠
فأخطأ الرمح الرجل، وأصاب ضفة النهر العالية، واستقر هناك
رمحًا درداريًا يغطى نصف مساحة الضفة. عندئذ استل ابن
بيليوس السيف البتار من جنب فخذه وانقض على غريمه
فى غضب جنونى. ولم يتمكن الآخر بيده الضخمة
من سحب رمح أخيليوس الدردارى من باطن الضفة. ١٧٥
ثلاث مرات جعل الرمح يهتز ملهوفًا على سحبه، وثلاث
مرات تخلى عن المحاولات الفاشلة. وفى المرة الرابعة
عقد العزم على ثنى رمح سليل أياكوس الدردارى حتى
ينكسر. ولكن أخيليوس حال بينه وبين مسعاه بأن قضى
على حياته بالسيف. ١٨٠
لقد طعنه فى البطن بجوار السرة، فخرجت أحشاؤه، وغطت
الظلمة عينيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ قفز أخيليوس
على صدره ونزع عنه سلاحه وصاح عاليًا مباهيًا:

"ارقد هنا! حقًا إنه لمن العسير عليك رغم أنك من
نسل إله النهر، أن تصارع سلالة ابن كرونوس القدير. ١٨٥
لطالما تباهيت أنك ابن نهر غامر الفيضان، ولكننى أزعم
أن نسبى يعود إلى زيوس القدير. أبى الذى أنجبنى ملك على
الميرميدونيين كثيرى العدد، إنه بيليوس بن أياكوس الذى
أنجبه زيوس. ولذا فحيث إن زيوس أقوى من كل الأنهار ١٩٠

التى تنساب إلى البحر، فإن نسل زيوس أقوى من أى
ابن لأى نهر. أنظر! إنك تملك بيدك نهرًا عظيمًا، فهل
أفادك بشىء؟ فمن المحال محاربة ابن كرونوس زيوس،
إذ لا يضارعه حتى الملك أخيليوس، ولا أوكيانوس نفسه
هائل القوة عميق الانسياب ١٩٥
الذى منه تنبع كل الأنهار وكل البحار والينابيع والآبار
العميقة. ومع ذلك فهو يخشى صاعقة زيوس الجبار
والرعد المرعب عندما ينزل مدويًا من السماء".

قال ذلك ثم سحب الرمح البرونزى من الضفة، ولكنه ٢٠٠
ترك الرجل الميت بلا حياة يرقد على الرمال وقد بللته
المياه السوداء، وحوله التفت الإنكليس والأسماك الأخرى
تلتقط وتقتطع الدهن حول كليتيه. ومضى أخيليوس فى
طريقه نحو البايونيين ٢٠٥
سادة العربات الحربية، الذين كانوا قد تشتتوا فارين
بحذاء النهر الجارف عندما شاهدوا مصرع بطلهم فى القتال
الضارى وسقوطه بيد ابن بيليوس وسيفه. وهناك
قتل ثيرسيلوخوس وميدون وأستيبيلوس ومنيسوس
وفراسيوس وآينيوس وأوفيليستيس. ٢١٠
وكان أخيليوس السريع سيقتل المزيد من البايونيين، لو لم
يستشط إله النهر عميق الدوامات غضبًا ويتخذ هيئة البشر
ويصرخ صرخة مدوية خرجت من أعماق دواماته:

"لأنك يا أخيليوس، أقوى الرجال طرًا فإنك ترتكب أخطاء
أكثر من أى شخص آخر. إذ يساعدك الآلهة دومًا بأنفسهم. ٢١٥
فإذا كان ابن كرونوس قد سمح لك أن تقتل كل الطرواديين
فلا أقل من أن تطردهم خارج مجراى، وترتكب فعلتك

الشنيعة فى الوادى. انظر لقد اكتظ مجراى الجميل بجثث
الرجال، ولم يعد بمقدورى البتة أن أصب مياهى فى البحر الناصع.
لقد اختنقت بالموتى وأنت لا تكف عن القتل دون هوادة. امض الآن! ٢٢٠
وليحدث ما يحدث. فالرعب يتملكنى يا قائد الحشود".

عندئذ أجابه أخيليوس سريع القدمين فقال:
"لك ما تطلب سكاماندروس، يا من يغذيك زيوس،
إلا أننى لن أتوقف عن قتل الطرواديين المتكبرين، ٢٢٥
حتى أحبسهم داخل المدينة، وألاقى هيكتور وجهًا لوجه
لنحسم الموقف سواء هزمنى أو هزمته".
قال هذا وانقض على الطرواديين كأنه إله. وتحدث إله النهر
عميق الدوامات إلى أبوللون قائلاً: ٢٣٠

"عجبًا! يا ابن زيوس ياسيد القوس الفضى! فأنت لم تنفذ
أمر ابن كرونوس الذى أمرك بصرامة أن تقف إلى جانب الطرواديين
وتساعدهم، حتى يأفل النجم متأخرًا ويعم الظلام الأرض السوداء"
هكذا قال وقفز أخيليوس الشهير برمحه من الضفة
إلى قلب النهر. ولكن النهر اندفع نحوه بمد فيضانى واستنفر
كل مجراه للهيجان، فجرف كل جثث الموتى التى سدت مجراه، ٢٣٥
وهم قتلى أخيليوس، فقذف بها إلى البر وهو يخور مثلما
يخور الثور. واحتفظ بالأحياء فى طيات مجراه الذى صار
الانسياب فيه آمنًا، وخبأهم تحت دواماته العميقة والعريضة. وفى
المقابل أهاج الموجة الثائرة فتعالت حول أخيليوس
وشرع التيار الجارف يضربه ٢٤٠
على درعه ويدفعه إلى الخلف، فلم يعد قادرًا على الوقوف
على قدميه فى وجه هذا التيار. وأمسك بيديه شجرة
دردار ضخمة البنيان وعالية الارتفاع، اجتثها من

جذورها فشقت كل الضفة وسدت مجرى النهر الجميل ٢٤٥
بفروعها المغصنة، وسدت النهر نفسه حيث إنها
وقعت تمامًا فى مياهه. وقفز أخيليوس من عمق
الدوامة وأسرع على قدميه إلى الوادى مذعورًا، ولكن
النهر القوى لم يتوقف بل ثار ضده بموجته ذات
الذؤابة السوداء حتى يوقف أخيليوس الإلهى عن
أفعاله، ولكى يصد الخراب عن الطرواديين. ٢٥٠

وركض ابن بيليوس مثل رمية رمح تنقض انقضاض
النسر الأسود، ذلك الطير الجارح الأقوى والأسرع
بين جوارح الطير. هكذا مثله انقض فى فراره ورنَّ
البرونز على صدره رنينًا مرعبًا. فر أمام النهر
خائفًا، والنهر من ورائه يفيض ويطارده ويزأر زئيرًا مدويًّا. ٢٥٥
كما يحدث عندما يقود رجل انسياب الماء من ينبوع معتم،
فينساب الماء جاريًا بين مزروعاته وحدائقه، المعول
فى يديه وبه يزيل الحواجز من المجرى، ويجرف التيار
فى سريانه كل الأحجار الصغيرة التى تعترضه، ٢٦٠
وينزلق الماء سريعًا محدثًا دمدمة عبر منحدر فيسبق الرجل
الذى يمهد له الطريق. هكذا كان فيضان النهر يسابق أخيليوس رغم
سرعة قدميه، لأن الآلهة أقوى من البشر. وكلما حاول أخيليوس
الإلهى سريع القدمين أن يقف على قدميه فى وجه الفيضان ٢٦٥
ليرى ما إذا كان كل الخالدين ساكنى السماء الواسعة قد
تجمعوا ليسوقوه فى اندحاره، على أكتافه ضربه فيضان النهر
الذى تغذيه السماء، وهو يتمنى لو استطاع
أن يقفز إلى أعلى بقدميه بعد أن أنهكت روحه. وواصل
النهر إرهاق ركبتيه بمزيد من التيار ٢٧٠
الجارف، فمن تحت قدميه كان يسحب الأرض. عندئذ

أطلق ابن بيليوس صرخة مريرة وهو ينظر إلى السماء العريضة:

"أى زيوس الأب! كيف لا يتعهدنى فى هذا
المأزق المؤسف أحد من الآلهة وينقذنى من النهر؟
وليحدث لى ما يحدث فيما بعد. ٢٧٥
إننى لا ألوم أحدًا من الآلهة كثيرًا، بل أمى العزيزة فقط، فهى
التى خدعتنى بكلمات كاذبة، وقالت إننى تحت سور الطرواديين
المدججين بالسلاح سأهلك بقذائف أبوللون السريعة.
ليت هيكتور أفضل الرجال هنا قد قتلنى، عندئذ
لكان القاتل رجلاً شجاعًا ولكان المقتول أيضًا رجلاً شجاعًا. ٢٨٠
أما الآن فقد قدر لى أن أموت ميتة بائسة، فيغمرنى
نهر قوى، مثل ابن مربى الخنازير الذى جرفه التيار
عندما حاول أن يعبر النهر ذات شتاء".

هكذا قال وعلى الفور اقترب بوسيدون وأثينة ووقفا
بجواره، وقد اتخذا هيئة البشر. أمسكا يده بأيديهما ٢٨٥
وطمأناه بالكلمات. وكان بوسيدون مزلزل الأرض البادىء بالحديث:

"يا ابن بيليوس! لا ترتعد هكذا أكثر من اللازم، ولا تخف
بعد الآن، فنحن الاثنين من بين الآلهة جئنا لنجدتك
وبموافقة من زيوس، أنا (بوسيدون) وباللاس أثينة! ٢٩٠
ليس مقدرًا عليك أن يغمرك نهر، فسرعان ما سيتهادن،
وستعرف ذلك بنفسك. ولكننا ننصحك نصيحة حكيمة، إذا كان لك
أن تسمح نصحنا، لا تغل يديك عن المعركة الفاصلة حتى تحبس
الحشد الطروادى وكل من يهرب منهم داخل أسوار ٢٩٥
إليوس الشهيرة. أما بالنسبة لك أنت نفسك، فبمجرد
أن تقتل هيكتور عد إلى السفن. انظر لقد منحناك أن تكسب المجد"

وعندما أنهى هكذا الإلهان حديثهما غادرا المكان

إلى بقية الآلهة الخالدين. أما هو فقد اتجه إلى الوادى
لأن حديث الآلهة له قد ملأه تمامًا بقوة العزم.
وكان الوادى عن آخره قد ملىء بفيضان المياه، ٣٠٠
وكانت تسبح فيه الكثير من قطع السلاح والجثث،
جثث الشبان الذين قتلوا فى المعركة، ولكنه قفز
عاليًا مندفعًا إلى الأمام ليصد الفيضان ولم يستطع
النهر غزير المد أن يوقفه، لأن أثينة وضعت فيه قوة
عظيمة. وكان على سكاماندروس أن يهدىء من جنونه ٣٠٥
ولكنه إزداد غضبًا على ابن بيليوس، وازداد مد فيضانه
ارتفاعًا إلى الذروة وبصيحة مدوية نادى سيموئيس:

"أخى العزيز، دعنا معًا نوقف قوة هذا الرجل، الأمر
يحتاج إلى قوتنا نحن الاثنين، فهو على وشك أن
يدمر مدينة الملك برياموس العظيمة، فالطرواديون لن
يصمدوا أمامه فى المعركة. ٣١٠
نعم فلتحمل لى أنت المدد سريعًا، املأ مجاريك بالمياه
من ينابيعك واستنفر كل تياراتك، حرك موجة عالية،
ولتستثر حشدًا قويًا من جذوع الأشجار والحجارة،
عسى أن نتمكن من كبح جماح هذا الرجل الوحشى،
الذى يسود الآن ويزمع تحدى حتى الآلهة، ٣١٥
وأحسب أن قوته لن تفيده بشىء، لا ولا وسامته، ولا
حتى سلاحه العتيد الذى فيما أحسب سيقع فى عمق الوحل.
وهو نفسه سأقذفه برمالى وأكدسُ
فوقه أكداسًا من الحصى لا حدود لها، ولن يعرف
الآخيون أين يجدون عظامه، حيث سأدفنه فى عمق الأعماق. ٣٢٠
هناك سيكون قبره المقرر له. ولن تكون هناك حاجة
لبناء كومة عندما يرغب الآخيون فى دفنه".

هكذا قال واندفع ثائرًا على أخيليوس عاصفًا بأمواجه
إلى أعلى وهو يرغى بالزبد والدم ٣٢٥
وجثث الموتى. وارتفع مد الفيضان الأسود للنهر الذى
تغذيه السماء، حتى كاد يغمر ابن بيليوس. فصرخت
هيرا عاليًا وقد تملكها الخوف على أخيليوس، خشية
أن يكتسحه النهر العظيم بدواماته العميقة. وخاطبت على
وجه السرعة ابنها العزيز هيفايستوس قائلة:

"انهض يا أعرج القدم! انهض يابنى! ٣٣٠
لقد حسبنا أن كسانثوس الفياض هو ندك فى المعركة.
مد لنا يد العون على وجه السرعة، وأشعل لهيبًا لا
ينطفئ، وسأسرع أنا وأثير من البحر عاصفة وحشية للرياح
الغربية (زيفيروس) ورياح الجنوب (نوتوس) اللامع لتأتى
على موتى الطرواديين وسلاحهم، فهى عاصفة تجلب معها نارًا ٣٣٥
مدمرة. واعمل أنت على ضفتى كسانثوس، فأحرق أشجاره، وأشعل
النار فى النهر نفسه، ولا تدعه يجعلك تتراجع سواء بحلو
الكلام أو بالتهديدات. ولا تتوقف عن جنونك إلا عندما
أناديك أنا بصوت عال عندئذٍ لتوقف نيرانك التى لا تكل" ٣٤٠

هكذا قالت وأعد هيفايستوس نارًا عجيبة الاندلاع.
فى البداية أشعلت النيران فى الوادى فأحرقت الموتى
كثيرى العدد، الذين اكتظ بهم الوادى بعد أن
قتلهم أخيليوس. فجف الوادى كله تمامًا وغيض الماء الناصع. ٣٤٥
وكما يحدث فى موسم الحصاد عندما تجفف الرياح الشمالية (بورياس)
مرة أخرى حديقة مروية بمياه عذبة فيتملك السرور زارعها.

هكذا جف الوادى كله وتم حرق جثث
الموتى تمامًا. وعندئذ تحول (هيفايستوس) بلهبه المشتعل

ضد النهر، فأحرقت أشجار الدردار والصفصاف والطرفاء، ٣٥٠
واحترقت شجيرات اللوتس والسمار والسعد التى تنمو بوفرة
على ضفاف النهر ذى المجرى الجميل. أما أسماك
الإنكليس والأسماك الأخرى فقد اشتد عذابها فى الدوامات،
وراحت تغوص هنا وهناك فى المجرى الجميل
وقد آلمها هبوب عاصفة هيفايستوس كثير الدهاء.
واحترق النهر القوى نفسه وتحدث مخاطبًا الإله: ٣٥٥

"أى هيفايستوس! لا يستطيع أحد من الآلهة أن يتحداك،
وبدورى لن أحاربك، وقد اشتعلت لهبًا كما هو
حالك الآن. فلتتوقف أنت عن الصراع، ودع أخيليوس
الإلهى يطرد على الفور الطرواديين من مدينتهم،
ما شأنى أنا بالصراع والإسهام فيه بالعون؟" ٣٦٠

هكذا تحدث وهو يحترق باللهب، ويفور مجراه الجميل
بالغليان. ومثلما يحدث فى مرجل يغلى من الداخل،
حين تسلط عليه شعلة وحشية، بينما يذيب شحم خنزير سمين
فيغلى فى كل جزء منه، وتوضع تحته حزم الحطب الجاف،
هكذا كان النهر يحترق بمجراه الجميل فى النار، ٣٦٥
وكانت مياهه تغلى، وعزم على ألا تنساب مياهه مرة أخرى،
بل اضطر للتوقف. لأن هبوب عاصفة هيفايستوس حكيم القلب
أنهكته. عندئذٍ خاطب هيرا بكلمات مجنحة وفى تضرع ملهوف:

"أى هيرا لماذا يهاجم ابنك مجراى ليرهقه دون غيره؟
فأنا أقل من أخطأ بين أولئك الذين ساعدوا الطرواديين،
وسأتوقف إذا كان هذا ما تأمرين به، ٣٧٠
لكن دعيه هو أيضًا يتوقف. وأكثر من ذلك سألزم نفسى
بهذا القسم: لن أدافع عن الطرواديين يوم الدمار، حتى

عندما تحترق طروادة عن آخرها بالنار المهلكة التى يشعلها
أبناء الآخيين محبى القتال". ٣٧٥

وعندما سمعت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض هذا على
الفور تحدثت إلى ابنها العزيز هيفايستوس:

"هيفايستوس ابنى المجيد! توقف، ليس من اللائق أن تضرب
هكذا إلهًا خالدًا من أجل البشر الفانين"

وعندما تم كبح جماح شعلات هيفايستوس المندلعة، وعاد من ٣٨٠
جديد فيضان المياه لمجرى النهر الجميل حيث تم إخماد جنون
كسانثوس، توقف الاثنان عن التصارع، لأن هيرا أوقفتهما رغم غضبها.

ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت
الانفعالات فيما بينهم فى اتجاهات شتى. ٣٨٥
اصطدموا مع بعضهم البعض فى جلبة مدوية، ارتجت
لها الأرض الفسيحة ورددت أصداءها، وتجاوبت السماء
العريضة بطنين مدوى كأنها بوق. فسمع زيوس
الجلبة حيث كان يجلس فوق الأوليمبوس، فانشرح
صدره داخله وأطلق ضحكة السرور الرنانة، لأنه
يرى الآلهة مشتبكة فى صراع. ٣٩٠
عندئذٍ لم يستمروا طويلاً متباعدين، وبدأ آريس محطم
الدروع الاشتباك، فبادر بالانقضاض على أثينة وقد امتشق رمحًا
برونزيًا فى يده ووجه لها لومًا عنيفًا:

"لماذا ياذبابة الكلاب تجعلين الآلهة مرة أخرى تصطدم
مع بعضها البعض فى صراع وحشى مثل جرأتك،
وكما تدفعك روحك المتعالية؟ ٣٩٥
ألا تذكرين عندما دفعت ديوميديس بن تيديوس ليجرحنى،
وأنت بنفسك على مرأى من الجميع أمسكت له الرمح

وجعلته يصوبه نحوى، فمزق لحمى الطيب؟ ولذا فإنك
الآن فيما أحسب ستدفعين الثمن كاملاً على كل ما ارتكبت". ٤٠٠

قال هذا وضرب على درعها ذى الحلى المعدنية، الدرع أيجيس،
الذى لا تستطيع حتى صاعقة زيوس أن تخترقه، ضربه آريس الدموى
برمحه الطويل. ارتدت الإلهة للخلف ثم أمسكت بيدها
القوية حجرًا أسود كان على أرض الوادى، خشنًا
وضخمًا، من تلك الأحجار التى كان القدامى يضعونها
حدودًا للحقول. بهذا الحجر ضربت آريس الوحشى على رقبته ٤٠٥
فحلّت أوصاله. فتمدد على الأرض مغطيًا سبعة أذرع
وتمرغت خصلات شعره فى التراب، وقعقعت أسلحته
من حوله. وأطلقت باللاس أثينة ضحكة عالية ووقفت
فوقه متباهية بكلمات مجنحة: ٤١٠

"أيها الأحمق! ليس لك بعد أن تظن نفسك أقوى منى،
حتى تجرؤ على مقارنة قوتك بقوتى على هذا النحو.
ستنفذ بالكامل لعنات أمك، التى فى غضبها سعت إلى أن تجلب
الشر عليك، لأنك هجرت الآخيين وساعدت الطرواديين المتغطرسين". ٤١٥

وعندما قالت ذلك حولت عينيها البراقتين عنه. عندئذٍ
أخذته من يده ابنة زيوس أفروديتى، وحاولت أن تبتعد به،
بينما كان يتأوه بمرارة وبالكاد استطاع أن يستعيد
وعيه. وعندما رأتها هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
على الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة: ٤٢٠

"عجبًا يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى!
لا تكلين أبدًا ولكن ها هى ذبابة الكلاب تقود آريس مهلك
البشر بعيدًا عن غمار القتال المحموم! اذهبى وراءها"

قالت هذا فانطلقت أثينة تطاردهما والسرور يغمر قلبها

واندفعت نحو أفروديتى وضربتها على صدرها بيدها
القوية، فارتخت ركبتاها وذاب قلبها ٤٢٥
حيث كانت واقفة. وسقط الاثنان على الأرض الكريمة
وتباهت أثينة عليهما بكلمات مجنحة:

"فى مثل هذا المأزق ليقع كل من يساعدون الطرواديين
ويحاربون ضد الأرجيين المدججين بالسلاح. ٤٣٠
وكل من تجرأ وتجاسر مثل أفروديتى، التى جاءت لتساعد
آريس متحدية قوتى. ولقد مر وقت طويل منذ توقفنا
عن القتال، وقد حاصرنا قلعة إليوس متينة البنيان".

هكذا تحدثت فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض،
ولكن الملك بوسيدون مزلزل الأرض تحدث مخاطبًا أبوللون: ٤٣٥

"أى فويبوس لماذا نظل بعيدين نحن الاثنين؟ فليس من
اللائق أن نظل هكذا وقد بدأ الآخرون. نعم وسيكون
أكثر خزيًا، إذا عدنا دون قتال إلى الأوليمبوس ومقر
زيوس ذى العتبات البرونزية. ابدأ فأنت الأصغر، فليس
هذا مما يتناسب معى، وقد ولدت قبلك وأعرف أكثر منك ٤٤٠
أيها الأحمق! يالك من قلب بلا حس! ألا تذكر كل المتاعب
التى تحملناها نحن الاثنين دون الآلهة فى إليوس، عندما جئنا
بأمر من زيوس لنكون فى خدمة الملك لاؤميدون طيلة
عام نظير أجر محدد. كان رئيسنا فى العمل، وأصدر إلينا أوامره. ٤٤٥
حقًا لقد بنيت للطرواديين حول مدينتهم سورًا عريضًا
وجميلاً للغاية، حتى لا يمكن أن تقتحم هذه المدينة عنوة.
وأنت يا فويبوس رعيت قطيعهم الأملس وبطىء الحركة
عبر أحراش جبل إيدا كثيف الغابات، كثير المنحنيات. ٤٥٠
ولكن فى النهاية عندما أتت المواسم السارة بختام فترة

عملنا المأجور، عندئذ خدعنا لاؤميدون الظالم
نحن الاثنين، ولم يعطنا أجرنا، وطردنا بكثير من التهديدات(*)
لقد هدد بأن يضعنا فى الأغلال وبأن يصفد أيدينا وأقدامنا،
ويحملنا إلى جزيرة بعيدة ويبيعنا عبيدًا. ٤٥٥
كان وكأنه على وشك أن يقطع أذننا نحن الاثنين
بالبرونز. ولقد عدنا من عنده بقلوب مفعمة بالأسى
والهوان، لأنه وعدنا بالأجر ولم يوف بوعده.
وأنت الآن تسدى لشعبه الجميل، ولا ترجو مثلنا
أن يهلك الطرواديون تمامًا مع صغارهم ونسائهم المحصنات" ٤٦٠

حينئذ رد عليه الملك أبوللون بعيد القذائف:
"يامزلزل الأرض، قد تعدنى بلا عقل راجح إذا حاربتك
من أجل البشر الفانين، تلك المخلوقات الجديرة بالشفقة
لأنهم كأوراق الشجر. فهم الآن مفعمون بجذوة الحياة
ويأكلون من ثمار الأرض، وبعد حين يتلاشون ويهلكون. ٤٦٥
نعم دعنا بسرعة نتوقف عن الصراع، ودعهم يتقاتلون هم بأنفسهم".

قال هذا واستدار للخلف، لأنه كان يخجل
من أن يتعامل بالضربات مع أخٍ لأبيه. ولكن
أخته أرتميس إلهة الصيد ملكة الوحوش والغابات
البرية هاجمته بكلمات مريرة: ٤٧٠

"هكذا هربت يا بعيد القذائف، واستسلمت لبوسيدون تمامًا،
وسلمته النصر والمجد بلا مقابل! يالك من أحمق!
لماذا إذن تحمل قوسًا لا قيمة له مثل قبض الريح؟
لا تدعنى بعد الآن أسمعك تتباهى كما كنت تفعل دائمًا
فى قاعات والدنا وبين الآلهة الخالدين وتقول ٤٧٥

(*) يشير هوراتيوس إلى هذه الأسطورة (Odes III 322) وكذا فرجيليوس (Iliad VII 452). (المحرر)

إنك تتوق إلى معركة مفتوحة مع بوسيدون".

هكذا قالت، ولكن أبوللون بعيد القذائف لم يرد عليها،
بيد أن زوجة زيوس الجليلة استشاطت غضبًا ووبخت
ملكة القوس بكلمات التأنيب العنيف: ٤٨٠

"كيف أيتها الكلبة تفكرين بلا حياء الآن فى الوقوف
أمامى؟ حقًا إنه من العسير عليك أن تصارعينى فى
القوة، مع أنك تملكين قوسًا حيث جعلك زيوس أسدًا
بين النساء، ومنحك القدرة على أن تقتلى من تشائين منهن.
فالأكثر أمنًا لك أن تقتلى الوحوش ٤٨٥
والغزلان البرية بين التلال، لا أن تحاربى من هم أقوى
منك. وإذا تعلمت شيئًا عن الحرب فستعرفين حق
المعرفة كيف أنى أقوى منك بكثير، بحيث لا يحق لك
أن تقيسى قوتك بقوتى". ٤٩٠

ومن ثم أمسكت بيدها اليسرى كلتا يدى الأخرى من الرسغ،
وباليمنى نزعت القوس والسهام من فوق كتفها. وبهذه
الأسلحة نفسها ضربتها حول أذنيها، وضحكت وهى
تقلب رأسها هذه الجهة وتلك، وظلت السهام
السريعة تتساقط من الجعبة. وهربت الإلهة باكية من
أمامها، وكأنها حمامة تفر طائرة أمام صقر إلى صخرة
مجوفة أو صدع فيه، فلم يكن مقدرًا لها أن تقع فريسة. ٤٩٥
لقد هربت الإلهة باكية وخلفت وراءها القوس والسهام
حيث هى فى مكانها.

ولكن تحدث الرسول أرجيفونتيس(*) إلى ليتو قائلاً:

(*) هذا لقب من ألقاب هرميس وهو مركب من كلمتين ويدل على معنى الظهور السريع ويمكن ترجمته "سريع الحضور". (المحرر)

"أى ليتو لست أنا بأى حال الذى يحاربك، فهو أمر عسير
أن يتبادل أحد الضربات مع رفيقة جامع السحب زيوس.
أى نعم، ولك بقلب مفتوح أن تتباهى بين الآلهة الخالدين
أنك بقوتك قد تغلبت علىّ". ٥٠٠

هكذا تحدث، وجمعت ليتو القوس المعقوف والسهام، حيث
كانت مبعثرة هنا وهناك فى خضم الغبار العاصف.
وعادت بعد أن أخذت قوس ابنتها وسهامها. ولكن العذراء جاءت
إلى الأوليمبوس حيث مقر زيوس ذو العتبات البرونزية ٥٠٥
وجلست تبكى على ركبتى والدها، ورداؤها الإلهى (الأمبروسى)
يهتز من حولها. فجذبها أبوها ابن كرونوس إليه وبابتسامة حلوة سألها:

"بنيتى الحبيبة من من سكان السماء أساء إليك،
كما لو كنت قد ارتكبت عملاً شريرًا أمام الجميع؟" ٥١٠

عندئذٍ ردت عليه الإلهة ذات الإكليل الجميل،
والتى تصيح بصوتها عاليًا عند الصيد، فقالت:

"أبى، إنها زوجتك هيرا ذات الذراع الأبيض، التى
أساءت معاملتى، وبسببها نشب الصراع والعراك بين الخالدين".

وفى هذا الشأن تحدث كل منهما للآخر، ولكن فويبوس أبوللون
دخل إليوس المقدسة. حيث انتابه القلق حول سور المدينة ٥١٥
ذات البنيان المتين، خشية أن يتخطى الدانائيون ماهو مقدر، فيحطمون
السور فى ذلك اليوم. أما بقية الآلهة الذين يذهبون
دومًا إلى الأوليمبوس، فإن بعضهم جاء فى حالة
غضب، والبعض الآخر فى نشوة كبيرة، وجلسوا جميعًا
إلى جوار الأب سيد السحب السوداء. ٥٢٠

ولكن أخيليوس كان لايزال يواصل قتل الطرواديين

أنفسهم، وخيولهم ذات الحافر الواحد. كما يرتفع
الدخان إلى عنان السماء العريضة من مدينة
تحترق، يسوقه غضب الآلهة فتسبب الألم للجميع،
وتطلق المتاعب على الكثيرين. هكذا كان
أخيليوس يسبب الألم والأحزان للطرواديين. ٥٢٥
وقف برياموس الأشيب فوق السور الذى بناه الآلهة،
فرأى أخيليوس العملاق يسوق أمامه الطرواديين فى
اندحار وفرار، حيث لا مدد. وبصرخة مريرة أسرع
من فوق السور ليأمر الحراس الأقوياء على الأبواب
أن يصمدوا أمام السور قائلاً:

"افتحوا الأبواب على مصاريعها بأيديكم، حتى يأتى ٥٣٠
قومنا المنسحبين إلى المدينة، ها هو أخيليوس قريب
يطاردهم. توًا سيقع أمر جلل فيما أحسب. لكن ما أن
يتجمعوا داخل السور ويتنفسوا الصعداء، ٥٣٥
غلقوا الأبواب تمامًا، فأخشى ما أخشاه أن يقفز هذا الرجل
المدمر إلى داخل السور"

هكذا قال، ففتحوا الأبواب وسحبوا المزاليق إلى الخلف. وأتاحت
الأبواب المفتوحة على مصاريعها الخلاص للفارين. ولكن أبوللون قفز
إلى الأمام ليواجه أخيليوس، ولكى يصد الدمار عن
الطرواديين. وفى تلك الأثناء ٥٤٠
كانوا يفرون إلى داخل المدينة وسورها الشاهق وقد
احترقوا عطشًا وغمرهم الغبار المثار من الوادى.
وكان أخيليوس لا يزال يضغط عليهم بسيفه، وقلبه
مفعم بغضب جنونى وبرغبة جامحة لكسب المجد.

عندئذ كان أبناء الآخيين سيستولون على طروادة ذات

البوابات العالية، لو لم يستثر فويبوس أبوللون أجينور
الإلهى بن أنتينور المحارب الجبار الذى لا نظير له. ٥٤٥
وضع الإله فى قلبه الشجاعة ووقف إلى جانبه، لكى
يحميه من براثن(*) الموت الثقيلة. استند إلى شجرة بلوط
ولفه ضباب كثيف. وعندما رمق أجينور أخيليوس
محطم المدن أخذ قلبه يقلب بعض الأفكار القاتمة،
وتحير كثيرا، وخاطب نفسه القوية قائلاً: ٥٥٠

"الويل لى! فإذا فررت أمام أخيليوس القوى إلى حيث
سيق الآخرون فى اندحارهم، فإنه سيدركنى ويذبحنى فى
جبنى. لكن ماذا لو تركت هؤلاء يسوقهم أخيليوس ٥٥٥
بن بيليوس، وبأقدامى هربت خارج السور إلى وادى
إليوس، حتى أصل إلى كهوف ومنحنيات إيدا واختبأت
فى الأحراش؟ عندئذ ربما بعد أن أستحم فى النهر
وأزيل عن جسدى العرق أعود إلى إليوس. ٥٦٠
ولكن لماذا يخاطب قلبى نفسه هكذا؟
لا تدعه يرمقنى، وأنا أهرب من المدينة إلى الوادى،
فينطلق ورائى ويدركنى بأقدامه السريعة.
عندئذ سيكون من غير الممكن تفادى الموت والأقدار،
لأنه الأقوى كثيرًا فوق كل البشر. ٥٦٥
وماذا لو خرجت لملاقاته وجهًا لوجه أمام المدينة؟ فإن
لحمه هو أيضًا، فيما أحسب، يمكن اختراقه بحد السيف
البرونزى، وله هو أيضًا حياة واحدة، والناس يقولون إنه من
البشر الفانين، بيد أن زيوس بن كرونوس يمنحه المجد". ٥٧٠

(*) ترد هذه الكلمة (cheiras) فى بيت ٥٤٨ بهذا المعنى فى طبعات كثيرة ومعناها "الأيدى". أما طبعة أوكسفورد فتفضل (keras) بمعنى "آلام"أو "أقدار"وسبب ذلك – فيما نرى – أن تشخيص الموت على أن له يدين يقبض بهما على الأرواح أمر نادر فى أشعار هوميروس.

قال هذا واستجمع قواه فى انتظار قدوم أخيليوس وقلبه تواق
للنزال والقتال، كالنمرة تخرج من الأحراش الكثيفة لتواجه
الصياد. لا يخاف قلبها ولا تهرب، حتى عندما تسمع نباح
الكلاب. فعلى الرغم من أن الرجل أمامها ويضربها
بطعنة أو برمية، بل وحتى عندما يخترقها الرمح،
لا تتوقف عن جنونها حتى تتغلب عليه أو تموت.
هكذا رفض الإلهى أجينور بن أنتينور النبيل
أن يهرب قبل أن يجرب حظه مع أخيليوس. ٥٧٥
وأمسك درعه متين الاتزان من كل جانب فى مواجهته،
وصوب رمحه نحو أخيليوس صائحًا صيحة مدوية:

"حقًا فإنك فيما أحسب يا أخيليوس المجيد تأمل اليوم
من كل قلبك أن تدمر مدينة الطرواديين الأكابر. ٥٨٥
يالك من أحمق! فالكثير من الفظائع سترتكب بسببها.
فنحن بالداخل محاربون كثيرون وأقوياء، وعلينا من
أجل آبائنا الأعزاء وزوجاتنا وأطفالنا أن نحمى
إليوس، وسوف تلاقى مصيرك المحتوم هنا رغم
أنك محارب رهيب وباسل". ٥٩٠

هكذا قال وأطلق بيده الثقيلة الرمح الحاد، فلم يخطئه وأصابه
فى قصبة الساق تحت الركبة. فأحدث درع الساق
المصنوع حديثًا من قصدير مسبوك رنينًا مدويًّا فوق
ساقه. ولكن البرونز ارتد إلى الخلف ولم يخترق إلى
الداخل، لأن هدية الإله أوقفته. ٥٩٥
وبدوره هجم ابن بيليوس على أجينور الإلهى. بيد أن
أبوللون لم يسمح له أن يكسب المجد، بل اختطف
أجينور بعيدًا وخبأه فى ضباب كثيف. أبعده عن

الحرب، وأرسله إلى حيث يشق طريقه فى سلام.
وبالحيلة احتفظ أبوللون بابن بيليوس بعيدًا عن الحشد. ٦٠٠
إذ اتخذ الإله بعيد القذائف هيئة أجينور فى كل شىء، ووقف
موقفه أمام أقدامه. فاندفع أخيليوس وراءه مطاردًا له بسرعة.
وبينما كان يلاحقه عبر الوادى المزروع قمحًا، استدار به
ناحية النهر سكاماندروس عميق الدوامات ذلك أن
أبوللون لم يسبقه إلا بأقل القليل، إذ كان يخادعه ويظهر
له أنه على وشك أن يدركه. ٦٠٥
وفى تلك الأثناء كان الطرواديون الآخرون الذين
كانوا يجرون فرارًا واندحارًا يتزاحمون بحماس
صوب المدينة. وامتلأت المدينة بحشودهم،
ولم يجرؤ أحدهم أن ينتظر الآخر خارج المدينة
وسورها، ليعرف من نجا من الموت، ومن
قتل فى المعركة. ولكنهم بسرعة ولهفة ٦١٠
تدفقوا إلى داخل المدينة، بقدر ما أسعفت كل منهم قدماه وركبتاه. ٦١١

الكتاب الثانى والعشرون



ترجمة عادل النحاس

وهكذا فإن هؤلاء الفارين إلى داخل مدينتهم كالظبـــــاء
الصغيرة كانوا يجففون عرقهم، فشربوا وأطفأوا نار الظمأ متكئين
على أسلحتهم المزخرفة، بينما كان الآخيون، من جهة أخرى،
يتدافعون سراعا صوب الأسوار، حاملين دروعهم الضخمة على
أكتافهم. أما هيكتور فقد كبله قدره المميت وأبقاه فى مكانه ٥
أمام مدينة إليوس، بالقرب من بوابة سكاياى.

عندئذ يوجه الإله أبوللون فويبوس الوضـــاء حديثـــه لابـــن
بيليوس، قائلاً:

"يا ابن بيليوس، لماذا تلاحقنى بقدميك السريعتين،
أذلك الفانى يطارد إلهًا خالدًا لا يمـــــوت؟
ألم تدرك بعد أننى إله! ولكنك لا تتوقف عن الغضب. ١٠
إنك لا تعبأ قط بمعاناة الطرواديين الذين طاردتهم وهم يفرون
أمامك، وقد حُشروا داخل المدينة؛ أما أنت فقد ملت جانبًا إلى
هنـــــا، ولن تقتلنى بالتأكيد، فلست ممن يخضعون لقدر الموت"

فأجابه أخيليوس سريع القدمين وقد اشتد غضبه، قائلا:
"لقد خدعتنى يا رامى السهام عن بعد، وأكثر الآلهة طرًا ١٥
قدرة على التدمير. لقد استدرجتنى إلى هنا بعيدًا عن الأسوار،
وإلا كان الكثيرون لايزالون ينهشون الأرض بأسنانهم، أو يحاولون
الوصول إلى مدينة إليوس. اليوم سلبتنى مجدًا عظيمًا وأنقذتهم
بسهولة تامة، فأنت لا تخشى أى انتقام مستقبلاً،
بينما كنت أنا الذى سينتقم منهم بكل تأكيد، إذا ما تملكت القوة" ٢٠

قال ذلك، وقد تملكه إحساس بزهو القوة، فتوجه صوب
المدينة، مندفعًا كالجواد الذى يجر عربة وفاز بجائزة السباق،
ويركض مسرعًا عبر الوادى فى يسر وسهولة.

بمثل تلك السرعة حرك أخيليوس قدميه وركبتيه.

وكان الشيخ الأشيب برياموس هو أول من رآه بعينيه ٢٥
منطلقا عبر الوادى، مارقا كالنجم
البازغ فى موسم الحصاد[١]، تلمع أشعته البراقة،
بين العديد من النجوم فى ظلام الليل الحالك،
يطلقون عليه"كلب أوريون".
وهو الأكثر بريقا فى السماء، ولكنه نذير شؤم، ٣٠
فهو يحمل الكثير من الآلام لأولئك البؤساء الفانين.
هكذا لمع بريق البرونز على صدر أخيليوس وهو يجرى،
وعندئذ انتاب الشيخ الأشيب نوبة بكاء شديد، وأخذ يرفع يديه عاليا
ويهوى بها على رأسه، منتحبا بشدة، ثم صاح
متوسلا إلى ابنه الحبيب، الذى كان رابضا أمام الأسوار، ٣٥
راغبًا بلهفة فى منازلة أخيليوس، فتحدث الشيخ الأشيب
على نحو يثير الإشفاق ملوحا بيديه لابنه، قائلا:

"أيها الابن الحبيب، هيكتور، لا تواجه ذلك الرجل بمفردك،
من دون الآخرين، كيلا تلقى مصيرك المحتوم
مقتولاً على يد ابن بيليوس، فهو الأكثر قوة، ٤٠
والأشد بأسا. ليته لم يكن محبوبا على هذا النحو لدى الآلهة،
مثلما الحال بالنسبة لى! فعندئذ سيكون جسده الممدد على الأرض
دون دفن طعاما للكلاب وجوارح الطير.
وبذلك تزول عن قلبى تلك الآلام المبرحة،
ذلك الرجل الذى حرمنى العديد من أبنائى البواسل،
فقد قتل البعض، وباع البعض الآخر فى الجزر النائية. ٤٥
فالآن لا أستطيع أن أرى ولدىَّ، ليكاؤن وبوليدوروس،

---

(١) تمتد فترة الحصاد منذ بزوغ النجم سايروس، أى فى نهاية شهر يوليو، حتى أفول البليايديس.

بين الطرواديين المندفعين إلى داخل المدينة،
وهما من أنجبتهما لى لاؤثوى، أميرة النساء.
فإذا كانا على قيد الحياة فى معسكر جيش العدو، فسوف
أفتديهما فيما بعد بالبرونز والذهب، ولدينا منه بالداخل الكثير، ٥٠
حيث كان الشيخ المسن ألتيس، ذائع الصيت، قد قدمه هدية
زواج ابنته. أما إذا كانا قد ماتا، وهما الآن فى منازل هاديس،
فالألم لقلبى وقلب أمهما، نحن من أنجبناهما.
وسيكون حزن بقية الحشد أقصر،
إذا نجوت أنت من الموت على يدى أخيليوس، ٥٥
نعم يا بنى، هيا وأسرع إلى داخل الأسوار لتنقذ الطرواديين
والطرواديات، ولكى لا تمنح ذلك المجد العظيم لابن بيليوس،
وحتى لاتفقد أنت نفسك حياتك الغالية، أكثر من ذلك لتشفق علىّ،
أنا التعس، أبوك سيىء الحظ، الذى لا يزال على قيد الحياة.
فهذا الأب، ابن كرونوس، سيبتلينى فى شيخوختى بمصير مؤلم، ٦٠
وبمشاهدة العديد من الكوارث: أبنائى الذين يلقون مصرعهم،
وبناتى اللآئى يُسحَبن سبايا للعبودية، حجرات نومنا الخاوية،
وأطفالنا الصغار الذين يسحقون على الأرض فى خضم
الصراع القاتل، زوجات أبنائى اللآتى يُسحَبن بأيدى الآخيين
سبايا. ثم أرانى أنا نفسى فى النهاية تجرنى تلك الكلاب المتوحشة ٦٥
أمام البوابة الأمامية، عندما تنزع روحى عن جسدى بطعنة سيف
برونزى حاد أو رمية سهم، على يد أحد أولئك الكلاب الذين قُمتُ
بتربيتهم فى القصر وإطعامهم من أطايب مائدتى، الذين كانوا
يحرسون بواباتى وسيشربون من دمى دون توقف، ثم يتمددون ٧٠
أمام عتبات بوابات القصر، ويشتعل غضبهم. فالشاب الصغير
يليق به أى مصير: أن يقتل فى القرية، وأن يخترقه البرونز الحاد
وأن يرقد عاريًا بلا دفن، نعم كل الأشياء تتناسب معه وتكرم مثواه.

أما عندما تلوث الكلاب الشعر الأشيب وتعبث فى اللحية البيضاء،
وتحط من شأن الشيخ العجوز الذى لقى حتفه فى القتال(*)، ٧٥
فإن ذلك يجعل رثاءنا أشد إيلامًا على النفس لموت أولئك التعساء"

قال الشيخ الأشيب ذلك، ثم جذب شعيرات رأسه
الأبيض بيديه فاقتلعها. ولكنه لم يستطع إقناع هيكتور
ومن ناحية أخرى، فقد أخذت أمه فى النحيب، زارفة الدمع الغزير،
وفكت طيات رداءها، ثم كشفت ثديها بيدها، ٨٠
وخاطبته باكية بكلمات مجنحة، وقالت:

"ولدى هيكتور، أظهر الاحترام لثديى هذا، ولترحم شيبتى.
فأنا لم أمنع عنك ثديى هذا لترضع ولو لمرة واحدة ليهدىء روعك.
تذكر ذلك، أيها الابن الحبيب، وقم بقتال ذلك الرجل العدوانى
من داخل الأسوار، ولا تقف فى مواجهته هناك، إنه قاسى القلب، ٨٥
لأنه إذا ما قضى عليك فلن أبكيك وأنت على فراشك،
أى صغيرى الحبيب، يامن ولدت، كما لن تبكى زوجتك التى منحتك
الكثير من هدايا الزواج، ولكن بعيدا عنا نحن الاثنتين، وبالقرب من
سفن الأرجيين حيث ستلتهمك الكلاب حادة الأنياب".

وهكذا وجه الوالدان الاثنان معا حديثهما، وهما يبكيان، إلى ٩٠
ولدهما الحبيب، مشفوعا بكثير من التوسلات. ولكنهما لم يستطيعا

(*) يقول تيرتايوس فى الشذرة رقم ٥ ما يلى:
"كم هو رائع موت رجل شجاع يقف فى الصفوف الأمامية للدفاع عن وطنه! هيا نحارب بكل شجاعة من أجل هذه الأرض. هيا نموت من أجل أطفالنا لا نبخل بالحياة، إليها أيها الشباب! إلى الحرب فى صفوف متراصة! لا تدع أى رجل فيكم يسلم اللواء ويهرب بسبب الخوف، لا تتركوا كباركم! من العار أن تروا بأعينكم محاربا مسنا يسقط فى المقدمة.
برأسه الصلعاء ولحيته البيضاء، يغطى بيده عورته التى تنزف منها الدماء بعد أن شوه الأعداء جسده. ياله من منظر كريه ومنفر!
بيد أن هذا لو وقع لشاب.. فهو أمر آخر. فطالما أنه فى ريعان الشباب الزاهى سيفوز بإعجاب الرجال، وتعشقه النساء إن نجا من المعركة، أما إذا سقط جريحا فى الصفوف الأمامية بقت ملامحه حية لا تموت، قفوا إذن ثابتين.. صامدين".
وقد أثار هذا التشابه جدلاً بين النقاد ولاسيما حول السؤال: من أخذ من الآخر راجع: أحمد عتمان، الأدب الإغريقى، ص ١٤٦ ومايليها. (المحرر)

إقناع قلب هيكتور بكل هذا. وظل ساكنا فى مكانه حتى اقترب منه
أخيليوس بجسده الضخم. ومثلما يفعل الثعبان الجبلى عندما يتربص
فى جحره بأحد الأشخاص، وقد تغذى على عشب سام وداخل جسده
غضب شديد، وينظر نظرة مخيفة، ثم يأخذ فى الدوران حول ٩٥
الجحر. هكذا كانت لهيكتور حماسة متقدة، فلم يتراجع أبدا،
بل أسند درعه اللامع على السور البارز،
وعندما تحركت مشاعره خاطب نفسه بشجاعة قائلا:

"ويحكِ يا نفسى، إذا ما تراجعتِ إلى داخل الأبواب، خلف
تلك الأسوار، فسيكون بوليداماس أول من يصب على إهانات ١٠٠
التوبيخ، إنه من كلفنى بقيادة الطرواديين داخل أسوار المدينة.
فى تلك الليلة المرعبة، عندما انقض أخيليوس الإلهى عليها،
ولكننى لم أطع أوامره، بالرغم من أنها كانت أفضل.
والآن فلأنى قد تسببت فى دمار شعبى بحماقاتى،
ينتابنى الخزى من كل الطرواديين والطرواديات بملابسهن الطويلة، ١٠٥
وقد ينطق شخص آخر، أكثر منى سوءا، قائلا:
لقد تسبب هيكتور فى دمار شعبنا، لأنه وثق كثيرا فى قوته.
إنهم فى مثل هذا الحديث سيخوضون، ولذلك فمن الأفضل لى أن
أكون فى المواجهة، فإما أن أعود مظفرا بقتل أخيليوس،
وإما أن أموت بشرف على يديه أمام أبواب المدينة. ١١٠
حتى وإن تخليت عن ذلك الدرع المزخرف بالحلى المعدنية،
أو تلك الخوذة الثقيلة، أو وضعت رمحى بجانب الأسوار، فسوف
أتقدم الصفوف بنفسى لأكون دائمًا فى مواجهة أخيليوس الذى
لا نظير له. وأعده أن هيلينى وكل المقتنيات النفيسة التى بحوزتها،
وكل تلك المقتنيات التى حملها ألكسندروس معه فى السفن المجوفة ١١٥
إلى طروادة – وهو ما كان سببا فى نشوب الحرب –
سيعاد كل ذلك لأبناء أتريوس ليحملوها معهم. وأكثر من ذلك

وبعيدًا عنه أعده بأن يتقاسم مع الآخيين قسمة متساوية كل
ممتلكات المدينة وسأكرم الطرواديين، وأجعل شيوخهم يقسمون
أنهم لن يخفوا أى شيء، بل وأن يقتسموا معهم كل شيء. ١٢٠
حتى تلك الكنوز، التى تحتفظ بها المدينة الجميلة داخلها.
ولكن لماذا حدثتنى نفسى الآن بكل تلك الأشياء؟
فقد أذهب أنا لدعوته بينما هو لا يرحمنى،
ولا يحترمنى، وربما يقتلنى، طالما ذهبت إليه مجردا من السلاح،
هكذا كإحدى النساء، بعدما تخليت عن سلاحى. ولذلك فلا وقت ١٢٥
الآن لحديث ودى معه بلا طائل، فهو سيكون حديثًا
من شجرة البلوط أو من الصخر، كحديث بين شاب وفتاة،
فالشاب والفتاة غالبا ما يتجاذبان أطراف الحديث الحلو فيما بينهما.
ولذلك فمن الأفضل أن نلتحم فى أسرع وقت ممكن،
ولنر لمن منا سيمنح سيد الأوليمبوس المجد". ١٣٠

ذلك ما كان يجول بخاطره أثناء ترقبه، ولكن سرعان
ما تقدم أخيليوس قرين إنياليوس، وأصبح على مقربة من ذلك
المحارب ذى الخوذة اللامعة، رافعا حربته المرعبة،
المصنوعة من شجر الدردار فوق بيليون، على كتفه الأيمن،
ومن حوله يلمع البرونز، مثل وهج النار المندلعة
أو مثل أشعة الشمس الساطعة. انتابت هيكتور قشعريرة، ١٣٥
وعندما أحس به أمامه، لم يحتمل البقاء فى مكانه،
بل أعطى للبوابة دبره وولى مذعورا. ولكن ابن بيليوس
اندفع نحوه مسرعا، معتمدا على قدميه السريعتين.
مثل الصقر الجبلى الأسرع من كل طائر،
ينقض فى سهولة ويسر على حمامة مذعورة. فرت أمامه، ١٤٠
فاندفع الآخر خلفها، مطلقا صرخة مدوية، حتى أصبح على
مقربة منها، مدفوعا برغبة شديدة فى الإمساك بها.

هكذا انطلق أخيليوس باندفاع جنونى. وهكذا فر هيكتور مذعورا
تحت أسوار الطرواديين وقد أطلق العنان لركبتيه السريعتين.
اندفعا مرورًا ببرج المراقبة وشجرة التين التى تعصف ١٤٥
بها الرياح، وابتعدا عن السور على طريق العربات
حتى بلغوا الينابيع، بديعة الانسياب حيث النبعان
اللذان يغذيان سكاماندروس، ذا الدوامات:
أما الأول فينساب بمياهه الدافئة، وعلى جانبيه
يتصاعد دخان كما لو كان من نار موقدة؛ ١٥٠
وأما الثانى فينساب بمياهه الباردة، كالبرد فى قيظ الحر،
أو كالثلج المتجمد، أو كقطع الثلج المتبلور فى الماء.
وهناك، أمام هذه الينابيع، توجد أحواض حجرية واسعة للغسيل،
حيث اعتادت فيما قبل زوجات الطرواديين،
وكذلك بناتهم الجميلات غسل الثياب زاهية الألوان. ١٥٥
وكان ذلك يحدث فى وقت السلم، قبل أن يصل أبناء الآخيين.
فى هذا المكان نفسه، مر كلاهما مسرعين، أحدهما يفر والآخر يكر
ملاحقًا له. فى المقدمة، يفر رجل عظيم الشأن، يلاحقه مسرعا
رجل آخر أقوى منه بكثير. ولم يكن سباقهما من أجل أضحية
أو جلد ثور، تلك الجوائز التى تقدم لأسرع الرجال فى سباقات ١٦٠
الجرى. ولكنهما كانا يتسابقان من أجل حياة هيكتور، مروض
الخيول. ومثلما تفعل الخيول المنتصرة، ذات الحافر الواحد غير
المنشطر، إذ تركض مسرعة وتدور حول العلامات، حيث تُقدَم
الجائزة الكبرى: وهى إما مرجل ثلاثى الأرجل، أو امرأة؛ تكريمًا
لموت أحد المحاربين(١). هكذا، فقد دار كلاهما حول مدينة ١٦٥
بriاموس ثلاث مرات، بأقدامهما السريعة. وكانت الآلهة جميعا

(١) وهو ما يحدث عادة فى المسابقات الرياضية الجنائزية، مثل تلك التى أقيمت تكريمًا لباتروكلوس فى الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة.

تتابع ما يحدث. وعندئذ كان أبو البشر والآلهة (زيوس)، البادىء بالحديث بينهم قائلا:

"ويحى، إنى أرى بعينى رجلا حبيبا
يُطارَدُ حول الأسوار. إن قلبى يأسف من أجل
هيكتور، الذى كان يقوم بحرق أفخاذ الثيران قربانا لى، ١٧٠
أحيانًا فوق قمة جبل إيدا، ذى الحنايا الكثيرة، وأحيانًا أخرى
فى أعالى قمة المدينة. والآن يلاحقه أخيليوس الإلهى،
بقدميه السريعتين، حول مدينة برياموس.
ولكن هيا إذن، أيتها الآلهة، أعملوا فكركم وتدبروا، وقولوا لى
ما إذا كنا سننقذه من الموت، أم أننا سنتركه يموت ١٧٥
على يدى أخيليوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم"

فأجابته الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"يا أبت، يا إله الصواعق، يارب السحب السوداء الثقال،
أتقول ذلك على رجل فان، مقدر عليه الموت منذ أمد طويل؟
أتريد أن تخلصه من مصير الموت المفجع؟ ١٨٠
فلتفعل إذن، ولكن لن يوافقك على ذلك أى منا نحن الآلهة الآخرين"

فأجابها زيوس، جامع السحب، قائلا:
"أيتها الابنة الحبيبة تريتوجينيا! فلم أكن
جادا فى حديثى، بل أرغب فى أن أكون لطيفًا بك،
افعلى ما يحلو لك ولا تترددى" ١٨٥

قال ذلك، مشجعًا أثينة، التى كانت بالفعل متحمسة من قبـــل، وهبطت مسرعة من فوق قمة الأوليمبوس.
وفى تلك الأثناء كان أخيليوس السريع مستمرا فى ملاحقة هيكتور،
مطاردا إياه بحماس. مثلما يطارد كلب ظبيًا صغيرًا فوق الجبال،
بينما يفر من وكره عبر شعاب الغابة ووديانها؛ ١٩٠

وإذا ما أفلت منه، مختبئًا تحت أيكة،
يجرى الكلب خلفه بإصرار ويقتفى أثره حتى يعثر عليه.
هكذا لم يستطع هيكتور الإفلات من ابن بيليوس سريع القدمين.
فكم من مرة اندفع (هيكتور) يعدو نحو البوابات الداردانية
بحثًا عن الملجأ فى حماية الأسوار متينة البناء، فقد يساعده رفاقه ١٩٥
من فوق الأسوار برمى السهام، ولكن غالبًا ما كان أخيليوس
يستبقه ويُعيدُه إلى الوادى ويسرع هو إلى جوار أسوار المدينة
وكما يحدث فى الحلم؛ لم يستطع الحالم اللحاق بعدوه الذى يهرب
منه. لم يستطع أحدهما أن يهرب، ولم يستطع الآخر اللحاق به ٢٠٠
وهكذا فلم يستطع (أخيليوس) أن يلحق به عدوا، ولم يفلت الآخر
(هيكتور) منه فأنى لهيكتور أن يهرب من مصيره المحتوم،
إذا لم يقف أبوللون بجانبه فى المعركة للمرة الأخيرة.
ليمنحه القوة، وليمنح ركبتيه السرعة؟

وهنا أومأ أخيليوس الإلهى برأسه لجيشه، ليحجموا عن ٢٠٥
رمى السهام والرماح الحادة على هيكتور، فربما يصيبه أحدهم
بسهامه فينال المجد، ويأتى هو فىالمرتبة الثانية.
ولكن، عندما وصلا للمرة الرابعة، إلى الينابيع،
رفع أبو الآلهة شديد البأس ميزانه الذهبى إلى أعلى،
ووضع فوقه اثنين من مصائر الموت المفجع، الأولى لأخيليوس، ٢١٠
والأخرى لهيكتور، مروض الخيول. أمسك الميزان من الوسط
ورفعه، فهبط مصير هيكتور إلى أسفل، ورحل إلى هاديس؛
عندئذ تخلى عنه الإله أبوللون فويبوس (الوضاء). مرة أخرى،
وصلت الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، إلى ابن بيليوس،
ووقفت على مقربة منه، ثم خاطبته بكلمات مجنحة، وقالت: ٢١٥
"الآن، أى أخيليوس المجيد، الحبيب إلى قلب زيوس،
سنجلب كلانا المجد العظيم للآخيين، بالقرب من السفن،

بالقضاء على هيكتور، الذى لا يشبع من القتال،
ولن يستطيع بعد الآن الإفلات منا، حتى ولو توسل أبوللون،
رامى السهام عن بُعد، إلى والده زيوس، ٢٢٠
لابس الدرع أيجيس، متذللاً. توقف أنت الآن وخذ نفسا عميقا،
أما أنا فسأذهب إليه وأقنعه بلقائك وجهًا لوجه فى المعركة"

هكذا تحدثت أثينة، واستقبل (أخيليوس) حديثها منشرح
الصدر، وتوقف متكئا على حربته
المصنوعة من خشب الدردار، بحدها البرونزى. ٢٢٥
وعندئذ تركته مسرعة لتلتقى بهيكتور الإلهى،
وقد تمثلت له فى هيئة أخيه ديفوبوس، وفى صوته غير المنهك،
ثم وقفت على مقربة منه، وخاطبته بكلمات مجنحة:

"أخى من المؤكد أن أخيليوس السريع قد أساء إليك بشدة،
وقد طاردك بقدميه السريعتين حول مدينة الملك برياموس. ٢٣٠
ولكن فلنتوقف هنا، ولنتصدى لهجمته"

وعندئذ أجابها هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلا:
"أى ديفوبوس، لقد كُنتَ قبل ذلك بالنسبة لى الأحب إلى نفسى
من بين كل إخوتى الآخرين، الذين أنجبتهم هيكابى من برياموس،
أما الآن فقد أدركت أنك ستحتل فى قلبى تكريمًا أكبر، ٢٣٥
لأنك جرؤت بعدما شاهدتنى بكلتى عينيك، أن تخرج
من خلف الأسوار من أجلى، بينما بقى الآخرون بالداخل"

فردت عليه الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"أيها الأخ الحبيب، حقا لقد رجانى أبى كثيرا وكذلك أمى
الملكة، وأيضا كل الرفاق من حولى، كلهم توسلوا بإلحاح واحدًا ٢٤٠
بعد الآخر، للبقاء معهم، وكانوا جميعا يرتعدون من شدة الخوف،
ولكن نفسى كانت تعتصر ألما من شدة الحزن.

أما الآن فلنقاتله بكل حدة. دعنا إذن لا نضن عليه بالحراب،
ولنرَ ما إذا كان أخيليوس هذا، بعد أن يقتلنا نحن الاثنين،
سيحمل الأسلاب الملطخة بالدماء منا إلى السفن المجوفة، ٢٤٥
أم أنه سيلقى حتفه بطعنة نجلاء من حربتك"

بهذه الكلمات وبهذه الحيلة قادته أثينة.
وعندما تقدم كل منهما فى مواجهة الآخر، وأصبحا متقاربين،
كان هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، البادىء بالحديث، فقال:

"يا ابن بيليوس، لن أفر بعد ذلك منك، مثلما فعلت من قبل ٢٥٠
وجريت ثلاث مرات حول المدينة الإلهية لبرياموس العظيم،
ولم أجرؤ على البقاء لمواجهتك. أما الآن فتدفعنى نفسى دفعا
للوقوف فى مواجهتك، قتلتك أم قتلت على يديك.
هيا إذن، ولنُشهِد علينا الآلهة، فإنهم أعظم
الشهود، وأفضل الحافظين على ما سنتعاهد عليه . ٢٥٥
فأنا لن أمثل بجسدك بوحشية، إذا ما منحنى زيوس
القوة على أن أنتزع روحك من جسدك.
ولكنى فقط، أى أخيليوس، سأسلب أسلحتك الشهيرة،
أما جثمانك فسوف أعيده إلى الآخيين، ولتفعل أنت الشيء نفسه".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بغضب ثم قال: ٢٦٠
"أى هيكتور، أيها البائس الملعون، إياك أن تحدثنى عن العهود؛
فكما لا يوجد صدق فى الوعود بين البشر والأسود،
وكما لا تكون للخراف والذئاب نفس الميول،
فدائما ما يضمر كل منهم للآخر الشرور،
هكذا نحن أنا وأنت، فلن يستطيع أحدنا أن يحب الآخر، ولن تكون ٢٦٥
بيننا عهود قبل أن يرتوى الإله آريس، ذلك المحارب.
العتيد، بدم من يسقط منا أولاً. فلتستجمع كل قواك القتالية،

فهذا ما تحتاجه الآن. تصرف بوصفك حامل رمح ماهر،
ومحاربًا جريئًا. حقًا ليس لك مفر بعد الآن،
فسوف تقضى عليك الإلهة باللاس أثينة ٢٧٠
فى التو برمحى هذا، كما أنك ستدفع أيضا جزاء
أحزانى على رفاقى الذين أرديتهم قتلى بحربتك العاصفة"

قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
ولكن هيكتور المجيد تفاداه بعدما رآه فى اللحظة الأخيرة.
فقد لمحه وجثا على الأرض فطار فوقه الرمح البرونزى. ٢٧٥
وارتشق فى الأرض. فانتزعته أثينة باللاس، ثم أعادته مرة
أخرى لأخيليوس، دون أن يدرك ذلك هيكتور، راعى الشعب.
وعندئذ خاطب هيكتور ابن بيليوس الذى لا نظير له، قائلا:

"لقد أخطأت الهدف، ياشبيه الآلهة، أخيليوس!
فلم يكشف لك بعد زيوس شيئًا عن مصيرى رغم زعمك ٢٨٠
أنك تعرف. ولكنك ذرب اللسان ماكر الكلام،
بهدف أن أرتعد فى مواجهتك وأنسى قوتى وبسالتى.
فاعلم أننى لن أفر من أمامك كى تغرس فى ظهرى حربتك،
بل سأتلقاها فى صدرى، بينما أندفع فى مواجهتك؛
هذا إذا أذن لك إله ما بذلك. أما الآن بدورك فلتدرأ عن نفسك ٢٨٥
حربتى البرونزية، لعلها تخترق بأكملها لحمك،
مما يجعل القتال أكثر سهولة للطرواديين،
إذا ما قتلتك؛ فأنت بالنسبة لهم كارثة كبرى"

قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل، ٢٩٠
فأصاب منتصف الدرع الكبير لابن بيليوس، ولم يخطئه،
ولكن الرمح قفز مرتدًا للخلف بعيدا عن الدرع، فاستشاط
هيكتور غضبا، لأن الرمح السريع انطلق من يده سدى،

فوقف مرتبكًا، لأنه لم يكن يحمل رمحًا ثانيًا من الدردار
ولكنه بصوت جهورى نادى على أخيه ديفوبوس ذى الدرع
الأبيض، وطلب منه رمحا طويلاً، فلم يجده إلى جواره؛ ٢٩٥
وعندئذ فطن هيكتور للأمر، وصاح قائلا:

"ويحى، لقد دعتنى الآلهة هاهنا لموتى حقا،
وكنت أعتقد أن البطل ديفوبوس يقف إلى جوارى،
بينما هو قابع داخل الأسوار. لقد خدعتنى أثينـــة،
وأصبح الموت البغيض قريبا منى الآن، وليس ببعيد؛ ٣٠٠
لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذى كان يحظى منذ وقت طويل
بقبول زيوس، وكذا ابن زيوس، رامى السهام من بعيد، اللذان كانا
يحميانى من قبل برغبة صادقة. أما الآن فقد أدركنى قدرى.
ولكن دعنى، على الأقل، لا أموت دون قتال أو كرامة،
فلأقدم على عمل عظيم، كى يتعلم منه من سيأتى من بعدى" ٣٠٥

هكذا قال، واستل سيفه البتار،
الذى كان يتدلى من خاصرته، كبيرا وقويا.
واستجمع قواه، ثم انطلق كالصقر الذى يحلق عاليا،
ثم يهبط إلى الوادى عبر السحب القاتمة،
لينقض على حمل وديع، أو أرنب برى مرتاع. ٣١٠
هكذا اندفع هيكتور، شاهرًا سيفه البتار.
كما اندفع أخيليوس أيضا نحوه، وقد امتلأ قلبه بغضب وحشى
وقد حمى صدره من الأمام بدرعه الكبير،
تلك الآية الفنية الرائعة، واهتزت فوق رأسه ذؤابة
خوذته اللامعة، ذات القرون الأربعة، ترفرف حولها خصلات ٣١٥
من شعر ذهبى بديع، كان قد وضعها هيفايستوس على جانبيها
بكثافة، كالعُرف. إنه كنجم يمرق بين النجوم فى ظلمة الليل،

إنه نجم المساء، أجمل نجم يلمع فى السماء.
وكذا لمع البريق من حد الرمح المسنون، الذى يشهره أخيليوس
بيمناه، راغبا فى إلحاق الأذى بهيكتور العظيم. ثم أخذ يتفحص ٣٢٠
جسده القوى، بحثا عن الموضع الذى قد يصاب فيه بسهولة،
ذلك الجسد الضخم، الذى يغطى بالعديد من الأسلحة البرونزية
رائعة الصنع، التى سلبها من باتروكلوس الباسل، بعد أن قتله.
فوجد ثغرة مكشوفة عند التقاء الرقبة بالكتفين أى الحنجرة،
حيث يقع أسرع طريق لموت الإنسان. هنا طعنه أخيليوس الإلهى ٣٢٥
برمحه عندما هاجمه (هيكتور) . وقد اخترق حد الرمح
الحنجرة الرقيقة حتى النهاية. بيد أن الرمح الدردارى المثقل
بالبرونز لم يكسر القصبة الهوائية تمامًا، مما يسمح
له بالإجابة والتحدث إلى عدوه.
ولكنه سقط على التراب؛ فوقف أخيليوس فوقه مختالاً وقال: ٣٣٠

"أى هيكتور، عندما كنت تجرد باتروكلوس من أسلحته
حسبت أنك ستظل آمنا ولم تكن تخشانى، لكننى كنت بعيدا،
أيها الأحمق! ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة،
تركته هناك أنا الأقدر على الانتقام، وها أنا قد هزمتك. أما أنت
فستمزق الكلاب الضالة والطيور الجارحة جسدك أسوأ تمزيق، ٣٣٥
وأما هو فسوف يقوم الآخيون بمواراة جسده التراب وتكريمه."

وهنا رد عليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة،
وقد انهارت قواه تمامًا قائلاً:

"أستحلفك بحياتك، بركبتيك، بوالديك
ألا تتركنى بالقرب من سفنكم لتنهشنى كلاب الآخيين،
ولتقبل تلك الهدايا الكثيرة من البرونز والذهب ٣٤٠
التى سيقدمها إليك والدى ووالدتى الملكة،

فقط أرجو منك أن تعيد جثمانى إلى أهل منزلى، حتى يتمكن
الطرواديون، وزوجات الطرواديين من منحى شرف حرق جثمانى"

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، شزرًا، ثم قال:

٣٤٥ "لا تستحلفنى، أيها الكلب، بركبتىَّ أو بوالدىَّ فليت غضبى
وجنونى يأمرانى بتمزيق جسدك، والتهام لحمك نيئًا، بسبب كل
ما ارتكبت ضدى فليس هناك من يدفع الكلاب عن رأسك،
حتى ولو أحضروا لى فدية لا تحصى ولا تعد، عشرة أضعاف
٣٥٠ أو عشرين ضعفًا، بل ولو تعهدوا لى بأكثر من ذلك؛
حتى ولو طلب منى برياموس بن داردانوس أن يفتديك
بمثل وزنك، أنت نفسك، ذهبا. لن تضعك أمك الملكة
على نعش الموت لتبكى عليك، أمك التى أنجبتك، فإن الكلاب
والطيور الجارحة فقط هى التى ستنهش لحمك عن آخره".

٣٥٥ فرد هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،

قائلاً:"حقا، إنك دائما كما عهدتك من قبل، وكما توقعت،
فليست لدى القدرة على إقناعك، لأن قلبك الذى بداخلك حديد. ولكن
ينبغى عليك الآن أن تُعمل فكرك، حتى لا أكون سببا فى غضب
الآلهة عليك فى ذلك اليوم الذى سيصرعك فيه باريس وأبوللون
٣٦٠ فويبوس (الوضاء) على بوابة سكاياى، برغم قوتك"

وما أن انتهى من حديثه حتى طواه الموت
وأفلتت روحه من أعضاء جسده هابطة إلى هاديس
باكية مصيرها، ومودعة للأبد الرجولة والشباب.
وبينما كان يحتضر، خاطبه أخيليوس الإلهى قائلاً:

٣٦٥ "فلتمت أنت أولا، وسأتقبل الموت بنفس راضية حينئذ،
عندما يشاء زيوس، والآلهة الآخرون الخالدون"

قال ذلك، ثم سحب رمحه البرونزى من الجثمان،
وألقاه جانبا، ثم انتزع بعد ذلك الأسلحة الملطخة بالدماء،
من فوق كتفيه. وعندئذ أقبل أبناء الآخيين مسرعين من كل
صوب، محدقين فى بنية هيكتور المتينة، وفى هيئته البديعة؛ ٣٧٠
ولم يقترب منه أحد إلا وطعنه بحربته(*).
وقد يتحدث أحدهم لجاره، بينما ينظر للجثمان، قائلاً:

"ياإلهى، حقا لقد أصبح ملمس هيكتور الآن أكثر لينا
عما كان عليه عندما أحرق لنا سفننا بالنيران المتوهجة" ٣٧٥

هكذا قد يقول قائل، ثم يقترب منه ويطعنه أيضا بحربته.
أما أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، فبعد ما جرده من أسلحته
شب واقفا بين الآخيين، ثم خاطبهم بتلك الكلمات المجنحة، قائلاً:

"أيها الأعزاء، ياقادة الأرجيين وسادتهم،
لقد شرفتنى الآلهة بقتل هذا الرجل، الذى اقترف
العديد من الشرور، يفوق كل ما فعله الآخرون مجتمعين. ٣٨٠
دعونا نجرب أسلحتنا حول المدينة، لنعرف خطط الطرواديين
وما ينوونه فهل سيرحلون عن تلك المدينة العالية
بعد أن سقط ذلك الرجل، أم أنهم يرغبون فى البقاء،
على الرغم من عدم وجود هيكتور بعد؟ ولكن لماذا تجادلنى
نفسى الغالية فى مثل تلك الأمور؟ إن باتروكلوس ٣٨٥
مازال ممددًا فى السفينة جثة هامدة، بلا نحيب، وبلا مراسم
دفن، ذلك الرجل الذى لن أنساه أبدا، لن أنساه ما بقيت
بين الأحياء، وتتحرك قدماى الغاليتان؛
وإذا كان الناس ينسون أمواتهم بعد رحيلهم إلى هاديس،

(*) كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب البدائية أن تمزيق جسد القتيل يضعف شبحه، ويدفع عن الناس أذاه وانتقامه. وظل هذا الاعتقاد سائدًا ومتبعًا فى بعض المناطق النائية حتى وقت قريب. (المحرر)

فإننى لن أنسى صديقى الحبيب وهو هناك. ٣٩٠
هلموا الآن ياشباب الآخيين، لنعد إلى سفننا المجوفة،
وننشد أناشيد النصر؛ ولنحمل معنا هذا الرجل؛ فقد أحرزنا
مجدا عظيما، وقتلنا هيكتور الإلهى، الذى كان الطرواديون
يتضرعون إليه فى كل أنحاء المدينة كما لو كان إلهًا"

قال ذلك، وأخذ يفكر فى معاملة مشينة لهيكتور الإلهى، ٣٩٥
فقام بثقب كلتا قدمى (هيكتور) من خلف العصبين، ومن الكعبين
حتى مفصل الركبتين، ثم مرر منها سيورا من جلود الأبقار،
ثم قام بربطها فى العربة الحربية، تاركا الرأس تتدلى على الأرض.
وعندئذ صعد إلى العربة؛ وبعد أن ارتدى أسلحته الشهيرة، ضرب
الجياد بالسوط حتى تتحرك، فطارت مسرعة. ولما كان (هيكتور) ٤٠٠
يتدلى على الأرض، فقد ثارت عاصفة من الغبار، وتناثرت
خصلات شعره الأسمر، بل وتمرغت الرأس بأكملها فى التراب،
تلك التى كانت غاية فى الجمال من قبل. بيد أن الإله زيوس قد
سلمها لأعدائه، حتى تساء معاملتها هكذا على أرض الوطن.

وهكذا غطى التراب الرأس بأكملها. وعندئذ أخذت أمه ٤٠٥
تمزق شعرها، وألقت بالوشاح المزركش بعيدا،
وأطلقت صرخة عويل مدوية عندما رأت ابنها.
أما والده الحبيب فأخذ يتأوه بطريقة يُرثى لها؛ ومن حولهما
ملأت حشود الشعب المدينة كلها بالبكاء والعويل.
كما لو كانت النيران قد شبت فى كل أرجاء ٤١٠
مدينة إليوس، من أعلى التل إلى أسفله، وبالكاد أمسك الكثيرون من
الشعب بالشيخ الأشيب، الذى أصابه جنون الحزن
ويسعى للانطلاق بوحشية من البوابات الداردانية.

وتمرغ فى الروث(*). وأخذ يرجو الجميع
أن يتركوه داعيا كل شخص منهم باسمه، ويقول: ٤١٥

"توقفوا، أيها الأعزاء، يامن تهتمون بأمرى، ودعونى
أخرج بمفردى من هذه المدينة حتى أصل إلى سفن الآخيين،
وأتوسل إلى ذلك الرجل، المرعب مرتكب الأفعال الشنيعة،
فربما يستحى ويحترم شيبتى ويرثى لشيخوختى؛ فوالده بيليوس
مُعمر مثلى، ذلك الذى أنجبه ورباه حتى صار وبالاً على كل ٤٢٠
الطرواديين. ولكنه اختصنى من بين الجميع بالآلام:
فقد قضى على العديد من أبنائى، وهم فى ريعان الشباب؛
ولكن من بين كل هؤلاء لم أبك بشدة مثلما بكيت على واحد منهم
فقط، ذلك الذى سيؤدى بى حزنى عليه بشدة إلى ظلمات هاديس، ٤٢٥
إنه هيكتور، ليته مات بين يدىَّ، وعندئذ كنا سنشبع بكاءً وعويلاً،
أمه تلك التى أنجبته لتعاستها، وأنا نفسى"

قال ذلك باكيا، كما كان يشاركه العديد من أبناء الشعب فى
البكاء. أما هيكابى، فقد قادت وسط الطرواديات عويلاً عنيفًا قائلة: ٤٣٠

"ولدى، أنا البائسة، كيف أعيش مع كل تلك المعاناه،
وقد فارقت الحياة. يامن كنت فخرا لى فى كل المدينة،
صباح مساء، وملاذًا آمنًا لكل الطرواديين والطرواديات
فى المدينة، أولئك الذين كانوا يبجلونك كإله.
فقد كُنتَ بالنسبة لهم فى حياتك مجدًا بالغ العظمة، ٤٣٥
أما الآن فقد غلبك الموت والقدر"

قالت ذلك وهى تبكى. أما زوجة هيكتور فلم تك تعلم شيئا،
ولم يذهب إليها أى رسول صادق ليخبرها بالحقيقة:
بأن زوجها كان لا يزال خارج أبواب المدينة.

(*) يقول بعض المعلقين إنها عادة شرقية للتعبير عن بالغ الحزن والأسى واليأس. (المحرر)

فقد كانت تنسج على نولها داخل قصرها العالى ٤٤٠
عباءة أرجوانية مزدوجة، تتناثر عليها الأزهار بألوانها المتعددة،
وقد استدعت وصيفاتها، بضفائرهن الجميلة، إلى داخل المسكن
كى يشعلن النار أسفل المرجل الكبير ثلاثى الأرجل، حتى يتوافر
لهيكتور بعد عودته من القتال حمامات دافئة. يالها من حمقاء! فهى
لم تعرف بعد أنه أصبح بعيدا جدا عن تلك الحمامات، ٤٤٥
وأن أثينة، ذات العينين البراقتين قد صرعته بيدى أخيليوس.
والآن فقط تنامى إلى أسماعها نحيب وصراخ قادم من البرج،
فارتعدت أوصالها، وسقط من يدها مكوك النسيج على الأرض،
فعادت تخاطب وصيفاتها ذوات الضفائر الجميلة قائلة:

"هيا، فلتأت اثنتان منكن معى لنر ماذا حدث؛ ٤٥٠
فصوت أم زوجى الوقور يأتى من بعيد.
إن قلبى يقفز فى صدرى حتى يكاد يبلغ الحلقوم؛ كما تصلبت
ركبتاى أسفل منى؛ فهناك كرب ما قد ألم بأبناء برياموس.
ليت هذه الكلمة تكون بعيدة عن أسماعى. ولكننى أخشى بشدة أن
يكون أخيليوس الإلهى قد قطع طريق العودة على هيكتور الشجاع، ٤٥٥
وطارده وحيدًا خارج أبواب المدينة إلى الوادى؛
وحطم الكبرياء المدمرة التى تتملكه.
فهو لا يرضى بالبقاء بين جمهرة الرجال،
ولكنه دائما ما كان يندفع بمفرده للأمام، ولا يستسلم لأحد بقوته"

قالت ذلك، ثم اندفعت مسرعة كالمجنونة خارج مسكنها، ٤٦٠
يكاد قلبها يقفز من مكانه؛ وقد تبعتها وصيفاتها.
وعندما وصلت إلى البرج، حيث يتجمع الرجال، وقفت،
ثم أخذت تنظر من فوق الأسوار بنظرة فاحصة، فلمحته
مسحوبا أمام أسوار المدينة، تجره بلا رحمة الخيول المسرعة

صوب سفن الآخيين المجوفة، فغشى عينيها ليل حالك السواد، ٤٦٥
وتراجعت للخلف قليلا، ثم خارت قواها تمامًا.
وألقت من فوق رأسها زينتها اللامعة:
الإكليل والوشاح والعصابة المجدولة والشال، الذى كانت أفروديتى
الذهبية قد أهدته إياها فى ذلك اليوم الذى قادها هيكتور، ذو ٤٧٠
الخوذة اللامعة، عروسًا من منزل أبيها إئيتيون،
وقد وهبها هدايا الزواج التى لا حصر لها.
عندئذ التف حولها، فى حشد كبير، أخوات زوجها وزوجات إخوته،
الذين أمسكوا بها، وقد بلغ بها الذهول حد الموت.
فلما استردت وعيها وعادت روحها إلى صدرها أجهشت بالبكاء، ٤٧٥
وتحدثت بين الطرواديات قائلة:

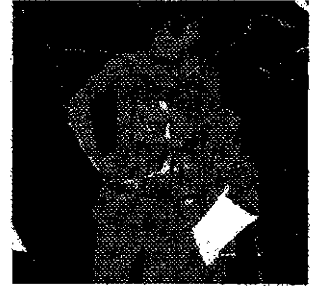
"أى هيكتور واحسرتاه، لقد ولدنا كلانا أنا وأنت بالمصير
نفسه؛ أنت فى طروادة، فى منزل برياموس،
وأنا فى ثيبى، على سفح جبل بلاكوس، بأشجاره الكثيفة.
فى منزل إئيتيون سيىء الحظ، الذى قام بتربيتى أنا ٤٨٠
الأكثر تعاسة منذ طفولتى، فليته لم ينجبنى.
أما الآن فسوف تذهب وحدك إلى مقر هاديس فى أعماق
الأرض، وسوف تتركنى هنا فى حزن مميت،
أرملة فى قاعاتنا؛ ومازال ولدنا طفلاً.
ذلك الذى أنجبناه أنا وأنت، سيئا الحظ؛ فلن تكون له ٤٨٥
بعد الآن ذا نفع، أى هيكتور، طالما لقيت حتفك.
كما أنه إن أفلت من حرب الآخيين المفجعة، لن يكون لك مفيدًا.
إلا أنه سيعانى بعد ذلك من العذاب والألم،
حيث سيستولى الآخرون على حقوله.
ففى اليوم الذى سيصبح فيه يتيما سيُحرَمُ من كل رفاقه فى اللعب، ٤٩٠
وسيمشى مطأطئ الرأس، تغمر وجنتيه الدموع،

وبعد أن يصبح طفلا فقيرا سيتوجه إلى رفاق والده،
يجذب هذا من عباءته والآخر من ردائه. فإذا رق قلب
أحدهما له فسيحصل منه على أقل القليل مما فى الكأس،
ما قد يبلل به فقط شفتيه، ولا يصل إلى حلقومه. أما ذلك الفتى ٤٩٥
الذى مازال يعيش فى كنف والديه، فسوف يدفعه بعيدا عن المأدبة،
بعد أن يضربه بيديه، ويوبخه بكلماته اللاذعة، قائلا:
أغرب بعيدا عن هذا المكان، فإن والدك لا يشاركنا الطعام.
فيرتد الطفل على عقبيه إلى أمه الأرملة باكيا،
إنه أستيأناكس[٢] ذلك الذى كان يُطعَمُ من قبل ٥٠٠
الزبد وما طاب من الطعام جالسًا على ركبتى أبيه.
وكان عندما يتوقف عن لعبه، ويغط فى نومه،
يرقد فى مخدعه، بين ذراعى مربيته،
على فراشه الوثير؛ بعد أن يهدأ قلبه ويطمئن.
أما الآن، وبعد أن فقد والده الحبيب، فسوف يعانى ٥٠٥
أستيأناكس، وهو الاسم الذى كان الطرواديون يدعونه به،
فقد كنت تدافع وحدك عن البوابات والأسوار العالية.
أما وقد أصبحت الآن على مقربة من السفن المعقوفة بعيدًا
عن والديك فسوف يلتهمك دود الأرض المتلوى،
بعد أن تشبع منك الكلاب وقد رقدت جثة عارية. وفى منزلك ٥١٠
لا تزال ملابسك رائعة النسيج، الجميلة التى زركشتها لك
أيدى النساء. ولكن من المؤكد الآن أننى سألقى بها جميعا فى
النار الموقدة، فلن تنفعك بعد الآن، ولن تنام بها مرة أخرى؛
ولكنها ستصبح شرفًا لك بين الطرواديين والطرواديات".

قالت ذلك وهى تبكى، وقد شاركتها فى البكاء كل النساء. ٥١٥

(٢) أستيأناكس، لقب أنعم به الطرواديون على سكاماندروس بن هيكتور، تكريما لوالده، ويعنى "سيد مدينتنا".

الكتاب الثالث والعشرون



ترجمة عادل النحاس

هكذا كانوا يبكون فى أرجاء المدينة. أما الآخيون،
فعندما وصلوا إلى سفنهم وبحر الهيلليسبونطوس
تفرقوا، وذهب كل منهم إلى سفينته.
أما الميرميدونيون، فلم يتركهم أخيليوس ليتفرقوا،
ولكنه خاطب رفاقه محبى الحرب بقوله: ٥
"أيها الميرميدونيون، ذوو الخيول السريعة،
يا رفاقى الأوفيــاء، دعونا لا نطلق سراح الخيول، ذات الحافر الواحد
غير المنشطر، من العربات الحربية، ودعونا نقترب قليلا بهذه الخيول
وتلك العربات الحربية، ولنبك على باتروكلوس، فهذا هو التكريم
الواجب للموتى، وبعد أن نأخذ كفايتنا من ذلك النحيب المرير ١٠
سنطلق سراح الخيول، ثم نتناول معًا طعامنا فى هذا المكان جميعًا".
هكذا تحدث، وأجهشوا جميعا ببكاء متناغم، ويقودهم أخيليوس،
ثم قاموا بالدوران باكين حول الجثمان بخيولهم ذات العرف
الجميل ثلاث مرات. وكانت ثيتيس فى وسطهم تستثير رغبتهم فى
البكاء. فامتزجت بدموعهم الرمال، كما ابتلت أسلحة الرجال. ١٥
لطالما أثار الذعر بين الأعداء ذلك الذى يبكونه!
ومن بينهم كان ابن بيليوس القائد فى هذا النحيب العنيف؛
وبعد أن وضع يديه قاتلتى الرجال على صدر رفيقه؛ قال:
"أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت فى مقر هاديس،
فقد انتهيت من إنجاز كل ما وعدتك به آنفًا: ٢٠
بأن أقوم بسحب جسد هيكتور فى هذا المكان، وأقدمه للكلاب
ليلتهموا لحمه نيئًا، وأن أذبح أمام محرقتك اثنى عشر رجلا
من أنبل أبناء الطرواديين(*) وقد استشطت غضبا لموتك".

(*) كانت عادة تقديم القرابين البشرية معروفة فى الأساطير الإغريقية، كما هو الحال بالنسبة للشعوب القديمة جميعًا على وجه التقريب. وامتدت هذه العادة حتى العصور التاريخية وأشير إليها فى الكثير من الأعمــال الأدبيــة ونذكر على سبيل المثال لا الحصر"إفيجينيا بين التاوريين"ليوريبيديس. (المحرر)

وعندئذ جالت بخاطره تلك الأفعال المروعة لهيكتور الإلهى،
وقد بسط جثمانه وجعل وجهه على التراب بجوار نعش ٢٥
ابن مينويتيوس. ألقى كل منهم بسلاحه البرونزى اللامع،
وأطلقوا سراح خيولهم، ذات الصهيل المدوى، ثم استلقى حشد
لا حصر له بالقرب من سفينة سريع القدمين (أخيليوس)،
سليل أياكوس. أما هو فقد أمر بإعداد وليمة جنائزية سخية تسرية لهم.
فأخذت العديد من الثيران، ذات الجلد اللامع، تخور أثناء ٣٠
نحرها بالسكين، كما بدأت العديد من الأغنام والماعز فى الثغاء؛
وأعداد كبيرة من الخنازير، التى تلمع من سمنتها، بأسنانها البيضاء،
تلك التى كانت تنتشر فى هذا المكان، قد وضعت جميعًا فوق
نيران هيفايستوس للشواء. لقد سال الدم بغزارة حول الجثمان
حيث سكبت الكئوس فوقه(*).
فى ذلك الوقت، قاد أمراء الآخيين ابن بيليوس، ٣٥
السيد، سريع القدمين، صوب أجاممنون الإلهى. فبجهد جهيد
استطاعوا إقناعه بذلك، على الرغم من شدة غضبه لموت صديقه.
وعندما وصلوا إلى خيمة أجاممنون،
أصدروا أوامرهم فى التو، إلى الخدم جهورى الصوت
أن يضعوا مرجلا ضخمًا ثلاثى الأرجل فوق النيران، ٤٠
عساهم أن يتمكنوا من إقناع ابن بيليوس بالاغتسال من الدماء المتخثرة،
ولكنه أعرض عن ذلك وأقسم قائلا:

"كلا، وحق زيوس الأعلى والأقوى من كل الآلهة،
فليس مباحًا للماء أن يقرب رأسى

(*) ساد الاعتقاد عند الإغريق أن دم الأضحيات يقدم للموتى لتقويتهم ومساعدهم فى رحلتهم إلى العالم السفلى. وهذا ما كان سائدًا حتى عند العرب القدامى قبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون أن الميت فى قبره كان يطالب بهذه الدماء، ولاسيما إذا كان قتيلاً. وكانت الطقوس المصرية القديمة فيما يتصل بالموتى تؤدى المعنى نفسه، وهو تسهيل مهمة الرحيل إلى العالم السفلى، فيزودون الميت بكل المتطلبات. واستمرت الوجبة الإغريقية الجنائزية **perideipnon** فى العصر الرومانى بل إن مسيحى القرن الرابع الميلادى أقاموا هذه الولائم تكريمًا للشهداء (القديس أوغسطين، الاعترافات (**VI ii**). (المحرر)

قبل أن نضع باتروكلوس فوق محرقته، ونهيل عليه التراب، ٤٥
ثم نحلق شعر الرأس عليه. فلن يصيب قلبى حزن آخر ،
مابقيت بين الأحياء مثلما أصابه.
ولكن دعونا الآن نمتثل لذلك الطعام غير المستحب.
فى البداية، يا ملك الرجال أجاممنون، أصدر أوامرك
بإحضار الأخشاب، وتقديم كل المتطلبات الملائمة، ٥٠
التى يحملها الميت معه قبل أن يرحل إلى الظلمات السحيقة؛
لكى تأتى عليه النيران التى لا تكل
بسرعة وتختفى من أمام أعيننا، ثم يعود أفراد الجيش، كل إلى عمله"

قال ذلك، بينما كان الآخرون يستمعون إليه، وأطاعوه،
فاستعد كل منهم بسرعة لطعامه، ٥٥
ولم يك بهم ميل إلى وليمة عامة.
وعندما أشبعوا حاجتهم من الطعام والشراب،
توجه كل منهم إلى خيمته ليستريح على فراشه.

أما ابن بيليوس فقد استلقى بعيدا على شاطىء البحر بأصواته
الهادرة، وشرع فى نحيب شديد، ويحوطه حشد من الميرميدونيين. ٦٠
فى هذا المكان الفسيح، حيث تتلاطم الأمواج على الشاطىء،
وفى اللحظة التى غلبه فيها النعاس، مذيبًا هموم القلب،
استغرقه النوم اللذيذ إذ كانت أوصاله المجيدة قد أنهكت فى مطاردته
لهيكتور حول مدينة إليوس شديدة الرياح .
حينئذ أقبلت عليه روح باتروكلوس التعس ٦٥
بكامل هيئته: قوامه، عيناه الجميلتان،
صوته الرنان، مرتديا رداءً يشبه رداءه؛
واستقام واقفا عند رأس (أخيليوس) ثم خاطبه بتلك الكلمات:
"أى أخيليوس، الآن تغط فى نومك بعد أن نسيتنى،

بينما لم تكن تغفل عنى وأنا على قيد الحياة، أما بعد موتى فقد نسيتنى. ٧٠
إدفنى بأقصى سرعة ممكنة، حتى أعبر بوابات هاديس.
فالأرواح تدفعنى بعيدا، وكذلك الأشباح؛
لا تسمح لى بالانخراط فى زمرتها فيما وراء النهر،
ومازلت أهيم عبثًا حول البوابات الواسعة لمقر هاديس.
أمدد لى يدك الآن، أتوسل إليك، لأنى لن أعود مرة ٧٥
أخرى من هاديس، بعد أن تمنحنى ما يحق لى من النار؛
لن نجلس بعد الآن معًا بعيدًا عن الرفاق الأعزاء،
كما كنا نفعل فى حياتى، لنتبادل الرأى .
فالمصير البغيض قد فغر فاه لى، إنه المصير الذى حدد لى عند
مولدى. وحتى أنت، أى أخيليوس، يا شبيه الآلهة، فمصيرك هو ٨٠
أن تلقى حتفك تحت أسوار الطرواديين الأثرياء. والآن سوف أطلب
منك شيئا آخر، وأستحلفك أن تحققه لى إذا اقتنعت به،
وهو ألا تضع عظامى بعيدا عن عظامك، أى أخيليوس،
ولكن لتكن معًا فى نفس المكان، مثلما ترعرعنا معًا فى البيت نفسه،
عندما أحضرنى مينويتيوس صغيرا من أوبويس، ٨٥
واقتادنى إلى بيت آبائك؛ بعد أن ارتكبت جريمة قتل شنيعة.
إذ يومها، كنت قد قتلت ابن أمفيداماس، وكنت صغيرًا لا أدرك
ولم أكن أرغب، ولكنه استثار غضبى بسبب اللعب بالزهر.
وهناك، تقبلنى الفارس بيليوس فى قصره.
فأولانى رعايته، وجعلنى تابعا لك. ٩٠
لكل هذا ينبغى أن يجمع وعاء رماد واحد بقايانا،
تلك الجرة الذهبية ذات المقبضين التى منحتها لك والدتك المبجلة"

عندئذ رد عليه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
"لماذا ياعزيزى، أتيت إلى هذا المكان،
وتسألنى أن أحقق لك كل تلك المطالب؟ ٩٥

فسوف أنجز لك كل شيء، وأنفذ كل ما تأمر به.
ولكن قف هنا واقترب منى أكثر للحظات قليلة، حتى يعانق
كل منا الآخر، ونأخذ كفايتنا من النحيب المرير".

وبعد أن قال ذلك، مد إليه يديه ليعانقه،
ولكنه لم يمسك به، فقد هبطت روحه كالدخان إلى ١٠٠
العالم السفلى، بهمهمة غير مفهومة؛ فقفز أخيليوس مذهولا،
وضرب كفًا بكف، ثم قال كلمات مثيرة للشفقة:

"عجبًا عجبًا!، ففى مقر هاديس توجد أرواح وأشباح؛
لكنها عديمة الإدراك. فقد لازمتنى روح باتروكلوس المسكين، ١٠٥
الليل بطوله، منتحبة، ذارفة الدمع، وهى تلح أن أنفذ
رغباتها الواحدة تلو الأخرى. لقد كانت شديدة الشبه بصاحبها".

قال ذلك، فاستثار رغبتهم جميعا فى البكاء.
وقد لاحت فى الأفق أنوار إيوس بأصابعها الوردية مع بكائهم
على الميت المثير للشفقة، وعندئذ أرسل أجاممنون السيد ١١٠
الرجال والبغال من الخيام فى كل الأنحاء لكى يأتوا بالأخشاب
وعلى رأسهم رجل قوى، ميريونيس تابع إيدومينيوس، دمث الخلق.
وانطلقوا جميعا، حاملين الفئوس فى أيديهم لتقطيع الأخشاب،
وكذا الحبال المجدولة، وتسير البغال من أمامهم. ١١٥
وصعدوا وهبطوا وعرجوا وسلكوا طرقًا ملتوية،
ولكن عندما وصلوا إلى سفوح جبل إيدا كثير الينابيع،
أسرعوا فى الحال إلى تقطيع أشجار البلوط الشاهقة بفئوسهم
ذات النصل البرونزى الطويل، فسقطت محدثة دويا هائلاً.
عندئذ قام الآخيون بشطرها، ١٢٠
وربطوها خلف البغال التى ضربت الأرض بأقدامها،
سعيا للوصول، عبر الغابات الكثيفة، إلى الوادى.

وهكذا حمل كل قاطعى الأخشاب معهم كتلا من الأخشاب
مثلما أمرهم ميريونيس، تابع إيدومينيوس، دمث الخلق.
ثم ألقوا بها على الشاطىء واحدًا بعد الآخر، حيث خطط أخيليوس ١٢٥
لإقامة كومة دفن عالية لباتروكلوس، ولنفسه أيضًا.
وبعد أن ألقوا بأعداد لا حصر لها من الأخشاب فى هذا المكان،
جلسوا فى أماكنهم وانتظروا جميعا، حتى أعطى أخيليوس
أوامره للميرميدونيين محبى القتال بأن يربطوا حول أجسادهم أسلحتهم
البرونزية فى الحال، وأن يشد كل منهم خيله إلى نير عربته الحربية. ١٣٠
فنهضوا جميعا وحملوا أسلحتهم،
ثم صعد مقاتلو العربات الحربية، وكذلك سائقوها، كل إلى عربته.
الفرسان فى المقدمة، يتبعهم أعداد لا حصر لها من جند المشاة.
وفى الوسط، كان الرفاق يحملون باتروكلوس، وقد غطوا الجثمان
كاملا بخصلات من شعر رأسهم حيث كانوا قد قصوها ١٣٥
وألقوها عليه، ومن الخلف أمسك أخيليوس الإلهى برأسه،
وهو فى شدة الأسى، فقد كان يشيع صديقه الذى لا نظير
له إلى هاديس. وعندما بلغوا ذلك المكان، الذى حدده أخيليوس،
وضعوه على الأرض، ثم أقاموا بسرعة كومة من الأخشاب الكثيفة.
عندئذ طرأت أمور أخرى فى ذهن أخيليوس الإلهى، سريع القدمين: ١٤٠
فابتعد عن المحرقة، وقص خصلات شعره الأشقر،
الذى كان قد تركه ينمو كاملاً، كى يقدمه قربانا لنهر سبرخيوس(*)،
ثم قال بأسى وهو ينظر إلى البحر، القاتم مثل لون النبيذ:

"أى سبرخيوس، لقد نذر إليك والدى بيليوس من قبل سدى،
أنه عندما أعود، إلى أرض الوطن الحبيبة، فسوف أقص شعر رأسى ١٤٥
من أجلك أنت، وأن أقدم لك القربان الكبير (مائة رأس) وأن يقدم

(*) نهر فى ثيساليا موطن أخيليوس.

لك فى نفس المكان خمسين كبشًا قربانًا ذكورًا لا تشوبها شائبة
فى ينابيعك، حيث معبدك ومذبحك برائحتهما الفواحة.
هكذا كان قد نذر الشيخ الأشيب، ولكنك لم تنجز رغبته.
أما الآن، فلأنى لن أعود ثانية إلى أرض الوطن الحبيبة، ١٥٠
فسأهب خصلات شعرى إلى باتروكلوس البطل لترحل معه".

قال ذلك، ثم وضع خصلات شعره فى يدى صديقه الحبيب،
مما استثار رغبة الآخرين فى البكاء الشديد،
وكان ضوء الشمس سيهبط ببكائهم، لو لم يسرع
أخيليوس بالاقتراب من أجاممنون، قائلاً: ١٥٥

"يا ابن أتريوس، لأن جيش الآخيين لا يطيع أحدًا مثلما
ينصاع لكلماتك، فلهم أن ينالوا كفايتهم من البكاء،
أما الآن فأبعدهم عن المحرقة، ودعهم يعدون طعامهم.
أما فى كل ما يتعلق بالميت فسنعتنى نحن به جيدا،
فنحن الأقرب والأعز، وليبق معنا القادة" ١٦٠

وعندما استمع أجاممنون، ملك الرجال، إلى هذا الحديث،
صرف الجنود فى الحال إلى السفن سلسة الانقياد، فيما عدا القائمين
على المراسم الجنائزية، فلم يبرحوا المكان وشرعوا فى تكويم
الأخشاب حتى شيدوا محرقة ضخمة، قوامها مائة قدم من الاتجاهين،
ثم وضعوا الجثمان، وقلوبهم تدمى، على قمة المحرقة(*). ١٦٥
ثم قاموا بسلخ العديد من الخراف السمينة، والأبقار
معقوفة القرون، بطيئة الحركة، أمام المحرقة وأعدوها.
ومنها جميعا جمع أخيليوس عالى الهمة الدهن ثم غطى به الجثمان

(*) يكتسب هذا الوصف الهومرى لمحرقة باتروكلوس أهمية خاصة باعتباره أول وصف أدبى يصلنا لحرق الميت المكرم. وسنجد أصداء واسعة له عند الكثيرين من الأدباء الإغريق والرومان قارن على سبيل المثال هيرودودتوس (IV 62). ونهاية"بنات تراخيس"لسوفوكليس و"هرقل فوق جبل أويتا"لسينيكا، كما أن عملية تأليه الأباطرة الرومان بعد حرقهم تواصل نفس التقاليد الموروثة راجع:
Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis, pp. 50-63, 271 ff.

من الرأس حتى القدمين، ثم أحاطه بالحيوانات التى تم سلخها؛
ثم وضع قدرين مملوئين بالعسل والزيت وقد أسندهما على النعش، ١٧٠
ثم ألقى بسرعة فى المحرقة بأربعة من الخيول، ذات الأعناق المشرئبة.
بينما كان يجهش بالبكاء المرير. وكان للأمير
(أخيليوس وباتروكلوس) تسعة كلاب تربض بالقرب من المائدة،
فألقى فى المحرقة باثنين منها بعد أن دق عنقهما. كما ألقى باثنى
عشر من أنبل أبناء الطرواديين البواسل، بعد أن ذبحهم بسيفه ١٧٥
البرونزى. فقد كانت فكرة الانتقام الشنيع هى ما تشغل فؤاده.
ثم أشعل فى الكومة قوة النار التى لا تكل لتلتهم كل شيء.
ثم صرخ باكيا، ومناديا صديقه الحبيب بالاسم، قائلاً:

"أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت فى منازل هاديس،
لقد نفذت كل ما سبق أن وعدتك به: ١٨٠
فهؤلاء اثنا عشر من أنبل أبناء الطرواديين الشجعان
تلتهم النار أجسادهم جميعا مع جسدك. أما هيكتور
بن برياموس فلن أسلمه طعاما للنار، بل للكلاب".

قال ذلك متوعدا، غير أن الكلاب لم تقرب جسد (هيكتور)،
فقد أبعدت أفروديتى ابنة زيوس الكلاب عنه، ليل نهار، ١٨٥
بل ودهنته بالزيت المعطر برائحة الورد الأمبروسى (الخالد)،
حتى لا يتسلخ جلده، أثناء سحبه هنا وهناك.
ومن فوقه أتى أبوللون (فويبوس) الوضاء بسحابة سوداء،
تمتد من السماء إلى الوادى لتغطى كل المكان،
حيث الجثمان، كى لا تجفف لسعة الشمس الساطعة ١٩٠
الجلد بكامله، فيما بين الأوتار وسائر الأعضاء.
ولكن النار لم تشب فى محرقة باتروكلوس الميت بسرعة.
وعندئذ طرأت على ذهن أخيليوس، سريع القدمين، أفكار أخرى؛

فابتعد قليلاً عن المحرقة، وأخذ يبتهل للرياح: بورياس (رياح الشمال)
وزيفيروس (الرياح الغربية)، ووعدهما بقرابين طيبة؛ ١٩٥
وبحماس بالغ سكب السكائب من كأسه الذهبى، وتوسل
إليهما أن يحضرا، حتى يتم بسرعة حرق جثث الموتى بالنار،
بعد أن تبدأ الأخشاب فى الاشتعال. وفى التو سمعت
إيريس هذا الرجاء، فانطلقت تحمل الرسالة للرياح،
فوجدتها مجتمعة على مأدبة زيفيروس، شديد العصف، داخل منزله، ٢٠٠
فتوقفت إيريس عن الاندفاع عندما اقتربت من المدخل الحجرى؛
وعندما شاهداها (بورياس وزيفيروس) بعينيهما،
هبا مسرعين، ودعاها كل منهما إلى جواره،
غير أنها رفضت الجلوس، وخاطبتهما قائلة:

"لا جلوس لى، إذ علىّ أن أعود إلى جداول أوكيانوس، ٢٠٥
فى أرض الأثيوبيين، حيث يقدمون أضحيات ضخمة للخالدين،
وحتى أستطيع أنا أيضا الحصول على نصيبى من هذه القرابين.
ولكن أخيليوس يبتهل لحضور بورياس وكذلك زيفيروس
العاصف، ووعد بقرابين طيبة، حتى تشعلوا نيران المحرقة،
حيث يرقــد باتروكلوس، الذى يبكيه كل الآخيين". ٢١٠

هكذا تحدثت، وولت مدبرة؛ فهبا معا
محدثين دويا شديدا، فدفعا أمامهما السحاب،
ووصلا بسرعة إلى البحر فنفخا فيه، فهاجت الأمواج
تحت صرير الرياح، حتى بلغا طروادة الخصبة. ٢١٥
وما إن هبطا على المحرقة، حتى اندلعت النيران وتصاعد زئيرها.
وظلت الرياح طوال الليل تضرب لهيب المحرقة بهبات عنيفة
محدثة صفيرا شديدا. وظل أخيليوس السريع طوال الليل،
ممسكا بكأس ذات مقبضين، يملؤها بالنبيذ من

الطاس الذهبى، ثم يسكبها على الأرض فتمتصها فى الحال؛ ٢٢٠
مستدعيًا روح باتروكلوس البائس.
ومثلما يحزن الوالد عندما يحرق عظام ولده حديث الزواج،
الذى أدت وفاته إلى إصابة والديه البائسين بالكرب العظيم،
هكذا كان حزن أخيليوس عندما حرق عظام صديقه، فقد كان
يخطو خطوات ثقيلة حول المحرقة، ويبكى بلا انقطاع. وفى الوقت ٢٢٥
الذى كانت نجمة الصباح تتابع دورتها كى تبعث الضوء فوق
الأرض؛ ثم تبعها الفجر بردائه الزعفرانى المنتشر فوق البحر،
فى ذلك الوقت بدأت نيران المحرقة تخبو شيئا فشيئا حتى
خمدت جذوتها. عندئذ عادت الرياح أدراجها مرة أخرى حتى
بلغت مستقرها، فى البحر الطراقى، الذى زأر موجه وازداد هياجه. ٢٣٠
وعندئذٍ انسحب ابن بيليوس بعيدا عن المحرقة،
وقد أرهقه التعب، ثم غلبه نوم هادىء. ولكن ابن أتريوس
وأتباعه كانوا يحتشدون، فأيقظ أخيليوس تصايحهم وجلبة قدومهم،
فنهض من مرقده واستوى جالسًا، ثم تحدث إليهم قائلا: ٢٣٥

"يا ابن أتريوس، يا قادة كل الآخيين الآخرين،
أطفئوا أولا نيران تلك المحرقة بنبيذكم الأحمر،
حتى يخمد أوارها المتوهج؛ وبعد ذلك
لنجمع عظام باتروكلوس بن مينويتيوس،
بعد أن نميزه جيدا، ومن السهل التعرف عليه ٢٤٠
فهو ممدد فى وسط المحرقة، أما الآخرون
فقد احترقت أجسادهم عند الأطراف، الرجال والخيول مختلطين،
أما عظامه هو فلنلفها بطبقتين من الدهن، ثم نضعها فى جرة ذهبية،
حتى يحين أجلى وأغيب أنا نفسى فى هاديس.
أما كومة الدفن (لباتروكلوس) فأسألكم ألا تكون هائلة، ولكن، ٢٤٥
بما يتناسب مع حجمه، على أن تشيدوها، أيها الآخيون، فيما بعد

فسيحة ومرتفعة، أنتم يا من ستبقون من بعدى
فى السفن كثيرة المجاديف"

قال ذلك، فأذعنوا جميعا لما أمر به ابن بيليوس، سريع القدمين،
فأطفأوا فى البداية نيران تلك المحرقة بالنبيذ الأحمر ٢٥٠
فى كل موضع بلغته النيران، حتى استقر الرماد فى العمق،
ثم بدأوا يجمعون، وهم يبكون، تلك العظام البيضاء للصديق
المحبوب فى جرة ذهبية بعد أن لفوها بطبقتين من الدهن.
ثم وضعوها فى الخيمة بعد تغطيتها بقطعة من الكتان الناعم.
وبعد ذلك رسموا دائرة القبر وأحاطوا القاعدة ٢٥٥
بالأحجار، وأهالوا عليها التراب. فلما ارتفعت كومة الدفن،
عادوا إلى مقرهم . أما أخيليوس
فقد استبقى أفراد الجيش هناك، وأمرهم بالجلوس على مدى فسيح؛
ثم أحضر من سفنه العديد من الجوائز: مراجل،
وأوانى ثلاثية الأرجل؛ خيول، وبغال، وثيران قوية؛ ٢٦٠
ونساء جميلة القد، وقطع من الحديد الرمادى.

فى البداية حدد (أخيليوس) جوائز رائعة لسائقى العربات الحربية
السريعة؛ فيأخذ الفائز الأول امرأة لا نظير لها فى براعة الأشغال
اليدوية، وإناءً ثلاثى الأرجل بمقبضين، يتسع لاثنين وعشرين معيارًا.
كما حدد للفائز الثانى فرسة، عمرها ست سنوات، ٢٦٥
ولم تروض بعد وتحمل فى أحشائها مهرا صغيرا.
ثم حدد للفائز الثالث مرجل استحمام جميلاً جديدًا لم تمسه النار،
فهو أبيض ناصع لونه، يتسع لأربعة معايير.
وللفائز الرابع حدد مثقال تالنتين ذهبيين.
أما الخامس فقد حدد له وعاءً ذا مقبضين، لم تمسه النار من قبل. ٢٧٠
بعد ذلك هب واقفا، وألقى كلمة فى الأرجيين قائلاً:

"يا ابن أتريوس، يا كل الآخيين الآخرين المتسلحين
بدروعهم الجيدة، ها هى جوائز سائقى العربات الحربية. تُعرض
أمامكم فى أرض السباق، ولو كان الآخيون يتسابقون الآن تكريمًا
لشخص آخر (غير باتروكلوس)، لكنت قد حصلت على الجائزة ٢٧٥
الأولى وحملتها إلى خيمتى، فأنتم تعلمون إلى أى مدى تتفوق
خيولى فى السرعة، فهى خيول خالدة، كان الإله بوسيدون قد أهداها
إلى والدى بيليوس، الذى أهداها بدوره لى.
ولكنى سأبقى أنا وخيولى الأصيلة ذات الحافر الواحد
لأنها فقدت سائقها القوى والمجيد واللطيف ٢٨٠
الذى طالما دهن خصلات عرفها
بزيت الزيتون، بعد أن يكون قد غسله بالماء الرائق.
إنها تقف الآن بلا حراك، حزنًا عليه وتلامس خصلات
عرفها الأرض، إنها تقف ويعتصر الأسى قلوبها.
أما أنتم يارجال كل الحشد تأهبوا، وكذا أى فرد من الآخيين يثق فى ٢٨٥
خيوله وعربته المربوطة خلفها".

هكذا تحدث ابن بيليوس، فتجمع سائقو العربات المشهورون
بسرعتهم. نهض يوميلوس الأول بمراحل كثيرة، ، ملك الرجال
الابن العزيز لأدميتوس، الذى يفوق الجميع فى الفروسية، يثق فى
حصانه وفى متانة عربته. ثم تبعه ابن تيديوس، ديوميديس شديد البأس، ٢٩٠
وقد سرج فى عربته خيول طروس، التى كان قد استولى عليها
عنوة من آينياس الذى أنقذه أبوللون حينذاك من الأسر(*).
ثم نهض ابن أتريوس، مينيلاؤس الأشقر،
سليل زيوس، وقد سرج فى عربته حصانين سريعين :
آيثى الشقراء مهرة أجاممنون، وبودارجوس حصانه هو. ٢٩٥

(*) راجع الكتاب الخامس بيت ٣٢٣ و٣٣٤. (المحرر)

وكان إخيبولوس بن أنخيسيس قد أهدى آيثى لأجاممنون،
حتى لا يتبعه إلى مدينة إليوس، كثيرة الرياح العاصفة،
بل ولكى يبقيه حيا مستمتعا بحياته فى منزله؛ فقد منحه زيوس
ثراءً فاحشًا حيث يقيم فى مدينة سيكيون الفسيحة(*). وقد وضع
مينيلاؤس آيثى تحت النير، إذ كانت متلهفة على خوض السباق. ٣٠٠

أما الرابع فكان أنتيلوخوس الذى أعد خيوله ذات العرف الجميل،
وهو الابن المرموق لنيستور، الملك ذى الروح السامية
ابن نيليوس. أما خيوله سريعة الأقدام التى تجر العربة فقد ولدت
فى بيلوس. وقف والده (نيستور) إلى جواره وأسدى له نصائحه النافعة،
رجل حكيم ينصح من يدرك جيدًا ما يسمع. قال: ٣٠٥

"أى أنتيلوخوس، إنك حقا فى ريعان الشباب، وقد أحبك
زيوس وبوسيدون، وعلماك كل فنون الفروسية،
ولذلك فلست فى حاجة لأن أعلمك الكثير.
فأنت تعرف جيدا كيف تستدير حول علامة النهاية؛ ولكن خيولك
هى الأبطأ فى السباق، ولذلك أعتقد أن الحزن سيصيبك. ٣١٠
لأن خيول الآخرين هى الأسرع؛ ولكن فرسانها أنفسهم
لا يفوقونك فى المهارة، ولا يعرفون أكثر مما تعرف أنت.
هيا إذن ياعزيزى، وفكر فى كل أساليب حسن التصرف.
حتى لا تفلت كل هذه الجوائز من بين يديك.
فبالفن والمهارة، لا بالقوة الجبارة، يتفوق قاطع الأخشاب. ٣١٥
بالفن والمهارة يسيطر الربان على السفينة المسرعة،
فى بحر قاتم اللون كالنبيذ، بينما تتقاذفها الرياح.
بالفن والمهارة يتخطى سائق العربة الحربية سائقا آخر؛
أما ذلك الذى يثق فى خيوله وفى عربته،

(*) تقع سيكيون فى سهل فيما بين خليج كورنثة ومرتفعات البلوبونيسوس. راجع **Pausanisa iii 41-6**. (المحرر)

ويقوم بالاستدارة دون حذر، تارة هنا وتارة هناك، فإن خيوله ٣٢٠
ستحيد عن الطريق، ولن يستطيع أن يكبح جماحها. وأما من هو
على دراية كافية بكل تلك الأمور، حتى وإن كان يسوق خيولاً أقل
فإنه يثبت ناظريه على الهدف، ويستدير بالقرب منه،
ومن البداية يشدد قبضته على اللجام المصنوع من جلد البقر،
ويظل على ذلك وعينه تراقب من يسبقه. سأريك الآن علامة النهاية ٣٢٥
الواضحة، والتى لا ينبغى أن تغيب عن ناظريك،
فهنالك قطعة من الخشب الجاف، منتصبة بارتفاع طولها فوق الأرض،
وهى من شجر البلوط أو الصنوبر، لم تتحلل بعد بفعل الأمطار،
تستند من الجانبين بقطعتين من الأحجار البيضاء،
عند ملتقى طريقين، وحولها ينبسط مضمار السباق سلسًا. ٣٣٠
وهى إما شاهد قبر لشخص قد مات منذ زمن بعيد،
وإما نقطة النهاية والاستدارة لسباقات الأقدمين،
وقد حددها الآن أخيليوس الإلهى، سريع القدمين علامة .
وعليك أن تقود العربة وخيولك بالقرب منها، النهاية والاستدارة.
وعليك أن تميل داخل عربتك المزركشة ٣٣٥
إلى اليسار قليلا، ثم تنخس الحصان الأيمن،
مناديا عليه بصيحتك، ثم تطلق له العنان قليلا من يديك.
أما الحصان الأيسر فلتجعله يمر على مقربة من نقطة النهاية،
حتى يبدو لك أن الجزء البارز من العجلة جيدة الصنع كاد
يلامس سطح الأحجار، على أن تتحاشى ملامستها فعلاً، ٣٤٠
فقد يؤدى ذلك إلى إصابة الخيول، وتحطيم العربة؛
وهو مايسعد الآخرون، ويخزيك أنت نفسك.
ولذلك فينبغى عليك، ياعزيزى، أن تكون حكيمًا وحذرًا،
لأنك إذا ما تجاوزت نقطة النهاية والاستدارة وسبقت الآخرين على
مضمار السباق، فلن يلحق بك أحد ممن يسرعون فجأة ولن يتخطاك، ٣٤٥

حتى ولو كان ممتطيا أريون(*) الإلهى،
حصان أدراستوس السريع، التى تنحدر سلالته من الآلهة،
أو خيول لاؤميدون الرائعة، التى ترعرعت فى هذا المكان"(**).

وما أن أنهى نيستور بن نيليوس حديثه حتى أسرع
بالجلوس فى مكانه، بعد أن أفضى لابنه بخلاصة كل شىء. ٣٥٠
أما الخامس فكان ميريونيس الذى أعد خيوله ذات العرف الجميل.
وعندئذ صعدوا إلى عرباتهم، وضربوا القرعة وهز أخيليوس
الخوذة (التى بها شقافات القرعة)، فقفزت من بينها شقافة ابن نيستور،
أنتيلوخوس؛ ومن بعده وقعت القرعة على يوميلوس السيد؛
ومن خلفه ابن أتريوس، مينيلاؤس ذائع الصيت برمحه. ٣٥٥
ومن بعده وقعت القرعة على ميريونيس بدوره فى السباق،
وفى النهاية جاء دور ابن تيديوس، وهو الأقوى بكثير، للمشاركة فى
السباق بعربته. وعندئذ وقفوا جميعًا جنبًا إلى جنب فى صف واحد، وقد
بيَّن لهم أخيليوس نقطة النهاية والاستدارة. على مبعدة فى الساحة
الممهدة؛ وبجوارها وضع من يراقب السباق وهو فوينيكس، ٣٦٠
شبيه الآلهة، وتابع والده، حتى يقرر الحقيقة.

لوح الجميع بسياطهم عاليا للخيول،
ثم ضربوها باللجام، منادين عليها بصيحة عالية لتحميسها،
فانطلقت مسرعة، عبر الوادى،
بعيدا عن السفن، فتصاعدت الأتربة ووقفت تحت صدورها. ٣٦٥
فيما يشبه السحابة أو العاصفة،
كما تماوجت بشدة خصلات عرفها، بفعل الرياح.
أحيانًا كانت العربات تتحرك على الأرض الخصبة،

(*) كان للحصان آريون فى الأساطير الإغريقية صوت إنسان، وهو الذى حمل أدراستوس آمنًا من ساحة الوغى، راجع Pausanias IV 291. (المحرر)

(**) قارن وصف سباق العربات فى مسرحية "إليكترا" لسوفوكليس أبيات ٧٠٩ وما يليه. (المحرر)

وأحيانًا أخرى كانت تندفع حتى كادت تسبح فى الهواء. أما سائقوها

فقد ظلوا واقفين فى عرباتهم، يخفق قلب كل واحد منهم بشدة؛ ٣٧٠

رغبة فى الفوز؛ ولذلك كان كل واحد منهم يصيح عاليًا محفزًا خيوله

فتقفز عاليًا فى المضمار مثيرة عاصفة من التراب.

وعندما فى النهاية دارت الخيول السريعة دورتها الأخيرة،

وارتدت عائدة صوب البحر الهائج، عندئذ ظهرت مهارة كل منهم،

وبدأت الخيول فى الركض بأقصى سرعتها، وفى التو ٣٧٥

تقدمت خيول (يوميلوس) سليل فيريس السريعة،

ثم تبعتها خيول ديوميديس التى رباها طروس، كاملة الذكورة،

ولم تكن بعيدة عنها بمسافة كبيرة، ولكنها كانت على مقربة منها،

كما لو كانت على وشك أن تتخطى العربة التى تسبقها،

حتى إن حرارة صهيلها كانت تلهب مؤخرة يوميلوس وكتفيه ٣٨٠

العريضين من الخلف؛ فقد كانت تقفز ورءوسها ملاصقة له،

وكادت تتخطاه، أو تجعل فوزه غير مؤكد. لولا أن الإله

أبوللون (فويبوس) الوضاء كان غاضبا من (ديوميديس) بن تيديوس،

فأسقط السوط اللامع من بين يديه.

عندئذ تساقطت الدموع من عينى (ديوميديس) من شدة تأثره، ٣٨٥

فقد رأى الخيول الأخرى تتقدم للأمام بسرعة مبتعدة عنه،

بينما تتخلف خيوله؛ حيث كانت تتباطأ بلا مهماز.

بيد أنه لم يفت أثينة خداع أبوللون

لابن تيديوس، فأسرعت تعدو خلف راعى الشعب،

وأعادت إليه السوط، بل وبثت الحماس فى خيوله ، ٣٩٠

ثم صبت جام غضبها على (يوميلوس) بن أدميتوس،

فحطمت الإلهة نير الخيول؛ وعندئذ فرت الخيول بعيدًا عن المضمار

هنا وهناك، حتى تحطم محور العربة وسقط على الأرض.

أما هو نفسه (يوميلوس) فقد سقط بعيدا عن العربة، بالقرب من

عجلاتها. وقد تمزق جلد مرفقه وفمه وأنفه كاملا، ٣٩٥
كما شجت جبهته من فوق حاجبيه؛ فاغرورقت عيناه
بالدموع، كما احتبس صوته الرنان. انحرف عندئذ ابن تيديوس
بعربته قليلا حتى أحكم سيطرته على خيوله ذات الحافر الواحد،
وتقدم للأمام متخطيا الآخرين. فقد ألهبت أثينة
الحماس فى خيوله؛ أما هو فمنحته المجد. ٤٠٠
ومن خلفه كان ابن أتريوس، مينيلاؤس الأشقر.
وعندئذ صرخ أنتيلوخوس فى خيول والده قائلاً:

"تقدما أنتما أيضا إلى الأمام بأقصى سرعة،
فأنا لا أطلب منكما التنافس مع
خيول ابن تيديوس البارع، فقد منحتها أثينة ٤٠٥
السرعة كما منحته المجد، فلتلحقا إذن بخيول
ابن أتريوس بسرعة، ولا تتركاها تفلت منكما
حتى لا تصب عليكما آيثى كل اللوم
وهى ليست إلا مُهرة. لماذا سبقكما الآخرون وأنتما الأفضل؟
وسوف أصارحكما القول بما سيحدث لكما بعدئذ، ٤١٠
فلن يوليكما نيستور راعى الشعوب عنايته،
وسوف يقتلكما فى الحال بسيفه البرونزى البتار،
إذا حصلنا على جائزة أدنى مرتبة، بسبب تقصيركما،
فإلى الأمام إذن ولتندفعا بأقصى سرعة لتلحقا بهم،
وسوف أتدبر بنفسى ذلك الأمر، وسأمعن النظر ٤١٥
فى اجتياز ذلك الممر الضيق لنسبق الآخرين، ولن أغفل عن ذلك أبدًا"

هكذا تحدث، فارتعدت فرائصها خوفا من توبيخ مليكها
وزادت من سرعتها لبعض الوقت، وعندئذ
شاهد أنتيلوخوس الباسل فى القتال موضعًا ضيقًا فى الممر المحفور

وهو شرخ فى الأرض كانت مياه الأمطار الشتوية تتجمع فيه، ٤٢٠
مما أدى إلى تحطم جزء من الطريق، حيث هبطت هذه البقعة بأكملها.
أسرع مينيلاؤس فى ذلك المكان محاولا تفادى تصادم العربات.
أما أنتيلوخوس فقد انحرف قليلا مبتعدا عن الطريق محكمًا سيطرته
على خيوله ذات الحافر الواحد، ثم عاد مرة أخرى إلى الطريق بعربته
وأخذ يلاحق (مينيلاؤس) حتى سارا جنبا إلى جنب.
وعندئذ ارتعدت فرائص ابن أتريوس، وصاح فى أنتيلوخوس قائلا: ٤٢٥

"أى أنتيلوخوس، إنك تقود الخيول بتهور، وينبغى أن
تشكم خيولك فى الحال لأن الممر ضيق؛ ويمكنك التخطى بعد
ذلك حيث سيكون الطريق أكثر اتساعا، فربما نتعرض كلانا
للإصابة نتيجة التصادم بعربتى".

هكذا تحدث إليه، أما أنتيلوخوس فقد استمر فى القيادة
بأقصى سرعة، دافعا الخيول بالمهماز، وكأنه لا يسمع شيئًا. ٤٣٠
ومثلما يطير القرص، الذى يُقذَفُه من أعلى الكتف شاب يختبر قوته،
هكذا كانت قوة اندفاع خيوله، مما أدى إلى تخلف خيول
ابن أتريوس، فقد توقف هو نفسه وبقصد عن دفعها
خوفا من أن تتصادم بالخيول ذات الحافر الواحد فى الممر، ٤٣٥
مما قد يؤدى إلى انقلاب العربتين المزركشتين، ويقع صاحباهما
على التراب بسبب جموح الرغبة فى الفوز.
وعندئذ وبخه مينيلاؤس الأشقر، قائلا:

"أنتيلوخوس، لا يوجد بين البشر من هو أسوأ منك.
أغرب عن وجهى إذن! لقد كنا نحن الآخيين حمقى حين ٤٤٠
زعمنا أنك حكيم، ولكنك لن تنال الجائزة دون قسم(*)".

(*) فى أبيات ٥٨١ – ٥٨٥ يطلب مينيلاؤس من أنتيلوخوس القسم بأنه لم يكن يبيت مكيدة ما أو شرًا أثناء السباق. (المحرر)

قال له ذلك، ثم صاح فى خيوله قائلاً:

"لا تبطئوا فى سرعتكم، إياكم أن تتوقفوا برغم حزنكم، فسوف
نلحق بالحصانين الآخرين عندما تصاب أرجلهما ومفاصلهما بالإجهاد
والتعب أكثر مما يصيبكم، فقد أصابتهما الشيخوخة". ٤٤٥

قال ذلك، فارتعدت فرائصها خوفا من صياح مليكها،
وزادت من سرعتها، وبعد فترة وجيزة لحقت بالأخرى.
فى تلك الأثناء، كان الأرجيون الجالسون فى مكان السباق
يحملقون فى الخيول وهى تركض فى غمار عاصفة من التراب.
وكان إيدومينيوس، قائد الكريتيين، أول من يتعرف على تلك ٤٥٠
الخيول؛ فقد كان يجلس بعيدا فى مكان مرتفع يطل على المنطقة
بأسرها، وعندما سمع صوت الصائح. وعلى الرغم من بعد المسافة،
إلا أنه تعرف عليه، وأدرك بوضوح ذلك الحصان الذى تجاوز الجميع.
كستنائى اللون، فى جبهته علامة بيضاء مستديرة كالبدر. ٤٥٥
وعندئذ نهض واقفا وتوجه بحديثه للأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، ياسادة الأرجيين وقادتهم،
هل أرى وحدى تلك الخيول، أم أنكم ترونها أيضا؟
خيول أخرى تبدو لى فى المقدمة، وسائق آخر أيضًا
هو الذى يظهر الآن، وتلك الخيول التى كانت فى المقدمة ٤٦٠
قد أصيبت وتخلفت فى المضمار، بعد أن كانت هى الأفضل.
لقد شاهدتها فى المركز الأول وهى تستدير حول نقطة النهاية.
أما الآن فلا أستطيع أن أراها هناك. تدور عيناى
فى كل مكان من الوادى لتراها؛
فربما سقط اللجام من يدى سائقها، ولم يستطع أن يتشبث به ٤٦٥
جيدا عند استدارته حول نقطة النهاية فلم يفلح فى الدوران.
وأظنه قد سقط فى هذا المكان، بل وتحطمت عربته أيضا.

أما الخيول فقد انحرفت عن المضمار من شدة ذعرها.
ولكن قفوا جميعا ولتنظروا أنتم، فأنا لم أعد
أميز جيدا ما أراه، يبدو أنه أيتولى السلالة، وهو ملك الأرجيين الآن، ٤٧٠
إنه ديوميديس القوى، ابن تيديوس مروض الخيول".

عندئذ عنفه أياس السريع ابن أويليوس بشدة قائلاً:
"أى إيدومينيوس، لماذا تتحدث كثيرا، وبتعجل؟ فتلك الخيول
السريعة مازالت هناك بعيدًا، تركض فى الوادى الفسيح، ٤٧٥
فلا أنت أصغر الأرجيين سنًا، ولا أحدهم بصرًا،
إنك تثرثر دائما بصوت عال، غير أنه لا يليق بك أن تكون ثرثارا،
عالى الصوت، فهناك من هم أفضل منك. أما بالنسبة
للخيول فمازالت فى المقدمة، تلك التى كانت فى المقدمة من قبل، ٤٨٠
وهى خيول يوميلوس، الذى يقف فى عربته ممسكا بلجامها".

فرد عليه قائد الكريتيين، وقد استبد به الغضب، قائلا:
"أى أياس، الأبرع فى الإهانات، الأحمق فى الرأى،
والأسوأ فى كل شىء بين الأرجيين، ولك عقل عنيد.
هيا إذن نراهن على موقد ثلاثى الأرجل أو مرجل، ٤٨٥
ولنحتكم لدى ابن أتريوس، أجاممنون، على
أى الخيول سيكون فى المقدمة، وستعلم بعد أن تدفع الرهان".

قال ذلك، وعندئذ نهض فى الحال أياس السريع، ابن أويليوس،
غاضبا ليرد عليه بكلمات حادة لاذعة ؛
وكاد الشجار بينهما أن يستمر ٤٩٠
لولا تدخل أخيليوس بنفسه بينهما إذ قال:

"لم يعد هناك مجال بعد ذلك لتبادل الكلمات اللاذعة
والبذيئة، أى أياس وإيدومينيوس، كما أنه لا يليق بكما ذلك،
بل وكان الأجدر بكما أن تغضبا من أى شخص يفعل ذلك.

فلتشاهدا معا تلك الخيول التى فى المضمار، وأنتما جالسان؛ ٤٩٥
بينما ستسرع هى بالحضور ساعية للفوز،
وعندئذ سيتعرف كل منكما على خيول
الأرجيين، وأى منها فى المرتبه الثانية، وأى منها فى المقدمة"

هكذا تحدث. أما ابن تيديوس فقد استمر فى تقدمه،
وفى اقترابه منهم؛ حيث كان يقود عربته ضاربا خيوله ٥٠٠
بالسوط بلا انقطاع، فكانت تقفز عاليا ناهبة الطريق بأقصى سرعتها.
بينما تنهال ذرات التراب الكثيفة دائما على سائق العربة. أما عربته،
المكسوة بالذهب والقصدير، فكانت تندفع خلف الخيول سريعة الأقدام،
حتى إن إطارات العجلات لم تكن تترك علامات فى التراب. ٥٠٥
وفى النهاية توقف فى منتصف الدائرة، وقد تساقط العرق
الغزير على الأرض من رقاب الخيول وصدورها،
ثم قفز من العربة اللامعة على الأرض،
وأسند سوطه فوق النير. وعندئذ لم يتوان ٥١٠
سثينيلوس القوى، ولكنه أسرع للحصول على الجائزة،
وسلم لرفاقه النبلاء المرأة ليأخذوها معهم، وكذا الإناء
ثلاثى الأرجل، ذى المقبضين. ثم قام بفك الخيول من نير العربة.
ومن بعده وصل أنتيلوخوس سليل نيليوس وهو يقود خيوله،
بعدما تخطى مينيلاؤس بالخدعة وليس بالسرعة. ٥١٥
بيد أن مينيلاؤس قاد خيوله المسرعة خلفه مباشرة.
على مسافة كتلك التى بين الجواد والعربة التى يجرها،
الجواد الذى يجر العربة بصاحبها عبر الوادى فيركض ركضًا
حيث تكاد أطراف شعر ذيل الجواد أن تلامس العجلة؛
لأن العجلة كانت تجرى خلفها مباشرة ٥٢٠
ولم يترك سوى مسافة ضئيلة. وهكذا كان مينيلاؤس
خلف أنتيلوخوس الذى لا نظير له.

ففى البداية كان يبتعد عنه بمسافة تعادل رمية قرص،
غير أنه استطاع اللحاق به بعد ذلك بسرعة، بعدما ألهب حماس
آيثى، فرسة أجاممنون، ذات العرف الجميل. ٥٢٥
ولو طال السباق بينهما قليلاً لكان من المؤكد
أن يسبقه مينيلاؤس ولما ترك النتيجة غير حاسمة.
ولكن ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
جاء بعد مينيلاؤس، ذائع الصيت، بمسافة تعادل رمية رمح.
فقد كانت خيوله، ذات العرف الجميل، هى الأبطأ ؛ ٥٣٠
وكان ميريونيس نفسه الأقل مهارة فى قيادة العربة فى السباق.
وفى النهاية وصل ابن أدميتوس، متخلفا عن الآخرين،
وكان يجر عربته الجميلة، ويقود خيوله أمامه.
وعندما رآه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، أشفق عليه،
فقام يخطب فى الأرجيين، بكلمات مجنحة قائلا: ٥٣٥

"لقد قاد أفضل الرجال خيوله ذات الحافر الواحد، وكان ترتيبه
الأخير؛ فهيا إذن، ولنقدم له جائزة تتناسب مع مهارته،
وهى جائزة المرتبة الثانية. أما الأولى فليحصل عليها ابن تيديوس".

قال ذلك، فأبدى الجميع موافقتهم على ما عرضه عليهم،
وكادوا أن يقدموا له الحصان، حيث وافق الآخيون على ذلك ٥٤٠
فيما عدا أنتيلوخوس بن نيستور، سامى الروح،
الذى نهض ورد على أخيليوس بن بيليوس مطالبًا بحقه قائلاً:

"أى أخيليوس، سأغضب منك بشدة إذا ما نفذت
كلمتك هذه، لأنك ستنتزع بذلك الجائزة منى،
زاعما أن الأذى قد أصاب عربته وحصانيه السريعين، ٥٤٥
بينما هو نفسه شخص متميز؛ ولكن كان ينبغى عليه أن يضرع
للآلهة الخالدين، عندئذ ماكان آخر من وصل فى السباق.

أما إذا أشفقت عليه، وكان عزيزًا على قلبك،
فبداخل خيمتك الكثير من الذهب والكثير من البرونز،
والأغنام؛ لديك أيضا السبايا والخيول ذات الحافر المتين، ٥٥٠
وما عليك إلا أن تأخذ من بين كل ذلك جائزة كبرى وتمنحه إياها
الآن وفى التو، وسوف يوافقك الآخيون على ذلك.
أما جائزتى هذه فلن أعطيها لك؛ ودعه يلمسها من يرغب
فى منازلتى بالقتال"

٥٥٥ قال ذلك، فابتسم أخيليوس الإلهى، سريع القدمين،
مسرورًا بأنتيلوخوس، رفيقه العزيز، ثم رد بكلمات مجنحة قائلاً:

"أى أنتيلوخوس، أما وقد طلبت منى أن أمنح من
منزلى هدية أخرى ليوميلوس، فسوف أفعل،
وسأقدم له درع الصدر الذى انتزعته من أستيروبايوس، ٥٦٠
وهو مصنوع من البرونز، ومقوى من حافته
بقصدير لامع. وسيكون بالنسبة له ذا قيمة كبيرة"

قال ذلك، ثم طلب من رفيقه العزيز أوتوميدون
أن يأتى بالدرع من خيمته، فأسرع وأحضره،
ثم وضعه بين يدى يوميلوس، فتقبله بفرح شديد. ٥٦٥

وعندئذ نهض مينيلاؤس من بينهم حزينا،
وهو فى شدة الغضب من أنتيلوخوس؛ وقد وضع
الخادم الصولجان فى يده، ثم طلب من الأرجيين الصمت.
حينئذ خاطبهم ذلك الرجل، شبيه الآلهة، قائلاً:

٥٧٠ "أى أنتيلوخوس، يامن كنت معروفا من قبل بفطنتك، ما هذا
الذى فعلت! لقد أسأت إلى سمعتى ومهارتى، كما أسأت إلى خيولى
عندما دفعت أمامها بخيولك التى كانت الأسوأ منها بكثير.
ولكن هيا إذن، ياقادة الأرجيين وسادتهم،

ولتحكموا بيننا بالعدل، دون أدنى تحيز لأى منا نحن الاثنين،
حتى لا يقول أحد من الآخيين، لابسى البرونز فيما بعد: ٥٧٥
لقد فاز مينيلاؤس بأكاذيبه على أنتيلوخوس،
وغادر بعد أن حصل منه على الحصان، لأن خيول (مينيلاوس) كانت
الأسوأ بكثير، أما هو نفسه فهو الأفضل دائما فى المهارة وفى القوة.
ولكن دعونى، أنا بنفسى أعلن الحكم الصحيح، وأنا على يقين
أنه لن يعارضنى أحد من الدانائيين، لأن حكمى سيكون حكما عادلا، ٥٨٠
تعال هنا إذن، أى أنتيلوخوس، ياربيب زيوس – كما جرت العادة،
ولتقف أمام خيولك وعربتك، ثم أمسك فى يدك بهذا السوط
اللدن، الذى كنت تستخدمه من قبل فى قيادة عربتك،
ثم وأنت تلامس خيولك بيديك، أقسم بمن يمسك بالأرض
ويزلزلها، بأنك لم تعمد إلى تعطيل عربتى بالخداع". ٥٨٥

وعندئذ أجابه المعروف بفطنته قائلاً:
"فلتتوقف الآن. فأنا أصغر منك سناً،
أيها الملك مينيلاؤس، أما أنت فأكبر سنا وأكثر تفوقا؛
ولكنك على دراية تامة بطبيعة التجاوزات التى يقدم عليها أى شاب،
فهو متعجل فى تفكيره، ضيق الأفق فى إدراكه . ٥٩٠
ولذا فليكن قلبك صبورا؛ أما تلك المهرة التى فزت بها
سأقدمها لك بنفسى، بل وإن رغبت
فى شيء أكبر من ذلك من مقتنياتى، فسوف أقدمها لك فى الحال.
وإلا، ياربيب زيوس، فلتخرجنى من قلبك
على الدوام، فأصبح عاصيا للآلهة". ٥٩٥

قال ذلك، ثم توجه ابن نيستور، سامى الروح، بالمهرة
ووضعها بين يدى مينيلاؤس، فانتفض قلبه –
مثلما يحدث عندما تتساقط قطرات الندى على بذور القمح،

وهى تنمو، فشقت الأرض ببطء وربت وامتلأت الحقول بالحفيف.
هكذا كان حالك يا مينيلاؤس، فقد انتفض قلبك سرورًا فى صدرك. ٦٠٠
وعندئذ خاطبه (مينيلاؤس) بكلمات مجنحة، وقال:

"أى أنتيلوخوس، الآن فقط سوف أكبح جماح
غضبى، لأنك لم تكن من قبل طائشًا أو متهورا،
أما الآن فقد تغلبت رعونة الشباب على رجاحة عقلك،
عليك أن تتحاشى خداع أولئك الأفضل منك ثانية، ٦٠٥
ولم يكن ليثنينى أى شخص آخر من الآخيين عن رأيى بهذه السرعة.
ولكنك قد عانيت أنت أيضا كثيرا، كما أجهدت نفسك كثيرا
من أجلى(*)، أنت ووالدك الطيب، وأخوك(**).
ولذلك فسوف أقبل رجاءك، وأقدم لك
تلك المهرة، على الرغم من أنها قد أصبحت لى، ٦١٠
حتى يدرك هؤلاء القوم أننى لست متعجرفا، أو متبلد الحس".

قال ذلك، ثم قدم لنوئيمون رفيق أنتيلوخوس
المهرة ليقتادها، ثم احتفظ لنفسه بالمرجل اللامع.
أما ميريونيس فقد فاز بتالنتين ذهبيين، حيث وصل فى
المرتبة الرابعة. أما الجائزة الخامسة فلم يحصل عليها ٦١٥
أحد، وهى كأس ذو مقبضين وهنا حمله أخيليوس
وسط جموع الأرجيين، ثم اقترب من نيستور، وأهداه إليه قائلاً:
"الآن هو لك، أيها الشيخ الكبير، فلتحتفظ به
تذكارًا من دفن باتروكلوس، لأنك لن
تراه بعد الآن بين الأرجيين، ولذلك فأنا أمنحك هذه الجائزة، ٦٢٠
وأيضا لأنك لن تشارك فى الملاكمة، ولا المصارعة،
كما أنك لن تشارك فى منافسات الرمى بالرمح، أو الجرى بالأقدام

(*) يعنى بمجيئهم إلى طروادة لاسترداد هيلينى. (المحرر)
(**) يعنى ثراسيميديس. (المحرر)

فقد أثقلت كاهلك الشيخوخة"

قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، أما هو فقد قبله فرحا،
ثم خاطب (أخيليوس) بكلمات مجنحة، قائلاً: ٦٢٥

"حقا، يابنى. إنك على صواب فى كل ما قلت،
فلم تعد لى، ياعزيزى، أطراف قوية، أى القدمان، ولم يعد
الذراعان يتحركان بخفة من الكتفين فى هذا الاتجاه أو ذاك.
ليتنى كنت شابا، أو أملك تلك القوة الجبارة،
التى كانت لى عندما وارى الإيبيون ملكهم أمارينكيوس التراب ٦٣٠
فى بوبراسيون. وقد رصد أبناء الملك العديد من الجوائز.
فى ذلك الحين لم يكن هناك من يماثلنى من الرجال، لا من الإيبيين،
أو من أهل بيلوس أنفسهم، أو من الأيتوليين الطيبين.
ففى الملاكمة تغلبت على كليتوميديس بن إنوبس؛ وفى المصارعة على
أنكايوس من بليورون (فى أيتوليا) الذى واجهنى. ٦٣٥
أما فى الجرى فقد تخطيت إفيكلوس الذى كان سريعا،
وفى رمى الرمح تفوقت على فيليوس، وأيضا على بوليدوروس.
ولكن فقط فى سباق العربات تخطانى ابنا أكتور، حيث بفضل كثرة
عددهم(*)، دفعوا خيولهم إلى الأمام وقد ركبهم الطمع فى الفوز.
حيث خصصت الجوائز الكبرى لهذا السباق. ٦٤٠
كانا توأمًا يقود أحدهما الخيول بثبات،
أما الآخر فكان يأمرها بالإسراع مستخدما السوط.
هكذا كنت ذات يوم. أما الآن فليواجه الأصغر سنًّا مثل هذه الأعمال.
وبالنسبة لى فيجب علىَّ الإذعان لشيخوختى الثقيلة.

(*) واجه الشراح مشكلات جمة فى تفسير هذه الفقرة. ويقول فقيه الإسكندرية أريستارخوس إن ابنَىْ أكتور استغلا طبيعة شكلهما الخلقية المركبة، إذ كان لهما جسد برأسين وأربعة أذرع وأربعة أرجل. وتم تجاهل اعتراض نيستور فى السباق على ذلك، وبعض الشراح الآخرين يقدمون تفسيرات أخرى منها:
١– أن ابنى أكتور أدخلا إلى المضمار أكثر من عربة فعطلا طريق المتسابقين الآخرين.
٢– أن غالبية المحكمين انحازوا لهما منذ البداية. (المحرر)

مع أننى كنت فى الأيام الخوالى مرموقًا بين الأبطال. ٦٤٥
أما أنت، فاذهب الآن و كرِّم مثوى صديقك بإقامة المسابقات الرياضية.
وأتقبل هذا الكأس بكل ترحاب، فمما يسعد قلبى
أنك دائما ما تتذكرنى بمودة. ولم تنس
أن تقدم لى التكريم الذى يتناسب مع مكانتى بين الآخيين،
ولتكافئك الآلهة فى مقابل ذلك بما يرضى قلبك" ٦٥٠

وعندما انتهى من حديثه غادر ابن بيليوس المكان عبر جموع
الآخيين، بعدما استمع إلى ذلك المديح من (نيستور) بن نيليوس.
وعندئذ عرض جوائز مسابقة الملاكمة المؤلمة:
فأحضر بغلا قويًا، ثم قيده فى مكان الحشد، له من العمر ست سنوات،
لم يتم ترويضه بعد؛ حيث كان من العناد بما يصعب ٦٥٥
ترويضه. ثم حدد للمهزوم كأسا ذا مقبضين.
وعندئذ وقف (أخيليوس) وخاطب الأرجيين قائلاً:

"يا ابن أتريوس، وكل الآخيين الآخرين المسلحين جيدًا بالدروع
فلنطلب من رجلين من أفضل رجالنا
أن يرفعا أيديهما ويتلاكما. ولمن سيمنحه أبوللون ٦٦٠
قوة تحمل كبيرة، وهو ما يشهد به كل الآخيين،
فليقتاد هذا البغل القوى ويعود به إلى خيمته.
أما المهزوم فسوف يحمل معه ذلك الكأس ذا المقبضين".

وعندما انتهى من حديثه، نهض رجل قوى، ضخم البنيان،
على دراية تامة بالملاكمة، وهو إبيوس بن بانوبيوس، ٦٦٥
ووضع يده على البغل القوى، ثم قال:

"فليقترب إذن ذلك الذى سيفوز بجائزة الكأس ذا المقبضين.
وأما البغل فلن يحصل عليه شخص غيرى من الآخيين،
بعد الفوز فى مسابقة الملاكمة. فأنا أباهى بأنى الأفضل فيها.

ألا يكفى أنى أقل كفاءة فى القتال؟ وبالطبع لا يمكن ٦٧٠
لامرىء أن يتفوق فى كل ما يقوم به من أعمال.
سأشرح لكم بوضوح كيف ستسير الأمور:
سأمزق لحم غريمى وأسحق عظامه،
ولينتظره هنا كل رفاقه المقربون مجتمعين،
ليحملوه مقهورا بهاتين القبضتين". ٦٧٥

هكذا تحدث، بينما لاذ الجميع بالصمت،
وعندئذ نهض لمواجهته يوريألوس، شبيه الآلهة،
ابن الملك ميكيستيوس بن تالاؤس،
الذى ذهب ذات مرة إلى مدينة طيبة عند مواراة أويديبوس (أوديب)
فى قبره. وتغلب فى ذلك الحين على كل أبناء كادموس. وقد أبدى ٦٨٠
(ديوميديس) ابن تيديوس، ذائع الصيت فى استخدام الرمح، تأييده له،
وبث فى نفسه كلمات حماسية، مع أطيب تمنياته له بالفوز.
فى البداية ألبسه حزاما، ثم قدم له بعد ذلك سيورًا جميلة
القطع من جلد ذلك البقر الذى يعيش فى المزرعة. وبعد أن ارتدى
كل منهما حزامه، تقدما معا إلى منتصف ساحة المباراة. ٦٨٥
وفى وقت واحد، رفع كل منهما يديه القويتين فى مواجهة الآخر،
ثم اندفع كل منهما نحو منافسه، وتشابكت أيديهما القوية، ثم تلاحقت
الضربات القوية على فكيهما، ودوى اصطكاك الأسنان، وتساقط العرق
الغزير من جسديهما فى كل مكان. وعندئذ تحمس إبيوس الإلهى
ثم لكمه فى فكه بقوة، زاغت عيناه، ولم يستطع الوقوف على قدميه ٦٩٠
لمدة طويلة، فقد تفككت مفاصل قدميه المجيدة وخر
على الأرض، كالسمكة التى تقفز عاليا مع الرياح الشمالية (بورياس)
صوب الشاطىء الممتلىء بالطحالب البحرية، فتغطيها موجة قاتمة.
هكذا قفز (يوريألوس) عاليا عندما لكمه، غير أن إبيوس، ذو
القلب الكبير، أمسكه بيديه، ثم أوقفه على قدميه، وعندئذ التف حوله ٦٩٥

رفاقه الأعزاء، ثم حملوه بعيدا عن الساحة التى يحتشدون حولها،
بقدميه المتثاقلتين على الأرض،
وقد نزف دما غزيرًا، أما رأسه فكانت تميل فى هذا الاتجاه وذاك.
وبعد أن حملوه، ثم أجلسوه وسطهم، فاقدا وعيه،
أسرعوا بإحضار الكأس ذا المقبضين التى فاز بها.

وبعد ذلك عرض ابن بيليوس بسرعة جوائز أخرى للمسابقة ٧٠٠
الثالثة، وهى خاصة بالمصارعة المنهكة، وأظهرها للدانائيين:
يحصل الفائز على وعاء ثلاثى الأرجل يوضع فوق النيران،
يُقدر الآخيون قيمته فيما بينهم باثنى عشر ثورا.
أما المهزوم فقد وضع له امرأة فى وسط المكان، وهى على دراية
تامة بالعديد من الأعمال اليدوية الدقيقة، وتقدر قيمتها بأربعة ثيران. ٧٠٥
وبعد ذلك وقف (أخيليوس) ليخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلينهض كل من يرغب منكم فى المشاركة فى هذه المباراة".

قال ذلك، فنهض أياس العظيم بن تيلامون،
ثم تبعه أوديسيوس، كثير الدهاء، والخبير بكل ألوان الحيل.
وبعد أن ارتديا حزاميهما، تقدما إلى منتصف ساحة المباراة، ٧١٠
ثم أمسك كل منهما بالآخر، وتشابكت أيديهما القوية،
كالعوارض الخشبية المائلة التى يقوم بربطها أحد الفنيين ذائع الصيت،
فى سقف المنزل الشاهق، كى يستطيع مقاومة الرياح العاتية.
فارتفع صرير ظهورهم من قوة يديهما، حيث
ضغط كل منهما على الآخر بشدة، ففاض العرق أنهارا، ٧١٥
وبدأت آثار الضربات تظهر على الأجناب وفوق الأكتاف
بلون الدم الأحمر. بيد أنهما استمرا فى النزال
رغبة منهما فى الفوز بالوعاء ثلاثى الأرجل جيد الصنع.
ورغم ذلك فلم يستطع أوديسيوس أن يلقى به أو أن يطرحه أرضا،

كما لم يستطع أياس أيضا، فأوديسيوس القوى يمتلك قوة هائلة. ٧٢٠
ولكن عندما تسرب نفاذ الصبر إلى الآخيين، المسلحين بدروع جيدة،
حينئذ خاطبه أياس العظيم، بن تيلامون، قائلا:

"ياربيب زيوس، يا ابن لائيرتيس، أوديسيوس واسع الحيلة، إما أن
ترفعنى لأعلى، وإما أن أرفعك أنا، وكل الأمور ستعود لإرادة زيوس"

٧٢٥ قال ذلك، ثم حاول أن يحمله لأعلى، غير أن أوديسيوس لم
ينس حيله، وضربه فى التجويف خلف ركبته، فنجح فى ذلك واختل
توازن (أياس) فسقط على ظهره؛ وجثم أوديسيوس على صدره. وكان
أفراد الجيش فى ذلك الحين ينظرون إليه بإعجاب وتقدير شديدين،
ثم حاول أوديسيوس الإلهى، قوى التحمل، أن يرفعه إلى أعلى بدوره،
ورفعه قليلا عن الأرض ولكنه لم يستطع رفعه تمامًا، ٧٣٠
والتفت ركبته بركبة أياس، وعندئذ سقطا معا على الأرض،
كل منهما بجوار الآخر، يغمرهما التراب،
ثم حاولا النهوض مرة ثالثة لمواصلة النزال،
لو لم يمنعهما أخيليوس بنفسه قائلاً:

٧٣٥ "لا تتصارعا أكثر من ذلك، ولا تهلكا نفسيكما،
فالنصر حليفكما معًا، وسوف تحصلان على جائزتين متساويتين،
انصرفا إذن، وليتنافس رجال آخرون من الآخيين".

هكذا قال، فاستمعا لقوله وأطاعا أمره،
فأزال كل منهما التراب عن جسده، ثم ارتديا عباءتيهما.
بعد ذلك عرض ابن بيليوس جوائز أخرى لمسابقة سرعة الجرى، ٧٤٠
وهى وعاء من الفضة لمزج النبيذ بالماء، فخم فى زخرفته، ويتسع لستة
معايير، وعاء ليس له مثيل فى كل أرجاء الأرض من حيث الجمال،

فقد صنعه أهل صيدا(*) المهرة بدقة فائقة،
ثم حمله الفينيقيون معهم عبر البحر المظلم بالسحب الكثيفة،
وبمجرد أن وصلوا إلى الميناء، قاموا بإهدائه إلى ثوأس، ٧٤٥
ثم منحه بعد ذلك إيونيوس بن ياسون (حفيد ثوأس)
للبطل باتروكلوس فدية ليكاؤن بن بريامس.
والآن رصده أخيليوس جائزة لتكريم صديقه،
للأكثر خفة والأكثر سرعة فى الجرى بقدميه.
وللفائز الثانى عرض ثورا ضخما ممتلئا بالشحم. ٧٥٠
أما الفائز الأخير فقد وضع له نصف تالنت من الذهب.
وعندئذ شب (أخيليوس) واقفا، ليخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلتنهضوا، يامن ترغبون فى المشاركة فى هذا السباق".
قال ذلك، فنهض فى الحال ابن أويليوس، أياس السريع،
ثم تبعه أوديسيوس، واسع الحيلة؛ ثم ابن نيستور، ٧٥٥
أنتيلوخوس؛ فقد تفوق من قبل على كل الشباب فى الجرى بقدميه.
وقف الجميع على خط واحد، وقد بيَّن لهم أخيليوس نقطة
النهاية والاستدارة. وحدد لهم طريق العودة منها، فلما انطلقوا
بعد برهة أصبح ابن أويليوس فى المقدمة بسرعة، وقد تبعه أوديسيوس
الإلهى، وأصبح على مقربة منه، كاقتراب عصا الغزل من ٧٦٠
صدر امرأة ذات حزام جميل، عندما تمسكها جيدا بيدها وهى تشد
خيط الغزل عبر السداة ببراعة،
تمسك العصا على مقربة من صدرها. هكذا كان أوديسيوس يعدو فى
إثره؛ حتى إنه قد وطأ بقدميه آثار قدميه، قبل أن يغطيها الغبار المثار،
بل ودائما ما كان أوديسيوس الإلهى ينفث أنفاسه فوق رأسه، ٧٦٥

(*) من الواضح أن الفينيقيين قد انتشروا فى البحر المتوسط كله بما فى ذلك بحر إيجه، وعرف عبر تلك المناطق أن أهل صيدا هم أمهر الصناع وأبرعهم.. واشتهرت أعمالهم. ومن الملاحظ أن هوميروس فى هذا السياق يميز مهارة أهل صيدا الصناعية عن شهرة التجارة الفينيقية بصفة عامة، وراجع المقدمة. (المحرر)

وهو يسرع الخطى رغبة منه فى الفوز. ولذلك صاح
كل الآخيين بقوة لتشجيعه وحثه على الإسراع باذلاً أقصى جهده.
ولكن عندما وصل المتسابقون إلى الجزء الأخير فى السباق، توجه
أوديسيوس فى الحال بالدعاء من كل قلبه للإلهة أثينة،
ذات العينين الزرقاوين وقال:

"أيتها الإلهة، استجيبى لدعائى، وكونى خير معين لقدمى" ٧٧٠
قال ذلك متضرعا، فاستجابت له الإلهة أثينة باللاس،
وبثت فى أعضائه الخفة والرشاقة، من قدميه حتى أعلى ذراعيـــه.
وبينما كانوا على وشك الانطلاق للحصول على الجائزة زلت قدما
أياس وهو يجرى، وانكب على وجهه – فقد أعاقته الإلهة أثينـــة
فى ذلك المكان حيث تناثر روث الثيران التى ٧٧٥
ذبحها أخيليوس سريع القدمين وهى تخور بشدة، من أجل باتروكلوس.
وبروث الثيران هذا امتلأ فم وأنف (أياس).
وهكذا حصل أوديسيوس الإلهى، كثير التحمل، على الوعاء
ورفعه عاليا؛ فقد وصل قبلهم جميعا، أما أياس المجيد فقد حصل
على الثور، وقد نهض ممسكا بيديه قرن الثور ربيب الحقول، ٧٨٠
باصقًا الروث من فمه وخاطب الأرجيين قائلاً:

"واحسرتاه، لقد عرقلت الإلهة قدمى، تلك التى كانت من قبل
وعلى الدوام بمثابة الأم لأوديسيوس، تسانده وتعينه".

قال ذلك، فضحك الجميع فى سرور.
وحصل أنتيلوخوس مرة أخرى على جائزة المركز الأخير، ٧٨٥
فابتسم، ثم تحدث إلى الأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، دعونى أخبركم بشىء أنتم جميعا على دراية به،
فحتى الآن تبجل الآلهة الخالدة كبار السن من البشر؛ فأياس أكبر
منى سنا بقليل، أما هذا (أوديسيوس) فهو من الجيل السابق

من البشر الأقدمين. إنه الكهل اليافع كما يقولون، ومن الصعب على ٧٩٠
أى من الآخيين أن يجاريه فى العدو بالقدمين، فيما عدا أخيليوس".

قال ذلك، ممجدًا ابن بيليوس، سريع القدمين.
وعندئذ أجابه أخيليوس مخاطبا إياه بهذه الكلمات:
"أى أنتيلوخوس، إن هذا المديح المستطاب لن يذهب سدى، ٧٩٥
وسوف أزيدك نصف تالنت آخر من الذهب".
قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، فتقبله فرحا.

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل
ووضعه فى مضمار السباق، كما أحضر درعًا وخوذة؛
وهى أسلحة ساربيدون(*) التى كان باتروكلوس قد غنمها منه، ٨٠٠
ثم هب واقفا وخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلنستدعى محاربين من بينكم، على أن يكونا الأفضل،
لنسلحهما بأسلحتهما وبالبرونز الحاد قاطع اللحم،
وليتبارزا فيما بينهما أمام هذا الحشد الكبير،
ومن يسبق منهما الآخر فى إصابة لحم الآخر الرقيق، ٨٠٥
أو يلامس الأجزاء الداخلية، مخترقا الدروع، ومسيلاً دما داكنا،
فله سأقدم هذا السيف الطراقى الجميل،
المزخرف بالفضة، والذى انتزعته من أستيروبايوس.
أما تلك الأسلحة التى أمامكم فليتقاسمها الاثنان معا،
كما سنجهز لهما وليمة طيبة فى خيامنا". ٨١٠

قال ذلك، فهض أياس العظيم، بن تيلامون،
كما نهض أيضا ابن تيديوس، ديوميديس العتيد،
وبعد أن تسلح كل منهما على جانبى الحشد،
والتقيا فى منتصف الساحة، وهما يتلهفان للمبارزة،

(*) راجع الكتاب السادس عشر أبيات ٦٦٣-٦٦٥. (المحرر)

يرمق كل منهما الآخر بنظرات حادة ؛ وغلبت الدهشة كافة الآخيين. ٨١٥
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما إلى الآخر،
هاجم كل منهما الآخر ثلاث مرات، واصطدما ثلاث مرات،
عندئذ أصاب أياس درع (ديوميديس) شديد التوازن من كل جانب،
ولكنه لم يصل إلى جسده، فقد حماه واقى الصدر.
أما ابن تيديوس فقد حاول مرارا أن يصل بحد حربته البراقة، ٨٢٠
إلى عنقه فوق الدرع الكبير
فانتاب الآخيين شعور مريع بالخوف على أياس،
وطالبوهما بالتوقف عن النزال على أن ينالا جوائز متساوية.
ولكن البطل (أخيليوس) منح ابن تيديوس السيف الكبير
بغمده، كما منحه الحزام الجلدى الخاص به، والمصنوع بمهارة. ٨٢٥

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس كتلة من الحديد الخام،
كان إئيتيون اعتاد أن يقذفها فيما مضى.
ولكن بعد أن قتله أخيليوس الإلهى، سريع القدمين،
حملها معه إلى سفينته، مع ممتلكاته الأخرى.
وعندئذ هب (أخيليوس) واقفا، ثم خاطب الأرجيين قائلاً: ٨٣٠

"فلتنهضوا يامن ترغبون فى المشاركة فى هذه المسابقة،
فمن كانت له حقول خصبة هناك بعيدا عن المدينة،
فستكون له كفايته من الحديد على مدار خمسة أعوام،
ولن تكون به حاجة إلى أن يذهب راعى أغنامه أو القائم على محراثه ٨٣٥
إلى المدينة. فهذا الحديد يسد حاجته"

فلما قال ذلك نهض بوليبويتيس شديد البأس فى القتال، ثم
ليونتيوس القوى، شبيه الآلهة، ثم أياس بن تيلامون، ثم إبيوس الإلهى.
وقفوا جميعا فى صف واحد، وحينئذ أمسك إبيوس الإلهى بكتلة الحديد.
وبعدما أدارها فى يده، قذفها بعيدا ؛ فضحك الآخيون جميعا. ٨٤٠

ثم تبعه ليونتيوس، تابع آريس، وألقى بها.
أما الثالث فكان أياس العظيم، بن تيلامون، الذى قذف بها أيضا
بيده القوية، فتخطى كل العلامات.
وعندئذ أمسك بوليبويتيس شديد البأس فى القتال بكتلة الحديد،
وبمقدار ما يقذف راعى البقر بعصاه فتطير فوق قطيع الأبقار، ٨٤٥
تخطت رميته كل المضمار، فصاح الجميع مهللين.
ونهض أتباع بوليبويتيس القوى،
وحملوا جائزة ملكهم إلى السفن المجوفة.

ومرة أخرى وضع (أخيليوس) جائزة من الحديد لرماة السهام: ٨٥٠
عشر بلطات ذوات الحدين، وعشر أخرى ذوات الحد الواحد.
ثم ثبت بعيدًا فى الرمال صاريًا لسفينة سوداء المقدمة، وبخيط رفيع
ربط فيه حمامة رعاشة، ثم طلب منهم التصويب عليها قائلاً:

"من ينجح فى إصابة تلك الحمامة الرعاشة فسوف يحصل ٨٥٥
على كل البلطات هذه ذات الحدين، ويحملها معه إلى منزله.
أما من ينجح فى إصابة الخيط ويخطىء الطائر، سيكون الأقل
نجاحًا فى التصويب، وسيحمل معه البلطات ذات الحد الواحد".

قال ذلك، فنهض الملك تيوكروس القوى،
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس. ٨٦٠
وعندئذ وضع كل منهما شقافة القرعة فى خوذة برونزية، ثم قاموا
بهزها، فوقعت القرعة على تيوكروس ليبدأ فى التصويب.
وفى الحال أطلق سهما بقوة، وفاته أن ينذر بتقديم أضحية
كبيرة من الأغنام صغيرة السن للإله (أبوللون).
ولشدة غضب الإله أبوللون منه، فقد جعله يخطىء الطائر؛ ٨٦٥
ولكنه نجح فى إصابة الخيط، على مقربة من قدم الطائر المربوط.
وهكذا فقد مزق السهم الحاد الخيط،

وعندئذ انطلق الطائر إلى عنان السماء، بينما سقط
الخيط على الأرض، فأطلق الآخيون صيحاتهم المدوية.
ولكن ميريونيس اختطف على الفور القوس من يد تيوكروس، ٨٧٠
وكان قد أعد السهم سلفًا، بينما كان تيوكروس يقوم بالتصويب.
وبسرعة نذر للإله أبوللون، رامى السهام عن بُعد،
أن يقدم له أضحية كبيرة من الأغنام صغيرة السن.
وفى الفضاء شاهد الحمامة الرعاشة أسفل السحب؛
وبينما كانت تطير فى دائرة، نجح فى إصابتها ٨٧٥
فى المنتصف تحت جناحها، فاخترقها السهم حتى الجانب الآخر،
فهبطت إلى الأرض فورًا أمام قدمى ميريونيس.
انتفضت الحمامة فوق الصارى المأخوذ من سفينة سوداء المقدمة.
فتدلى عنقها، ثم هوت وجناحاها ينتفضان بشدة، فرفرفت روحها
بسرعة مبتعدة عن جسدها، وحطت بعيدا عن الصارى. ٨٨٠
وكان أفراد الجيش يحملقون فيما يحدث وهم فى دهشة.
وحمل ميريونيس كل البلطات العشر ذات الحدين،
بينما حمل تيوكروس معه إلى السفن المجوفة العشر ذات الحد الواحد.

ومرة أخرى أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل ،
كما أحضر أيضا مرجلا كبيرا لم تمسه النار بعد مُزيَّنًا بالزهور، ٨٨٥
وتقدر قيمته بثمن ثور، ووضعه فى أرض السباق. وعندئذ نهض رماة
الرماح: فنهض ابن أتريوس، أجاممنون ذو الممتلكات الشاسعة.
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
وعندئذ وجه أخيليوس الإلهى سريع القدمين، حديثه لهما قائلاً:

"يا ابن أتريوس، لأننا نعلم أنك تفوق الجميع، ٨٩٠
وأنك الأفضل فى القوة، وفى دقة تصويب الرماح،
فلتعد إذن إلى سفنك المجوفة حاملا معك هذه الجائزة.

أما الرمح فلنقدمه هدية إلى البطل ميريونيس، وليتها تكون تلك
أيضا هى رغبتك ومن أعماق قلبك، واستسمحك فى ذلك"

قال ذلك، فلم يعترض أجاممنون، ملك الرجال، ٨٩٥
وعندئذ قدم الرمح البرونزى إلى ميريونيس. أما البطل
(أجاممنون) فقد أعطى الجائزة الجميلة إلى تابعه تالثيبيوس. ٨٩٧

الكتاب الرابع والعشرون



ترجمة عادل النحاس

انفض الجمع، وتفرق الحشد، وذهب كل منهم
إلى سفينته السريعة. وانصب اهتمامهم جميعا
على الاستمتاع بالطعام، وبالنوم الهانىء. أما أخيليوس
فقد تذكر صديقه الحميم، ثم شرع فى البكاء، وقد جافاه النوم
الذى يغلب بسلطانه الجميع؛ كان يتقلب على جانبيه هنا وهناك، ٥
وهو فى شدة الشوق لبطولة باتروكلوس وبسالته.
فكم من مهمة شاقة أنجزاها معا، وكم من كرب كابداه معا،
بخوض الحروب الضارية، وتخطى الأمواج العاتية.
هذا ما كان يجول بخاطره وجعله يذرف الدمع الغزير،
بينما كان يتقلب فى مضجعه على جانبه تارة، وعلى ظهره تارة، ١٠
ثم وهو منكب على وجهه تارة أخرى. وعندئذ نهض واقفا
وأخذ يهيم على وجهه بالقرب من شاطىء البحر، وما كان ليفوته
أن يلاحظ تسلل ضوء الفجر فوق البحر وعلى الشاطىء.
فسرج خيوله السريعة فى العربة الحربية،
ثم قام بربط جثمان هيكتور خلف العربة، وبدأ فى سحبه على الأرض. ١٥
وبعد أن سحبه مرات ثلاث حول مدفن ابن مينويتيوس.
توقف وعاد مرة أخرى إلى خيمته. وقد ترك جثمان هيكتور
ممددًا على وجهه فى التراب. فى تلك الأثناء كان أبوللون
يحفظ الجثمان من أية تشوهات قد تلحق به، فقد كان يرثى لحاله
فى مماته، فكان يغطى كل جسده بدرعه الذهبى، ٢٠
حتى لا يتمزق جلده أثناء سحبه على الأرض.
وهكذا كان (أخيليوس) من شدة غضبه، يسىء معاملة هيكتور
الإلهى. أما (هيكتور) فكانت الآلهة المباركة ترثى لحاله عندما
تراه فى هذه الحالة؛ ولذلك فقد طلبوا من (هرميس) أرجيفونتيس
حاد البصر، أن يسرق جثة هيكتور،
الأمر الذى نال استحسان كل الآلهة الآخرين، فيما عدا الإلهة هيرا، ٢٥

والإله بوسيدون، وأيضا العذراء ذات العينين الزرقاوين (أثينة)؛
فلم تتغير كراهيتهم، منذ البداية، لمدينة إليوس المقدسة،
وأيضا لبرياموس وشعبه؛ بسبب كراهيتهم لابنه ألكسندروس،
الذى حقَّر الإلهات عندما وصلن إلى حظيرته،
ورجح كفة تلك التى غذت الرغبة المحمومة لديه(*). ولكن، منذ ٣٠
ذلك الحين (منذ قتل هيكتور)، وفى فجر اليوم الثانى عشر،
خاطب الإله أبوللون فويبوس الوضاء الآلهة الخالدين قائلاً:
"أيها الآلهة، إنكم بلا رحمة، مدمرون،
ألم يحرق لكم هيكتور أفخاذ ثيرانٍ وماعز لا عيب فيها قربانا،
والآن، وبعد أن أصبح جثة هامدة، فلا تفعلون شيئًا لتعود سالمة ٣٥
لزوجته لتراه، ولوالدته ولابنه، وأيضا لوالده برياموس، بل ولشعبه،
الذين سيسرعون بإحراقه فى النار، ثم دفنه بكل تقدير.
ولكنكم، أيها الآلهة، تفضلون مساعدة أخيليوس المدمر،
الذى لا يملك عقلا راجحا أو نفسا متسامحة ٤٠
داخل صدره. لقد أصبح فى شراسته كالأسد
الذى يعتمد على قوته الجبارة ونفسه المختالة،
فينقض على قطعان البشر ليتغذى.
هكذا فقد أخيليوس إحساسه بالشفقة، وأيضا بالحياء،
وهما إما يؤذيان البشر بشدة أو ينفعانهم بنفس الدرجة. ٤٥
فمن الممكن أن يفقد المرء من هو أعز لديه،
كأن يفقد شقيقا له من نفس الأم، أو ابنا له؛
ولكن ما أن يبكيه وينتحب عليه حتى ينتهى الأمر، فقد غرست

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة التى ترد فى"الإلياذة". لأسطورة تنصيب باريس (ألكسندروس) حكمًا فى مسابقة الجمال بين هيرا وأثينة وأفروديتى إلهة الجمال والحب والتناسل والتى حكم فيها لصالح الأخيرة، فنال أجمل امرأة فى العالم وهى هيلينى، التى بسبب اختطافها قامت حرب طروادة. هناك ذكر للمكان الذى يعتقد أنه شهد هذه الواقعة وهو تل كاالليكولونى (ك ٢٠، ٥٣، ٥١). ولا تأتى هذه الإشارة الصريحة إلا فى الكتاب الأخير مما يلقى الضوء على فن هوميروس بالغ التعقيد والحبكة. راجع المقدمة (المحرر)

ربات القدر مويراى الصبر وقوة التحمل داخل نفوس البشر.
أما هذا الرجل، وبعد أن سلب حياة هيكتور الإلهى، ٥٠
ربطه فى عربته، وأخذ يسحبه حول مدفن صديقه الحميم،
ولن يجنى من ذلك خيرًا ولا شرفًا،
وليدرك أننا قد نغضب نحن أيضا منه على الرغم من كونه نبيلا،
فهو يسىء إلى طين لا حياة فيه".

وعندئذ اشتد غضب الإلهة هيرا، ذات الذراع الأبيض، وقالت: ٥٥
"إن كلماتك، يا ذا القوس الفضى، قد تكون صحيحة
إذا ما منحتم أخيليوس وهيكتور المنزلة نفسها:
فهيكتور الفانى قد رضع من ثدى امرأة فانية،
أما أخيليوس فمن نسل إحدى الإلهات، التى أطعمتُها
وربيتُها بنفسى، بل ووهبتُها زوجة لبشرى فان، ٦٠
وهو بيليوس، الذى كان محبوبا فى قلوب كل الآلهة الخالدين.
وقد شاركتم جميعا، أيها الآلهة، فى عرسه؛ وكنت
أنت نفسك من بينهم، فقد حضرت الوليمة وفى يدك قيثارتك"

وعندئذ رد عليها زيوس، جامع السحب، قائلاً:
"لا تغضبى من الآلهة تمامًا، أيتها الإلهة هيرا، ٦٥
فلن تكون منزلة الاثنين واحدة، بيد أن هيكتور كان،
من دون البشر الذين يقطنون إليوس، الأقرب إلى قلوب الآلهة،
وهو كذلك بالنسبة لى. فهو لم يقصر فى تقديم الهدايا النفيسة لنا،
فلم يخلو مذبحى من الوليمة الملائمة وقرابين الشراب
ودخان الأضاحى الدسمة، وطقوس العبادة التى هى حقنا. ٧٠
ولكن فلندع جانبا سلب جثة هيكتور الجسور، وسيدرك أخيليوس ذلك،
فدائمًا ما تسانده أمه، وتقف بجانبه ليل نهار.
والآن فليستدع أحد الآلهة الإلهة ثيتيس لتمثل أمامى.

لكى أسدى لها النصيحة: عسى أن يحصل أخيليوس ٧٥
على هدايا نفيسة من برياموس ليعتق هيكتور".

قال ذلك، فأسرعت الإلهة إيريس، ذات القدم - العاصفة،
لتبلغ الرسالة، فقفزت بين جزيرتى ساموس وإمبروس الوعرة،
فى البحر المظلم، فارتفع صخب أمواج البحر فوقها،
فقد اندفعت إلى الأعماق، كقطعة الرصاص المعلقة فى الشصية، ٨٠
المصنوعة من قرن ثور الحقول،
وقد نزلت لتجلب الموت للأسماك النهمة.
فوجدت ثيتيس فى كهفها العميق، تجلس من حولها
عرائس البحر الأخريات، وهى من بينهن
تبكى مصير ولدها الذى لا نظير له، إذ قدر له ٨٥
الفناء على أرض طروادة الخصبة، بعيدا عن وطنه.
فوقفت بجوارها إيريس، ذات القدمين السريعتين، وقالت:

"انهضى، أى ثيتيس، زيوس سيد النصائح الأبدية يدعوك إليه"
فأجابتها الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين قائلة:
"تُرى لماذا يستدعينى هذا الإله العظيم، فأنا أستحى ٩٠
من الاختلاط فى زمرة الخالدين، كما أن بقلبى مالا يحصى من الآلام.
ولكنى ذاهبة إليه، فكلمته، أيًا كانت، ستنفعنى".

قالت ذلك، وارتدت عروس البحر الإلهية وشاحًا أسود،
ليس هناك ما يفوقه سوادًا. وعندئذ تحركت للذهاب إليه،
تسبقها إيريس، ذات القدمين السريعتين سرعة الرياح. ٩٥
تتلاطم حولهما أمواج البحر من كل جانب.
وبمجرد خروجهما إلى الشاطىء، اندفعتا محلقتين صوب السماء،
فوجدتا ابن كرونوس، بعيد النظر، يجلس
من حوله كل الخالدين، المباركين الآخرين.

وجلست إيريس بجوار والدها زيوس، بعد أن تخلت أثينة عن مكانها. ١٠٠
أما هيرا فقد وضعت بين يدى (ثيتيس) كأسا ذهبيًا جميلا ،
محيية إياها بكلمات رقيقة، ارتشفت ثيتيس منه ثم أعادته إليها.
وهنا تحدث أبو البشر والآلهة أجمعين قائلاً:

"أيتها الإلهة ثيتيس، لقد حضرتِ إلى الأوليمبوس برغم كربك
الشديد، ففى قلبك حزن لا راحة منه، وأنا نفسى أعرف ذلك. ١٠٥
ولكنى سأخبرك بسبب دعوتى لك إلى هنا،
فقد شب نزاع بين الآلهة الخالدين منذ تسعة أيام
حول جثمان هيكتور، وأيضا حول أخيليوس مدمر المدن؛
وطلبوا من أرجيفونتيس الرسول السريع، حاد البصر، أن يسرق الجثة،
ولكنى قد منحت ذلك الشرف لأخيليوس، ١١٠
حفاظا على حبك واحترامك حتى النهاية.
اذهبى إذن بسرعة إلى الحشد وبلغى ولدك أوامرى،
أخبريه بأن الآلهة قد استشاطت غضبا منه، ولكن غضبى
هو الأشد من كل هؤلاء الآلهة الخالدين، لأنه بفكره المجنون
قد احتفظ بهيكتور بالقرب من السفن المقوسة كالمنقار ولم يعتقه، ١١٥
ولكنه قد يخشانى ويعتق هيكتور.
ومن ناحيتى فسوف أبعث إيريس إلى برياموس سامى الروح،
كى يذهب إلى الآخيين، ليفتدى ولده الحبيب،
ويقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره".

قال ذلك، فما كان من الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين ١٢٠
إلا أن أطاعت أوامره، وأسرعت بالهبوط من قمم الأوليمبوس،
حتى وصلت إلى خيمة ولدها. وهناك، وجدته يبكى
بمرارة ومن حوله رفاقه الأعزاء
يعتنون به، ويهمون بإعداد طعام الإفطار،

بعد أن قاموا بنحر كبش كثيف الصوف، داخل خيمته. ١٢٥
فجلست أمه الفاضلة على مقربة منه،
وأخذت تداعبه بيدها، ثم دعته قائلة:

"أي بُنَي، إلى متى ستظل تنهك قلبك بالبكاء والحزن،
عازفا عن الطعام، مجافيا المنـــام؟ فمن الأفضل أن تنغمس في ١٣٠
معاشرة إحدى النساء، فإنك لن تعمر في الأرض كثيرا،
بل اقترب منك بشدة الموت والقدر القاسي.
أما الآن، فلتصغ لي جيدا؛ إذ جئتك محملة برسالة من زيوس إليك:
وهو ينبئك بأن الآلهة قد استشاطت غضبا منك، وأن غضبه
هو نفسه الأشد من كل الخالدين، لأنك بجنونك ١٣٥
قد احتفظت بهيكتور في سفينتك المقوسة مثل المنقار، ولم تعتقه.
فهيا سلم جثته، بعد أن تقبل الفدية".

وعندئذ أجابها أخيليوس، سريع القدمين قائلاً:
"فليكن ذلك، وليحمل الجثمان من يحضر الفدية،
طالما كانت تلك هي رغبة الأوليمبي ومقصده الحقيقي". ١٤٠

وهكذا تبادلت الأم وولدها، وسط حشد هذا الجمع من السفن،
العديد من الكلمات المجنحة. وفي الحال أسرع
ابن كرونوس بإرسال إيريس إلى إليوس المقدسة قائلاً:

"انطلقي أنت يا إيريس السريعة، واتركي مقرك فوق الأوليمبوس،
وأخبري برياموس سامي الروح داخل إليوس ١٤٥
أن يذهب إلى سفن الآخيين كي يفتدي ولده الحبيب،
وأن يقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره،
على أن يكون بمفرده، دون أن يذهب معه أي شخص
آخر من الطرواديين، ولكن فليصحبه تابع كهل، كي يقود له
البغال، وعربته ذات العجلات الجيدة، ويساعده في العودة ١٥٠

إلى المدينة، بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهى.
دعيه لا ينشغل بالتفكير فى الموت أو بالخوف منه،
فسوف نبعث معه (بهرميس) أرجيفونتيس، ليقود خطاه،
حتى يصل به على مقربة من أخيليوس.
وعندما يتقدم به إلى داخل خيمة أخيليوس، ١٥٥
فلن يهم (أخيليوس) نفسه بقتله، بل وسوف يكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحال ذلك الرجل المتوسل من كل قلبه".

قال ذلك، فانطلقت إيريس، ذات القدمين السريعتين كالريح،
لُتبلغ الرسالة، وعندما وصلت إلى منزل برياموس، وجدت نحيبا ١٦٠
وعويلاً شديدا: فقد جلس الأبناء يحيطون بأبيهم فى فناء القصر،
مبللة ملابسهم بالدموع، بينما يجلس الشيخ الأشيب. وسطهم مُدثَّر
بعباءته الصوفية، وقد غطت رأس الشيخ الهرِم ورقبته الكثير من
الأوحال التى أهالها على نفسه بيديه، بينما كان يتمرغ على الأرض. ١٦٥
كما شاهدت الإلهة بناته وزوجات أبنائه يولولن داخل القصر،
عندما يتذكرن ذلك العدد الكبير من الطرواديين البواسل،
الذين سقطوا وفقدوا أرواحهم على أيدى الأرجيين.
اقتربت إيريس، رسول زيوس، من برياموس الذى ارتعدت فرائصه،
ثم خاطبته بصوت هادىء، قائلة: ١٧٠

"تشجع، أى برياموس، يا سليل داردانوس،
ولا تخف شيئًا، فأنا لم أحضر إليك لأنبئك بشر،
ولكن بنية الخير، فأنا حاملة رسالة زيوس إليك،
فهو يهتم بأمرك ويرثى لحالك، على الرغم من أنه يقطن بعيدًا.
إذ يأمرك الأوليمبى أن تفتدى هيكتور الإلهى، ١٧٥
وأن تقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،

على أن تكون بمفردك، دون أن يذهب معك أى من الطرواديين،
ولكن فليصحبك تابع كهل، كى يقود لك
البغال وعربتك سريعة العجلات، ويساعدك فى
والعودة بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهى إلى المدينة. ١٨٠
لا تنشغل بالتفكير فى الموت، ولا تخشاه،
فسوف يبعث معك (بهرميس) أرجيفونتيس ليقود خطاك
حتى يصل بك على مقربة من أخيليوس،
وعندما يتقدم بك إلى داخل خيمة أخيليوس
فلن يهم (أخيليوس) بقتلك، بل وسيكبح جماح كل الآخرين، ١٨٥
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحالك، بوصفك رجلاً متوسلاً من كل قلبك".

وبعدما انتهت إيريس، سريعة القدمين، من إبلاغ رسالتها غادرت المكان؛ فأصدر برياموس أوامره لأبنائه بإعداد العربة، ذات العجلات السريعة، التى تجرها البغال، وأن يربطوا فوقها السلة المجدولة. ١٩٠
أما هو فقد أسرع بالهبوط إلى حجرة كالقبو، مشيدة
من خشب الأرز، سقفها مرتفع، وتحتوى على العديد من الجواهر.
ثم دعى زوجته هيكابى، وصاح فيها قائلا:

"أيتها الزوجة الفاضلة، لقد أتانى رسول أوليمبى، من زيوس،
يدعونى للذهاب إلى سفن الآخيين، كى أفتدى ولدنا الحبيب، ١٩٥
وأن أقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،
فهيا إذن الآن وأخبرينى كيف يبدو لك الأمر؟
إن حماسى وقلبى يدفعانى بشدة
للذهاب إلى هناك، إلى تلك السفن داخل حشد الآخيين".

قال ذلك فأجابته زوجته، وهى تجهش بالبكاء، قائلة: ٢٠٠
"يا ويلتى! هل ذهبت حكمتك التى اشتهرت بها بين الناس

سواء الأجانب أو من تحكمهم!؟
كيف ترغب فى الذهاب إلى سفن الآخيين وحدك،
وتقف أمام عينى ذلك الرجل الذى سلبك عددًا كبيرًا
من أبنائك البواسل؟ حقا إن قلبك قُدّ من حديد. ٢٠٥
لأنه إذا ما تملكك ووقعت عيناه عليك،
وهو رجل متوحش وغير موثوق به، فلن يرحمك،
ولن يشعر تجاهك بشىء من الحياء. دعنا الآن نبكى ولدنا هنــا،
بعيدًا عنه، قابعين فى منزلنا؛ فلهيكتور كانت إلهة القدر مويرا
قد نسجت بخيوطها مصيره؛ فى نفس اللحظة التى وضعتهُ فيها. ٢١٠
أنه سيشبع الكلاب سريعة الأقدام بعيدا عن والديه، وعلى مقربة من
رجل عنيف، ذلك الذى طالما تمنيت أن أنتزع له كبده من أحشائه
وأنهشه، وبذا يتم الانتقام الشديد لابنى الذى قتله، ولم يجبن بل كان
يدافع عن الطرواديين والطرواديات ذوات الثياب عميقة الطيات، ٢١٥
ولم يحاول الاختباء أو الفرار".

وعندئذ أجابها الشيخ الهرِم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"إياك أن تمنعينى وقد عقدت العزم على الذهاب، أو
أن تصبحى أنت نفسك طائر شؤم فى منزلى. فلن تقنعينى.
لأنه إذا ما طلب منى ذلك شخص آخر من الفانين على وجه الأرض، ٢٢٠
سواء كان عرافًا أو كاهنًا يتنبأ،
عندئذ كنت سأعتبرها أكذوبة وأهملها.
أما الآن، وقد استمعت بنفسى إلى الإله، بل وشاهدته بعينى،
فإنى ذاهب لا محالة، ولن يذهب الكلام سدى، حتى وإن كان مقدرًا لى
أن أموت بالقرب من سفن الآخيين لابسى البرونز. ٢٢٥
فأنا أسعى إلى ذلك، وليتنى ألقى حتفى على يد أخيليوس،
بينما أحتضن ولدى بذراعى، عندئذٍ سأتوقف عن البكاء".

قال ذلك، ثم بدأ فى رفع أغطية الصناديق الجميلة.
ثم أخرج منها اثنى عشر ثوبا نسائيا فائقة الجمال؛ ثم اثنتى عشر
عباءة ترتدى بمفردها، ثم عددًا كبيرًا من الأغطية؛ وعددًا كبيرًا من ٢٣٠
العباءات البيضاء كبيرة الحجم؛ ثم عددًا كبيرًا من ملابس
الرجال الجميلة. ثم أحضر وحمل معه عشرة تالنتات، ذهبية خالصة،
ووعاءين براقين ثلاثى الأرجل؛ ثم أربعة مراجل؛
وكأسًا بالغ الجمال، كان الطراقيون قد أهدوها إليه
أثناء زيارته لهم: ثروة كبيرة، ٢٣٥
فحتى هذا لم يدخره الشيخ الهرِم فى المنزل، فقد كان يتوق
إلىَ افتداء ولده الحبيب. ثم قام بعد ذلك بطرد كل الطرواديين
من القاعة، موبخا إياهم بأبشع الكلمات، قائلا:

"اغربوا عن وجهى ياسبب عارى وشنارى
أليس فى منازلكم ما يكفيكم من الأحزان، وتأتون هنا لمضايقتى؟ ٢٤٠
أم أنكم تعبرون عن استيائكم من أن ابن كرونوس، زيوس، قد أصابنى
بوجع الحزن، بعد أن قتل أفضل أبنائى؟ ولكن ستدركون جيدا:
فالآن، وبعد مصرع ولدى، ستصبحون فريسة سهلة
فى متناول يد الآخيين؛ أما أنا،
فقبل أن أرى هذة المدينة، بعينى رأسى، مقهورة ٢٤٥
ومحطمة، فيجدر بى أن أهبط إلى مقر هاديس".

قال ذلك، ثم بدأ فى إبعاد الناس بعصاه، فانصرفوا جميعا.
وفى تلك الأثناء كان الشيخ الأشيب يسرع الخطى، ويصيح فى أبنائه
هيلينوس، باريس، أجاثون، بامّون الإلهى،
أنتيفونوس، بوليتيس البارع فى صيحة الحرب، ٢٥٠
ديفوبوس، هيبوثوؤس، ديوس النبيل.
هؤلاء التسعة دعاهم الشيخ الهرِم بصوت جهورى، وأمرهم قائلاً:

"أسرعوا إلىّ أيها الأبناء السيئين،، يا مجلبة عارى،
ليتكم كنتم قد قُتِلتُم جميعا بالقرب من السفن السريعة بدلا من هيكتور!
يا حسرتى أنا التعس! فقد أنجبت أفضل الأبناء ٢٥٥
فى طروادة الفسيحة، ولكنى أقول إنه لم يَبق منهم أحد:
ميستور شبيه الآلهة، طرويلوس البارع فى قيادة العربة الحربية،
هيكتور، الذى كان إلهًا بين الرجال، فلم يكن مظهره يدل على
أنه ابن لرجل فان، ولكن لإله. لقد قتلهم آريس جميعا،
ولم يترك لى سوى من يجلبون لى العار، الكذابين سريعى الفرار، ٢٦٠
أفضل الراقصين، ولصوص الأغنام والماعز.
ألن تجهزوا لى العربة على وجه السرعة،
ألن تضعوا فوقها كل هذه الأشياء، حتى تنطلق فى الرحلة؟"

قال ذلك، فهبوا مذعورين من توبيخ والدهم ٢٦٥
فأخرجوا العربة سريعة العجلات، تجرها البغال،
جميلة ومزركشة حديثًا. ثم ربطوا فوقها السلة المجدولة،
ثم أنزلوا نير البغال من الوتد الخشبى،
وهو ذو رأس مستديرة، ومزود بالحلقات كى يمر منها اللجام.
وكذلك أحضروا سيرا من الجلد بطول تسعة أذرع، ٢٧٠
وبه ثبتوا النير جيدا فوق العريش المصقول،
من خلال الحلقات الأمامية، وذلك بوضع الحلقات فى وتد خشبى،
ثم ربطها ثلاث مرات من الجانبين فوق سُرة النير،
وبعد تثبيتها جيدا قاموا بعمل عقدة فى نهاية السير الجلدى.
وأخرجوا من الخزانة فدية رأس هيكتور ٢٧٥
التى لا تحصى، وكوموها فوق العربة المزركشة،
وربطوا البغال ذات الحوافر القوية فى النير، تلك
التى كان الميسيون قد أهدوها إلى برياموس من قبل، هدية فخمة.

كما أعدوا الخيول لبرياموس، تلك التى كانت مخصصة للشيخ
المسن، والتى كان يقوم برعايتها فى الحظيرة الفاخرة بنفسه. ٢٨٠

وهكذا بينما كان الاثنان يشرفان على تجهيز العربة فى
القصر العالى، برياموس وتابعه، وتجول بخاطرهما أفكار حكيمة؛
عندئذ دنت هيكابى منهما، بقلب حزين،
ممسكة فى يدها اليمنى بنبيذ معسول،
فى كأس ذهبى، لكى يقدماه قربان شراب قبل الرحيل، ٢٨٥
ثم وقفت فى مواجهة الخيول، وخاطبت زوجها قائلة:

"هاك، اسكبها قربان شراب، لزيوس الأب، وتضرع
إليه أن تعود إلى بيتك من بين الأعداء القساة، مادامت نفسك
تدفعك إلى سفنهم، على غير رغبة منى.
ابتهل أولا لابن كرونوس، ذى السحب السوداء ٢٩٠
سيد إيدا، المطل على كل طروادة،
توسل أن يبعث إليك رسولا سريعًا
الطائر الأقرب إلى قلبه والأقوى،
وأن يظهره على يمينك، كى تراه بكلتى عينيك.
فتمتلىء ثقة وتشق طريقك صوب سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة. ٢٩٥
أما إذا لم يمنحك زيوس، واسع النظر رسوله هذا
فمن المؤكد أننى لن أحثك على
الذهاب إلى سفن الأرجيين، بالرغم من لهفتك".

فأجابها برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"وأنا يا زوجتى لن أخالف مشورتك، ٣٠٠
فإنه لشىء طيب أن نرفع أكف الضراعة لزيوس، فقد يرثى لحالنا".

قال ذلك، ثم أمر الشيخ الأشيب الخادمة
أن تصب ماءً نقيا على يديه، فأسرعت الخادمة

بالاقتراب منه وفى يديها إبريق ووعاء وإناء.
وبعد أن أتم الاغتسال، أخذ الكأس من زوجته، ٣٠٥
ثم وقف وسط الفناء، وبدأ يبتهل، وهو يسكب النبيذ
ناظرًا إلى السماء، ثم رفع صوته بالدعاء:

"أيها الأب زيوس، يا من تحكم من فوق إيدا، أيها الأمجد
الأعظم، امنحنى أن أكون موضع ترحاب وإشفاق لدى أخيليوس؛
ولتبعث إلىّ رسولاً سريعًا، الطائر الأقرب إلى قلبك والأقوى ليظهر ٣١٠
على يمينى كى أراه بعينى وأمتلىء ثقة وأشق طريقى إلى
سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة"

قال ذلك مبتهلا، فاستمع إليه زيوس ذو التدبير الحكيم،
فأرسل إليه فى التو نسرا، وهو الأكثر تأكيدًا للفأل بين الطيور؛ ٣١٥
نسرا داكن اللون، قناصا، يدعوه الناس بالأسود.
وبقدر ارتفاع ضلفتى باب حجرة شاهقة الارتفاع،
محكمة المزاليق فى قصر رجل ثرى،
هكذا امتد جناحاه على الجانبين؛ وقد لاح لهم
من جهة اليمين، محلقا عبر المدينة، فسعدوا ٣٢٠
لمشاهدته، وانشرح صدرهم.

وعندئذ أسرع الشيخ الهرِم بالصعود إلى العربة،
ثم عبر الممر المؤدى إلى البوابة، ثم الرواق الذى يردد صدى الصوت.
وفى المقدمة، كانت البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع،
وكان يقودها إيدايوس الحكيم. وفى خلفها سارت ٣٢٥
الخيول التى كان الشيخ المسن يوجهها بالسوط، ويحثها
على الإسراع عبر المدينة، وشيعه كل الأصدقاء،
باكين بشدة، كما لو كان يرحل إلى الموت.
وعندما نزلا من المدينة، وبلغا الوادى،

عاد الجميع أدراجهم إلى إليوس، أبناؤه وأزواج بناته. ٣٣٠
أما هما فبمجرد ظهورهما فى الوادى لم يغربا عن أعين زيوس،
واسع الرؤية، وعندما رآهما أشفق بشدة على الشيخ الهرِم،
وفى الحال تحدث إلى هرميس، ولده العزيز، قائلاً:

"أى هرميس، حيث إن مرافقة إنسان فان هى من أحب
المتع إليك، وتعطى أذنًا صاغية لمن تهتم بهم، ٣٣٥
أسرع إذن وقد برياموس إلى سفن الآخيين المجوفة،
على ألا يراه أحد، أو يفطن إليه أى من
الدانائيين الآخرين، قبل أن يصل إلى ابن بيليوس".

قال ذلك، فلم يعصه رسول الآلهة، أرجيفونتيس.
وفى التو انتعل ذلك الصندل الذهبى ٣٤٠
الجميل، الأمبروسى الخالد، والذى يطير به فوق البحار
وعبر الأراضى غير المحدودة مثل هبات الريح.
ثم أمسك بعصاه التى بها يستدرج عيون البشر للنوم إذا شاء،
أو يوقظ النيام من غفوتهم.
بهذه العصا فى يده طار أرجيفونتيس القوى، ٣٤٥
فبلغ طروادة وهيلليسبونطوس فورًا،
ثم شرع فى السير فى هيئة شاب من النبلاء،
تنبت لحيته لأول مرة وهو فى ريعان شبابه الوسيم.
وما أن عبر (برياموس وتابعه) مقبرة إيلوس الكبرى،
أوقفا البغال وأيضا الخيول، حتى ترتوى ٣٥٠
من النهر، حيث هبط الظلام على الأرض،
وهنا انتبه التابع إذ رأى الإله
هرميس على مقربة منه، فصاح فى برياموس قائلاً:

"انتبه، يا سليل داردانوس، فهذا أمر بحاجة إلى رجاحة العقل،

فأنا أرى رجلا، ويبدو أننا سنصبح أشلاء بعد قليل. ٣٥٥
ولكن هيا إذن، ولنهرب فوق العربة، أو لنتوسل إليه
متشبثين بركبتيه، فربما يرثى لحالنا".

قال ذلك، فاضطرب عقل الشيخ الأشيب، وتملكه خوف شديد،
وانتصب الشعر على مفاصله المرنة،
ووقف مذهولا. وعندئذ اقترب الإله المستعان (هرميس)، ٣٦٠
وأمسك بيدى الشيخ المسن، ثم سأله:

"إلى أين، أيها الأب، تقود خيولك وبغالك فى ذلك الليل
البهيم الخالد (الأمبروسى)، حيث ينام كل البشر الفانين الآخرين؟
غير هياب بالآخيين النافثين جنونًا،
المعادين بلا هوادة والقريبين من هنا؟ ٣٦٥
وإذا ما رآك أحدهم فى تلك الليلة المسرعة حالكة السواد،
محملا بكل النفائس، فكيف ستتصرف؟
إنك لست شابًا، حتى تستطيع الدفاع عن نفسك ضد أى شخص
قد ينقض عليك؛ وكذلك فإن تابعك هو أيضا رجل طاعن فى السن.
أما أنا فلن أمسك بسوء، بل وسأرد عنك غائلة ٣٧٠
الآخرين، فإنك تشبه والدى الحبيب".

وعندئذ رد عليه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"حقا هو كذلك مثلما تقول، أيها الابن العزيز.
ولكن ربما يمد لى أحد الآلهة يده الآن،
فقد أرسل لى عابر سبيل مثلك، جالبًا للخير، ٣٧٥
فأنت فى الهيئة والوسامة رائع؛
وذو عقل حكيم، ومن أبوين مباركين ولدت كما يبدو".

فرد عليه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:
"حقا، أيها الشيخ الهرِم، فما قلت إلا صوابًا.

ولكن هيا إذن. تحدث، وأخبرني ما إذا كنت تحمل كل تلك النفائس ٣٨٠
لأناس غرباء، لكى يتركوك فى أمان،
أم أنكم تهجرون جميعا مدينة إليوس المقدسة،
من شدة الخوف، بعد أن قُتِلَ أفضل الرجال،
ابنك، الذى لم يكن ليتوقف أبدًا عن قتال الآخيين". ٣٨٥

وعندئذ خاطبه الشيخ الهرِم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"من أنت، أيها الشاب النبيل، ولأى والدين ولدت؟
إنك تتحدث بكل خير عن مصير ولدى التعس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:
"إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرِم، وتسألنى عن هيكتور الإلهى. ٣٩٠
لقد شاهدته بعينى مرات عديدة فى المعركة،
التى تعطى المجد للرجال، عندما كان يطارد الأرجيين إلى سفنهم؛
ويقتلهم، ويمزقهم بسيفه البرونزى البتار.
أما نحن فقد دُهشنا بما يفعله، بينما كنا نقف على مبعدة، حيث لم يسمح
لنا أخيليوس بالقتال، بسبب غضبه من ابن أتريوس. ٣٩٥
فأنا تابعه فى القتال، وحملتنا إلى هنا السفينة نفسها متينة الصنع.
إننى واحد من الميرميدونيين، وأبى هو بوليكتور؛
وهو من الأثرياء، ولكنه شيخ مسن مثلك أنت،
له ستة من الأبناء، وأنا السابع.
ضربنا القرعة فيما بيننا واخترت للحضور إلى هنا، ٤٠٠
أنا الآن قادم من السفينة إلى الوادى. وفى الفجر
سيشعل الآخيون، ذوو العيون البراقة، القتال حول المدينة،
لتململ الجالسين بلا عمل، ولن يستطيع
ملوك الآخيين أن يكبحوا جماح أولئك المتعطشين للقتال".

وعندئذ خاطبه الشيخ المسن بريامونس، شبيه الآلهة، قائلا: ٤٠٥

"إن كنت حقا تابع أخيليوس بن بيليوس فى القتال،
فهيا إذن وأخبرنى بكل الحقيقة.
هل مازال ولدى ممددا بجوار السفن، أم أن أخيليوس
قد مزقه إربا إربا، ثم ألقى به للكلاب؟".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً: ٤١٠
"لم تلتهمه الكلاب ولا الطيور الجارحة بعد، أيها الشيخ المسن،
ولكنه مازال ممددا بجوار سفينة أخيليوس،
وسط الخيام، إنه ممدد هناك منذ اثنى عشر فجرا،
ولم يتعفن جسده بعد، أو يأكله الدود
الذى يلتهم جثث قتلى المعارك. إن (أخيليوس) ٤١٥
يجر جثته، بلا شفقة، حول كومة الدفن
لصديقه الحبيب كلما ظهر ضوء الفجر الإلهى،
وعلى الرغم من ذلك فلم يشوه جسده، وتستطيع الذهاب بنفسك وتندهش
من إنه ممدد، ومازال جسده نضرا. وقد غسلت الدماء من فوق جسده،
ولم يحدث أى تقيح، فقد التأمت كل الجروح ٤٢٠
التى أصيب بها، حيث طعنه الكثيرون بسيوفهم البرونزية.
إن الآلهة المباركين يهتمون كثيرا بأمر ولدك الجسور،
حتى وهو جثة هامدة، لأنه عزيز على قلوبهم".

فانشرح صدر الشيخ الهرم بما سمعه، وخاطبه قائلاً:
"أى بنى، حقا إنه لشىء طيب أن يقدم الفانون مثل تلك الهدايا ٤٢٥
للآلهة الخالدين. فلم يكن ولدى ينسى قط فى قصره، وقت
أن كان لى ولد، الآلهة المهيمنين على الأوليمبوس.
ولذلك فقد تذكروه حتى وهو فى قبضة الموت.
ولكن هيا الآن وتقبل منى ذلك الكأس الجميل،
وقم بحمايتى ومرافقتى بعون من الآلهة، ٤٣٠

حتى أصل إلى خيمة ابن بيليوس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتيس، قائلاً:

"إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرِم، فأنا الأصغر سنا؛ ولكنك
لن تقنعنى بقبول هديتك، دون علم أخيليوس.
فأنا أخشاه وأكن له فى قلبى التبجيل وأستحى أن　٤٣٥
أستولى على شيء يخصه، فقد يُلحق بى السوء بعد ذلك.
ولكنى سأكون لك مرشدًا، حتى وإن بلغت مدينة أرجوس(*) المجيدة،
سواء كان ذلك فى سفينة سريعة أو سيرا على الأقدام،
ولن يتعرض لك أحد، محتقرا مرشدك".

قال ذلك، ثم قفز الإله المستعان بسرعة فوق العربة　٤٤٠
خلف الخيول، وأمسك فى يديه بالسوط والعنان،
ثم أعطى للخيول والبغال دفعة قوية.
وعندما وصلوا إلى الأبراج المطلة على السفن، وإلى الخندق،
كان الحراس قد بدأوا فى الانشغال بوجبة العشاء،
فدثرهم رسول الآلهة، أرجيفونتيس بغلالة النوم،　٤٤٥
ثم فتح البوابة بسحب المزلاج.
وعندئذ قاد برياموس وهداياه الثمينة المحملة فوق العربة للداخل،
فلما بلغوا خيمة ابن بيليوس العالية،
التى كان الميرميدونيون قد شيدوها لمليكهم
بجذوع أشجار الصنوبر، وغطوا سقفها　٤٥٠
بأعداد كبيرة من الغاب، التى تم جمعها من المروج،
ومن حولها أقاموا فناءً كبيرا لمليكهم
بأوتاد سميكة. كان للباب مزلاج واحد
من الصنوبر، وكان ثلاثة من الآخيين يجرونه لإغلاقه،

(*) أرجوس المقصودة هنا هى أرجوس البلاسجية فى ثيساليا. (المحرر)

وثلاثة آخرون يفتحون المزلاج الضخم، ٤٥٥
أما أخيليوس فكان يحركه بمفرده.
وهنا قام الإله المستعان، هرميس، بفتحه للشيخ الأشيب،
وقام بحمل الهدايا النفيسة إلى ابن بيليوس، سريع القدمين،
ثم هبط بعد ذلك من فوق العربة على الأرض وقال:

"أيها الشيخ المسن، لقد أتيتك، أنا الإله الخالد ٤٦٠
هرميس، بعد أن طلب منى أبى أن أكون لك مرشدًا فى الطريق.
أما الآن فسوف أعود أدراجى، ولن أظهر أمام
عينى أخيليوس؛ فربما يكون أمرا سيئا
أن يستقبل بشر فانون إلهًا خالدًا وجهًا لوجه.
أما أنت، فتعلق بركبتى ابن بيليوس بمجرد دخولك، ٤٦٥
ثم توسل إليه بحق والده ووالدته ذات الخصلات الجميلة،
وأيضا بحق ولده، حتى تحرك مشاعره".

وبعدما انتهى هرميس من حديثه، عاد إلى الأوليمبوس
الشاهق وعندئذ قفز برياموس من فوق العربة إلى الأرض،
وقد ترك إيدايوس هناك. فظل رابضا فيها ممسكا ٤٧٠
بالخيول والبغال، أما الشيخ المسن فقد دخل مباشرة إلى المنزل،
حيث اعتاد أخيليوس، حبيب زيوس، أن يجلس،
فوجده. أما رفاقه فكانوا يجلسون بعيدا عنه، فيما عدا اثنين فقط:
وهما المحارب أوتوميدون، وألكيموس سليل آريس،
حيث كانا منهمكين فى خدمته، وكان قد انتهى لتوه من ٤٧٥
الطعام والشراب، ومازالت المائدة ممدودة أمامه.
أما برياموس العظيم فقد دخل دون أن يراه أحد، ووقف على مقربة من
أخيليوس، ثم احتضن ركبتيه بيديه الاثنتين، ثم قبَّل تلك اليدين
المرعبتين قاتلة الرجال، التى أودت بحياة العديد من أبنائه.

ومثلما تحل اللعنة القاضية برجل ما، فيقتل رجلا آخر ٤٨٠
فى وطنه، ثم يهرب إلى بلد أجنبى
ويلجأ إلى منزل رجل ثرى، فتتملك الدهشة كل من يراه.
هكذا أصيب أخيليوس بالدهشة عندما رأى برياموس، شبيه الآلهة؛
وهكذا أصيب الآخرون بالدهشة، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر،
وعندئذ خاطبه بريامو‌س، متوسلا، وقال: ٤٨٥

"ياشبيه الآلهة، أخيليوس، تذكر والدك،
فهو معمر مثلى، وعلى عتبات شيخوخته المضنية.
من يدرى فربما كان القاطنون حوله، والمحيطون به
يزعجونه، ولم يجد أحدا ليدرأ عنه السوء والفناء.
ولكنه على الأقل، عندما يسمع أنك مازلت حيا ٤٩٠
ينشرح صدره، ويأمل فى كل يوم
أن يرى ولده الحبيب عائدا من طروادة.
أما أنا فتعس، سيئ الحظ، فقد أنجبتُ أفضل الأبناء
فى طروادة الفسيحة، وأقول لك إن أحدًا لم يبق لى منهم.
لقد كان لى خمسون من البنين عندما حضر أبناء الآخيين. ٤٩٥
تسعة عشر منهم من رحم واحد،
أما الآخرون فقد أنجبتهم لى نساء أخريات داخل القصر.
كثيرون الذين حلّ آريس المجنون ركبهم.
وترك لى فقط، الذى كان يحمى المدينة، ورجالها،
فقد أرديته قتيلاً أنت حديثًا، وهو يدافع عن وطنه. ٥٠٠
إنه هيكتور. فمن أجله أتيت الآن إلى سفن الآخيين،
كى أفتديه منك؛ وقد أحضرت معى فدية كبيرة لا تعد ولا تحصى.
خاف الآلهة، أى أخيليوس، وأشفق علىّ
عندما تتذكر والدك، فأنا أهل للشفقة أكثر منه، إذ تحملت مالا
يتحمله شخص آخر من البشر الفانين على وجه الأرض، ٥٠٥

بأن أقبل يد من قتل أبنائى".

هكذا تحدث، فاستثار أحزان (أخيليوس) ليبكى والده.
وأمسك بيد الشيخ الهرِم، ونحاه برقة جانبا. ثم أخذا يستعيدان
الذكريات الحزينة: أحدهما يتذكر هيكتور، قاتل الرجال،
وأجهش بالبكاء وهو ينحنى على قدمى أخيليوس. ٥١٠
أما أخيليوس فكان يبكى تارة والده، وتارة أخرى
باتروكلوس. فعلا النحيب بشدة عبر حجرات الخيمة.
ولكن عندما أخذ أخيليوس الإلهى كفايته من البكاء،
وذهب الحنين عن نفسه وعن كل أعضاء جسده،
نهض فى التو من مقعده ورفع الشيخ المسن من يده. ٥١٥
فقد أشفق على شيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء،
ثم خاطبه بكلمات مجنحة، قائلا:

"آه، أيها التعس، لقد كابدت الكثير من الآلام!
كيف تحملت الحضور إلى سفن الآخيين بمفردك،
فى مواجهة الرجل الذى فتك بالكثيرين من أبنائك ٥٢٠
البواسل؟ لك قلب من حديد.
ولكن هيا إذن واجلس على المقعد، ولندع أحزاننا
تهدأ داخل قلوبنا، على الرغم من الألم المرير.
فلا طائل من ذلك البكاء المدمر.
هذا هو ما قدرته الآلهة للبشر التعساء، ٥٢٥
بأن يعيشوا فى ألم مرير، بينما هم أنفسهم بلا آلام.
فعلى عتبات معبد زيوس توجد جرتان كبيرتان مليئتان بالهدايا،
إحداهما مليئة بالخير، والأخرى بالشر.
فأى امرىء يمنحه زيوس، المتمتع بالصاعقة، هداياه المختلطة
فتارة يصطدم بالشر، وتارة أخرى ينعم بالخير ٥٣٠

أما من يمنحه مصير الأحزان، يجعله محط احتقار،
يطارده الجوع المفترس فوق الأرض المقدسة،
يهيم على وجهه دون اكتراث من الآلهة أو البشر.
فهكذا منحت الآلهة بيليوس الهدايا المجيدة
منذ ولادته، فقد فاق كل البشر ٥٣٥
فى الازدهار والثراء. وصار ملك الميرميدونيين.
ثم اختاروا إلهة زوجة له، مع أنه إنسان فانٍ.
ومع ذلك فقد أصابه الإله بسوء، فلم
ينجب فى قصره ذرية من الأبناء ليخلفوه على العرش،
ولكنه أنجب طفلا واحدًا حدد له أجل مبكر، لم يعد بوسعى ٥٤٠
أن أرعاه وهو يتجه للشيخوخة، لأنى بعيد عن أرض الوطن،
فى طروادة. حيث تسببتُ فى إيذائك وفى ايذاء أبنائك.
وأنت أيها الشيخ، لقد سمعنا من قبل أنك كنت من المحظوظين،
إذ كانت لك ليسبوس، موطن ماكار(*) الممتدة تجاه البحر
غير المحدود. وأيضا فريجيا الممتدة فوق البر؛ وكذلك ٥٤٥
هيلليسبونطوس. يقولون إنك، أيها الشيخ الهرِم، تفوقت على الجميع
فى الثراء، وفى الأبناء. ولكن منذ أن أصابك أهل السماء بالخراب
فصارت المعارك تحيط بالمدينة من كل جانب، وكذلك قتل الرجال،
فلتتحمل إذن، ولا تثقل قلبك بأحزان لا نهاية لها.
فلن تجنى شيئا من حزنك الشديد على ولدك، ٥٥٠
ولن تعيده مرة أخرى إلى الحياة، ولكنك ستعانى شرورًا أخرى".

عندئذ أجابه الشيخ المسن، شبيه الآلهة، برياموس، قائلاً:
"لا لا تدعنى أجلس على مقعد، ياربيب زيوس،
طالما كان هيكتور ممددا بين الخيام دون عناية، بل اعتقه بسرعة،

(*) هو فى الغالب ملقرت الفينيقى، راجع المقدمة. (المحرر)

حتى أراه بعينى هاتين، ولتقبل فديته الكبيرة ٥٥٥
التى أحضرناها إليك، ولتسعد بها، ثم تعود
إلى أرض وطنك، بعد أن تكون قد أبقيت على
حياتى وتركتنى أرى ضوء الشمس".

فنظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بحدة وقال له:
"لا تستثر غضبى أكثر من ذلك، أيها الشيخ الأشيب، وأنا نفسى ٥٦٠
أنوى أن أعتق هيكتور؛ إذ وصلنى رسول من زيوس،
أمى نفسها، التى أنجبتنى، ابنة شيخ البحر المسن.
لقد تعرفت عليك، أى برياموس، ولم يغب عن ذهنى
أن أحد الآلهة قد أتى بك إلى سفن الآخيين السريعة،
فلم يستطع بشرى من قبل أن يصل إلى حشد جيشنا، حتى وإن ٥٦٥
كان أكثر شبابا وقوة منك. ولم يكن ليفلت من الحراس،
وما كان له أن يسحب بسهولة مزلاج بوابتنا.
ولذلك فلا تثر فى نفسى الأحزان،
وإلا فلن أبقيك حيًا، أنت نفسك بين خيامنا أيها الشيخ الأشيب،
حتى وإن كنت متضرعا، ولو كان فى ذلك ما يخالف أوامر زيوس". ٥٧٠

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأشيب وأطاع أمره.
وعندئذ قفز ابن بيليوس كالأسد متجها صوب الباب إلى خارج الخيمة،
لم يكن بمفرده، ولكن تبعه اثنان من مرافقيه:
وهما المحارب أوتوميدون وألكيموس، اللذان
يكرمهما أخيليوس أكثر من رفاقه الآخرين، بعد وفاة باتروكلوس. ٥٧٥
ففكوا الخيول والبغال من النير،
ثم اقتادوا التابع منادى الشيخ المسن للداخل.
وأجلسوه على أحد المقاعد. ومن العربة ذات الإطارات الجميلة
حملوا فدية رأس هيكتور التى لا تعد ولا تحصى.

وتركوا بها عباءتين وثوبًا جميلاً مغزولاً بمهارة، ٥٨٠
حتى يتم تكفين الجثمان بها قبل إعادته إلى منزله. ثم استدعى
(أخيليوس) بعض الإماء وأمرهن بغسله ودهنه من كل جانب،
بعد حمله إلى مكان بعيد، حتى لا يرى برياموس ولده،
فقد لا يستطيع السيطرة على غضبه، من شدة حزنه،
عندما يرى ولده، مما قد يثير حنق أخيليوس عليه ٥٨٥
فيقتله، مخالفًا أوامر زيوس.
وبعدما انتهت الإماء من غسله ودهنه بالزيت،
غطين جسده كاملا بالعباءة الجميلة وبالثوب،
ورفعه أخيليوس نفسه، ووضعه فوق النعش الخشبى.
وعندئذ قام رفيقاه برفع النعش ووضعوه فوق العربة المزركشة جيدًا. ٥٩٠
ثم شرع بعد ذلك فى البكاء، ونادى رفيقه الحبيب بالاسم قائلاً:

"أى باتروكلوس، لا تغضب منى إذا علمت
وأنت فى هاديس أننى قد أعدت هيكتور الإلهى
إلى والده العزيز، وأن الفدية لم تكن كما ينبغى،
فلسوف أتقاسمها معك، وأمنحك منها كل ما أنت جدير به". ٥٩٥

ثم عاد أخيليوس الإلهى مرة أخرى إلى داخل خيمته،
وجلس على مقعده الوثير رائع الصنع، ثم نهض مرة أخرى
وجلس بجوار الحائط المقابل، وتحدث إلى برياموس قائلا:

"أيها الشيخ الأشيب، لقد أخليت سبيل ولدك كما طلبت،
وهو الآن ممدد فوق النعش الجنائزى. ومع ظهور أول ضوء للفجر ٦٠٠
ستراه بنفسك وتحمله معك. أما الآن فدعنا لا ننسى العشاء.
فحتى نيوبى(*)، ذات الخصلات الجميلة، لم تنس الطعام،

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة عند هوميروس لأسطورة نيوبى التى وردت كثيرًا فى أشعار الإغريق والرومان وترددت أصداؤها فى الآداب الأوروبية الحديثة. (المحرر)

تلك التى قُتِل لها اثنا عشر من أبنائها داخل قصرها،
ست من البنات، وستة من البنين فى ريعان الشباب،
قتل أبوللون الأبناء بقوسه الفضى ٦٠٥
بسبب غضبه من نيوبى، أما البنات فقتلتهن أرتميس رامية السهام.
لأن نيوبى تباهت بنفسها أمام ليتو، ذات الوجنتين الجميلتين.
وعيرتها بأنها قد أنجبت طفلين توأمًا فقط، بينما أنجبت هى الكثير.
ولذا فعلى الرغم من أنهما اثنان فقط إلا أنهما قتلا كل أبنائها.
وظلوا لمدة تسعة أيام ممددين على الأرض، غرقى فى دمائهم، ٦١٠
فلم يكن هناك من يقوم بدفنهم، حيث حول ابن كرونوس الناس جميعا
إلى حجارة(*). وفى اليوم العاشر قامت آلهة السماء، بدفنهم،
وأما هى فلم تنس الطعام، حيث أنهكتها غزارة دموعها.
وهى الآن بين الصخور، فى جبل معزول،
فى سيبيلوس، حيث يقولون إنه مخدع الإلهات العرائس اللائى ٦١٥
حول أخيلويوس. لقد تحولت إلى حجر بفضل الآلهة، وهى هناك
تتأمل أحزانها المرسلة من قبل الآلهة. ولكن هيا إذن، أيها الشيخ
القدير، دعنا لا ننسى نحن أيضا الطعام، وبعد ذلك يمكنك البكاء مرة
أخرى على ولدك الحبيب، بينما تحمله معك إلى إليوس،
فسوف تنهمر منك دموع غزيرة". ٦٢٠

قال ذلك، ثم نهض أخيليوس السريع ونحر شاة بيضاء،
وتولى رفاقه بعد ذلك سلخها وإعدادها كما ينبغى، وذلك بتقطيعها
بمهارة شديدة إلى شرائح صغيرة، ثم تمريرها فى الأسياخ،
ثم قاموا بشيها بعناية فائقة، وحملوها بعيدا عن النار.
ثم أخذ أوتوميدون الخبز ووزعه على المائدة ٦٢٥
فى سلال جميلة. أما أخيليوس فوزع قطع اللحم.

(*) يربط بعض الدارسين بين كلمة"الشعب"laos فى اللغة الإغريقية وكلمة"الحجر"laas. (المحرر)

وعندئذ بدأ كل منهم يمد يده للطعام والشراب المصفوف أمامهم.
وعندما امتلأت بطونهم، ولم تعد لديهم رغبة فى المزيد من طعام
أو شراب، أبدى برياموس، سليل داردانوس، إعجابه بأخيليوس،
وكم كان طويلاً ووسيمًا، كما لو كان من الآلهة. ٦٣٠
أما أخيليوس فقد أبدى هو الآخر إعجابه ببريامـوس، سليل داردانوس،
برؤية مظهره النبيل، والاستماع إلى كلماته.
وبعدما أشبع كل منهما عينيه برؤية الآخر،
تحدث الشيخ الهرِم، شبيه الآلهة، بريامـوس أولاً، وقال:

٦٣٥
"دعنى أسترح الآن، وفى التو، ياربيب زيوس،
كى ننام، ونسعد بنوم هانىء،
فحتى الآن لم تغفل عيناى داخل جفونى
منذ أن لقى ولدى مصرعه على يديك.
فأنا أبكيه باستمرار، ولكنى أكتم أحزانى العديدة والمريرة،
متمرغا فى الأوحال، فى حظيرة المنزل. ٦٤٠
أما الآن فقد تناولت الطعام، ودفعت بالنبيذ المتقد
داخل جوفى، ومنذ وقت طويل لم أكن قد ذقت شيئا من الطعام".

وهكذا، وعندما انتهى من حديثه، أمر أخيليوس رفاقه
وبعض الإماء أن ينصبوا أسرة خشبية فى القاعة، وأن يغطوها
بأغطية أرجوانية جميلة، وأن يفرشوا فوقها مفروشات صوفية. ٦٤٥
فخرجت الإماء إلى القاعة، ممسكات فى أيديهن بالمشاعل،
وفى التو أعددن، فى خفة وبسرعة، سريرين.
وعندئذ، ابتسم أخيليوس، سريع القدمين، وخاطبه قائلاً:

٦٥٠
"فلتسترح بالخارج، أيها الشيخ العزيز، فربما يأتى
أحد المستشارين من الآخيين، الذين يبقون دائما
على مقربة منى، ويسألونى المشورة، كما هى العادة،

فإذا ما رآك أحدهم فى تلك الليلة المنصرمة بسرعة، حالكة السواد،
فسوف يخبر فى الحال أجاممنون، راعى الشعوب،
ومن ثم فقد يرجىء تسليم الجثمان. ٦٥٥
ولكن هيا إذن وقل بصدق وأخبرنى
كم من الأيام تنوى أن تقيم فيها مراسم دفن هيكتور الإلهى،
حتى أنتظر أنا نفسى، وأُمسِك بالجيش عنك".

فأجابه الشيخ الهرِم، شبيه الآلهة، برياموس قائلاً:
"لو أنك ترغب حقا أن أقيم مراسم دفن لهيكتور الإلهى، ٦٦٠
فسيتفق هذا مع رغبتى، أى أخيليوس، أنت تعرف
بأننا محاصرون فى المدينة، وأن الأخشاب على مسافة بعيدة
كى نحملها من الجبل، كما أن الطرواديين خائفون بشدة.
تسعة أيام إذن كى نبكيه فى القصر،
وفى اليوم العاشر نقوم بدفنه، ثم تقام وليمة جنائزية، ٦٦٥
وفى الحادى عشر نهيل عليه قبرا من التراب،
أما فى اليوم الثانى عشر فسوف نعود للقتال، إذا دعت الضرورة".

وعندئذ خاطبه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، قائلاً:
"لك ذلك إذن، أيها الشيخ الأشيب برياموس، وكما طلبت؛
فسوف أوقف القتال طوال المدة التى تحتاجها". ٦٧٠

وبعدما انتهى من حديثه، أمسك بمعصم يمنى
الشيخ المسن، خشية أن يكون فى قلبه بعض الخوف،
وهكذا نام كلاهما، التابع وبرياموس، فى القاعة الأمامية للخيمة،
تدور بخلدهما أفكار حكيمة.
أما أخيليوس فنام فى حجرته فى عمق الخيمة المنيفة، ٦٧٥
وبجواره ترقد بريسئيس، ذات الوجنتين الجميلتين.

كان الآلهة الآخرون، وكذلك الرجال، مقاتلو العربات الحربية

ينامون طوال الليل، فقد استسلموا للذة النوم،
فيما عدا هرميس، الإله المستعان، الذى لم يغلبه النعاس،
فقد كان يفكر بإمعان كيف يرشد الملك برياموس ٦٨٠
بعيدًا عن السفن، دون أن يرمقه حراس البوابات العتاة.
وعندئذ وقف فوق رأس (برياموس) وقال له:

"أيها الشيخ المسن، لا يشغل بالك أى سوء قد يصيبك وأنت
ترقد هنا وسط الأعداء، فقد أنقذك أخيليوس.
أما وقد افتديت الآن ولدك الحبيب بتقديم الكثير من الهدايا، ٦٨٥
فمن أجلك أنت سيقدم أبناؤك، الذين تركتهم خلفك،
ثلاثة أضعاف ما قدمت فدية، إذا ما تعرف عليك أجاممنون
بن أتريوس، أو تعرف عليك كل الآخيين".

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأشيب، وأيقظ تابعه
وأعد لهما هرميس الخيول والبغال، ٦٩٠
وقادها بنفسه مسرعا عبر المعسكر، دون أن يفطن إليهم أحد.
ولكن ما أن بلغوا مخاضة النهر جميل الانسياب،
نهر كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد،
رحل هرميس إلى قمة الأوليمبوس الشاهق؛
فى حين انتشرت إيوس ذات الرداء الزعفرانى على وجه الأرض كافة. ٦٩٥
أما هما فساقا الخيول صوب المدينة فى نحيب وبكاء؛
وكانت البغال تحمل الجثمان. فى البداية لم يفطن إليهم
أى من الرجال أو النساء ذوات النطاق الجميل،
فيما عدا كاساندرا، شبيهة أفروديتى الذهبية.
فقد صعدت إلى برجاموس، ورأت والدها الحبيب ٧٠٠
واقفا فى العربة، وكذلك تابعه منادى المدينة؛ كما رأت أخاها ممددا
فوق النعش الجنائزى على العربة التى تجرها البغال، وعندئذ أطلقت

صرخة عويل حادة فبلغت صيحتها كل أرجاء المدينة، قائلة:

"هلموا، أيها الطرواديون، وأيتها الطرواديات، وشاهدوا هيكتور،
واسعدوا كما لو كان عائدا من المعركة حيا، ٧٠٥
فقد كان الفرحة الكبرى للمدينة وللناس أجمعين".

قالت ذلك، فلم يبق رجل واحد أو امرأة داخل
المدينة؛ فقد غشيهم جميعا حزن لا يحتمل،
وتقابلوا بالقرب من البوابة مع حامل الجثمان.
وكانت زوجته الحبيبة وأمه الرؤوم سباقتين، وألقت كل منهما ٧١٠
بنفسها فوق العربة ذات العجلات الجميلة، وهى تمزق شعرها وتولول،
ويلمسان رأسه؛ والناس من حولهما يتدفقون ويبكون.
وكادوا يستمرون هكذا طوال اليوم وحتى غروب الشمس
وهم يذرفون الدمع أمام البوابة من أجل هيكتور.
لولا أن وجَّه الشيخ الهرِم حديثه للناس من فوق العربة قائلاً: ٧١٥

"أفسحوا الطريق لى وللبغال حتى نستطيع المرور للداخل ،
ثم بعد ذلك فلتشبعوا رغبتكم فى البكاء، بعدما أحمله إلى داخل المنزل".

قال ذلك، فتنحوا قليلاً على الجانبين مفسحين الطريق للعربة.
وحمله الآخرون إلى داخل القصر المجيد، ثم وضعوه
فوق سرير مربوط بحبال، ووضعوا بجواره المنشدين ٧٢٠
قائدى المرثيات، ليقودوا النشيد الجنائزى وشرعوا يتغنون
بالتراتيل الجنائزية، وبدأ النساء يولولن. ومن بينهن
كانت أندروماخى، ذات الذراع الأبيض، إذ قادت الأغنية الحزينة،
ممسكة بيديها رأس هيكتور قاتل الرجال قائلة :

"زوجى، رحلت عن هذه الحياة شابًّا، وتركتنى ٧٢٥
أرملة فى هذا القصر؛ وابنك مازال فى المهد صغيرا،
ذلك الذى أنجبناه، أنا وأنت، نحن التعساء، ولا أظن

أنه سيصل إلى مرحلة الشباب. فتلك المدينة ستكون قد هلكت
عن آخرها قبل ذلك الحين، إذ هلكت أنت، يا من
كنت تدافع عنها، وتحمى نساءها النبيلات وأطفالها الصغار ٧٣٠
اللائى سرعان ما سيُحمَلن فى السفن المجوفة،
وأنا معهن. أما أنت، يا بُنىَّ، فإما أنك
ستتبعنى إلى هناك، حيث تقوم بأداء الأعمال الوضيعة
تحت إمرة سيد لا يرحم؛ أو أن أحد الآخيين
سيقذف بك، قابضًا على يدك، من فوق البرج إلى حتفك المفجع، ٧٣٥
وقد تملكه الغضب لأن هيكتور كان قد قتل له من قبل أخًا،
أو أبًا أو ابنًا. فالعديد من الآخيين قد عضوا بأسنانهم تراب
هذه الأرض الفسيحة، بعد أن قضت عليهم يدا هيكتور.
فلم يكن أبوك لين الجانب فى القتال الفتاك.
ولذلك فإن الناس يبكونه فى كل أرجاء المدينة. ٧٤٠
أى هيكتور؛ لقد جعلت والديك يبكون بكاءً مريرا، وينتحبون بشدة،
ولم يبق لى سوى الآلام المبرحة،
لأنك لم تمد لى يديك وأنت ممدد فوق النعش،
كما لم تقل لى أية كلمة حكيمة، أمعن التفكير فيها
ليل نهار، وأنا أذرف فيها الدمع عليك". ٧٤٥

قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت النساء الأخريات يولولن بشدة.
ومن بينهن أخذت هيكابى دورها وقادت أغنية الحزن المفجع، قائلة:
"أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل أولادى،
كنت فى حياتك حبيب الآلهة، وهم الآن يحيطونك بعنايتهم فى موتك. ٧٥٠
فأخيليوس سريع القدمين من قبل باع أولادًا لى آخرين،
أسرهم فى البحر الهائج وباعهم عبيدًا،
فى جزيرة ساموس، وفى إمبروس، وأيضا فى ليمنوس، كثيفة الضباب.
أما أنت فقد سلبك حياتك بسيفه البرونزى ذى الحد الطويل البتار،

ثم جر جسدك لمرات عديدة حول كومة الدفن المقامة لصديقه ٧٥٥
باتروكلوس، الذى قتلته من قبل. ولكن ذلك لم يعده للحياة ،
والآن ترقد ممددا داخل القصر بجسدك النضر، غير المشوه،
كمن قد أرداه قتيلاً أبوللون، حامل القوس الفضى، بسهامه الرقيقة".

قالت ذلك وهى تبكى، وصرخت صرخة حزن لا ينتهى. ٧٦٠
ثم واصلت هيلينى قيادة الأغنية الحزينة حيث قالت:

"أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل إخوة زوجى،
حقا، إن زوجى هو ألكسندروس، شبيه الآلهة،
الذى أحضرنى إلى طروادة؛ وليتنى كنت قد فنيت قبل ذلك،
فقد أمضيت الآن عشرين عاما(*) منذ ذلك الحين ٧٦٥
الذى رحلتُ فيه من هناك وغادرتُ وطنى.
ولم أسمع منك كلمة مشينة أو مهينة قط.
وإذا ما لامنى شخص آخر داخل القصر، سواء كان من
إخوة زوجى أو أخواته، أو من زوجات إخوته بملابسهن الجميلة،
أو أمك – أما أبوك فهو مثل والدى رقيق الحال معى دائما – ٧٧٠
فإنك بحديثك معه، وكذلك بأسلوبك الرقيق،
وكلماتك العذبة تجعله يتراجع ويهدأ.
ولهذا فأنا أبكيك، كما أبكى على نفسى، سيئة الحظ، بقلب حزين.
فلم يعد لى بعد ذلك فى طروادة الفسيحة شخص آخر
لطيف أو عزيز، لأنهم جميعا يفزعون منى". ٧٧٥

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة فى أشعار هوميروس للرواية الأسطورية المدهشة وفحواها أن الإغريق بعد خطف هيلينى قاموا بحملة فاشلة حيث رست سفنهم فى ميسيا بدلاً من طروادة عن طريق الخطأ فعادوا إلى بلادهم. وبعد عشر سنوات حشدوا أساطيلهم وقاموا بالحملة التى تتحدث عنها"الإلياذة". وهذه الرواية الأسطورية الغريبة غير المعروفة ولكنها تتفق وما جاء فى"الإلياذة"الكتاب التاسع عشر بيت ٣٢٧ من أن أخيليوس كان له ابن شاب يدعى نيوبتوليموس. وهذه التقاسيم الزمنية المتقابلة فى الأسطورة تفتح مجال الشك فى علاقتها بالحقائق. فالاستعداد للحرب أخذ تسع سنوات ووقع الهجوم فى العاشرة. وحصار طروادة استمر تسع سنوات وأحرقت فى العاشرة. وبعدها تاه أوديسيوس فى طريق العودة إلى وطنه إيثاكى تسع سنوات ووصل فى السنة العاشرة. (المحرر)

قالت ذلك وهى تبكى، بينما كانت جموع الناس بلا عدد تتأوه.
بعد ذلك تحدث الشيخ المسن برياموس فى الناس قائلاً:

"والآن، أيها الطرواديون، أحضروا الأخشاب إلى المدينة، ولا
تخشوا على أنفسكم من أى كمين يعده لكم الأرجيون، فأخيليوس
قد تعهد لى، عندما تركنى أعود من السفن السوداء، ٧٨٠
بأنه لن يقدم على أى عمل سيىء قبل حلول فجر اليوم الثانى عشر".

قال ذلك، فقاموا يربط الثيران والبغال معا
فى نير العربة، ثم تجمعوا بعد ذلك مسرعين أمام أبواب المدينة،
وظلوا طوال تسعة أيام يجمعون كميات ضخمة من الأخشاب،
وعندما لاح فجر اليوم العاشر، ناشرا ضياءه على كل البشر، ٧٨٥
عندئذ حملوا جثمان هيكتور الباسل، وهم يذرفون الدمع الغزير،
ووضعوه فوق قمة المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.

وعندما ظهرت إلهة الفجر إيوس ذات الأصابع الوردية،
استيقظ الناس جميعا، والتفوا حول محرقة هيكتور المجيد،
وبعدما تجمعوا والتأم شملهم جميعا، أطفأوا نيران المحرقة ٧٩٠
بالنبيذ المتقد، حتى تمت السيطرة على جذوة اللهب،
ثم بدأ أشقاؤه ورفاقه يجمعون العظام البيضاء،
وهم يبكون حتى سال الدمع الغزير على وجناتهم (كالأنهار).
أخذوا تلك العظام ثم وضعوها فى وعاء ذهبى.
وغطوه بالرداء الأرجوانى الناعم ودفنوه فى قبر مجوف، ومن فوقه ٧٩٥
وضعوا أحجارًا كبيرة بأعداد كثيرة، ثم أقاموا كومة الدفن؛
ومن حوله انتشر الحراس يراقبون المكان من كل اتجاه،
حتى لا يغير عليهم الآخيون،لابسو الدروع المتينة قبل الأوان.
وبعدما انتهوا من إقامة كومة الدفن، عادوا أدراجهم، ثم ٨٠٠
تجمعوا فى صفوف متراصة، والتفوا جميعا حول وليمة جنائزية كبيرة
فى قصر الملك برياموس، ربيب الآلهة.
وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور، مروض الخيول. ٨٠٤





Η ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ ΙΑΙΑΣ

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كُتب عن هذه الطبعة فى الصحافة اليومية والمجلات الثقافية، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية، وذلك على امتداد الوطن العربى من المحيط إلى الخليج . ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق فى الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة " الإلياذة " كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً فى التراث العربى .

وإذ يعيد المركز القومى للترجمة نشر هذا السفر الأدبى النفيس، فإنه يأمل أن يلبى تطلعات المهتمين والباحثين والقراء العرب إلى مزيد من التواصل مع تراث الإبداع الإنسانى الخلاق.



تصميم الغلاف محمد بغدادى